الأمثل

في تفسير كتاب الله المنزل

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي



بسم الله الرحمن الرحیم

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل

کاتب:

آیت الله ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۲

اشاره

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل/ تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست : [ویرایش]۲

مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۲۰

شابک : ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۰(ج.۱۰) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱(ج.۱۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۲(ج.۱۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت : کتابنامه

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره : BP۹۸/م۷ ت۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۱۰۳۹۱

ص: ۱

اشاره

[تتمه سوره البقره]

اشاره

الآيات [سوره البقره (٢): آيه ١٨٨]

اشاره

وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوٰالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبٰاطِلِ وَ تُدْلُوا بِهٰا إِلَى اَلْحُكّٰامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوٰالِ اَلنّٰاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)

التّفسير

اشاره

المبادئ الأوليّه للاقتصاد الإسلامى:

هذه الآيه الكريمه تشير إلى أحد الأصول المهمّه و الكليّه للاقتصاد الإسلامى الحاكمه على مجمل المسائل الاقتصاديّه،بل يمكن القول إنّ جميع أبواب الفقه الإسـلامى فى دائره الإقتصاد تدخل تحت هذه القاعده و لذا نلاحظ أنّ الفقهاء العظام تمسّـكوا بهذه الآيه فى مواضع كثيره فى الفقه الإسلامى و هو قوله تعالى وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوٰالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبٰاطِلِ .

أمّا المراد من«الباطل»فى هذه الآيه الشـريفه فقد ذكر له عدّه تفاسير،ذهب أحدها إلى أنّ معناه الأموال الّتى يستولى عليها الإنسان من طريق الغصب و العدوان،و ذهب آخرون أنّ المراد هو الأموال الّتى يحصل عليها الشّخص من القمار و أمثاله.

و يرى ثالث أنّها إشاره إلى الأموال الّتى يكتسبها الشخص بواسطه القسم

ص:٥

الکاذب(و أشکال الحیل فی المعاملات و العقود التّجاریّه).

و لکنّ الظاهر أنّ مفهوم الآیه عام یستوعب جمیع ما ذکرنا من المعانی للباطل لأنّ الباطل یعنی الزّائل و هو شامل لما ذکر من المعانی،فلو ورد فی بعض الرّوایات-کما عن الإمام الباقر علیه السّلام أنّ معناه(القسم الکاذب)أو ورد عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیره ب(القمار)فهو فی الواقع من قبیل المصادیق الواضحه له.

فعلی هذا یکون کلّ تصرّف فی أموال الآخرین من غیر الطریق المشروع مشمولا لهذا النهی الإلهی.و کذلک فهکذا أنّ جمیع المعاملات الّتی لا تتضمّن هدفا سلیما و لا ترتکز علی أساس عقلائی فهی مشموله لهذه الآیه.

و نفس هذا المضمون ورد فی سوره النساء الآیه ۲۹ مع توضیح أکثر حیث تخاطب المؤمنین یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَأْکُلُوا أَمْوٰالَکُمْ بَیْنَکُمْ بِالْبٰاطِلِ إِلاّٰ أَنْ تَکُونَ تِجٰارَهً عَنْ تَرٰاضٍ مِنْکُمْ .

إنّ استثناء التّجاره المقترنه مع التراضی هو فی الواقع بیان لمصداق بارز للمعاملات المشروعه و المبّاحه،فلا تنفی الهبه و المیراث و الهدیّه و الوصیّه و أمثالها،لأنّها تحقّقت عن طریق مشروع و عقلائی.

و الملفت للنظر أنّ بعض المفسّرین قالوا:أنّ جعل هذه الآیه مورد البحث بعد آیات الصوم(آیات ۱۸۲-۱۸۷)علامه علی وجود نوع من الارتباط بینهما، فهناک نهی عن الأکل و الشرب من أجل أداء عباده إلهیّه،و هنا نهی عن أکل أموال الناس بالباطل الّذی یعتبر أیضا نوع من الصوم و ریاضه النفوس،فهما فی الواقع فرعان لأصل التقوی.ذلک التقوی الّذی ورد فی الآیه بعنوان الهدف النّهائی للصوم (۱) .

و لا بدّ من ذکر هذه الحقیقه و هی أنّ التعبیر ب(الأکل)یعطی معنا واسعا حیث

۱- ۱) -اقتباس من تفسیر فی ظلال القرآن،ج ۱،ص ۲۵۲

يشمل كلّ أنواع التصرّفات،أى أنه تعبير كنائى عن أنواع التصرّفات،و(الأكل)هو أحد المصاديق البارزه له.

ثمّ يشير فى ذيل الآيه إلى نموذج بارز لأكل المال بالباطل و الّذى يتصوّر بعض الناس أنّه حقّ و صحيح لأنّهم أخذوه بحكم الحاكم فيقول: وَ تُدْلُوا بِهٰا إِلَى الْحُكّٰامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوٰالِ النّٰاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١) .

(تدلوا)من مادّه(إدلاء)،و هى فى الأصل بمعنى إنزال الدلو فى البئر لإخراج الماء،و هو تعبير جميل للموارد الّتى يقوم الإنسان فيها بتسبيب الأسباب لنيل بعض الأهداف الخاصّه.

و هناك احتمالان فى تفسير هذه الجمله:

الأول:هو أن يكون المراد أن يقوم الإنسان بإعطاء قسما من ماله إلى القضاه على شكل هديّه أو رشوه(و كليهما هنا بمعنى واحد)ليتملّك البقيّه،فالقرآن يقول:

إنّكم بالرّغم من حصولكم على المال بحكم الحاكم أو القاضى ظاهرا،و لكنّ هذا العمل يعنى أكل للمال بالباطل،و هو حرام.

الثّانى:أن يكون المراد أنّكم لا ينبغى أن تتحاكموا إلى القضاه فى المسائل الماليّه بهدف و غرض غير سليم،كأن يقوم أحد الأشخاص بإيداع أمانه أو مال ليتيم لدى شخص آخر من دون شاهد،و عند ما يطالبه بالمال يقوم ذلك الشخص بشكايته لدى القاضى،و بما أنّ المودع يفتقد إلى الشاهد فسوف يحكم القاضى لصالح الطرف الآخر،فهذا العمل حرام أيضا و أكل للمال بالباطل.

و لا مانع من أن يكون لمفهوم الآيه هذه معنا واسعا يشمل كلا المعنيين فى جمله(لا تدلوا)،بالرغم من أنّ كلّ واحد من المفسرين ارتضى أحد هذين الاحتمالين.

١- ١) -جمله«تدلوا»عطف على تأكلوا،فعلى هذا يكون مفهومها«لا تدلوا».

و الملفت للنظر أنّه

ورد حديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «إنّما أنا بشر و إنّما يأتينى الخصم فلعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض فأقضى له فإن قضيت له بحق مسلّم فإنّما هى قطعه من نار فليحملها أو ليذرها»

(۱)

أى لا تتصوروا أنه من أمواله و يحل له أكله لأن رسول اللّه حكم له بهذا المال،بل هى قطعه من نار.

بحث

اشاره

وباء الرشوه:

من الأوبئه الاجتماعيه التى ابتلى بها البشر منذ أقدم العصور وباء الارتشاء، و كانت هذه الظاهره المرضيّه دوما من موانع إقامه العداله الاجتماعيه و من عوامل جرّ القوانين لصالح الطبقات المقتدره،بينما سنّت القوانين لصيانه مصالح الفئات الضعيفه من تطاول الفئات القويه عليهم.الأقوياء قادرون بما يمتلكونه من قوّه أن يدافعوا عن مصالحهم،بينما لا يملك الضعفاء إلاّ أن يلوذوا بالقانون ليحميهم،و لا تتحقّق هذه الحمايه فى جوّ الارتشاء،لأنّ القوانين ستصبح ألعوبه بيد القادرين على دفع الرشوه،و سيستمر الضعفاء يعانون من الظلم و الاعتداء على حقوقهم.

و لهذا شدّد الإسلام على مسأله الرشوه و أدانها و قبّحها و اعتبرها من الكبائر، فهى تفتّت الكيان الاجتماعى،و تؤدى إلى تفشّى الظلم و الفساد و التمييز بين الأفراد فى المجتمع الإنسانى،و تصادر العداله من جميع مؤسّساته.

جدير بالذكر أنّ قبح الرشوه قد يدفع بالراشين إلى أن يغطّوا رشوتهم بقناع من الأسماء الأخرى كالهديه و نظائرها،و لكن هذه التغطيه لا تغيّر من ماهيّه العمل شيئا،و الأموال المستحصله عن هذا الطريق محرّمه غير مشروعه.

و هذا«الأشعث بن قيس»يتوسّل بهذه الطريقه،فيبعث حلوى لذيذه إلى بيت

۱- ۱) -فى ظلال القرآن،ج ۱،ص ۲۵۲.

أمير المؤمنين على عليه السّلام أملا-فى أن يستعطف الإمام تجاه قضيه رفعها إليه،و يسمّى ما قدّمه هديّه،فيأتيه جواب الإمام صارما قاطعا،قال:

«هبلتك الهبول،أعن دين اللّه أتيتنى لتخدعنى؟...و اللّه لو أعطيت الأقاليم السبعه بما تحت أفلاكها على أن أعصى اللّه فى نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلته، و أنّ دنياكم عندى لأهون من ورقه فى فم جراده تقضمها.ما لعلىّ و نعيم يفنى و لذّه لا تبقى؟!...» الإسلام أدان الرشوه بكلّ أشكالها،و فى السيره

أنّ واحدا ممّن ولاّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم قبل رشوه قدّمت إليه بشكل هديه،فقال له الرسول:«كيف تأخذ ما ليس لك بحق؟!» قال:كانت هديه يا رسول اللّه.قال:«أ رأيت لو قعد أحدكم فى داره و لم نولّه عملا أ كان الناس يهدونه شيئا؟!» (۱) .

و من أجل أن يصون الإسلام القضاه من الرشوه بكلّ أشكالها الخفيّه و غير المباشره،أمر أن لا يذهب القاضى بنفسه إلى السوق للشراء،كى لا يؤثّر فيه بائع من الباعه فيبيعه بضاعه بثمن أقل،و يكسب على أثرها تأييد القاضى فى المرافعه.

أين المسلمون اليوم من هذه التعاليم الدقيقه الصارمه الهادفه إلى تحقيق العداله الاجتماعيه بشكل حقيقىّ عملىّ فى الحياه؟! إن مسأله الرشوه مهمّه فى الإسلام إلى درجه

أن الإمام الصادق عليه السّلام يقول عنها: «و أمّا الرشا فى الحكم فهو الكفر باللّه العظيم» (۲)

و ورد فى الحديث النبوى المعروف: «لعن اللّه الراشى و المرتشى و الماشى بينهما»

(۳)

.

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۲۴.
۲- ۲) -وسائل الشيعه:ج ۱۲ باب ۵ من أبواب ما يكتسب به ح ۲
۳- ۳) -بحار الأنوار:ج ۱۰۱ ص ۲۷۴ و ج ۱۱ باب الرشا فى الحكم.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۸۹]

اشاره

یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلْأَهِلَّهِ قُلْ هِیَ مَوٰاقِیتُ لِلنّٰاسِ وَ اَلْحَجِّ وَ لَیْسَ اَلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِهٰا وَ لٰکِنَّ اَلْبِرَّ مَنِ اِتَّقیٰ وَ أْتُوا اَلْبُیُوتَ مِنْ أَبْوٰابِهٰا وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۱۸۹)

سبب النّزول

روی أنّ معاذ بن جبل قال:یا رسول اللّه إنّ الیهود یکثرون مسألتنا عن الأهلّه فأنزل اللّه هذه الآیه.و قیل:إنّ الیهود سألوا رسول اللّه:لم خلقت هذه الأهلّه؟فنزلت هذه الآیه،لتقول إنّ للأهلّه فوائد مادیّه و معنویه فی نظام الحیاه الإنسانیه.

التّفسیر

اشاره

التقویم الطبیعی:

کما اتّضح من سبب نزول هذه الآیه الشریفه من أنّ جماعه سألوا رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم عن الهلال و ما یحصل علیه من تغییرات متدرّجه و عن أسبابها و نتائجها،

ص:۱۰

فیجیب القرآن الکریم علی سؤالهم بقوله یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ .

(أهلّه)جمع«هلال»و یعنی القمر فی اللّیله الاولی و الثانیه من الشهر،و قال بعضهم أنّ التسمیه تطلق علیه لثلاث لیالی من أوّل الشّهر و بعد ذلک یسمّی(قمر)، و ذهب بعضهم إلی أکثر من هذا المقدار.

و یری المرحوم(الطبرسی)فی مجمع البیان و آخرون من المفسّرین أنّ مفرده «الهلال»هی فی الأصل من(استهلال الصبی)و یعنی بکاء الطفل من بدایه تولّده، ثمّ استعمل للقمر فی بدایه الشهر،و کذلک استعمل أیضا فی قول الحجّاج فی بدایه مناسکهم:«لبیّک لبیّک».بصوت عال،فیقال(أهلّ القوم بالحج)و لکن یستفاد من کلمات الرّاغب فی المفردات عکس هذا المطلب و أنّ أصل هذه المفرده هو الهلال فی بدایه الشهر و قد استفید منه(استهلال الصبی)أی بکائه عند ولادته.

و علی کلّ حال یستفاد من جمله(یسألونک)الّتی هی فعل مضارع یدل علی التکرار أنّ هذا السؤال قد تکرّر مرّات عدیده علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم.

ثمّ تقول الآیه قُلْ هِیَ مَوٰاقِیتُ لِلنّٰاسِ وَ الْحَجِّ .

فما یحصل علیها من تغییرات منتظمه تدریجیّه،یجعل منها تقویما طبیعیا یساعد الناس علی تنظیم أمورهم الحیاتیه القائمه علی التوقیت و تحدید الزمن، و کذلک علی تنظیم امور عباداتهم المحدّده بزمان معیّن کالحجّ و الصوم، و الهلال هو المرجع فی تعیین هذا الزمان،و بالاستهلال ینظّم الناس امور عبادتهم و شؤون دنیاهم.

هذا التقویم الطبیعی میسور لجمیع البشر متعلّمهم و أمّیّهم،فی جمیع بقاع الأرض،و بموجبه یمکن تعیین أوّل الشهر و وسطه و آخره،بل کلّ یوم من أیّامه بدقّه.

و واضح أنّ نظام الحیاه الاجتماعیه یحتاج إلی تقویم،أی إلی وسیله تعیّن التاریخ الدقیق،و من هنا وضع اللّه سبحانه هذا التقویم الطبیعی للناس فی کلّ

زمان و مكان.

من امتيازات قوانين الإسلام أنّ أحكامه قائمه عاده على المقاييس الطبيعيه لأنّ هذه المقاييس متوفّره لدى جميع الناس،و لا يؤثّر عليها مرور الزمان شيئا.

أمّا المقاييس غير الطبيعيه فليست فى متناول يد الجميع و لم يستطع جميع البشر حتّى فى زماننا هذا أن يستفيدوا من مقاييس عالميه موحّده.

لذلك نرى أنّ المقياس فى الأحكام الإسلاميه يقوم فى الأطوال على أساس الشبر و الخطوه و الذراع و القامه،و فى الزمان على غروب الشمس و طلوع الفجر و زوال الشمس و روبه الهلال.

و هنا يتّضح امتياز الأشهر القمريّه عن الشمسيّه،فالبرغم من أنّ كلا منهما يترتّب على حركات الكواكب السماويّه،و لكنّ الأشهر القمريّه قابله للمشاهده من الجميع،فى حين أنّ الأشهر الشمسيّه لا يمكن تشخيصها إلّا بواسطه المنجمّين و بالوسائل الخاصّه لديهم،فيعرفون مثلا أنّ الشمس فى هذا الشهر سوف تقع فى مقابل أىّ صوره فلكيّه و أىّ برج سماوى.

و هنا يطرح هذا السؤال:هل أنّ الأشخاص الّذين سألوا عن الاهلّه كان هدفهم هو الاستفسار عن فائده هذه التغيّرات او السؤال عن كيفيّه ظهور الهلال و تكامله إلى مرحله البدر الكامل؟ ذهب بعض المفسّرين إلى الاحتمال الأوّل،و البعض الآخر ذهب إلى الثانى و أضاف:بما أنّ السؤال عن الأسباب و علل التغييرات ليست ذات فائده لهم و لعلّ فهم الجواب أيضا سيكون عسيرا على أذهانهم،فلهذا بيّن القرآن النتائج المترتبه على تغييرات الهلال لكى يتعلّم الناس أن يتوجّهوا دوما صوب النتائج.

ثمّ إنّ القرآن أشار فى ذيل هذه الآيه و بمناسبه الحديث عن الحجّ و تعيين موسمه بواسطه الهلال الّذى ورد فى أوّل الآيه إلى إحدى عادات الجاهليّين

الخرافیّه فی مورد الحجّ و نهت الآیه الناس عن ذلک،حیث تقول: وَ لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِهٰا وَ لٰکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقیٰ وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوٰابِهٰا وَ اتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ .

ذهب کثیر من المفسّرین إلی أن الناس فی زمن الجاهلیّه کانوا یمتنعون لدی لبسهم ثیاب الإحرام من الدخول فی بیوتهم من أبوابها و یعتقدون بحرمه هذا العمل،و لهذا السبب فإنّهم کانوا یفتحون کوّه و ثقب خلف البیوت لکی یدخلوا بیوتهم منها عند إحرامهم،و کانوا یعتقدون أنّ هذا العمل صحیح و جیّد،لأنّه بمعنی ترک العاده (۱) و الإحرام یعنی مجموعه من تروک العادات فیکتمل کذلک بترک هذه العاده.

و یری بعضهم أنّ هذا العمل کان بسبب أنّهم لا یستظلّون بسقف فی حال الإحرام،و لذلک فإنّ المرور من خلال ثقب الحائط بالقیاس مع دخول الدار من الباب یکون أفضل،و لکنّ القرآن یصرّح لهم أنّ الخیر و البر فی التقوی لا فی العادات و الرّسوم الخرافیّه،و یأمر بعد ذلک فورا بأن یدخلوا بیوتهم من أبوابها.

و هذه الآیه لها معنی أوسع و أشمل،و ذلک أنّ الإنسان لا بدّ له عند ما یقدم علی أیّ عمل من الأعمال سواء کان دینیا أو دنیویا لا بدّ له من أن یرده من طریق الصحیح لا من الطرق المنحرفه،کما ورد هذا المعنی فی روایه جابر عند ما سأل الإمام الباقر علیه السّلام عن ذلک (۲) .

و هکذا یکون بامکاننا العثور علی ارتباط جدید بین بدایه الآیه و نهایتها، و ذلک أنّ کلّ عمل لا بدّ أن یرده الإنسان من الطریق الصحیح،فالعباده فی الحجّ أیضا لا بدّ أن یبتدأ الإنسان بها فی الوقت المقرّر و تعیینه بواسطه الهلال.

۱- ۱) -تفسیر البیضاوی:ذیل الآیه المذکوره.

۲- ۲) -مجمع البیان،المجلد الأوّل،ص ۲۸۴ فی تفسیر الآیه.

التفسیر الثالث المذکور لهذه الآیه هو أنّ الإنسان عند ما یبحث عن الخیرات و البر لا بدّ أن یتوجّه صوب أهله و لا یطلبه من غیر أهله،و لکنّ هذا التفسیر یمکن إدراجه فی التفسیر الثانی حیث

ورد فی روایات أهل البیت علیهم السّلام عن الإمام الباقر علیه السّلام (آل محمّد أبواب اللّه و سبله و الدّعاه إلی الجنّه و القاده إلیها و الأدلّاء علیها إلی یوم القیامه)

(۱)

.

هذا الحدیث قد یشیر إلی أحد مصادیق المفهوم الکلّی للآیه لأنّه یقول أنّ علیکم أن تردوا فی جمیع أمورکم الدینیّه عن الطریق الصحیح لها،یعنی أهل بیت النبوّه الّذین هم طبقا لحدیث الثقلین قرین القرآن،و لذلک یمکنکم أن تأخذوا معارفکم الدینیّه منهم،لأنّ الوحی الإلهی نزل فی بیوتهم،فهم أهل بیت الوحی و صنائع القرآن و ثمار تربیته.

جمله(لیس البرّ)یمکنها أن تکون إشاره إلی نکته لطیفه اخری أیضا،و هی أنّ سؤالکم عن الأهلّه بدل سؤالکم عن المعارف الدینیّه بمثابه من یترک الدخول إلی داره من الباب الأصلی ثمّ یرده من ظهر البیت فهو عمل مستقبح و مستهجن.

ضمنا یجب الالتفات إلی هذه النکته فی قوله تعالی لٰکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقیٰ أنّ وجود المتقّین بمثابه الینابیع المستفیضه بالخیرات،بحیث أنّهم قد یطلق علیهم کلمه(البر)نفسه (۲) .

بحوث

اشاره

۱-أسئله مختلفه من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم

وردت فی ۱۵ مورد من الآیات القرآنیه جمله(یسألونک)و هذه علامه علی

۱- ۱) -مجمع البیان:فی تفسیر الآیه.

۲- ۲) -و ذهب البعض إلی وجود حذف فی الجمله و تقدیره:لکن البر من اتقی ذلک.

أنّ الناس يسألون من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم مسائل مختلفه كرارا و مرارا،و الملفت للنظر أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم مضافا إلى أنّه لا ينزعج من هذه الأسئله،فانه يستقبلهم بصدر رحب، و يجيب على أسئلتهم من خلال الآيات القرآنيه.

و أساسا فإنّ السؤال هو أحد حقوق الناس فى مقابل القاده،و هذا الحقّ مشروع حتّى للأعداء أيضا،فبإمكانهم طرح اسئلتهم بشكل معقول.فالسؤال مفتاح حل المشكلات.و السؤال بوّابه العلوم.و السؤال وسيله انتقال المعارف المختلفه.

و أساسا فإنّ طرح الأسئله المختلفه فى كلّ مجتمع علامه على التحرك الفكرى و الحضارى و الثقافى للنّاس،و وجود كلّ هذه الأسئله فى عصر النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم هو علامه على تحرّك أفكار الناس فى ذلك المحيط ضمن تعليمات القرآن الكريم و الدين الإسلامى.

فمن هنا يتّضح أنّ الأشخاص الّذين يعارضون طرح الأسئله المنطقيّه فى المجتمع يخالفون بذلك روح تعاليم الإسلام،و عملهم هذا مخالف لروح تعاليم الإسلام.

۲-التقويم و نظام الحياه

أنّ الحياه الفرديّه و الاجتماعيه لا يمكن لها أن تقوم من دون نظم صحيح،نظم فى التخطيط،و نظم فى المديريّه و الإجراء،فمن خلال نظره سريعه إلى عالم الخلق من المنظومات الشمسيّه فى السماء إلى بدن الإنسان و بناء هيكله و أعضائه المختلفه ندرك جيدا هذا الأصل الشامل و الحاكم على جميع المخلوقات.

و على هذا الأساس جعل اللّه سبحانه و تعالى هذا النظم تحت اختيار الإنسان و قرّر أن تكون الحركات المنظّمه للكره الأرضيّه حول نفسها و حول الشمس

و کذلک دوران القمر حول الأرض بانتظام وسیله لتنظیم حیاه الإنسان المادیّه و المعنویّه و ترتیبها وفق برنامج معیّن.

و لنفترض أنّ هذا النظم فی الکون لم یکن موجودا و لم یکن لدینا مقیاس معیّن لقیاس الزّمان،فما ذا سیحصل من اضطراب فی حیاتنا الیومیّه؟!و لهذا فإنّ اللّه تعالی ذکر هذا النظم الزمانی فی الأجرام السماویّه بعنوان أحد المواهب المهمّه الإلهیّه للإنسان،ففی سوره یونس فی الآیه الخامسه یقول هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللّهُ ذلِکَ إِلاّ بِالْحَقِّ یُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ .

و مثل ذلک ما ورد فی سوره الإسراء الآیه(١٢)حول النظام الحاکم علی اللّیل و النهار (١) .

١- ١) -بحثنا فی هذا الموضوع ذیل الآیه(١٢)من سوره الاسراء،و کذلک ذیل الآیه(۵)من سوره یونس.

الآیه [سوره البقره (٢): الآیات ١٩٠ الی ١٩٣]

اشاره

وَ قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ اَلَّذِینَ یُقاتِلُونَکُمْ وَ لاٰ تَعْتَدُوا إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یُحِبُّ اَلْمُعْتَدِینَ (١٩٠) وَ اُقْتُلُوهُمْ حَیْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَیْثُ أَخْرَجُوکُمْ وَ اَلْفِتْنَهُ أَشَدُّ مِنَ اَلْقَتْلِ وَ لاٰ تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ حَتّٰی یُقاتِلُوکُمْ فِیهِ فَإِنْ قاتَلُوکُمْ فَاقْتُلُوهُمْ کَذٰلِکَ جَزاءُ اَلْکافِرِینَ (١٩١) فَإِنِ اِنْتَهَوْا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (١٩٢) وَ قاتِلُوهُمْ حَتّٰی لاٰ تَکُونَ فِتْنَهٌ وَ یَکُونَ اَلدِّینُ لِلّٰهِ فَإِنِ اِنْتَهَوْا فَلاٰ عُدْوانَ إِلاّٰ عَلَی اَلظّٰالِمِینَ (١٩٣)

سبب النّزول

ذکر بعض المفسرین سببین لنزول الآیه الاولی من هذه الآیات محل البحث:

الأوّل:إنّ هذه الآیه هی أوّل آیه نزلت فی جهاد أعداء الإسلام و بعد نزول هذه الآیه شرع رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم فی قتالهم إلاّ الکفّار الّذین لم یکونوا فی حرب مع المسلمین،و استمرّ هذا الحال حتّی نزل الأمر(اقتلوا المشرکین)الّذی أجاز جهاد

ص: ١٧

و قتال جميع المشركين (۱) .

الثانی:من أسباب النزول ما ورد عن ابن عباس أنّ هذه الآيه نزلت فی صلح الحديبيّه،و ذلک أنّ رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و سلّم لمّا خرج هو و أصحابه فی العام الذی أرادوا فيه العمره،و كانوا ألفا و أربعمائه،فساروا حتّى نزلوا الحديبيّه فصدّهم المشركون عن البيت الحرام،فنحروا الهدى بالحديبيّه،ثمّ صالحهم المشركون على أن يرجع النبى من عامه و يعود العام المقبل،و يخلوا له مكّه ثلاثه أيّام،فيطوف بالبيت و يفعل ما يشاء،فرجع إلى المدينه من فوره.فلمّا كان العام المقبل تجهّز النبیّ صلی اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه لعمره القضاء،و خافوا أن لا تفی لهم قريش بذلک و أن يصدّوهم عن البيت الحرام و يقاتلوهم،و كره رسول اللّه قتالهم فی الشهر الحرام فی الحرم،فأنزل اللّه هذه الآيه لتبيح للمسلمين القتال إن بدأهم المشركون به (۲) .

و الظاهر أن شأن النزول الأوّل يناسب الآيه الاولى،و الثانی يناسب الآيات التاليه،و على أيه حال فإن مفهوم الآيات يدلّ على أنها نزلت جميعا بفاصله قصيره.

التّفسير

القرآن أمر فی هذه الآيه الكريمه بمقاتله الذين يشهرون السلاح بوجه المسلمين،و أجازهم أن يواجهوا السلاح بالسلاح،بعد أن انتهت مرحله صبر المسلمين على الأذى،و حلّت مرحله الدفاع الدامی عن الحقوق المشروعه.

تقول الآيه: وَ قاتِلُوا فِی سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ .

عباره فِی سَبِيلِ اللّهِ توضّح الهدف الأساسی من الحرب فی المفهوم الإسلامی،فالحرب ليست للانتقام و لا للعلوّ فی الأرض و التزعم،و لا للاستيلاء

ص: ۱۸

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازی،المجلد ۵،ص ۱۲۷.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱،ص ۲۸۴(ذيل الآيه مورد البحث)و ورد مثلها فی تفاسير اخرى.

على الأراضى،و لا للحصول على الغنائم...فهذا كلّه مرفوض فى نظر الإسلام.

حمل السلاح إنّما يصحّ حينما يكون فى سبيل اللّه و فى سبيل نشر أحكام اللّه،أى نشر الحقّ و العداله و التوحيد و اقتلاع جذور الظلم و الفساد و الانحراف.

و هذه هى الميزه التى تميّز الحروب الإسلاميه عن ساير الحروب فى العالم، و هذا الهدف المقدّس يضع بصماته على جميع أبعاد الحرب فى الإسلام و يصبغ كيفيّه الحرب و كميّتها و نوع السلاح و التعامل مع الأسرى و أمثال ذلك بصبغه«فى سبيل اللّه».

«سبيل»كما يقول الراغب فى مفرداته أنها فى الأصل تعنى الطريق السهل، و يرى بعض أنه ينحصر فى طريق الحقّ.و لكن مع الالتفات إلى أن هذه المفرده جاءت فى القرآن الكريم تاره بمعنى طريق الحقّ،و اخرى طريق الباطل،فإن مرادهم قد يكون إطلاقها على طريق الحقّ مع القرائن.

و لا شكّ أن سلوك طريق الحقّ«سبيل اللّه»أى طريق الدين الإلهى مع احتوائه على مشاكل و مصاعب كثيره إلاّ أنه سهل يسير لتوافقه مع الفطره و الروح الإنسانيه للاشخاص المؤمنين،و لهذا السبب نجد المؤمنين يستقبلون تلك الصعوبات برحابه صدر حتّى لو ادّى بهم إلى القتل و الشهاده.

و عباره اَلَّذِينَ يُقٰاتِلُونَكُمْ تدلّ بصراحه أن هذا الحكم الشرعى يختّص بمن شهروا السلاح ضد المسلمين،فلا تجوز مقاتله العدو ما لم يشهر سيفا و لم يبدأ بقتال باستثناء موارد خاصّه سيأتى ذكرها فى آيات الجهاد.

و ذهب جمع من المفسرين إلى أن مفهوم اَلَّذِينَ يُقٰاتِلُونَكُمْ محدود بدائره خاصّه،فى حين أن مفهوم الآيه عام و واسع.و يشمل جميع الذين يقاتلون المسلمين بنحو من الأنحاء.

و يستفاد من الآيه أيضا أن المدنيين-خاصّه النساء و الأطفال-لا يجوز أن

یتعرّضوا لهجوم،فهم مصونون لأنّهم لا یقاتلون و لا یحملون السلاح.

ثمّ توصی الآیه الشریفه بضروره رعایه العداله حتّی فی میدان القتال و فی مقابل الأعداء،و تقول: وَ لاٰ تَعْتَدُوا إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ .

أجل،فالحرب فی الإسلام للّه و فی سبیل اللّه،و لا یجوز أن یکون فی سبیل اللّه اعتداء و لا عدوان.لذلک یوصی الإسلام برعایه کثیر من الأصول الخلقیه فی الحرب،و هو ما تفتقر إلیه حروب عصرنا أشدّ الافتقار. یوصی مثلا بعدم الاعتداء علی المستسلمین و علی من فقدوا القدره علی الحرب،أو لیست لدیهم أصلا قدره علی الحرب کالشیوخ و النساء و الأطفال،و هکذا یجب عدم التعرّض للمزارع و البساتین،و عدم اللجوء إلی المواد السامه لتسمیم میاه شرب العدوّ کالسائد الیوم فی الحروب الکیمیاویه و الجرثومیّه.

الإمام علیّ علیه السّلام یقول لافراد جیشه-کما ورد فی نهج البلاغه- و ذلک قبل شروع القتال فی صفین:

«لا تقاتلوهم حتّی یبدؤوکم فإنکم بجهد اللّه علی حجّه،و ترککم إیّاهم حتّی یبدؤوکم حجّه اخری لکم علیهم،فإذا کانت الهزیمه بإذن اللّه فلا تقتلوا مدبرا و لا تصیبوا معورا و لا تجهزوا علی جریح،و لا تهیجوا النساء بأذی و إن شتمن أعراضکم و سببن أمراءکم»

(۱)

.

و الجدیر بالذکر أن بعض المفسّرین ذهب طبقا لبعض الروایات أن هذه الآیه ناسخه للآیه التی تنهی عن القتال من قبیل کُفُّوا أَیْدِیَکُمْ (۲) .و ذهب آخرون إلی أنها منسوخه بالآیه وَ قٰاتِلُوا الْمُشْرِکِینَ کَافَّهً (۳) . و لکن الصحیح أن هذه الآیه لا

۱- ۱) -نهج البلاغه-الکتب و الرسائل-رقم ۱۴.

۲- ۲) -سوره النساء،۷۷.

۳- ۳) -التوبه،۳۶.

ناسخه و لا ـ منسوخه،لأن منع المسلمين من قتال الكفّار كان فی زمن لم یكن للمسلمین القوّه الكافیه،و مع تغیّر الظروف صدر الأمر لهم بالدفاع عن أنفسهم، و كذلك قتال المشركین فهو فی الواقع استثناء من الآیه،فعلی هذا یكون تغییر الحكم بسبب تغییر الظروف لا ـ من قبیل النسخ و لا الاستثناء،و لكن القرائن تدلّ علی أن النسخ فی الروایات و فی كلمات القدماء له مفهوم غیر مفهومه فی العصر الحاضر،أی له معنی واسع یشمل هذه الموارد أیضا.

فی الآیه التالیه الّتی تعتبر مكملّه للأمر الصادر فی الآیه السابقه تتحدّث هذه الآیه بصراحه أكثر و تقول:إنّ هؤلاء المشركین هم الّذین أخرجوا المؤمنین من دیارهم و صبّوا علیهم ألوان الأذی و العذاب،فیجب علی المسلمین أن یقتلوهم أینما وجدوهم،و أنّ هذا الحكم هو بمثابه دفاع عادل و مقابله بالمثل،لأنّهم قاتلوكم و أخرجوكم من مكّه وَ اقْتُلُوهُمْ حَیْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَیْثُ أَخْرَجُوكُمْ .ثمّ یضیف اللّه تعالی وَ الْفِتْنَهُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ .

أمّا المراد من(الفتنه)ما هو؟فهناك أبحاث عدیده بین المفسرین و أرباب اللّغه،فهذه المفرده فی الأصل من(فتن)علی وزن متن،و یقول الراغب فی مفرداته أنّها تعنی وضع الذهب فی النار للكشف عن درجه جودته و أصالته،و قال البعض أنّ المعنی هو وضع الذهب فی النار لتطهیره من الشوائب (1) ،و قد وردت مفرده الفتنه و مشتقاتها فی القرآن الكریم عشرات المرّات و بمعان مختلفه.

فتاره جاءت بمعنی الامتحان مثل أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ یُتْرَكُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا یُفْتَنُونَ (2) .

1- 1) -روح المعانی،المجلد الثانی،ص 65.

2- 2) -العنكبوت:2.

و تاره وردت بمعنی المکر و الخدیعه فی قوله تعالی یا بَنِی آدَمَ لاٰ یَفْتِنَنَّکُمُ الشَّیْطٰانُ (۱) .

و تاره بمعنی البلاء و العذاب مثل قوله یَوْمَ هُمْ عَلَی النّٰارِ یُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَکُمْ (۲) .

و تاره وردت بمعنی الضّلال مثل قوله وَ مَنْ یُرِدِ اللّٰهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِکَ لَهُ مِنَ اللّٰهِ شَیْئاً (۳) .

و تاره بمعنی الشرک و عباده الأوثان أو سد طریق الإیمان أمام الناس کما فی الآیه مورد البحث و بعض الآیات الوارده بعدها فیقول تعالی: وَ قٰاتِلُوهُمْ حَتّٰی لاٰ تَکُونَ فِتْنَهٌ وَ یَکُونَ الدِّینُ لِلّٰهِ .

و لکنّ الظاهر أنّ جمیع هذه المعانی المذکوره للفتنه تعود إلی أصل واحد(کما فی أغلب الألفاظ المشترکه)،لأنه مع الأخذ بنظر الإعتبار أنّ معنی الأصل هو وضع الذهب فی النار لتخلیصه من الشوائب فلهذا استعملت فی کلّ مورد یکون فیه نوع من الشّده،مثل الامتحان الّذی یقترن عاده بالشّده و یتزامن مع المشکلات،و العذاب أیضا نوع آخر من الشّده،و کذلک المکر و الخدیعه التی تتّخذ عاده بسبب أنواع الضغوط و الشدائد،و کذلک الشرک و إیجاد المانع فی طریق ایمان الناس حیث یتضمّن کلّ ذلک نوع من الشّده و الضغط.

و الخلاصه أنّ عباده الأوثان و ما یتولّد منها من أنواع الفساد الفردی و الاجتماعی کانت سائده فی أرض مکّه المکرّمه حیث لوّثت بذلک الحرم الإلهی الآمن،فکان فسادها أشد من القتل فلذلک تقول هذه الآیه مورد البحث مخاطب

۱- ۱) -الأعراف:۲۷.

۲- ۲) -الذاریات:۱۳،۱۴.

۳- ۳) -المائده:۴۱.

المسلمين:أنّه لا ينبغى لكم ترک قتال المشرکين خوفا من سفک الدماء فإنّ عباده الأوثان أشد من القتل.

و قد أورد بعض المفسّرين احتمالا آخر،و هو أن يکون المراد من الفتنه هنا الفساد الاجتماعى من قبيل تبعيد المؤمنين من أوطانهم حيث تکون هذه الأمور أحيانا أشد من القتل أو سببا فى قتل الأنفس و الأفراد فى المجتمع،فنقرأ فى الآيه (۷۳)من سوره الأنفال قوله تعالى إِلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ فَسادٌ كَبِيرٌ أى إذا لم تقطعوا الرابطه مع الکفّار فسوف تقع فتنه کبيره فى الأرض و فساد عظيم.

ثمّ تشير الآيه إلى مسأله اخرى فى هذا الصدد فتقول:إنّ على المسلمين أن يحترموا المسجد الحرام دائما و أبدا،و لذلک لا ينبغى قتال الکفّار عند المسجد الحرام،إلاّ أن يبدئوکم بالقتال وَ لا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ .

فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ

لأنّهم عند ما کسروا حرمه هذا الحرم الإلهى الآمن فلا معنى للسکوت حينئذ و يجب مقابلتهم بشدّه لکى لا يسيئوا الاستفاده من قداسه الحرم و احترامه.

و لکن بما أنّ الإسلام فى منهجه التربوى للناس يقرن دائما الإنذار و البشاره معا،و الثواب و العقاب کذلک،لکى يؤثّر فى المسلمين تأثيرا سليما،فلذلک فسح المجال فى الآيه التاليه للعوده و التوبه فقال فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

أجل فلو أنّهم ترکوا الشرک و أطفؤوا نيران الفتنه و الفساد فسوف يکونون من إخوانکم،و حتّى بالنّسبه إلى الغرامه و التعوضيات الّتى تجب على سائر المجرمين بعد قيامهم للجريمه فإنّ هؤلاء المشرکون معفون من ذلک و لا يشملهم هذا الحکم.

و ذهب البعض إلى أنّ جمله فَإِنِ انْتَهَوْا بمعنى ترک الشرک و الکفر(کما ذکرنا أعلاه).

ص :۲۳

و ذهب البعض إلى أنّ المعنى هو ترک الحرب و القتال فی المسجد الحرام أو أطرافه.

و لکنّ الجمع بین هذین المعنیین ممکن أیضا.

الآیه التالیه تشیر إلی هدف الجهاد فی الإسلام و تقول: وَ قاتِلُوهُمْ حَتّی لا تَکُونَ فِتْنَهٌ وَ یَکُونَ الدِّینُ لِلّهِ .

ثمّ تضیف:فإن ترک هؤلاء المشرکون عقائدهم الباطله و أعمالهم الفاسده فلا تتعرّضوا لهم فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلاّ عَلَی الظّالِمِینَ .

و حسب الظاهر ذکر فی هذه الآیه ثلاثه أهداف للجهاد و هی:

۱-إزاله الفتنه.

۲-محو الشرک و عباده الأوثان.

۳-التصدّی للظلم و العدوان.

و یحتمل أن یکون المراد من الفتنه هو الشرک أیضا و علی هذا یکون الهدف الأوّل و الثانی واحدا،و هناک أیضا احتمال آخر و هو أنّ المراد من الظلم هنا هو الشرک أیضا کما ورد فی الآیه(۱۶)من سوره لقمان إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ .

و علی هذا الأساس فإنّ هذه الأهداف الثلاثه تعود إلی هدف واحد و هو التصدی للشرک و عباده الأوثان و الّذی یمثّل المصدر الأساس لکلّ أنواع الفتن و المظالم و العدوان.

و ذهب البعض إلی أنّ الظلم فی هذه الآیه بمعنی الابتداء بالحرب أو القتال فی الحرم الإلهی الآمن،و لکنّ الاحتمال الأوّل و هو أنّ المراد من الآیه هو الأهداف الثلاثه المتقدّمه أقوی،فصحیح أنّ الشرک هو أحد مصادیق الفتنه،و لکنّ الفتنه لها مفهوم أوسع من الشرک،و صحیح أیضا أنّ الشرک أحد مصادیق الظلم،و لکنّ الظلم له مفهوم أوسع أیضا،فعند ما نری تفسیره بالشرک أحیانا فهو لبیان المصداق.

و علی هذا الأساس لا یکون الجهاد فی الإسلام لغرض التسلّط علی البلدان و الفتوحات،و لیس لغرض تحصیل الغنائم،و لا بهدف تملّک الأسواق للتّجاره أو السیطره علی ثروات و معادن البلدان الاخری،أو من أجل غلبه العنصر القومی علی آخر.

فالهدف هو أحد الثلاثه المتقدّمه:إزاله الفتن و الفوضی الّتی تؤدّی إلی سلب حریّه الناس و أمنهم،و کذلک محو آثار الشرک و عباده الأوثان،و أیضا التصدّی للظّالمین و المعتدین و الدفاع عن المظلومین.

بحوث

اشاره

۱-مسأله الجهاد فی الإسلام

نلاحظ فی الکثیر من المذاهب الوضعیّه المنحرفه أنّه لا وجود للجهاد لدیهم إطلاقا،فکلّ ما فیه یدور حول محور النصائح و المواعظ الأخلاقیه،حتّی أنّ البعض عند ما یسمع بوجود مقاله الجهاد و استعمال القوّه کأحد الأرکان المهمّه فی التعالیم الإسلامیّه یتعجّب کثیرا علی اقتران الدین بالحرب.

و لکن مع ملاحظه أنّ الحکّام الطواغیت و الفراعنه و أمثالهم من النمرودیّین و القارونیّین الّذین یعترضون دائما علی دعوه الأنبیاء الإصلاحیّه و یقفون بوجهها و لا یرضون إلّا بإزاله الدین الإلهی من الوجود یتّضح أنّ علی المؤمنین و المتدیّنین فی الوقت الّذی یعتمدون علی العقل و المنطق و الأخلاق فی تفاعلهم الاجتماعی مع الآخرین علیهم أن یتصدّوا لهؤلاء الظالمین و الطّواغیت و یشقّوا طریقهم بالجهاد و تحطیم هذه الموانع و العوائق الّتی یقیمها حکّام الجور فی طریقهم.

و أساسا فإنّ الجهاد هو من علامات الحياه لكلّ موجود و يمثّل قانونا عامّا فى عالم الأحياء،فجميع الكائنات الحيّه أعم من الإنسان و الحيوان و النبات تجاهد عوامل الفناء من أجل بقائها،و سيأتى مزيد من التوضيح فى هذا المجال فى سوره النساء ذيل الآيه ۹۵ و ۹۶.

و على كلّ حال فإنّ من افتخاراتنا نحن المسلمين أنّ ديننا يقرن المسائل الدينيّه بالحكومه و يعتمد على الجهاد كأحد أركان المنظومه العقائديّه لهذا الدين، غايه الأمر يجب ملاحظه أهداف هذا الجهاد الإسلامى،و هذا هو الّذى يفصل بيننا و بين الآخرين.

۲-أهداف الجهاد فى الإسلام

يصرّ البعض من المتغرّبين أنّ الجهاد الإسلامى منحصر فى الجهاد الدفاعى و يحاولون توجيه جميع غزوات النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم أو الحروب الّتى حدثت بعده فى هذه الدائره،فى حين أنّه لا يوجد دليل على هذه المسأله،و لم تكن جميع غزوات رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم دفاعيّه،فمن الأفضل العوده إلى القرآن الكريم بدل هذه الاستنباطات الخاطئه لاستجلاء أهداف الجهاد من القرآن الكريم،تلك الأهداف المنطقيّه القابله للعرض على الصّديق و العدو.

و كما تقدّم فى الآيات أعلاه أنّ الجهاد فى الإسلام يتعقّب عدّه أهداف مباحه:

الف:الجهاد من أجل إطفاء الفتن و بعباره اخرى الجهاد الابتدائى من أجل التحرير،فنحن نعلم أنّ اللّه عزّ و جلّ قد أنزل على البشريّه شرائع و برامج لسعاده البشر و تحريرهم و تكاملهم و إيصالهم إلى السعاده و الرفاه،و أوجب على الأنبياء عليهم السّلام أن يبلّغوا هذه الشرائع و الإرشادات إلى الناس،فلو تصوّر أحد الأفراد أو طائفه من الناس أنّ إبلاغ هذه

الشرائع للناس سوف يعيقه عن نيل منافعه الشخصيّه و سعی لإيجاد الموانع و وضع العصی فی عجلات الدعوه الإلهيّه،فللأنبياء الحقّ فی إزاله هذه الموانع بطريقه المسالمه أوّلا و إلاّ فعليهم استخدام القوّه فی إزاله هذه الموانع عن طريق الدّعوه لنيل الحريّه فی التبليغ.

و بعباره اخری:أنّ الناس فی جميع المجتمعات البشريّه لهم الحقّ فی أن يسمعوا مقاله منادی الحقّ و هم أحرار فی قبول دعوه الأنبياء،فلو تصدّی فرد أو جماعه لسلب هذا الحقّ المشروع للناس و حرمانهم منه و منعوا صوت الحقّ من الوصول إلی الناس ليحرّرهم من قيود الأسر و العبوديّه الفكريّه و الاجتماعيّه، فلاتباع الدين الحقّ فی الاستفاده من جميع الوسائل لتهيئه هذه الحريّه،و من هنا كان(الجهاد الابتدائی)فی الإسلام و سائر الأديان السماويّه ضروريّا.

و كذلك إذا استخدم البعض القوّه و الإرهاب فی حمل جماعه من المؤمنين علی ترك دينهم و العوده إلی الدين السابق لهم،فللمؤمنين الحقّ فی الاستفاده من جميع الوسائل لرفع هذا الإكراه و الإرهاب.

ب-الجهاد الدفاعی.

هل من الصحيح أن يواجه الإنسان هجوما و عدوانا عليه و لا يدافع عن نفسه؟أو أن يقوم جيش معتدی بالهجوم علی بعض الشعوب الاخری و لا تقوم تلك الشعوب بالدفاع عن نفسها و عن بلدها بل تقف موقف المتفرّج؟ هنا نجد أنّ جميع القوانين السماويّه و البشريّه تبيح للفرد أو الجماعه الدّفاع عن النفس و الاستفاده ممّا وسعهم من قوّه فی هذا السبيل، و يسمّی مثل هذا الجهاد ب(الجهاد الدفاعی)و من ذلك غزوه الأحزاب و احد و مؤته و تبوك و حنين و نظائرها من الحروب الإسلاميّه الّتی لها جنبه دفاعيّه.

و فی هذا الزمان نجد أنّ الكثير من أعداء الإسلام يعتدون علی المسلمين

و يشعلون نيران الحروب للسّيطره على البلاد الإسلاميّه و نهب ثرواتها،فكيف يبيح الإسلام السكوت أمام هذا العدوان؟ ج- الجهاد لحمايه المظلومين و نلاحظ فرعا آخر من فروع الجهاد فى الآيات القرآنيه الكريمه،و هو الجهاد لحمايه المظلومين،فتقرأ فى الآيه(٧٥)من سوره النساء وَ مَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْیَهِ الظّالِمِ أَهْلُهَا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْکَ نَصِیراً .

و على هذا الأساس فالقرآن يطلب من المسلمين الجهاد فى سبيل اللّه و كذلك فى سبيل المستضعفين المظلومين،و أساسا إنّ هاتين الغايتين متحدتان،و مع الأخذ بنظر الاعتبار عدم وجود قيد أو شرط فى الآيه أعلاه نفهم من ذلك وجوب الدفاع عن جميع المظلومين و المستضعفين فى كلّ نقطه من العالم القريبه منها أو البعيده،و فى الداخل أو الخارج.

و بعباره أخرى:أنّ حمايه المظلومين فى مقابل عدوان الظّالمين هو أصل فى الإسلام يجب مراعاته،حتّى لو أدّى الأمر إلى الجهاد و استخدام القوّه،فالإسلام لا يرضى للمسلمين الوقوف متفرّجين على ما يرد على المظلومين فى العالم، و هذا الأمر من الأوامر المهمّه فى الشريعه الإسلاميّه المقدّسه الّتى تحكى عن حقانيّه هذا الدّين.

د-الجهاد من أجل دحر الشرك و عباده الأوثان الإسلام يدعو البشريّه إلى اعتناق الدّين الخاتم الأكمل و هو يحترم مع ذلك حريّه العقيده،و بذلك يعطى أهل الكتاب الفرصه الكافيه للتّفكير فى أمر اعتناق الرّساله الخاتمه،فإن لم يقبلوا بذلك فإنّه يعاملهم معامله الأقليّه المعاهده(أهل الذّمه)و يتعايش معهم تعايشا سلميّا ضمن شروط خاصّه بسيطه و ميسوره،لكنّ

الشرک و الوثنیّه لیسا بدین و لا عقیده و لا یستحقّان الاحترام،بل هما نوع من الخرافه و الحمق و الانحراف و نوع من المرض الفکری و الأخلاقی الّذی ینبغی أن یستأصل مهما کلّف الثمن.

کلمه حریّه العقیده و احترام أفکار الآخرین تصدق فی مواقع یکون لهذه العقیده و الأفکار علی أقلّ تقدیر أساس من الصحّه،أما الانحراف و الخرافه و الضلال فلیست بأشیاء تستحق الاحترام،و لذلک یأمر الإسلام بضروره اقتلاع جذور الوثنیّه من المجتمع و لو کلّف ذلک خوض الحرب، و ضروره هدم آثار الشرک و الوثنیّه بالطرق السلمیّه أوّلا،فإن تعذّرت الطرق السلمیّه فبالقوّه.

أجل فالإسلام یری ضروره تطهیر الأرض من أدران الشرک و الوثنیّه و یعد المسلمین بمستقبل مشرق للبشریّه فی العالم تحت ظل حکومه التوحید و زوال کلّ أنواع الشرک و الوثنیّه.

و ممّا تقدّم من ذکر أهداف الجهاد یتّضح أنّ الإسلام أقام الجهاد علی أسس منطقیّه و عقلیه،فلم یجعله وسیله للتّسلّط و السیطره علی البلدان الاخری و غصب حقوق الآخرین و تحمیل العقیده و استعمار و استثمار الشعوب الاخری، و لکنّنا نعلم أنّ أعداء الإسلام و خاصّه القائمون علی الکنیسه و المستشرقین المغرضین سعوا کثیرا لتحریف الحقائق ضد مسأله الجهاد الإسلامی،و اتّهموا الإسلام باستعمال الشدّه و القوّه و السیف من أجل تحمیل الإیمان به و تهجموا کثیرا علی هذا القانون الإسلامی.

و الظّاهر أنّ خوفهم و هلعهم إنّما هو من تقدّم الإسلام المطرد فی العالم بسبب معارفه السّامیّه و برنامجه السّلیم،و لهذا سعوا لإعطاء الإسلام صبغه موحشه کیما یتمکّنوا من الوقوف أمام انتشار الإسلام.

۳-لماذا شرّع الجهاد فی المدینه

نعلم أنّ الجهاد وجب علی المسلمین فی السنّه الثانیه بعد الهجره،و لم یکن قد شرّع قبلها،و السبب واضح فهو یعود من جهه إلی قلّه عدد المسلمین فی مکّه بحیث یکون الأمر بالکفاح المسلّح فی مثل هذه الحاله هو الانتحار بعینه،و من جهه اخری کان العدو فی مکّه قویّا جدّا،فمکّه فی الواقع کانت مرکز القوی المعادیه للإسلام،و لم یکن بالإمکان حمل السّلاح فیها.

أمّا حین قدم النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم إلی المدینه إزداد عدد المؤمنین و اتسع نطاق الدّعوه داخل المدینه و خارجها،و تأسّست الحکومه الإسلامیّه الصالحه،و تهیّأت وسائل الجهاد ضدّ العدو علی صعید العدّه و العدد،و بما أنّ المدینه المنوّره کانت بعیده عن مکّه استطاع المسلمون فی حاله من الأمن و الطمأنینه أن یبنوا وجودهم و یعدّوا أنفسهم لمواجهه العدو و الدفاع عن رسالتهم.

ص :۳۰

الآيه [سوره البقره (٢): آیه ١٩۴]

اشاره

اَلشَّهْرُ اَلْحَرٰامُ بِالشَّهْرِ اَلْحَرٰامِ وَ اَلْحُرُمٰاتُ قِصٰاصٌ فَمَنِ اِعْتَدیٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اِعْتَدیٰ عَلَيْكُمْ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ مَعَ اَلْمُتَّقِينَ (١٩۴)

التّفسير

اشاره

احترام الأشهر الحرم و المقابله بالمثل:

هذه الآيه الشريفه تكمّل البحث الوارد فى الآيات السّابقه عن الجهاد بشكل عام،فهى فى الواقع إجابه على من يتصوّر أنّه لا يمكن القتال فى الأشهر الحرم، فكيف أمر الإسلام بالقتال فيها.

و لتوضيح الأمر:كان المشركون على علم بأنّ الإسلام يحضر الحرب فى الأشهر الحرم(ذى القعده و ذى الحجه و محرم و رجب)خاصّه فى حرم مكّه و المسجد الحرام،و بعباره اخرى أنّ الإسلام أمضى هذه السّنّه التى كانت موجوده من قبل،فكان نبى الإسلام ملتزم بهذا الحضر،لذلك أرادوا أن يشنّوا هجوما مباغتا على المسلمين فى هذه الأشهر الحرم متجاهلين حرمتها ضانّين أنّ المسلمين ممنوعون من المواجهه،و فى هذه الحاله يستطيعون أن يحقّقوا هدفهم.

ص:٣١

الآیه الکریمه تکشف مؤامره المشرکین و تحمّل المسلمین مسئولیّه مواجهه العدوان حتّی فی الأشهر الحرم فتقول الآیه: اَلشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ أی أنّ الأعداء لو کسروا حرمه و احترام هذه الأشهر الحرم و قاتلوکم فیها فلکم الحقّ أیضا فی المقابله بالمثل،لأن وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ .

(حرمات)جمع«حرمه»و تعنی الشیء الّذی یجب حفظه و احترامه،و قیل للحرم:حرم لأنّه مکان محترم و لا یجوز هتکه.و یقال الأعمال الممنوعه و القبیحه حرام لهذا السبب،و لهذا أیضا کانت بعض الأعمال محرّمه فی الشهر الحرام و الأرض الحرم.

و هذه العباره وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ تتضمنّ جوابا رابعا لأولئک الّذین اعترضوا علی النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم لإباحته الحرب فی الأشهر الحرم،أو أرض مکّه المکرّمه الحرم الإلهی الآمن،و تعنی أنّ احترام الأشهر الحرم ضروری أمام العدو الّذی یراعی حرمه هذه الأشهر،أمّا العدو الّذی یهتک هذه الحرمه فلا تجب معه رعایه الاحترام و تجوز محاربته حتّی فی هذه الأشهر،و امر المسلمون أن یهبّوا للجهاد عند اشتعال نار الحرب کی لا تخامر أذهان المشرکین فکره انتهاک حرمه هذه الشّهور.

ثمّ تشرّع الآیه حکما عامّا یشمل ما نحن فیه و تقول: فَمَنِ اعْتَدیٰ عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدیٰ عَلَیْکُمْ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ .

فالإسلام-و خلافا للمسیحیّه الحالیّه الّتی تقول(إذا لطمک شخص علی خدّک الأیمن فأدر له الأیسر) (۱) -لا یقول بمثل هذا الحکم المنحرف الّذی یبعث علی جرأه المعتدی و تطاول الظّالم،و حتّی المسیحیّون فی هذا الزّمان لا یلتزمون مطلقا بهذا الحکم أیضا،و یردّون علی کلّ عدوان مهما کان قلیلا بعد و ان أشد،و هذا أیضا مخالف لدستور الإسلام فی الرّد،فالإسلام یقول:یجب التصدّی للظّالم

۱- ۱) -إنجیل متّی-الباب ۵-الرقم ۳۹.

و المعتـدی،و یعطی الحقّ للمظلـوم و المعتـدی علیه المقـابله بالمثـل،فالاستسـلام فی منطـق الإسـلام یعنی المـوت،و المقـاومه و التصدّی هی الحیاه.

و الجدیر بالذکر أنّ مفهوم الآیه یشـمل دائره وسیعه و لا ینحصر بمسأله القصاص فی مقابل القتل أو الجنایات الاخری،بل یشمل حتّی الأمور المالیّه القصاص فی مقابل القتل أو الجنایات الأخری،بل یشمل حتّی الأمور المالیّه و سائر الحقوق الاخری.

و هذا طبعا لا یتعارض مع مسأله العفو و الصفح عن الإخوان و الأصدقاء النادمین.

أحیانا یتصوّر بعض العوام أنّ معنی الآیه هو أنّه لو قتل شـخص شـخصا آخر فإنّ معنی المقابله بالمثل تبیح لأب المقتول أن یقتل ابن القاتـل،و إذا ضـرب أخـاه فیجوز له أن یضـرب أخـا الضّـارب،و لکن هـذا اشـتباه کبیر،لأنّ القرآن یقول فَمَنِ اعْتَدیٰ عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدیٰ عَلَیْکُمْ لا الأفراد الأبریاء.

و أیضـا لاـ ینبغی أن یتصوّر أنّ مفهوم الآـیه هو أنّه أن أقـام شـخص بإحراق بیت آخر فیجوز للمعتـدی علیه أن یقوم بحرق بیت المعتدی،بل مفهومه أن یؤدّی المعتدی ما یعادل قیمه البیت المحترق إلی المعتدی علیه.

و عباره وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ تأکیـد آخر علی ضـروره عـدم تجاوز الحـدّ فی الـدّفاع و المقابله،لأنّ الإفراط فی المقابله یبعد المواجهه عن إطار التقوی.

و قوله تعـالی وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِینَ إشاره إلی أنّ اللّه لا یهمل المتقی فی خضمّ المشـکلات،بل یعینه و یرعاه،لأنّ من کان مع شخص آخر فمفهومه أنّه یعینه فی مشکلاته و یحمیه مقابل الأعداء.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۹۵]

اشاره

وَ أَنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی اَلتَّهْلُکَهِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اَللّٰهَ یُحِبُّ اَلْمُحْسِنِینَ (۱۹۵)

التّفسیر

اشاره

الإنفاق و الخلاص من المازق:

هـذه الآیه تکمّل ما مرّ من آیات الجهاد فکما أنّ الجهاد بحاجه إلی الرجال المخلصین و المجرّبین کذلک بحاجه إلی المال و الثروه أی بحاجه إلی الاستعداد البدنی و المعنوی و المعدّات الحربیّه،صحیح أن العامل الحاسم فی تقریر مصیر الحرب هو الرجال بالدّرجه الاولی،و لکنّ الجندی بحاجه إلی أدوات الحرب (أعمّ من السلاح و الأدوات و وسائل النقل و الغذاء و الوسائل الصحیّه)فإنّه بدونها لا یمکنه أن یفعل شیئا.

من هنا أوجب الإسلام تأمین وسائل الجهاد مع الأعداء،و من ذلک ما ورد فی الآیه أعلاه حیث تأمر بصراحه وَ أَنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِ .

ص: ۳۴

و هذا المعنى يتأكّد خاصّه فى عصر نزول هذه الآيات حيث كان المسلمون فى شوق شديد إلى الجهاد كما يحدّثنا القرآن عن أولئك الّذين أتوا النبى يطلبون منه السلاح ليشاركوا فى ساحه الجهاد و إذ لم يجدوا ذلك عادوا مهمومين محزونين تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ (۱) .

فعباره وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَهِ بالرّغم من أنّها وارده فى ترك الإنفاق فى الجهاد الإسلامى،و لكنّ مفهومها واسع يشمل موارد اخرى كثيره،منها أنّ الإنسان ليس له الحقّ فى اتّخاذ الطرق الخطره للسّفر(سواء من الناحيه الأمنيّه أو بسبب العوامل الجويّه أو غير ذلك)دون أن يتّخذ لنفسه الاحتياطات اللاّزمه لذلك،كما لا يجوز له تناول الغذاء الّذى يحتمل قويّا أن يكون مسموما و حتّى أن يرد ميدان القتال و الجهاد دون تخطيط مدروس،ففى جميع هذه الموارد الإنسان مسئول عن نفسه فى ما لو ألقى بها فى الخطر بدون عذر مقبول.

و تصوّر بعض الجهلاء من أنّ كلّ ألوان الجهاد الابتدائى هو إلقاء النفس فى التّهلكه و حتّى أنهم أحيانا يعتبرون قيام سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السّلام فى كربلاء مصداق لهذه الآيه،و هذا ناشئ من الجهل المطبق و عدم درك مفهوم الآيه الشريفه،لأنّ إلقاء النفس بالتّهلكه يتعلّق بالموارد الّتى لا يكون فيها الهدف أثمن من النفس و إلاّ فلا بدّ من التضحيه بالنفس حفاظا على ذلك الهدف المقدّس كما صنع الإمام الحسين و جميع الشهداء فى سبيل اللّه كذلك.

فهل يتصوّر أحد أنّ الشّخص الّذى يرى النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم فى خطر فيحميه بنفسه و يذبّ عنه معرّضا نفسه للخطر فداء لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم(كما صنع على عليه السّلام فى حرب احد أو فى ليله المبيت)فهل يعنى هذا إلقاء للنفس بالتّهلكه و إنّه صنع حراما؟و هل

۱- ۱) -التوبه:۹۲.

یعنی ذلک أن یقف موقف المتفرّج حتّی یقتل رسول اللّه و یقول أنّ إلقاء النفس فی التّهلکه حرام؟ و الحقّ أنّ مفهوم الآیه واضح و التمسّک بها فی مثل هذه الموارد نوع من الجهل و الحمق.

أجل،إذا لم یکن الهدف مهمّا و لا یستحق أن یضحّی الإنسان بنفسه فی سبیله، أو أنّه یکون مهمّا و لکن بإمکانه تحقیقه بوسائل و طرق اخری أفضل،ففی هذه الموارد لا ینبغی إلقاء النفس فی الخطر(کموارد التقیّه مثلا من هذا القبیل).

و فی آخر الآیه أمر بالإحسان و یقول أَحْسِنُوا إِنَّ اللّٰهَ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ .

أمّا ما هو المراد بالإحسان هنا؟فهناک عدّه احتمالات فی کلمات المفسّرین، منها:أنّ المراد هو حسن الظن باللّه(فلا تظنّوا أنّ إنفاقکم هذا یؤدی إلی الاختلال فی معاشکم)،و الآخر هو الاقتصاد و الاعتدال فی مسأله الإنفاق،و احتمال ثالث هو دمج الإنفاق مع حسن الخلق للمحتاجین بحیث یتزامن مع البشاشه و إظهار المحبّه و تجنّب أی لون من ألوان المنّه و الأذی للشخص المحتاج،و لا مانع من أن یکون المراد فی مفهوم الآیه جمیع هذه المعانی الثلاث.

بحوث

اشاره

۱-الإنفاق مانع عن انهیار المجتمع

هناک ارتباط معنوی بین جمله وَ أَنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ و لاٰ تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِ بملاحظه أنّ عبارات الآیات القرآنیه مترابطه و متلازمه،و الظّاهر أنّ الرّابطه بین هاتین العبارتین هو أنّکم لو لم تنفقوا فی سبیل اللّه و فی مسار الجهاد فقد ألقیتم أنفسکم فی التّهلکه.

و یمکن أن یکون الارتباط أکثر من ذلک و هو أن نقول:إنّ هذه الآیه بالرّغم من أنّها وردت فی ذیل آیات الجهاد،و لکنّها تبیّن حقیقه کلیّه و اجتماعیّه،و هی أنّ الإنفاق بشکل عام سبب لنزاهه المجتمع من المفاسد المدمّره، لأنه حینما یترک أفراد المجتمع الإنفاق و تتراکم الثروه فی أحد أقطاب المجتمع تنشأ طبقه محرومه بائسه،و لا یلبث أن یحدث انفجار عظیم فیه یحرق الأثریاء و ثروتهم و یتّضح من ذلک ارتباط الإنفاق بابعاد التهلکه.

و من هنا فالإنفاق یعود بالخیر علی الأثریاء قبل أن یصیب خیره المحرومین،لأنّ تعدیل الثروه یصون الثروه کما

قال الإمام علی علیه السّلام (حصّنوا أموالکم بالزّکاه) (۱) .

و بتعبیر بعض المفسّرین أنّ الامتناع من الإنفاق فی سبیل اللّه یؤدّی إلی موت الرّوح الإنسانیّه فی الفرد بسبب البخل،و کذلک یؤدّی إلی موت المجتمع بسبب الضعف الاقتصادی و خاصّه فی النظام الإسلامی المبتنی علی أساس الإحسان و الخیر (۲) .

۲-سوء الاستفاده من مضمون الآیه

تقدّم أنّ بعض أهل الدنیا من طلاّب العافیه تمسّکوا فی هذه الجمله من هذه الآیه وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَهِ للفرار من الجهاد فی سبیل اللّه حتّی أنّهم و سموا ثوره الإمام الحسین علیه السّلام فی عاشوراء الّتی کانت سبب نجاه الإسلام و بقائه إمام الأعداء کبنی أمیّه أنّها مصداق لهذه الآیه،و غفلوا عن أنه لو کان الأمر کما یقولون لانسدّ باب الجهاد تماما.

۱- ۱) -نهج البلاغه،الحکمه ۱۴۶.

۲- ۲) -تفسیر فی ظلال القرآن،ج ۱،ص ۲۷۶.

و أساسا هناك تباين بين مفهومى التهلكه و الشّهاده،فالتّهلكه تعنى الموت بدون دليل موجّه،فى حين أنّ الشهاده تعنى تضحيه الفرد فى سبيل هدف مقدّس و نيل الحياه الأبديّه الخالده.

و يجب الالتفات إلى هذه الحقيقه،و هى أنّ نفس الإنسان ليست أثمن شىء فى وجوده،فهناك حقائق أثمن للنفس مثل الإيمان باللّه و الاعتقاد بالإسلام و حفظ القرآن و أهدافه المقدّسه،بل حفظ حيثيه و عزّه المجتمع الإسلامى،فهذه أهداف أسمى من التّهلكه،و لم ينه عنها الشرع المقدّس إطلاقا.و قد ورد فى الحديث أنّ مجموعه من المسلمين توجّهوا إلى القسطنطنيّه للجهاد،فهجم أحد المسلمين الشجعان على جيش الرّوم و فى صفوفهم فقال الحاضرين(القى بيده إلى التّهلكه)فقال أبو أيّوب الأنصارى:

٣-ما هو المنظور من الإحسان

المراد من الإحسان عاده هو الإنفاق و بذل الخير إلى الآخرين و لكن تاره يأتى بمعنى أوسع و يشمل بذلك كلّ عمل صالح بل حتّى الدوافع فى العلم الصالح أيضا

كما ورد فى الحديث النبوى الشريف فى تفسير الإحسان (أن تعبد اللّه كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك).

و من البديهى أنّه لو كان إيمان الفرد بحيث كأنّه يرى اللّه سبحانه تعالى و يعتقد بأنّه حاضر و ناظر فى كلّ الأحوال فسوف يهتم بالإتيان بالأعمال الصالحه و يتجنّب كلّ ذنب و معصيه.

ص :٣٨

الآيه [سوره البقره (۲): آیه ۱۹۶]

اشاره

وَ أَتِمُّوا اَلْحَجَّ وَ اَلْعُمْرَهَ لِلّٰهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اِسْتَيْسَرَ مِنَ اَلْهَدْيِ وَ لاٰ تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتّٰى يَبْلُغَ اَلْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كٰانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَهٌ مِنْ صِيٰامٍ أَوْ صَدَقَهٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذٰا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَهِ إِلَى اَلْحَجِّ فَمَا اِسْتَيْسَرَ مِنَ اَلْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيٰامُ ثَلاٰثَهِ أَيّٰامٍ فِي اَلْحَجِّ وَ سَبْعَهٍ إِذٰا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَهٌ كٰامِلَهٌ ذٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حٰاضِرِي اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ شَدِيدُ اَلْعِقٰابِ (۱۹۶)

التّفسیر

اشاره

بعض أحکام الحجّ المهمّه:

لا یعلم بدقّه تاریخ نزول الآیات المتعلّقه بالحجّ فی القرآن الکریم، و لکن یری بعض المفسّرین العظام أنّها نزلت فی حجّه الوداع (۱) ،فی حین یری بعضهم أنّ

ص: ۳۹

۱- ۱) -المیزان،المجلد ۲،ص ۷۵(ذیل الآیه مورد البحث).

جمله فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ناظره إلى حادثه(الحديبيّه)الواقعه فى السنّه السادسه للهجره حيث منع المسلمون من زياره بيت اللّه الحرام (۱) .

ففى هذه الآيه ذكرت أحكام كثيره:

۱-فى مطلع الآيه تأكيدا على أنّ أعمال العمره و الحجّ ينبغى أن تكون للّه و طلب مرضاته فقط وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلّٰهِ من هنا لا ينبغى أن يشوب أعمال الحجّ نيّه اخرى غير الدافع الإلهى و كذلك الإتيان بالعمل العبادى هذا كاملا و تامّا بمقتضى جمله وَ أَتِمُّوا .

۲-ثمّ أنّ الآيه تشير إلى الأشخاص الّذين لا يحالفهم التوفيق لأداء مناسك الحجّ و العمره بعد لبس ثياب الإحرام بسبب المرض الشديد أو خوف العدو و أمثال ذلك،فتقول فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فمثل هذا الشخص عليه أن يذبح ما تيّسر له من الهدى و يخرج بذلك من إحرامه (۲) .

و على كلّ حال فإنّ الأشخاص الّذين منعهم مانع و لم يتمكّنوا من أداء مراسم الحجّ و العمره فيمكنهم بالاستفاده من هذه المسأله أن يحلّوا من إحرامهم.

و نعلم أيضا أنّ الهدى يمكن أن يكون بعيرا أو بقره أو خروفا،و هذا الأخير أقلّ الهدى مؤنه،و لهذا كانت جمله فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ تشير غالبا إلى الغنم.

۳-ثمّ أنّ الآيه الشريفه تشير إلى أمر آخر من مناسك الحجّ فتقول: وَ لاٰ تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتّٰى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ .

فهل أنّ هذا الأمر يتعلّق بالأشخاص المحصورين الممنوعين من أداء مراسم

۱- ۱) -تفسير فى ظلال القرآن،ج ۱،ص ۲۷۷.

۲ - ۲) -ذكر احتمالان فى تفسير الآيه،أحدهما أن«ما»فى«ما استيسر»مبتدأ،و خبرها محذوف بتقدير«عليكم» فتكون الجمله«فعليكم ما استيسر من الهدى»و الثانى أن«ما»مفعول لفعل مقدّر تقديره:«فاهدوا ما استيسر من الهدى».

الحجّ،فهو بمثابه تكميل للأوامر السابقه،أو أنّه يشمل جميع الحجّاج؟اختار بعض المفسّرين الرأى الأوّل و قالوا أنّ المراد من محل الهدى أى محل الأضحيه هو الحرم.

و قال آخرون أنّ المراد هو المكان الّذى حصل فيه المانع و المزاحم و يستدلّ بفعل النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم فى واقعه الحديبيّه الّتى هى مكان خارج الحرم المكّى، حيث أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم بعد منع المشركين له ذبح هديه فى ذلك المكان و أمر أصحابه أن يفعلوا ذلك أيضا.

يقول المفسّر الكبير المرحوم الطبرسى:(ذهب علمائنا إلى أنّ المحصور إذا كان بسبب المرض فيجب عليه ذبح الأضحيه فى الحرم،و إذا كان بسبب منع الأعداء فيجب الذبح فى نفس ذلك المكان الّذى منع به).

و لكنّ ذهب مفسرون آخرون إلى أنّ هذه الجمله ناظره إلى جميع الحجّاج و تقول:لا يحقّ لأحد التقصير(حلق الرأس و الخروج من الإحرام)إلاّ أن يذبح هديه فى محلّه(ذبح الهدى فى الحجّ يكون فى منى و فى العمره يكون فى مكّه) و على كلّ حال،فالمراد من بلوغ الهدى محلّه هو أن يصل الهدى إلى محل الذبح فيذبح،و هذا التعبير كنايه عن الذبح.

و مع الأخذ بنظر الاعتبار عموميّه التعبير الوارد فى الآيه الشريفه فالتفسير الثانى يكون أنسب ظاهرا بحيث يشمل المحصور و غير المحصور.

۴-ثمّ تقول الآيه فَمَنْ كٰانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَهٌ مِنْ صِيٰامٍ أَوْ صَدَقَهٍ أَوْ نُسُكٍ .

(نسک)فى الأصل جمع(نسيكه)بمعنى حيوان مذبوح،و هذه المفرده جاءت بمعنى العباده أيضا (1) و لهذا يقول الراغب فى المفردات بعد أن فسّر النسك

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱،ص ۲۹۰.

بالعباده:هذا الاصطلاح يأتى فى أعمال الحجّ و(نسيكه)بمعنى(ذبيحه).

و يرى بعض المفسّرين أيضا أنّ الأصل فى هذه الكلمه هو سبائك الفضّه، و قيل للعباده(نسک)بسبب أنّها تطهّر الإنسان و تخلّصه من الشوائب (۱) .

و على أىّ حال فإنّ ظاهر الآيه أنّ مثل هذا الشخص مخيّرا بين ثلاث امور (الصوم و الصدقه أو ذبح شاه).و الوارد فى روايات أهل البيت عليهم السّلام أنّ الصوم فى هذا المورد يجب أن يكون ثلاثه أيّام و الصّدقه على ستّه مساكين،و فى روايه اخرى على عشره مساكين،و كلمه(نسک)تعنى شاه (۲) .

۵-ثمّ تضيف الآيه فَإِذٰا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَهِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ و هذه إشاره إلى أنّه يجب الذبح فى حجّ التمتّع و يكون المكلّف فى هذا الحجّ قد أتى بالعمره قبله،و لا فرق فى هذا الهدى بين أن يكون من الإبل أو من البقر أو من الضّأن دون أن يخرج من الإحرام.

و حول الأصل فى كلمه(الهدى)فهناك قولان حسب ما أورده المرحوم الطبرسى:الأوّل أنّه مأخوذ من(الهديه)و بما أنّ الأضحيه هى فى الواقع هديّه إلى بيت اللّه الحرام فقد اطلق عليها هذه الكلمه،و الآخر أنها من مادّه(الهدايه)لأن الحيوان المقرّر للذّبح يؤتى به مع الحاج إلى بيت اللّه الحرام،أو يكون هدايته إلى بيت اللّه.

و لكنّ ظاهر كلام الراغب فى المفردات أنّه مأخوذ من الهديّه فقط فيقول:

(هدى)جمع و مفرده(هديّه).

و قد أورد فى معجم مقاييس اللغه أنّ لهذه الكلمه أصلان:الهدايه و الهديّه،

۱- ۱) -التفسير الكبير،ج ۵،ص ۱۵۲.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱،ص ۲۹۱(و مثل هذا المعنى ورد فى تفسير القرطبى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم حول الصوم و إطعام المسكين ذيل هذه الآيه).

و لكنّ لا يبعد أن تعود كليهما إلى الهدايه،لأنّ الهديّه تعنى الشىء الّذى يهدى إلى الشخص الآخر،أى يساق إليه هديّه(فتأمّل بدّقه).

۶-ثمّ أنّ الآيه تبيّن حكم الأشخاص الغير قادرين على ذبح الهدى فى حجّ التمتع فتقول: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَهِ أَيّامٍ فِی الْحَجِّ وَ سَبْعَهٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَهٌ كامِلَهٌ .

فعلى هذا فلو لم يجد الإنسان أضحيه أو أنّ وضعه المالى لا يطيق ذلك فيجب عليه جبران ذلك بصيام عشره أيّام،يصوم ثلاثه أيّام منها(يوم السابع و الثامن و التاسع من ذى الحجّه)فى أيّام الحجّ-و هذه هى من الأيّام الّتى يجوز فيها الصوم فى السفر-و يأتى بصيام سبعه أيّام بعد ذلك حين العوده إلى الوطن.

واضح أن مجموع ثلاثه أيّام فى الحج و سبعه بعد الرجوع يساوى عشره، لكنّ القرآن عاد فأكّد بأنّها عشره كامله.

بعض المفسّرين قال فى تفسير هذه الجمله أن الواو تأتى للجمع و تأتى أحيانا للتخيير بمعنى(أو)،و من أجل رفع توهّم التخيير أكّدت الآيه على رقم عشره، و يحتمل أيضا أن التعبير بكلمه(كامله)إشاره إلى أنّ صوم الأيّام العشره يحلّ محل الهدى بشكل كامل،و لهذا ينبغى للحجاج أن يطمأنّوا لذلک و أنّ جميع ما يترتّب على الأضحيه من ثواب و بركه سوف يكون من نصيبهم أيضا.

و قال بعضهم:إنّ هذا التعبير إشاره إلى نكته لطيفه فى العدد(عشره)لأنّه من جانب أكمل الأعداد،لأنّ الأعداد تتصاعد من واحد يتصل إلى عشره بشكل تكاملى،ثمّ بعد ذلك تترتّب من عشره و أحد الأعداد الاخرى لتكون أحد عشر و اثنى (۱) عشر...حتّى تصل إلى عشرين أى ضعف العدد عشره ثمّ ثلاثين و هكذا.

۱- ۱) -«عشرون»و«عشرين»و إن كان على شكل الجمع،و لكن يطلق الجمع أحيانا على الاثنين و ما علا.

۷-ثمّ أنّ الآیه الشریفه تتعرّض إلی بیان حکم آخر و تقول ذٰلِکَ لِمَنْ لَمْ یَکُنْ أَهْلُهُ حٰاضِرِی الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ فعلی هذا لا یکون لأهل مکّه أو الساکنین فی أطرافها حجّ التمتّع،لأنّه یختصّ بالمسلمین خارج هذه المنطقه،فالمشهور بین الفقهاء أنّ کلّ شخص یبعد عن مکّه ۴۸ میلا فإنّ وظیفته حجّ التمتّع،و أمّا إذا کان دون هذه المسافه فوظیفته حجّ القران أو الإفراد و الّذی تکون عمرته بعد الإتیان بمراسم الحجّ(و تفصیل هذا الموضوع و بیان مراتبه مذکور فی الکتب الفقهیّه).

و بعد بیان هذه الأحکام السبعه تأمر الآیه فی ختامها بالتقوی و تقول وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِیدُ الْعِقٰابِ و لعلّ هذا التأکید یعود إلی أنّ الحجّ عباده إسلامیّه هامّه و لا ینبغی للمسلمین التّساهل فی أداء مناسکه و أنّ ذلک سیؤدّی إلی إضرار کثیره،و أحیانا یسبّب فساد الحجّ و زوال برکاته المهمّه.

بحوث

اشاره

۱-أهمیّه الحجّ بین الواجبات الإسلامیّه

یعتبر الحجّ من أهم العبادات التی شرّعت فی الإسلام و لها آثار و برکات کثیره جدّا،فهو مصدر عظمه الإسلام و قوّه الدّین و اتّحاد المسلمین،و الحجّ هو الشعیره العبادیّه التی ترعب الأعداء و تضخ فی کلّ عام دما جدیدا فی شرایین المسلمین.

و الحجّ هو تلک العباده الّتی أسماها أمیر المؤمنین علیه السّلام ب(علم الإسلام و شعاره)و قال عنها فی وصیته فی الساعات الأخیره من حیاته

(اللّه اللّه فی بیت ربّکم لا تخلوه ما بقیتم فإنّه إن ترک لم تناظروا)

(۱)

أی أنّ البلاء الإلهی سیشملکم

۱- ۱) -نهج البلاغه،الکتاب ۴۷،وصیه الإمام لابنیه الحسن و الحسین.

دون إمهال. و قد فهم أعداء الإسلام أهميّه الحجّ أيضا إذ صرّح أحدهم:

(نحن لا نستطيع أن نحقّق نصرا على المسلمين ما دام الحجّ قائما بينهم) (۱) .

و قال أحد العلماء(الويل للمسلمين إن لم يفهموا معنى الحجّ،و الويل لأعدائهم إذا عرفوا معناه).

و

فى الحديث المعروف عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى بيان توصفه الأحكام كما ورد فى نهج البلاغه الحكمه ۲۵۲ أنّه أشار عليه السّلام إلى أهميّه الحجّ الكبيره و قال (فرض اللّه الإيمان تطهيرا من الشرك...و الحجّ تقويه للدّين)

(۲)

.

و نختتم هذه الفقره بحديث عن الإمام الصادق عليه السّلام و سيأتى شرحه بالتفصيل فى ذيل الآيه ۲۶ إلى ۲۸ من سوره الحجّ و بيان أهميّه و فلسفه و أسرار الحجّ هناك)

فقال عليه السّلام: (لا يزال الدّين قائما ما قامت الكعبه)

(۳)

.

۲-أقسام الحجّ و بيان أعمال حجّ التمتّع

لقد قسّم الفقهاء العظام و بإلهام من الآيات و الأحاديث الشريفه عن النبى و آله عليهم السّلام الحجّ إلى ثلاثه أقسام:حجّ التمتّع،حجّ القران،و حجّ الإفراد.

أمّا حجّ التمتّع فيختص بمن كان على مسافه ۴۸ ميلا فصاعدا من مكّه(۱۶ فرسخ و ما يعادل ۹۶ كيلومتر تقريبا،و أمّا حجّ القران و الإفراد فيتعلّقان بمن كان أدنى من هذه الفاصله.ففى حجّ التمتّع يأتى الحاج بالعمره أوّلا ثمّ يحلّ من إحرامه و بعد ذلك يأتى بمراسم الحجّ فى أيّامه المخصوصه،و لكن فى حجّ القران

۱- ۱) -شبهات حول الإسلام.

۲- ۲) -فى بعض النسخ(تقربه للدين)-متن ابن أبى الحديد-و مفهومها أنه سبب وحده الامّه الإسلاميه و تقريب الصفوف.

۳- ۳) -وسائل الشیعه،ج ۸،ص ۱۴،باب عدم جواز تعطیل الکعبه عن الحج،ح ۵.

و الإفراد يبدأ أوّلا بأداء مراسم الحجّ ثمّ بعد الانتهاء منها يشرع بمناسك العمره مع تفاوت أنّ الحاج فى حجّ القران يأتى و معه هديه،أمّا فى حجّ الإفراد فلا هدى فيه و لكن بعقيده أهل السّنه أنّ حجّ القران هو أن يقصد بالحجّ و العمره بإحرام واحد.

أمّا أعمال حجّ التمتّع فكما يلى:

فى البدايه يحرم الحاج للحجّ من الأماكن الخاصّه به و تسمّى الميقات،أى أنّ الحاج يتعهد بالإحرام أن يترك و يتجنّب سلسله من المحرّمات على المحرم، و يرتدى ثوبى الإحرام غير المخيطه،و يبدأ بالتلبيه و هو متّجه إلى بيت اللّه الحرام، ثمّ يشرع بالطّواف حول الكعبه سبعه مرّات،و بعد ذلک يصلّى ركعتين صلاه الطواف فى المحل المعروف بمقام إبراهيم،ثمّ يسعى بين الصفا و المروه سبعه مرّات،ثمّ بعد الانتهاء من السعى يقصّر،أى يقص مقدارا من شعره أو أظافره، و بذلک يخرج من الإحرام و يحلّ منه.

ثمّ يحرم مرّه اخرى من مكّه لأداء مناسک الحجّ و يذهب مع الحجاج فى اليوم السابع من ذى الحجّه إلى«عرفات»و هى صحراء على بعد ۴ فراسخ من مكّه،و يبقى فى ذلک اليوم من الظهر إلى غروب الشمس فى ذلک المكان حيث يشتغل بالعباده و المناجاه و الدّعاء،ثمّ بعد غروب الشمس يتّجه إلى(مشعر الحرام)و يقع على بعد فرسخين و نصف من مكّه تقريبا و يبقى هناک إلى الصباح، و حين طلوع الشمس يتوجّه إلى«منى»الواقعه على مقربه من ذلک المكان،و فى ذلک اليوم الّذى هو يوم«عيد الأضحى»يرمى الحاج(جمره العقبه)بسبعه أحجار صغيره(و جمره العقبه على شكل اسطوانه حجريّه خاصّه)ثمّ يذبح الهدى و يحلق رأسه،و بذلک يخرج من إحرامه.

ثمّ أنّه يعود إلى مكّه فى نفس ذلک اليوم أو فى اليوم القادم،و يطوف حول الكعبه و يؤدّى صلاه الطواف و السعى بين الصفا و المروه ثمّ طواف النساء و صلاه

الطواف أيضا،و فى اليوم الحادى عشر و الثانى عشر يرمى فى منى الجمرات الثلاثه واحده بعد الاخرى بسبعه أحجار صغيره،و يبقى فى ليله الحادى عشر و الثانى عشر فى أرض منى،و بهذا الترتيب تكون مناسك الحجّ إحياء لذكرى تاريخيّه و عباره عن كنايات و إشارات لمسائل تتعلّق بتهذيب النفس و لها أغراض اجتماعيّه كثيره،و سوف نستعرض كلّ واحده منها فى الآيات المناسبه له.

۳-لماذا نسخ البعض حجّ التمتّع؟ إنّ ظاهر الآيه محل البحث هو أنّ وظيفه الأشخاص البعيدين عن مكّه هى حجّ التمتّع(الحجّ الّذى يبتدأ بالعمره و بعد الانتهاء منها يخرج من الإحرام ثمّ يجدّد الإحرام للحجّ و يأتى بمناسك الحجّ)و ليس لدينا دليل إطلاقا على نسخ هذه الآيه،بل إنّ الروايات الكثيره فى كتب الشيعه و أهل السنّه وردت فى هذا الصدد، و من جمله المحدّثين المعروفين من أهل السنّه(السنائى فى كتاب السنن)و (أحمد فى كتاب المسند)و(ابن ماجه فى كتابه السنن)و(البيهقى فى السنن الكبرى)و(الترمذى فى صحيحه)و(مسلم أيضا فى كتابه المعروف بصحيح مسلم)فهناك وردت روايات كثيره فى حجّ التمتّع و أن هذا الحكم لم ينسخ و هو باق إلى يوم القيامه.و الكثير من فقهاء أهل السنّه أيضا ذهبوا إلى أنّ أفضل أنواع الحجّ هو حجّ التمتع بالرّغم من أنّهم أجازوا إلى جانبه حجّ القران و الإفراد(بذلك المعنى الّذى تقدّم آنفا من الفقهاء).

و لكنّ هناك حديث معروف نقل عن عمر بن الخطاب حيث قال(متعتان كانتا على عهد رسول اللّه و أنا أنهى عنهما و يعاقب عليهما متعه النساء و متعه الحجّ).

يقول«الفخر الرازى»فى ذيل الآيه مورد البحث بعد نقل هذا الحديث عن عمر:إنّ المراد من متعه الحجّ هو أن يجمع بين الإحرامين(إحرام الحجّ و إحرام

العمره)ثمّ يفسخ نيّه الحجّ و يأتى بالعمره المفرده و بعد ذلك يأتى بالحجّ (۱) .

فمن البديهى أنّه لا يحق لأحد نسخ الحكم الشرعى إلاّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أساسا أنّ هذا التعبير و هو أنّ رسول اللّه قال كذا و أنا أقول كذا هو تعبير غير مقبول من أى شخص،فهل يصحّ إهمال أمر النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم و طرحه و الالتزام بأوامر الآخرين؟ و على كلّ حال،فإنّ الكثير من علماء أهل السنّه فى هذا الزمان تركوا الخبر المذكور،و ذهبوا إلى أنّ حجّ التمتع أفضل أنواع الحجّ و عملوا على وفقه.

۱- ۱) -التفسير الكبير،ج ۵،ص ۱۵۳.

الآيات [سوره البقره (۲): الآيات ۱۹۷ الی ۱۹۹]

اشاره

اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ اَلْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي اَلْحَجِّ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اَللّٰهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ
خَيْرَ اَلزّادِ اَلتَّقْوى وَ اِتَّقُونِ يا أُولِي اَلْأَلْبابِ (۱۹۷) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اَللّٰهَ
عِنْدَ اَلْمَشْعَرِ اَلْحَرامِ وَ اُذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ اَلضّالِّينَ (۱۹۸) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ اَلنّاسُ وَ اِسْتَغْفِرُوا
اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۹۹)

التّفسير

اشاره

خير الزّاد و المتاع:

تواصل هذه الآيات الشريفه بيان أحكام الحجّ و زياره بيت اللّه الحرام و تقرّر طائفه من التشريعات الجديده:

ص: ۴۹

۱-تقول الآیه اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومٰاتٌ (۱) .

و المراد بهذه الأشـهر:هی شوال،ذی القعده،ذی الحجّه(شـهر ذی الحجّه بکامله أو العشـره الأوائل منه)و هذه الأشهر تسمّی(أشهر الحجّ)لأنّ قسـما من أعمال الحجّ و العمره لا یمکن الإتیان بها فی غیر هذه الأشـهر،و قسـما آخر یجب الإتیان بها فی الیوم التاسع إلی الثانی عشـر من شـهر ذی الحجّه،و السبب فی أنّ القرآن الکریم لم یصرّح بأسماء هذه الأشهر لأنّها معلومه للجمیع و قد أکّد علیها القرآن الکریم بهذه الآیه.

ثمّ إنّ هذه الآیه تسـتبطن نفیا لأحد التقالید الخرافیّه فی الجاهلیّه حیث کانوا یستبدلون هذه الأشهر بغیرها فی حاله حدوث حرب بینهم فیقدّموا و یؤخّروا منها کیف ما شاؤوا،فالقرآن یقول:«إنّ هذه الأشهر معلومه و معیّنه فلا یصحّ تقدیمها و تأخیرها» (۲) .

۲-ثمّ تأمر الآیه الکریمه فیمن أحرم إلی الحجّ و شـرع بأداء مناسک الحجّ و تقول: فَمَنْ فَرَضَ فِیهِنَّ الْحَجَّ فَلاٰ رَفَثَ وَ لاٰ فُسُوقَ وَ لاٰ جِدٰالَ فِی الْحَجِّ .

(رفث)بالأصل بمعنی الکلام و الحـدیث المتضـمنّ ذکر بعض الأمور القبیحه أعمّ من الأمور الجنسـیّه أو مقـدّماتها،ثمّ بات کنایه عن الجمـاع،و لکنّ البعض ذهبوا إلی أنّ مفرده(رفث)لا تطلق علی هـذا النوع من الکلام إلاّ فی حضور النساء،فلو کان الحـدیث فی غیاب النساء فلا یسمّی بالرّفث (۳) .

و ذهب البعض إلی أنّ الأصل فی هذه الکلمه هو المیل العملی للنّساء من

۱- ۱) -بما أن الحج لیس هو الأشـهر نفسـها،لذا ذهب المفسـرون إلی وجود تقدیر و هو:«أشـهر الحج أشهر معلومات»،و ذهب بعض إلی عدم وجود تقدیر،و احتملوا أن الجمله کنایه عن شده ارتباط الحج بهذه الأشهر الخاصّه و کأنه هو هی.

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۱،ص ۲۹۳-التفسیر الکبیر،ج ۵،ص ۱۶۰.

۳- ۳) -التفسیر الکبیر،ج ۵،ص ۱۶۴.

المزاح و اللّمس و التماس البدنی الّذی ینتهی بالمقاربه الجنسیّه (۱) .

(فسوق)بمعنی الـذّنب و الخروج من طاعه اللّه، و(جدال)تأتی بمعنی المکالمه المقرونه بالنّزاع،و هی فی الأصل بمعنی شدّ الحبل و لفّه،و من هذا استعملت فی الجدال بین اثنین،لأنّ کلّ منهما یشدّ الکلام و یحاول إثبات صحّه رأیه و نظره.

و علی کلّ حال،ورد هـذا الأمر للحجّاج فی حرمه المقاربه مع الأزواج، و کـذلک وجوب اجتناب الکـذب و الفحش(مع أنّ هذا العمل حرام أیضا فی غیر مواضع الإحرام و لکنّه ورد النهی عنه فی أعمال الحجّ بالخصوص ضمن المحرّمات الخمسه و العشرین علی المحرم).

و کـذلک من المحرّمـات علی المحرم فی الحـجّ هو الجـدال و القسم بـاللّه تعـالی سواء کـان علی حقّ أم باطـل،و هو قول(لاـ و اللّه،بلی و اللّه).

و هکـذا ینبغی أن تکون أجواء الحـجّ طاهره من التمتّعات الجنسـیّه و کـذلک من الـذنوب و الجـدال العقیم و أمثال ذلک،لأنّها أجواء عبـادیّه تتطلّب الإخلاص و ترک اللّذائـذ المادیه و تقتبس روح الإنسان من ذلک المحیط الطّاهر قوّه جدیـده تسوقها إلی عالم آخر بعیدا عن عالم المادّه، و فی نفس الوقت تقوّی الالفه و الاتحاد و الاتّفاق و الاخوّه بین المسلمین باجتناب کلّ ما ینافی هذه الأمور.

و طبعا لکلّ واحد من هذه الأحکام الشرعیّه شروح و شرائط مذکوره فی کتب مناسک الحجّ الفقهیّه.

۳-بعد ذلک تعقّب الآیه و تبیّن المسائل المعنویّه للحجّ و ما یتعلّق بالإخلاص و تقول وَ مٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ یَعْلَمْهُ اللّٰهُ .

۱- ۱) -التحقیق فی کلمات القرآن الکریم.

و هـذا أوّل لطف إلهی ینـاله الصالحون،فالمرحله الأولی من لـذّه الإنسان المؤمن هی إحساسه بأنّ ما یعمله فی سبیل اللّه إنّما هو بعین اللّه،و یا لها لذّه.

و تضیف الآیه: وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَیْرَ الزّٰادِ التَّقْویٰ .

هذه الآیه أمرت بحمل الزاد.قیل:إن جماعه من أهل الیمن کانوا یحجّون دون أن یصـحبوا معهم زادا للطریق،قائلین:نحن ضـیوف اللّه و طعامنا علیه.و هذه الفقره من الآیه أمرت بحمل الزاد،لأن اللّه سبحانه هیّأ للجمیع طعامهم بالطریق الطبیعیه.

و الآیه تشیر فی الوقت نفسه إلی مسأله معنویه هی زاد التقوی،فهناک حاجه إلی زاد من نوع آخر هو«التقوی».

و العباره تنطوی علی توعیه المسـلمین بالنسبه لعطاء الحجّ المعنوی و تفتّح أبصارهم علی ما فی ساحه الحجّ من معان عمیقه تشدّ الإنسان بتاریخ الرسل و الأنبیاء و بمشاهد تضحیه إبراهیم بطل التوحید،و بمظاهر عظمه اللّه سبحانه ممّا لا یوجد فی مکان آخر،و لا بدّ للحاج أن یستلهم من هذه الساحه زادا یعینه علی مواصله مسیرته نحو اللّه فیما بقی من عمره.

وَ اتَّقُونِ یٰا أُولِی الْأَلْبٰابِ

(1)

.

الحـدیث موجّه إلی أولی الألبـاب و العقول،و الترکیز علیهم بانتهـاج التقوی لأنهم هم القادرون علی التزوّد کما ینبغی من العطاء التربوی لمناسک الحجّ، و الآخرون لا ینالون منها سوی المظاهر و القشور.

الآیه التالیه ترفع بعض الاشتباهات فی مسأله الحجّ و تقول لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّکُمْ .

1- 1) -«الباب»جمع«لب»،و یقال للعقل الخالص«لب»أیضا.

لقد کان التعامل الاقتصادی بکافّه ألوانه محضورا فی موسم الحجّ عند الجاهلیّین،و کانوا یعتقدون ببطلان الحجّ إذا اقترن بالنّشاط الاقتصادی،فالآیه مورد البحث تعلن بطلان هذا الحکم الجاهلی و تؤکّد أنّه لا مانع من التعامل الاقتصادی و التّجاری فی موسم الحجّ،و تسمح بابتغاء فضل اللّه فی هذا الموسم عن طریق العمل و الکد.

و هذا النمط من التفکیر کان سائدا فی العصر الجاهلی و نجده کذلک فی زماننا هذا و أنّ هذه العباده العظیمه-یعنی الحجّ- یجب أن تکون خالصه من أیّه شوائب مادیّه،و لکن بما أنّ سائر العاملین فی هذا السبیل مضافا إلی الناس الّذین یقصدون بیت اللّه من بعید الدّیار یمکنهم أن یحلّوا الکثیر من مشاکلهم الاقتصادیّه فی سفر الحجّ هذا،و لهذا السبب أبطل القرآن الکریم هذا اللّون من التفکیر،و یحقّ لهؤلاء الأشخاص أن یأتوا بعباده الحجّ و یؤدّوا مناسکه ضمن أداء خدماتهم الاخری و لا یکونوا فی مضیقه من هذه الجهه،بل أنّ النصوص الإسلامیّه التی تتحدّث عن حکمه الحجّ تشیر أیضا إلی الجوانب الاقتصادیه إضافه إلی الجوانب الأخلاقیه و السیاسیه و الثقافیه،و توضّح أنّ سفر المسلمین من کلّ فجّ عمیق إلی بیت اللّه الحرام اعقد مؤتمر الحجّ العظیم یستطیع أن یکون منطلقا لتحرّک اقتصادی عامّ فی المجتمعات الإسلامیه.و ذلک یتحقّق باجتماع الأدمغه الاقتصادیه الاسلامیه المفکّره قبل أداء المناسک أو بعده لوضع أسس اقتصاد سلیم فی المجتمعات الإسلامیه یقوم علی أساس التعاون و التبادل الاقتصادی بین أبناء الأمّه الإسلامیه،و الاستغناء عن الأجانب و الأعداء،و بلوغ المستوی الممکن اللائق من الاکتفاء الذاتی.

من هنا،فهذه المعاملات و المبادلات التجاریه سبل لتقویه بنیه المجتمع الإسلامی أمام أعداء الإسلام،ذلک لأنّ أیّ شعب من الشعوب لا یمکن أن ینال

استقلاله الكامل دون أن يقوم على أساس اقتصادى قوى،و لكن النشاط الاقتصادى فى موسم الحجّ ينبغى طبعا أن ينضوى تحت الأبعاد العباديه و الأخلاقيه للحجّ،لا أن يقدّم و يهيمن عليها.و واضح أنّ الحجّاج لهم الوقت الكافى قبل أعمال الحجّ و بعده لمثل هذا النشاط.

يروى هشام بن الحكم أنّه سأل الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام عن العلّه الّتى لأجلها كلّف اللّه العباد الحجّ و الطواف بالبيت،فقال«...فجعل فيه الاجتماع من الشرق و الغرب ليتعارفوا و لينزع كلّ قوم من التجارات من بلد إلى بلد و لينتفع بذلك المكارى و الجمّال...و لو كان كلّ قوم إنّما يتكلّمون على بلادهم و ما فيها هلكوا و خربت البلاد و سقطت الجلب و الأرباح...»

(۱)

ثمّ تعطف الآيه الشريفه على ما تقدّم من مناسك الحجّ و تقول فَإِذٰا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفٰاتٍ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرٰامِ وَ اذْكُرُوهُ كَمٰا هَدٰاكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضّٰالِّينَ .

ثمّ تقول الآيه فى حديثها هذا: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفٰاضَ النّٰاسُ فهذا المقطع يتضمّن أمرا بالإفاضه أى بالاندفاع و الحركه من المشعر الحرام إلى أرض منى.

ففى نهايه الآيه تعطى أمرا بالاستغفار و التوبه و تقول: وَ اسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

ففى هذا المقطع من الآيات إشاره إلى ثلاث مواقف من مواقف الحجّ (عرفات)و هى صحراء و تقع على بعد ۲۰ كيلومترا تقريبا من مكّه و يجب على الحجّاج أن يقفوا فى هذا المحل من ظهر يوم التاسع من ذى الحجّه إلى غروب

۱- ۱) -وسائل الشيعه،ج ۸،كتاب الحجّ باب ۱ من أبواب وجوب الحجّ،ح ۱۸.

الشمس فیشتغلوا بالعباده و الذکر،ثمّ الوقوف ب(المشعر الحرام أو المزدلفه)حیث یبیتون هناک لیله عید الأضحی و یبقون هناک إلی قبل طلوع الشمس مشغولین بالدعاء و المناجاه مع اللّه تعالی،و الثالث أرض(منی)و هی محل ذبح الأضاحی و رمی الجمرات و حلّ الإحرام و أداء مناسک العید.

بحوث

اشاره

۱-أول موقف للحجیج

تقدّم أنّ حجّاج بیت اللّه الحرام یتّجهون بعد أداء مناسک العمره نحو أداء مناسک الحجّ،و أوّل موقف یقفون فیه هو فی«عرفات»،و هی صحراء واسعه تقع علی بعد أربعه فراسخ من مکّه یقف فیها الحاج من ظهر یوم التاسع من ذی الحجّه حتّی غروب ذلک الیوم.و فی سبب تسمیه هذه الأرض بهذا الاسم قیل:إنّ إبراهیم علیه السّلام قال حین أراه جبرائیل مناسک الحجّ:«عرفت،عرفت».

و قیل إن هذه القصه وقعت لآدم و حواء،و قیل أیضا أن آدم و حواء تعارفا فی هذا المکان،و قیل أن حجاج بیت اللّه یتعارفون فیما بینهم فی هذا المکان، و تفسیرات أخری (۱) (۲) .

و لا یبعد أن تکون التسمیه إشاره إلی حقیقه أخری أیضا،و هی أن هذه الأرض المشرّفه التی تبدأ منها أولی مراحل الحجّ محیط مناسب جدّا لمعرفه اللّه

۱- ۱) -ذکر الفخر الرازی هنا ثمانیه أقوال فی معنی«عرفات»(ج ۵،ص ۱۷۳-۱۷۴).

۲- ۲) -هناک بحث بین المفسرین فی أن«عرفات»مفرد أو جمع ل«عرفه».و قیل أن«عرفه»اسم زمان للأعمال فی یوم التاسع من ذی الحجه و«عرفات»اسم ذلک المکان(روح المعانی،ج ۲،ص ۸۷).

تعالی.و الحاجّ فی هذا الموقف یشعر حقّا بانشداد روحی و معنوی لا یمکن التعبیر عنه بالکلمات.

الحجیج فی هذه الأرض القاحله متجمّعو بشکل واحد و بزیّ واحد،قد هربوا من بریق الحیاه و زخرفها و صخبها و ضجیجها و لا ذوا بهذه الأرض المشرّفه المفعمه بذکریات الرسالات السماویه،حیث یحمل نسیمها نداء جبرائیل و صوت الخلیل و دعوه النبیّ الخاتم،و صحبه المجاهدین.و تنطق أرضها بصور الجهاد و التضحیه و الانقطاع إلی اللّه علی مرّ التاریخ.کأنّ هذه الأرض نافذه تشرف علی عالم ما وراء الطبیعه،یرتوی فیها الإنسان من منهل العرفان،و ینساق مع تسبیح الخلیقه العام،بل یعود أیضا إلی ذاته التی انفصل عنها زمنا طویلا فیعرف نفسه، و یعرف أنّه لیس بذلک الکائن اللاهث لیل نهار وراء جمع الحطام و المتاع دون أن یرویه شیء،بل إنّه جوهر آخر کان یجهله قبل الوقوف فی عرفات...نعم إنّها «عرفات»و ما أجمل هذا الاسم!و ما أعمق مدلوله!

۲-المشعر الحرام-الموقف الثانی للحجیج

و بشأن تسمیه«المشعر الحرام»بهذا الاسم قیل:إنّه مرکز لشعائر الحجّ، و معلم من معالم هذه العباده العظیمه.

و من المهمّ أن نفهم أنّ«المشعر»من ماده«الشعور»،ففی تلک اللیله التاریخیه المثیره«لیله العاشر من ذی الحجّه»حیث حجّاج بیت اللّه الحرام قد أنهوا المرحله الاولی من هذه الدوره التربویه فی عرفات و اندفعوا نحو المشعر الحرام لیقضوا لیله یفترشون فیها الأرض و یلتحفون السماء،ضمن إطار أرض محدوده الأبعاد أشبه ما تکون-و هی تموج بآلاف الحجّاج-بأرض المحشر...

فی مثل هذه الظروف الزمانیه و المکانیه...و فی إطار الالتزام بالإحرام و واجباته

و محرّمـاته،تجيش فى النفس الإنسـانيه«مشـاعر»خـاصّه تربـط الإنسان بالملإ الأعلى و تحلق به فى أبعاد جديـده ساميه...و من هنا كانت تلك الأرض مشعرا.

٣-درس الوحده و الاتحاد

جـاء فى بعض الروايـات الشـريفه أن قبائـل قريش كـانت ترى لنفسـها مكـانه دينيـه خـاصّه بيـن العرب،و كـان أفرادهـا يسـمّون أنفسهم«الحمس» (١) و يرون أنّهم أبناء إبراهيم عليه السّلام و سدنه الكعبه،و لذلك كانوا يترفّعون على بقيه القبائل العربيه.

و من هنـا فإنهم تركوا الوقوف فى عرفات لأنّها خارج الحرم المكّى،و ما كانوا يودّون أن يحترموا أرضا تقع خارج حرم مكّه،ظنّا منهم أنّ ذلك يقلّل من شأنهم بين قبائل العرب،مع علمهم بأنّ الوقوف فى عرفات من مناسك الحجّ الإبراهيمى (٢) .

الآـيه الكريمه تبطـل كـلّ هـذه الأوهـام و تـأمر بوقوف الحجّاج جميعا فى عرفات،ثمّ التحرك منها نحو المشـعر الحرام،و من ثمّ الاتجاه إلى منى دون أن يكون لأحد امتياز على آخر ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفٰاضَ النّٰاسُ .

الإفـاضه التى تـأمر بهـا الآـيه هى الإفـاضه من المشـعر الحرام إلى منى،لأنّهـا جـاءت بعـد ذكر الإفاضه من عرفات إلى المشـعر،و مسـبوقه ب«ثمّ»التى تفيد الترتّب الزمانى، و يكون مدلول الآيتين معا الأمر بالوقوف الجماعى بعرفات،ثمّ الإفاضه منها إلى المشعر الحرام،و من ثمّ إلى منى.

وَ اسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ

.

و الأمر بالاستغفار فى اختتام الآيه حثّ على ترك تلك الأوهام و الأفكار

١- ١) -الحمس:هم الأفراد المتمسّكون بالدين.

٢- ٢) -سيره ابن هشام،ج ١،ص ٢١١ و ٢١٢.

الجاهليه،و الاتجاه نحو تعلّم دروس الحجّ فی المساواه،و إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

۴-ارتباط الآيات

قـد يتسـاءل أحـد عن الرّابطه بين قوله تعـالی اِبْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ و مسأله الوقوف بعرفات و الإفاضه منها إلی المشـعر الحرام و ثمّ إلی منی الّتی وردت الآيه الشريفه منضمّه بعضها إلی بعض.

يمكن أن تكون الرّابطه هی الإشاره إلی هذه الحقيقه و هی أنّ السعی المادی و الاقتصادی إذا كان للّه و من أجل الحياه الشريفه فيكون هـذا نوع من العبـاده حـال مناسك الحـجّ،أو أنّ حركه و انتقال الحجّاج من مكّه إلی عرفات و منها إلی المواقف الاخری يسـتلزم عاده نفقات و خـدمات كبيره،فلو كان كلّ نوع من العلم و الكسب فی هـذه الأيّام محرّم علی الحجّاج فمن الواضح أنّهم سيقعون فی حرج و مشقّه، فلهذا ذكرت الآيه الشريفه هذه العبارات منضمّه و متتاليه.

أو يقال إن المفهوم منها هو أنّ الآيه تحذّر الحجّاج أن لا ينسيكم العمل و الكسب و سائر الفعاليّات الاقتصاديه ذكر اللّه و التوجّه إليه و إدراك عظمته فی هذه المواقف الشريفه.

ص :۵۸

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٠ الی ٢٠٢]

اشاره

فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اَللّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ اَلنّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي اَلدُّنْيا وَ ما لَهُ فِي اَلْآخِرَهِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي اَلدُّنْيا حَسَنَهً وَ فِي اَلْآخِرَهِ حَسَنَهً وَ قِنا عَذابَ اَلنّارِ (٢٠١) أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمّا كَسَبُوا وَ اَللّهُ سَرِيعُ اَلْحِسابِ (٢٠٢)

سبب النّزول

فی حدیث الإمام الباقر علیه السّلام: إنّ الجاهلیّین کانوا یعقدون الاجتماعات بعد موسم الحجّ یذکرون فیها مفاخرهم الموهومه الموروثه من آبائهم و یمجّدون أسلافهم.

و القرآن الکریم یؤکّد فی هذه الآیات أعلاه أنّ علی المسلمین أن یذکروا اللّه تعالی و نعمه السّابغه بدل الخوض فی تلک الأباطیل و الأوهام و الافتخارات الوهمیّه (١) .

ص: ٥٩

١- ١) -مجمع البیان،ج ١،ص ٢٩٧.

و مثله مـا أورده سائر المفسّـِرين عن ابن عبّاس و غيره أنّ أهل الجاهليه كانوا يعقـدون مجالسا بعـد الحـجّ للتّفاخر بآبائهم و ذكر مفاخرهم أو أنّهم يجتمعون فى الأسواق كسوق(عكاظ،ذى المجاز،مجنّه)لم تكن هذه الأسواق مراكزا تجاريّه فحسب،بل أماكن لتلك المجالس الباطله التى يجتمع فيها النّاس و يذكرون مفاخر أسلافهم (۱) .

التّفسير

اشاره

الحجّ رمز وحده المسلمين:

هـذه الآيـات تواصـل الأبحـاث المتعلّقه بالحـجّ فى الآيـات السـابقه،فالبرغم من أنّ أعراب الجاهليه ورثوا مناسک الحـجّ بوسائط عديـده من إبراهيم الخليـل عليه السّـلام و لكنّهم خلطوا هـذه العبـاده العظيمه و البنـاءه و الّتى تعتبر ولاـده ثـانيه لحجّاج بيت اللّه الحرام بالخرافات الكثيره بحيث إنها خرجت من شكلها الأصلى و نسخت و تحوّلت إلى وسيله للتفرقه و النّفاق.

الآيه الأولى من الآيات محل البحث تقول فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً .

إنّ العزّه و العظمه يكملاـن بالارتبـاط فى اللّه تعـالى لا بالارتباط الوهمى بالأسـلاف،و ليس المراد من هـذه العباره أنّكم اذكروا أسـلافكم و اذكروا اللّه كـذلك،بـل هو إشـاره إلى هـذه الحقيقه بـأنّكم تـذكرون أسـلافكم من أجل بعض الخصال و المواهب الحميده،فلما ذا لا تذكرون اللّه تعالى ربّ السـموات و الأرض و الرازق و الواهب لجميع هذه النعم فى العالم و هو منبع و مصدر جميع الكمالات

ص: ۶۰

۱- ۱) -روح المعـانى،ج ۲،ص ۸۹-و القرطبى،ج ۲،ص ۸۰۳-التفسير الكبير،ج ۵،ص ۱۸۳-تفسير فى ظلال القرآن،ج ۱،ص ۲۸۹-تفسير البرهان،ج ۱،ص ۲۰۳.

و صفات الجلال و الجمال.

أمّا المراد من(ذكر اللّه)فی هذه الآیه فهناک أقوال کثیره بین المفسّرین،و لکنّ الظاهر أنّها تشمل جمیع الأذکار الإلهیّه بعد أداء مناسک الحجّ،و فی الحقیقه أنّه یجب شکر اللّه تعالی علی جمیع نعمه و خاصّه نعمه الإیمان و الهدایه إلی هذه العباده العظیمه،فتکتمل الآثار التربویّه للحجّ بذکر اللّه.

بعد ذلک یوضّح القرآن طبیعه مجموعتین من الناس و طریقه تفکیرهم.

مجموعه لا تفکّر إلاّ بمصالحها المادیّه و لا تتجه فی الدعاء إلی اللّه إلاّ من هذه المنطلقات المادیّه فتقول فَمِنَ النّٰاسِ مَنْ یَقُولُ رَبَّنٰا آتِنٰا فِی الدُّنْیٰا وَ مٰا لَهُ فِی الْآخِرَهِ مِنْ خَلاٰقٍ (1) .

و المجموعه الثانیه تتحدّث عنهم الآیه بقولها وَ مِنْهُمْ مَنْ یَقُولُ رَبَّنٰا آتِنٰا فِی الدُّنْیٰا حَسَنَهً وَ فِی الْآخِرَهِ حَسَنَهً وَ قِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ .

و هذه الفقرات من الآیات محل البحث تشیر إلی هاتین الطائفتین و أنّ الناس فی هذه العباده العظیمه علی نوعین،فبعض لا یفکر إلاّ بالمنافع المادیّه الدنیویّه و لا یرید من اللّه سواها،فمن البدیهی أنّه یبقی له شیء فی الآخره.

و لکنّ الطائفه الثانیه اتسعت آفاقهم الفکریّه فاتجهوا إلی طلب السّعاده فی الدنیا باعتبارها مقدّمه لتکاملهم المعنوی و طلب السّعاده فی الآخره،فهذه الآیه الکریمه توضّح فی الحقیقه منطق الإسلام فی المسائل المادیّه و المعنویّه و تدین الغارقین فی المادیّات کما تدین المنعزلین عن الحیاه.

أمّا ما المراد من(الحسنه)؟فهناک تفاسیر مختلفه لها،

فقد ورد فی الروایه عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر الحسنه: (إنّها السّعه فی الرّزق و المعاش و حس الخلق

1- 1) -«خلاق»کما یقول الراغب تعنی الفضائل الأخلاقیه التی یکتسبها،و هنا علی قول الطبرسی أنها تعنی النصیب(الذی هو نتیجه الفضائل الأخلاقیه).

فی الدنیا و رضوان اللّه و الجنّه فی الآخره)

(۱)

.

و لکنّ بعض المفسّرین ذهبوا إلی أنّها تتضمّن معنی العلم و العباده فی الدنیا و الجنّه فی الآخره،أو المال فی الدنیا و الجنّه فی الآخره،أو الزوجه الصالحه فی الدنیا و الجنّه فی الآخره،و

قد ورد عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم هذه المعانی (من أوتی قلبا شاکرا و لسانا ذاکرا و زوجه مؤمنه تعینه علی أمر دنیاه و أخراه فقد أوتی فی الدنیا حسنه و فی الآخره حسنه و وقی عذاب النار) (۲) .

و واضح أنّ تفسیر الحسنه هذا له مفهوم واسع بحیث یشمل جمیع المواهب المادیّه و المعنویّه،و ما ورد فی الروایه أعلاه أو فی کلمات المفسّرین فهو بیان لأبرز المصادیق لا حصر الحسنه بهذه المصادیق،فما تصوّره بعض المفسّرین من أنّ الحسنه الوارده فی الآیه بصوره المفرد النکره لا تشمل علی کلّ خیر،و لهذا وقع الاختلاف فی مصداقها بین المفسّرین (۳) ،إنّما هو اشتباه محض،لأنّ المفرد النکره تاره یأتی بمعنی الجنس و مورد الآیه ظاهرا من هذا القبیل،فالمؤمنون- کما ذهب إلیه بعض المفسّرین-یطلبون من اللّه تعالی أصل الحسنه بدون أن ینتخبوا لها مصداقا من المصادیق،بل یوکلون هذا الأمر إلی مشیئته و إرادته و فضله تعالی (۴) .

و فی آخر آیه إشاره إلی الطائفه الثانیه(الّذین طلبوا من اللّه الحسنه فی الدنیا و الآخره)فتقول أُولٰئِکَ لَهُمْ نَصِیبٌ مِمّٰا کَسَبُوا وَ اللّٰهُ سَرِیعُ الْحِسٰابِ .

و فی الحقیقه هذه الآیه تقع فی النقطه المقابله للجمله الأخیره من الآیه السابقه وَ مٰا لَهُ فِی الْآخِرَهِ مِنْ خَلاٰقٍ .

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱،ص ۲۹۷.

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۱،ص ۲۹۸.

۳- ۳) -التفسیر الکبیر،ج ۵،ص ۱۸۹.

۴- ۴) -فی ظلال القرآن،ج ۱،ص ۲۹۰.

و احتمل البعض أنّها تتعلّق بكلا الطائفتين،فالطائفه الاولى يتمتّعون بالنعم و المواهب الدنيويّه،و الطائفه الثانيه يتمتّعون بخير الدنيا و الآخره كما ورد ما يشبه هذه الآيات فى سوره الإسراء الآيه ١٨ إلى ٢٠ حيث يقول: مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَهَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً وَ مَنْ أَرادَ الْآخِرَهَ وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً .

و لكنّ التفسير الأوّل منسجم مع الآيات مورد البحث أكثر.

عباره(نصيب)مع أنّها جاءت بصوره نكره،و لكنّ القرائن تدلّ على أنّ النكره هنا لبيان العظمه،و التعبير بقوله مِمّا كَسَبُوا ليست إشاره إلى قلّه النصيب و الثواب و الجزاء،لأنّه من الممكن أن تكون(من)ابتدائيّه لا تبعيضيّه.

أمّا التعبير بقوله(كسب)فى جمله(ممّا كسبوا)فتعنى-كما ذهب إليه كثير من المفسّرين-الدّعاء لطلب خير الدنيا و الآخره،فاختيار هذا التعبير قد يكون إشاره إلى نكته لطيفه و هو أنّ الدعاء بذاته يعتبر من أفضل العبادات و الأعمال،و من خلال التحقيق فى عشرات الآيات الوارده فى القرآن المجيد فى مادّه«كسب» و مشتقاتها يستفاد جيّدا أنّ هذه المفرده تستعمل أيضا لغير الأعمال الجسميّه أيضا،أى الأعمال القلبيّه و الروحيّه كما ورد فى الآيه ٢٢٥ من سوره البقره وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ .

فلا عجب أن يكون الدّعاء إذا نوع من الكسب و الاكتساب و خاصّه إذا لم يكن الدعاء باللّسان فقط بل مقترن بجميع وجود الإنسان.

أمّا جمله وَ اللّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ الوارده فى الفقره الأخيره من الآيه فإنّها تشير إلى سرعه حساب اللّه تعالى لعباده،فإنّه يجازى بالثواب و العقاب نقدا و بدون تأخير،

فقد ورد فى الحديث الشريف (إنّ اللّه تعالى يحاسب الخلائق كلّهم

فی مقدار لمح البصر)

(۱)

.

و هذا لأنّ علم اللّه لیس کعلم المخلوقات المحدود حیث یشغلها موضوع عن موضوع آخر.

إضافه إلی ذلک أنّ محاسبه اللّه لا ینبغی أن تستلزم زمانا،لأنّ أعمالنا ذات آثار باقیه فی جسم و روح الموجودات المحیطه بنا و فی الأرض و أمواج الهواء، فالإنسان یشبه من هذه الجهه السّیارات المجهّزه بقیاس السرعه و المسافه حیث تقرأ فیها کلّ لحظه مقدار عملها و سیرها و لا یحتاج بعدها إلی کتاب لحساب المسافات الّتی طوتها السیّاره طیله عمرها.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱،ص ۲۹۸،ذیل الآیه.

الآيه [سوره البقره (۲): آيه ۲۰۳]

اشاره

وَ اُذْكُرُوا اَللّٰهَ فِى أَيّٰامٍ مَعْدُودٰاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اِتَّقىٰ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۲۰۳)

التّفسير

اشاره

آخر كلام عن الحجّ:

هذه الآيه فى الحقيقه آخر آيه وردت فى بيان مناسك الحجّ و إبطال السّنن الجاهليّه فى المفاخرات الموهومه بالنسبه للأسلاف فتوصى المسلمين(بعد مراسم العيد)أن يذكروا اللّه تعالى وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ فِى أَيّٰامٍ مَعْدُودٰاتٍ .

و مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا الأمر بقرينه الآيات السابقه ناضره إلى الأيّام الحادى عشر و الثانى عشر و الثالث عشر الّتى تسمّى بلسان الروايات(أيّام التشريق)و يتّضح من اسم هذه الأيّام أنّها فتره إشراق الرّوح الإنسانيه فى ظل تلك المناسك العظيمه.

و فى الآيه ۲۸ من سوره الحجّ ورد الأمر بذكر اللّه فى أَيّٰامٍ مَعْلُومٰاتٍ و هنا

ص: ۶۵

وردت عباره فی أَیّٰامٍ مَعْدُودٰاتٍ فالمعروف هو أنّ الأیّام المعلومات تعنی العشره الأیّام من بدایه ذی الحجّه،و أما(أیّام معدودات)فالمراد بها أیّام التشریق المذکوره آنفا،و لکنّ بعض المفسّرین أورد احتمالات أخری غیر ذلک فی شرح الآیه ۲۸ من سوره الحجّ،و سیأتی فی شرح الآیه ۲۸ من سوره الحجّ (۱) .

أمّا المراد من(أذکار)

فقد ورد فی الأحادیث الإسلامیّه أنّها تعنی تلاوه التکبیرات التالیه بعد خمسه عشر صلاه فی هذه الأیّام(ابتداء من صلاه الظهر من یوم العید حتّی صلاه الصبح من الیوم الثالث العشر)و هی(اللّه أکبر اللّه أکبر لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر و للّه الحمد،اللّه أکبر علی ما هدانا اللّه أکبر علی ما رزقنا من بهیمه الأنعام).

ثمّ تشیر الآیه إلی هذا الحکم الشرعی فَمَنْ تَعَجَّلَ فِی یَوْمَیْنِ فَلاٰ إِثْمَ عَلَیْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلاٰ إِثْمَ عَلَیْهِ لِمَنِ اتَّقیٰ و هذا التعبیر بالحقیقه إشاره إلی نوع من التخییر فی أداء ذکر اللّه بین یومین أو ثلاثه أیّام.

و جمله(لمن أتقی)ظاهرا قید للتعجیل فی الیومین،أی لا إثم علی من تعجّل و اختار الیومین أو الثلاثه،و هذا التعجیل یختص بمثل هؤلاء الأشخاص.

و جاء فی روایات أهل البیت علیهم السّلام أنّ المراد من التقوی هنا هی تجنّب الصید، أی أنّ الأشخاص حین الإحرام یجب علیهم تجنّب الصید أو جمیع تروک الإحرام،فیمکنهم البقاء بعد عید الأضحی یومین فی منی و لأداء مناسکهم و ذکر اللّه تعالی،أمّا من لم یتّق فیجب علیه البقاء ثلاثه أیّام هناک لأداء المراسم العبادیّه و ذکر اللّه تعالی.

۱- ۱) -بالرغم من أن«أیام»جمع«یوم»و هو مذکر،إلاّ أنه وصف ب«معلومات»و«معدودات»بصیغه المؤنث، و قیل أن ذلک لأن الأیّام مرکبه من ساعات،و لعلّه إشاره إلی أنکم ینبغی أن تذکروا اللّه طیله ساعات هذه الأیّام.

و ذهب البعض إلى أنّ جمله(لا إثم عليه)إشاره إلى نفى كلّ إثم و ذنب عن زوّار بيت اللّه الحرام،أى أنّ الحاج بعد أداء مناسكه عن ايمـان و إخلاـص و وعى يغفر له ما تقـدّم من ذنبه و تزول رواسب المعاصـى و أدران الـذنوب من قلبه و نفسه، و يخرج من هذه العباده التربويّه خالصا طاهرا نقيّا.

فمع أنّ هذا المعنى صحيح بذاته،إلاّ أنّ ظاهر الآيه ينسجم مع المعنى الأوّل أكثر.

و فى نهايه الآيه نلاحظ أمرا كليّا بالتّقوى حيث تقول الآيه وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ فعلى أحد هـذين التفسـيرين المذكورين آنفا يمكن أن تكون هذه الجمله إشاره إلى أنّ المناسك الروحانيّه فى الحجّ تطهّر الإنسان من الذنوب السّابقه كيوم ولدته امّه،و لكن عليكم تقوى اللّه و الحذر من الوقوع فى الذنب مرّه اخرى.

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٦]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّٰاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا وَ يُشْهِدُ اَللّٰهَ عَلىٰ مٰا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ اَلْخِصٰامِ (٢٠۴) وَ إِذٰا تَوَلّٰى سَعىٰ فِي اَلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهٰا وَ يُهْلِكَ اَلْحَرْثَ وَ اَلنَّسْلَ وَ اَللّٰهُ لاٰ يُحِبُّ اَلْفَسٰادَ (٢٠۵) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُ اِتَّقِ اَللّٰهَ أَخَذَتْهُ اَلْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ اَلْمِهٰادُ (٢٠۶)

سبب النّزول

ذكر فى سبب نزول هذه الآيات أمران:

١-أنّ هذه الآيات نزلت فى(الأخنس)بن شريف)و كان رجلا و سيما عذب البيان يتظاهر بالإسلام و حبّ الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم،و كان كلّما جلس عند النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم أقسم باللّه على إيمانه و حبّه للرّسول،و كان الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم يغدق عليه من لطفه و حبّه كما هو مأمور به، و لكنّ هذا الشخص كان منافقا فى الباطن و فى حادثه نزاع بينه و بين بعض المسلمين هجم عليهم و قتل أحشامهم و أباد زرعهم(و بهذا أظهر ما فى باطنه من النّفاق) (١) .

ص: ۶٨

١- ١) -تفسير أبو الفتوح الرازى و غيره من التفاسير.

۲-و من المفسّرين من نقل عن ابن عباس أنّ الآيه المذكوره نزلت فی سريّه (الرجيع)حيث بعث رسول اللّه مجموعه من الدعاه إلی القبائل المتوطّنه أطراف المدينه،فدبّرت لهم مؤامره لئيمه استشهدوا فيها (۱) .

و لكنّ سبب النّزول الأوّل أكثر انسجاما مع مضمون الآيات،و علی أیّ حال فالدرس الّذی تقدّمه الآيه عام و شامل.

التّفسير

اشاره

مصير المفسدين فی الأرض:

الآيه الاولی تشير إلی بعض المنافقين حيث تقول وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِی الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ يُشْهِدُ اللّٰهَ عَلیٰ مٰا فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصٰامِ .

(ألد)تأتی بمعنی ذو العداوه الشديده،و أصلها من(لديد)التی يراد بها طرفی الرقبه و كنايه عن الشخص الّذی يغلب الأعداء من كلّ جانب،و(خصام)لها معنی مصدری و هو الخصومه و العداوه.

ثمّ تضيف الآيه التاليه بعض العلامات الباطنيّه لعداوه مثل هذا الإنسان و هی:

وَ إِذٰا تَوَلّٰی سَعیٰ فِی الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهٰا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّٰهُ لاٰ يُحِبُّ الْفَسٰادَ

.

أجل،فإنّ اللّه سبحانه و تعالی يفضح هؤلاء و يكشف سريرتهم،لأنّ هؤلاء لو كانوا صادقين فی إيمانهم و إظهارهم المحبّه لما أفسدوا فی الأرض مطلقا و لما اعتدوا علی مزارع الناس و أغنامهم بدون رحمه أو شفقه،فبالرّغم من أنّ ظاهرهم المحبّه الخالصه إلاّ أنّهم فی الباطن أشدّ الناس قساوه و وحشيّه.

و احتمل كثير من المفسّرين أنّ المراد بقوله(إذا تولّی)أی إذا حكم،لأنّ

۱- ۱) -تفسير أبو الفتوح،ج ۲،ص ۱۴۰،قلمّا روی هذا السبب النّزول.

التولّى من الولايه بمعنى الحكومه،فيكون معنى الولايه حينئذ أنّ المنافقين إذا حكموا فى الأرض أهلكوا الحرث و النسل و أشاعوا الظلم بين عباد اللّه،و بسبب ظلمهم و جورهم تهلك الماشيه و تتعرّض أموال و نفوس الناس للخطر (۱) .

(حرث)بمعنى الزّراعه،(نسل)بمعنى الأولاد،و تطلق أيضا على أولاد الإنسان و غير الإنسان،فعلى هذا يكون إهلاك الحرث و النسل بمعنى إتلاف كلّ الموجودات الحيّه أعمّ من الأحياء النباتيّه و الحيوانيّه و الإنسانيّه.

و ذكر لمعنى الحرث و النسل تفاسير اخرى منها:أنّ المراد بالحرث هو النساء بقرينه الآيه الشريفه نِسٰاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ (۲) و المراد بالنسل هم الأولاد،أو يكون المراد من الحرث هنا الدين و العقيده و النسل الناس(و هذا التفسير هو الوارد فى الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السّلام المذكور فى مجمع البيان).

و على كلّ حال فإنّ التعبير يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ كلام مختصر و جامع لكلّ المصاديق حيث يشمل الإفساد و التخريب بالنسبه للأموال و النفوس فى المجتمع البشرى.

و الآيه الاخرى تضيف وَ إِذٰا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ (۳) فتشتعل فى قلبه نيران التعصّب و اللّجاج و تجرّه إلى المعصيه و الإثم.

فمثل هذا الشخص لا يستمع إلى نصيحه النّاصحين و لا يهتم للإنذارات الإلهيّه،بل يستمر على عناده و ارتكابه للآثام و المنكرات مغرورا،فلا يكون جزاءه إلّا النار،و لذلك يقول فى نهايه الآيه فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهٰادُ .

۱- ۱) -تفسير الميزان،ج ۲،ص ۹۶-و كذلك أشير إلى هذا البحث فى ذيل هذه الآيه فى تفسير مجمع البيان و أبو الفتوح الرازى،و لكن هذا الرأى لا يناسب سبب النّزول،و إن كان مفهوم الآيه واسعا.

۲- ۲) -البقره،۲۲۳.

۳- ۳) -العزه فى مقابل الذلّه فى الأصل.و لكن هنا ورد بمعنى الغرور و النخوه،(روح المعانى)و الراغب يرى أنها بمعنى عدم المغلوبيه فى الأصل،و مجازا تأتى بمعنى الغرور.

و فى الحقيقه أنّ هـذه هى أحد الصّـِفات القبيحه و الذّميمه للمنافقين حيث أنّهم لا يستسـلمون للحقّ بسـبب التعصّب و التحجّر و قساوه القلب،و هـذه الصـفات الذّميمه تبلغ بصاحبه إلى أعلى درجات الإثم،فمن البديهى أنّ مثل هذه الأخشاب اليابسه المنحرفه لا تستقيم إلاّ بنار جهنّم.

و ذهب بعض المفسّـِرين إلى أنّ اللّه عزّ و جـلّ وصف هؤلاء الأشـخاص بخمس صـفات فى الآيـات المـذكوره آنفا،الاولى:أنّ كلامهم يخدع الإنسان،الثانيه:أنّ قلوبهم ملوّثه و مظلمه،الثالثه:أنّهم ألدّ الأعداء،الرّابعه:أنّهم إذا سـنحت الفرصه فلا يرحمون أحدا من الإنسان و الحيوان و الزرع،الخامسه:أنّهم و بسبب الغرور و التكبّر لا يقبلون ايّه نصيحه.

ص :۷۱

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۰۷]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ اِبْتِغاءَ مَرْضاتِ اَللّهِ وَ اَللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (۲۰۷)

سبب النّزول

روی«الثعلبی»مفسّر أهل السنّه المعروف فی تفسیره أن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم لمّا أراد الهجره إلی المدینه خلّف علی بن أبی طالب بمکه لقضاء دیونه و أداء الودائع التی کانت عنده و أمره لیله خروجه من الدّار و قد أحاط المشرکون بالدار أن ینام علی فراشه و

قال له: اتّشح ببردی الحضرمی الأخضر و نم علی فراشی و إنّه لا یصل منهم إلیک مکروه إن شاء اللّه تعالی.ففعل ذلک علی ،فأوحی اللّه تعالی إلی جبرئیل و میکائیل إنّی آخیت بینکما و جعلت عمر أحدکما أطول من الآخر فأیّکما یؤثر صاحبه بالحیاه،فاختار کلاهما الحیاه فأوحی اللّه تعالی إلیهما:أ فلا کنتما مثل علی بن أبی طالب آخیت بینه و بین محمّد فبات علی فراشه یفدیه بنفسه و یؤثره بالحیاه انزلا إلی الأرض فاحفظاه من عدوّه.

فنزلا فکان جبرئیل عند رأسه و میکائیل عند رجلیه و جبرئیل ینادی بخّ بخّ

ص: ۷۲

من مثلك يا على يباهى اللّه تبارك و تعالى بك الملائكه،فأنزل اللّه على رسوله و هو متوجّه إلى المدينه فى شأن على الآيه.

و لهذا سمّيت هذه اللّيله التاريخيه بليله المبيت، و يقول ابن عباس نزلت الآيه فى على حين هرب رسول اللّه من المشركين إلى الغار مع أبى بكر و نام على على فراش النبى.

و يقول(أبو جعفر الإسكافى)كما جاء فى شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المجلّد(٣)الصفحه(٢٧٠)«إنّ حديث الفراش قد ثبت بالتواتر فلا يجحده إلّا مجنون أو غير مخالط لأهل الملّه» (١) .

التّفسير

اشاره

التضحيّه الكبرى فى دوله الهجره التاريخيّه:

بالرّغم من أنّ الآيه محل البحث تتعلّق كما ورد فى سبب النزول بحادثه هجره النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم و تضحيه الإمام على و مبيته على فراش النبى،و لكنّ مفهومها و محتواها الكلّى-كما فى سائر الآيات القرآنيه-عامّ و شامل،و فى الحقيقه أنّها تقع فى النقطه المقابله للآيات السابقه الّتى تتحدّث عن المنافقين.

تقول الآيه وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ .

الطائفه السّابقه الّتى تحدّثنا عنها هى مجموعه من الأشخاص المعاندين و المغرورين و الأنانيّين الّذين يحاولون أن يحقّقوا لهم بين المجتمع عزّه و كرامه

١- ١) -ذكر صاحب الغدير:ج ٢ ص ٤۴ و ۵۵ أنّ ليله المبيت رواها الغزالى فى إحياء العلوم:ج ٣ ص ٢٣٨، و الصفوى فى نزهه المجالس:ج ٢ ص ٢٠٩،و ابن الصبّاغ المالكى فى الفصول المهمّه،و السبط ابن الجوزى الحنفى فى تذكره الخواص:ص ٢١،و مسند أحمد:ج ١ ص ۴٨ و تاريخ الطبرى:ج ٢ ص ٩٩-١٠١،و ابن هشام فى السيره:ج ٢ ص ٢٩١،و الحلبى فى السيره:ج ٢ ص ٢٩،و تاريخ اليعقوبى:ج ٢ ص ٢٩.

عن طريق النفاق و يتظاهرون بالإيمان بأقوالهم بينما أعمالهم ليس فيها سوى الإفساد فى الأرض و إهلاك الحرث و النسل.

أما هـذه الطائفه الثّانيه فتعاملهم مع اللّه وحـده حيث يقدّمون أرواحهم رخيصه فى سبيله،و لا يبتغون سوى رضاه،و لا يطلبون عزّه و رفعه الاّ باللّه،و بتضـحيات هؤلاء يصـلح أمر الدّين و الدنيا و يسـتقيم شأن الحقّ و الحقيقه و تصـفو حياه الإنسان و تثمر شـجره الإسلام.

و من هنـا يتّضـح أنّ جمله وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ بمثابه النقطه المقابله لما ورد فى الآيه السابقه عن المنافقين المفسـدين فى الأرض فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ و قـد تكون إشاره إلى أن اللّه عزّ و جلّ فى الوقت الّذى هو رحيم و رؤوف بالعباد هو الّذى يشـرى الأنفس بأغلى الأثمان و هو رضوان اللّه تعالى عن الإنسان.

و ممّـا يسـتلفت النظر أنّ البـائع هو الإنسان،و المشترى هو اللّه تعالى،و البضاعه هى النفس،و ثمنها هو رضوان اللّه تعالى،فى حين نرى فى موارد اخرى أنّ ثمن مثـل هـذه المعاملات هو الجنّه الخالـده و النجاه من النـار،من قبيـل قوله تعـالى إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ (۱) .

و لعلّه لهذا السـبب كانت(من)فى الآيه مورد البحث تبعيضـيه(و من الناس)، يعنى أنّ بعض الناس يستطيعون أن يقوموا بمثل هذه الأعمـال الخـارقه بحيث لا يطلبون عوضـا عن أرواحهم و أنفسـهم سوى رضوان اللّه تعالى،و أمّا فى الآيه (۱۱۱)من سوره التوبه التى ذكرناها سابقا رأينا أنّ جميع المؤمنين قد دعوا إلى التعامل و التجاره مع اللّه تعالى فى مقابل الجنّه الخالده.

۱- ۱) -التوبه:۱۱۱.

و یحتمل أیضا فی تفسیر جمله وَ اللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبٰادِ و تناسبها مع بدایه هذه الآیه أنّ المراد هو بیان هذه الحقیقه أنّ وجود مثل هؤلاء الأفراد بین الناس لطف من اللّه سبحانه و رأفه بعباده،إذ لو لم یکن بین الناس مثل هؤلاء الأفراد المضحّین المتفانین مقابل تلک العناصر الخبیثه لانهدمت أرکان الدّین و المجتمع،لکنّ اللّه سبحانه بفضله و منّه یدفع بهؤلاء الصّدیقین الأولیاء خطر أولئک الأعداء.

فعلی أیّ حال،فهذه الآیه و مع الالتفات إلی سبب النزول المذکور آنفا تعدّ أعظم الفضائل لإمام علی علیه السّلام الوارده فی اکثر المصادر الإسلامیه،و کانت فی صدر الإسلام من الوضوح بین المسلمین بحیث دعت معاویه العدو اللّدود للإمام علی علیه السّلام أن یرشی(سمره بن جندب)بأربعمائه ألف درهم کی یروی حدیثا مختلطا ینسب فیه فضیله هذه الآیه إلی عبد الرحمن ابن ملجم،و قد اختلق هذا المنافق الجانی هذه الفریه،و لکنّ أحدا لم یقبل منه حدیثه المجعول (1) .

1- 1) -نقل قصّه هذه المعامله«ابن أبی الحدید»فی شرح«نهج البلاغه»ج 4،ص 73.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۲۰۸ الی ۲۰۹]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اُدْخُلُوا فِی اَلسِّلْمِ کَافَّهً وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ اَلشَّیْطٰانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ (۲۰۸) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْکُمُ اَلْبَیِّنٰاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۲۰۹)

التّفسیر

اشاره

السّلام العالمی فی ظلّ الإسلام:

بعد الإشاره إلی الطائفتین(المؤمنین المخلصین و المنافقین المفسدین)فی الآیات السابقه تدعو هذه الآیات الکریمه کلّ المؤمنین إلی السّلم و الصلح و تقول:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِی السِّلْمِ کَافَّهً

.

(سلم)و(سلام)فی اللّغه بمعنی الصّلح و الهدوء و السکینه،و ذهب البعض إلی تفسیرها بمعنی الطّاعه،فتدعوا هذه الآیه الکریمه جمیع المؤمنین إلی الصلح و السّلام و التسلیم إلی أوامر اللّه تعالی،و یستفاد من مفهوم هذه الآیه أنّ السّلام لا یتحقّق إلاّ فی ظلّ الإیمان،و أنّ المعاییر و المفاهیم الأرضیّه و المادیّه غیر قادره علی إطفاء نار الحروب فی الدنیا،لأنّ عالم المادّه و التعلّق به مصدر جمیع الاضطرابات و النّزاعات دائما،فلو لا القوّه المعنویّه للایمان لکان الصّلح

ص: ۷۶

مستحیلا،بل یمکن القول أنّ دعوه الآیه العامّه لجمیع المؤمنین بدون استثناء من حیث اللّغه و العنصر و الثروه و الإقلیم و الطبقه الاجتماعیّه إلی الصّلح و السّلام یستفاد منها أنّ تشکیل الحکومه العالمیّه الواحده فی ظل الإیمان باللّه تعالی و العیش فی مجتمع یسوده الصّلح ممکن فی إطار الدوله العالمیّه.

واضح أنّ الاطر المادیّه الأرضیّه(من اللّغه و العنصر و...)هی عوامل تفرقه بین أفراد البشر و بحاجه إلی حلقه اتّصال محکمه تربط بین قلوب النّاس،و هذه الحلقه لیست سوی الإیمان باللّه تعالی الّذی یتجاوز کلّ الاختلافات،الإیمان باللّه و اتّباع أمره هو النقطه و المحور لوحده المجتمع الإنسانی و رمز ارتباط الأقوام و الشّعوب،و یمکن رؤیه ذلک من خلال مناسک الحجّ الّذی یعتبر نموذجا بارزا إلی اتّحاد الأقوام البشریّه بمختلف ألوانها و قومیّتها و لغاتها و أقالیمها الجغرافیّه و أمثال ذلک حیث یشترکون فی المراسم العبادیه الروحانیّه فی منتهی الصّلح و الصّفاء،و بمقایسه سریعه بین هذه المفاهیم و الأنظمه الحاکمه علی الدول الفاقده للإیمان باللّه تعالی و کیف أنّ الناس یفتقدون فیها إلی الأمان النفسی و المالی و یخافون علی اعراضهم و نوامیسهم یتّضح لنا التفاوت بین المجتمعات المؤمنه و غیر المؤمنه من حیث الصّلح و الأمان و السّلام و الطمأنینه.

و یحتمل أیضا فی تفسیر الآیه أنّ بعض أهل الکتاب(الیهود و النصاری) عند ما یعتنقون الإسلام یبقون أوفیاء لبعض عقائدهم و تقالیدهم السابقه،و لهذا تأمر الآیه الشریفه أن یعتنقوا الإسلام بکافّه وجودهم و یخضعوا و یسلّموا لجمیع أحکامه و تشریعاته (۱) .ثمّ تضیف الآیه وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّیْطٰانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ و قد مرّ بنا فی تفسیر الآیه(۱۶۸)من هذه السوره الإشاره إلی أنّ کثیر من الانحرافات و وساوس الشیطان تحدث بصوره تدریجیّه علی شکل مراحل حیث

---

۱ - ۱) -تفسیر الکبیر،المجلد الخامس،ص ۲۰۷-روح المعانی،ج ۲،ص ۹۷،و لکن نظر أن«کافه»تشمل جمیع المؤمنین و لیس کافه تشریعات الإسلام(فی الحقیقه حال ل«الذین آمنوا»لا السلم)و التفسیر الأوّل أصح فی النظر.

يسمّيها القرآن(خطوات الشيطان).

(خطوات)جمع«خطوه»و هنا تكرّرت هذه الحقيقه من أنّ الانحراف عن الصلح و العداله،و التسليم لإراده الأعداء و دوافع العداوه و الحرب و سفك الدماء يبدأ من مراحل بسيطه و ينتهى بمراتب حادّه و خطره كما فى المثل العربى المعروف(إنّ بدو القتال اللّطام).

فتاره تصدر من الإنسان حركه بسيطه عن عداء و حقد و تؤدّى إلى الحرب و الدّمار،و لهذا تخاطب الآيه المؤمنين أن يلتفتوا إلى نقطه البدايه كى لا تؤدّى شرارات الشرّ الاولى الاشتعال لظى المعارك و الحروب.

و جدير بالذّكر أنّ هذا التعبير ورد فى القرآن الكريم خمس مرّات و فى غايات مختلفه.

و ذكر بعض المفسّرين أنّ(عبد اللّه بن سلام)و أتباعه الذين كانوا من اليهود و أسلموا طلبوا الإذن من رسول اللّه بقراءه التوراه فى الصلاه و العمل ببعض أحكامها،فنزلت الآيه الآنفه الذكر و نهت هؤلاء عن إتّباع خطوات الشيطان (1) .

و من شأن النزول هذا يتبيّن أنّ الشيطان ينفذ فى فكر الإنسان و قلبه خطوه خطوه،فيجب التصدّى للخطوات الاولى لكيلا تصل إلى مراحل خطره.

و تتضمّن جمله إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ برهانا و دليلا حيّا حيث تقول إنّ عداء الشيطان للإنسان ليس بأمر خفى مستتر،فهو منذ بدايه خلق آدم أقسم أن يبذل جهده لإغواء جميع البشر إلاّ المخلصين الّذين لا ينالهم مكر الشيطان،فمع هذا الحال كيف يمكن تغافل و سوسه الشيطان.

الآيه التاليه إنذار لجميع المؤمنين حيث تقول فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْكُمُ الْبَيِّنٰاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فلو انحرفتم و سرتم مع

1- 1) -تفسير القرطبى،المجلد الثانى،ص 832.

وساوس الشيطان على خلاف مسار الصلح و السلام فإنّكم لا تستطيعون بذلک الفرار من العداله الإلهيّه.

المنهج بيّن و الطريق بيّن و الهدف بيّن،و معلوم من هنا لا عذر لمن يزل عن الطريق،فلو انحرفتم فأنتم المقصّرون،فاعلموا أنّ اللّه قادر حكيم لا يستطيع أحد أن يفرّ من عدالته.

(بيّنات)بمعنى الدلائل الواضحه،و لها مفهوم واسع يستوعب الدلائل العقليّه، و كذلک ما يتّضح للإنسان عن طريق الوحى أو المعجزات.

ص: ٧٩

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۱۰]

اشاره

هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّٰ أَنْ یَأْتِیَهُمُ اَللّٰهُ فِی ظُلَلٍ مِنَ اَلْغَمٰامِ وَ اَلْمَلاٰئِکَهُ وَ قُضِیَ اَلْأَمْرُ وَ إِلَی اَللّٰهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۲۱۰)

التّفسیر

اشاره

توقّع غیر معقول:

قد یبدو للوهله الاولی أنّ فی هذه الآیه الکریمه نوعا من الإبهام و التعقید، لکنّ ذلک یزول عند إمعان النظر بتعبیراتها.

الآیه تخاطب الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و تقول معقبّه علی الآیات السابقه:أ لیست کلّ هذه الدلائل و الآیات و الأحکام الواضحه کافیه لصدّ الإنسان عن الهلکه و انقاذه من براثین عدوّه المبین(الشیطان)،هل ینتظرون أن یأتی اللّه إلیهم مع الملائکه فی وسط الغمامه و یطرح علیهم من الآیات و الدلائل أوضح ممّا سبق،و إنّ ذلک محال،و علی فرض کونه غیر محال فإنّه لا ضروره لذلک: هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّٰ أَنْ یَأْتِیَهُمُ اللّٰهُ فِی ظُلَلٍ مِنَ الْغَمٰامِ وَ الْمَلاٰئِکَهُ وَ قُضِیَ الْأَمْرُ (۱) .

أمّا ما هو المراد من«قضی الأمر»الوارد فی الآیه؟ ذهب المرحوم(الطبرسی)فی مجمع البیان أنّ معناها انتهاء حساب البشر فی

۱- ۱) -«ظلل»جمع«ظله»یقال لکلّ شیء یصنع ظلا،و«غمام»بمعنی السحاب.

یوم القیامه و دخول أهل الجنّه إلی الجنّه و أهل النّار إلی النّار،و علی هذا الأساس فالآیه ناظره إلی الآخره فی حین أنّ ظاهر الآیه یتعلّق بهـذه الحیاه الـدنیا،و لهـذا فلیس من البعید أن تکون هذه الآیه إشاره إلی نزول العذاب الإلهی علی الکفّار المعاندین،و قد ورد فی هذا المعنی فی کلام الطبرسی و غیره من المفسّرین بعنوان أحد الاحتمالات.

و یمکن أن یکون المعنی إشـاره إلی انتهـاء مـأموریّه التبلیغ و بیـان الحقائق الوارده فی الآیه السابقه بعنوان(بیّنات)،و بهـذا یکون انتظـار و توقـع هؤلاـء بلاـ معنی،فعلی فرض المحـال إمکـانیّه حضـور اللّه تعـالی و الملاـئکه أمـامهم فلاـ حـاجه إلی ذلـک کما ذکرنا،لأنّ مسـتلزمات الهـدایه قـد وضـعت أمامهم بالقـدر الکافی،و بناء علی هـذا التفسـیر لا یوجد فی الآیه أی تقدیر،و الألفاظ بعینها قد فسّرت،و بهذا یکون الاستفهام الوارد فی الآیه استفهاما إنکاریّا.

و هناک من المفسّرین من لم یر الاستفهام فی الآیه استنکاریّا،و اعتبره نوعا من التهدید للمذنبین و لأولئک السائرین علی خطی الشـیطان،سواء کان التهدیـد بعـذاب الآخره أو الـدنیا،و لهـذا فهم یقدّرون قبل کلمه«اللّه»کلمه(أمر)فیکون المعنی حینئذ:(أ یرید هؤلاـء بأعمـالهم هـذه أن یـؤتیهم أمر اللّه و ملاـئکته لمعـاقبتهم و تعـذیبهم و لینـالوا عـذاب الـدنیا أو الآـخره و ینتهی أمرهـم و أعمالهم).

و لکنّ التفسیر المذکور أعلاه أنسب المعانی لهذه الآیه ظاهرا و لا حاجه إلی التقدیر.

و الخلاصه أنّ لهذه الآیه ثلاثه تفاسیر:

۱-أنّ المراد هو أنّ اللّه تعالی قد أتمّ حجّته بمقدار کاف،فلا ینبغی للمعاندین توقّع أن یأتیهم اللّه و الملائکه أمامهم و یبیّنوا لهم الحقائق، لأنّ هذا أمر محال و علی فرض أنّه غیر محال لا حاجه لذلک.

۲-المراد هو أنّ هؤلاء مع عنادهم و عدم إیمانهم هل ینتظرون الأمر الإلهی

بإنزال العذاب و ملائكه العذاب عليهم فيهلكوا عن آخرهم.

٣-المراد أنّ هؤلاء بهذه الأعمال هل ينتظرون قيام السّاعه ليصدر الأمر إلى الملائكه بتعذيبهم و ينالوا جزاءهم العادل؟ (١) التعبير ب(ظلل من الغمام)بناء على التفسير الثانى و الثالث الّذى ذهب إليه الكثير من المفسّرين إشاره إلى أنّ العذاب الإلهى يأتى فجأه كالسّحاب الّذى يظلّلهم و خاصّه أنّ الإنسان إذا رأى السّحاب يتوقّع أمطار الرّحمه،فعند ما يأتى العذاب بصوره الصاعقه و أمثال ذلك و ينزل عليهم فسيكون أقسى و أشدّ إيلاما(مع الالتفات إلى أنّ عذاب بعض الأقوام السّالفه نزل عليهم بصوره صاعقه من الغمام) (٢) .

أمّا على أساس التفسير الأوّل فقد يكون إشاره إلى عقيده الكفّار الخرافيّه حيث يظنّون أنّ اللّه تعالى ينزل أحيانا من السّماء و السّحاب تظلّله (٣) .

و فى نهايه الآيه تقول وَ إِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ الأمور المتعلّقه بإرسال الأنبياء و نزول الكتب السماويّه و تبيين حقائق يوم القيامه و الحساب و الجزاء و الثواب و العقاب و كلّها تعود إليه.

بحث

اشاره

استحاله رؤيه اللّه:

لا شكّ أنّ الرّؤيه الحسيّه لا تكون إلّا للأجسام الّتى لها لون و مكان و تأخذ حيّز من الفراغ،فعلى هذا لا معنى لرؤيه اللّه تعالى الّذى هو فوق الزمان و المكان.

ص: ٨٢

١- ١) -لم يذكر التقدير فى التفسير الأوّل و يجب أخذه بنظر الاعتبار فى التفسير الثانى و الثالث فى كلمه«امر» قبل لفظ الجلاله«اللّه».

٢- ٢) -راجع الآيه(١٨٩)من سوره الشعراء.

٣- ٣) -المصدر السابق.

إنّ الـذات المقـدّسه يسـتحيل رؤيتها بهذه العين لا فى الدّنيا و لا فى الآخره، و الأدلّه العقليّه على هذه المسأله واضـحه إلى درجه أنّه لاـ حـاجه لشـرحها و بيانهـا، و لكن مع ذلـك فـإنّ طـائفه من علمـاء أهل السّـنه و مع الأسف يسـتندون على بعض الأحاديث الضـعيفه و عدد من الآيات المتشابهه على إمكان رؤيه اللّه تعالى يوم القيامه بهذه العين الماديّه،و إنّه سيكون له قالب جسمانى و لـون و مكـان،و بعضـهم يرى أنّ الآـيه مـورد البحث نـاظره إلى هـذا المعنى،فلعلّهم لم يلتفتوا إلى مـدى المفاسـد و المشـكلات المترتّبه على هذا القول.

و طبعا لا شكّ فى إمكانيّه رؤيه اللّه تعالى بعين القلب،سواء فى هـذه الـدنيا أو فى عالم آخر،و من المسـلّم أنّ ذاته المقـدّسه فى يوم القيامه لها ظهور أقوى و أشد من ظهورها فى هذا العالم ممّا يستدعى أن تكون المشاهده أقوى،

و فى الحـديث الشـريف عن الإمـام الصـادق عليه السّـلام فى جواب من سـأله :هـل يمكن مشاهـده اللّه يوم القيـامه؟فقـال:«...إنّ الأبصار لا تدرك إلاّ ما له لون و كيفيّه و اللّه تعالى خالق الألوان و الكيفيّه»

(۱)

.

و قـد أوردنا أبحاثا فى عدم إمكانيّه رؤيه اللّه تعالى فى الدنيا و الآخره فى ذيل الآيات المربوطه،منها فى ذيل آيه(۱۰۳)من سوره الأنعام لاٰ تُدْرِكُهُ الْأَبْصٰارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصٰارَ و ذكرنا بحثا آخر أكثر تفصيلا فى المجلّد الرابع من(نفحات القرآن)فراجع.

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۱،ص ۷۵۳.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۱۱]

اشاره

سَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ کَمْ آتَیْناهُمْ مِنْ آیَهٍ بَیِّنَهٍ وَ مَنْ یُبَدِّلْ نِعْمَهَ اَللّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اَللّهَ شَدِیدُ اَلْعِقابِ (۲۱۱)

التّفسیر

اشاره

تبدیل نعمه اللّه بالعذاب الألیم:

تشیر هذه الآیه إلی أحد مصادیق الآیات السابقه،لأنّ الحدیث فی الآیات السابقه کان یدور حول المؤمنین و الکافرین و المنافقین،و أنّ الکافرین کانوا یتجاهلون آیات اللّه و براهینه الواضحه و یتذرّعون بمختلف الحجج و المعاذیر، و بنی إسرائیل مصداق واضح لهذا المعنی،و تقول الآیه: سَلْ بَنِی إِسْرائِیلَ کَمْ آتَیْناهُمْ مِنْ آیَهٍ بَیِّنَهٍ .

و لکنّهم تجاهلوا و تغافلوا عن هذه الآیات و العلائم الواضحه و أنفقوا المواهب الإلهیّه و النعم الربانیه فی أسالیب مذمومه و منحرفه،ثمّ تقول الآیه وَ مَنْ یُبَدِّلْ نِعْمَهَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ .

و المراد من(تبدیل النعمه)هو استخدام الإمکانات و الطّاقات و المصادر

المادّيه و المعنويّه الموهوبه على طريق تخريبى انحرافى و ممارسه الظلم و الطغيان، فقد وهب اللّه سبحانه و تعالى مواهب كثيره لبنى إسرائيل من قبيل الأنبياء و القاده الشجعان و الإمكانات المادّيه الكثيره،و لكنّهم لم ينتفعوا من أنبياءهم الإلهيّين،و لا استفادوا من المواهب المادّيه استفاده صحيحه،و بهذا ارتكبوا معصيه تبديل النّعمه ممّا سبّب لهم أنواع العذاب الدنيوى،كالتيه فى الصحراء و كذلك العذاب الاخروى الأليم.

و عباره(سل بنى إسرائيل)فى الحقيقه تستهدف كسب الاعتراف منهم بشأن النعم الإلهيّه،ثمّ التفكير بالسّبب الّذى أدّى بهم إلى الهاويه و التمزّق مع كلّ هذه الإمكانات ليكونوا عبره للمسلمين و لكلّ من لا ينتفع بالمواهب الإلهيّه بصوره سليمه.

و لا تنحصر مسأله تبديل النّعمه و المصير المؤلم لها ببنى إسرائيل،بل أنّ جميع الأقوام و الشّعوب إذا ارتكبت مثل هذه الخطيئه سوف تبتلى بالعذاب الإلهى الشديد فى الدنيا و فى الآخره.

فالعالم المتطوّر صناعيّا يعانى اليوم من هذه المأساه الكبرى،فمع و فور النعم و الطاقات لدى الإنسان المعاصر وفورا لم يسبق له مثيل فى التاريخ نجد صورا شتّى من تبديل النعم و تسخيرها بشكل فضيع فى طريق الإباده و الفناء بسبب ابتعادهم عن التعاليم الإلهيّه للأنبياء،حيث حوّروا هذه النعم إلى أسلحه مدمّره من أجلّ بسط سيطرتهم الظالمه و استعمارهم للبلدان الاخرى،و بذلك جعلوا من الدنيا مكانا غير آمن،و جعلوا الحياه الدنيا غير آمنه من كلّ ناحيه.

(نعمه اللّه)فى هذه الآيه قد تكون إشاره إلى الآيات الإلهيّه و تبديلها يعنى تحريفها،أو يكون المعنى أوسع و أشمل من ذلك حيث يستوعب كلّ الإمكانات و المواهب الإلهيّه،و المعنى الثانى أرجح.

الآيه [سوره البقره (۲): آيه ۲۱۲]

اشاره

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا اَلْحَيٰاةُ اَلدُّنْيٰا وَ يَسْخَرُونَ مِنَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اَلَّذِينَ اِتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ وَ اَللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ (۲۱۲)

سبب النّزول

عن ابن عبّاس المفسّر المعروف قال:إنّها نزلت فى رؤساء قريش الّذين بسطت لهم الدنيا و كانوا يسخرون من قوم من المؤمنين الفقراء كعبد اللّه بن مسعود و عمّار و بلال و خباب و يقولون:لو كان محمّد نبيّا لاتّبعته أشرافنا،فنزلت الآيه لتردّ عليهم.

التّفسير

اشاره

الكافرون عبيد الدّنيا:

نزول الآيه طبقا للرّوايه المذكوره بشأن رؤساء قريش لا يمنع أن تكون مكمّله لموضوع الآيه السابقه بشأن اليهود و أن نستنتج منها قاعده كليّه،تقول الآيه زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا و لذلك أفقدهم الغرور و التكبّر شعورهم.

ص: ۸۶

وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

فى حين أنّ المؤمنين و المتّقين فى أعلى عليّين فى الجنّه،و هؤلاء فى دركات الجحيم وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ .

لأنّ المقامات المعنويّه تتّخذ صور عينيّه فى ذلك العالم،و يكتسب المؤمنون درجات أسمى من هؤلاء،و كأنّ هؤلاء يسيرون فى أعماق الأرض بينما يحلّق الصالحون فى أعالى السّماء،و ليس ذلك بعجيب وَ اللّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ .

و هذه فى الحقيقه بشاره للمؤمنين الفقراء و إنذار و تهديد للأغنياء و الأثرياء المغرورين،و هناك احتمال آخر أيضا و هو أنّ الجمله الأخيره تشير إلى أنّ اللّه تعالى يرزق المؤمنين فى المستقبل بدون حساب،و ذلك بتقدّم الإسلام و اتّساعه حيث تحقّق هذا الوعد الإلهى.

و كون ذلك الرّزق الإلهى بدون حساب للمؤمنين إشاره إلى أنّ الثواب و المواهب الإلهيّه ليست بمقدار أعمالنا إطلاقا،بل هى مطابقه لكرمه و لطفه،و نعلم أنّ كرمه و لطفه ليست لهما حدود و نهايه.

ملاحظه

إنّ الحياه المادّيه فى منظار الكافرين-الّذين لا يتّعدى أفق تفكيرهم إطار العالم المادّى-جميله و جذّابه و معيار تقويم كلّ شىء،و من هنا فإنّهم ينظرون بفكرهم الضيّق إلى الفقراء نظره تحقير و استهانه و استهزاء،و لا يقيمون و زنا للقيم المعنويّه و الإنسانيّه.

و يبقى هنا سؤال عن معنى فعل المجهول(زيّن)فمن الّذى يزيّن الدنيا فى أنظار الكافرين؟الجواب على هذا السؤال سيأتى إن شاء اللّه فى تفسير الآيه (۱۴)من سوره آل عمران.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۱۳]

اشاره

کٰانَ اَلنّٰاسُ أُمَّهً وٰاحِدَهً فَبَعَثَ اَللّٰهُ اَلنَّبِیِّینَ مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ اَلْکِتٰابَ بِالْحَقِّ لِیَحْکُمَ بَیْنَ اَلنّٰاسِ فِیمَا اِخْتَلَفُوا فِیهِ وَ مَا اِخْتَلَفَ فِیهِ إِلاَّ اَلَّذِینَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ اَلْبَیِّنٰاتُ بَغْیاً بَیْنَهُمْ فَهَدَی اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِیهِ مِنَ اَلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اَللّٰهُ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۲۱۳)

التّفسیر

اشاره

طریق الوصول إلی الوحده:

بعـد بیان حال المؤمنین و المنافقین و الکفّار فی الآیات السّابقه شـرع القرآن الکریم فی هذه الآیه فی بحث اصولیّ کلّی و جامع بالنسبه لظهور الدّین و أهدافه و المراحل المختلفه الّتی مرّ بها.

فی البدایه تقول الآیه کٰانَ النّٰاسُ أُمَّهً وٰاحِدَهً (۱) .

فتبدأ هذه الآیه ببیان مراحل الحیاه البشریّه و کیفیّه ظهور الدّین لإصلاح

۱- ۱) -«امّه»بمعنی الجماعه التی ترتبط بنوع من الرابطه الموحده لأفرادها سواء کانت وحده دینیه أو زمانیه أو مکانیه.

المجتمع بواسطه الأنبياء و ذلک علی مراحل:

المرحله الاولی:مرحله حیاه الإنسان الابتدائیّه حیث لم یکن للإنسان قد ألف الحیاه الاجتماعیه،و لم تبرز فی حیاته التناقضات و الاختلافات،و کان یعبد اللّه تعالی استجابه لنداء الفطره و یؤدّی له فرائضه البسیطه،و هذه المرحله یحتمل أن تکون فی الفتره الفاصله بین آدم و نوح علیهما السّلام.

المرحله الثانیه:و فیها اتّخذت حیاه الإنسان شکلا اجتماعیّا،و لا بدّ أن یحدث ذلک لأنّه مفطور علی التکامل،و هذا لا یتحقّق إلاّ فی الحیاه الاجتماعیّه.

المرحله الثالثه:هی مرحله التناقضات و الاصطدامات الحتمیّه بین أفراد المجتمع البشری بعد استحکام و ظهور الحیاه الاجتماعیّه،و هذه الاختلافات سواء کانت من حیث الإیمان و العقیده،أو من حیث العمل و تعیین حقوق الأفراد و الجماعات تحتّم وجود قوانین لرعایه و حمل هذه الاختلافات،و من هنا نشأت الحاجه الماسّه إلی تعالیم الأنبیاء و هدایتهم.

المرحله الرابعه:و تتمیّز ببعث اللّه تعالی الأنبیاء لإنقاذ الناس،حیث تقول الآیه فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِیِّینَ مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ .

فمع الالتفات إلی تبشیر الأنبیاء و إنذارهم یتوجّه الإنسان إلی المبدأ و المعاد و یشعر أنّ وراءه جزاء علی أعماله فیحس أنّ مصیره مرتبط مباشره بتعالیم الأنبیاء و ما ورد فی الکتب السّماویّه من الأحکام و القوانین الإلهیّه لحل التناقضات و النّزاعات المختلفه بین أفراد البشر،لذلک تقول الآیه وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْکِتابَ بِالْحَقِّ لِیَحْکُمَ بَیْنَ النّاسِ فِیمَا اخْتَلَفُوا فِیهِ .

المرحله الخامسه:هی التمسّک بتعالیم الأنبیاء و ما ورد فی کتبهم السماویّه لإطفاء نار الخلافات و النزاعات المتنوعه(الاختلافات الفکریّه و العقائدیّه

و الاجتماعيّه و الأخلاقيّه).

المرحله السادسه:و استمر الوضع على هذا الحال حتّى نفذت فيهم الوساوس الشيطانيّه و تحرّكت فى أنفسهم الأهواء النفسانيّه،فأخذت طائفه منهم بتفسير تعليمات الأنبياء و الكتب السماويّه بشكل خاطئ و تطبيقها على مرادهم،و بذلك رفعوا علم الاختلاف مرّه ثانيه.و لكن هذا الاختلاف يختلف عن الاختلاف السابق،لأنّ الأوّل كان ناشئا عن الجهل و عدم الاطّلاع حيث زال و انتهى ببعث الأنبياء و نزول الكتب السماويّه،فى حين أنّ منبع الاختلافات الثانيه هو العناد و الانحراف عن الحقّ مع سبق الإصرار و العلم،و بكلمه:(البغى)،و بهذا تقول الآيه بعد ذلك وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ .

المرحله السابعه:الآيه الكريمه بعد ذلك تقسّم الناس إلى قسمين،القسم الأوّل المؤمنون الّذين ينتهجون طريق الحقّ و الهدايه و يتغلّبون على كلّ الاختلافات بالاستناره بالكتب السماويّه و تعليم الأنبياء،فتقول الآيه: فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ فى حين أنّ الفاسقين و المعاندين ماكثون فى الضلاله و الاختلاف.

و ختام الآيه تقول وَ اللّهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و هذه الفقره إشاره إلى حقيقه ارتباط مشيئه اللّه تعالى بأعمال الأفراد،فجميع الأفراد الرّاغبون فى الوصول إلى الحقيقه يهديهم اللّه تعالى إلى صراط مستقيم و يزيد فى وعيهم و هدايتهم و توفيقهم فى الخلاص من الاختلافات و المشاجرات الدنيويّه مع الكفّار و أهل الدنيا و يرزقهم السكينه و الاطمئنان،و يبيّن لهم طريق النجاه و الاستقامه.

بحوث

اشاره

۱–الدين و المجتمع

يستفاد من الآيه أعلاه ضمنيا أنّ الدين و المجتمع البشرى حقيقتان لا تقبلان الانفصال،فلا يمكن لمجتمع أن يحيى حياه سليمه دون دين و إيمان بالله و بالآخره،و ليس بمقدور القوانين الأرضيّه أن تحلّ الاختلافات و التناقضات الاجتماعيّه لعدم ارتباطها بدائره إيمان الفرد و افتقارها التأثير على أعماق وجود الإنسان،فلا يمكنها حل الاختلافات و التناقضات فى حياه البشر بشكل كامل، و هذه الحقيقه أثبتتها بوضوح أحداث عالمنا المعاصر،فالعالم المسمّى بالمتطوّر قد ارتكب من الجرائم البشعه ما لم نر له نظيرا حتّى فى المجتمعات المتخلّفه.

و بذلك يتّضح منطق الإسلام فى عدم فصل الدّين عن السّياسه و أنه بمعنى تدبير المجتمع الإسلامى.

۲–بدايه التشريع

و يتّضح من الآيه أيضا أنّ بدايه انبثاق الدين بمعناه الحقيقى كانت مقترنه مع ظهور المجتمع البشرى بمعناه الحقيقى،من هنا نفهم سبب كون نوح أوّل أنبياء اولوا العزم و أوّل أصحاب الشريعه و الرساله لا آدم.

۳–الشرق الأوسط مهد الأديان الكبرى

و من الآيه محل البحث نفهم الجواب على السؤال عن سبب ظهور الأديان الإلهيّه الكبرى فى منطقه الشرق الأوسط(الدين الإسلامى و المسيحى و اليهودى و دين إبراهيم و...)لأنّ التاريخ يشهد على أنّ مهد الحضارات البشريّه كانت فى هذه المنطقه من العالم و انتشرت منها إلى المناطق الاخرى،و مع الالتفات إلى

الرابطه الشديـده بين الـدين و الحضاره و حاجه المجتمعات المتحضّـره إلى الدين من أجل حل الاختلافات و التناقضات الهدّامه يتّضح أنّ الدين لا بدّ أن يتحقّق فی هذه المنطقه بالذّات.

و عنـد ما نری أنّ الإسـلام انطلق من محيط جاهلی متخلّف كمجتمع مكّه و مدينه فی تلك الأيّام،فذلك بسـبب أنّ هذه المنطقه تقع علی مفترق طرق عـدّه حضارات عظيمه فی ذلک الزّمان،ففی الشـمال الشـرقی من جزيره العرب كانت الحضاره الفارسيّه و بقيّه من حضـاره بابـل،و إلی الشـمال كانت حضاره الرّوم،و فی الشّـمال الغربی كانت حضاره مصـر القـديمه بينما كانت حضاره اليمن فی الجنوب.

و فی الحقيقه أنّ مركز ظهور الإسـلام فی ذلـك الزمـان كـان بمثـابه مركز الـدّائره الّتی تحيـط بهـا الحضـارات المهمّه فی ذلك الزمان(فتأمّل بالدّقه).

۴-حلّ الاختلافات من أهم أهداف الدّين

هناک عـدّه أهـداف للأديان الإلهيّه،منها تهـذيب النّفوس البشـريّه و إيصالها إلی المقام القرب الإلهی،و لكن من أهمّ الأهـداف أيضـا هو رفع الاختلافات،لأنّ هناك بعض العوامل من قبيل القوميّه و الرّس و اللّغه و المناطق الجغرافيه دائما تكون عوامل تفرقه بين المجتمعات البشـريّه، و الأمر الّـذی بإمكانه أن يوحّـد هذه الحلقات المختلفه و يكون بمثابه حلقه اتّصال بين أفراد البشـر من مختلف القوميّات و الأـلوان و اللّغات و المناطق الجغرافيه هو الـدّين الإلهی،حيث بإمكانه أن يهـدم جميع هـذه السـدود،و يزيل تمام هذه الحدود،و يجمع البشريّه تحت رايه واحده بحيث نری نموذجا من ذلک فی مناسک الحجّ العباديّه و السياسيّه.

و عنـد مـا نری أنّ بعض الأديـان و المـذاهب هی السـبب فی الاختلاف و النّزاع بين طوائف البشـر،لأنّها قـد خالطتها الخرافات و اقترنت بالتّعصب الأعمی،و إلّا

فإنّ الأديان الإلهيّه لو لم تتعرّض للتحريف لكانت سببا للوحده فی كلّ مكان.

۵-الدّليل على عصمه الأنبياء

يذكر(العلّامه الطباطبائی)فی الميزان بعد أن يقسّم عصمه الأنبياء إلی ثلاثه أقسام:

۱-العصمه من الخطأ عند نزول الوحی و استلامه، ۲-العصمه من الخطأ فی تبليغ الرساله، ۳-العصمه من الذنب و ما يؤدّی إلی هتك حرمه العبوديّه للّه.يقول:إنّ الآيه مورد البحث دليل على عصمه الأنبياء من الخطأ فی تلّقی الوحی و تبليغ الرّساله، لأنّ الهدف من بعثتهم هو البشاره و الإنذار للنّاس و بيان العقيده الحقّه فی الإعتقاد و العمل،و بذلك يمكنهم هدايه النّاس عن هذا الطريق،و من الواضح أنّ هذا الهدف لا يتحقّق بدون العصمه فی تلقّی الوحی و تبليغ الرّساله.

القسم الثالث من العصمه يمكن استفادته من هذه الآيه أيضا،لأنّه لو صدر خطأ فی تبليغ الرّساله لكان بنفسه عاملا على الاختلاف،و لو حصل تضاد بين أعمال و أقوال الأنبياء الإلهيّين بارتكابهم الذنب فيكون أيضا عاملا و سببا للاختلاف،و بهذا فإنّ الآيه أعلاه يمكن أن تكون إشاره إلی عصمه الأنبياء فی جميع الأقسام الثلاثه المذكوره (۱) .

۱- ۱) -اقتباس من تفسير الميزان،ج ۲،ص ۱۳۴،فی ذيل الآيه(۲۱۳)من سوره البقره.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۱۴]

اشاره

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا اَلْجَنَّهَ وَ لَمّا یَأْتِکُمْ مَثَلُ اَلَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ مَسَّتْهُمُ اَلْبَأْساءُ وَ اَلضَّرّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتّی یَقُولَ اَلرَّسُولُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اَللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اَللّهِ قَرِیبٌ (۲۱۴)

سبب النّزول

قال بعض المفسّرین:إنّ الآیه نزلت عند ما حوصر المسلمون و اشتدّ الخوف و الفزع بهم فی غزوه الأحزاب،فجاءت الآیه لتثبّت علی قلوبهم و تعدهم بالنصر.

و قیل:إنّ عبد اللّه بن أبی قال للمسلمین عند فشلهم فی غزوه أحد:إلی متی تتعرّضون للقتل و لو کان محمّد نبیّا لما واجهتم الأسر و التقتیل،فنزلت الآیه (۱) .

التّفسیر

اشاره

الصعاب و المشاقّ سنّه إلهیه:

یبدو من الآیه الکریمه أنّ جماعه من المسلمین کانت تری أنّ إظهار الإیمان باللّه وحده کاف لدخولهم الجنّه،و لذلک لم یوطنوا أنفسهم علی تحمّل الصعاب

ص:۹۴

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱،ص ۳۰۸.

و المشاقّ ظانّين أنه سبحانه هو الكفيل بإصلاح أمورهم و دفع شرّ الأعداء عنهم.

الآيه تردّ على هذا الفهم الخاطئ و تشير إلى سنّه إلهيه دائمه فى الحياه،هى أنّ المؤمنين ينبغى أن يعدّوا أنفسهم لمواجهه المشاقّ و التحدّيات على طريق الإيمان ليكون ذلك اختبارا لصدق إيمانهم،و مثل هذا الاختبار قانون عامّ سرى على كلّ الأمم السابقه.

و يتحدّث القرآن الكريم عن بنى إسرائيل-مثلا-و ما واجهوه من مصاعب بعد خروجهم من مصر و نجاتهم من التسلّط الفرعونى،خاصّه حين حوصروا بين البحر و جيش فرعون،فقد مرّوا بلحظات عصيبه فقد فيها بعضهم نفسه،لكن لطف اللّه شملهم فى تلك اللحظات و نصرهم على أعدائهم.

و هذا الذى عرضه القرآن عن بنى إسرائيل عامّ لكلّ اَلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ و هو سنّه إلهيّه تستهدف تكامل الجماعه المؤمنه و تربيتها.فكلّ الأمم ينبغى أن تمرّ فى أفران الأحداث القاسيه لتخلص من الشوائب كما يخلص الحديد فى الفرن ليتحوّل إلى فولاذ أكثر مقاومه و أصلب عودا.ثمّ ليتبيّن من خلال هذا الاختبار من هو اللائق،و ليسقط غير اللائق و يخرج من الساحه الاجتماعيه.

المسأله الأخرى التى ينبغى التأكيد عليها فى تفسير هذه الآيه:أنّ الجماعه المؤمنه و على رأسها النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم ترفع صوتها حين تهجم عليها الشدائد بالقول مَتىٰ نَصْرُ اللّهِ ؟!،و واضح أنّ هذا التعبير ليس اعتراضا على المشيئه الإلهيه،بل هو نوع من الطلب و الدعاء.

فتقول الآيه أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمّٰا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسٰاءُ وَ الضَّرّٰاءُ... .

و بما أنّهم كانوا فى غايه الاستقامه و الصبر مقابل تلك الحوادث و المصائب، و كانوا فى غايه التوكّل و تفويض الأمر إلى اللّطف الإلهى،فلذلك تعقّب الآيه أَلاٰ إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ .

(بأساء)من مادّه(بأس)و كما يقول صاحب معجم مقاييس اللّغه أنّها فى

الأصل تعنی الشّده و أمثالها،و تطلق علی کلّ نوع من العذاب و المشّقه،و یطلق علی الأشخاص الشّجعان الّذین یخوضون الحرب بضراوه و شدّه(بأیس)أو(ذو البأس).

و کلمه(ضرّاء)کما یقول الرّاغب فی مفرداته هی النقطه المقابله للسرّاء،و هی ما یسرّ الإنسان و یجلب له النفع،فعلی هذا الأساس تعنی کلمه ضرّاء کلّ ضرر یصیب الإنسان،سواء فی المال أو العرض أو النفس و أمثال ذلک.

جمله مَتیٰ نَصْرُ اللّهِ قیلت من قبل النبی و المؤمنین حینما کانوا فی منتهی الشّده و المحنه،و واضح أنّ هذا التعبیر لیس اعتراضا علی المشیئه الإلهیّه،بل هو نوع من الطلّب و الدعاء،و لذلک تبعته البشاره بالإمداد الإلهی.

و ما ذکره بعض المفسرین من احتمال أن تکون جمله(متی نصر اللّه)قیلت من طرف جماعه من المؤمنین،و جمله(ألا إنّ نصر اللّه قریب)قیلت من قبل النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم بعید جدّا.

و علی ایّه حال،فإنّ الآیه أعلاه تحکی أحد السنن الالهیّه فی الأقوام البشریّه جمیعا،و تنذر المؤمنین فی جمیع الأزمنه و الأعصار أنّهم ینبغی علیهم لنیل النّصر و التوفیق و المواهب الاخرویّه أن یتقبّلوا الصّعوبات و المشاکل و یبذلوا التضحیات فی هذا السبیل،و فی الحقیقه إنّ هذه المشاکل و الصّعوبات ما هی إلاّ إمتحان و تربیه للمؤمنین و لتمییز المؤمن الحقیقی عن المتظاهر بالإیمان.

و عباره اَلَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ تقول للمسلمین:أنّکم لستم الوحیدین فی هذا الطریق الّذین ابتلیتم بالمصائب من قبل الأعداء،بل أنّ الأقوام السّالفه ابتلوا أیضا بهذه الشدائد و المصائب إلی درجه أنّهم مسّتهم البأساء و الضرّاء حتّی استغاثوا منها.

و أساسا فإنّ رمز التکامل للبشریّه أن یحاط الأفراد و المجتمعات فی دائره البلاء و الشّدائد حتّی یکونوا کالفولاد الخالص و تتفتّح قابلیّاتهم الداخلیّه و ملکاتهم النفسانیّه و یشتد إیمانهم باللّه تعالی،و یتمیّز کذلک المؤمنون و الصّابرون

عن الأشخاص الانتهازيّين،و نختتم هذا الكلام بالحديث النبوى الشريف:

يقول (الخبّاب ابن الأرت) الّذى كان من المجاهدين فى صدر الإسلام:قال قلنا يا رسول اللّه ألا تستنصر لنا ألا تدعو اللّه لنا.

فقال صلى اللّه عليه و آله و سلّم:«إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه و يمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه و عظمه لا يصرفه ذلك عن دينه؛ ثمّ قال:و اللّه ليتمن هذا الأمر حتّى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاّ اللّه و الذئب على غنمه و كلّكم يستعجلون» (1) .

1- 1) -الدر المنثور:ج 1 ص 243،تفسير الكبير:ج 6 ص 20.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۱۵]

اشاره

یَسْئَلُونَکَ مٰا ذٰا یُنْفِقُونَ قُلْ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَیْرٍ فَلِلْوٰالِدَیْنِ وَ اَلْأَقْرَبِینَ وَ اَلْیَتٰامیٰ وَ اَلْمَسٰاکِینِ وَ اِبْنِ اَلسَّبِیلِ وَ مٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اَللّٰهَ بِهِ عَلِیمٌ (۲۱۵)

سبب النّزول

(عمرو بن الجموح)شیخ ثریّ سأل رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم عمّا ینفق و لمن یعطی؟ فنزلت الآیه (۱) .

التّفسیر

یتعرّض القرآن الکریم فی آیات عدیده إلی الإنفاق و البذل فی سبیل اللّه، و حثّ المسلمین بطرق عدیده علی الإنفاق و الأخذ بید الضعفاء،و هذه الآیه تتناول مسأله الإنفاق من جانب آخر،فثمه سائل عن نوع المال الذی ینفقه،و لذلک جاء تعبیر الآیه بهذا الشکل یَسْئَلُونَکَ مٰا ذٰا یُنْفِقُونَ .

ص: ۹۸

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ ص ۳۰۹،کذلک تفسیر روح المعانی:ج ۲ ص ۹۱،و التفسیر الکبیر:ج ص ۲۳۲.

و فی الجواب بیّنت الآیه نوع الإنفاق،ثمّ تطرّقت أیضا إلی الأشخاص المستحقّین للنفقه،و سبب نزول الآیه کما مرّ یبیّن أنّ السؤال اتّجه إلی معرفه نوع الإنفاق و مستحقّیه.

بشأن المسأله الاولی:ذکرت الآیه کلمه«خیر»لتبیّن بشکل جامع شامل ما ینبغی أن ینفقه الإنسان،و هو کلّ عمل و رأسمال و موضوع یشتمل علی الخیر و الفائده للناس،و بذلک یشمل کلّ رأسمال مادّی و معنوی مفید.

و بالنسبه للمسأله الثانیه:-أی موارد الإنفاق-فتذکر الآیه أولا الأقربین و تخصّ الوالدین بالذکر،ثم الیتامی ثم المساکین،ثم أبناء السبیل،و من الواضح أنّ الإنفاق للأقربین-إضافه إلی ما یترکه من آثار تترتّب علی کلّ إنفاق-یوطّد عری القرابه بین الأفراد.

وَ مٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِیمٌ

.

لعلّ فی هذه العباره من الآیه إشاره إلی أنّه یحسن بالمنفقین أن لا یصرّوا علی اطّلاع الناس علی أعمالهم،و من الأفضل أن یسرّوا إنفاقهم تأکیدا لإخلاصهم فی العمل،لأنّ الذی یجازی علی الإحسان علیم بکلّ شیء،و لا یضیع عنده سبحانه عمل عامل من البشر.

بحث

اشاره

التجانس فی السؤال و الجواب:

ذهب البعض إلی أنّ مورد السؤال فی هذه الآیه عن الأشیاء التی یجب الإنفاق منها،و لکنّ الجواب کان عن مصارف هذه النفقات و الصّدقات،أی الأشخاص المستحقّین لها،و ذلک بسبب أنّ معرفه موارد الصّرف أهم و أولی،

و لكنّ هـذا الفهم من الآـيه اشـتباه محض،لأـنّ القرآن الكريم أجـاب عن سؤالهم و كـذلك بيّن موارد الإنفـاق،و هـذا من فنون الفصاحه و البلاغه بحيث يجيب على السؤال و يضيف عليه بيان مسأله مهمّه ضروريّه.

و على أيّ حـال فـإنّ جمله مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ تبيّن أنّ الإنفـاق أمر جميـل و حسن فى كـلّ موضوع و من كلّ شـىء و يسـتوعب جميع الأمور الحسنه سواء كانت فى الأموال أو الخدمات أو الموضوعات الماديّه أو المعنويّه.

ثمّ أنّ كلمه(خير)ذكرت بصوره مطلقه أيضـا،و تـدلّ على أنّ المـال و الثروه ليست شـيئا مـذموما بـذاته،بل هى من أفضل وسائل الخير بشرط الاستفاده السليمه و الصحيحه منها.

و كـذلك فـإنّ التعبير بكلمه(خير)يمكن أن يكون إشـاره إلى أنّ الإنفـاق يجب أن يكون خاليـا من كـلّ أذى و منّه بالنسـبه إلى الأشخاص المعوزين حتّى يمكن أن يطلق عليه كلمه(خير)بشكل مطلق.

الآيه [سوره البقره (٢): آيه ٢١٦]

اشاره

كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلْقِتٰالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اَللّٰهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (٢١۶)

التّفسير

اشاره

التضحيه بالنفس و المال:

الآيه السابقه تناولت مسأله الإنفاق بالأموال،و هذه الآيه تدور حول التضحيه بالدم و النفس فى سبيل اللّه،فالآيتان يقترن موضوعهما فى ميدان التضحيه و الفداء،فتقول الآيه كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتٰالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ .

التعبير بكلمه(كتب)إشاره إلى حتميّه هذا الأمر الإلهى و مقطوعيّته.

(كره)و إن كان مصدرا،إلاّ أنّه استعمل هنا باسم المفعول يعنى مكروه،فالمراد من هذه الجمله أنّ الحرب مع الأعداء فى سبيل اللّه أمر مكروه و شديد على الناس العاديّين،لأنّ الحرب تقترن بتلف الأموال و النفوس و أنواع المشقّات و المصائب، و أمّا بالنّسبه لعشّاق الشّهاده فى سبيل الحقّ و من له قدم راسخ فى المعركه

ص:١٠١

فالحرب مع أعداء الحقّ بمثابه الشراب العذب للعطشان،و لا شكّ فی أنّ حساب هؤلاء يختلف عن سائر الناس و خاصّه فی بدايه الإسلام.

ثمّ تشير هذه الآيه الكريمه إلی مبدأ أساس حاكم فی القوانين التكوينيّه و التشريعيّه الإلهيّه و تقول: وَ عَسیٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ .

و علی العكس من تجنّب الحرب و طلب العافيه و هو الأمر المحبوب لكم ظاهرا،إلاّ أنّه وَ عَسیٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ .

ثمّ تضيف الآيه و فی الختام وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ فهنا يؤكّد الخالق جلّ و علا بشكل حاسم أنّه لا ينبغی لأفراد البشر أن يحكّموا أذواقهم و معارفهم فی الأمور المتعلّقه بمصيرهم،لأنّ علمهم محدود من كلّ جانب و معلوماتهم بالنّسبه إلی مجهولاتهم كقطره فی مقابل البحر،و كما أنّ الناس لم يدركوا شيئا من أسرار الخلقه فی القوانين التكوينيّه الإلهيّه،فتاره يهملون شيئا و لا يعيرونه اهتماما فی حين أنّ أهميّته و فوائده فی تقدّم العلوم كبيره،و هكذا بالنسبه إلی القوانين التشريعيّه فالإنسان لا يعلم بكثير من المصالح و المفاسد فيها،و قد يكره شيئا فی حين أنّ سعادته تكون فيه،أو أنّه يفرح لشیء و يطلبه فی حين أنّه يستبطن شقاوته.

فهؤلاء النّاس لا يحقّ لهم مع الالتفات إلی علمهم المحدود أن يتعرضوا علی علم اللّه اللاّمحدود و يعترضوا علی أحكامه الإلهيّه،بل يجب أن يعلموا يقينا أنّ اللّه الرّحمن الرّحيم حينما يشرّع لهم الجهاد و الزكاه و الصوم و الحجّ فكلّ ذلك لما فيه خيرهم و صلاحهم.

ثمّ إنّ هذه الحقيقه تعمق فی الإنسان روح الانضباط و التسليم أمام القوانين الإلهيّه و تؤدی إلی توسعه آفاق إدراكه إلی أبعد من دائره محيطه المحدود و تربطه

بالعالم اللّامحدود يعنى علم اللّه تعالى.

بحوث

اشاره

۱-لماذا كان الجهاد مكروها

و هنا يمكن أن يطرح هذا السؤال و هو أنّ الجهاد الّذى هو أحد أركان الشّريعه المقدّسه و الأحكام الإلهيّه كيف أصبح مكروها فى طبع الإنسـان مع أنّنـا نعلم أنّ الأحكـام الإلهيّه امور فطريّه و تتوافق مع الفطره،فـالمفروض على الأمور المتوافقه مع الفطره أن تكون مقبوله و مطلوبه؟ فى الجواب عن هـذا السؤال يجب الالتفات إلى هـذه النقطه،و هى أنّ المسائل و الأمور الفطريّه تتناغم و توافـق مع طبع الإنسـان إذا اقـترنت بـالمعرفه،مثلا الإنسـان يطلب النّفع و يتجنّب الضـرر بفطرته،و لكنّ هـذا يتحقّق فى موارد أن يعرف الإنسـان مصـاديق النفـع و الضـرر و يتجنب الضـرر بالنّسـبه له،فلو اشـتبه عليه الأمر فى تشـخيص المصـداق و لم يميّز بين الموارد النافعه من الضّاره،فمن الواضح أنّ فطرته و نتيجه لهذا الاشتباه سوف تكره الأمر النافع،و العكس صحيح.

و فى مورد الجهاد نجد أنّ الأشـخاص السطحيّين لا يرون فيه سوى الضرب و الجرح و المصائب،و لهذا قد يكون مكروها لديهم و أمّا بالنسـبه إلى الأفراد الّـذين ينظرون إلى أبعد من هذا المدى المحدود فإنهم يعلمون أنّ شـرف الإنسان و عظمته و افتخاره و حريّته تكمن فى الإيثـار و الجهـاد،و بـذلك يرحبون بالجهـاد و يسـتقبلوه بفرح و شوق،كمـا هو الحـال فى الأشـخاص الّـذين لا يعرفون آثار الأدويه المرّه و المنفرّه،فهم فى أوّل الأمر يظهرون عدم رغبتهم فيها،إلّا أنّهم بعد أن يروا

تأثیرها الإیجابی فی سلامتهم و نجاتهم من المرض،فحین ذاک یتقبّلوا الدّواء برحابه صدر.

۲-القانون الکلّی

ما ورد فی الآیه الشریفه آنفا لا ینحصر بمسأله الجهاد و الحرب مع الأعداء، بل أن الآیه تکشف عن قانون کلّی و عام،و هو أنّ الآیه تجعل من جمیع الشدائد و المصاعب فی سبیل اللّه سهله و میسوره و لذیذه للإنسان بمقتضی قوله تعالی وَ اللّهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ .

فعلم اللّه تعالی و رحمته و لطفه لعباده یتجلّی فی کلّ أحکامه المقدّسه فیری ما فیه نجاتهم و سعادتهم،و علی هذا الأساس یستقبل المؤمنون هذه الأوامر و الأحکام الإلهیّه فیعتبروها کالأدویه الشافیه لهم و یطبّقونها بمنتهی الرضا و القبول.

ص: ۱۰۴

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۲۱۷ الی ۲۱۸]

اشاره

يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلشَّهْرِ اَلْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اَللّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اَللّهِ وَ اَلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ اَلْقَتْلِ وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اِسْتَطاعُوا وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَةِ وَ أُولئِكَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۱۷) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اَلَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اَللّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اَللّهِ وَ اَللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۱۸)

سبب النّزول

قيل إنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم بعث سريه (۱) من المسلمين و أمر عليهم عبد اللّه

۱- ۱) -السريه:هی الحرب الإسلاميه التی لم يشترک فيها رسول اللّه(ص)،و قيل إنّها مجموعه من الجيش تتكون من ۵ إلى ۳۰۰ رجل.

ابن جحش الأسدی-و هو ابن عمّه النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم-و ذلک قبل بدر بشهرین،علی رأس سبعه عشر شهرا من مقدم النبیّ المدینه،فانطلقوا حتّی هبطوا نخله-و هی أرض بین مکّه و الطائف-فوجدوا بها عمرو بن الحضرمیّ فی قافله تجاره لقریش فی آخر یوم من جمادی الآخره،و کانوا یرون أنه من جمادی و هو رجب -من الأشهر الحرم-فاختلف المسلمون أ یقتلون الحضرمیّ و یغنمون ماله،لعدم علمهم بحلول الشهر الحرام،أم یترکونه احتراما لحرمه شهر رجب،و انتهی بهم الأمر أن شدّوا علی الحضرمیّ فقتلوه و غنموا ماله،فبلغ ذلک کفّار قریش فطفقوا یعیّرون المسلمین و یقولون إنّ محمّدا أحلّ سفک الدماء فی الأشهر الحرم،فنزلت الآیه الاولی.

ثمّ نزلت الآیه الثانیه حین سأل عبد اللّه بن جحش و أصحابه عمّا إذا کانوا قد أدرکوا أجر المجاهدین فی انطلاقتهم أو لا (۱) ؟!

التّفسیر

اشاره

القتال فی الأشهر الحرم:

کما مرّ بنا فی سبب النّزول و یشیر إلی ذلک السیاق أیضا فإنّ الآیه الاولی تتصدّی للجواب عن الأسئله المرتبطه بالجهاد و الاستثنائات فی هذا الحکم الإلهی فتقول الآیه یَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرٰامِ قِتٰالٍ فِیهِ ثمّ تعلن الآیه حرمه القتال و أنّه من الکبائر قُلْ قِتٰالٌ فِیهِ کَبِیرٌ أی إثم کبیر.

و بهذا یمضی القرآن الکریم بجدیّه السنّه الحسنه الّتی کانت موجوده منذ قدیم الأزمان بین العرب الجاهلیّین بالنسبه إلی تحریم القتال فی الأشهر الحرم

(۱)

و السریه من«السری»أی الشیء النفیس،و إنّما سمّیت بذلک لأن أفرادها ممتازون. و قال المطرزی:السریه من«السری»و هو المشی لیلا،لأنّ هذه المجموعه کانت تستتر باللیل فی حرکتها، و ذهب إلی ذلک أیضا ابن حجر فی الملتقطات.

۱- ۱) -سیره ابن هشام:ج ۲ ص ۲۵۲.

(رجب،ذی القعده،ذی الحجّه،محرم).

ثمّ تضیف الآیه أنّ هذا القانون لا یخلوا من الاستثنائات،فلا ینبغی السّماح لبعض المجموعات الفاسده لاستغلال هذا القانون فی إشاعه الظلم و الفساد، فعلی الرّغم من أنّ الجهاد حرام فی هذه الأشهر الحرم،و لکنّ الصد عن سبیل اللّه و الکفر به و هتک المسجد الحرام و إخراج الساکنین فیه و أمثال ذلک أعظم إثما و جرما عند اللّه وَ صَدٌّ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ وَ کُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ وَ إِخْرٰاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَکْبَرُ عِنْدَ اللّٰهِ (۱) .

ثمّ تضیف الآیه بأنّ إیجاد الفتنه و السعی فی إضلال الناس و حرفهم عن سبیل اللّه و دینه أعظم من القتل وَ الْفِتْنَهُ أَکْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ لأنّ القتل ما هو إلاّ جنایه علی جسم الإنسان،و الفتنه جنایه علی روح الإنسان و إیمانه (۲) ،ثمّ إنّ الآیه تحذّر المسلمین أن لا یقعوا تحت تأثیر الإعلان الجاهلی للمشرکین،لأنّهم لا یقنعون منکم إلاّ بترککم لدینکم إن استطاعوا وَ لاٰ یَزٰالُونَ یُقٰاتِلُونَکُمْ حَتّٰی یَرُدُّوکُمْ عَنْ دِینِکُمْ إِنِ اسْتَطٰاعُوا .

فینبغی علی هذا الأساس أن تقفوا أمامهم بجزم و قوّه و لا تعتنوا بوسوساتهم و أراجیفهم حول الأشهر الحرم،ثمّ تنذر الآیه المسلمین و تحذّرهم من الارتداد عن دین اللّه وَ مَنْ یَرْتَدِدْ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَیَمُتْ وَ هُوَ کٰافِرٌ فَأُولٰئِکَ حَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ فِی الدُّنْیٰا وَ الْآخِرَهِ وَ أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ .

فما أشدّ عقاب المرتد عن الإسلام،لأنّ ذلک یبطل کلّما قدّمه الفرد من عمل صالح و یستحق بذلک العذاب الإلهی الأبدی.

و من الواضح أنّ الأعمال الصّالحه لها آثار طیّبه فی الدنیا و الآخره،

۱- ۱) -«صدّ»مبتدأ،«کفر»و«إخراج أهله»معطوف علیه،و«اکبر»خبرها و هو ما ذهب إلیه الطبرسی فی«مجمع البیان»و القرطبی فی تفسیر«الجامع».

۲- ۲) -قدمنا بحثا مفصلا عن معنی«الفتنه»فی ذیل الآیه(۱۹۱)من هذه السوره المبحوثه.

و المرتـدّون سـوف يحرمون من هـذه البركـات بسـبب ارتـدادهم،مضافـا إلى محو جميع معطيـات الإيمـان الـدنيويّه للفرد حيث تنفصل عنه زوجته و تنتقل أمواله إلى ورثته فور ارتداده.

الآيه التاليه تشير إلى النقطه المقابله لهذه الطائفه،و هم المؤمنون المجاهدون و تقول: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

أجل،فهذه الطائفه الّتى يتحلّى أفرادها بهذه الصّيفات الثلاث المهمّه(الإيمان و الهجره و الجهاد)قد يرتكبون خطأ بسبب جهلهم و عـدم اطّلاعهم(كما صـدر ذلك من عبد اللّه بن جحش الوارد فى سـبب النزول)إلاّ أنّ اللّه تعالى يغفر لهم زلّتهم بلطفه و رحمته .(۱)

بحث

اشاره

الإحباط و التكفير:

(حبـط)فى الأصـل كما يقول الراغب فى مفرداته بمعنى أنّ الحيوان قـد يأكل كثيرا حتّى تنتفـخ بطنه،و بما أنّ هـذه الحاله تؤدّى إلى فساد الغـذاء و عـدم تأثيره الإيجابى فى الحيوان اسـتعملت هـذه الكلمه بمعنى البطلان و ذهاب الأثر،و لذلك ورد فى معجم مقـاييس اللّغه أنّ معنى هـذه الكلمه هو البطلان،و من ذلك ما ورد فى آيه(۱۶)من سوره هود حيث أوردت هـذه الكلمه مساوقه للبطلان أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَهِ إِلاَّ النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ .

۱- ۱) -أشـرنا إلى معنى«المرتد الفطرى و الحلى»فى ذيل الآيه(۱۰۶)من سوره النحل،و سيأتى الكلام عنه فى ذيل الآيه(۸۹)من سوره آل عمران من هذا المجلد.

و أمّا(الإحباط)فكما يقول علماء العقائد و المتكلّمون أنّها تعنى إبطال ثواب الأعمال السابقه بسبب ارتكاب الذنوب اللّاحقه،و يقابله«التكفير»بمعنى زوال العقوبات و آثار الذنوب السابقه بسبب الأعمال الصالحه بعد ذلك.

و هناك بحث بين علماء العقائد فى صحّه الإحباط و التكفير بالنّسبه لثواب الأعمال الصالحه و عقوباتها و عقاب الأعمال الطالحه و المشهور بين المتكلّمين الإماميّه كما يقول العلاّمه المجلسى هو بطلان الإحباط و التكفير،غايه الأمر إنهم يرون أنّ تحقق الثواب مشروط أن يستمر الإنسان على إيمانه فى الدنيا إلى النهايه،و العقاب مشروط كذلك بأن يرحل من هذه الدنيا بدون توبه،و لكنّ العلماء المعتزله يعتقدون بصحّه الإحباط و التفكير بالنّظر إلى ظواهر بعض الآيات و الروايات (1) .

و يرى الخواجه نصر الدين الطوسى فى كتاب(تجريد العقائد)بطلان القول بالإحباط،و استدلّ على ذلك بالدليل العقلى و النقلى،أما الدليل العقلى فهو أنّ الإحباط نوع من الظلم(لأنّ الشخص الّذى قلّت حسناته و كثرت ذنوبه سيكون بعد الإحباط بمنزله من لم يأت بعمل حسن إطلاقا و هذا نوع من الظلم بحقّه)،و أمّا الدليل النقلى فالقرآن يصرّح فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (2) (3) .

بعض علماء المعتزله مثل(أبو هاشم)ذهب إلى اقتران الإحباط و التكفير بشكل متوازن،بهذا المعنى أنّه جمع بين العقاب و الثواب فى ميزان واحد و بعد حدوث الكسر و الانكسار بينهما يتمّ الحصول على النتيجه النهايه.

و لكنّ الحقّ هو أنّ الإحباط و التكفير من الأمور الممكنه،و لا تستلزم الظلم

1- 1) -بحار الأنوار:ج 5 ص 332.

2- 2) -الزلزله:7 و 8.

3- 3) -تجريد العقائد:ص 327.

مطلقا،و تدل على ذلک الآيات و الرّوايات الصّريحه،و الظاهر أنّ ما ذهب إليه المنكرون هو نوع من الالتباس اللّفظى.

و توضيح ذلک:تاره يعمل الإنسان سنوات طويله بمشّقه كبيره و ينفق رأس مال كثير،و لكنّه قد يخسر كلّ تلک الأفعال بخطإ بسيط،فهذا يعنى أنّ حسناته السابقه قد أحبطت،و على العكس من ذلک فيما لو كان قد خسر كثيرا فى السابق لارتكابه بعض الأخطاء و الحماقات،و لكنّه يجبر ذلک بعمل عقلائىّ واحد،فهذا نوع من أنواع التكفير(التكفير نوع من أنواع التغطيه و الجبران)و كذلک يصدق هذا الأصل فى المسائل المعنويه أيضا.

ص:١١٠

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۲۱۹ الی ۲۲۰]

اشاره

یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلْخَمْرِ وَ اَلْمَیْسِرِ قُلْ فِیهِمٰا إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنٰافِعُ لِلنّٰاسِ وَ إِثْمُهُمٰا أَکْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمٰا وَ یَسْئَلُونَکَ مٰا ذٰا یُنْفِقُونَ قُلِ اَلْعَفْوَ کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اَللّٰهُ لَکُمُ اَلْآیٰاتِ لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُونَ (۲۱۹) فِی اَلدُّنْیٰا وَ اَلْآخِرَهِ وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلْیَتٰامیٰ قُلْ إِصْلاٰحٌ لَهُمْ خَیْرٌ وَ إِنْ تُخٰالِطُوهُمْ فَإِخْوٰانُکُمْ وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ اَلْمُفْسِدَ مِنَ اَلْمُصْلِحِ وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ لَأَعْنَتَکُمْ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۲۲۰)

سبب النّزول

قیل فی سبب نزول الآیه الاولی أنّ جماعه سألوا رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم عن حکم الخمر الّذی یذهب بالعقل،و المیسر الّذی یبدّل المال،فنزلت الآیه.

و عن سبب نزول الآیه الثانیه فقد ورد فی تفسیر القمّی عن إمام الصادق علیه السّلام و فی مجمع البیان عن ابن عباس أنّه لمّا نزلت الآیه وَ لاٰ تَقْرَبُوا مٰالَ الْیَتِیمِ إِلاّٰ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ (۱) و الآیه إِنَّ الَّذِینَ یَأْکُلُونَ أَمْوٰالَ الْیَتٰامیٰ ظُلْماً إِنَّمٰا یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ نٰاراً وَ سَیَصْلَوْنَ سَعِیراً

۱- ۱) -الإسراء:۳۴.

(۱)

تخلّی النـاس عن الیتـامی،و عمـد بعضـهم علی إخراج الیتیم من بیته،و أولئـک الّـذین احتفظوا بهم فی بیوتهم عزلوا طعامهم عن طعام الیتیم،و جعلوا لا یجالسونهم علی مائـده واحـده و لا یسـتفیدون ممّا بقی من طعامهم،بل یحتفظون به له لوجبات اخری،فإن فسـد یلقونه،کلّ ذلک لیتخلّصوا من أکل مال الیتامی،و اشـتدّ ذلک علی الیتامی و علی من یرعاهم،فجاءوا إلی رسول اللّه صـلی اللّه علیه و آله و سلّم یخبرونه بذلک،فنزلت الآیه.

التّفسیر

اشاره

الجواب علی أربعه أسئله:

الآیه الاولی تجیب عن سؤالین حول الخمر و القمار یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ .

(الخمر)فی اللّغه بقول الرّاغب بمعنی الغطاء و کلّ ما یخفی شـیئا وراءه هو (خمار)بالرّغم من أنّ الخمار یسـتعمل فی الاصـطلاح لغطاء الرّأس بالنسبه للمرأه.

و فی معجم مقاییس اللّغه ورد أنّ الأصل فی کلمه(الخمر)هو الدلاله علی التغطیه و الاختلاط الخفی و قیل للخمر خمر،لأنّه سبب السکر الّذی یغطی علی عقل الإنسان و یسلبه قدره التمییز بین الحسنه و القبیح.

أمّا فی الاصـطلاح الشـرعی فیأتی(الخمر)بمعنی کلّ مایع مسکر،سواء أخذ من العنب أو الزبیب أو التمر أو شیء آخر،بالرّغم من أنّ الوارد فی اللّغه أسماء مختلفه لکلّ واحد من أنواع المشروبات الکحولیّه.

(المیسر)من مادّه(الیسر)و إنّما سمّی بذلک لأنّ المقامر یستهدف الحصول علی ثروه بیسر و دون عناء.

ثمّ تقول الآیه فی الجواب قُلْ فِیهِما إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ وَ إِثْمُهُما أَکْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما .

۱- ۱) -النساء:۱۰.

و مع الالتفات إلى أنّ المجتمع الجاهلى كان غارقا فى الخمر و القمار،و لذلك جاء الحكم بتحريمهما بشكل تدريجى و على مراحل،كما نرى من اللّين و المداراه و الأسلوب الهادىء فى لحن الآيه إنّما هو بسبب ما ذكرناه.

فى هذه الآيه وردت مقايسه بين منافع الخمر و الميسر و أضرارهما و أثبتت أنّ ضررهما و إثمهما أكثر من المنافع،و لا شكّ أنّ هناك منافع ماديّه للخمر و القمار أحيانا يحصل عليها الفرد عن طريق بيع الخمر أو مزاوله القمار،أى تلك المنفعه الخياليّه الّتى تحصل من السكر و تخدير العقل و الغفله عن الهموم و الغموم و الأحزان،الاّ أنّ هذه المنافع ضئيله جدّا بالنسبه إلى الأضرار الأخلاقيّه و الاجتماعيّه و الصحيّه الكثيره المترتّبه على هذين الفعلين.

و بناء على ذلك،فكلّ إنسان عاقل لا يقدم على الإضرار بنفسه كثيرا من أجل نفع ضئيل.

(الإثم)كما ورد فى معجم مقاييس اللّغه أنّه فى الأصل بمعنى البطء و التأخّر،و بما أنّ الذنوب تؤخّر الإنسان عن نيل الدّرجات و الخيرات،و لذلك أطلقت هذه الكلمه عليها،بل أنّه ورد فى بعض الآيات القرآنيه هذا المعنى بالذّات من كلمه الإثم مثل وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّهُ بِالْإِثْمِ (1) أى أنّ الغرور و المقامات الموهومه تؤخّره عن الوصول إلى التّقوى.

و على كلّ حال،فالمراد من الإثم هو كلّ عمل و شىء يؤثّر تأثيرا سلبيّا فى روح و عقل الإنسان و يعيقه عن الوصول إلى الكمالات و الخيرات،فعلى هذا يكون وجود(الإثم الكبير)فى الخمر و القمار دليل على التأثير السلبى لهما فى وصول الإنسان إلى التقوى و الكمالات المعنويّه و الإنسانيّه الّتى سوف يأتى شرحها.

السؤال الثالث المذكور فى الآيه محلّ البحث هو السؤال عن الإنفاق فتقول الآيه وَ يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ .

١- ١) -البقره:٢٠٦.

ورد فی تفسیر«الدّر المنثور»فی شأن نزول هذه العباره من الآیه عن ابن عبّاس أنّ المسلمین سألوا الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم عند نزول آیات الحثّ علی الإنفاق:ماذا ینفقون؟أ ینفقون کلّ أموالهم أم بعضها؟فنزلت الآیه لتأمر برعایه(العفو) (۱) .

و لکن ما المراد من«العفو»فی الآیه؟ (العفو)فی الأصل-کما یقول الرّاغب فی المفردات-بمعنی القصد إلی أخذ شیء،أو بمعنی الشیء الّذی یؤخذ بسهوله،و بما أنّ هذا المعنی واسع جدّا و یطلق علی مصادیق مختلفه منها:المغفره و الصفح و إزاله الأثر الحد الوسط بین شیئین.

المقدار الإضافی لشیء.و أفضل جزء من الثروه.فالظاهر أنّ المعنی الأوّل و الثانی لا یتناسب مع مفهوم الآیه،و المراد هو أحد المعانی الثلاثه المتأخّره،یعنی رعایه الحد الوسط فی الإنفاق،أو إنفاق المقدار الزائد عن الحاجه،أو إنفاق القسم الجیّد للأموال و عدم بذل الحصّه الرخیصه و العدیمه النفع من المال.

و هذا المعنی وارد أیضا فی الروایات الإسلامیّه فی تفسیر هذه الآیه،

و قد ورد عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال: العفو الوسط

(۲)

(أی أنّ المراد من العفو فی الآیه أعلاه هو الحد الوسط).

و ورد فی تفسیر علی بن إبراهیم (لا إقتار و لا إسراف)

(۳)

.

و

فی مجمع البیان عن الإمام الباقر علیه السّلام (العفو ما فضل عن قوت السّنه) (۴) .

و یحتمل أیضا أن یکون العفو فی الآیه(و إن لم أجده فی کلمات المفسّرین) هو المعنی الأوّل،أی الصفح عن أخطاء الآخرین،و بذلک یکون معنی الآیه الکریمه:أنفقوا الصفح و المغفره فهو أفضل الإنفاق.

و لا یبعد هذا الاحتمال لو أخذنا بنظر الاعتبار أوضاع شبه جزیره العربیّه

۱- ۱) -الدر المنثور:ج ۱ ص ۲۵۳.

۲- ۲،۳) -نور الثقلين:ج ۱ ص ۲۱۰.

۳- ۴) -مجمع البيان:ج ۱ ص ۳۱۶.

۴-

عامّه و خاصّه مكّه و المـدينه محل نزول القرآن من حيث هيمنه روح التنافر و العـداء و الحقـد بين الناس،و خاصّه أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سـلّم هو النموذج الكامل لهذا المعنى،كما أعلن العفو العامّ عن مشـركى مكّه الّذين هم أشدّ الناس عداوه للإسـلام و المسـلمين،و الجواب بهـذا المعنى لا يتنافى مع سؤالهم بشأن الإنفاق المالى،لأنّهم قـد يسألون عن موضوع كان ينبغى أن يسألوا عن أهم منه،و القرآن يسـتثمر فرصه سؤالهم المعبّر عن اسـتعدادهم للسّماع و القبول ليجيبهم بما هو أهم و ألزم،و هذا من شؤون الفصـاحه و البلاغه حيث يترك سؤالهم ليتناول موضوعا أهم.و لا يوجـد تعارض بين هـذه التفاسـير،فيمكن أن تكون مراده بأجمعها من مفهوم الآيه.

و أخيرا يقول تعالى فى ختام الآيه: كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ .

و يذكر بدون فصل فى الآيه التاليه المحور الأصلى للتفكّر و يقول فِي الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهِ .

أجـل،يجب أن تكون جميع نشاطـات الإنسـان المـاديّه و المعنويه فى الحياه مشـفوعه بالفكر و التـدبّر، و يتّضـح من هـذه العباره أمران:

الأوّل:إنّ الإنسـان إضـافه إلى وجوب التسـليم أمـام أوامر اللّه يجب أن يطيع هـذه الأوامر عن تفكّر و تعقّل لا عن اتّباع أعمى،و بعبـاره اخرى على الإنسـان المؤمن أن يعى أسـرار الأحكـام و روحهـا ليس فقـط فى مجـال تحريم الخمر و القمـار،بل فى جميع المجالات و لو إجمالا.

و لا يعنى هـذا الكلام أنّ إطـاعه الأحكام الإلهيّه مشـروطه بإدراك فلسـفتها و حكمتها،بل المراد أنّ الإنسان يجب عليه بموازاه الطّاعه العمليّه أن يسعى إلى فهم أسرار و روح الأحكام الإلهيّه.

الثانى:إنّ على الإنسان أن لا يحصر تفكيره فى عالم المادّه وحده أو عالم

المعنى وحده،بل عليه أن يفكّر فى الإثنين معا،لأنّ الدنيا و الآخره مرتبطتان و كلّ خلل فى أحدهما يخلّ بالآخر،و أساسا لا يمكن أن يؤدى أحدهما إلى رسم صوره صحيحه عن الواقعيّات فى هذا العالم،لأنّ كلّا منهما هو قسم من هذا العالم، فالدنيا هى القسم الأصغر و الآخره القسم الأعظم،فمن حصر فكره فى أحدهما فإنّه لا يمتلك تفكيرا سليما عن العالم.

ثمّ تذكر الآيه السؤال الرابع و جوابه و تقول: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ (۱) .

و على هذا الأساس فالقرآن يوصى المسلمين بعدم إهمال اليتامى،فإنّ الإعراض عن تحمّل مسئوليتهم و تركهم و شأنهم أمر مذموم، فالأفضل أن يتقبّلوا المسؤوليّه و يصلحوا أمر اليتامى و إن اختلطت معيشتهم بمعيشتكم فعاملوهم معامله الأخ لأخيه،فلا حرج فى الاختلاط الأموال إذا كان الدافع هو الإصلاح.

ثمّ تضيف الآيه وَ اللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ أجل،إنّ اللّه مطلّع على نيّاتكم و يعلم من يقصد السوء بالاستفاده من أموال اليتامى ليحيف عليهم و من هو مخلص لهم.

و الفقره الأخيره من الآيه تؤكّد بأنّ اللّه تعالى قادر على أن يضيّق و يشدّد عليكم برعايه اليتامى مع فصل أموالهم عن أموالكم،لكنّ اللّه لا يفعل ذلك أبدا، لأنّه عزيز و حكيم،و لا داعى لأن يضيّق على عباده وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲) .

۱- ۱) -جمله شرطيه،فيها محذوف و تقديره«لا بأس به»أو«فلكم ذلك».

۲- ۲) -«اعنتكم»من ماده«عنت»و فى الأصل بمعنى الوقوع فى أمر مخوف،و على قول مقاييس اللغه أنه يعنى كلّ أمر شاق.و عباره«فإخوانكم»بمثابه الدليل على ذلك.

بحوث

اشاره

۱-الترابط ببين الأحكام الأربعه

رأينا أنّ الآيتين أعلاه ذكرتا أربعه مسائل عن الخمر و القمار و الإنفاق و الأيتام مع أجوبتها،و يمكن أن يكون ذكر هـذه الأسئله و الأجوبه الأربعه مع بعضها لأنّ الناس كانوا مبتلين بهذه المسائل واقعا،و لذلك كانوا يسألون الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم هذه الأسئله تباعا(مع الالتفات إلى أنّ يسألونک فعل مضارع و يدلّ على الاستمرار).

و يحتمل أنّ هذه المسائل ترتبط مع بعضها باشتراكها فى الأمور الماليّه فالخمر و القمار هما سبب لتلف الأموال و الإنفاق على العكس من ذلک سبب لنماء الأموال،و أمّا مسئوليّه اليتامى فيمكن أن تكون مفيده أو مخرّبه.

و الآخر أنّ:الإنفاق له جنبه عموميّه شامله و جنبه اخرويّه،و الخمر و القمار لهما طابع شخصى و مادّى مخرّب و إصلاح أمر اليتامى له جنبتين عموميّه و خصوصيّه،و بهذا الترتيب يكون مصداق للتفكّر فى الدنيا و الآخره،و من هنا يتّضح الارتباط الوثيق بين الخمر و القمار،لأنّ كلّا منهما يؤدّى إلى تلف الأموال و فساد المجتمع و انتشار الأمراض البدنيّه و الروحيّه.

۲-أضرار المشروبات الكحوليه

ألف:أثر الكحول فى العمر ذكر أحد علماء الغرب المشهورين أنه لو كان عدد الوفيات بين الشباب المدمنين البالغه أعمارهم بين ۲۱ إلى ۲۳ سنه يصل إلى ۵۱ شابّا،فإنّ عدد الوفيات من غير المدمنين فى تلک الأعمار لا يبلغ ۱۰ أشخاص.

و قال عالم مشهور آخر:الشباب فى سنّ العشرين الذين يتوقّع أن تطول

ص: ۱۱۷

أعمارهم إلى خمسين عاما،لا يعمّرون بسبب معاقره الخمره أكثر من خمسه و ثلاثين عاما.

التجارب التى أجرتها شركات التأمين على الحياه أثبتت أنّ أعمار المدمنين على الكحول أقلّ من أعمار غيرهم بنسبه ۲۵-۳۰ بالمائه.

و تذكر إحصائيات أخرى أنّ معدّل أعمار المدمنين على الكحول يبلغ حوالى ۳۵-۵۰ سنه،بينما معدّل العمر الاعتيادى مع رعايه القواعد الصحيه يبلغ ستين عاما فصاعدا.

ب:أثر الكحول على النسل ۳۵ بالمائه من عوارض الإدمان الحادّه تنتقل إلى الوليد إذا كان أبوه-حين انعقاد النطفه-سكرانا،و إن كان الوالدان سكرانين فتر تفع نسبه هذه العوارض إلى مائه فى المائه. و هذه إحصائيات تبيّن آثار الإدمان على الجنين:

الأطفال الذين ولدوا قبل موعد ولادتهم الطبيعى:من أبوين مدمنين ۴۵ بالمائه.و من أمّ مدمنه ۳۱ بالمائه.و من أب مدمن ۱۷ بالمائه.

الأطفال الذين ولدوا و هم لا يحملون مقوّمات استمرار الحياه:من أب مدمن ۶ بالمائه،و من أمّ مدمنه ۴۵ بالمائه.

الأطفال الذين لا يتمتّعون بطول طبيعى:من والدين مدمنين ۷۵ بالمائه،و من أمّ مدمنه ۴۵ بالمائه.

و أخيرا الأطفال الذين يفتقدون القوّه العقليه و الروحيه الكافيه:من أمّهات مدمنات ۷۵ بالمائه،و من آباء مدمنين ۷۵ بالمائه أيضا.

ج:أثر الكحول فى الأخلاق العاطفه العائليه فى الشخص المدمن تضعف،و يقلّ انشداده بزوجته و أبنائه، حتّى يحدث أن يقدم المدمن على قتل أبنائه بيده.

د:أضرار الكحول الاجتماعيه حسب الاحصائيّه التى نشرها معهد الطب القانونى فى مدينه(نيون)عام ۱۹۶۱،كانت الجرائم الاجتماعيه للمدمنين على النحو التالى:

القتله: ۵۰ بالمائه،المعتدون بالضرب و الجرح بين المدمنين:۸،۷۷ بالمائه، السرقات بين المدمنين:۵،۸۸ بالمائه،الجرائم الجنسيه المرتبطه بالمدمنين:

۸،۸۸ بالمائه.هذه الإحصائيات تشير إلى أنّ الأكثريه الساحقه من الجرائم ترتكب فى حاله السكر.

ه:الأضرار الاقتصاديه للمشروبات الكحوليّه أحد علماء النفس المشهورين يقول:من المؤسف أنّ الحكومات تحسب ما تدر عليها المشروبات الكحوليه من ضرائب،و لا تحسب الميزانيه الضخمه التى تنفق لترميم مفاسد هذه المشروبات.فلو حسبت الحكومات الأضرار الناتجه من المشروبات الكحوليه،مثل زياده الأمراض الروحيه،و إهدار الوقت و الاصطدامات الناتجه عن السكر،و فساد الجيل،و انتشار روح التقاعس و التحلّل،و التخلّف الثقافى،و المشاكل التى تواجه رجال الشرطه و دور الحضانه المخصّصه لرعايه أبناء المخمورين،و ما تحتاجه جرائم المخمورين من مستشفيات و أجهزه قضائيّه و سجون، و غيرها من الخسائر و الأضرار الناتجه عن تعاطى الخمور،و قارنت هذه الخسائر بما تحصل عليه من ضرائب على هذه المشروبات لوجدت أنّ الأرباح تكاد تكون تافهه أمام الخسائر،هذا إضافه إلى أنّ الخسائر المؤسفه الناتجه عن المشروبات الكحوليه لا يمكن حسابها بالدولار، لأنّ موت الأعزّاء و تشتّت العوائل و تبدّد الآمال و فقدان الأدمغه المفكّره لا يمكن حسابه بالمال.

أضرار المشروبات الكحوليه فظيعه للغايه،حتّى أنّ أحد العلماء قال:لو أنّ

الحكومه ضمنت لی غلق حانات الخمور لضمنت لها غلق نصف المستشفیات و دور المجانین.

ممّا تقدّم یتّضح بجلاء معنی الآیه الکریمه بشأن الخمر،فلو کان فی الخمره فائده تجاریه،و لو کان السکران یحسب لحظات غفلته عن عمومه أثناء السکر فائده له،فإنّ الأضرار التی تترتب علیها أکثر بکثیر و أوسع دائره و أبعد مدی من فوائدها،حتّی لا یمکن المقارنه بین الاثنین.

۳-آثار القمار المشؤومه أضرار القمار لا تخفی علی أحد،و لمزید من التوضیح نذکر باختصار جانبا من المآسی المترتّبه علی هذه الظاهره الخطره:

الف:القمار أکبر عوامل الهیاج و الانفعال یجمع علماء النفس علی أنّ الهیاج هو النفسی هو العامل الأساسی فی کثیر من الأمراض،مثل:نقص الفیتامینات،و قرحه المعده،و الجنون،و الأمراض العصبیه و النفسیه الخفیفه و الحادّه.و القمار أکبر عامل علی إثاره الهیاج،حتّی أنّ عالما أمریکیا یقول:فی أمریکا یموت ألفا شخص سنویا نتیجه هیاج القمار، و قلب لاعب البوکر«نوع من القمار»تزید عدد ضرباته علی مائه ضربه فی الدقیقه،و قد یؤدّی القمار إلی سکته قلبیّه و دماغیّه أیضا،و من المؤکّد أنّه یدفع إلی شیخوخه مبکّره.

إضافه إلی ما سبق فإنّ المقامر-کما یقول العلماء-یصاب بتوتّر روحی،بل أنّ جمیع أجهزه جسمه تصاب بحاله استثنائیّه،کأن یزداد ضربان القلب و تزداد نسبه السکّر فی الدم،و یختلّ ترشّح الغدد الداخلیه،و یشحب لون الوجه،و تقلّ الشهیه،و یمرّ المقامر بعد اللعب بفتره حرب أعصاب و حاله أزمه نفسیه،و قد یلجأ

إلی الخمور و المخدّرات لتهدئه أعصابه،فیزید فی الطین بلّه و تتضاعف بذلک أضرار القمار.

و یقول عالم آخر:المقامر إنسان مریض یحتاج إلی إشراف مریض یحتاج إلی إشراف نفسی مستمر، و یجب تفهیمه بأنّ الفراغ الروحی هو الذی یدفعه لهذا العمل الشنیع،کی یتّجه لمعالجه نفسه.

ب:علاقه القمار بالجرائم إحدی مؤسسات الإحصاء الکبری ذکرت:أنّ ۳۰ بالمائه من الجرائم ناتجه مباشره عن القمار،و ۷۰ بالمائه من الجرائم ناتجه بشکل غیر مباشر عن القمار أیضا.

ج:الأضرار الاقتصادیه للقمار الملایین بل الملیارات من ثروات الأفراد تبدّد سنویات علی هذا الطریق، إضافه إلی المقدار الهائل من الوقت و من الطاقات الإنسانیه.

و جاء فی أحد التقاریر:فی مدینه«مونت مونت کارلو»حیث توجد أکبر دور القمار فی العالم،خسر شخص خلال مدّه ۱۹ ساعه من اللعب المستمر أربعه ملایین دولار،و حین أغلقت دار القمار اتّجه مباشره إلی الغابه،و انتحر بإطلاق رصاصه علی رأسه،و یضیف التقریر: أنّ غابات«مونت کارلو»تشهد باستمرار انتحار مثل هؤلاء الخاسرین.

د:الأضرار الاجتماعیه للقمار القمار یصدّ أصحابه عن التفکیر بالعمل الجادّ الإنتاجی المثمر فی الحقل الاقتصادی،و یشدّهم دائما إلی أمل الحصول علی ثروه طائله بدون عناء عن طریق القمار،و هذا یؤدّی إلی إهدار الطاقات الإنتاجیه لهؤلاء المقامرین و بالتالی إلی ضعف الإنتاج علی قدر نسبتهم.

ص:۱۲۱

المقـامرون و عوائلهم يعيشون عـاده حياه طفيليه فی الجانب الاقتصادی و لا ينتجون،بل يجنون ثمار الآخرين،و قـد يضـطرّون فی حالات الإفلاس إلی السرقه.

أضـرار القمـار فـادحه إلی درجه دفعت حتّی ببعض البلـدان غير الإسـلاميه إلی إعلان منعه،كما حـدث فی بريطانيا عام ۱۸۵۳،و أمريكا عام ۱۸۵۵،و الاتحاد السوفيتی عام ۱۸۵۴،و المانيا عام ۱۸۷۳.

و لا بأس أن نشير فی الخاتمه إلی إحصائيه أجراها بعض المحقّقين تذكر أنّ القمار وراء ۹۰ بالمائه من السرقات،و ۱۰ بالمائه من المفاسد الخلقيه،و ۴۰ بالمائه من الاعتـداءات بالضـرب و الجرح،و ۱۵ بالمائه من الجرائم الجنسـيه،و ۳۰ بالمـائه من الطلاق،و ۵ بالمائه من عمليات الانتحار.

لو أردنا أن نعرّف القمار تعريفا شاملا علينا أن نقول:إنّه إهدار للمال و الشرف،للحصول علی أموال الآخرين بالخدعه و التزوير،و للترويج عن النفس أحيانا،ثمّ عدم الحصول علی كلا الهدفين.

استعرضنا الأضرار الفادحه المترتّبه علی«الخمر و الميسر»،و تلزم الإشاره إلی مسأله أخری فی هذا المجال و هی سبب إشاره الآيه الكريمه إلی منافع الخمر و الميسر،عند ما تعرّضت إلی ذمّهما،بينما نعلم أن منافعهما تافهه بالنسبه إلی أضرارهما.

قد يكون السـبب هو أنّ سوق الخمره و القمار كانت رائجه فی الجاهليه مثل عصرنا هذا،و لو لم تشر الآيه إلی مسأله المنافع لظنّ ذووا الأفق الفكری الضيّق أنّ القرآن تناول المسأله من جانب واحد.

أضف إلی ما سبق أن أفكار الإنسان تدور عاده حول محور المنفعه و الضرر،

و تجب الاستفاده من هذا المنطق لإنقاذ الفرد من المفاسد الأخلاقيه الكبرى.

و الآيه تجيب ضمنيا على بعض أقوال الأطباء بشأن إمكان الاستفاده من المشروبات الكحوليه لمعالجه قسم من الأمراض،و تؤكّد أنّ الأضرار المترتّبه عليها أكبر بكثير من نفعها،أی إذا كان لها أثر إيجابی على الشفاء من مرض معيّن، فإنّها منشأ لأمراض خطره اخرى،و قد تكون هذه الحقيقه هی التی تشير إليها الروايات القائله:إن اللّه لم يجعل الشفاء فی الخمر.

۴-الاعتدال فی مسأله الإنفاق بالرغم من أنّ الإنفاق من أهم المسائل أكّد عليها الإسلام و القرآن الكريم إلّا أنّه لم يتركها بدون حساب لتؤدّی إلى الإفراط الشديد بحيث تشلّ حياه الإنسان، فالآيه محل البحث ناظره إلى هذا المعنى كما ذهب إليه بعض المفسّرون،و يمكن أن تكون إشاره إلى أنّ بعض الأشخاص يتذرّعون باحتياجاتهم الشخصيّه للتخلّص من هذا الحكم الإسلامی المهم،فالقرآن الكريم يقول:أنّكم تتمتّعون فی الحياه بالكثير من الأمور الزّائده عن الحاجه فعليكم بانتخاب مقدار منها و إنفاقه.

۵-التفكّر فی كلّ شیء جمله لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِی الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ عباره عن درس مهم للمسلمين فی أنّهم لا يخوضون فی جميع أمورهم الماديّه و المعنويّه بدون تفكّر و تدبّر حتّى تبين الآيات الإلهيّه إلى النّاس لبعث روح التفكّر و التدبّر فيهم،فما أسوأ حال الأشخاص الّذين لا يتفكّرون فی أمورهم و أعمالهم الدينيّه و لا فی أعمالهم الدنيويّه.

ص:۱۲۳

الآیه [سوره البقره (٢): آیه ٢٢١]

اشاره

وَ لاٰ تَنْکِحُوا اَلْمُشْرِکٰاتِ حَتّٰی یُؤْمِنَّ وَ لَأَمَهٌ مُؤْمِنَهٌ خَیْرٌ مِنْ مُشْرِکَهٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْکُمْ وَ لاٰ تُنْکِحُوا اَلْمُشْرِکِینَ حَتّٰی یُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَیْرٌ مِنْ مُشْرِکٍ وَ لَوْ أَعْجَبَکُمْ أُولٰئِکَ یَدْعُونَ إِلَی اَلنّٰارِ وَ اَللّٰهُ یَدْعُوا إِلَی اَلْجَنَّهِ وَ اَلْمَغْفِرَهِ بِإِذْنِهِ وَ یُبَیِّنُ آیٰاتِهِ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ (٢٢١)

سبب النّزول

نزلت فی«مرثد الغنوی»بعثه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم إلی مکّه لیخرج منها جماعه من المسلمین.و کان قویا شجاعا،فدعته امرأه یقال لها«عناق»إلی نفسها،فأبی و کانت صدیقته فی الجاهلیه،فقالت له:هل لک أن تتزوج بی؟فقال:حتّی استأذن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم، فلمّا رجع استأذن فی التزویج بها،فنزلت الآیه تنهی عن الزواج بالمشرکات حتی یؤمنّ.

التّفسیر

اشاره

حرمه الزواج مع المشرکین:

هذه الآیه و طبقا لسبب النزول المذکور أعلاه بمثابه جواب عن سؤال آخر

حول الزّواج مع المشركين فتقول وَ لاٰ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكٰاتِ حَتّٰى يُؤْمِنَّ ثمّ تضيف مقايسه وجدانيّه فتقول وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ .

فصحيح أنّ نكاح الجوارى و خاصّه الجوارى اللّاتى ليس لهنّ مال و لا جمال غير محبّب فى عرف النّاس و لا محمود لا سيّما إذا كانت هناك امرأه مشركه فى مقابل ذلك تتمتّع بجمال و ثروه ماديّه،و لكنّ قيمه الإيمان تجعل الكفّه تميل لصالح الجوارى،لأنّ الهدف من الزواج ليس هو اللّذه الجنسيّه فقط،فالمرأه شريكه عمر الإنسان و مربيّه لأطفاله و تشكّل قسما مهمّا من شخصيّته،فعلى هذا الأساس كيف يصحّ استقبال الشرك و عواقبه المشؤومه لاقترانه بجمال ظاهرى و مقدار من الأموال و الثروه.

ثمّ أنّ الآيه الشّريفه تقرّر حكما آخر و تقول وَ لاٰ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتّٰى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ .

و بهذا الترتيب منع الإسلام من زواج المرأه المؤمنه مع الرجل المشرك كما منع نكاح الرجل المؤمن من المرأه المشركه حتّى أنّ الآيه رجّحت العبد المؤمن أيضا على الرجال المشركين من أصحاب النفوذ و الثروه و الجمال الظاهرى،لأنّ هذا المورد أهم بكثير من المورد الأوّل و أكثر خطوره،فتأثير الزوج على الزوجه أكثر عاده من تأثير الزوجه على زوجها.

و فى ختام الآيه تذكر دليل هذا الحكم الإلهى لزياده التفكّر و التدبّر فى الأحكام و تقول أُولٰئِكَ -أى المشركين- يَدْعُونَ إِلَى النّٰارِ وَ اللّٰهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ثمّ تضيف الآيه وَ يُبَيِّنُ آيٰاتِهِ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ .

بحوث

اشاره

١-الحكمه فى تحريم نكاح المشركين

كما رأينا فى الآيه مورد البحث أنّها تبيّن الغرض و الحكمه من هذا التحريم

بجمله قصيره،و لو أنّنا توغّلنا فى المراد منها يتّضح:أنّ الزّواج هو الدّعامه الأساسيّه لتكثير النسل و تربيه أولاد و توسعه المجتمع و أنّ المحيط العائلى مؤثّر جدّا لتربيه الأولاد،هذا من جهه.

و من جهه اخرى التأثير الحتمى للوراثه على أخلاق الأولاد و سلوكهم، فالطّفل يتربّى فى أحضان الاسره منذ تولّده و ينمو و يترعرع تحت رعايه امّه و أبيه غالبا،و هذه المرحله هى المرحله الحسّاسه فى تكوين شخصيّه الطفل.

و من جهه ثالثه أنّ الشرك هو المصدر الأساس لأنواع الانحرافات،و فى الحقيقه هو النار المحرقه فى الدنيا و الآخره،و لذلك فالقرآن الكريم لا يبيح للمسلمين أن يلقوا بأولادهم فى هذا النّار.مضافا إلى أنّ المشركين الّذين هم بالحقيقه أجانب عن الإسلام و المجتمع الإسلامى سوف ينفذون إلى مفاصل المجتمع الإسلامى و بيوت المسلمين من هذا الطريق،فيؤدّى ذلك إلى تنامى قدره الأعداء فى الداخل و الفوضى السياسيّه و الاجتماعيّه فى أوساط المجتمع،و هذا الحال إنّما يكون فى ما لو أصرّ المشركون على شركهم،و لكنّ الباب مفتوح أمامهم فبإمكانهم اعتناق الإسلام و الانخراط فى صفوف المسلمين و بذلك يستطيعون الزواج من أكفّائهم المسلمين.

كلمه(النكاح)وردت فى اللّغه فتاره بمعنى المقاربه الجنسيّه،و اخرى بمعنى عقد الزّواج،و المراد هنا فى هذه الآيه هو الثانى،أى عقد الزّواج بالرّغم من أنّ الرّاغب فى المفردات يقول:(النكاح)فى الأصل بمعنى العقد،ثمّ استعمل مجازا فى العمليّه الجنسيّه.

۲-حقيقه المشركين

مفرده(المشرك)تطلق غالبا فى القرآن الكريم على من يعبد الأوثان،و لكنّ

بعض المفسرين ذهب إلى أنّ المشرک يشمل سائر الکفّار کاليهود و النّصاری و المجوس(و بشکل عام أهل الکتاب)أيضا،لأنّ کلّ واحده من هذه الطوائف يعتقد بوجود شريک للباری عزّ و جلّ،فالنّصاری يعتقدون بالتثليث،و المجوس يذهبون إلى الثنويّه و أنّ ربّ العالم هو مزدا و أهريمن،و اليهود يرون أنّ«عزير» ابن اللّه.

و لکن بالرّغم من أنّ هذه الإعتقادات الباطله موجبه للشّرک إلّا أنّ الآيات الشريفه الّتی تتحدّث عن المشرکين فی مقابل أهل الکتاب و مع الأخذ بنظر الإعتبار أنّ اليهود و النصاری و المجوس يرتکزون فی أساس ديانتهم على النبوّات الحقّه و الکتب السماويّه فيتّضح أنّ منظور القرآن الکريم من المشرک هو عبّاد الوثن.

و قد ورد فی الحديث النبوی المعروف فی ضمن وصايا متعدّده(أخرجوا المشرکين من جزيره العرب)و هو شاهد على هذا المدّعی،لأنّ من المسلّم أنّ أهل الکتاب لم يخرجوا من جزيره العرب،بل بقوا هناک يعيشون جنبا إلى جنب مع المسلمين بعنوان أقليه دينيّه،و يلتزمون بما أمر به القرآن الکريم من أداء الجزيه إلى المسلمين.

۳-هل نسخت هذه الآيه؟

ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ حکم الآيه أعلاه قد نسخ و الناسخ له الآيه الشريفه وَ الْمُحْصَنٰاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْکِتٰابَ (۱) حيث أجازت نکاح نساء أهل الکتاب.

و قد نشأ هذا التصور من الإعتقاد أنّ الآيه مورد البحث قد حرّمت الزواج مع

۱- ۱) -المائده:۵.

جمیع الکفّار،فعلی هذا تکون الآیه(۵)من سوره المائده الّتی أجازت الزواج من کفّار أهل الکتاب ناسخه لهذا الحکم(أو مخصّصه له)و لکن مع ملاحظه ما ذکرناه من تفسیر الآیه یتّضح أنّ نظر هذه الآیه خاص بالزّواج من المشرکین و عبّاد الأوثان لا کفّار أهل الکتاب کالیهود و النّصاری(و طبعا فی مورد الزواج من کفّار أهل الکتاب هناک قرائن فی الآیه و ما ورد من الأحادیث عن أهل البیت علیهم السّلام أنّ المراد هو الزّواج الموقّت).

۴-تشکیل العائله و الدّقّه فی الأمر

أشار بعض المفسّرین المعاصرین إلی نکته ظریفه فی هذه الآیه،و هی أنّ هذه الآیه و(۲۱)آیه اخری تأتی بعدها تبیّن الأحکام المتعلّقه بتشکیل الاسره فی أبعادها المختلفه،و فی هذه الآیات بیّن القرآن الکریم اثنی عشر حکما شرعیا:

۱-حکم الزواج مع المشرکین.۲-تحریم الاقتراب من الزوجه فی حال الحیض،۳-حکم القسم بعنوان مقدّمه للإیلاء(المراد من الإیلاء هو أن یقسم الإنسان أن لا یجامع زوجته)،۴-حکم الإیلاء و یتبعه حکم الطلاق،۵-عدّه المرأه المطلّقه،۶-عدد الطلقات، ۷-إبقاء الزّوجه بالمعروف أو ترکها بالمعروف، ۸-حکم الرّضاع،۹-عدّه المرأه المتوفّی زوجها(الأرمله)،۱۰-خطبه المرأه قبل تمام عدّتها،۱۱-مهر المرأه المطلّقه قبل الدّخول،۱۲-حکم الهدیّه للمرأه بعد وفاه زوجها أو طلاقها منه.

و هذه الأحکام مع مجمل الإرشادات الأخلاقیّه فی هذه الآیات تبیّن أنّ مسأله تشکیل الأسره هو نوع من العباده للّه تعالی و یجب أن یکون مقرونا بالتفکّر و التدبّر (۱) .

۱- ۱) -تفسیر فی ظلال القرآن:ج ۱ ص ۳۴۴-۳۴۶.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۲۲۲ الی ۲۲۳]

اشاره

وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا اَلنِّسٰاءَ فِی اَلْمَحِیضِ وَ لاٰ تَقْرَبُوهُنَّ حَتّٰی یَطْهُرْنَ فَإِذٰا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اَللّٰهُ إِنَّ اَللّٰهَ یُحِبُّ اَلتَّوّٰابِینَ وَ یُحِبُّ اَلْمُتَطَهِّرِینَ (۲۲۲) نِسٰاؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنّٰی شِئْتُمْ وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّکُمْ مُلاٰقُوهُ وَ بَشِّرِ اَلْمُؤْمِنِینَ (۲۲۳)

سبب النّزول

للنساء عاده شهریه تستمر بین ثلاثه إلی عشره أیام.و خلالها یخرج من رحم المرأه دم ذو أوصاف خاصّه مذکوره فی کتب الفقه.و المرأه فی هذه الحاله تکون حائضا،و موقف الدیانتین الیهودیه و النصرانیه الحالیتین من المرأه الحائض متناقض یثیر الاستغراب.

جمع من الیهود قالوا:إنّ معاشره المرأه الحائض حرام حتّی المجالسه علی مائده الطعام أو فی غرفه واحده.و یذهبون إلی حظر جلوس الرجل فی المکان الذی تجلس فیه الحائض،و إن فعل ذلک تنجّست ملابسه و علیه أن یغسلها،و إن

رقد معها على سرير واحد تنجّس بدنه و لباسه،فهم يعتبرون المرأه فى هذه الحاله موجودا مدنسا يلزم اجتنابه.

و مقابل هؤلاء يذهب النصارى إلى عدم التفريق بين حاله الحيض و الطهر فى المرأه،حتّى بالنسبه للجماع.

المشركون العرب،و خاصّه أهل المدينه منهم،كانوا متأثرين بالنظره اليهوديه،و يعاملون المرأه الحائض على أساسها،فينفصلون عنها خلال مدّه الحيض.و هذا الاختلاف فى المواقف و ما يصحبه من إفراط و تفريط دفع ببعض المسلمين لأن يسأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم عن ذلك،فنزلت الآيه.

التّفسير

اشاره

أحكام النساء فى العاده الشهريّه:

فى الآيه الأولى نلاحظ سؤال آخر عن العاده الشهريّه للنّساء،فتقول الآيه:

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً

و تضيف بلا فاصله فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتّى يَطْهُرْنَ... .

(المحيض)مصدر ميمى و يعنى العاده الشهريّه للنساء،و جاء فى معجم مقاييس اللّغه أنّ أصل هذه المفرده تعنى خروج سائل أحمر من شجره تدعى «سمره»(ثمّ استعملت للعاده الشهريّه للنساء)و لكن ورد فى تفسير«الفخر الرّازى»أنّ الحيض فى الأصل بمعنى السيل و لذلك يقال للسّيل عند حدوثه (حاض السّيل)و يقال للحوض هذه اللّفظه بسبب أنّ الماء يجرى إليه.

و لكن يستفاد من كلمات الرّاغب فى المفردات عكس هذا المطلب و أنّ هذه المفرده فى الأصل تعنى دم الحيض(ثمّ استعملت فى المعانى الاخرى).

فعلى كلّ حال فهذه العباره تعنى دم الحيض الّذى عرّفه القرآن بأنّه أذى،و فى

الحقیقه أنّ هذه العباره تبیّن علّه اجتناب الجماع فی أیّام الحیض،فهو إضافه إلی ما فیه من اشمئزاز،ینطوی علی أذی و ضرر ثبت لدی الطبّ الحدیث،و من ذلک احتمال تسبیب عقم الرجل و المرأه،و إیجاد محیط مناسب لتکاثر جراثیم الأمراض الجنسیه مثل السفلس و التهابات الأعضاء التناسلیه للرجل و المرأه، و دخول مواد الحیض الملیئه بمکروبات الجسم فی عضو الرجل،و غیر ذلک من الأضرار المذکوره فی کتب الطب،لذلک ینصح الأطباء باجتناب الجماع فی هذه الحاله.

خروج دم الحیض یعود إلی احتقان الرحم و تسلّخ جداره،و مع هذا الاحتقان یحتقن المبیض أیضا،و دم الحیض فی البدایه یکون متقطّعا باهت اللون ثمّ یزداد و یحمرّ و یعود فی الأخیر إلی وضعه المتقطّع الباهت (۱) .

الدم الخارج فی أیّام العاده الشهریه هو الدم الذی یتجمّع شهریا فی العروق الداخلیه للرحم من أجل تقدیم الغذاء للجنین المحتمل.ذلک لأنّ مبیض المرأه یدفع کلّ شهر ببویضه إلی الرحم،و فی نفس الوقت تمتلئ عروق الرحم بالدم استعداد لتغذیه الجنین فإن انعقد الجنین یستهلک الدم لتغذیته،و إلاّ یخرج بشکل دم حیض.من هنا نفهم جانبا آخر لحظر الجماع فی هذه الفتره التی یکون الرحم خلالها غیر مستعد استعداد طبیعیا لقبول نطفه الرجل،حیث یواجه أذی من جراء ذلک.

جمله(یطهرن)بمعنی طهاره النساء من دم الحیض کما ذهب إلیه کثیر من المفسّرین،و أمّا جمله فَإِذٰا تَطَهَّرْنَ فقد ذهب الکثیر منهم علی أنّها تعنی الغسل من الحیض،فعلی هذا الأساس و طبقا للجمله الاولی تکون المقاربه الجنسیّه بعد

۱- ۱) -مقتبس من إعجاز القرآن:ص ۵۵-۵۶.

انتهاء دم الحيض جائزه حتّى لو لم تغتسل،و أمّا الجمله الثانيّه فتعنى أنّها ما لم تغتسل فلا يجوز مقاربتها (1) .

و على هذا فالآيه لا تخلو من إبهام،و لكن مع الالتفات إلى أنّ الجمله الثانيه تفسير للجمله الاولى و نتيجه لها(و لهذا اعطفت بفاء التفريع)فالظاهر أنّ(تطهّرن) أيضا بمعنى الطهاره من دم الحيض،و بذلك تجوز المقاربه الجنسيّه بمجرّد الطّهاره من العاده الشهريّه،و هذا هو ما ذهب إليه الفقهاء العظام فى الفقه و أفتوا بحليّه المقاربه الجنسيّه بعد الطهاره من الحيض حتّى قبل الغسل،و لكن لا شكّ فى أنّ الأفضل أن تكون بعد الغسل.

الفقره الثانيه من الآيه تقول فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّٰهُ أى أن يكون الجماع من حيث أمر اللّه،و قد تكون هذه الفقره تأكيدا لما قبلها،أى آتوا نساءكم فى حاله النقاء و الطّهر فقط لا فى غير هذه الحاله،و قد يكون مفهومها أوسع بخصوص أنّ الجماع بعد الطّهر يجب أن يكون فى إطار أوامر اللّه أيضا.

هذا الأمر الإلهى من الممكن أن يشمل الأمر التكوينى و الأمر التشريعى معا، فاللّه سبحانه أودع فى الرّجل و المرأه الغريزه الجنسيّه لبقاء نوع الإنسان،و هذه الغريزه تدفع الإنسان للحصول على اللّذه الجنسيّه،لكنّ هذه اللّذه مقدّمه لبقاء النوع فقط،و من هنا لا يجوز الحصول عليها بطرق منحرفه مثل الاستمناء و اللّواط و أمثالهما،لأنّ هذا الطريق نوع من الانحراف عن الأمر التكوينى.

و كذلك يمكن أن يكون المراد هو الأمر التشريعى،يعنى أنّ الزوجه بعد طهارتها من العاده الشهريّه ينبغى عليها مراعاه جهات الحلال و الحرام فى الحكم الشرعى.

ص: ١٣٢

١- ١) -الجمله الثانيه مفهوم الشرط،و الأول مفهوم الغايه.

و ذهب البعض إلی أنّ مفهوم هذه الجمله هو حرمه المقاربه الجنسیّه مع الزّوجه عن غیر الطریق الطبیعی،و لکن مع الالتفات إلی أنّ الآیات السابقه لم تتحدّث عن هذا الأمر یکون هذا التفسیر غیر مناسب للسّیاق (۱) .

الآیه الثانیه إشاره لطیفه إلی الغایه النهائیّه من العملیّه الجنسیّه فتقول نِسٰاؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنّٰی شِئْتُمْ فی هذه الآیه الکریمه شبّهت النساء بالمزرعه،و قد یثقل هذا التشبیه علی بعض،و یتساءل لماذا شبّه اللّه نصف النوع البشری بهذا الشکل؟ و لو أمعنا النظر فی قوله سبحانه لوجدنا فیه إشاره رائعه لبیان ضروره وجود المرأه فی المجتمع الإنسانی.فالمرأه بموجب هذا التعبیر لیست وسیله لإطفاء الشهوه،بل وسیله لحفظ حیاه النوع البشری.

«الحرث»مصدر یدلّ علی عمل الزراعه،و قد یدلّ علی مکان الزراعه «المزرعه»و«أَنّٰی»من أسماء الشرط،و تکون غالبا زمانیه.و قد تکون مکانیه کما جاء فی قوله سبحانه: یٰا مَرْیَمُ أَنّٰی لَکِ هٰذٰا قٰالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ (۲) .

یستفاد من الآیه الکریمه-علی افتراض زمانیه أنّی-الرخصه فی زمان الجماع،أی جوازه فی کلّ ساعات اللیل و النهار،و علی افتراض مکانیه أنّی یستفاد من الآیه الرخصه فی مکان الجماع و محلّه و کیفیته.

وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ

هذا الأمر القرآنی یشیر إلی أنّ الهدف النهائی من الجماع لیس هو الاستمتاع باللذه الجنسیه،فالمؤمنون یجب أن یستثمروه علی طریق تربیه أبناء صالحین، و أن یقدّموا هذه الخدمه التربویه المقدّسه ذخیره لاخراهم.و بذلک یؤکّد القرآن

۱- ۱) -تأتی کلمه«حیث»بعنوان اسم مکان و اسم زمان،و لکن هنا تشیر إلی زمن جواز المقاربه الجنسیه أی زمن الطهر.

۲- ۲) -آل عمران:۳۷.

على رعايه الدقّه فى انتخاب الزوجه كى تكون ثمره الزواج إنجاب أبناء صالحين و تقديم هذه الذخيره الاجتماعيه الإنسانيه الكبرى.

و فى حديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم قال:

«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ عن ثلاث:صدقه جاريه،و علم ينتفع به، و ولد صالح يدعو له»

(۱)

.

و جاء فى الحديث عن الإمام الصادق عليه السّلام: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثلاث خصال:صدقه أجراها فى حياته فهى تجرى بعد موته و سنّه هدى سنّها فهى تعمل بها بعد موته و ولد صالح يستغفر له»

(۲)

.

و وردت بهذه المضمون روايات عديده أيضا،و قد جاء فى بعضها ستّه موارد أوّلها الولد الصالح (۳) .

و على هذا الأساس يأتى الولد الصالح من حيث الأهميّه إلى جانب الخدمات العلميّه و تأليف الكتب المفيده و تأسيس المراكز الخيريّه كالمسجد و المستشفى و المكتبه و أمثال ذلك.

و فى ختام هذه الآيه تأمر بالتقوى و تقول: وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاٰقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ .

لمّا كانت المقاربه الجنسيّه تعتبر من المسائل المهمّه و من أشد الغرائز إلحاحا على الإنسان،فإنّ اللّه تعالى يدعو فى هذا الآيه الإنسان إلى الدقّه فى أمر ممارسه هذه الغريزه و الحذر من الانحراف،و تنذر الجميع بأنّهم ملاقوا ربّهم و ليس لهم طريق للنّجاه سوى الإيمان و التقوى.

۱- ۱) -مجمع البيان:ج ۱ ص ۳۲۱.

۲- ۲) -بحار الأنوار:ج ۱ ص ۲۹۴ ح ۴.

۳- ۳) -المصدر نفسه ص ۲۹۳ ح ۱.

بحوث

اشاره

۱-الحكم الإسلامى العادل فى مسأله الحيض

هناك الاعتقادات مختلفه فى الأقوام السّالفه حول العاده الشهريّه للنّساء، فاليهود يشدّدون أمرها و يعزلون المرأه فى هذه الأيّام كليّا عن كلّ شىء:عن الأكل و الشرب عن المجالسه و المؤاكله و المضاجعه،و قد وردت فى التوراه الحاليّه أوامر متشدّده فى هذا الصّدد (۱) .

و على العكس من ذلك النّصارى حيث لا يلتزمون بأيّه محدوديّه فى هذه الأيّام،فلا فرق بين حاله الحيض و الطّهر لدى المرأه.المشركون العرب ليس لديهم حكما خاصّا فى هذا المجال،و لكنّ أهالى المدينه كانوا متأثّرين بآداب اليهود و عقائدهم فى معاشرتهم للنّساء أيّام الحيض فكانوا يتشدّدون مع المرأه فى هذه الأيّام،فى حين أنّ سائر العرب لم يكونوا كذلك،بل قد تكون المقاربه الجنسيّه محبّبه لديهم فيها،و يعتقدون أنّه لو حصل من تلك المقاربه ولد فإنّه سوف يكون فتّاكا و متعطّشا للدّماء،و هذه من الصّفات المتميّزه و المطلوبه لدى أعراب الباديه (۲) .

۲-اقتران الطهاره بالتوبه

إنّ اقتران الطهاره و التوبه فى الآيات أعلاه يمكن أن يكون إشاره إلى أنّ الطّهاره تتعلّق بالطّهاره الظاهريّه و التوبه إشاره إلى الطّهاره الباطنيّه.

۱- ۱) -ورد فى باب ۱۵ من سفر اللاويين من التوراه:«و إذا حاضت المرأه فسبعه أيّام تكون فى طمثها،و كلّ من يلمسها يكون نجسا إلى المساء،كل ما تنام عليه فى أثناء حيضها أو تجلس عليه يكون نجسا،و كلّ من يلمس فراشها يغسل ثيابه و يستحم بماء و يكون نجسا إلى المساء...»و أحكام اخرى من هذا القبيل.

۲- ۲) -مقتبس من تفسير الميزان:ج ۲ ص ۲۰۸ ذيل الآيه مورد البحث،كتاب أنيس الأعلام:ج ۲ ص ۱۰۶ و ۱۰۷،و كذلك شرح المبسوطى مع ذكر المصادر.

و یحتمل أیضا أنّ الطهاره هنا عدم التلوّث بالذنب،یعنی أنّ اللّه تعالی یحب من لم یتلوّث بالذنب،و کذلک یحب من تاب بعد تلوّثه.

و یمکن أن تشیر مسأله التوبه هنا إلی أنّ بعض الناس یصعب علیهم السیطره علی الغریزه الجنسیّه فیتلوّثون بالذّنب و الإثم خلافا لما أمر اللّه تعالی،ثمّ یعتریهم النّدم علی عملهم و یتألمون من ذلک،فاللّه سبحانه و تعالی فتح لهم طریق التوبه کیلا یصیبهم الیأس من رحمه اللّه (۱) .

۱- ۱) -تحدّثنا تفصیلا عن حقیقه«التوبه»و شرائطها فی المجلد الثالث فی ذیل الآیه(۱۷)من سوره النساء،و فی المجلد ۱۴ ذیل الآیه(۵)من سوره النور.

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ٢٢۴ الى ٢٢۵]

اشاره

وَ لاٰ تَجْعَلُوا اَللّٰهَ عُرْضَهً لِأَيْمٰانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ اَلنّٰاسِ وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢۴) لاٰ يُؤٰاخِذُكُمُ اَللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمٰانِكُمْ وَ لٰكِنْ يُؤٰاخِذُكُمْ بِمٰا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢۵)

سبب النّزول

حدث خلاف بين صهر أحد الصحابه و ابنته،و هذا الصحابى هو«عبد اللّه بن رواحه»حيث أقسم أن لا يتدخّل فى الإصلاح بين الزّوجين،فنزلت الآيه تنهى عن هذا اللّون من القسم و تلغى آثاره.

التّفسير

اشاره

لا ينبغى القسم حتّى الإمكان:

كما قرأنا فى سبب النّزول أنّ الآيتين أعلاه ناظرتان إلى سوء الاستفاده من القسم،فكانت هذه مقدّمه إلى الأبحاث التاليه فى الآيات الكريمه عن الإيلاء

ص: ١٣٧

و القسم و ترک المقاربه الجنسیّه.

فی الآیه الاولی یقول تعالی وَ لاٰ تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَهً لِأَیْمٰانِکُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَیْنَ النّٰاسِ وَ اللّٰهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۱) .

(الأیمان)جمع(یمین)و(عرضه)بضم العین،تقال للبضاعه و أمثالها التی تعرض أمام الناس فی السوق.و قد تطلق العرضه علی موانع الطریق لأنّها تعترض طریق الإنسان.

و ذهب البعض إلی أنّ المراد بها ما یشمل جمیع الأعمال،فالآیه تنهی عن القسم باللّه فی الأمور الصغیره و الکبیره و عن الاستخفاف باسمه سبحانه،و بهذا حذّرت الآیه من القسم إلاّ فی کبائر الأمور،و هذا ما أکّدت علیه الأحادیث الکثیره،

و قد روی عن الصادق علیه السّلام (لا تحلفوا باللّه صادقین و لا کاذبین فإنّ اللّه سبحانه یقول: وَ لاٰ تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَهً لِأَیْمٰانِکُمْ) . (۲)

و هناک أحادیث متعدّده وردت فی هذا المجال (۳) .

و لو أخذنا سبب نزول الآیه بنظر الإعتبار یکون مؤدّاها أنّ القسم لیس بعمل مطلوب فی الأعمال الصالحه،فکیف بالقسم بترک الأعمال الصالحه؟! و فی الآیه التالیه نلاحظ تکمله لهذا الموضوع و أنّ القسم لا ینبغی أن یکون مانعا من أعمال الخیر فتقول: لاٰ یُؤٰاخِذُکُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمٰانِکُمْ وَ لٰکِنْ یُؤٰاخِذُکُمْ بِمٰا کَسَبَتْ قُلُوبُکُمْ أی عن إراده و إختیار.

فی هذه الآیه یشیر اللّه تعالی إلی نوعین من القسم:

ص:۱۳۸

۱- ۱) -طبقا لهذا التفسیر«لا»مقدره و فی الأصل«لئلا تبرو»و هذا المعنی مطابق تماما لشأن النزول و یحتمل أیضا أن«عرضه»بمعنی المانع یعنی لا تجعلوا القسم باللّه مانعا لأداء الأعمال الصالحه و الإصلاح بین الناس «بتقدیر:لا تجعلوا اللّه بسبب ایمانکم حاجزا أن تبروا و تتقوا»و لکنّ التوجیه الأوّل أنسب.

۲- ۲) -الکافی حسب نقل تفسیر نور الثقلین:ج ۱ ص ۲۱۸ ح ۸۳۳،وسائل الشیعه:ج ۱۶ ص ۱۱۶ ح ۵.

۳- ۳) -راجع نفس المصدر:ح ۸۳۲ و ۸۳۴،وسائل الشیعه:ج ۱۶ ص ۱۱۵ و ما بعد.

الأوّل:القسم اللغو الذی لا أثر له،و لا یعبأ به،هذا النوع من القسم یتردّد علی ألسن بعض الناس دون التفات،و یکرّرونه فی کلامهم عن عاده لهم،فیقولون:لا و اللّه...بلی و اللّه...علی کلّ شیء،و إنّما سمّی لغوا لأنّه لا هدف له و لم یطلقه المتکلّم عن عزم و وعی،و کلّ عمل و کلام مثل هذا لغو.

من هنا فالقسم الصادر عن الإنسان حین الغضب لغو(إذا أخرجه الغضب تماما عن حالته الطبیعیه).و حسب الآیه أعلاه لا یؤاخذ الإنسان علی مثل هذا القسم،و علیه أن لا یرتّب أثرا علیه،و یجب الالتفات إلی أنّ الإنسان یجب أن یتربّی علی ترک مثل هذا القسم و علی کلّ حال فإن العمل بهذا القسم غیر واجب و لا کفّاره علیه،لأنه لم یکن عن عزم و إراده.

النوع الثانی:القسم الصادر عن إراده و عزم،أو بالتعبیر القرآنی هو القسم الداخل فی إطار کسب القلب،و مثل هذا القسم معتبر،و یجب الالتزام به،و مخالفته ذنب موجب للکفّاره إلاّ فی مواضع سنذکرها.و قد أشارت الآیه(۸۹)من سوره المائده إلی هذا النوع من القسم بقولها«ما عقدتم الایمان».

الأیمان غیر المعتبره:

الإسلام لا یحبّذ القسم کما أشرنا آنفا،لکنّه لیس بالعمل المحرّم،بل قد یکون مستحبّا أو واجبا تبعا لما تترتّب علیه من آثار.

و هناک أیمان لا قیمه لها و لا اعتبار فی نظر الإسلام،منها:

۱-القسم بغیر اسم اللّه و حتّی القسم باسم النبی و أئمّه الهدی علیهم السّلام مثل هذا القسم غیر المتضمّن اسم اللّه تعالی لا أثر له و لا یلزم العمل به و لا کفّاره علی مخالفته.

۲-القسم علی ارتکاب فعل محرّم أو مکروه أو ترک واجب أو مستحب،

حیث لا- یترتّب علیه شیء.کأن یقسم شخص علی عدم أداء دین،أو علی قطع رحم،أو علی فرار من جهاد،و أمثالها أو یترک إصلاح ذات البین مثلا کما نلاحظ ذلک لدی بعض الأشخاص الذین واجهوا بعض السلبیات من إصلاح ذات البین فأقسموا علی ترک هذا العمل.فإن أقسم علی شیء من ذلک فعلیه أن لا یعتنی بقسمه و لا کفّاره علیه،و قیل إنّ هذا هو معنی قوله تعالی: لاٰ یُؤٰاخِذُکُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمٰانِکُمْ .

أمّا الأیمان-التی تحمل اسم اللّه-علی أداء عمل صالح أو مباح علی الأقل، فیجب الالتزام به،و إلاّ وجبت علی صاحبه الکفّاره،و کفّارته کما ذکرته الآیه (۸۹)من سوره المائده،إطعام عشره مساکین،أو کسوتهم،أو تحریر رقبه.

ص: ۱۴۰

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ٢٢۶ الی ٢٢٧]

اشاره

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَهِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢۶) وَ إِنْ عَزَمُوا اَلطَّلاقَ فَإِنَّ اَللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)

التّفسير

اشاره

القضاء علی تقلید جاهلی:

القسم علی ترک وطء الزوجه أو الإیلاء (١) تقلید جاهلی کان شائعا بین العرب،و استمرّ معمولا به عند المسلمین الجدد قبل نزول حکم الطلاق.

کان الرجل فی الجاهلیه-حین یغضب علی زوجته-یقسم علی عدم وطئها، فیشدّد علیها بهذه الطریقه الفضّه،لا هو یطلق سراحها بالطلاق لتتزوج من رجل آخر،و لا یعود إلیها بعد هذا القسم لیصالحها و یعایشها.و طبعا لا یواجه الرجل غالبا صعوبه فی ذلک لأنه یتمتع بعده زوجات.

ص: ١۴١

١- ١) -کلمه«إیلاء»من ماده«الو»بمعنی القدره و العزم،و بما أن القسم نموذج من هذا المعنی و لذا اطلق علی الطلاق.

الآیه الکریمه وضعت لهذه القضیه حدّا،فذکرت أنّ الرجل یستطیع خلال مدّه أقصاها أربعه أشهر أن یتّخذ قرارا بشأن زوجته:إمّا أن یعود عن قسمه و یعیش معها،أو یطلّقها و یخلّی سبیلها.

لِلَّذِینَ یُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَهِ أَشْهُرٍ

.

و الغایه من الامهال أربعه أشهر هو إعطاء الفرصه للزوج لیفکر فی أمره مع زوجته و ینقذها من هذا الحال.ثمّ تضیف:

فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ

.

أی إن عادوا وجدوا اللّه غفورا رحیما،و العباره تدلّ أیضا أنّ العوده عن هذا القسم لیس ذنبا،بالرغم من ترتب الکفّاره علیه.

وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ

أی فلا مانع من ذلک مع توفّر الشروط اللازمه.

و فیما لو أهمل الزوج کلا الطریقین و لم یختر أحدهما،فلم یرجع إلی الحیاه الزوجیه السلیمه،و لم یطلّق.ففی هذه الصوره یتدخّل حاکم الشرع و یأمر بإلقاء الزوج فی السجن،و یشدد علیه حتّی یختار أحدهما،و ینقذ الزوجه من حالتها المعلّقه.

ینبغی التأکید هنا علی أنّ الإسلام،و إن لم یلغ حکم الإیلاء نهائیا،فقد أزال آثار هذه الظاهره،لأنّه لم یسمح للرجل أن ینفصل عن زوجته بالإیلاء.و تعیینه مدّه للذین یؤلون من نسائهم لا یعنی إلغاء حقّ من حقوق الزوجیّه،لأنّ حقّ المرأه علی زوجها-فی إطار الوجوب الشرعی-الوطء کلّ أربعه أشهر،هذا طبعا فی حاله عدم انجرار المرأه إلی الذنب علی أثر طول المدّه،و إلاّ یجب أن تقلّل المدّه إلی مقدار تأمین الحاجه الجنسیه و خاصّه بالنسبه للمرأه الشابّه التی یخشی انحرافها.

بحوث

اشاره

١-الإيلاء حكم استثنائى

تقدّم الحديث فى الآيات السّابقه عن القسم اللّغو،و قلنا أنّ كلّ قسم على فعل ما يخالف الشّريعه المقدّسه فهو من مصاديق اللّغو فى القسم،فلا إشكال من نقضه، و على ذلك فالقسم على ترك الواجبات الزوجيّه لا أثر له إطلاقا،فى حين أنّ الإسلام قد جعل له كفّاره (١) (و هى كفّاره نقض القسم و اليمين المذكوره فى الأبحاث السّابقه)و هذا فى الحقيقه عباره عن عقوبه لبعض الرجال الّذين يتوسّلون بهذه الذريعه لتضييع حقوق الزّوجه حتّى لا يقوموا بتكرار هذا العمل مرّه اخرى.

٢-الإيلاء فى حكم الإسلام و الغرب

فى اوروبا نلاحظ وجود ما يشبه الإيلاء و يطلقون عليه الانفصال البدني و توضيحه:أنه بما أن الطلاق كان محضورا فى الديانه المسيحيه لذا قام الغربيّين بعد الثوره الفرنسيّه الكبرى باستخدام ظاهره الانفصال الجسمى بين الزوجين باعتبارها إحدى سبل الطّلاق،و ذلك بأن يعيش الرجل فى مكان و المرأه فى مكان آخر عند عدم وجود الوفاق بينهما،و تبقى كلّ الحقوق الزوجيّه محفوظه سوى نفقه الرجل و تمكين المرأه،فالرجل لا يستطيع أن يتزوّج بامرأه اخرى و لا المرأه كذلك على أن لا تتجاوز مدّه الانفصال ثلاث سنوات يجب على الزوجين بعدها أن يعودا إلى حياتهم الزوجيّه (٢) ،فالبرّغم من أنّ القانون الغربى سمح للزّوجين أن ينفصلا فى ثلاث سنين،إلاّ أنّ الإسلام لم يسمح لهذا الانفصال أن

١- ١) -إذا جامع الرجل قبل الأربعه أشهر فإن الكفّاره واجبه عليه إجماعا و إذا جامع بعد الأربعه أشهر فإن هذا الحكم مشهور بين الفقهاء،رغم أن البعض أنكروا الكفّاره فى هذه الصوره.

٢- ٢) -حقوق المرأه فى الإسلام و أوروبا.

يستمر أكثر من أربعه أشهر و استمرار هذه المدّه جائز حتّى مع عدم القسم،و بعد هذه المدّه يجب على الرجل أن يعيّن أمره،فإذا أراد أن يماطل أكثر من هذه المدّه فإنّ الحكومه الإسلاميّه تستدعيه و ترغمه على اتّخاذ قراره النّهائی.

٣-الصّفات الإلهيّه فی ختام كلّ آيه

ممّا يلفت النّظر أنّ الكثير من آيات القرآن تختتم أبحاثها بصفات اللّه تعالى و هذه الصفات لها ارتباط مباشر بمحتوى الآيات دائما،و من جمله هذه الآيات ما نحن فيه،فعند ما كان الحديث عن الإيلاء و التصميم على نقض هذا القسم الممنوع تذكر الآيه بعدها جمله غَفُورٌ رَحِيمٌ و هی إشاره إلى أنّ هذا السلوك السليم سبب لغفران اللّه تعالى و شمول رحمته لهؤلاء الأشخاص،و عند ما كان الحديث يدور حول التصميم على الطّلاق كانت العباره سَمِيعٌ عَلِيمٌ يعنی أنّ اللّه تعالى يسمع كلامكما و مطّلع على دوافع الطّلاق و الفرقه و سوف يجازيكم وفقا لهذا العمل.

ص: ١۴۴

الآيه [سوره البقره (۲): آیه ۲۲۸]

اشاره

وَ اَلْمُطَلَّقٰاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاٰثَهَ قُرُوءٍ وَ لاٰ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مٰا خَلَقَ اَللّٰهُ فِى أَرْحٰامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذٰلِكَ إِنْ أَرٰادُوا إِصْلاٰحاً وَ لَهُنَّ مِثْلُ اَلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجٰالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَهٌ وَ اَللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲۲۸)

التّفسير

اشاره

حريم الزّواج أو العدّه:

كـان الكلام فى الآيه السّابقه عن الطّلاق،و هنا تـذكر الآيه بعض أحكام الطّلاق و ما يتعلّق به حيث ذكرت خمسه أحكام له فى هذه الآيه.

فى البدايه ذكرت الآيه عدّه الطّلاق وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاٰثَهَ قُرُوءٍ .

(قروء)جمع(قرء)تطلق على الحيض و على النقـاء منه،و يمكن الاسـتفاده من كلاـ هـذين المعنيين مفهومـا كليّا يجمع بينهما،و هو الانتقال من حاله إلى حاله

ص: ۱۴۵

اخری و یری«الرّاغب»فی المفردات أنّ «القرء»فی الحقیقه هی کلمه یراد منها الانتقال من حاله الحیض إلی الطّهر،و بما أنّ کلا هذین العنوانین مأخوذان فی معنی الکلمه،فتستعمل أحیانا بمعنی الحیض و اخری بمعنی الطّهر،و یستفاد من بعض الرّوایات و کثیر من کتب اللّغه أنّ القرء تعنی الجمع بین الحالتین،و بما أنّ حاله الطّهر یجتمع فی المرأه مع وجود دم الحیض فی رحمها فتطلق هذه المفرده علی الطّهر و علی کلّ حال فقد ورد التّصریح فی الروایات أنّ المقصود بالقروء الثلاثه فی الآیه أن تطهر المرأه ثلاث مرّات من دم الحیض (۱) .

و بما أنّ الطّلاق یشترط فیه أن تکون المرأه فی حاله الطّهر الّذی لم یجامعها زوجها فیه فیحسب ذلک الطّهر مرّه واحده،و بعد أن تری المرأه دم الحیض مرّه و تطهر منه حینئذ تتم عدّتها بمجرّد أن ینتهی الطّهر الثالث و تشرع و لو للحظه فی العاده،فیجوز لها حینئذ الزّواج،و مضافا إلی الروایات فی هذا المجال یمکن استنباط هذه الحقیقه من نفس الآیه مورد البحث لأنّ:

أوّلا:(قرء)تستبطن جمعان:قروء و أقراء،و ما کان جمعه قروء فهو طهر،و ما کان جمعه أقراء فهو بمعنی الحیض (۲) .

ثانیا:القرء فی اللّغه بمعنی الجمع،کما تقدّم و هی أنسب لحاله الطّهر،لأنّ الدم یتجمّع فی هذه الحاله فی الرّحم بینما یخرج و یتفرّق عند العاده الشهریّه (۳) .

الحکم الثانی المستفاد من هذه الآیه هو قوله تعالی وَ لاٰ یَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ یَکْتُمْنَ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ فِی أَرْحٰامِهِنَّ إِنْ کُنَّ یُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ .

الإسلام قرّر أن تکون المرأه بنفسها هی المرجع فی معرفه بدایه العدّه

۱- ۱) -راجع تفسیر نور الثقلین:ج ۱ ص ۲۳۰ و ۲۳۱.

۲- ۲) -راجع قاموس اللّغه.

۳- ۳) -لسان العرب:ماده«قرء».

و نهایتها حیث إنّ المرأه نفسها أعلم بذلک من الآخرین،و

فی الرّوایه عن الإمام الصّادق علیه السّلام فی تفسیر الآیه محلّ البحث قال: «قد فوّض اللّه إلی النّساء ثلاثه أشیاء:الحیض و الطّهر و الحمل» (۱) .

و یمکن أن یستفاد من الآیه هذا المعنی أیضا،لأنّ الآیه تقول وَ لاٰ یَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ یَکْتُمْنَ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ فِی أَرْحٰامِهِنَّ و یخبرن بخلاف الواقع،و هذا یعنی أن کلامهنّ مقبول.

و جمله مٰا خَلَقَ اللّٰهُ فِی أَرْحٰامِهِنَّ کما ذهب إلیه جماعه من المفسّرین یمکن أن یراد بها معنیان:(الجنین)و(العاده الشهریّه)لأنّ کلا هذین المعنیین قد جعلهما اللّه فی أرحام النساء أی یجب علی المرأه أن لا تکتم حملها و تدّعی العاده الشهریّه بهدف تقلیل مدّه العدّه(لأنّ عدّه الحامل وضع حملها)و هکذا یجب علیها أن لا تخفی وضع حیضها و تبیّن خلاف الواقع،و لا یبعد استفاده کلا هذین المعنیین من العباره أعلاه.

الحکم الثالث المستفاد من الآیه هو أنّ للزّوج حقّ الرّجوع إلی زوجته فی عدّه الطّلاق الرّجعی،فتقول الآیه: وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِی ذٰلِکَ إِنْ أَرٰادُوا إِصْلاٰحاً (۲) .

و بهذا یستطیع الزّوج استئناف علاقته الزوجیه بدون تشریفات خاصّه إذا کانت المرأه فی عدّه الطّلاق الرّجعی،فإذا قصد الرّجوع یتحصّل بمجرّد کلمه أو عمل یصدر منه بهذا القصد،و جمله: إِنْ أَرٰادُوا إِصْلاٰحاً فی الحقیقه هی لبیان أنّ هدف الرّجوع یجب أن یکون بنیّه الإصلاح لا کما کان علیه الحال فی العصر

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ ص ۳۲۶ فی ذیل الآیه المبحوثه.

۲- ۲) -«بعوله»جمع«بعل»بمعنی الزوج و یقول الراغب فی مفرداته بأن البعض یری إطلاقها علی الزوج و الزوجه.(تفسیر الکبیر:ج ۶ ص ۹۳)و قیل أن هذه المفرده تعطی معنی العلو و الأفضلیه.

الجاهلی من أنّ الزّوج یستخدم هذا الحق لغرض الإضرار بالزّوجه حیث یترکها فی حاله معلّقه بین الزّواج و الطّلاق.

فهذا الحقّ یکون للزّوج فی حاله إذا کان نادما واقعا و أراد أن یستأنف علاقته الزّوجیّه بجدیّه،و لم یکن هدفه الإضرار بالزّوجه.

ضمنا یستفاد ممّا ورد فی ذیل الآیه من مسأله الرّجوع هو أنّ حکم العدّه و الاهتمام بحساب أیّامها یتعلّق بهذه الطائفه من النساء،و بعباره اخری أنّ الآیه تتحدّث بشکل عام عن الطّلاق الرّجعی و لهذا فلا مانع من أن تکون بعض أقسام الطّلاق بدون عدّه أصلا.

ثمّ تبیّن الآیه حکما رابعا و تقول: وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِی عَلَیْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجالِ عَلَیْهِنَّ دَرَجَهٌ .

یقول الطبرسی فی مجمع البیان أنّه یستفاد من هذه العباره العجیبه و الجامعه فوائد کثیره جدّا (۱) ،فهی قد جرّت البحث إلی مسائل أهم بکثیر من الطّلاق و العدّه،و قرّرت مجموعه من الحقوق المتبادله بین الرّجال و النساء فتقول:کما أنّ للرّجال حقوقا علی النساء،فکذلک للنساء حقوق علی الرّجال أیضا،فیجب علیهم مراعاتها،لأنّ الإسلام اهتمّ بالحقوق بصوره متعادله و متقابله و لم یتحیّز إلی أحد الطّرفین.

و کلمه(بالمعروف)التی تأتی بمعنی الأعمال الحسنه المعقوله و المنطقیّه تکرّرت فی هذه السلسله من الآیات اثنا عشر مرّه(من الآیه مورد البحث إلی الآیه ۲۴۱)کیما تحذّر النساء و الرّجال من عاقبه سوء الاستفاده من حقوق الطّرف المقابل،و علیهم احترام هذه الحقوق و الاستفاده منها فی تحکیم العلاقه

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ ص ۳۲۷.

الزوجيّه و تحصيل رضا اللّه تعالى.

جمله وَ لِلرِّجٰالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَهٌ تكمّل القاعده السابقه فى الحقوق المتقابله بين الرّجل و المرأه،و فى الواقع أنّ مفهومها هو أنّ مسأله العداله بين الرّجل و المرأه لا تكون بالضّروره بمعنى التساوى فى الحقوق و أن يكونا فى عرض واحد،فهل يلزم أن يكون الجنسان،متساويين تماما فى الواجبات و الحقوق؟ لو أخذنا بنظر الإعتبار الاختلافات الكبيره بين الجنسين على صعيد القوى الجسميّه و الروحيّه لا تّضح الجواب عن السؤال.

المرأه بطبيعه مسئوليتها الحسّاسه فى إنجاب الأبناء و تربيتهم تتمتّع بمقدار أوفر من العواطف و المشاعر و الإحساسات،فى حين أنّ الرجل و طبقا لهذا القانون انيطت به مسئوليه الواجبات الاجتماعيّه التى تستلزم قوّه الفكر و الابتعاد عن العواطف و الأحاسيس الشخصيّه أكثر،و لو أردنا إقامه العداله فيجب أن نضع الوظائف الاجتماعيّه التى تحتاج إلى تفكّر و تحمّل أكثر بعهده الرّجال،و الوظائف و المسؤوليّات التى تحتاج إلى عواطف و إحساسات أكثر بعهده النّساء،و لهذا السبب كانت إداره الاسره بعهده الرّجل و مقام المعاونه بعهده المرأه،و على أىّ حال فلا يكون هذا مانعا من تصدّى المرأه للمسؤوليّات الاجتماعيّه المتوائمه مع قدراتها الجسميّه و ملكاتها البيولوجيّه فتؤدّى تلك الوظائف و المسؤوليّات إلى جانب أداء وظيفه الامومه فى الاسره.

و كذلك لا يكون هذا التفاوت مانعا من تفوّق بعض النّساء من الجهات المعنويّه و العلميّه و التقوائيّه على كثير من الرّجال.

فما نرى من إصرار بعض المثقّفين على مقوله التساوى بين الجنسين فى جميع الأمور هو إصرار لا تؤيّده الحقائق على أرض الواقع حيث ينكرون فى

دعواهم هـذه الثّوابت العلميّه فى هـذا المجـال،فحتّى فى المجتمعـات التى تنـادى بالمسـاواه بين الجنسـين فى مختلف المجالات نشاهد عملا بونا شاسـعا مع نداءاتهم،فمثلا الإداره السياسـيّه و العسـكريّه لجميع المجتمعات البشريّه هى فى عهده الرّجال(إلاّ فى موارد استثنائيّه)حيث يرى هذا المعنى أيضا فى المجتمعات الغربيّه التى ترفع شعار المساواه دائما.

و على كلّ حال،فالحقوق التى يختّص بها الرّجال مثل حقّ الطّلاق أو الرّجوع فى العدّه أو القضاء(إلاّ فى موارد خاصّه اعطى فيها حقّ الطّلاق للزّوجه أو حاكم الشرع)ترتكز على هذا الأساس و نتيجه مباشره لهذه الحقائق العمليّه.

و ذهب بعض المفسّـِرين إلى أنّ جمله: لِلرِّجٰالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَهٌ نـاظره إلى مسـأله الرّجـوع فى عـدّه الطّلاـق فقـط (١) ،و لكـن من الواضـح إنّ هـذا التفسـير لا يتواءم و ظاهر الآيه،لأنّ الآيه ذكرت قبل ذلك قانونا كليّا حول حقوق المرأه و وجوب رعايه العداله بجمله وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ثمّ أوردت العباره مورد البحث بشكل قانون كلّى آخر بعد ذلك.

و أخيرا تقول الآيه: وَ اللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ و هـذا إشاره إلى ما يرد فى هـذا المجال من إشـكالات و تساؤلات و أنّ الحكمه الإلهيّه و التدبير الرّبانى يسـتوجبان أن يكون لكلّ شـخص فى المجتمع وظائف و حقوق معيّنه من قبل قانون الخلقه و يتناسب مع قدراته و قابليّاته الجسميّه و الرّوحيّه،و بذلك فإنّ الحكمه الإلهيّه تستوجب أن تكون للمرأه فى مقابل الوظائف و المسؤوليّات الملقاه على عاتقها حقوقا مسلّمه كيما يكون هناك تعادل بين الوظيفه و الحقّ.

١- ١) -تفسير فى ظلال القرآن:ج ١ ص ٣٦٠.

بحوث

اشاره

۱-العدّه وسیله للعوده و الصّلح

أحیانا ینشأ فی مناخ الاسره و بسبب عوامل مختلفه بعض الاختلافات الجزئیّه و تتهیّأ الأرضیّه النفسیّه لکلّ من الزّوجین بشکل یشتد فیه حس الانتقام و تنطفأ فیه أنوار العقل و الوجدان.و فی الغالب تکون حالات الفرقه و تشتّت العائله ناشئه من هذه الموارد و الحالات،و لکن یشاهد فی کثیر من الحالات أنّ کلّ من الزّوجه و الزّوج بعد حصول النّزاع و الفرقه بفتره قلیله من الزّمان یصیبهم النّدم و خاصّه بعد مشاهده انهدام الاسره و تلاشی المحیط العائلی الدّافئ لتصبّ حیاتهم فی بحر المشاکل المختلفه.

و هنا تقول الآیه مورد البحث:أنّ علی النّساء العدّه و الصبر ریثما تهدأ تلک الأمواج النفسیّه و تنقشع سحب النّزاع و العداوه عن سماء الحیاه المشترکه، و خاصّه إذا أخذنا بنظر الإعتبار حکم الإسلام فی وجوب بقاء المرأه و عدم خروجها من بیت زوجها طیله مدّه العاده حیث یبعث ذلک علی حسن التفکّر و إعاده النّظر فی قرار الطّلاق ممّا یؤثّر ذلک کثیرا فی رسم و صیاغه علاقاتها مع زوجها،و لذلک نقرأ فی سوره الطّلاق آیه(۱) لاٰ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُیُوتِهِنَّ ... لاٰ تَدْرِی لَعَلَّ اللّٰهَ یُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِکَ أَمْراً .

و فی الغالب نلحظ أنّه یکفی لاستعاده المناخ الملائم و الأجواء الدّافئه للاسره قبل الطّلاق قلیل من تقویه المحبّه و إعاده المیاه إلی مجاریها.

۲-العدّه وسیله لحفظ النّسل

إنّ إحدی الأغراض المهمّه للعدّه هو اتّضاح حاله المرأه بالنّسبه إلی الحمل،

فصحيح أنّ رؤيه المرأه لدم الحيض مرّه واحده دليل على عدم الحمل،و لكن أحيانا ترى المرأه دم العاده حين الحمل أيضا و فى بدايته،فمن أجل رعايه هذا الموضوع و الحكم بشكل كامل كان على المرأه أن تصبر لترى العدّه ثلاث مرّات و تطهر منها حتّى تقطع تماما بعدم حملها من زوجها السّابق فيمكنها بعد ذلك الزّواج المجدّد،و طبعا هناك فوائد اخرى للعدّه سنشير إليها فى مواردها.

٣-تلازم الحقّ و الوظيفه

هنا يشير القرآن الكريم إلى أصل أساس،و هو أنّه كلّما كانت هناك وظيفه و مسئوليّه كان هناك حقّ إلى جانبها،يعنى أنّ الوظيفه و الحقّ لا ينفصلان أبدا، فمثلا أنّ على الوالدين وظائف بالنّسبه للأولاد،و هذه الوظائف تسبّب إيجاد حقوق فى عهده الأولاد،أو أنّ القاضى موظّف فى تحقيق العداله فى المجتمع ما أمكنه ذلك،و فى مقابل هذه الوظيفه و المسؤوليّه له حقوق كثيره فى عهده الآخرين،و هكذا بالنّسبه إلى الأنبياء عليهم السّلام و أقوامهم.

و فى الآيه مورد البحث إشاره إلى هذه الحقيقه حيث تقول أنّ النساء لهنّ من الحقوق بمقدار ما عليهنّ من الواجبات و الوظائف،و هذا التّساوى بين الحقوق و الواجبات يسهّل عمليّا إجراء العداله فى حقّهن،و كذلك يثبت عكس هذا المطلب أيضا فمن جعل له حقّا ففى مقابله عليه واجبات و مسئوليّات لا بدّ من أدائها، و لذلك لا نجد أحدا له حقّ من الحقوق فى أحد الموارد و ليست فى ذمّته وظيفه و مسئوليّه.

۴-قصّه المرأه فى التّاريخ و حقوقها المهدوره

عانت المرأه خلال العصور التاريخيّه المختلفه ألوانا من الظلم و الاضطهاد

و التعسّف،و يشكّل هذا التاريخ المؤلم المرّ جزء هامّا من الدراسات الاجتماعيه بشكل عامّ يمكن تقسيم تاريخ حياه المرأه إلى مرحلتين:

المرحله الاولى:مرحله ما قبل التاريخ،و ليس لنا معلومات صحيحه عن وضع المرأه فى هذه المرحله،و من الممكن أن تكون قد تمتّعت آنذاک بحقوقها الإنسانيه الطبيعيّه.

و المرحله الثانيه:مرحله التاريخ،و المرأه كانت خلالها فى كثير من المجتمعات شخصيّه غير مستقله فى جميع الحقوق الاقتصاديه و السياسيه و الاجتماعيه،و استمرّ هذا الوضع فى قسم من المجتمعات حتّى القرون الأخيره.

هذا اللون من التفكير بشأن المرأه مشهود حتّى فى القانون المدنىّ الفرنسىّ المشهور بتقدّميته،على سبيل المثال نشير إلى بعض فقراته المتعلّقه بالشؤون الماليه للزوجين:

يستفاد من المادّتين ۲۱۵ و ۲۱۷ أنّ المرأه المتزوجه لا تستطيع بدون إذن زوجها و توقيعه أن تؤدّى أىّ عمل حقوقى،و تحتاج فى كلّ معامله إلى إذن الزوج.

هذا إذا لم يرد الرجل أن يستغلّ قدرته و أن يمتنع عن الإذن دون مبرّر.

و حسب المادّه ۱۲۴۲ يحقّ للرجل أن يتصرّف لوحده بالثروه المشتركه بين المرأه و الرجل بأىّ شكل من الأشكال،و لا يلزمه استئذان المرأه بشرط أن يكون التّصرّف فى إطار الإداره،و إلّا لزمت موافقه المرأه و توقيعها.

و أكثر من ذلک ورد فى الماده ۱۴۲۸.:إنّ حقّ إداره جميع الأموال الخاصّه بالمرأه موكول إلى الرجل-على أنّ المعامله الخارجه عن حدود الإداره تتطلّب موافقه المرأه و توقيعها-.

و فى أرض الرساله الإسلاميه-أى الحجاز-كانت المرأه تعامل معامله الكائن غير المستقل،و كانوا يستثمرونها بشكل فظيع قريب من حاله التوحّش.

و بلغ وضع المرأه من الانحطاط بحيث إن صاحبها كان يستفيد منها للارتزاق أحيانا، فيعرضها للإيجار.

ما كان يعانيه هؤلاء من فقر حضارى و فقر مادّى جعل منهم قساه لا يتورّعون عن ارتكاب جريمه«الوأد»بحقّ الأنثى.

۵-المرحله الجديده فى حياه المرأه

مع ظهور الإسلام و انتشار تعاليمه الساميه،دخلت حياه المرأه مرحله جديده بعيده كلّ البعد عمّا سبقها.فى هذه المرحله أصبحت المرأه مستقلّه و متمّعه بكلّ حقوقها الفرديه و الاجتماعيه و الإنسانيه.

تقوم تعاليم الإسلام بشأن المرأه على أساس الآيات التى ندرسها فى هذا المبحث حيث يقول تعالى: وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ،فالمرأه بموجب هذه الآيه تتمتّع بحقوق تعادل ما عليها من واجبات ثقيله فى المجتمع.

الإسلام اعتبر الرجل كالمرأه كائنا ذا روح إنسانيّه كامله،و ذا إراده و إختيار، و يطوى طريقه على طريق تكامله الذى هو هدف الخلقه،و لذلک خاطب الرجل و المرأه معا فى بيان واحد حين قال: يا أَيُّهَا النّاسُ... و يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .

وضع لهما منهجا تربويا و أخلاقيا و علميا و وعدهما معا بالسعاده الأبديه الكامله فى الآخره،كما جاء فى قوله تعالى: وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِکَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّهَ (۱) .

و أكّد أنّ الجنسين قادران على انتهاج طريق الإسلام للوصول إلى الكمال المعنوىّ و المادىّ و لبلوغ الحياه الطيّبه المفعمه بالطمأنينه،نظير ما جاء فى قوله

۱- ۱) -غافر:۴۰.

تعالی: مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثیٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱) .

الإسلام یری المرأه کالرجل إنسانا مستقلّا حرّا،و هذا المفهوم جاء فی مواضع عدیده من القرآن الکریم، کقوله تعالی: كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (۲) .و مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسٰاءَ فَعَلَيْهٰا (۳) .

هـذه الحریّه قرّرها الإسـلام للمرأه و الرجل،و لـذلک فهما متساویان أمام قوانین الجزاء: اَلزّٰانِيَةُ وَ الزّٰانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وٰاحِدٍ مِنْهُمٰا مِائَةَ جَلْدَةٍ (۴) .

لمّـا کان الاسـتقلال یسـتلزم الإراده و الإختیار،فقـد قرّر الإسـلام هـذا الاسـتقلال فی جمیع الحقوق الاقتصادیه،و أباح للمرأه کلّ ألوان الممارسـات المـالیه،و جعلهـا مالکه عائـدها و أموالها،یقول سـبحانه فی سوره النساء: لِلرِّجٰالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّسٰاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ (۵) .

کلمه«اکتساب»-خلافا لکلمه«کسب»-لا تستعمل إلّا فیما یعود نتیجته علی الإنسان نفسه (۶) .

و لو أضـفنا إلی هـذا المفهوم القاعده العامّه القائله:«الناس مسـلّطون علی أموالهم»لفهمنا مدی الاحترام الذی أقرّه الإسـلام للمرأه بمنحها الاستقلال الاقتصادی،و مدی التساوی الذی قرّره بین الجنسین فی هذا المجال.

فالمرأه-فی مفهوم الإسلام-رکن المجتمع الأساسی،و لا یجوز التعامل معها

۱- ۱) -النحل:۹۵.

۲- ۲) -المدّثر:۲۸.

۳- ۳) -فصّلت:۴۶.

۴- ۴) -النور:۲.

۵- ۵) -النساء:۳۲.

۶- ۶) -راجع مفردات الراغب،هذا طبعا حین تتقابل کلمتی:کسب و اکتساب.

على أنّها موجود تابع عديم الإراده يحتاج إلى قيّم.

۶-المفهوم الصحيح للمساواه

و هنا ينبغى الالتفات إلى مسأله الاختلافات الروحيه و الجسميه بين المرأه و الرجل،و هى مسأله التفت إليها الإسلام بشكل خاصّ و أنكرها بعضهم منطلقين من تطرّف فى أحاسيسهم.

إن أنكرنا كلّ شىء فلا نستطيع أن ننكر الاختلافات الصارخه بين الجنسين فى الناحيه الجسميه و الناحيه الروحيه،و هذه مسأله تناولتها تأليفات مستقلّه ملخّصها:

إنّ المرأه قاعده انبثاق الإنسان،و فى أحضانها يتربّى الجيل و يترعرع،و هى لذلك خلقت لتكون مؤهله جسميا لتربيه الأجيال،كما أنّ لها من الناحيه الروحيه سهما أوفى من العواطف و المشاعر.

و هل يمكن مع هذا الاختلاف الكبير أن ندّعى تساوى الجنسين فى جميع الأعمال و اشتراكهما المتساوى فى كلّ الأمور؟! أ ليست العداله أن يؤدّى كلّ كائن واجبه مستفيدا من مواهبه و كفاءاته الخاصّه؟! أ ليس خلافا للعداله أن تقوم المرأه بأعمال لا تتناسب مع تكوينها الجسمى و الروحى؟! من هنا نرى الإسلام-مع تأكيده على العداله-يجعل الرجل مقدّما فى بعض الأمور مثل الإشراف على الأسره و...و يدع للمرأه مكانه المساعد فيها.

العائله و المجتمع يحتاج كلّ منهما إلى مدير،و مسأله الإداره فى آخر

مراحلها يجب أن تنتهى بشخص واحد،و إلاّ ساد الهرج و المرج.

فهل من الأفضل أن يتولّى هذه المسؤوليه المرأه أم الرجل؟كلّ المحاسبات البعيده عن التعصّب تقول:إنّ الوضع التكوينى للرجل يفرض أن تكون مسئوليه إداره الأسره بيد الرجل،و المرأه تعاونه.

مع إصرار المصرّين و لجاج المتعصّبين على إنكار الواقع،فإنّ وضع الحياه الواقعيه فى عالمنا المعاصر و حتّى فى البلدان التى منحت المرأه الحريّه و المساواه بالشكل الكامل-على زعمهم-يدلّ على أنّ المسأله على الصعيد العملى هى كما ذكرناه و إن كانت المزاعم خلاف ذلك.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۲۹]

اشاره

اَلطَّلاٰقُ مَرَّتٰانِ فَإِمْسٰاکٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِیحٌ بِإِحْسٰانٍ وَ لاٰ یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمّٰا آتَیْتُمُوهُنَّ شَیْئاً إِلاّٰ أَنْ یَخٰافٰا أَلاّٰ یُقِیمٰا حُدُودَ اَللّٰهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّٰ یُقِیمٰا حُدُودَ اَللّٰهِ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْهِمٰا فِیمَا اِفْتَدَتْ بِهِ تِلْکَ حُدُودُ اَللّٰهِ فَلاٰ تَعْتَدُوهٰا وَ مَنْ یَتَعَدَّ حُدُودَ اَللّٰهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ (۲۲۹)

سبب النّزول

جاءت امرأه إلی إحدی زوجات النبیّ و شکت لها من زوجها الّذی یطلّقها مرارا ثمّ یعود إلیها للإضرار بها،و کان للزّوج فی تقالید الجهالیّه الحقّ فی أن یطلّق زوجته ألف مرّه ثمّ یعود إلیها و هکذا فلم یکن للطّلاق حدّ حین ذاک،و حینما اطّلع رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم علی شکوی هذه الامرأه نزلت الآیات أعلاه و بیّنت حدّ الطّلاق (۱) .

ص :۱۵۸

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ و ۲ ص ۳۲۹.و ورد هذا السبب فی تفسیر الکبیر،و القرطبی و روح المعانی أیضا فی ذیل الآیه المبحوثه.

التّفسير

اشاره

إمّا الحياه الزوجيّه أو الطّلاق بالمعروف:

ذكرنا فی تفسير الآيه السابقه إنّ الإسلام قرّر قانون(العدّه)و(الرّجوع) لإصلاح وضع الاسره و منع تشتتّها و تمزّقها،لكنّ بعض المسلمين الجدد استغلّوا هذا القانون كما كانوا عليه فی الجاهليّه،و عمدوا إلی التضييق علی الزّوجه بتطليقها المرّه بعد الاخری و الرّجوع إليها قبل انتهاء العدّه،و بهذه الوسيله ضيّقوا الخناق علی النساء.

هذه الآيه تحول بين هذا السّلوك المنحط و تقرّر أنّ الطّلاق و الرّجوع مشروعان لمرّتين،أمّا إذا تكرّر الطّلاق للمرّه الثالثه فلا رجوع،و الطّلاق الأخير هو الثالث،و المراد من عباره(الطّلاق مرّتان)هو أنّ الطّلاق الّذی يمكن معه الرّجوع مرّتان و الطّلاق الثالث لا رجوع بعده،و تضيف الآيه فَإِمْسٰاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسٰانٍ .

فعلی هذا يكون الطّلاق الثالث هو الأخير لا رجعه فيه،و بعباره اخری أنّ المحبّه و الحنان المتقابل بين الزّوجين يمكن إعادتهما فی المرّتين السابقتين و تعود المياه إلی مجاريها،و فی غير هذه الصّوره إذا تكرّر منه الطّلاق فی المرّه الثالثه فلا يحقّ له الرّجوع إلّا بشرائط معيّنه تأتی فی الآيه التاليه.

و يجب الالتفات إلی أنّ(إمساك)يعنی الحفظ و(تسريح)بمعنی إطلاق السّراح و مجیء جمله تَسْرِيحٌ بِإِحْسٰانٍ بعد جمله اَلطَّلاٰقُ مَرَّتٰانِ إشاره إلی الطّلاق الثالث الّذی يفصل بين الزّوجين لا بدّ أن يكون مع مراعاه موازين الحقّ و الإنصاف و القيم الأخلاقيّه(جاء فی أحاديث متعدّده أنّ المراد من قوله تَسْرِيحٌ بِإِحْسٰانٍ هو الطّلاق الثالث) (۱) .

۱- ۱) -تفسير العياشی:ج ۱ ص ۱۱۶.

فعلی هذا یکون المراد من التسریح بإحسان أن یؤدّی للمرأه حقوقها بعد الانفصال النهائی،و لا یسعی الإضرار بها عملا و قولا بأن یعیبها فی غیابها أو یتّهمها بکلمات رخیصه و یسقط شخصیّتها و سمعتها أمام الناس،و بذلک یحرمها من إمکانیّه الزّواج المجدّد،فکما أنّ الصّلح و الرّجوع إلی الزّوجه یجب أن یکون بالمعروف و الإحسان و المودّه،فکذلک الانفصال النهائی یجب أن یکون مشفوعا بالإحسان أیضا،و لهذا تضیف الآیه الشریفه وَ لاٰ یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمّٰا آتَیْتُمُوهُنَّ شَیْئاً .

فعلی هذا الأساس لا یستطیع الزّوج عند الانفصال النهائی أن یأخذ ما أعطاها من مهرها شیئا،و هذا المعنی أحد مصادیق التسریح بإحسان.

و قد ذکر هذا الحکم بالتفصیل فی سوره النّساء الآیات ۲۰ و ۲۱ حیث یأتی ذکره.

و ذهب بعض المفسّرین إلی أنّ مفهوم هذه الجمله أوسع من(المهر)و قالوا أنّه یشمل کلّما أعطاه الزوج من الهدایا لزوجته أیضا (۱) .

و ممّا یستجلب النظر فی مورد الرّجوع و الصّلح هو التعبیر ب(المعروف) و لکن فی مورد الفرقه و الانفصال ورد التعبیر(بإحسان)الّذی یفهم منه ما هو أعلی و أسمی من المعروف،و ذلک من أجل جبران ما یتخلّف من المراره و الکآبه لدی المرأه بسبب الانفصال و الطّلاق (۲) .

و تستطرق الآیه إلی ذکر مسأله(طلاق الخلع)و تقرّر أنّه فی حاله واحده تجوز استعاده المهر و ذلک عند رغبه المرأه نفسها بالطّلاق (۳) حیث تقول الآیه

۱- ۱) -تفسیر الکبیر:ج ۹ ص ۹۹.

۲- ۲) -المیزان:ج ۲ ص ۲۳۴ ذیل الآیه.

۳- ۳) -و هو الطلاق الخلعی المشروح فی کتب الفقه.

إِلاّ أَنْ يَخافا أَلاّ يُقِيما حُدُودَ اللّهِ

ثمّ تضيف فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاّ يُقِيما حُدُودَ اللّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيما افْتَدَتْ بِهِ .

أى الفديه أو التعويض الّذى تدفعه المرأه للتّخلّص من الرّابطه الزّوجيه،هذه الحاله تختلف عن الاولى فى أنّ الطّالب للفرقه هى المرأه نفسها و يجب عليها دفع الغرامه و التعويض للرّجل الّذى يريد و يطلب بقاء العلقه الزوجيّه،و بذلك يتمكّن الزّوج بهذه الغرامه و الفديه أن يتزوّج مرّه اخرى و يختار له زوجه ثانيه.

و الجدير بالذكر أنّ الضّمير فى جمله أَلاّ يُقِيما الوارد بصوره التثنيه إشاره إلى الزّوجين،و لكنّ فى جمله فَإِنْ خِفْتُمْ ورد بصيغه الجمع للمخاطب،و هذا التفاوت يمكن أن يكون إشاره إلى لزوم نظاره حكّام الشرع على هذا اللّون من الطّلاق،أو إشاره إلى أنّ تشخيص عدم إمكانيّه استمرار الحياه الزوجيّه مع رعايه حدود الإلهيّه لا يمكن أن تكون بعهده الزّوجين،لأنّه فى كثير من الحالات يظنّ الزوجين و لأسباب نفسيّه و حالات عصبيّه عدم إمكانيّه إدامه الحياه الزّوجيّه لأسباب تافهه،و لهذا يجب أن تطرح المسأله على العرف و من له علاقه بهذين الزّوجين يثبت بهذه الصوره جواز الطّلاق الخلعى.

و فى ختام الآيه تشير إلى مجمل الأحكام الوارده فيها و تقول: تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلا تَعْتَدُوها وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ .

مسائل مهمه

اشاره

۱-لزوم تعدّد مجالس الطّلاق

يستفاد من جمله اَلطَّلاقُ مَرَّتانِ أنّ تعدّد الطّلاق لا يصحّ أن يكون فى مجلس واحد،بل يجب أن يقع الطّلاق فى مجالس متعدّده،و خاصّه إذا عرفنا بأنّ

الغايه هو إعطاء فرصه أكثر للرّجوع و احتمال عوده المؤده بعد النّزاع الأوّل.

فإن لم يتحقق الصلح فى المرحله الاولى فسيتحقّق فى الثانيه و لكنّ وقوع عدّه طلقات مرّه واحده يوصد هذا الباب كليّا و ينفصل الزّوجان بعد ذلك نهائيّا فلا أثر لتعدّد الطّلاق عملا.

و هـذا الحكم المـذكور آنفـا مقبول لـدى فقهاء الشـيعه،و لكن هناك اختلاف بين أهل السّـنه بالرّغم من أنّ أكثرهم يرى جواز تعدّد الطّلاق فى مجلس واحد.

أمّا كاتب تفسير المنار فينقل عن مسـند أحمـد بن حنبل و صـحيح مسـلم أنّ حكم ثلاث طلقات فى مجلس واحد لا يحسب إلاّ طلاق واحد،و هذا ما كانت السّـنه جاريه عليه منذ حياه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و حتّى سنتين من خلافه عمر حيث يتّفق على ذلك جميع الصّحابه،و لكنّ الخليفه الثانى بعد ذلك حكم بأنّ الطّلاق ثلاثا فى مجلس واحد صحيح و يقع ثلاثا.

۲-شيخ الأزهر يأخذ برأى الشيعه

مع حكم الخليفه الثـانى بوقوع الطّلاقـات الثلاـثه فى مجلس واحـد ذهب جماعه من أهل السّـنه إلى عـدم وقوعها،و منهم الشـيخ الأزهر الأكبر(الشـيخ محمود شـلتوت)حيث كتب فى مجلّه«رساله الإسـلام» و فى مقارنه بين آراء المذاهب الإسـلاميّه و أخذ فى كثير من الأحايين بآراء الشـيعه،لأنّها كما يقول أقوى دليلا و من ذلك مسأله تعدّد الطّلاق و أفتى رحمه اللّه بأنّ الطلاقات الثلاثه فى مجلس واحد هى بمثابه الطّلاق الواحد (۱) .

۱- ۱) -رساله الإسلام:العدد الأول السنه ۱۱ ص ۱۰۸،نقلا عن هامش كنز العرفان:ج ۲ ص ۲۷۱.

۳-الحدود الإلهيّه

فی هـذه الآـیه و آیـات کثیره اخری عبّرت عن القوانین الإـلهیّه بکلمه(حـد) و بهـذا فـإن المعصـیه و مخالفه هـذه القوانین تعـدّد تجـاوزا للحـد،و فی الواقع فـأنّ بین الأعمـال التی یؤدّیهـا الإنسان توجـد مجموعه مناطق ممنوعه،أی یکون الـدخول فیها خطرا و ترسم القوانین و الأحکـام الإـلهیّه حـدود هـذه المنـاطق الممنوعه کالعلامات المنصوبه علی تلک المناطق،و لهـذا نقرأ فی سوره البقره النهی عن الاقتراب من هـذه الحـدود تِلْکَ حُدُودُ اللّهِ فَلا تَقْرَبُوها (۱) لأنّ الاقتراب منها یعرّض الإنسان إلی خطر السـقوط فی الهـاویه،و کـذلک ورد النهی فی روایـات أهـل البیت علیهم السّـلام عن مواضع الشـبهه،لأنّه بحکم الاقتراب من شـفا الهاویه الذی قد یستتبعه السقوط بأدنی غفله(من حام حول الحمی أو شک أن یقع فیه).

ص:۱۶۳

۱- ۱) -البقره:۱۸۷.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۳۰]

اشاره

فَإِنْ طَلَّقَهٰا فَلاٰ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهٰا فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا أَنْ يَتَرٰاجَعٰا إِنْ ظَنّٰا أَنْ يُقِيمٰا حُدُودَ اَللّٰهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اَللّٰهِ يُبَيِّنُهٰا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۲۳۰)

سبب النّزول

جاءت امرأه إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و قالت:کنت عند ابن عمّی(رفاعه) فطلّقنی ثلاثا،فتزوّجت بعده عبد الرحمن بن الزبیر،و لکنّه أیضا طلّقنی قبل أن یمسّنی،فهل لی أن أعود إلی زوجی الأول؟فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم:«لا،حتّی یذوق عسیلتک،و تذوقی عسیلته» أی حتّی یتمّ النکاح مع الزوج الثانی (۱) .

التّفسیر

جاء فی الآیه السابقه إجمالا أنّ للمرأه و للرجل بعد الطلاق الثانی أحد

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ و ۲ ص ۳۳۰،مع التلخیص من سبب النّزول الوارد فی تفسیر روح المعانی،و القرطبی، و المراغی.

أمرين: إمّا أن يتصالحا و يرجعا إلى الحياه الزوجيه،و إمّا أن ينفصلا انفصالا نهائيا.

هذه الآيه حكمها حكم الفقره التابعه لمادّه قانونيه.

فهـذه الآيه تقول إن حكم الانفصال حكم دائمى،إلاّ إذا اتخـذت المرأه زوجا آخر،و طلّقها بعد الدخول بها،فعندئذ لها أن ترجع إلى زوجها الأوّل إذا رأيا أنهما قادران على أن يعيشا معا ضمن حدود اللّه.

و يستفاد من الرّوايات عن أئمّه الدّين أنّ لهذا الزّواج الثانى شرطين،أوّلا:أن يكون هذا الزّواج دائميّا،و الثانى:أن يتبع عقد الزّواج الاتّصال الجنسى،و يمكن استفاده هذين الشرطين من مفهوم الآيه أيضا،أمّا الأوّل و هو أن يكون العقد دائميّا فلجمله فَإِنْ طَلَّقَها الشاهده على هـذا المعنى،لأنّ الطّلاق لا يكون إلاّ فى العقـد الدائمى،و أمّا الوطء فيمكن أن يستفاد من جمله حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ لأنّ المستعمل فى سيره أدباء العرب أنّهم حينما يقولون(نكـح فلانا فلانه)فيمكن أن يراد منه مجرّد العقـد،أمّا لو قيل(نكح زوجته)فهذا يدلّ على الوطء(لأنّه حسب الفرض أنّها زوجته فعند ما يقال(نكح)فى مورد الزوجه فلا يعنى سوى العمليّه الجنسيّه) (۱) مضافا إلى أنّ المطلّق ينصرف إلى الفرد الغالب و الغالب فى عقـد الزواج هو اقترانه بالوطئ،و مضافا إلى ما تقـدّم فإنّ لهـذا الحكم فلسفه خاصّه لا تتحقّق بمجرّد إجراء العقد كما سنشير إلى ذلك لا حقا.

بحث

اشاره

المحلّل مانع من تكرّر الطّلاق:

المعمول بين الفقهاء أنّهم يطلقون على الزّوج الثانى فى هذه الموارد قسم

۱- ۱) -تفسير التكبير:ج ۶ ص ۱۰۴.

(المحلّل)لأنّه يؤدّى إلى أن تكون هـذه المرأه حلال لزوجها السّابق(طبعا بعـد الطّلاق و العـدّه)و الظّاهر أنّ مراد الشارع المقدّس من ذلك هو منع تعدّد الطّلقات.

توضـيح ذلك:كما أنّ الزّواج أمر ضـروريّ و حياتيّ بالنّسبه للإنسان،فكذلك الطّلاق تحت شرائط خاصّه يكون ضروريّا أيضا،و لـذلك نجـد أنّ الإسـلام(و خلافـا للمسـيحيّه المحرّفه)يبيـح الطّلاق،و لكن بما أنّه يؤدّى إلى تشتيت العائله و إلى إنزال ضـربات موجعه بالفرد و المجتمع،فقد وضعت شروط متنوعه للحيلوله دون وقوع الطّلاق قدر إمكان.

إنّ موضوع الزواج المجـدّد أو«المحلّ»واحـد من تلك الشـروط،إذ أنّ زواج المرأه من رجل جديـد بعد طلاقها من زوجها الأول ثلاثـا يعتبر عائقا كبيرا بوجه اسـتمرار الطلاق أو التمادى فيه.فالـذى يريـد أن يطلّق زوجته الطلاق الثالث،يشـعر أنّه إن فعل ذلك فلن تعود إليه و تكون من نصيب غيره،و هذا الشعور يجرح كرامته، و لذلك فهو لن يقدم على هذا العمل عاده إلّا مضطرّا.

فى الحقيقه أنّ قضـيه«المحلّل»أو الأصـحّ زواج المرأه برجـل آخر زواجـا دائميـا يعتبر مانعـا يقف بوجه الرجال من ذوى الأهواء المتقلّبه و المخادعين لكى لا يجعلوا من النساء ألا عيب بين أيـديهم و غرضا لخـدمه أهوائهم،و أن لا يمارسوا- بلا حدود-قانون الطلاق و العوده.

إنّ شـروط هذا الزواج(كأن يكون دائميا)تدلّ على أنّ هذا الزواج ليس هدفه إيجاد وسـيله لإيصال الزوجه إلى زوجها الأول،لأنه يحتمل أن لا يطلقها الزوج الثانى،لذلك فلا يمكن استقلال هذا القانون و رفع العائق عن طريق زواج مؤقّت.

و مع الالتفات إلى ما ذكر أعلاه يمكن القول أنّ هـدف الزّواج الثانى بعد ثلاث طلقات و السّـماح لكلّ من الزوجين فى تشـكيل حياه زوجيّه جديده من أجل أن لا يصبح الزّواج هذا الرّباط المقدّس مدعاه للتّغالب وفق أهواء الزوج الأوّل

و مشتهياته الشّيطانيه،و فى نفس الوقت إذا طلّقها الزوج الثانى فإنّ طريق العوده و الرّجوع سيكون مفتوحا أمامهما فيجوز للزّوج الأوّل نكاحها من جديد،و لذلك اطلق على الزوج الثانى(المحلّل).

و من هنا يتّضح أنّ البحث يخص الزّواج الواقعى الجاد بالنّسبه إلى المحلّل، أمّا إذا قصد شخص منذ البدايه أن يتوسّل بزواج مؤقّت،و اعتبر القضيه مجرّد شكليّات يحلّها(المحلّل)فإنّ زواجا هذا شأنه لا يؤخذ به و يكون باطلا،كما أنّ المرأه لا تحلّ لزوجها الأوّل،و لعلّ الحديث المذكور

(لعن اللّه المحلّل و المحلّل له)

(۱)

يشير إلى هذا النوع من المحلّلين،و هذا الأسلوب من الزّواج الظّاهرى و الشكلى.

و ذهب البعض إلى أنّ الزوج الثانى إذا قصد الزّواج الدائمى الجدّى،و لكن كانت نيّته أن يفتح طريق عوده المرأه و رجوعها إلى الزّوج الأوّل،فإن هذا الزّواج يعتبر باطلا أيضا،و ذهب البعض أيضا إلى أنّه فى هذه الحاله يقع الزّواج صحيحا رغم أن نيّته هى إرجاع المرأه إلى زوجها الأوّل،و لكنّه مكروها بشرط أن لا يذكر هذا المعنى كالجزء من شرائط العقد.

و من هنا يتضح أيضا الضجّه المفتعله للمغرضين الّذين اتّخذوا من(المحلّل) ذريعه لشن حملاتهم الظّالمه على أحكام الإسلام و مقدّساته،فهذه الضجّه المفتعله دليل على جهلهم و حقدهم على الإسلام،و إلاّ فإنّ هذا الحكم الإلهى بالشّرائط المذكوره عامل على منع الطّلاق المتكرّر و الحدّ من التصرّفات الهوجاء لبعض الأزواج،و دافع على إصلاح الوضع العائلى و إصلاح الحياه الزوجيّه.

۱- ۱) -مجمع البيان:ج ۲ ص ۳۳۱،و نقل هذا الحديث تفسير القرطبى و المنار و المراغى فى ذيل الآيه المبحوثه أيضا.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۳۱]

اشاره

وَ إِذٰا طَلَّقْتُمُ اَلنِّسٰاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لاٰ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرٰاراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ لاٰ تَتَّخِذُوا آيٰاتِ اَللّٰهِ هُزُواً وَ اُذْكُرُوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ مٰا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ اَلْكِتٰابِ وَ اَلْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۲۳۱)

التّفسير

تستمرّ هذه الآيه فى تبيان الأحكام التى أقرّها الإسلام للطلاق،لكى لا تهمل حقوق المرأه و حرمتها.

تقول الآيه:ما دامت العدّه لم تنته،و حتّى فى آخر يوم من أيامها،فإنّ للرجل أن يصالح زوجته و يعيدها إليه فى حياه زوجيه حميمه: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ .

و إذا لم تتحسّن الظروف بينهما فيطلق سراحها أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ .

و لكن كلّ رجوع أو تسريح يجب أن يكون فى جوّ من الإحسان و المعروف

ص :۱۶۸

و أن لا يخالطه شيء من روح الانتقام.ثمّ تشير الآيه إلى المفهوم المقابل لذلك و تقول:

وَ لاٰ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرٰاراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ

.

هـذه الجمله فى الحقيقه تفسير لكلمه«معروف»أى أنّ الرجوع يجب أن يكون على أساس من الصفا و الوئام،و ذلك لأن الجاهليّين كانوا يتّخذون من الطّلاق و الرجوع وسيله للانتقام،و لهذا يقول القرآن بلهجه قاطعه:إنّ استرجاع الزوجه يجب أن لا يكون رغبه فى الإيذاء و الاعتداء،إذ أنّ ذلك-فضلا عن كونه ظلما للزوجه-ظلم لنفس الزوج أيضا.

و الآن علينا أن نعرف لماذا يكون ظلم الزوج زوجته ظلما لنفسه أيضا؟ أولا:إنّ الرجوع المبنى على غمط الحقوق لا يمكن أن يمنح الهدوء و الاستقرار.

ثانيا:الرجل و المرأه-بالنظره القرآنيه-جزءان من جسد واحد فى نظام الخلقه فكلّ غمط لحقوق المرأه هو ظلم و عدوان على الرجل نفسه.

ثالثا:إنّ من يستسيغ ظلم الآخرين يكون غرضا لنيل العقاب الإلهى،فيكون بذلك قد ظلم نفسه.

ثمّ يحذّر القرآن الجميع: وَ لاٰ تَتَّخِذُوا آيٰاتِ اللّٰهِ هُزُواً هذا التعبير يمكن أن يكون إشاره إلى بعض التقاليد الجاهليه المترسّخه فى أفكار الناس، ففى الروايه أنّ بعض الرجال فى العصر الجاهلى يقولون حين الطّلاق:أنّ هدفنا من الطّلاق هو اللّعب و المزاح،و كذلك الحال عند ما يعتقون عبدا أو يتزّوجون من امرأه.

فنزلت الآيه أعلاه لتحذّرهم بأنّ كلّ من يطلّق زوجته أو يعتق عبده أو يتزوّج من امرأه أو يزوّجها من شخص آخر،ثمّ يدّعى أنّه كان يمزح و يلعب فإنّه لا يقبل

منه،و يتحقّق ما أقدم عليه فى الواقع العملى بشكل جاد (۱) .

و يحتمل أيضا أنّ الآيه ناظره إلى حال الأشخاص الّذين يستغلّون الأحكام الشرعيّه لتبرير مخالفاتهم و يتمسّكون بالظّواهر من أجل بعض الحيل الشرعيّه، فالقرآن يعتبر هذا العمل نوع من الاستهزاء بآيات اللّه،و من ذلك نفس مسأله الزّواج و الطّلاق و الرّجوع فى زمان العدّه بنيّه الانتقام و إلحاق الضرّر بالمرأه و التّظاهر بأنّه يستفيد من حقّه القانونى.

فعلى هذا لا ينبغى الإغماض عن روح الأحكام الإلهيّه و التمسّك فقط بالظّواهر الجامده لها،فلا ينبغى اتّخاذ آيات اللّه ملعبه بيد هؤلاء،فإنّه يعتبر ذنب عظيم و يترتّب عليه عقوبه أليمه.

ثمّ تضيف الآيه وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ ما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَ الْحِكْمَهِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

هذه تحذيرات من أجل أن تعلموا:أوّلا:أنّ اللّه تعالى عدّ تلك التصرّفات من خرافات و تقاليد الجاهليّه الشنيعه بالنّسبه إلى الزّواج و الطّلاق و غير ذلك،فأنقذكم منها و أرشدكم إلى أحكام الإسلام الحياتيه،فينبغى أن تعرفوا قدر هذه النّعمه العظيمه و تؤدّوا حقّها،و ثانيا:بالنسبه إلى حقوق المرأه ينبغى أن لا تسيئوا إليها بالاستفاده من موقعيّتكم،و يجب أن تعلموا أنّ اللّه تعالى مطّلع حتّى على نيّاتكم (۲) .

۱- ۱) -تفسير القرطبى:ج ۲ ص ۹۶۴،و مثله فى تفسير المراغى:ج ۲ ص ۱۷۹.

۲- ۲) -فعلى هذا تكون جمله«و ما نزل عليكم من الكتاب و الحكمه»عطف«نعمه اللّه»أو من قبيل عطف الخاصّ على العامّ و فى هذه الصوره يكون مفهوم«نعمه اللّه»واسعا حيث يشمل جميع النعم الإلهيّه التى منها نعمه المحبّه و الألفه التى جعلها اللّه بين الزوجين.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۳۲]

اشاره

وَ إِذٰا طَلَّقْتُمُ اَلنِّسٰاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاٰ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ یَنْکِحْنَ أَزْوٰاجَهُنَّ إِذٰا تَرٰاضَوْا بَیْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذٰلِکَ یُوعَظُ بِهِ مَنْ کٰانَ مِنْکُمْ یُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ ذٰلِکُمْ أَزْکیٰ لَکُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (۲۳۲)

سبب النّزول

کان أحد أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و هو«معقل بن یسار»یعارض زواج أخته «جملاء»من زوجها الأوّل«عاصم بن عدی»لأنّ عاصما کان قد طلّقها من قبل، و لکن بعد انقضاء العدّه رغب الزوجان بالعوده بعقد نکاح جدید.فنزلت الآیه و نهت الأخ عن معارضه هذا الزواج.

و قیل إنّ الآیه نزلت فی معارضه«جابر بن عبد اللّه»زواج ابنه عمّه من زوجها السابق (۱) .

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ و ۲ ص ۳۳۲.و نقل أکثر المفسّرین مثل:القرطبی،تفسیر الکبیر،روح المعانی،فی ظلال القرآن أحد سبب نزول أو کلاهما فی ذیل الآیه المبحوثه.

و ربّما كان حقّ المنع هذا يعطى فى الجاهليّه للأقربين.

لا شكّ أنّ الأخ و ابن العمّ لا ولايه لهما-فى فقهنا-على الاخت و ابنه العم.إلّا أنّ هذه الآيه تتحدّث عن حكم عام-كما سنرى- يشمل الأولياء و غير الأولياء، و تقول أنّه حتّى الأب و الأم و ابن العم،و كذلك الغرباء لا حقّ لهم فى الوقوف بوجه هذا الزواج.

التّفسير

ذكرنا فى البحوث السابقه كيف كانت النسوه يعشن فى أسر العادات الجاهليه،و كيف كن تحت سيطره الرجال دون أن يعنى أحد برغبتهنّ و رأيهنّ.

و إختيار الزوج كان واحدا من قيود ذلك الأسر،إذ أنّ رغبه المرأه و إرادتها لم يكن لها أىّ تأثير فى الأمر،فحتّى من كانت تتزوج زواجا رسميا ثمّ تطلّق لم يكن لها حقّ الرجوع ثانيه بمحض إرادتها،بل كان ذلك منوطا برغبه وليّها أو أوليائها، و كانت ثمّه حالات يرغب فيها الزوجان بالعوده إلى الحياه الزوجيّه بينهما،و لكن أولياء المرأه كانوا يحولون دون ذلك تبعا لمصالحهم أو لتخيّلاتهم و أوهامهم.

إلّا أنّ القرآن أدان هذه العاده،و رفض أن يكون للأولياء مثل هذا الحقّ،إذ أنّ الزوجين-و هما ركنا الزواج الأصليان،إذا توصّلا إلى اتفاق بالعوده بعد الانفصال-يستطيعان ذلك دون أن يكون لأحد حقّ الاعتراض عليهما.تقول الآيه وَ إِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاٰ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوٰاجَهُنَّ إِذٰا تَرٰاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ هذا إذا كان المخاطب فى هذه الآيه هم الأولياء من الرجال الأقارب،و لكن يحتمل أن يكون المخاطب هو الزوج الأوّل.بمعنى أنكم إذا طلقتم زوجاتكم فلا تمنعوهن من الزواج المجدّد مع رجال آخرين،حيث إن بعض الأشخاص المعاندين فى السابق و فى الحال الحاضر يشعرون بحساسيه

شدیده تجاه زواج زوجاتهم السابقه من آخرین،و ما ذلک سوی نزعه جاهلیه فحسب (۱) .

فی الآیه السابقه«بلوغ الأجل»یعنی بلوغ أواخر أیام العدّه،و لکن فی هذه الآیه المقصود هو انقضاء آخر یوم من العدّه،بقرینه الزواج المجدّد.فالغایه فی الآیه السابقه جزء من المغیا و فی الآیه محل البحث خارجه عن المغیا.

و یتبین من هذه الآیه أنّ الثیّبات-أی اللّواتی سبق لهنّ الزواج ثمّ طلّقن أو مات أزواجهنّ-إذا شئن الزّواج ثانیه فلا یلزمهنّ موافقه أولیائهنّ أبدا.

ثمّ تضیف الآیه و تحذّر ثانیه و تقول: ذٰلِکَ یُوعَظُ بِهِ مَنْ کٰانَ مِنْکُمْ یُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ ثمّ من أجل التأکید أکثر تقول: ذٰلِکُمْ أَزْکیٰ لَکُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللّٰهُ یَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ .

یشیر هذا المقطع من الآیه إلی أنّ هذه الأحکام قد شرّعت لمصلحتکم غایه الأمر أنّ الأشخاص الّذین ینتفعون بها هم الّذین لهم أساس عقائدی من الإیمان باللّه و المعاد و لا یتبّعون أهوائهم.

و بعباره اخری أنّ هذه الجمله تقول:أنّ نتیجه العلم بهذه الأحکام یصبّ فی مصلحتکم،لکنّکم قد لا تدرکون الحکمه و الغایه منها لجهلکم و قلّه معارفکم، و اللّه هو العالم بکلّ الأسرار،و لذلک قرّر هذه الأحکام و شرّعها لما فیها من تزکیتکم و حفظ طهارتکم.

و الجدیر بالذّکر أنّ الآیه تشیر إلی أنّ العمل بهذه الأحکام یستوجب:

(التزکیه)و(الطهاره)فتقول أَزْکیٰ لَکُمْ وَ أَطْهَرُ یعنی أنّ العمل بها یطهّر أفراد العائله من مختلف الأدناس و الخبائث،و کذلک یوجب لهم الخیر و البرکه و التکامل

۱- ۱) -رجح البعض التفسیر الثانی لأن المخاطب فی الآیات السابقه هو الأزواج و لکنه یشکل بأن تعبیر «أزواجهن»یکون تعبیرا مجازیا بالنسبه إلی الأزواج مضافا إلی انه لا ینسجم مع شأن النّزول.

المعنوی،لأنّ«التّزکیه»فی الأصل(الزّکاه)بمعنی النمو.

و ذکر بعض المفسّرین إنّ جمله أَزْکیٰ لَکُمْ تشیر إلی الثواب المترتّب علی الأعمال،و جمله(أطهر)تشیر إلی الطّهاره و النّقاء من الذّنوب.و من البدیهی أنّ الزّوجین بالرّغم من کلّ تلک العلاقه الوطیده و الحمیمه التی تربط بینهما قد ینفصلا بسبب بعض الحوادث المؤسفه،و لکن بعد الانفصال و الفرقه و مشاهده الآثار الوخیمه المترتّبه علی هذه الفرقه یندمان و یصمّمان علی العوده إلی الحیاه المشترکه،و هنا لا ینبغی التشدّد و التعصّب لمنع عودتهما لأنّ ذلک یخلّد آثارا سلبیّه و خیمه فی روحیّه کلّ منهما،و قد یؤدّی إلی انحرافهما و تلوّثهما بالرّذیله، و إن کان لهما أبناء کما هو الغالب فإنّ مصیرهم سوف یکون تعیسا جدّا،و مسئولیّه هذه العواقب الألیمه و الإفرازات المشؤومه تکون بعهده من یمنع هذین الزّوجین من المصالحه.

ص:۱۷۴

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۳۳]

اشاره

وَ اَلْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَیْنِ کامِلَیْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ یُتِمَّ اَلرَّضاعَهَ وَ عَلَی اَلْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ کِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُکَلَّفُ نَفْسٌ إِلاّ وُسْعَها لا تُضَارَّ والِدَهٌ بِوَلَدِها وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَی اَلْوارِثِ مِثْلُ ذلِکَ فَإِنْ أَرادا فِصالاً عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَیْهِما وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَکُمْ فَلا جُناحَ عَلَیْکُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَیْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اِتَّقُوا اَللّهَ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ (۲۳۳)

التّفسیر

اشاره

أحکام الرّضاع السّبعه:

هذه الآیه فی الواقع استمرار للأبحاث المتعلّقه بمسائل الزّواج و الحیاه الزّوجیّه، و تبحث مسأله مهمّه هی مسأله(الرّضاع)،و تذکر بعبارات مقتضبه و فی نفس الوقت ذات معنی عمیق الجزئیات المتعلّقه بالرّضاع المختلفه،فهناک علی العموم سبعه أحکام فی هذا الباب:

۱-تقول الآیه فی أوّلها وَ الْوٰالِدٰاتُ یُرْضِعْنَ أَوْلاٰدَهُنَّ حَوْلَیْنِ کٰامِلَیْنِ .

(والـدات)جمع(والـده)و هی فی اللّغه بمعنی الام،و لکنّ کلمه الام لها معنی أوسع و هی قـد تطلق علی الوالـده و علی الجدّه أی والده الوالده،و قد تعنی أصل الشیء و أساسه.

و فی هـذا المقطع من الآـیه نلاحظ أنّ حقّ الإرضاع خلال سـنتی الرضاعه یعود للام،فهی التی لها أن ترضع مولودها خلال هـذه المدّه و أن تعتنی به،و علی الرغم من أنّ(الولایه)علی الأطفال الصغار قد أعطیت للأب،و لکن لمّا کانت تغذیه الولید الجسمیه و الروحیه خلال هـذه المـدّه ترتبط ارتباطا لا ینفصم بلبن الأم و عواطفها،فقـد أعطیت حقّ الاحتفاظ به،کما تجب مراعاه عواطف الأمومه، لأنّ الأم لا تسـتطیع فی هذه اللحظات الحسّاسه أن تری حضـنها خالیا من ولیدها و أن لا تبالی به،و علیه فإنّ تخصیصـها بحقّ الحضـانه و الرعـایه و الرضـاعه یعتبر حقـا ذا جانبین،فهو یرعی حال الطفل کما یرعی حال الأم،و التعبیر ب«أولادهن» إشاره لطیفه إلی هـذا المعنی.و بـالرغم من أن الجمله مطلقه ظـاهرا و تشـمل النسـاء المطلقـات و غیر المطلقـات،و لکن الجمله اللاحقه توضـح أن الآـیه تقصـد النساء المطلقات مع وجود هـذا الحقّ لسائر الأمهات،و لکن فی صوره عـدم وجود الطلاق فلا أثر عملی لهذا الحکم.

۲-لیس من الضروری أن تکون مدّه رضاعه الطفل سنتین حتما،إنّما السنتان لمن یرید أن یقضی دوره رضاعه کامله لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ یُتِمَّ الرَّضٰاعَهَ و لکن للأم أن تقلل من هذه الفتره حسب مقتضیات صحّه الطفل و سلامته.

فی الروایـات التی وصـلتنا من أهـل البیت علیهم السّـلام أنّ دوره رضاعه الطفل الکامله سـنتان کاملتان،و دورتها غیر الکامله ۲۱ شهرا (۱) ،و لعلّ هذا یأخذ أیضا بنظر

---

۱ - ۱) -وسائـل الشیعه:ج ۱۵ ص ۱۷۷(بـاب أقـلّ مـدّه الرضـاع و أکثره)ج ۲ و ۵،و ورد فی بعض هـــذه الروایـــات إذا نقص عن(۲۱)شهرا کان ظلما للرضیع.

الاعتبار مفاد هذه الآیه مع الآیه(١۵)من سوره الأحقاف التی تقول وَ حَمْلُهُ وَ فِصٰالُهُ ثَلاٰثُونَ شَهْراً .و لمّا کانت فتره الحمل ٩ أشهر،فتکون فتره الرضاعه الاعتیادیه ٢١ شهرا.

و لمّا لم یکن فی آیه سوره الأحقاف ما یفید الإلزام و الوجوب،فإنّ للوالدات الحقّ فی تخفیض فتره ال ٢١ شهرا بما یتّفق و صحّه الولید و سلامته.

٣-نفقه الأم فی الطعام و اللباس،حتّی عند الطلاق أثناء فتره الرضاعه تکون علی والد الطفل،لکی تتمکن الأم من الانصراف إلی العنایه بطفلها و إرضاعه مرتاحه البال و بدون قلق.

وَ عَلَی الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ کِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

.

هنا تعبیر«المولود له»بدلا من«الأب»یستلفت الانتباه،و لعلّه جاء لاستثاره عواطف الأبوه فیه فی سبیل حثّه علی أداء واجبه.أی أنّه إذا کان قد وضع علی عاتقه الإنفاق علی الولید و أمه خلال هذه الفتره، فذلک لأنّ الطفل ابنه و ثمره فؤاده،و لیس غریبا عنه.

إنّ الإتیان بقید«المعروف»یشیر إلی أنّ طعام الأم و لباسها ینبغی أن یکونا من اللائق بها و المتعارف علیه،فلا یجوز التقتیر و لا الإسراف.

و لرفع کلّ غموض محتمل تشیر الآیه إلی أنّ علی کلّ أب أن یؤدّی واجبه علی قدر طاقته لاٰ تُکَلَّفُ نَفْسٌ إِلاّٰ وُسْعَهٰا .و یری البعض أن هذه الجمله بمثابه العلّه لأصل الحکم.و البعض الآخر بعنوان تفسیر الحکم السابق(و النتیجه واحده).

۴-لا یحقّ لأیّ من الوالدین أن یجعلا من مستقبل ولیدهما و مصیره أمرا مرتبطا بما قد یکون بینهما من اختلافات،فیکون من أثر ذلک أن تصاب نفسیه الولید بضربه لا یمکن تفادی آثارها.

لاٰ تُضَارَّ وٰالِدَهٌ بِوَلَدِهٰا وَ لاٰ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ

.

علی الأب أن یحذر انتزاع الولید من أحضان أمه خلال فتره الرضاعه

فیعتـدی بـذلک علی حقّ الأم فی حضانه ولیـدها.کما أنّ علی الأم التی أعطیت هـذا الحقّ أن لا تسـتغله و أن لا تتذرّع بمختلف الأعذار الموهومه للتنصّل من إرضاع ولیدها،أو أن تحرم الأب من رؤیه طفله.

و ذکر احتمال آخر فی تفسـیر الآیه و هو أنّ المراد أنّ الأب لیس له أن یسـلب الزّوجه حقّها فی المقاربه الجنسـیّه بسبب الخوف من الحمـل و فی النتیجه الإضـرار بالمرضع،و لا الام بإمکانها منع زوجها من هـذا الحقّ لهـذا السـبب، و لکنّ التفسـیر الأوّل أکثر انسجاما مع ظاهر الآیه (۱) .

التعبیر ب(ولدها)و(ولده)من أجل تشویق الآباء و الأمّهات برعایه حال الأطفال الرّضع،مضافا إلی أنّه إشاره إلی أنّ الرّضـیع متعلّق لکلیهما خلافا لما هو المرسوم من تقالید الجاهلیّه من أنّ الولد متعلّق بالأب خاصّه و لیس للام سهم من الحقّ فیه.

۵-ثمّ تبیّن الآیه حکما آخر یتعلّق بما بعد وفاه الأب فتقول: وَ عَلَی الْوارِثِ مِثْلُ ذٰلِکَ .

یعنی أنّ الورثه یجب علیهم تأمین احتیاجات الام فی مرحله الرّضاعه للطفل،و هناک احتمالات اخری فی تفسـیر الآیه الشـریفه و لکنّها ضعیفه.

۶-و تتحدّث الآیه أیضا عن مسأله فطام الطّفل عن الرّضاعه و تجعله بعهده کلّ من الأبوین علی الرّغم ممّا جاء فی الآیات السابقه من تحدیـد فتره الرّضـاعه، إلاّ أنّ للأبوین أن یفطما الطّفل وقت ما یشاءان حسب ما تقتضـیه صـحّه الطّفل و سـلامته الجسـمیّه،و تقول الآیه: فَإِنْ أَرٰادٰا فِصٰالاً عَنْ تَرٰاضٍ مِنْهُمٰا وَ تَشٰاوُرٍ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْهِمٰا .

و فی الواقع أنّ الأب و الام یجب أن یراعیا مصالح الطّفل و یتشاوران فی ذلک

۱- ۱) -علی التفسیر الأوّل فعل«لا تضار»فعل معلوم،و علی التفسیر الثانی فعل مجهول و إن کان تلفظ الاثنین واحدا،تأمل جیدا.

للوصول إلى التّوافق و التّراضى،فيضعان برنامج مدروس لفطام الطّفل من الرّضاع دون أن يحدث لهما مشاجره فى هذه المسأله و التى قد تؤدّى إلى ضياع حقوق الطّفل.

۷-أحيانا تمتنع الام من حضانه الطّفل و حقّها فى إرضاعه و رعايته أو أنّه يوجد هناك مانع حقيقى لذلك،ففى هذه الصّوره يجب التفكير فى حلّ هذه المسأله و لهذا تقول الآيه وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاٰدَكُمْ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ إِذٰا سَلَّمْتُمْ مٰا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ .

و هناك عدّه تفاسير لجمله إِذٰا سَلَّمْتُمْ مٰا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ فذهب بعض المفسّرين.

و أنّه لا مانع من اختيار مرضعه بدل الام بعد توافق الطرفين بشرط أنّ هذا الأمر لا يسبّب إهدار حقوق الام بالنسبه إلى المدّه الفائته من الرّضاعه،بل يجب إعطاءها حقّها فى المدّه الفائته التى أرضعت فيها الطّفل حسب ما تقتضيه الأعراف و العادات.

و ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ العباره ناظره إلى حقّ المرضعه،فيجب أداء حقّها وفقا لمقتضيات العرف و العاده،و ذهب آخرون إلى أنّ المراد من هذه الجمله هو اتّفاق الأب و الأم فى مسأله انتخاب المرضعه فعلى هذا تكون تأكيدا للجمله السابقه،و لكنّ هذا التفسير ضعيف ظاهرا،و الصحيح هو التفسير الأوّل و الثانى، و قد اختار المرحوم(الطبرسى)التفسير الأوّل (۱) .

و فى الختام تحذّر الآيه الجميع و تقول وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .

فلا ينبغى للاختلافات التى تحصل بين الزّوجين أن تؤدّى إلى إيقاد روح الانتقام فيهما حيث يعرّض مستقبلهما و مستقبل الطّفل إلى الخطر،فلا بدّ أن يعلم

۱- ۱) -تفسير مجمع البيان:ج ۱ و ۲ ص ۳۳۶.

الجميع بأنّ اللّه تعالی يراقب أعمالهم بدقّه.

هـذه الأحكام المـدروسه بـدقّه و المشـفوعه بالتّحـذيرات تبيّن بوضوح درجه اهتمام الإسـلام بحقوق الأطفال و كذلك الامّهات حيث يدعو إلی رعايه الحدّ الأكثر من العداله فی هذا المجال.

أجـل،فـإنّ الإسـلام-و علی خلاـف ما هو السائـد فی العالم المادی المعاصـر حيث تسـحق فيه حقوق الطبقه الضـعيفه-يهتم غايه الاهتمام بحفظ حقوقهم.

ص :۱۸۰

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۲۳۴ الی ۲۳۵]

اشاره

وَ اَلَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْوٰاجاً یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَهَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً فَإِذٰا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ فِیمٰا فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (۲۳۴) وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ فِیمٰا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَهِ اَلنِّسٰاءِ أَوْ أَکْنَنْتُمْ فِی أَنْفُسِکُمْ عَلِمَ اَللّٰهُ أَنَّکُمْ سَتَذْکُرُونَهُنَّ وَ لٰکِنْ لاٰ تُوٰاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاّٰ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَ لاٰ تَعْزِمُوا عُقْدَهَ اَلنِّکٰاحِ حَتّٰی یَبْلُغَ اَلْکِتٰابُ أَجَلَهُ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ یَعْلَمُ مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ فَاحْذَرُوهُ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ حَلِیمٌ (۲۳۵)

التّفسیر

اشاره

خرافات تبعث علی تعاسه المرأه:

إنّ واحده من المشاکل الرئیسیه فی حیاه المرأه هی الزواج بعد موت زوجها.

و لمّا کان بناء الأرمله بزوج جدید بعد موت زوجها السابق مباشره لا ینسجم مع ما تکنّه من حبّ و احترام لزوجها المتوفی،و لا مع الاطمئنان إلی عدم وجود

حمل فی رحمها منه،و قد یؤدّی إلی جرح مشاعر أهل زوجها الأول،فقد جاءت الآیه تشترط للزواج الجدید أن یمرّ علی موت زوجها السابق أربعه أشهر و عشره أیّام.

إنّ احترام الحیاه الزوجیه بعد موت أحد الزوجین أمر فطری،بحیث نجد فی مختلف القبائل تقالیدا و طقوسا خاصّه بهذا الموضوع علی الرغم من أنّ بعض هذه العادات کانت تبلغ حدّ الإفراط الذی یقیّد المرأه بقیود ثقیله تبلغ حدّ القضاء علی حیاتها احتراما لذکری زوجها الراحل.کقیام بعض القبائل بحرق المرأه بعد موت زوجها،أو بدفنها حیّه معه فی قبره.و بعض آخر کانوا یحرمون المرأه من الزواج بعد زوجها مدی الحیاه،و فی بعض القبائل کان علی المرأه أن تقضی بعض الوقت بجانب قبر زوجها تحت خیمه سوداء قذره و فی ملابس رثّه بعیده عن کلّ نظافه أو زینه أو اغتسال (۱) .

إلاّ أنّ الآیه المذکوره تلغی کلّ هذه الخرافات،و لکنّها تحافظ علی احترام الحیاه الزوجیّه بإقرار العدّه.

وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْوٰاجاً یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَهَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً فَإِذٰا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ فِیمٰا فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

.

و بما أنّ أولیاء و أقرباء المرأه یتدخّلون أحیانا فی أمرها أو یأخذون بمصالحهم بنظر الإعتبار فی زواجها المجدّد تقول الآیه فی ختامها: وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ و سیجازی کلّ شخص بما عمله من أعمال سیئه أو حسنه.

و جمله فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ فِیمٰا فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ و التی تشیر إلی أنّ المخاطب فیها هم الرّجال من أقرباء المرأه تدلّ علی أنّهم کانوا یرون فی تحرّر

۱- ۱) -الإسلام و عقائد الإنسان:ص ۶۱۷.

المرأه بعد وفاه زوجها عيبا و إثما،و يعتقدون بأنّ التضييق عليها و التشدّد فى أمرها من واجباتهم،فهذه الآيه تأمر بصراحه بترك هذه الامرأه حرّه فى اختيارها و لا إثم عليكم من ذلك(و يستفاد ضمنا من هذه العباره سقوط ولايه الأب و الجد أيضا عليها)و لكن فى نفس الوقت تتضمّن الآيه تحذيرا للمرأه بأنّه لا ينبغى أن تسىء الاستفاده من هذه الحريّه،بل تتقدّم إلى اختيار الزوج الجديد بخطّوات مدروسه و أسلوب لائق(بالمعروف).

و حسب ما وصلنا من أئمّه المسلمين فإنّ على الأرامل فى هذه الفتره أن يحافظن على مظاهر الحزن،أى ليس لهنّ أن يتزينّ مطلقا،بل ينبغى التجرّد من كلّ زينه،و لا شكّ أنّ فلسفه المحافظه على هذه العدّه توجب ذلك أيضا.

لقد حرّر الإسلام المرأه من الخرافات الجاهليّه و اقتصر على هذه العدّه القصيره بحيث ظنّ بعضهم أنّ لها أن تتزوّج حتّى خلال هذه الفتره،و من ذلك أنّ امرأه قدمت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم تستجيزه أن تكتحل و هى فى العدّه فنهاها رسول اللّه و ذكّرها بما كان يفرض على المرأه فى الجاهليّه خلال سنه كامله بعد الوفاه من حداد شديد و إرهاق فظيع مشيرا إلى سماحه الإسلام فى هذا الأمر (1) و إنّه ممّا يلفت النّظر أنّ الأحكام الإسلاميّه بشأن العدّه تأمر المرأه بالتزام العدّه حتّى و إن لم يكن هناك أىّ احتمال بأن تكون حاملا،حيث إنّ عدّتها لا تبدأ بتاريخ موت زوجها،بل بتاريخ وصول خبر موت زوجها إليها و إن يكن بعد شهور،و هذا يدلّ دلاله قاطعه على أنّ الهدف من هذا التشريع هو الحفاظ على احترام الحياه الزوجيّه و حرمتها إضافه إلى ما لهذا التشريع من أهميّه بالنّسبه لاحتمال حمل المرأه.

١- ١) -المنار:ج ٢ ص ٤٢٢.

الآیه الثانیه تشیر إلی أحد الأحکام المهمّه للنّساء فی العدّه(بمناسبه البحث عن عدّه الوفاه فی الآیات السّابقه)فتقول:وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ فِیمٰا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَهِ النِّسٰاءِ أَوْ أَکْنَنْتُمْ فِی أَنْفُسِکُمْ عَلِمَ اللّٰهُ أَنَّکُمْ سَتَذْکُرُونَهُنَّ وَ لٰکِنْ لاٰ تُوٰاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاّٰ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً .

فهذه الآیه تبیح للرّجال أن یخطبوا النّساء اللّواتی فی عدّه الوفاه بالکنایه أو الإضمار فی النّفس أَوْ أَکْنَنْتُمْ فِی أَنْفُسِکُمْ و هذا الحکم فی الواقع من أجل الحفاظ علی حریم الزّواج السّابق من جهه،و کذلک لا یحرم الأرمله من حقّها فی تعیین مصیرها من جهه اخری،فهذا الحکم یراعی العداله و کذلک حفظ احترام الطّرفین.

و من الطّبیعی أن تفکّر المرأه فی مصیرها بعد وفاه زوجها، و کذلک یفکّر بعض الرّجال بالزّواج بهنّ للشروط الیسیره السهله فی الزّواج بالأرامل،و لکن من جهه لا بدّ من حفظ حریم دائره الزّوجیّه السّابقه کما ورد من الحکم آنفا یدلّ بوضوح علی رعایه کلّ هذه المسائل المذکوره،و نفهم من عباره وَ لٰکِنْ لاٰ تُوٰاعِدُوهُنَّ سِرًّا أنّه مضافا إلی النهی عن الخطبه العلنیّه فإنّه لا یجوز کذلک أن تصارحوهنّ بالخطبه سرّا أیضا إلاّ إذا کان الکلام بهذا الشأن یتّفق مع الآداب الاجتماعیّه فی موضوع موت الزّوج،أی أن یکون الکلام بالکنایه و بشکل مبطّن.

و عباره(عرّضتم)من مادّه(التّعریض)و التی تعنی کما یقول الرّاغب فی المفردات:الحدیث الّذی یحتمل معنیین الصدق و الکذب أو الظّاهر و الباطن.

و علی قول المفسّر الکبیر المرحوم الطبرسی فی مجمع البیان أنّ التّعریض ضد التصریح،و هو فی الأصل من مادّه(عرض)الذی هو بمعنی جانب الشیء (1) .

1- 1) -مجمع البیان:ج 1 و 2،ص 338.

و یضرب أئمه الإسلام فی تفسیر هذه الآیه بشأن الخطبه الخفیّه أو القول المعروف کما یقول القرآن أمثله عدیده،من ذلک ما ورد عن الإمام الصادق علیه السّلام قال (یلقاها فیقول إنّی فیک راغب و إنّی للنّساء لمکرم فلا تسبقینی بنفسک) (۱) .

و قد ورد هذا المضمون أو ما یماثله فی کلام کثیر من الفقهاء و الجدیر بالذّکر أنّ الآیه أعلاه علی الرّغم من أنّها وردت بعد الآیه التی تذکر عدّه الوفاه،و لکنّ الفقهاء صرّحوا بأنّ الحکم أعلاه لا یختصّ بعدّه الوفاه بل یشمل غیرها أیضا.

یقول المرحوم الفقیه و المحدّث المعروف صاحب الحدائق:(و قد صرّح الأصحاب بأنّه لا یجوز التعریض بالخطبه لذات العدّه الرجعیّه لأنها زوجه،فیجوز للمطلّقه ثلاثا من الزوج و غیره،و لا یجوز التصریح لها منه و لا من غیره،أمّا المطلّقه تسعا للعدّه ینکحها بینها رجلان فلا یجوز التعریض لها من الزوج و یجوز من غیره،و لا یجوز التصریح فی العدّه منه و لا من غیره.

أمّا العدّه البائنه فیجوز التعریض من الزوج و غیره و التصریح من الزوج دون غیره) (۲) .

و إذا أردتم التفصیل راجعوا الکتب الفقهیه بالأخص کتاب الحدائق فی استمرار هذا البحث.

ثمّ تضیف الآیه وَ لاٰ تَعْزِمُوا عُقْدَهَ النِّکٰاحِ حَتّٰی یَبْلُغَ الْکِتٰابُ أَجَلَهُ فمن المسلّم أنّ الشخص إذا عقد علی المرأه فی عدّتها یقع العقد باطلا،بل أنّه إذا أقدم علی هذا العمل عالما بالحرمه فإنّ هذه المرأه ستحرم علیها أبدا.

و بعد ذلک تعقّب الآیه: وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ یَعْلَمُ مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ فَاحْذَرُوهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ حَلِیمٌ .

ص:۱۸۵

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین:ج ۱ ص ۲۳۲ ح ۹۰۵.

۲- ۲) -الحدائق:ج ۲۴ ص ۹۰.

و بهذا لا بدّ أن تعلموا أنّ اللّه تعالی مطّلع علی أعمالکم و نیّاتکم و فی نفس الوقت لا یؤاخذ المذنبین بسرعه.

جمله لاـ تَعْزِمُوا من مـادّه(عزم)بمعنی قصـد،فعنـد مـا تقول الآیه وَ لاٰ تَعْزِمُوا عُقْـدَهَ النِّکاحِ فهو فی الواقع نهی مؤکّـد عن الإقـدام العملی علی عقد الزّواج و یعنی التّحذیر حتّی من نیّه و قصد هذا العمل فی زمان العدّه.

ص :۱۸۶

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ٢٣٦ الی ٢٣٧]

اشاره

لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ اَلنِّسٰاءَ مٰا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَهً وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَى اَلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى اَلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتٰاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى اَلْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَهً فَنِصْفُ مٰا فَرَضْتُمْ إِلاّٰ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا اَلَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَهُ اَلنِّكٰاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ وَ لاٰ تَنْسَوُا اَلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اَللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

التّفسير

اشاره

كيفيّه أداء المهر:

فی هاتين الآيتين نلاحظ أحكام أخرى للطّلاق استمرارا للأبحاث السّابقه.

تقول الآيه فی البدايه لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ مٰا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ (١) أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَهً

ص: ١٨٧

١- ١) -«مس»فی اللغه بمعنی الملامسه،و هنا كنايه عن الجماع و«فريضه»بمعنی الواجب،و هنا جاءت بمعنی المهر.

و هـذا يعنى جواز طلاق النساء قبل المقاربه الجنسيّه و قبل تعيين المهر،و هـذا فى صوره ما إذا علم الرّجل أو كلا الزّوجين بعد العقد و قبل المواقعه أنّهما لا يستطيعان استمرار الحياه الزّوجيّه هـذه،فمن الأفضل أن يتفارقا فى هذا الوقت بالذّات،لأنّ الطّلاق فى المراحل اللاّحقه سيكون أصعب.

و على كلّ حال فهـذا التعبير فى الآيه جواب على من يتصوّر أنّ الطّلاق قبل المواقعه أو قبل تعيين المهر لا يقع صحيحا،فالقرآن يقول أنّ هذا الطّلاق صحيح و لا إثم عليه(و قد يمنع من كثير من المفاسد).

و ذهب البعض أن(جناح)فى هـذه الآيه بمعنى(المهر)الّذى يثقل على الزّوج، يعنى أنّ الرّجل حين الطّلاق و قبل المقاربه الزوجيّه و تعيين المهر ليس مكلّفا بـدفع أى شـىء بعنوان المهر إلى المرأه،و بالرّغم من أنّ بعض المفسّرين (۱) أورد كلاما طويلا حول هذا التفسير،و لكن استعمال كلمه«جناح»بمعنى المهر يعتبر غريبا و غير مأنوس.

و احتمـل آخرون أنّ معنى الجمله أعلاه هو جواز طلاق المرأه قبـل المقـاربه الجنسيّه فى جميع الأحوال(سواء كانت فى العاده الشهريّه أو لم تكن)و الحال أنّ الطّلاق بعد المواقعه الجنسيّه يجب أن يكون فى الزّمان الطّهر الّذى لم يواقعها فيه حتما (۲) ،و لكن هذا التفسير بعيد جدّا لأنّه لا ينسجم مع جمله أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً .

ثمّ تبيّن الآيه حكما آخرا فى هذا المجال و تقول: وَ مَتِّعُوهُنَّ أى يجب أن تمنح المرأه هديّه تناسب شؤونها فيما لو جرى الطّلاق قبل المضاجعه و قبل تعيين المهر،و لكن يجب أن يؤخذ بنظر الإعتبار قدره الزّوج الماليّه فى هذه الهديّه،

۱- ۱) -تفسير الكبير:ج ۶ ص ۱۳۷.

۲- ۲) -المصدر السابق.

و لذلک تعقّب الآیه الشریفه بالقول عَلَی الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَی الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَی الْمُحْسِنِینَ .

(الموسع)بمعنی المقتدر و الثّری و(المقتر)بمعنی الفقیر(من مادّه قتر و کذلک وردت بمعنی البخل أیضا)کقوله تعالی وَ کانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً (۱) .

و جمله مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ یمکن أن تشیر إلی جمیع ما ذکرناه،أی أنّ الهدیّه لا بدّ أن تکون بشکل لائق و بعیده عن الإسراف و البخل.

و مناسبه لحال المهدی و المهدی إلیه.

و لمّا کان لهذه الهدیّه أثر کبیر للقضاء علی روح الانتقام و فی الحیلوله دون إصابه المرأه بعقد نفسیّه بسبب فسخ عقد الزّواج،فإنّ الآیه تعتبر هذا العمل من باب الإحسان حَقًّا عَلَی الْمُحْسِنِینَ (۲) أی أن یکون ممزوجا بروح الإحسان و اللّطف،و لا حاجه إلی القول بأنّ تعبیر(المحسنین)لم یأت لیشیر إلی أنّ الحکم المذکور لیس إلزامیّا،بل جاء لإثاره المشاعر و العواطف الخیّره فی النّاس للقیام بهذا الواجب الإلزامی.

الملاحظه الاخری فی هذه الآیه هی أنّ القرآن یعبّر عن الهدیه الّتی یجب أن یعطیها الرجل للمرأه باسم(متاع)فالمتاع فی اللّغه هو کلّ ما یستمتع به المرء و ینتفع به،و یطلق غالبا علی غیر النقود،لأنّ الأموال لا یمکن التمتّع بها مباشره،بل لا بدّ أوّلا من تبدیلها إلی متاع،و لهذا کان تعبیر القرآن عن الهدیّه بالمتاع.

و لهذا العمل أثر نفسی خاص،فکثیرا ما یحدث أن تکون الهدیه من المأکل أو الملبس و نظائرهما مهما کانت زهیده الثمن أثر بالغ فی نفوس المهدی إلیهم لا یبلغه أبدا أثر الهدیّه النقدیّه،لذلک نجد أنّ الروایات الواصله إلینا عن أئمّه

۱- ۱) -الاسراء:۱۰۰.

۲- ۲) -«حقّا»یمکن أن تکون صفه ل«متاعا»،أو حال أو مفعول مطلق لفعل محذوف-«متاعا»مفعول مطلق أیضا عن جمله«و متعوهن».

الأطهار علیهم السّلام تذکر هذه الهدایا بصوره مأکل أو ملبس أو أرض زراعیّه.

کذلک یتّضح من هذه الآیه أنّ تعیین المهر قبل إجراء العقد فی النکاح الدائم لیس ضروریّا إذ یمکن للطرفین أن یتّفقا علی ذلک بعد (۱) إذ کما تفید الآیه أیضا أنّه إذا حصل الطّلاق قبل تعیین المهر و قبل المضاجعه فلا یجب المهر،بل یستعاض عنه بالهدیّه المذکوره.

و یجب الالتفات إلی أنّ الزّمان و المکان مؤثّران فی مقدار الهدیّه المناسبه.

و تتحدّث الآیه التالیه عن حاله الطّلاق الّذی لم یسبقه المضاجعه و لکن بعد تعیین المهر فتبیّن أنّ الحکم فی هذا اللّون من الطّلاق الّذی یکون قبل المضاجعه و بعد تعیین المهر یوجب علی الزّوج دفع نصف المهر المعیّن وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِیضَهً فَنِصْفُ مٰا فَرَضْتُمْ .

و هذا هو حکم القانونی لهذه المسأله،فیجب دفع نصف المهر إلی المرأه بدون أیّه نقیصه،و لکن الآیه تتناول الجوانب الأخلاقیّه و العاطفیّه و تقول: إِلاّٰ أَنْ یَعْفُونَ أَوْ یَعْفُوَا الَّذِی بِیَدِهِ عُقْدَهُ النِّکٰاحِ .

و المراد من ضمیر(یعفون)هم الأزواج،أمّا فی قوله أَوْ یَعْفُوَا الَّذِی بِیَدِهِ عُقْدَهُ النِّکٰاحِ هو ولیّ الصغیر أو السفیه،و من الواضح أنّ الولیّ لیس له الحقّ من أن یعفو أو یتنازل عن حقّ الصغیر إلاّ إذا تضمّن مصلحه الصغیر.

فعلی هذا یکون حکم دفع نصف المهر بغض النظر عن مسأله العفو و التنازل عن الحقّ،و ممّا تقدّم یتّضح أن من له العفو هو الولی للصّغیر أو السفیه لأنّه هو الّذی بیده أمر زواج المولّی علیه،و لکن بعض المفسّرین تصوّروا أنّ المراد هو الزّوج، بمعنی أنّ الزوج متی ما دفع تمام المهر قبلا(کما هو المتعارف عند الکثیر من

۱- ۱) -لا شکّ أنّ المهر لا یسقط إن لم یذکر فی العقد الدائم بل یعبر(مهر المثل)أی المهر الذی یعادل مهور نساء مماثلات إلاّ إذا حصل الطلاق قبل الدخول عندئذ یتوجب تقدیم هدیّه کما ذکرنا.

العرب)فله الحقّ فی أن یسترجع نصف المهر إلاّ أن یعفو و یتنازل عنه.

أمّا مع الملاحظه الدقیقه فی مضمون الآیه یتبیّن أنّ التفسیر الأوّل هو الصحیح،و أنّ المخاطب فی هذه الآیه هم الأزواج حیث تقول: وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ فی حین أنّ الضمیر فی جمله أَوْ یَعْفُوَا الَّذِی بِیَدِهِ عُقْدَهُ النِّکاحِ جاء حکایه عن الغائب و لا یتناسب ذلک مع عوده إلی الأزواج.

أجل،فإنّ الآیه فی الجمله التالیه تقول وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوی وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَیْنَکُمْ إِنَّ اللّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ .

فمن الواضح أنّ المخاطب فی هذه الجمله هم الأزواج،فتکون النتیجه أنّ الحدیث فی الجمله السّابقه کان عن عفو الأولیاء،و فی هذه الجمله تتحدّث الآیه عن عفو الأزواج،و جمله وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَیْنَکُمْ خطاب لعموم المسلمین أن لا ینسوا المثل الإنسانیه فی العفو و الصفح و الإیثار فی جمیع الموارد.

و هذا ما ورد فی الروایات الّتی وصلتنا من الأئمّه المعصومین علیهم السّلام فی تفسیر هذه الآیه،و کذلک نری أنّ المفسّرین الشّیعه قد اختاروا هذا الرّأی بالتّوجه إلی مضمون الآیه و الرّوایات الشریفه،فذهبوا إلی أنّ المقصود فی هذه العباره هم أولیاء الزّوجه.

و من الطبیعی أن تطرأ ظروف تجعل الاضطرار إلی أخذ نصف المهر حتّی قبل الدّخول أمرا قد یثیر مشاعر الرّجل و أقرباءه و یجرح عواطفهم و قد ینزعون إلی الانتقام،و یحتمل أن تتعرّض سمعه المرأه و کرامتها إلی الخطر،فهنا قد یری الأب أنّ من مصلحه ابنته أن یتنازل عن حقّها.

جمله وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوی تبیّن جانبا آخر من واجبات الزّوج الإنسانیّه،و هو أن یظهر الزّوج التنازل و الکرم فلا یسترجع شیئا من المهر إن کان قد دفعه،و إن لم یکن دفعه بعد فمن الأفضل دفعه کاملا متنازلا عن النصف الّذی

هو من حقّه،و ذلـك لأنّ المرأه الّتى تنفصل عن زوجها بعـد العقـد تواجه صـدمه نفسيّه شديـده،و لا شكّ أنّ تنازل الرجل عن حقّه من المهر لها يكون بمثابه البلسم لجرحها.

و نلاحظ تأكيـدا فى سياق الآ ـيه الشريفه على أصـل(المعروف)و(الإحسـان) فحتّى بالنّسـبه إلى الطّلاق و الانفصال لا ينبغى أن يكون مقترنـا بروح الانتقام و العـداوه، بل ينبغى أن يتم على أساس السـماحه و الإحسان بين الرّجل و المرأه، لأنّ الزوجين إذا لم يتمكنّا من العيش سويّه و فضّلا الإفتراق بدلائل مختلفه،فلا دليل حينئذ لوجود العداوه و البغضاء بينهما.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۲۳۸ الی ۲۳۹]

اشاره

حافِظُوا عَلَی اَلصَّلَوٰاتِ وَ اَلصَّلاٰهِ اَلْوُسْطیٰ وَ قُومُوا لِلّٰهِ قٰانِتِینَ (۲۳۸) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجٰالاً أَوْ رُکْبٰاناً فَإِذٰا أَمِنْتُمْ فَاذْکُرُوا اَللّٰهَ کَمٰا عَلَّمَکُمْ مٰا لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ (۲۳۹)

سبب النّزول

تذرّع جمع من المنافقین بحراره الجو لإلقاء التفرقه فی صفوف المسلمین، فلم یکونوا یشترکون فی صلاه الجماعه،فتبعهم آخرون و أخذوا یتخلّفون عن صلاه الجماعه،فقلّ بذلک عده المصلّین،فتألّم النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم لذلک کثیرا حتّی أنّه هدّدهم بعقاب ألیم،و

فی حدیث عن زید بن ثابت قال: إنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم کان یؤدّی صلاه الظهر جماعه و الحرّ علی أشدّه ممّا کان یثقل علی أصحابه کثیرا بحیث أنّ صلاه الجماعه أحیانا لم تتجاوز صفا واحدا أو صفّین،فهنا هدّد النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم هؤلاء المنافقین و من لم یشترک صلاه الجماعه بإحراق منازلهم، فنزلت الآیه أعلاه و بیّنت أهمیّه صلاه الظهر جماعه بصوره مؤکّده (۱) .

۱- ۱) -تفسیر مجمع البیان:ج ۱ و ۲ ص ۳۴۲-و بنفس المضمون فی تفسیر«الدّر المنثور»فی ذیل الآیه المبحوثه حسب نقل المیزان.

و هـذا التأكيـد يـدلّ على أنّ مسألـه عـدم المشـاركه فى صـلاه الجمـاعه لم تكن بسـبب حراره الجو فقـط،بـل أنّ جمـاعه أرادوا تضـعيف الإسـلام بهذه الذّريعه و إيجاد الفرقه فى صـفوف المسلمين بحيث دعى النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم إلى أن يتّخذ مثل ذلك الموقف الحازم من هؤلاء.

التّفسير

اشاره

أهميّه الصّلاه و خاصّه الوسطى:

بما أن الصـلاه أفضل وسـيله مؤثره تربط بين الإنسان و خالقه،و إذا أقيمت على وجهها الصحيح ملأت القلب بحبّ اللّه و استطاع الإنسـان بتأثير أنوارها أن يتجنّب الـذنوب و التلوّث بالمعصـيه،لـذلك ورد التأكيـد فى آيات القرآن الكريم عليها،و من ذلك ما ورد فى الآيه محل البحث حيث تقول: حافِظُوا عَلَى الصَّلَوٰاتِ وَ الصَّلاٰهِ الْوُسْطىٰ وَ قُومُوا لِلّٰهِ قٰانِتِينَ .

فلا ينبغى للمسلمين أن يتركوا هذا الأمر المهم بحجّه البرد و الحرّ و مشكلات الحياه و دوافع الزوجه و الأولاد و الأموال.

أمّـا مـا هو المراد بقوله اَلصَّلاٰهِ الْوُسْـطىٰ ؟ذكر المفسّـرون معان مختلفه للمراد من الصـلاه الوسـطى،و ذكر صاحب تفسـير مجمع البيـان سـتّه أقوال،و الفخر الرّازى ذكر فى تفسـيره سـبعه أقوال،و بلغ بهـا القرطبى فى تفسـيره إلى عشـره أقوال، أمّـا تفسـير روح المعانى فذكر لها ثلاثه عشر قولا.

فالبعض يرى أنّها صـلاه الظهر،و آخر صـلاه العصـر،و بعض صـلاه المغرب، و بعض صـلاه العشاء،و بعض صلاه الصبح،و بعض صلاه الجمعه،و بعض صـلاه اللّيل أو خصوص صـلاه الوتر،و ذكروا لكلّ واحـد من هذه الأقوال أدلّه و توجيهات مختلفه،و لكنّ القرائن المختلفه المتوفّره تثبت أنّها صلاه الظهر،لأنّها فضلا عن

کونها تقع فی وسط النّهار،فإنّ سبب نزول هذه الآیه یدلّ علی أنّ المقصود بالصّلاه الوسطی هو صلاه الظهر التی کان الناس یتخلّفون عنها لحراره الجو،کما أنّ هناک روایات کثیره تصرّح بأنّ الصلاه الوسطی هی صلاه الظّهر (۱) .و التأکید علی هذه الصّلاه کان بسبب حراره الجو فی الصّیف،أو بسبب انشغال الناس فی امور الدنیا و الکسب فلذلک کانوا لا یعیرون لها أهمیّه،فنزلت الآیه آنفه الذکر تبیّن أهمیّه صلاه الوسطی و لزوم المحافظه علیها (۲) .

(قانتین)من مادّه(قنوت)و تأتی بمعنیین.

۱-الطاعه و الإتّباع.

۲-الخضوع و الخشوع و التّواضع.

و لا یبعد أن یکون المعنیان مرادین فی هذه الآیه،کما ورد فی الحدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر الآیه وَ قُومُوا لِلّٰهِ قٰانِتِینَ قال:«إقبال الرّجل علی صلاته و محافظته علی وقتها حتّی لا یلهیه عنها و لا یشغله شیء».

و فی روایه اخری قال:

و فی الآیه الثانیه تؤکّد علی أنّ المسلم لا ینبغی له ترک الصلاه حتّی فی أصعب الظروف و الشّرائط کما فی میدان القتال،غایه الأمر أنّ الکثیر من شرائط الصّلاه فی هذا الحال تکون غیر لازمه کالاتّجاه نحو القبله و أداء الرّکوع و السّجود بالشکل الطبیعی،و لذا تقول الآیه فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجٰالاً أَوْ رُکْبٰاناً .

سواء کان الخوف فی حال الحرب أو من خطر آخر،فإنّ الصّلاه یجب أداءها

۱- ۱) -انظر الکتب الفقهیه للاستزاده.

۲- ۲) -المشهور بین فقهاء الشیعه أن المراد منها«صلاه الظهر»بل ادعی الإجماع علی ذلک و من عدّه روایات معتبره وردت فی کتاب وسائل الشیعه:ج ۳ ص ۱۴ الباب ۵ أو هناک قول شاذ و ضعیف بأن المراد منها صلاه العصر«و ذهب أغلب فقهاء أهل السنّه إلی هذا الرأی»و استدلوا علی ذلک بعدّه روایات ضعیفه السند و قد اعرض الأصحاب عنها(لمزید الإیضاح راجع الکتب الفقهیه).

بالإيماء و الإشاره للرّكوع و السّجود،سواء كنتم مشاه أو راكبين.

فَإِذٰا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَمٰا عَلَّمَكُمْ مٰا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

ففى هذه الصّوره، أى فى حاله الأمان يجب عليكم أداء الصّلاه بالصّوره الطبيعيّه مع جميع آدابها و شرائطها.

و من الواضح أنّ أداء الشكر لهذا التعليم الإلهى للصّلاه فى حاله الأمن و الخوف هو العمل على وفق هذه التعليمات.

(رجال)جمع(راجل)و(ركبان)جمع(راكب)و المقصود هو أنّكم إذا خفتم العدو فى ميدان القتال لكم أن تؤدّوا الصلاه راجلين أو راكبين فى حاله الحركه.

و

قد ورد عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه فى بعض الحروب أمر المقاتلين أن يصلّوا بالتّسبيح و التكبير و قول(لا إله إلاّ اللّه) (۱) ، و كذلك نقرأ

فى حديث آخر: إنّ النبى صلّى يوم الأحزاب إيماء

(۲)

.

و كذلك ورد عن الإمام الكاظم عليه السّلام جواز أداء الصلاه فى حاله الخوف إلى غير جهه القبله و يومى للرّكوع و السجود فى حال القيام (۳) .

فهذه الصلاه هى صلاه الخوف التى شرحها الفقهاء فى كتبهم شرحا مفصّلا، و عليه فالآيه توضّح أنّ إقامه الصلاه و الارتباط بين العبد و خالقه يجب أن يتحقّق فى جميع الظروف و الحالات،و بهذا تتحصّل نقطه ارتكاز للإنسان و اعتماده على اللّه،فتكون مبعث الأمل و الرّجاء فى الحياه و تعينه فى التغلّب على جميع المصاعب و المشكلات.

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين.

۲- ۲) -مجمع البيان،فى ذيل الآيه المبحوثه.

۳- ۳) -وسائل الشيعه:ج ۵،ص ۴۸۳ الباب ۳،الحديث ۳ مع التلخيص و نقل الحديث بالمعنى،و وردت أحاديث اخرى بهذا المضمون فى هذا الباب.

بحث

اشاره

دور الصلاه فی تقویه المعنویّات:

قد یحسب البعض أنّ هذا الإصرار و التوکید علی الصلاه ضرب من التعسیر، و لربّما منع ذلک الإنسان من القیام بواجبه الخطیر فی الدّفاع عن نفسه فی مثل ظروف القتال الصّعبه.

فی حین أنّ هذا الکلام اشتباه کبیر،فالإنسان فی مثل هذه الحالات أحوج إلی تقویه معنویّته من أی شیء آخر،لأنّه إذا ضعفت معنویّته و استولی علیه الخوف و الفزع فإنّ هزیمته تکاد تکون حتمیّه،فأیّ عمل أفضل من الصّلاه و الاتّصال باللّه القادر علی کلّ شیء و بیده کلّ شیء من أجل تقویّه معنویّات المجاهدین أو من یواجه الخطر.

لو ترکنا الشواهد الکثیره فی جهاد المجاهدین المسلمین فی صدر الإسلام فإنّنا نقرأ عن حرب الصهاینه الرّابعه مع العرب فی شهر رمضان عام ۱۳۹۳ ه.ق أنّ توجّه الجنود المسلمین إلی الصّلاه و المبادئ الإسلام کان له أثر فعّال فی تقویه عزائمهم و فی التالی انتصارهم علی عدوّهم. و علی أی حال فإنّ أهمیّه الصلاه و تأثیرها الإیجابی فی الحیاه أکبر من أن یستوعبها هذا المختصر،فلا شکّ فی أنّ الصّلاه إذا روعیت معها آدابه الخاصّه و حضور القلب فیها فإنّ لها تأثیرا إیجابیّا عظیما فی حیاه الفرد و المجتمع،و بإمکانها أن تحل الکثیر من المشاکل و تطهّر المجتمع من الکثیر من المفاسد،و تکون للإنسان فی الأزمات و الشدائد خیر معین و صدیق (۱) .

۱- ۱) -للاستزاده و معرفه فوائد الصلاه تراجع الآیه(۴۵)من سوره العنکبوت من هذا التفسیر.

الآیه [سوره البقره (۲): الآیات ۲۴۰ الی ۲۴۲]

اشاره

وَ اَلَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِیَّهً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَی اَلْحَوْلِ غَیْرَ إِخْراجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکُمْ فِی مٰا فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اَللّٰهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۲۴۰) وَ لِلْمُطَلَّقٰاتِ مَتٰاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَی اَلْمُتَّقِینَ (۲۴۱) کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اَللّٰهُ لَکُمْ آیٰاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۲۴۲)

التّفسیر

اشاره

قسم آخر من أحکام الطّلاق:

تعود هذه الآیات لتذکر بعض مسائل الزواج و الطّلاق و الأمور المتعلّقه بها، و فی البدایه تتحدّث عن الأزواج الّذین یتوسّدون فراش الاحتضار و لهم زوجات فتقول: وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِیَّهً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَی الْحَوْلِ غَیْرَ إِخْراجٍ .

أی أنّ الأشخاص من المسلمین إذا حانت ساعه و فاتهم و بقیت زوجاتهم علی قید الحیاه فینبغی أن یوصوا بأزواجهم فی النفقه و السکن فی ذلک البیت لمدّه

ص :۱۹۸

سنه كامله،و هذا طبعا فى صوره ما إذا بقيت الزوجه فى بيت زوجها و لم تخرج خارج البيت،و لهذا تضيف الآيه: فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِي مٰا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ كـأن يخترن زوجـا جديـدا،فلا مانع من ذلك و لا إثم عليكم، و لكن يسقط حقّها فى النفقه و السكنى.

و فى ختام الآيه تشير إلى أنّه لا ينبغى التخوّف من عاقبه خروج النسوه، فتقول بأنّ اللّه قادر على فتح أبواب اخرى أمامهنّ بعد وفاه الأزواج فلو حدثت مشكله فى البيت و لحقت بها مصيبه فإنّ ذلك سيكون لحكمه حتما لأنّ اللّه تعالى عزيز حكيم وَ اللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ،فلو أغلق بابا بحكمته فسوف يفتح اخرى بلطفه، فلا محلّ للقلق و التخوّف،و يعلم من ذلك أنّ جمله يُتَوَفَّوْنَ هنا لا تعنى الموت، بل تعنى المشرف على الموت بقرينه ذكر الوصيّه.

و قوله فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِي مٰا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ تدلّ على وجوب دفع ورثه الزّوج نفقه الزوجه لمدّه سنه كـامله،و فيمـا إذا لم ترض هـذه المرأه بالبقـاء فى بيت الزوج و الاستفاده من النفقه،فلا مانع من ذلك،و لا مانع كـذلك من أن تختار زوجا آخر أيضا،و لكنّ بعض المفسّرين ذكر تفسيرا آخر لهذه العباره و هو أنّها إذا صبرت فى بيت زوجها مدّه سنه كامله ثمّ خرجت من البيت فتزوّجت فلا مانع من ذلك.

و طبقا للتفسير الثانى يجب على المرأه العدّه لمدّه سنه كامله، و لكن على التفسير الأوّل لا يلزم ذلك.و بعباره أخرى أنّ دوام العدّه لمدّه سنه كامله على التفسير الأوّل يعتبر حقّ للمرأه،و لكنّه على التفسير الثانى حكم و إلزام،و لكنّ ظاهر الآيه ينسجم أكثر مع التفسير الأوّل،لأنّ ظاهر الجمله الأخيره هو أنّه استثناء من الحكم السابق.

مسأله:

هل نسخت هذه الآيه؟

يعتقد الكثير من المفسّرين أنّ هذه الآيه قد نسخت بالآيه ۲۳۴ من هذه السوره التى سبق بيانها و فيها ورد أنّ عدّه الوفاه أربعه أشهر و عشره أيّام،و على الرغم من أنّ تلك الآيه تأتى قبل هذه الآيه من حيث الترتيب و لكننا نعلم أنّ الآيات فى السوره لم ترتّب بحسب نزولها،بل قد نجد آيات متأخّره فى النّزول وضعت متقدّمه فى الترتيب،و قد جرى ذلك للتّناسب بين الآيات و لأمر من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

و يرى هؤلاء المفسّرين أيضا أنّ حقّ النفقه لمدّه سنه كامله كان قبل نزول آيات الإرث،و لكن بعد أن قرّرت آيات الإرث للزّوجين مقدارا من الإرث زال هذا الحقّ عنها،فعلى هذا فإنّ الآيه محل البحث منسوخه من جهتين(من جهه مقدار زمان العدّه و من جهه النفقه).

و ذكر المرحوم(الطبرسى)فى«مجمع البيان»أنّ جميع العلماء اتّفقوا أنّ هذه الآيه منسوخه.ثمّ يذكر حديثا عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّ الرجل فى العصر الجاهلى إذا مات كانت زوجته تتمتّع بالنفقه لمدّه سنه كامله ثمّ أنّها تخرج من بيت زوجها بدون ميراث،و بعد ذلك نزلت الآيات المتعلّقه بإرث الزّوجه و نسخت هذه الآيه بتعيين الربع أو الثمن من الميراث لها.

و على هذا يجب أن تحسب نفقه المرأه فى مدّه العدّه من حصّتها من الإرث، و كذلك ورد عن الإمام الصادق أيضا أنّ الآيه التى تقرّر العدّه أربعه أشهر و عشره أيّام و كذلك آيه الإرث قد نسختا هذه الآيه (۱) .

و على كلّ حال،يستفاد من كلمات العلماء أنّ عدّه الوفاه كانت فى زمان

۱- ۱) -مجمع البيان:ج ۱ و ۲ ص ۳۴۵ ذيل الآيه المبحوثه.

الجاهليّه سنه كامله تمرّ خلالها الارمله بكثير من التقاليد و العادات الخرافيّه الشّاقه،فجاء الإسلام و ألغى تلك العادات و أبقى مدّه العدّه سنه فى بدايه الأمر،ثمّ جعلها أربعه أشهر و عشره أيّام،كما منع المرأه فقط من الزّينه خلال هذه المدّه.

و يستفاد من كلام«الفخر الرازى»هو أن الآيه أعلاه نسخت بآيات الإرث و عدّه أربعه أشهر و عشره أيّام (1) .

و لكن لو لا إجماع العلماء و الروايات المتعدّده فى هذا المجال لأمكن القول بعدم وجود التعارض بين هذه الآيات،فإنّ الحكم بأربعه أشهر و عشره أيّام للعدّه هو حكم إلهى،و أمّا المحافظه على العدّه لمدّه سنه كامله و البقاء فى بيت الزوج و الاستفاده من النفقه فإنّه حقّ لها،أى أنّه قد اعطى الحقّ للمرأه أن تبقى فى بيت زوجها المتوفّى سنه كامله إن أرادت ذلك و تستفيد من النفقه طبقا لوصيّه زوجها فى جميع هذه المدّه،و إن رفضت ذلك و لم ترغب فى البقاء،فيجوز لها الخروج من البيت بعد أربعه أشهر و عشره أيّام،و يمكنها كذلك اختيار زوج آخر،و حينئذ سوف تقطع عنها بطبيعه الحال النفقه من مال زوجها السابق.

و لكن مع ملاحظه الروايات المتعدّده عن أهل البيت عليهم السّلام و شهره حكم النسخ أو اتفاق العلماء على ذلك،فلا يمكن قبول مثل هذا التفسير رغم أنّه موافق لظواهر الآيات الشريفه.

فى الآيه الثانيه يبيّن القرآن الكريم حكما آخر من أحكام الطّلاق و يقول:

وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

أى أنّ المتقين يجب عليهم تقديم هديّه لائقه للنساء المطلّقات.

و بالرّغم من أنّ ظاهر الآيه يشمل جميع النساء المطلّقات،و لكن بقرينه الآيه ۲۳۶ السابقه نفهم أنّ هذا الحكم يختص بمورد النسوه التى لم يقرّر لهنّ مهر بعد

۱- ۱) -الفخر الرازى:ج ۶ ص ۱۵۸.

وقوع الطّلاق قبل الوطء،و فى الحقيقه فإنّ هـذه الجمله تأكيـد للحكم المـذكور كيلا يتعرّض للإهمال،و يحتمل أيضا أنّ الحكم المذكور يشمل جميع النسّاء المطلّقات،غايه الأمر أنّ المورد أعلاه من الموارد الوجوبيّه و الموارد الاخرى لها جنبه استحبابيّه.

و على كـلّ حـال فإنّ هـذا الحكم هو أحـد الأحكام الإنسانيّه و الأخلاقيّه فى الإسـلام و التى لها أثر إيجابى على إزاله الرسوبات المتخلّفه من عمليه الطّلاق و منع حاله العداوه و الانتقام و الكراهيّه الناشئه منه.

و ذكر البعض أن دفع هـديه لائقه للنسـاء المطلّقات أمر واجب و هو غير المهر، و لكنّ الظاهر بين علماء الشـيعه كما يسـتفاد من عباره المرحوم الطبرسـى فى مجمع البيان أنّه لا قائل بهذا القول(و يصـرّح المرحوم صاحب الجواهر أيضا أنّ الهديّه المذكوره لا تجب إلاّ فى ذلك المورد الخاص و أنّ هذه المسأله إجماعيّه) (۱) .

و قد احتمل البعض أنّ المراد من المتاع هنا النفقه و هو احتمال بعيد جدّا.

و على كلّ حال أنّ هذه الهديّه و طبق الرّوايات الوارده من الأئمّه المعصومين تعطى إلى المرأه بعد تمام العدّه و الإفتراق الكامل لا فى عدّه الطّلاق الرّجعى، و بعباره أخرى أنّ هذه الهديّه ليست وسيله للعوده،بل للوداع النهائى (۲) .

و فى آخر آيه من الآيات مورد البحث و التى هى آخر آيه من الآيات المتعلّقه بالطّلاق تقول: كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ آيٰاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

و من البـديهى أنّ المراد من التفكّر و التعقّـل هو مـا يتعقّبه التحرّك نحو العمل، و إلاّ فإنّ التفكّر و التعقّل لوحـده فى الأحكام و الآيات لا يثمر نتيجه،و يتبيّن من دراسه الآيات و الأحاديث الإسلاميّه أن لفظه«العقل»تستعمل غالبا عند إيراد

۱- ۱) -جواهر الكلام:ج ۳۱ ص ۵۸.

۲- ۲) -نور الثقلين:ج ۱ ص ۲۴۰ ح ۹۵۶ و ۹۵۷.

التعبير عن امتزاج الإدراک و الفهم مع العواطف و الأحاسیس ثمّ یستتبع ذلک العمل.فعند ما یتحدّث القرآن فی مواضع کثیره عن معرفه اللّه مثلا یشیر إلی نماذج من نظام هذا الکون العجیب،ثمّ یقول إننا نبین هذه الآیات لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ .

و هذا لا یعنی أنّ القصد هو ملء الأدمغه ببعض المعلومات عن نظام الطبیعه، إذ أنّ العلوم الطبیعیه إذا لم تبعث فی القلب و العواطف حرکه نحو معرفه اللّه و حبّه و الانشداد به فلا ارتباط لها بقضایا التوحید.و هکذا المعارف العلمیه لا تکون تعقّلا إلاّ إذا اقترنت بالعمل.

صاحب تفسیر المیزان (۱) یؤیّد هذا الاتجاه فی فهم معنی التعقّل،و یری أنّه الذی یدفع الإنسان بعد الفهم و الإدراک إلی مرحله العمل،و الدلیل علی ذلک قوله تعالی: لَوْ کُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما کُنّا فِی أَصْحابِ السَّعِیرِ (۲) .

و قوله سبحانه أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَتَکُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ یَعْقِلُونَ بِها (۳) فالتعقّل الذی یتحدّث عنه المجرمون یوم القیامه هو ذلک الذی یرافقه العمل، و هکذا التعقّل الناتج عن السیر فی الأرض و التفکیر فی خلق اللّه إنّما هو المعرفه التی تحمل الإنسان علی تغیّر مسیر حیاته و الاتجاه إلی الصراط المستقیم.

و بعباره اخری أنّ التفکّر و التعقّل و التدبّر إذا کان متعمّقا و متجذّرا فی روح الإنسان فلا یمکن أن یکون عدیم الآثار فی دائره الواقع العملی،فکیف یمکن أن یقطع الإنسان و یعتقد جازما بمسمومیّه الغذاء ثمّ یتناوله؟!أو یعتقد جزما بتأثیر الدّواء الفلانی علی معالجه أحد الأمراض الخطره التی یعانی منها ثمّ لا یتناوله!!

۱- ۱) -المیزان:ج ۲ ص ۲۵۰-۲۴۹.

۲- ۲) -الملک:۱۰.

۳- ۳) -الحج:۴۶.

الآيه [سوره البقره (۲): آیه ۲۴۳]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ اَلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اَللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اَللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى اَلنَّاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنَّاسِ لاٰ يَشْكُرُونَ (۲۴۳)

سبب النّزول

انتشر مرض الطاعون فی إحدی مدن الشام و أخذ یحصد الناس بسرعه عجیبه،فهجر المدینه جمع من الناس أملا فی النجاه من مخالب الموت.و إذ نجوا من الموت فعلا بهروبهم من ذلک الجو المبوء،شعروا فی أنفسهم بشیء من القدره و الاستقلالیه،و حسبوا أنّ نجاتهم مدینه لعوامل طبیعیه غافلین عن إراده اللّه و مشیئته،فأماتهم اللّه فی تلک الصحراء بالمرض نفسه.

قیل:إنّ نزول المرض بأهل هذه المدینه کان عقابا لهم،لأنّ زعیمهم و قائدهم طلب منهم أن یستعدّوا للحرب و أن یخرجوا من المدینه.و لکنّهم رفضوا الخروج للحرب بحجّه أنّ مرض الطاعون متفشّی فی میادینها،فابتلاهم اللّه بما کانوا یخشونه و یفرّون منه،فانتشر بینهم مرض الطاعون،فهجروا بیوتهم و هربوا من

المرض إلى خارج المـدينه حيث انشب المرض مخالبه فيهم و ماتوا.و مضـى زمان على هذا حتّى مرّ يوما«حزقيل» (۱) أحد أنبياء بنى إسرائيل بذلك المكان و دعا اللّه أن يحييهم،فاستجاب اللّه دعاءه و أحياهم.

التّفسير

اشاره

كيف ماتوا و كيف عادوا إلى الحياه؟!

هـذه الآـيه كمـا مرّ فى سـبب نزولها تشـير إشاره عابره و لكنّها معبّره إلى قصّه أحـد الأقوام السّالفه التى انتشـر بين أفرادها مرض خطير و موحش بحيث هرب الآلاف منهم من ذلك المكان فتقول الآيه: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ .

من الأساليب الشايعه فى الأدب العربى استعمال تعبير ألم تر فيما يطلب الفات النظر إليه،و بالرّغم من أنّ المخاطب هو رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و لكنّ الكلام موجّه بطبيعه الحال إلى جميع الناس.

و رغم أنّ الآيه أعلاه لا تشـير إلى عدد خاص و اكتفت بكلمه أُلُوفٌ و لكنّ الوارد فى الروايات أنّ عددهم كان عشـره آلاف،و ذكرت روايات اخرى أنّهم كانوا سبعين ألف أو ثمانين ألف (۲) .

ثمّ أنّ الآـيه أشـارت إلى عـاقبتهم فقالت: فَقالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ لتكون قصّه موتهم و حياتهم مرّه اخرى عبره للآخرين.و من الواضح أنّ المراد من مُوتُوا ليس هو الأمر اللفظى بل هو أمر اللّه التكوينى الحاكم على كلّ حىّ فى

۱- ۱) -فى بعض الروايات أنّ حزقيل هو النبىّ الثالث بعد موسى عليه السّلام فى بنى إسرائيل.

۲- ۲) -راجع التفاسير:مجمع البيان،القرطبى،روح البيان،فى ذيل الآيه المبحوثه.

عالم الوجود،أی أنّ اللّه تعالی أوجد أسباب هلاكهم فماتوا جميعا فی وقت قصير، و هذه أشبه بالأمر الذی أورد فی الآيه ۸۲ من سوره يس إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۱) .

و جمله ثُمَّ أَحْياهُمْ إشاره إلی عودتهم إلی الحياه بعد موتهم استجابه لدعاء (حزقيل النبی)كما ذكرنا فی سبب نزول الآيه،و لمّا كانت عودتهم إلی الحياه مرّه اخری من النعم الإلهيّه البيّنه(نعمه لهم و نعمه لبقيّه الناس للعبره)ففی ختام الآيه تقول إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ فليست نعمه اللّه و ألطافه و عنايته تنحصر بهؤلاء،بل لجميع الناس.

بحوث

اشاره

هنا ينبغی أن نشير إلی بعض النقاط:

۱-هل هذه الحادثه التاريخيّه حقيقيّه،أم مجرّد تمثيل؟ هذه الحكايه التی ذكرناها،أ هی حدث تاريخی واقعی أشار إليه القرآن إشاره عابره،ثمّ شرحته الروايات و الأحاديث،أم أنّها أقصوصه لتجسيد الحقائق العقليه و بيانها بلغه حسّيه؟ لمّا كان لهذه الحكايه جوانب غير عاديه بحيث صعب هضمها علی بعض المفسّرين،فإنّهم أنكروا كونها حقيقه واقعه،و قالوا إنّ ما جاء فی الآيه إنّما هو من باب ضرب المثل بقوم يضعفون عن الجهاد ضدّ العدوّ فيهزمون ثمّ يعتبرون بما جری فيستيقظون و يستأنفون الجهاد و محاربه العدوّ و ينتصرون.

و بموجب هذا التفسير يكون معنی«موتوا»الهزيمه فی الحرب بسبب الضعف

۱- ۱) -يس:۸۲.

و التهاون.و«أحياهم»إشاره إلى الوعى و اليقظه و من ثمّ النصر.

هذا التفسير يرى أنّ الروايات التى تعتبر هذه الحادثه واقعه تاريخيه روايات مجعوله و إسرائيليه.

و على الرغم من أن مسأله«الهزيمه»بعد التهاون و«الانتصار»بعد اليقظه مسأله هامّه و رائعه،و لكن لا يمكن إنكار كون ظاهر الآيه يدلّ على بيان حادثه تاريخيه بعينها،و ليست تمثيلا.

إنّ الآيه تتحدّث عن قوم من الماضين ماتوا على أثر هروبهم من حدث مروّع ثمّ أحياهم اللّه.فإذا كانت غرابه الحادثه و بعدها عن المألوف هو السبب فى تأويلها ذاك التأويل،فهذا إذا ما ينبغى أن نفعله بشأن جميع معاجز الأنبياء.

و لو أنّ أمثال هذه التأويلات و التوجيهات و جدت طريقها إلى القرآن لأمكن إنكار معاجز الأنبياء،فضلا عن إنكار معظم قصص القرآن التاريخيه و اعتبارها من قبيل القصص الرمزى التمثيلى،كأن نعتبر قصّه هابيل و قابيل قصّه موضوعه لتمثّل الصراع بين العداله و طلب الحقّ من جهه،و القسوه و الظلم من جهه اخرى،و بهذا تفقد قصص القرآن قيمتها التاريخيه.

و فضلا عن ذلك فإننا لا نستطيع أن نتجاهل الروايات الوارده فى تفسير هذه الآيه،لأنّ بعضها قد ورد فى الكتب الموثوق بها و لا يمكن أن تكون من الإسرائيليات المجعوله.

۲-درس للعبره هدف الآيه فى الواقع كما ورد فى سبب النزول هو إشاره إلى جماعه من بنى إسرائيل الّذين كانوا يتذرّعون تهرّبا من الجهاد بمختلف المعاذير،فابتلاهم اللّه بمرض الطّاعون حيث فتك بهم سريعا و أفناهم و أبادهم إلى درجه أنّه لا يستطيع

أی عدوّ شرس أن یصنع ذلک فی میدان القتال،فبهذا تقول الآیه لهم أنّه لا تتصوّروا أنّ التهرّب من المسؤولیّه و التوسّل بالأعذار الواهیه یجعلکم فی مأمن من الخطر، فأنتم أعجز من أن تقفوا أمام قدره اللّه تعالی،فإنّه تعالی قادر علی أن یبتلیکم بعدوّ صغیر لا یری بالعین و هو مکروب الطّاعون أو الوباء و أمثال ذلک فیختطف أرواحکم فیذرکم کعصف مأکول.

۳-مسأله الرّجعه النقطه الاخری التی لا بدّ من الالتفات إلیها هنا هی مسأله إمکان الرّجعه التی تستفاد من الآیه بوضوح.

و توضیح ذلک:أنّ التاریخ یحدّثنا عن بعض الأقوام من السالفین ماتوا ثمّ أعیدوا إلی هذه الدنیا،کما فی حادثه طائفه من بنی إسرائیل الّذین توجّهوا مع النبی موسی علیه السّلام إلی جبل طور الوارده فی آیه ۵۵ و ۵۶ من سوره البقره و قصّه «عزیر»أو إرمیا الوارده فی الآیه ۲۵۹ من هذه السوره،و کذلک الحادثه المذکوره فی هذه الآیه مورد البحث.

فلا مانع أن تتکرّر هذه الحادثه مرّه اخری فی المستقبل.

العالم الشیعی المعروف ب«الصدوق»رحمه اللّه استدلّ بهذه الآیه علی القول بالرّجعه و قال:(إنّ من معتقداتنا الرّجعه)أی رجوع طائفه من الناس الّذین ماتوا فی الأزمنه الغابره إلی هذه الدّنیا مرّه اخری،و یمکن کذلک أن تکون هذه الآیه دلیلا علی المعاد و إحیاء الموتی یوم القیامه.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۲۴۴ الی ۲۴۵]

اشاره

وَ قٰاتِلُوا فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۲۴۴) مَنْ ذَا اَلَّذِی یُقْرِضُ اَللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضٰاعِفَهُ لَهُ أَضْعٰافاً کَثِیرَهً وَ اَللّٰهُ یَقْبِضُ وَ یَبْصُطُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (۲۴۵)

سبب النّزول

قیل فی سبب نزول الآیه الثانیه

أنّ رسول اللّه قال: من تصدّق بصدقه فله مثلاها فی الجنّه.سوف ینال ضعفه فی الجنّه فقال(أبو الدحداح الأنصاری):یا رسول اللّه إنّ لی حدیقتین إن تصدقت بأحدهما فإن لی مثلیها فی الجنّه،قال:نعم.

قال:و ام الدحداح معی،قال:نعم.قال:و الصبیه معی.قال:نعم.فتصدّق بأفضل حدیقتیه فدفعها إلی رسول اللّه.فنزلت الآیه فضاعف اللّه له صدقته الفی الف و ذلک قوله أضعاف کثیره.

فرجع أبو الدحداح فوجد أم الدحداح و الصبیه فی الحدیقه التی جعلها صدقه،فقام علی باب الحدیقه و تحرج أن یدخلها فنادی یا أمّ الدحداح،قالت:

لبیک یا أبا الدحداح،قال:إنی قد جعلت حدیقتی هذه صدقه و اشتریت مثلیها فی

الجنّه و ام الدحداح معی و الصبیه معی.قالت:بارک اللّه لک فیما شریت و فیما اشتریت،فخرجوا منها و اسلموا الحدیقه إلی النبی فقال النبی:کم نخله متدلّ عذوقها لأبی الدحداح فی الجنه (۱) .

التّفسیر

اشاره

الجهاد بالنّفس و المال:

هـذه الآیات تشـرع فی حـدیثها عن الجهاد و تعقّب بذکر قصّه فی هذا الصدّد عن الأقوام السّالفه،مع الالتفات إلی الأحداث التی مرّت علی جمـاعه من بنی إسـرائیل الّـذین تهرّبوا من الجهـاد بحجّه الإصـابه بمرض الطّـاعون و أخیرا ماتوا بهـذا المرض،یتّضـح الارتباط بین هذه الآیات و الآیات السّابقه.

فی البـدایه تقول الآـیه وَ قٰاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ یسـمع أحادیثکم و یعلم نیاتکم و دوافعکم النفسـیه فی الجهاد.

ثمّ یضـیف القرآن فی الآـیه التالیه: مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضٰاعِفَهُ لَهُ أَضْعٰافاً کَثِیرَهً أی ینفق من الأموال التی رزقه اللّه تعالی إیّاه فی طریق الجهاد و حمایه المستضعفین و المعوزین.

فعلی هـذا یکون إقراض اللّه تعـالی بمعنی(الإنفـاق فی سبیـل اللّه)،و کمـا ذکر بعض المفسّـرین أنّها تعنی المصارف التی ینفقها الإنسان فی طریق الجهاد،لأنّ تأمین احتیاجات الجهاد فی ذلک الوقت کان فی عهـده المسـلمین المجاهـدین،فی حین أنّ البعض یری بأنّ الآیه تشمل کلّ أنواع الإنفاق (۲) .

و لکنّ التفسـیر الثـانی أقرب و أکثر انسـجاما مع ظـاهر الآـیه،و خاصّه أنّه شامل للمعنی الأوّل أیضا،و أساسا فإنّ الإنفاق فی سبیل اللّه و مساعده الفقراء و المساکین

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ و ۲ ص ۳۴۹.

۲- ۲) -راجع تفسیر الکبیر:ج ۶ ص ۱۶۶.

و حمايه المحرومين يعطى ثمره الجهاد أيضا،لأنّ كلّا منها يبعث على استقلال المجتمع الإسلامى و عزّته.

(أضـعاف)جمع(ضـعف)على وزن«علـم».و الضّـعف هـو أنّ تضـيف إلى المقـدار مثلـه أو أمثـاله،و قـد ورد هنـا الجمـع مؤكّـدا بالكثره(كثيره)كما أنّ كلمه(يضاعف) فيها تأكيـد على هـذا المعنى أكثر من كلمه(يضـعّف) (١) ،و كلّ ذلك يـدلّ على أنّ اللّه تعـالى يعطى كـلّ من ينفق فى سبيله الكثير الكثير كالبـذره التى تبـذر فى أرض صـالحه و تسـقى فينمّيهـا و يعيـدها إلى صاحبها أضعافا كثيره كما سيأتى فى الآيه (٢۶١).

و فى ختام الآيه يقول: وَ اللّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ و تشير الآيه إلى أنّه لا تتصوروا إن الإنفاق و البذل سوف يؤدى إلى قلّه أموالكم،لأنّ سعه و ضـيق أرزاقكم بيـد اللّه فهو القادر على أن يعوض ما أنفقتموه أضـعافا مضاعفا،بملاحظه الارتباط الوثيق لأفراد المجتمع،فإن نفس تلك الأموال التى أنفقتموها سوف تعود إليكم فى الواقع.

هذا من البعد الدنيوى،و أمّا البعد الأخروى للإنفاق فلا تنسوا أن جميع المخلوقات سوف تعود إلى اللّه عزّ و جلّ و سوف يثيبكم حينذاك و يجزل لكم العطاء.

بحث

اشاره

لماذا ورد التعبير بالقرض؟

لقـد ورد التعبير بـالقرض فى مورد الإنفـاق فى عـدّه آيات قرآنيه،و هـذا من جهه يحكى عظيم لطف اللّه بالنسبه لعباده،و أهميه مسائله الإنفاق من جهه أخرى،

١- ١) -قال الراغب فى المفردات،فى ماده«ضعف»:قال البعض:ضاعفت أبلغ من ضعّفته.

فالبرغم من أن المالک الحقیقی لجمیع عالم الوجود هو اللّه تعالی و أن الناس یمثلون و کلاء عن اللّه فی التصرف فی جزء صغیر من هذا العالم کما ورد فی الآیه (٧)من سوره الحدید آمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمّا جَعَلَکُمْ مُسْتَخْلَفِینَ فِیهِ .

و لکن مع ذلک یعود سبحانه إلی العبد لیستقرض منه و أیضا استقراض بربح وفیر جدّا(فانظر إلی کرم اللّه و لطفه).

یقول الإمام علی علیه السّلام فی نهج البلاغه: «و استقرضکم و له خزائن السموات و الأرض و هو الغنی الحمید و إنّما أراد أن یبلوکم أیّکم أحسن عملا»

(١)

.

١- ١) -نهج البلاغه القسم الأخیر من الخطبه ١٨٣.

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۲۴۶ الی ۲۵۲]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلْمَلَإِ مِنْ بَنِى إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِى سَبِيلِ اَللّهِ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ اَلْقِتالُ أَلاّ تُقاتِلُوا قالُوا وَ ما لَنا أَلاّ نُقاتِلَ فِى سَبِيلِ اَللّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا فَلَمّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ اَلْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاّ قَلِيلاً
مِنْهُمْ وَ اَللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ (۲۴۶) وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اَللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنّى يَكُونُ لَهُ اَلْمُلْكُ عَلَيْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ
بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ اَلْمالِ قالَ إِنَّ اَللّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِى اَلْعِلْمِ وَ اَلْجِسْمِ وَ اَللّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ
واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۴۷) وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ اَلتّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ
تَحْمِلُهُ اَلْمَلائِكَةُ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۲۴۸) فَلَمّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ قالَ إِنَّ اَللّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ
فَلَيْسَ مِنِّى وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى إِلاّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمّا جاوَزَهُ هُوَ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قالُوا لا
طاقَةَ لَنَا اَلْيَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالَ اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اَللّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اَللّهِ وَ اَللّهُ مَعَ اَلصّابِرِينَ
(۲۴۹) وَ لَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْكافِرِينَ (۲۵۰) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ
اَللّهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اَللّهُ اَلْمُلْكَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ وَ لَوْ لا دَفْعُ اَللّهِ اَلنّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ اَلْأَرْضُ وَ
لكِنَّ اَللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى اَلْعالَمِينَ (۲۵۱) تِلْكَ آياتُ اَللّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۲۵۲)

حادثه ذات عبره:

من الضرورى و قبل الشروع فى تفسير هذه الآيات الشريفه التعرض لجانب من تاريخ بنى إسرائيل المنظور فى هذه الآيات.

اليهود الذين كانوا قد استضعفوا تحت سلطه الفراعنه استطاعوا أن ينجوا من وضعهم المأساوى بقياده موسى عليه السّلام الحكيمه حتى بلغوا القوّه و العظمه.

لقد أنعم اللّه على اليهود ببركه نبيّهم الكثير من النعم بما فيها«صندوق العهد» (1) الذى حمله اليهود أمام الجند فأضفى عليهم الطمأنينه و المعنويه العاليه، و ظلّت هذه الروحيه فيهم بعد رحيل موسى عليه السّلام مدّه من الزمن،إلّا أنّ تلك النعم

١- ١) -سوف نتطرّق قريبا إلى تاريخ هذا الصندوق و محتوياته.

و الانتصارات أثارت فی الیهود الغرور شیئا فشیئا،و أخذوا بمخالفه القوانین، و أخیرا اندحروا علی أیدی الفلسطینیین و خسروا قوّتهم و نفوذهم بخسارتهم صندوق العهد،فکان أن تشتّتوا و ضعفوا و لم یعودوا قادرین علی الدفاع عن أنفسهم حتّی أمام أتفه أعدائهم،بحیث إنّ هؤلاء الأعداء طردوا الکثیرین منهم من أرضهم و أسروا أبناءهم.

استمرّت حالهم علی هذا سنوات طوالا،إلی أن أرسل إلیهم اللّه نبیّا اسمه «اشموئیل»لإنقاذهم و هدایتهم،فتجمّع حوله الیهود الذین کانوا قد ضاقوا ذرعا بالظلم و کانوا یبحثون عن ملجأ یأوون إلیه،و طلبوا منه أن یختار لهم قائدا و أمیرا لکی یتوحّدوا تحت لوائه،و یحاربوا العدوّ متّحدین یدا و رأیا،لاستعاده عزّتهم الضائعه.

اشموئیل الذی کان یعرف ضعفهم و تهاونهم و هبوط معنویّاتهم قال لهم:

أخشی إن اخترت لکم قائدا أن تخذلوه عند ما یدعوکم إلی الجهاد و محاربه العدو.

فقالوا:کیف یمکن أن نعصی أوامر أمیرنا و نرفض القیام بواجبنا،مع أنّ العدوّ قد شرّدنا من أوطاننا و استولی علی أرضنا و أسر أبناءنا!! فرأی اشموئیل أنّ هؤلاء القوم قد شخّصوا داءهم و ها هم قد اتجهوا للمعالجه، و لعلّهم أدرکوا سبب تخلّفهم،فتوجّه إلی اللّه یعرض علیه ما یطلبه القوم فأوحی إلیه:أن اخترنا«طالوت»ملکا علیهم.

فقال اشموئیل:ربّ إنی لا أعرف طالوت و لم أره حتّی الآن.فجاءه الوحی:

سنرسله إلیک فأعطه قیاده الجیش و لواء الجهاد.

من هو طالوت؟

کان طالوت رجلا طویل القامه،ضخما،حسن الترکیب،متین الأعصاب قویّها،ذکیّا،عالما،مدبّرا.

و يقول بعض:إنّ اختيار اسم«طالوت»له كان لطوله،و لكنّه مع كلّ ذلك لم يكن معروفا،حيث كان يعيش مع أبيه فى قريه على أحد الأنهر،و يرعى ماشيه أبيه و يشتغل بالزراعه.

أضاع يوما بعض ماشيته فى الصحراء،فراح يبحث عنها مع صاحب له بضعه أيّام حتّى اقتربا من مدينه صوف.

قال له صاحبه:لقد اقتربنا من صوف مدينه النبىّ اشموئيل،فتعال نزوره لعلّه يدلّنا بما له من اتصال بالوحى و حصانه فى الرأى على ضالّتنا.و التقيا باشموئيل عند دخولهما المدينه.

ما أن تبادل اشموئيل و طالوت النظرات حتّى تعارف قلباهما،و عرف اشموئيل طالوت و أدرك أنّ هذا الشاب هو الذى أرسله اللّه ليقود الجماعه.و عند ما انتهى طالوت من قصّيته عن ضياع ماشيته،قال له اشموئيل:أمّا ماشيتك الضائعه فهى الآن على طريق القريه تتّجه إلى بستان أبيك فلا تقلق بشأنها.و لكنى أدعوك لأمر أكبر من ذلك،إنّ اللّه قد أختارك لنجاه بنى إسرائيل.

فأصاب العجب طالوت من هذا الأمر فى البدايه،و لكنّه قبل المهمّه مسرورا فقال اشموئيل لقومه:لقد اختار اللّه طالوت لقيادتكم،فعليكم جميعا أن تطيعوه، و أن تتهيّأوا للجهاد و محاربه الأعداء.

كان بنو إسرائيل يعتقدون أنّ قائدهم يجب أن تتوفّر فيه بعض المميّزات من حيث نسبه و ثروته،ممّا لم يجدوا منها شيئا فى طالوت،فانتابتهم حيره شديده لهذا الإختيار،فطالوت لم يكن من أسره لاوى التى ظهر منها الأنبياء،و لا كان من أسرتى يوسف أو يهودا اللتين سبق لهما الحكم،بل كان من أسره بنيامين المغموره الفقيره،فاعترضوا قائلين:كيف يمكن لطالوت أن يحكمنا،و نحن أحقّ منه بالحكم! فقال اشموئيل-الذى رآهم على خطأ كبير-:إنّ اللّه هو الذى اختاره أميرا

علیکم،و القیاده تحتاج إلی کفاءه جسمیه و روحیه و هی متوفّره فی طالوت،و هو یفوقکم فیها.إلاّ أنّهم لم یقبلوا بهذا القول،و طلبوا دلیلا علی أنّ هذا الإختیار إنّما کان من اللّه سبحانه.

فقال اشموئیل:الدلیل هو أنّ التابوت-صندوق العهد-الذی هو أثر مهمّ من آثار أنبیاء بنی إسرائیل،و کان مدعاه لثقتکم و طمئنانکم فی الحروب،سیعود إلیکم یحمله جمع من الملائکه.و لم یمض وقت طویل حتّی ظهر الصندوق،و علی أثر رؤیته وافق بنو إسرائیل علی قیاده طالوت لهم.

طالوت فی الحکم

اشاره

تسلّم طالوت قیاده الجیش،و خلال فتره قصیره أثبت لیاقته و جدارته للاضطلاع بمهامّ إداره الملک و قیاده الجیش،ثمّ طلب من بنی إسرائیل أن یعدّوا العدّه لمحاربه عدوّ کان یهدّدهم من کلّ جانب.قال لهم مؤکّدا إنّه لا یرید أن یسیر معه للقتال إلاّ الّذین ینحصر کلّ تفکیرهم فی الجهاد،أمّا الّذین لهم عماره لم تتم، أو معامله لم تکمل،و أمثالهم،فلیس لهم الاشتراک فی الجهاد.و سرعان ما اجتمع حوله جمع تظهر علیه الکثره و القوّه،و تحرّکوا صوب العدو.

و فی المسیره الطویله و تحت أشعه الشمس المحرقه أصابهم العطش.فأراد طالوت-بأمر من اللّه-أن یختبرهم و یصفیهم،فقال لهم:سوف نصل قریبا إلی نهر فی مسیرتنا،و أنّ اللّه یرید أن یمتحنکم به،فمن شرب منکم منه و ارتوی فلیس منّی،و من لا یشرب إلاّ-قلیلا-منه فهو منّی.و لکنّهم ما أن وقعت أنظارهم علی النهر حتّی فرحوا و هرعوا إلیه و شربوا منه حتّی ارتووا،إلاّ نفر قلیل منهم ظلّوا علی العهد.

أدرک طالوت أنّ أکثریه جیشه یتألّف من أناس ضعفاء الإراده و عدیمی العهد،ما خلا بعض الأفراد المؤمنین،لذلک فقد تخلّی عن تلک الأکثریه و اتّجه مع

النفر المؤمن القليل خارجا من المدينه إلى ميادين الجهاد.

إلّا أنّ هذا الجيش الصغير انتابه القلق من قلّته،فقالوا لطالوت:إننا لا طاقه لنا بمقابله جيش قوىّ كثير العدد.غير أنّ الذين كان لهم إيمان راسخ بيوم القيامه، و كانت محبّه اللّه قد ملأت قلوبهم،لم يرهبوا كثره العدوّ و قلّه عددهم،فخاطبوا طالوت بكلّ شجاعه قائلين:قرّر ما تراه صالحا،فنحن معك حيثما ذهبت، و لسوف نجالدهم بهذا العدد القليل بحول اللّه و قوّته، و لطالما انتصر جيش صغير بعون اللّه على جيش كبير،و اللّه مع الصابرين.

فاستعدّ طالوت بجماعته القليله المؤمنه للحرب،و دعوا اللّه أن يمنحهم الصبر و الثبات،و عند التقاء الجيشين خرج جالوت من بين صفوف عسكره و طلب المبارزه بصوت قوى أثار الرعب فى القلوب،فلم يجرأ أحد على منازلته،فى تلك اللحظه خرج شاب اسمه داود من بين جنود طالوت،و لعلّه لصغر سنّه،لم يكن قد خاض حربا من قبل،بل كان قد جاء إلى ميدان المعركه بأمر من أبيه ليكون بصحبه اخوته فى صفوف جيش طالوت.و لكنّه كان سريع الحركه خفيفها،و بالمقلاع الذى كان بيده رمى جالوت بحجرين-بمهاره شديده-فأصابا جبهته و رأسه، فسقط على الأرض ميّتا وسط تعجّب جيشه و دهشتهم.و على أثر ذلك استولى الرعب و الهلع على جيش جالوت،و لم يلبثوا حتّى ركنوا إلى الفرار من أمام جنود طالوت و انتصر بنو إسرائيل (۱) .

التّفسير

نعود إلى تفسير الآيات محلّ البحث فى أوّل آيه يخاطب اللّه تعالى نبيّه الكريم و يقول: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِى إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِى سَبِيلِ اللّهِ .

ص: ۲۱۸

۱- ۱) -عن مجمع البيان و الدر المنثور و قصص القرآن باختصار.

(الملأـ)هـم الجمـاعه يجتمعـون على رأى فيملئـون العيـون رواء و منظرا و النفـوس بهـاء و جلالاـ و لـذلک يقـال لأشــراف كلّ قوم(الملأ)لأنّهم بما لهم من مقام و منزله يملأون العين.

هـذه الآـيه-كمـا قلنا-تشـير إلى جماعه كبيره من بنى إسـرائيل طلبوا بصوت واحـد من نبيّهم أن يختار لهم أميرا و قائـدا ليحاربوا بقيادته(جالوت)الّذى كان يهدّد مجتمعهم و دينهم و اقتصادهم بالخطر.

و على الرّغـم من أنّ الجمـاعه المـذكوره كـانت تريـد أن تـدفع العـدو المعتـدى الـذى أخرجهم من أرضـهم و يعيـدوا مـا أخذ منهم،فقد وصـفت تلک الحرب بأنّها فى سبيل اللّه،و بهذا يتبيّن أنّ ما يساعد على تحرّر النّاس و خلاصـهم من الأسر و رفع الظّلم و العدوان يعتبر فى سبيل اللّه.

و قد ذكر البعض أنّ اسم ذلک النبى هو(شـمعون)و ذكر آخرون بأنّه(إشـموئيل) و بعض(يوشع)و لكنّ المشـهور بين المفسّـرين أنّه(إشموئيل)أى إسماعيل بلغه العرب، و بهذا وردت روايه عن الإمام الباقر عليه السّلام أيضا (۱) .

و لمّا كان نبيّهم يعرف فيهم الضعف و الخوف قال لهم:يمكن أن يصدر إليكم الأمر للجهاد فلا تطيعون قٰالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتٰالُ أَلاّٰ تُقٰاتِلُوا .

و لكنّهم قـالوا:كيف يمكن أن نتملّص من محاربه العـدو الـذى أجلانا عن أوطاننا و فرّق بيننا و بين أبنائنا قٰالُوا وَ مٰا لَنٰا أَلاّٰ نُقٰاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنٰا مِنْ دِيٰارِنٰا وَ أَبْنٰائِنٰا و بذلک أعلنوا و و تمسّكهم بالعهد.

و مع ذلک فإنّ هذا الجمع من بنى إسـرائيل لم يمنعهم اسم اللّه و لا أمره و لا الحفاظ على استقلالهم و الدفاع عن وجودهم و لا تحرير أبناءهم من نقض العهد،

۱- ۱) -مجمع البيان:ج ۱ و ۲ ص ۳۵۰.

و لذلک یقول القرآن مباشره بعد ذلک: فَلَمّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتٰالُ تَوَلَّوْا إِلاّ قَلِیلاً مِنْهُمْ وَ اللّهُ عَلِیمٌ بِالظّالِمِینَ .

و ذکر بعض المفسّرین أنّ عدّه من بقی مع طالوت(۳۱۳ نفر)بعدد جیش الإسلام یوم بدر (۱) .

و علی کلّ حال فإنّ نبیّهم أجابهم علی طلبهم التزاما منه بواجبه و جعل علیهم طالوت ملکا بأمر من اللّه تعالی وَ قٰالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طٰالُوتَ مَلِکاً .

و یتّضح من هذه الآیه أنّ اللّه هو الذی اختار طالوت لیکون ملکا علی بنی إسرائیل و قائدا لعسکرهم،و لعلّ استعمال کلمه(قد بعث)یشیر إلی ما ذکرنا فی القصّه من الحوادث غیر المتوقّعه الذی جاءت بطالوت إلی مدینه ذلک النبی و الحضور فی مجلسه،فکذلک یظهر من کلمه(ملکا)أنّ طالوت لم یکن قائدا للجیش فحسب،بل کان ملکا علی ذلک المجتمع (۲) .

و من هنا بدأت المخالفات و الاعتراضات و قال بعضهم: قٰالُوا أَنّٰی یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنٰا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ وَ لَمْ یُؤْتَ سَعَهً مِنَ الْمٰالِ .

و هذا هو أوّل اعترضا و نقض فی العهد من قبل بنی إسرائیل لنبیّهم مع أنّه قد صرّح لهم أنّ اللّه هو اختار طالوت،و فی الواقع أنّهم اعترضوا علی اللّه تعالی بقولهم:(إنّنا أجدر من طالوت بالحکم لأنّ الحکم لا بدّ فیه من شرطین لا یتوفّران فی طالوت و هما:الحسب و النسب من جهه،و المال و الثروه من جهه اخری،و قد ذکرنا فی القصّه أنّ طالوت کان من قبیله مغموره من قبائل بنی إسرائیل،و من حیث الثروه لم یکن سوی مزارع فقیر.

۱- ۱) -روح المعانی و تفسیر الکبیر فی ذیل الآیه المبحوثه.

۲- ۲) -اعتبر صاحب«الکشّاف»طالوت اسما أعجمیا مثل:جالوت و داود،و قال الآخرون:إنّه اسم عربی مأخوذ من ماده«طول»و إشاره إلی طول قامه.(تفسیر الکبیر:ج ۶ ص ۱۷۲).

غير أنّ القرآن الكريم يشير إلى الجواب القاطع على هذا الاعتراض إذ يقول:

إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰاهُ عَلَيْكُمْ وَ زٰادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ

.

فأفهمهم بذلك أنّ اختيار اللّه طالوت ملكا و قائدا لما يتمتّع به من علم و حكمه و عقل،و من الناحيه البدنيّه فهو قوى و مقتدر.

و هذا يعنى أوّلا،أنّ هذا الإختيار هو إختيار اللّه تعالى.

و ثانيا:إنّكم على خطأ كبير فى تشخيص شرائط القياده،لأنّ النسب الرّفيع و الثروه الكبيره ليستا امتيازين للقائد إطلاقا،لأنّهما من الامتيازات الاعتباريه الخارجيّه،أمّا العلم و المعرفه و كذلك القوّه الجسميّه فهما امتيازان واقعيّان ذاتيان حيث يلعبان دورا مهمّا فى شخصيّه القائد.

إنّ قائد العالم يعرف طريق سعاده المجتمع و يرسم الخطط للوصول إليه بعلمه و حنكته،و كذلك يرسم الأسلوب الصحيح فى مواجهه الأعداء،ثمّ يقوم بقوّته الجسمانيّه بتمثيل هذا المخطّط على أرض الواقع.

كلمه(بسطه)إشاره إلى اتساع وجود الإنسان فى أنوار العلم و القوّه،أى أنّ الإنسان بالعلم و الحكمه و القوّه الجسميّه الكافيه يزداد سعه فى وجوده،و هنا نلحظ أنّ البسطه فى العلم تقدّمت على القوّه الجسميّه،لأنّ الشرط الأوّل هو العلم و المعرفه.

و يستفاد ضمنا من هذا التعبير أنّ مقام الإمامه و القياده من الأحكام الإلهيّه و أنّ اللّه تعالى هو الذى يشخّص اللاّئق لها،فلو رأى اللّياقه الكافيه فى أولاد الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم لجعل الإمامه عندهم،و لو توفّرت عند أشخاص آخرين لجعلها فيهم،و هذا هو ما يعتقد به علماء الشيعه و يدافعون عنه.

ثمّ تضيف الآيه وَ اللّٰهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ .

هذه الجمله يمكن أن تكون إشاره إلى شرط ثالث للقائد،و هو توفير اللّه

تعالى الإمكانيّات و آليات القياده و وسائل الحكم،لأنّه من الممكن أن يكون قائدا كاملا من حيث العلم و القوّه و لكنّه محاط بظروف لا تمنحه أيّ استعداد للوصل إلى أهدافه المقدّسه،و لا شكّ أنّ قائدا مع هذه الظّروف لا يمكن أن ينتصر و ينجح فى قيادته،و لذلك يقول القرآن هنا أنّ اللّه تعالى يمنح الحكومه الإلهيّه لمن يشاء،أى أنّه يهيّا الظروف اللازمه لنجاحه.

الآيه التاليه تبيّن أنّ بنى إسرائيل لم يكونوا قد اطمأنوا كلّ الاطمئنان إلى أنّ طالوت مبعوث من اللّه تعالى لقيادتهم على الرّغم من أن نبيّهم صرّح ذلك لهم، و لهذا طلبوا منه الدّليل،فكان جوابه أنّ الدليل سيكون مجىء التابوت أو صندوق العهد إليهم وَ قٰالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التّٰابُوتُ .

فما هو تابوت بنى إسرائيل أو صندوق العهد؟و من الذى صنعه؟و ما هى محتوياته؟فإنّ فى تفاسيرنا و أحاديثنا، و كذلك فى العهد القديم-التوراه-كلاما كثيرا عنه.إلاّ أنّ أوضحها هو ما جاءنا فى أحاديث أهل البيت عليهم السّلام و أقوال بعض المفسّرين من أمثال ابن عبّاس،حيث قالوا إنّ التابوت هو الصندوق الذى وضعت فيه أمّ موسى ابنها موسى و ألقته فى اليمّ،و بعد أن انتشل أتباع فرعون الصندوق من البحر و أتوا به إليه و أخرجوا موسى منه،ظلّ الصندوق فى بيت فرعون ثمّ وقع بأيدى بنى إسرائيل،فكانوا يحترمونه و يتبرّكون به.

موسى عليه السّلام وضع فيه الألواح المقدّسه-التى تحمل على ظهرها أحكام اللّه- و درعه و أشياء أخرى تخصّه و أودع كلّ ذلك فى أواخر عمره لدى وصيّه يوشع ابن نون.

و بهذا ازدادت أهميّه هذا الصندوق عند بنى إسرائيل فكانوا يحملونه معهم كلّما نشبت حرب بينهم و بين الأعداء،ليصعّد معنوياتهم،لذلك قيل:إنّ بنى إسرائيل كانوا أعزّه كرماء ما دام ذلك الصندوق بمحتوياته المقدّسه بينهم،و لكن

بعد هبوط التزاماتهم الدينيه و غلبه الأعداء عليهم سلب منهم الصندوق.و اشموئيل -كما تذكر الآيه-و عدهم بإعاده الصندوق باعتباره دليلا على صدق قوله.

فِيهِ سَكِينَهٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّهٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ

.

هذه الفقره من الآيه تبيّن أنّ الصندوق كما قلنا كان يحتوى على أشياء تضفى السكينه على بنى إسرائيل و ترفع معنوياتهم فى الحوادث المختلفه فِيهِ سَكِينَهٌ مِنْ رَبِّكُمْ .

ثمّ إنّ محتويات الصندوق كانت تضمّ آثارا ممّا خلف آل موسى و آل هارون أضيفت إلى ما كان فيه من قبل،و ممّا يجدر ذكره هو أنّ«السكينه»بمعنى الهدوء، و يقصد بها هنا هدوء النفس و القلب.

قال لهم اشموئيل:إنّ الصندوق سوف يعود إليكم لتستعيدوا الهدوء الذى فقدتموه.و فى الحقيقه أنّ هذا الصندوق بطابعه المعنوى و التاريخىّ كان أكثر من مجرّد لواء لبنى إسرائيل و شعار لهم.كان يمثّل رمز استقلالهم و وجودهم و برؤيته كانوا يسترجعون ذكرى عظمتهم السابقه.لذلك كان الوعد بعودته بشاره عظيمه لهم.

تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَهُ

.

كيف جاء الملائكه بصندوق العهد؟فى هذا أيضا للمفسّرين كلام كثير أوضحها قولهم:جاء فى التاريخ أنّه عند ما وقع صندوق العهد بين عبده الأصنام فى فلسطين و أخذوه إلى حيث يعبدون فيه أصنامهم،أصابتهم على أثر ذلك مصائب كثيره،فقال بعضهم:ما هذه المصائب إلاّ بسبب هذا الصندوق،فعزموا على إبعاده عن مدينتهم و ديارهم،و لمّا لم يرض أحد بالقيام بالمهمّه اضطّروا إلى ربط الصندوق ببقرتين و أطلقوهما فى الصحراء.و اتّفق هذا فى الوقت الذى تمّ فيه نصب طالوت ملكا على بنى إسرائيل.و أمر اللّه الملائكه أن يسوقوا الحيوانين نحو

مدینه اشموئیل.و عند ما رأی بنو إسرائیل الصندوق بینهم،اعتبروه إشاره من اللّه علی اختیار طالوت ملکا علیهم.

و علیه نسب حمل الصندوق إلی الملائکه،لأنّهم هم الذین ساقوا البقرتین إلی بنی إسرائیل.

فی الحقیقه أنّ للملائکه معنی واسعا فی القرآن و الروایات،یشمل فضلا عن الکائنات الروحیه العاقله،مجموعه من القوی الغامضه الموجوده فی هذا العالم.

و یستفاد ممّا تقدّم أنّه بالرّغم من ثبوت مسأله القیاده الإلهیّه لطالوت بالأدلّه و المعاجز الإلهیّه،فهناک بعض الأفراد لضعف إیمانهم لم یسلّموا إلی هذا الحقّ،و قد ظهرت هذه الحقیقه علی أعمالهم العبادیّه و من ذلک تشیر الجمله الأخیره فی هذه الآیه إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ .

ثمّ أنّ بنی إسرائیل رضخوا لقیاده طالوت فصنع منهم جیوشا کثیره و ساروا إلی القتال،و هنا تعرّض بنی إسرائیل لاختبار عجیب،و من الأفضل أن نجمع تلک الأحداث و مجریات الأمور من القرآن نفسه حیث یقول: فَلَمّٰا فَصَلَ طٰالُوتُ بِالْجُنُودِ قٰالَ إِنَّ اللّٰهَ مُبْتَلِیکُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَیْسَ مِنِّی وَ مَنْ لَمْ یَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّی إِلاّٰ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَهً بِیَدِهِ (۱) .

و یتّضح فی هذه الموارد الامتحان الکبیر الذی تعرّض له بنو إسرائیل و هو المقاومه الشدیده للعطش،و کان هذا الامتحان ضروریّا لجیش طالوت و خاصّه مع السّوابق السیّئه لهذا الجیش فی بعض الحروب السابقه،لأنّ الانتصار یتوقّف علی مقدار الانضباط و قدره الإیمان و الاستقامه فی مقابل الأعداء و الطّاعه لأوامر القیاده.

---

۱ – ۱) -جنود جمع جند فی الأصل بمعنی الأرض الکثیره الأحجار و المتراکمه الصخور ثمّ أطلقت علی کلّ شیء متراکم و عاده تأتی بمعنی الجیش الکبیر،و عباره«لم یطعمه»جاءت بدل کلمه لم یشربه و هی إشاره إلی أن الجنود لا ینبغی لهم أن یشربوا منه بمقدار کف واحده بل لا یذوقونه أیضا.

و طالوت الذی کان یتّجه بجنوده للجهاد،کان لا بدّ له أن یعلم إلی أیّ مدی یمکن الاعتماد علی طاعه هؤلاء الجنود،و علی الأخصّ أولئک الذین ارتضوه و استسلموا له علی مضض متردّدین،و لکنّهم فی الباطن کانت تراودهم الشکوک بالنّسبه لإمرته،لذلک یؤمر طالوت أمرا إلهیّا باختبارهم،فیخبرهم أنّهم سوف یصلون عمّا قریب إلی نهر،فعلیهم أن یقاوموا عطشهم،و ألاّ یشربوا إلاّ قلیلا، و بذلک یستطیع أن یعرف إن کان هؤلاء الذین یریدون أن یواجهوا سیوف الأعداء البتّاره یتحمّلون سویعات من العطش أم لا.

و شرب الأکثریه کما قلنا فی سرد الحکایه،و کما جاء بایجاز فی الآیه.

و هکذا جرت التصفیه الثانیه فی جیش طالوت.و کانت التصفیه الأولی عند ما نادی المنادی للاستعداد للحرب و طلب الجمیع بالاشتراک فی الجهاد إلاّ الذین کانت لهم التزامات تجاریه أو عمرانیه أو نظائرها.

فَلَمّا جٰاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ قٰالُوا لاٰ طٰاقَهَ لَنَا الْیَوْمَ بِجٰالُوتَ وَ جُنُودِهِ

.

تفید هذه الآیه أنّ تلک القلّه التی نجحت فی الامتحان هی وحدها التی تحرّکت معه،و لکن عند ما خطر لهؤلاء القلّه أنهم مقدمون علی مواجهه جیش جرّار و قوی،ارتفعت أصواتهم بالتباکی علی قلّه عددهم،و هکذا بدأت المرحله الثالثه فی التصفیه.

قٰالَ الَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاٰقُوا اللّٰهِ کَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِیلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً کَثِیرَهً بِإِذْنِ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ مَعَ الصّٰابِرِینَ

(۱)

.

«الفئه»أصلا من«الفیء»بمعنی الرجوع،و یقصد بها الجماعه الملتحمه التی یرجع بعضهم إلی بعض لیعضده.تقول الآیه:إنّ الذین کانوا یؤمنون بیوم القیامه

---

۱ – ۱) -«فئه»من«فیء»فی الأصل بمعنی الرجوع و بما أن کلّ جماعه تتعاضد فیما بینها و تعود أحدها علی الاخری بالعون و المساعده أطلقت کلمه«فئه».

إيمانا راسخا قالوا للآخرين:ينبغى ألاّ تلتفتوا إلى(الكم)بل إلى(الكيف)إذ كثيرا ما يحدث أنّ الجماعه الصغيره المتحلّيه بالإيمان و العزم و التصميم تغلب الجماعه الكبيره بإذن اللّه.

ينبغى أن ننتبه إلى أنّ«يظنّون»هنا تعنى يعلمون،أى أنّهم على يقين من قيام يوم القيامه،و لا يعنى الظنّ هنا الاحتمال،و ظنّ هذه تعنى اليقين فى كثير من الحالات،حتّى لو اعتبرناها بمعنى الاحتمال،فإنّها هنا تناسب المقام أيضا،إذ فى هذه الحاله يكون المعنى أنّ مجرّد احتمال قيام يوم القيامه يكفى،فكيف باليقين به حيث يحمل الإنسان على اتّخاذ قرار بالنسبه للأهداف الربّانيه.إنّ من يحتمل النجاح فى حياته-فى الزراعه أو التجاره أو الصناعه أو السياسه-يمضى فى مسيرته بكلّ عزم و تصميم.

أمّا لماذا يطلق على يوم القيامه يوم لقاء اللّه،فذلك ما أوضحناه فى الجزء الأول من هذا التفسير.

فى الآيه التاليه يذكر القرآن الكريم موضوع المواجهه الحاسمه بين الجيشين و يقول: وَ لَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ .

(برزوا)من مادّه(بروز)بمعنى الظّهور،فعند ما يستعد المحارب للقتال و يتّجه إلى الميدان يقال أنّه برز للقتال،و إذا طلب القتال من الأعداء يقال أنّه طلب مبارزا.

تقول هذه الآيه أنّه عند ما وصل طالوت و جنوده إلى حيث ظهر لهم جالوت و جيشه القوى و وقفوا فى صفوف أمامه رفعوا أيديهم بالدّعاء،و طلبوا من اللّه العلىّ القدير ثلاثه امور،الأوّل:الصّبر و الاستقامه إلى آخر حد،و لذا جاءت الجمله تقول: أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً .

و(الإفراغ)تعنى فى الأصل صبّ السائل بحيث يخلو الإناء ممّا فيه تماما،

و مجیء(صبر)بصیغه النکره یؤکّد هذا المعنی بشکل أکبر.

الاعتماد علی ربوبیّه الخالق جلّ و علاـ بقولهم(ربّنا)و کذلک عباره(إفراغ) مضافا إلی کلمه(علی)التی تبیّن أنّ النزول من الأعلی،و کذلک عباره(صبرا)فی صیغه النکره کلّ هذه المفردات تدلّ علی نکات عمیقه لمفهوم هذا الدعاء و أنّه دعاء عمیق المغزی و بعید الأفق.

الثانی:أنّهم طلبوا من اللّه تعالی أن یثبت أقدامهم وَ ثَبِّتْ أَقْدٰامَنٰا حتّی لا یرجّح الفرار علی القرار،و الواقع أنّ الدعاء الأوّل اتّخذ سمه الطلب النفسی و الباطنی،و هذا الدعاء له جنبه ظاهریّه و خارجیّه،و من المسلّم أنّ ثبّات القدم هو من نتائج روح الاستقامه و الصبر.

الثالث:من الأمور التی طلبها جیش طالوت هو وَ انْصُرْنٰا عَلَی الْقَوْمِ الْکٰافِرِینَ و هو فی الواقع الهدف الأصلی من الجهاد و ینفّذ النتیجه النهائیّه للصبر و الاستقامه و ثبات الأقدام.

و من المسلّم أنّ اللّه تعالی سوف لا یترک عباده هؤلاء لوحدهم أمام الأعداء مع قلّه عددهم و کثره جیش العدو،و لذلک تقول الآیه التالیه: فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّٰهِ وَ قَتَلَ دٰاوُدُ جٰالُوتَ .

و کان داوود فی ذلک الوقت شابّا صغیر السن و شجاعا فی جیش طالوت.و لا تبیّن الآیه کیفیّه قتل ذلک الملک الجبّار بید داود الشاب الیافع،و لکن کما تقدّم فی شرح هذه القصّه أنّ داود کان ماهرا فی قذف الحجاره بالقلّاب حیث وضع فی قلّابه حجرا أو اثنین و رماه بقوّه و بمهاره نحو جالوت،فأصاب الحجر جبهته بشدّه فصرعه فی الوقت،فتسرب الخوف إلی جمیع أفراد جیشه،فانهزموا بسرعه أمام جیش طالوت،و کأنّ اللّه تعالی أراد أن یظهر قدرته فی هذا المورد و أنّ الملک العظیم و الجیش الجرّار لا یستطیع الوقوف أمام شاب مراهق مسلّح بسلاح ابتدائی لا قیمه له.

ص: ۲۲۷

تضيف الآيه: وَ آتاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ الضّمير فی هاتين الجملتين يعود علی داود الفاتح فی هذه الحرب،و علی الرّغم من أنّ الآيه لا تقول أنّ داود هذا هو داود النبی والد سليمان عليهما السّلام و لكنّ جمله وَ آتاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ تدلّ علی أنّه وصل إلی مقام النبوّه،لأنّ هذا ممّا يوصف به الأنبياء عاده،ففی الآيه ٢٠ من سوره ص نقرأ عن داود وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَهَ كما أنّ الأحاديث الوارده فی ذيل هذه الآيه تشير إلی أنّه كان داود النبی نفسه.

و هذه العباره يمكن أن تكون إشاره إلی العلم الإداری و تدبير البلاد و صنع الدّروع و وسائل الحرب و أمثال ذلك حيث كان داود عليه السّلام يحتاج إليها فی حكومته العظيمه،لأنّ اللّه تعالی لا يعطی منصبا و مقاما لأحد العباد إلّا و يؤتيه أيضا الاستعداد الكامل و القابليّه اللّازمه لذلك.

و فی ختام الآيه إشاره إلی قانون كلّی فتقول: وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَی الْعالَمِينَ .

فاللّه سبحانه و تعالی رحيم بالعباد و لذلك يمنع من تشرّی الفساد و سرايته إلی المجتمع البشری قاطبه.

و صحيح أنّ سنّه اللّه تعالی فی هذه الدنيا تقوم علی أصل الحريّه و الإراده و الإختيار و أنّ الإنسان حرّ فی اختيار طريق الخير أو الشر،و لكن عند ما يتعرّض العالم إلی الفساد و الاندثار بسبب طغيان الطواغيت،فإنّ اللّه تعالی يبعث من عباده المخلصين من يقف أمام هذا الطغيان و يكسر شوكتهم،و هذه من ألطاف اللّه تعالی علی عباده.و شبيه هذا المعنی ورد فی آيه ۴٠ من سوره الحج وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ... .

و هذه الآيات فی الحقيقه بشاره للمؤمنين الّذين يقفون فی مواقع إماميّه من مواجهه الطّواغيت و الجبابره فينتظرون نصره اللّه لهم.

ص :٢٢٨

و يرد هنا سؤال،و هو أنّ هذه الآيه هل تشير إلى مسأله تنازع البقاء التى تعتبر أحد الأركان الأربعه لفرضيه دارون فى مسأله تكامل الأنواع؟تقول الفرضيّه أنّ الحرب و النّزاع ضرورىّ بين البشر،و إلاّ فالسّكون و الفساد سيعم الجميع،فتعود الأجيال البشريّه إلى حالتها الأولى،فالتّنازع و الصّراع الدائمى يؤدّى إلى بقاء الأقوى و زوال الضعفاء و انقراضهم،و هكذا يتمّ البقاء للأصلح بزعمهم.

الجواب:

إنّ هذا التفسير يصح فيما إذا قطعنا صله هذه الآيه لما قبلها تماما،و كذلك الآيه المشابهه لها فى سوره الحجّ و لكنّنا إذا أخذنا بنظر الإعتبار هذه الآيات رأيناها تدور حوّل محاربه الظّالمين و الطّغاه،فلو لا منع اللّه تبارك و تعالى لملؤوا الأرض ظلما و جورا،فعلى هذا لا تكون الحرب أصلا كليّا مقدّسا فى حياه البشريّه.

ثمّ أنّ ما يقال عن قانون(تنازع البقاء)المبنى على المبادئ الأربعه لنظريّه دارون فى(تطوّر الأنواع)ليست قانونا علميّا مسلّما،به بل هو فرضيّه أبطلها العلماء،و حتّى الّذين كانوا يؤيّدون نظريّه تكامل الأنواع لم يعدّ أيّا منهم يعوّل عليها و يعتبرون تطوّر الأحياء نتيجه الطفره (۱) .

و إذا ما تجاوزنا عن كلّ ذلك و اعتبرنا فرضيّه تنازع البقاء مبدء علميّا فإنّه يمكن أن يكون كذلك فيما يتعلّق بالحيوان دون الإنسان،لأنّ حياه الإنسان لا يمكن أن تتطوّر وفق هذا المبدأ أبدا،لأنّ تكامل الإنسان يتحقّق فى ضوء التّعاون على البقاء لا تنازع البقاء.

و يبدو أنّ تعميم فرضيّه تنازع البقاء على عالم الإنسان انّما هو ضرب من الفكر الاستعمارى الّذى يؤكّده بعض علماء الاجتماع فى الدول الرأسماليه لتسويغ حروب حكوماتهم الدمويّه البغيضه و إطفاء الطّابع العلمى على سلوكياتهم

۱- ۱) -لمزيد من الاطلاع راجع الكتاب«الفرضيه الأخيره فى التكامل».

و جعل الحرب و النزاع ناموسا طبيعيا لتطوّر المجتمعات الإنسانيه و تقدّمها،أمّا الأشخاص الّذين وقعوا دون وعى تحت تأثير أفكار هؤلاء اللاإنسانيّه و راحوا يطبّقون هذه الآيه عليها فهم بعيدون عن تعاليم القرآن،لأنّ القرآن يقول بكلّ صراحه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِی السِّلْمِ کَافَّةً (۱) .

و من العجب أنّ بعض المفسّرين المسلمين مثل صاحب المنار و كذلك (المراغى)فى تفسيره وقعوا تحت تأثير هذه الفرضيّه إلى الحدّ الذى اعتبروها أحد السنن الإلهيّه،ففسّروا بها الآيه محلّ البحث و تصوّروا أنّ هذه الفرضيّه من إبداعات القرآن لا من ابتكارات و اكتشافات دارون،و لكن كما قلنا أنّ الآيه المذكوره ليست ناظره إلى هذه الفرضيّه،و لا أنّ هذه الفرضيّه لها أساس علمى متين،بل أنّ الأصل الحاكم على الروابط بين البشر هو التعاون على البقاء لا تنازع البقاء.

و آخر آيه فى هذا البحث تقول: تِلْکَ آیاتُ اللّهِ نَتْلُوها عَلَيْکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ .

تشير هذه الآيه إلى القصص الكثيره التى وردت فى القرآن بشأن بنى إسرائيل و أنّ كلّا منها دليلا على قدره اللّه و عظمته و منزّهه عن كلّ خرافه و أسطوره (بالحقّ)حيث نزلت على نبىّ الإسلام صلى اللّه عليه و آله و سلّم و كانت إحدى دلائل صدق نبوّته و أقواله.

۱- ۱) -البقره:۲۰۸.

الجزء الثالث من القرآن الكريم من الآيه ۲۵۳ من سوره البقره

ص :۲۳۱

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۵۳]

اشاره

تِلْکَ اَلرُّسُلُ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اَللّٰهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰاتٍ وَ آتَيْنٰا عِيسَى اِبْنَ مَرْيَمَ اَلْبَيِّنٰاتِ وَ أَيَّدْنٰاهُ بِرُوحِ اَلْقُدُسِ وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ مَا اِقْتَتَلَ اَلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ اَلْبَيِّنٰاتُ وَ لٰكِنِ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ مَا اِقْتَتَلُوا وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ يَفْعَلُ مٰا يُرِيدُ (۲۵۳)

التّفسیر

اشاره

دور الأنبیاء فی حیاه البشر:

هـذه الآـیه تشیر إلی درجات الأنبیاء و مراتبهم و جانبا من دورهم فی حیاه المجتمعات البشریه،تقول الآیه: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنٰا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ .

«تلک»اسم إشاره للبعید.و الإشاره إلی البعید-کما نعلم-تستعمل أحیانا لإضفاء الاحترام و التبجیل علی مقام الشخص أو الشیء المشار إلیه،هنا أیضا أشیر إلی الرسل باسم الإشاره«تلک»لتبیان مقام الأنبیاء الرفیع.

و اختلف المفسّرون فی المقصود بالرسل هنا،هل هم جمیع الرسل و الأنبیاء؟

ص:۲۳۳

أم هم الرسل الذين وردت أسماؤهم أو ذكرت حكاياتهم فی ما سبق من آيات هذه السوره فقط،مثل إبراهيم،موسی،عيسی،داود،اشموئيل؟أم هم جميع الرسل الذين ذكرهم القرآن حتّی نزول هذه الآيه؟ و لكن يبدو أنّ المقصود هم الأنبياء و المرسلون جميعا،لأنّ كلمه«الرسل» جمع حلّی بالألف و اللام الدالّتين علی الاستغراق،فتشمل الرسل كافّه.

فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلیٰ بَعْضٍ

.

يتّضح جليّا من هذه الآيه أنّ الأنبياء-و إن كانوا من حيث النبوّه و الرساله متماثلين-هم من حيث المركز و المقام ليسوا متساوين لاختلاف مهمّاتهم، و كذلك مقدار تضحياتهم كانت مختلفه أيضا.

مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّٰهُ

.

هذه إشاره إلی بعض فضائل الأنبياء،و واضح أنّ المقصود بالآيه موسی عليه السّلام المعروف باسم«كليم اللّه»،كما أنّ الآيه ۱۶۳ من سوره النساء تقول عنه وَ كَلَّمَ اللّٰهُ مُوسیٰ تَكْلِيماً .

أمّا القول بأنّ المقصود هو نبيّ الإسلام صلی اللّه عليه و آله و سلّم و أنّ التكليم المنظور هنا هو التكليم الذی كان فی ليله المعراج مع الرسول،أو أنّ المراد هو الوحی الإلهی الذی ورد فی آيه ۵۱ من سوره الشوری وَ مٰا كٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللّٰهُ إِلاّٰ وَحْياً...

حيث اطلق عليه عنوان التكلّم، فإنّه بعيد جدّا،لأنّ الوحی كان شاملا لجميع الأنبياء،فلا يتلائم مع كلمه«منهم»لأنّ(من)تبعضيّه.

ثمّ تضيف الآيه وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰاتٍ و مع الالتفات إلاّ أنّ الآيه أشارت إلی التفاضل بين الأنبياء بالدّرجات و المراتب،فيمكن أن يكون المراد فی هذا التكرار إشاره إلی أنبياء معيّنين و علی

رأسهم نبیّ الإسلام الکریم لأنّ دینه آخر الأدیان و أکملها،فمن تکون رسالته الإبلاغ أکمل الأدیان لا بدّ أن یکون هو نفسه أرفع المرسلین،خاصّه و أنّ القرآن یقول فیه فی الآیه ۴۱ من سوره النّساء فَکَیْفَ إِذٰا جِئْنٰا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنٰا بِکَ عَلیٰ هٰؤُلاٰءِ شَهِیداً (۱) .

و الشاهد الآخر علی هذا الموضوع،و هو أنّ الآیه السابقه تشیر إلی فضیله موسی علیه السّلام،و الآیه التالیه تبیّن فضیله عیسی علیه السّلام،فالمقام یتطلّب الإشاره إلی فضیله رسول الإسلام صلی اللّه علیه و آله و سلّم،لأنّ کلّ واحد من هؤلاء الأنبیاء الثلاثه کان صاحب أحد الأدیان الثلاثه العظیمه فی العالم.فإذا کان اسم نبیّ الإسلام صلی اللّه علیه و آله و سلّم قد جاء بین اسمیهما،فلا عجب فی ذلک،أو لیس دینه الحدّ الوسط بین دینیهما و أنّ کلّ شیء قد جاء فیه بصوره معتدله و متعادله؟ألا یقول القرآن: وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰاکُمْ أُمَّهً وَسَطاً (۲) ! و مع ذلک،فإنّ العبارات المتقدّمه فی هذه الآیه تدلّ علی أنّ المقصود من رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰاتٍ هم بعض الأنبیاء السابقین،مثل إبراهیم إذ یقول سبحانه فی الآیه التالیه: وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِینَ مِنْ بَعْدِهِمْ أی لو شاء اللّه ما أخذت امم هؤلاء الأنبیاء تتقاتل فیما بینها بعد رحیل أنبیائها.

وَ آتَیْنٰا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّنٰاتِ وَ أَیَّدْنٰاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ

.

أی أنّنا وهبنا عیسی علیه السّلام براهین واضحه مثل شفاء المرضی المزمنین و إحیاء الموتی و المعارف الدینیّه السامیّه.

أمّا المراد من(روح القدس)هل هو جبرئیل حامل الوحی الإلهی،أو قوی اخری غامضه موجوده بصوره متفاوته لدی أولیاء اللّه؟تقدّم البحث مشروحا فی الآیه ۸۷ من سوره البقره،و عند ما تؤکّد هذه الآیه علی أنّ عیسی علیه السّلام کان مؤیّدا

۱- ۱) -النساء:۴۱.

۲- ۲) -البقره:۱۴۳.

بروح القدس فلأنّه كان يتمتّع بسهم أوفر من سائر الأنبياء من هذه الرّوح المقدّسه.

و تشير الآيه كذلك إلى وضع الأمم و الأقوام السالفه بعد الأنبياء و الاختلافات التى جرت بينهم فتقول: وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰاتُ فمقام الأنبياء و عظمتهم لن يمنعا من حصول الاختلافات و الاقتتال و الحرب بين أتباعهم لأنّها سنّه إلهيّه أن جعل اللّه الإنسان حرّا و لكنّه أساء الاستفاده من هذه الحريّه وَ لٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ .

و من الواضح أنّ هذا الاختلاف بين الناس ناشئ من اتّباع الأهواء و الشّهوات و إلاّ فليس هناك أىّ صراع و اختلاف بين الأنبياء الإلهيّين حيث كانوا يتّبعون هدفا واحدا.

ثمّ تؤكّد الآيه أنّ اللّه تعالى قادر على منع الاختلافات بين النّاس بالإراده التكوينيّه و بالجبر،و لكنّه يفعل ما يريد وفق الحكمه المنسجمه مع تكامل الإنسان و لذلك تركه مختارا وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مٰا يُرِيدُ .

و لا شكّ فى أنّ بعض الناس أساء استخدام هذه الحريّه،و لكنّ وجود الحريّه فى المجموع يعتبر ضروريّا لتكامل الإنسان،لأنّ التكامل الإجبارى لا يعدّ تكاملا.

و ضمنا يستفاد من هذه الآيه الّتى تعرّضت إلى مسأله الجبر مرّه اخرى بطلان الإعتقاد بالجبر،حيث تثبت أنّ اللّه تعالى ترك الإنسان حرّا فبعض آمن و بعض كفر.

مسأله:

هل الأديان تسبّب الاختلافات؟

يتّهم بعض الكتّاب الغربيين الأديان على أنّها هى سبب التفرقه و النزاع بين أفراد البشر،و هى السبب فى إراقه الكثير من الدماء،فالتاريخ شهد الكثير من

الحروب الدينيه،و هكذا سعوا إلى إدانه الأديان و اعتبارها من الأسباب المثيره للحروب و المخاصمات.

و إزاء هذا القول لا بدّ من الانتباه إلى ما يلى:

أولا:أنّ الاختلافات-كما جاء فى الآيه المذكوره-لا تنشأ فى الحقيقه بين الأتباع الصادقين لدين من الأديان،بل هى بين أتباع الدين و مخالفيه.و إذا ما شاهدنا صراعا بين أتباع مختلف الأديان فإنّ ذلك لم يكن بسبب التعاليم الدينيه، بل بسبب تحريف التعاليم و الأديان و بالتعصّب المقيت و مزج الأديان السماويه بالخرافات.

ثانيا:إنّ الدين-أو تأثيره-قد انحسر اليوم عن قسم من المجتمعات البشريه،و مع ذلك نرى أنّ الحروب قد ازدادت قسوه و اتساعا و انتشرت فى مختلف أرجاء العالم.فهل أن الدين هو السبب،أم أنّ روح الطغيان فى مجموعه من البشر هى السبب الحقيقى لهذه الحروب،و لكنّها تظهر اليوم بلبوس الدين،و فى يوم آخر بلبوس المذاهب الاقتصاديه و السياسيه،و فى أيّام اخرى بقوالب و مسمّيات أخرى؟!و عليه فالدين لا ذنب له فى هذا،إنّما الطغاه هم الذين يشعلون نيران الحروب بحجج متنوّعه.

ثالثا:إنّ الأديان السماويه-و على الأخصّ الإسلام-التى تكافح العنصريه و القوميه،كانت سببا فى إلغاء الحدود العنصريه و الجغرافيه و القبليه،فقضت بذلك على الحروب التى كانت تثار باسم هذه العوامل.و عليه فإن الكثير من الحروب فى التاريخ قد خمدت نيرانها بفضل الدين.كما أنّ روح السلام و الصداقه و الأخلاق و العواطف الإنسانيه التى ترفع لواءها جميع الأديان السماويه،كان لها أثر عميق فى تخفيض الخصومات و المشاكسات بين مختلف الأقوام.

رابعا:أنّ من رسالات الأديان السماويه تحرير الطبقات المحرومه المعذّبه،و كانت هذه الرساله هى سبب الحروب التى شنّها الأنبياء و أتباعهم على

الظـالمين و المسـتغلّين،من أمثال فرعون و النمرود.إنّ هـذه الحروب التى تعتبر جهادا فى سبيل تحرير الإنسان،ليست عيوبا تلصـق بالأديـان،بـل هى من مظـاهر فخرها و اعتزازها و قوّتها.إنّ حروب رسول الإسـلام صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم مع المشـركين من العرب و المرابين فى مكّه من جهه،و مع قيصر و كسرى من جهه أخرى،كانت كلّها من هذا القبيل.

ص :٢٣٨

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۵۴]

اشاره

يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ وَ لاٰ خُلَّةٌ وَ لاٰ شَفٰاعَةٌ وَ اَلْكٰافِرُونَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ (۲۵۴)

التّفسیر

اشاره

الإنفاق من أهمّ أسباب النجاه یوم القیامه:

بعد أن تحدّثت الآیات السّابقه عن الأمم الماضیه و جهاد حکوماتها الإلهیّه و الاختلافات الّتی حدثت بعد الأنبیاء علیهم السّلام تخاطب هذه الآیه المسلمین و تشیر إلی أحد الواجبات المهمّه علیهم الّتی تسبّب فی تقویه بنیتهم الدّفاعیّه و توحّد کلمتهم فتقول: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ .

جمله مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ لها مفهوم واسع حیث یشمل الإنفاق الواجب و المستحب،و کذلک الإنفاق المعنوی کالتعلیم و أمثال ذلک،و لکن مع الالتفات إلی التهدید الوارد فی ذیل الآیه لا یبعد أن یکون المراد به الإنفاق الواجب یعنی الزکاه و أمثالها،مضافا إلی أنّ الإنفاق الواجب هو الّذی یعزّز بیت المال و یقوّم کیان

ص :۲۳۹

الحكومه،و بهذه المناسبه يشير تعبير(ممّا)أنّ هذا الإنفاق يكون بجزء من المال الّذى يملكه الشخص لا كلّه.

و قد رجّح المرحوم(الطبرسى)فى مجمع البيان شموليّه الآيه للإنفاق الواجب و المستحب،و ذهب إلى أنّ ذيل الآيه لا يعتبر تهديدا،بل هو إخبار عن الحوادث المخوفه يوم القيامه (۱) .

و لكن مع ملاحظه آخر جمله فى هذه الآيه الّتى تقول إنّ الكافرين هم الظالمون يتضح أنّ ترك الإنفاق نوع من الكفر و الظلم،و هذا لا يكون إلّا فى الإنفاق الواجب.

ثمّ تضيف الآيه مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ وَ لاٰ خُلَّهٌ وَ لاٰ شَفٰاعَهٌ (۲) .

عليكم أن تنفقوا ما دمتم اليوم قادرين على ذلك،لأنّ العالم الآخر الذى هو محلّ حصاد ما زرعتموه فى الدنيا لن يتسنى لكم فيه أن تفعلوا شيئا،فلا معاملات و لا صفقات تجاريه تستطيعون بها أن تشتروا السعاده و الخلاص من العقاب،و لا هذه الصداقات الماديّه التى تكسبونها فى الدنيا بأموالكم تنفعكم فى شىء هناك، لأنّ أصدقاءكم أنفسهم يعانون نتائج أعمالهم و لا يدفعون من أنفسهم للآخرين،و لا تنفعكم شفاعه،لأنكم بتخلّفكم حتّى عن الإنفاق الواجب لم تفعلوا ما هو جدير بأن يشفع لكم.و عليه فإنّ جميع أبواب النجاه مسدوده بوجوهكم.

وَ الْكٰافِرُونَ هُمُ الظّٰالِمُونَ

لأنهم بتركهم الإنفاق و الزكاه يظلمون أنفسهم و يظلمون الناس.

و يريد القرآن فى هذه الآيه أن يوضّح ما يلى:

۱- ۱) -مجمع البيان:ج ۱ و ج ۲ ص ۳۶۰.

۲- ۲) -«خلّه»مأخوذه من ماده«خلل»بمعنى الفاصله بين شيئين و بما أن المحبّه و الصداقه تحل فى وجود الإنسان و روحه و تملأ الفواصل لذا أطلقت هذه المفرده على الصداقه العميقه.

أولا:إنّ الكافرين يظلمون أنفسهم،فبتركهم الإنفاق الواجب و سائر التكاليف الدينيه و الإنسانيه حرموا أنفسهم من أعظم السعادات،و أنّ أعمالهم هذه هى التى تثقل كواهلهم فى العالم الآخر،لذلك فإنّ اللّه لم يظلمهم أبدا.

ثانيا:يظلم الكافرون أفراد مجتمعهم أيضا،لأنّ الكفر منبع القسوه و تحجّر القلب و التمسّک بالماده و عباده الدنيا،و هذه كلّها من مصادر الظلم،لا بدّ من الإشاره هنا إلى أنّ الكفر فى الآيه يعنى التمرّد و العصيان و التخلّف عن إطاعه أمر اللّه لورود الكلمه بعد الأمر بالإنفاق.و استعمال الكفر بهذا المعنى شائع فى القرآن و غيره من النصوص الإسلاميه.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۵۵]

اشاره

اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلْحَیُّ اَلْقَیُّومُ لاٰ تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لاٰ نَوْمٌ لَهُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ مَنْ ذَا اَلَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّٰ بِمٰا شٰاءَ وَسِعَ کُرْسِیُّهُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ لاٰ یَؤُدُهُ حِفْظُهُمٰا وَ هُوَ اَلْعَلِیُّ اَلْعَظِیمُ (۲۵۵)

آیه الکرسی من أهم آیات القرآن:

یکفی لبیان أهمیّه و فضیله هذه الآیه

قول الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم عند ما سأله(أبی بن کعب):أی آیه من آیات کتاب اللّه أفضل؟فقال صلی اللّه علیه و آله و سلّم:اللّه لا إله إلاّ هو الحیّ القیّوم.

قال:فضرب یده فی صدری ثمّ قال:لیهنک العلم،و الذی نفس محمّد بیده إن لهذه الآیه لسانا و شفتین یقدس الملک للّه عن ساق العرض.

و فی حدیث آخر عن علیّ علیه السّلام عن رسول اللّه قال: سیّد القرآن البقره و سیّد البقره آیه الکرسی،یا علی إنّ فیها لخمسین کلمه فی کلّ کلمه خمسون برکه، و

فی حدیث آخر عن الإمام الباقر علیه السّلام قال: من قرأ آیه الکرسی مره صرف اللّه عنه ألف

مکروه من مکاره الدنیا و ألف مکروه من مکاره الآخره أیسر مکروه الدنیا الفقر و أیسر مکروه الآخره عذاب القبر.و عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:إن لکلّ شیء ذروه و ذروه القرآن آیه الکرسی (1) .

و الروایات الوارده فی کتب العلماء الشیعه و السنّه فی فضیله هذه الآیات الشریفه کثیره جدّا و نختتم کلامنا هذا

بروایتین عن رسول اللّه قال :أعطیت آیه الکرسی من کنز تحت العرض و لم یؤتها نبیّ کان قبلی

(2)

.

و

فی حدیث آخر أنّ أخوین جاء إلی رسول اللّه فقالا نرید الشام فی التّجاره فعلمنا ما نقول؟فقال:نعم،إذا آویتما إلی منزل،فصلیا العشاء الآخره،فإذا وضع أحدکما جنبه علی فراشه بعد الصلاه،فلیسبّح تسبیح فاطمه، ثمّ لیقرأ آیه الکرسی فإنه محفوظ من کلا شیء حتّی یصبح. و جاء فی ذیل الحدیث أن لصوصا تبعوهما و سعوا فی سرقه ما معهما إلاّ أنهم لم یفلحوا فی ذلک (3) .

و من المعلوم أنّ کلّ هذه الأهمیّه و الفضیله لآیه الکرسی إنّما هی للمحتوی العمیق و المغزی المهم لها و الّذی سوف نلحظه ضمن تفسیرها.

التّفسیر

اشاره

مجموعه من صفات الجمال و الجلال:

تبدأ الآیه بذکر الذّات المقدّسه و مسأله التوحید فی الأسماء الحسنی و الصّفات العلیا للّه عزّ و جلّ فتقول: اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ .

(اللّه)یعنی الذّات الواحده الجامعه لصفات الکمال،إنّه خالق عالم الوجود،

1- 1) -مجمع البیان:ج 1 ص 260.

2- 2) -تفسیر البرهان:ج 2 ص 245،بحار الأنوار:ج 89 ص 264،ج 7(باب فضائل سوره یذکر فیها البقره و آیه الکرسی)و لأجل الاطلاع أکثر راجع بحار الأنوار:ج 89 ص 262-272.

3- 3) -بحار الأنوار:ج 89 ص 266 باب فضائل سوره البقره ح 11(بتلخیص).

لذا ليس فى عالم الوجود معبود جدير بالعباده غيره.

و بعباره لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ يبيّن القرآن وحدانيه خالق الوجود التى هى أساس الإسلام،و لكن هذه الحقيقه-كما قلنا-موجوده فى لفظه«اللّه».

لذلك فإنّ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ تأكيد لتلك الحقيقه نفسها.

«الحى»من كانت فيه حياه،و هذه الصفه المشبّهه،كمثيلاتها تدلّ على الدوام و الاستمرار.و حياه اللّه حياه حقيقيه،لأنّ حياته عين ذاته،و ليس عارضه عليه مأخوذه من غيره.فى الآيه ۵۸ من سوره الفرقان يقول: وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لاٰ يَمُوتُ .

هذا من جهه،و من جهه أخرى تكون الحياه الكامله حياه لا يعتريها الموت، و عليه فإنّ الحياه الحقيقيه هى حياته الباقيه من الأزل إلى الأبد،أمّا حياه الإنسان التى يخالطها الموت فى هذه الدنيا فلا يمكن أن تكون حياه حقيقيه،لذلك نقرأ فى الآيه ۶۴ من سوره العنكبوت: وَ مٰا هٰذِهِ الْحَيٰاهُ الدُّنْيٰا إِلاّٰ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّٰارَ الْآخِرَهَ لَهِيَ الْحَيَوٰانُ .و على ذلك فإنّ الحياه الحقيقيه هى التى تختصّ باللّه.

و لكن ما مفهوم«اللّه حىّ»؟

فى التعبير السائد نقول للكائن أنّه حىّ إذا كان يتّصف بالنموّ و التغذيه و التكاثر و الجذب و الدفع،و قد يتّصف بالحسّ و الحركه.و لكن لا بدّ من الانتباه إلى أنّ بعضا من السذّج قد يحسبون حياه اللّه شبيهه بهذه،مع علمنا بأنّه لا يتّصف بأيّه واحده من هذه الصفات.هذا هو القياس الذى يوقع الإنسان فى أخطاء فى حقل معرفه اللّه،حين يقيس صفات اللّه بصفاته.

«الحياه»بمعناها الواسع الحقيقى هى العلم و القدره،و عليه فإنّ من يملك العلم و القدره اللامتناهيتين يملك الحياه الكامله.

حیاه اللّه هی مجموعه علمه و قدرته،و فی الواقع بالعلم و القدره یمکن التمییز بین الحیّ و غیر الحیّ.أمّا النموّ و الحرکه و التغذیه و التکاثر فهی صفات کائنات ناقصه و محدوده،فهی تکمل نقصها بالتغذیه و التکاثر و الحرکه،أمّا الذی لا نقص فیه فلا یمکن أن یتّصف بمثل هذه الصفات.

«القیوم»صیغه مبالغه من القیام.لذلک فالکلمه تدلّ علی الموجود الذی قیامه بذاته،و قیام کلّ الکائنات بوجوده،و بعباره أخری:جمیع کائنات العالم تستند إلیه.

بدیهیّ أنّ القیام کما هو الشائع فی الکلام الیومی هو الوقوف و بالهیئه المعروفه،و لکن بما أنّ هذا المعنی لا یتّفق مع اللّه المنزّه عن الصفات الجسمیه، لذلک فالمقصود به هو القیام بالخلق و التدبیر و التعهّد،فإنّه هو الذی خلق المخلوقات کلّها و تعهّد بتدبیرها و تربیتها و إدامتها،و لن یغفل عنها لحظه واحده، فهو قائم دائما و أبدا و باستمرار دون توقّف.

و یتّضح من هذا أنّ«قیّوم»هی فی الواقع أساس کلّ صفات الفعل-و هی الصفات التی تبیّن علاقه اللّه بالموجودات مثل الخالق،الرزاق،الهادی،المحیی، و أمثالها-.

فالقیام بالخلق و تدبیر أمور العالم یشمل کلّ هذه الأمور،فهو الذی یرزق، و هو الذی یحیی،و هو الذی یمیت،و هو الذی یهدی.و علیه فإنّ صفات الخالق و الرازق و الهادی و المحیی و أمثالها تتجمّع کلّها فی«القیّوم».

و من هنا یتّضح أن تحدید البعض لمفهوم هذه الجمله بالقیام بأمر الخلقه أو القیام بأمر الرّزق و أمثال ذلک،هو فی الواقع إشاره إلی أحد مصادیق القیام،فی حین أنّه مفهومه واسع و یشمل کلّ ذلک،لأنّ مفهومه کما قلنا یعطی معنی القائم بالذّات و غیره متقوّم به و محتاج له.

و فی الحقیقه أنّ(الحیّ)یشمل جمیع الصّفات الإلهیّه کالعلم و القدره و السّمیع و البصیر و أمثال ذلک،و(القیّوم)تتحدّث عن احتیاج جمیع المخلوقات إلیه،و لذا قیل أنّ الاسم الأعظم الإلهی هو مجموع هاتین الصّفتین.

ثمّ تضیف الآیه لاٰ تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لاٰ نَوْمٌ .

(سنه)من مادّه(و سن)و تعنی کما یقول کثیر من المفسّرین أنّها الإغفاءه و الاستخراء الّذی یکون فی بدایه النوم،و بعباره اخری أنّه النّوم الخفیف،و(نوم) یعنی الحاله الّتی ترکد فیها بعض حواس الإنسان المهمّه،و فی الواقع أنّ(سنه) عباره عن النوم العارض للعین،و لکن عند ما یتوغّل کثیرا فی الإنسان و یتعمّق و یعرض علی العقل فیقال له(نوم)و جمله لاٰ تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لاٰ نَوْمٌ هی فی الواقع تأکید لصفه القیّوم التی یوصف بها اللّه،لأنّ القیام الکامل و المطلق بتدبیر عالم الوجود یتطلّب عدم إغفال ذلک حتّی للحظه واحده.أی إنّ اللّه لا یغفل طرفه عین عن حکمه المطلق علی عالم الوجود و إدارته.

لذلک فکلّ صفه لا تتفق مع قیّومیه اللّه تنتفی من ساحه قدس اللّه تلقائیا،بل انّ ذاته منزّهه حتّی عن أتفه عامل یمکن أن یؤدّی إلی أیّ تهاون فی عمله،مثل «السنّه».

أمّا سبب تقدیم«السنه»علی«النوم»فی الآیه مع أنّ القویّ یذکر عاده قبل الضعیف،فیعود إلی التتالی الطبیعی فی عملیه النوم،إذ تنتاب المرء«السنه»أوّلا ثمّ تزداد عمقا حتّی تورده فی النوم العمیق.

و تشیر هذه الآیه إلی حقیقه استمرار فیض اللطف الإلهی و دیمومته و عدم انقطاعه عن وجوده لحظه واحده،فهو لیس کعباده الذین یغفلون عن الآخرین بسبب النوم أو أیّ عامل آخر.

یلاحظ أنّ تعبیر لاٰ تَأْخُذُهُ تعبیر رائع یؤدّی الغرض بدقّه،و هو یصوّر

ص:۲۴۶

استیلاء النوم علی الإنسان تصویرا مجسّدا،و کأنّ النوم کائن قویّ ذو مخالب تمسک بالإنسان بقوّه و تأسره، إنّ ضعف أقوی الناس أمام سلطان النوم أمر لا اختلاف فیه.

مالکیه اللّه المطلقه

لَهُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ

.

لا یکون هناک قیام بشؤون العالم بغیر ملکیه السماوات و الأرض و ما فیها، لذلک فهذه الآیه-بعد ذکر قیّومیه اللّه-تشیر إلی حقیقه کون العالم کلّه ملک خاصّ للّه،و أنّ کلّ تصرّف یحدث فیه فبأمر منه.

و علیه،فإنّ الإنسان لیس المالک الحقیقی لما عنده و لما یقع تحت تصرّفه،بل أنّه یتصرّف فیه لمدّه محدوده و وفق شروط معیّنه قرّرها المالک الحقیقی،لذلک فعلی هؤلاء المالکین المؤقّتین أن یلتزموا تمام الالتزام بالشروط التی وصفها المالک الحقیقی،و إلاّ فإنّ مالکیّتهم المؤقّته هذه تصبح باطله و تصرّفهم غیر جائز.

الشروط المطلوبه للتصرّف بملک اللّه هی التی وردت فی الشرع و أبغت للناس.

من الواضح أنّ التقیّد بهذا یعتبر فی الواقع عاملا مهمّا من عوامل التربیه،إذا اعتقد الإنسان أنّه لیس المالک الحقیقی لما یملک و إنما هو یتصرّف به لفتره قصیره من الزمن،فسیمتنع-دون شکّ-عن الاعتداء علی حقوق الآخرین و عن الحرص و الطمع و الاحتکار و البخل و أمثالها ممّا یتولّد فی الإنسان نتیجه التصاقه بالدنیا، فیکون ذلک مدعاه لتربیته تربیه تجعله قانعا بحقوقه المشروعه (۱) .

مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ

و هذا فی الواقع ردّ علی ادّعاء المشرکین

۱- ۱) -شرحنا معنی الأحلام فی سوره یوسف شرحا وافیا.

الـذين يقولون إننا نعبد الأوثان لتكون شـفعاءنا عند اللّه كما ورد فى الآيه ٣ من سوره الزمر مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اللّهِ زُلْفىٰ (١) .

و هذه الآيه من نوع الاستفهام الاستنكارى،أى ما من أحد يتقدّم بشفاعه إليه بإذنه.هذه الآيه تكمل فى الواقع معنى قيّوميه اللّه و مالكيّته المطلقه لجميع ما فى عالم الوجود.أى أننا إذا رأينا أحدا يشفع عند اللّه،فليس معنى ذلك أنّه يملك شيئا و أنّ له تأثيرا مستقلاّ،بل أنّ مقامه فى الشفاعه هبه من اللّه.و لمّا كانت شفاعته بإذن اللّه،فإنّ هذا بذاته دليل آخر على قيّوميه اللّه و مالكيّته.

بحث

اشاره

الشفاعه ليست محسوبيه:

«الشفاعه» (٢) هى العون الذى يقدّمه قوىّ لضعيف لكى يساعده على اجتياز مراحل تكامله بسهوله و نجاح.

إلاّ أنّ الكلمه تستعمل عاده فى التوسّط لغفران الذنوب.غير أنّ مفهوم الشفاعه أوسع من ذلك و تشمل جميع العوامل و الدوافع و الأسباب فى عالم الوجود،على سبيل المثال التربه و الماء و الهواء و أشعه الشمس هى العوامل الأربعه التى تشفع لبذره النبات و تعينها على الوصول إلى مرحله النضج لتصبح شجره أو نبته متكامله.و لو نظرنا إلى الشفاعه فى الآيه الكريمه بهذا المعنى الواسع أدركنا أنّ وجود العوامل و الأسباب المختلفه لا يحدّد مالكيّه اللّه المطلقه و لا يقلّل منها،لأنّ تأثير هذه العوامل كافّه لا يكون إلاّ بإذن اللّه و أمره،و هذا أيضا

۱- ۱) -وردت«ما»فى جمله(ما فى السموات و ما فى الأرض)للموجودات غير العاقله،و مع أن الموجودات العاقله أيضا مملوكه للّه سبحانه جاءت«ما»للتغليب لأن الغلبه الأكثريه للموجودات غير العاقله.

۲- ۲) -تحدّثنا عن الشفاعه فى المجلد الأول الآيه(۴۸)من سوره البقره بصوره مفصله.

دليل على قيّوميته و مالكيّته.

بيد أنّ بعضـهم يظنّ أنّ الشفاعه فى المفاهيم الدينيه تشبه التوصيات و المحسوبيات و المنسوبيات،و أنّ مفهومها العام هو السماح للإنسان أن يرتكب ما يشاء من المعاصـى،ثمّ يتوسّل بالشـفاعه لغفران ذنوبه كلّها بيسـر و سـهوله!! و لكن الأمر ليس كذلك،فلا المعترضون أدركوا شيئا من منطق الدين فى موضوع الشفاعه،و لا العاصون المتجرّئون على حدود اللّه فهموا ذلك.فالشفاعه التى يقوم بهـا بعض عبـاد اللّه المقرّبين يمكن اعتبارهـا-كمـا قلنـا-شـفاعه تكوينيه تتحقّق بوساطه عوامل طبيعيه،كما تتحقّق فى بـذره النبـات.و كمـا أنّ البـذره لاـ تنمو إن لم تكن فيها عوامل الحياه حتّى لو سـطعت عليها الشـمس و هبّت عليها الرياح و هطل عليها المطر الهتون سـنوات طويله،كذلك شفاعه أولياء اللّه لغير المؤهّلين، لن يكون لها أىّ أثر،أو قل إنهم لا يمكن أن يشفعوا لأمثال هؤلاء.

الشـفاعه تسـتلزم نوعا من العلاقه المعنويه بين الشـفيع و المشـفوع له.لـذلك فإنّ على من يرجو الشـفاعه أن يقيم فى هـذه الـدنيا علائق روحيه مع من يتوقّع شفاعته.

و هذه العلائق سـتكون-فى الواقع-وسـيله من وسائل تربيه المشـفوع له بحيث إنّها تقرّبه من مدرسه أفكار الشفيع و أعماله،و هذا ما سيوصله إلى أن يكون مؤهّلا لنيل تلك الشفاعه.

و بناء على ذلك،فالشفاعه عامل تربوى،و ليست نوعا من المحسوبيه و المنسوبيه،و لا ذريعه للتنصّل عن المسؤوليه.

و من هذا يتّضح أنّ الشـفاعه لا تغيّر إراده اللّه بشأن العصاه المذنبين،بل أنّ العاصـى و المذنب-بارتباطه الروحى بشـفيعه-يحظى بتربيه تؤهّله لنيل عفو اللّه تعالى (۱) .

ص :۲۴۹

۱- ۱) -فى المجلّد الأول من هذا التفسير بحث واف تحت عنوان«القرآن و الشفاعه».راجع ص ۱۶۳ منه.

يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ

.

بعد الإشاره إلى الشفاعه فى الآيه السابقه،و إلى أنّ هذه الشفاعه لا تكون إلاّ بإذن اللّه،تأتى هذه الجمله لبيان سبب ذلك فتقول إنّ اللّه عالم بماضى الشفعاء و مستقبلهم،و بما خفى عليهم أيضا.لذلك فهم غير قادرين على أن يبيّنوا عن المشفوع لهم أمورا جديده تحمل اللّه على إعاده النظر فى أمرهم بسببها و تغيير حكمه فيهم.

و ذلك لأنّ الشفيع-فى الشفاعات العاديه-يؤثّر فى المتشفّع عنده بطريقين اثنين:فهو إمّا أن يعمد إلى ذكر صفات و مؤهّلات المشفوع له التى تدعو إلى إعاده النظر فى أمره.أو أن يبيّن للمتشفّع عنده العلاقه التى تربط المشفوع بالشفيع ممّا يستدعى تغيير الحكم إكراما للشفيع.

بديهىّ أنّ كلا هذين الاسلوبين يعتمدان على كون الشفيع يعلم أشياء عن المشفوع له لا يعلمها المتشفّع عنده.أمّا إذا كان المتشفّع عنده محيطا إحاطه كامله بكلّ شىء ممّا يتعلّق بكلّ شخص،فلا يكون لأحد أن يشفع لأحد عنده،و ذلك لأنّ المتشفّع عنده أعلم بمن يستحقّ الشفاعه فيجيز للشفيع أن يشفع له.

كلّ ذلك فى صوره أن يكون ضمير مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ يعود على الشفعاء أو المشفوع لهم،و لكن يحتمل أيضا أن يعود الضمير لجميع الموجودات العاقله فى السّموات و الأرض الوارده فى جمله لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ و تعتبر تأكيدا لقدره اللّه الكامله على جميع المخلوقات و عجز الكائنات أيضا و حاجتها إليه،لأنّ من ليس له علم بماضيه و مستقبله و غير مطّلع على غيب السّموات و الأرض فإنّ قدرته محدوده جدّا،بخلاف من هو عالم و مطّلع على جميع الأشياء،و فى جميع الأزمنه و الأعصار،فى الماضى و الحاضر فإنّ قدرته غير محدوده،و لهذا السبب فكلّ عمل حتّى الشفاعه يحتاج إلى إذنه.

ص:٢٥٠

و بهذا الترتيب یمکن الجمع بین کلا المعنیین.

أمّا المراد من جمله مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ فإنّ للمفسّرین احتمالات متعدّده،فبعض ذهب إلی أنّ المراد من مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ امور الدّنیا التی تکون أمام الإنسان و بین یدیه،و جمله وَ مٰا خَلْفَهُمْ یراد بها امور الآخره التی تقع خلف الإنسان،و ذهب بعض آخر إلی عکس هذا التفسیر.

و بعض ثالث ذهب إلی أنّها إشاره إلی أجر الإنسان أو أعماله الخیّره أو الشّریره أو الأمور التی یعلمها و الّتی لا یعلمها.

و لکن بمراجعه آیات القرآن الکریم یستفاد أنّ هذین التعبیرین استعملا فی بعض الموارد للمکان کالآیه ۱۷ من سوره الأعراف حیث تحدّثت عن قول الشیطان لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَیْمٰانِهِمْ وَ عَنْ شَمٰائِلِهِمْ .

و تاره تأتی بمعنی القبل و البعد الزمانی کالآیه ۷۱ من سوره آل عمران حیث تقول وَ یَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِینَ لَمْ یَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ فمن الواضح أنّ الآیه هنا ناظره إلی الزّمان.

أمّا فی الآیه التی نحن بصددها فالتعبیر قد یجمع بین المکان و الزمان،أی أنّ اللّه یعلم ما کان فی الماضی أو یکون فی المستقبل و ما هو أمام أنظارهم بحیث إنّهم یعلمونه،و ما هو خلفهم و محجوب عنهم و لا یعلمون عنه شیئا،و علی هذا فأنّ اللّه محیط بکل أبعاد الزمان و المکان فکل عمل حتّی الشفاعه یجب أن تکون بإذنه.

و فی ثامن صفه مقدّسه تقول الآیه وَ لاٰ یُحِیطُونَ بِشَیْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّٰ بِمٰا شٰاءَ (۱) .

هذه الفقره أیضا توکید لما سبق من سعه علمه اللامحدود و أنّ علم الکائنات

۱- ۱) -ذهب أکثر المفسّرین إلی ان کلمه«علم»هنا بمعنی المعلوم.و هذا ما یتناسب مع معنی الآیه و من هنا تبعیضیه.مجمع البیان،تفسیر الکبیر،روح البیان،و القرطبی فی ذیل الآیه المبحوثه.

إنّما هو قبس من علمه تعالى،فلذلك يكون علم الشفعاء محدودا بإزاء علمه تعالى،فلا حظّ لهم من العلم إلاّ بمقدار ما يريد اللّه تعالى لهم.

و من هذه الفقره من الآيه يستفاد أمرين:

الأول:أنّه لا أحد يعلم شيئا بذاته،فجميع العلوم و المعارف البشريّه إنّما هى من اللّه تعالى،فهو الذى يزيح الستار عن حقائق الخلقه و اسرار الطبيعه و يضع معلومات جديده فى متناول البشر فيوسّع من أفق معرفتهم.

و الآخر:هو أنّ اللّه تعالى قد يضع بعض العلوم الغيبيّه فى متناول من يشاء من عباده فيطلعهم على ما يشاء من أسرار الغيب،و هذا رد على من يعتقد أنّ علم الغيب غير متاح للبشر،و هو تفسير أيضا للآيات التى تنفى علم الغيب عن البشر (و سيأتى أن شاء اللّه مزيد من الشرح لهذا الموضوع فى مكانه عند تفسير الآيات الخاصّه بالغيب كالآيه ۲۶ من سوره الجن).

و جمله لاٰ يُحِيطُونَ إشاره لطيفه إلى حقيقه العلم و أنّه نوع من الإحاطه.

و فى تاسع و عاشر صفه إلهيّه تقول الآيه: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ لاٰ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمٰا .

و فى الصفه الحاديه عشر و الثانيه عشر تقول الآيه: وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

بحوث

اشاره

الأوّل:المراد من العرش و الكرسىّ

(الكرسى)من«كرس»بوزن إرث،و معناه أصل الشىء و أساسه،كما يطلق على كلّ شىء متجمّع و مترابط،و لهذا يطلق على المقعد الواطئ المتعارف عليه للجلوس،و يقابله«العرش»الذى يعنى السقف،أو الشىء ذا السقف،أو الكرسى ذا

القوائم المرتفعه.و لمّا كان الأستاذ أو المعلّم يجلس أحيانا على كرسى أثناء التدريس،فقد انتقل اسم«الكرسى»ليدلّ على العلم،و قد يستعمل رمزا للسلطه و السيطره أو يكون كنايه عن الحكومه و الحكم.

فى هذه الآيه نقرأ عن كرسيّ اللّه أنّه يسع السماوات و الأرض.و عليه فيمكن أن يكون للكرسيّ عدّه معان:

١-منطقه نفوذ الحكم:أى أنّ حكم اللّه نافذ فى السماوات و الأرض و أنّ منطقه نفوذه تشمل كلّ مكان،أى أنّه يشمل عالم المادّه برمّته،بما فيه من أرض و نجوم و مجرّات و سدم.

و على هذا يكون«العرش»مرحله أرفع و أعظم من عالمنا المادّى هذا،لأنّ العرش-كما قلنا-يعنى السقف أو المسقّف أو مقعدا أعلى من الكرسى.و بهذا يشمل العرش عالم الأرواح و الملائكه و ما وراء الطبيعه،و هذا يكون بالطبع إذا وضع الكرسى فى قبال العرش بحيث يعنى الأوّل«عالم المادّه و الطبيعه»و يعنى الثانى«عالم ما وراء الطبيعه».

و للعرش معان أخرى كما سيأتى فى تفسير الآيه ۵۳ من سوره الأعراف، خاصّه إذا لم يذكر فى قبال الكرسى،و عندئذ يمكن أن يكون بمعنى عالم الوجود كلّه.

٢-منطقه نفوذ العلم:أى أنّ علم اللّه يحيط جميع السماوات و الأرض و أنّ ما من شىء يخرج عن منطقه نفوذ علمه،لأنّ الكرسى-كما قلنا-قد يكون كنايه عن العلم.و هناك أحاديث كثيره تعتمد هذا المعنى،من ذلك ما رواه حفص بن غياث

عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه سأله عن معنى وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ قال:

هو العلم (۱) .

۱- ۱) -نور الثقلين:ج ۱ ص ۲۵۹ ح ۱۰۳۹.

۳-شیء أوسع من السماوات و الأرض کلّها بحیث إنّه یحیط بها من کلّ جانب. و علی هذا یکون معنی الآیه:کرسیّ اللّه یضمّ جمیع السماوات و الأرض و یحیط بها.

و قد نقل هذا التفسیر عن الإمام علی علیه السّلام أنّه قال: «الکرسیّ محیط بالسماوات و الأرض و ما بینهما و ما تحت الثری»

(۱)

.

بل یستفاد من بعض الروایات أنّ الکرسی أوسع بکثیر من السماوات و الأرض.

فقد جاء عن الإمام الصادق علیه السّلام قوله: «ما السماوات و الأرض عند الکرسی إلّا کحلقه خاتم فی فلاه،و ما الکرسی عند العرش إلّا کحلقه فی فلاه»

(۲)

.

المعنیان الأول و الثانی مفهومان،أمّا المعنی الثالث فأمر لم یتوصّل العلم البشری بعد لمعرفته و کشف الستار عنه،فالعالم الذی یضمّ فی زاویه منه السماوات و الأرض لم یثبت وجوده بالطرق العلمیه حتّی الآن،کما أنّه لیس هناک أیّ دلیل علی عدم وجوده،فالعلماء یعترفون جمیعا بأن اتّساع السماء و الأرض یزداد بمرور الأیّام و بتقدّم وسائل المعرفه العلمیه،و ما من أحد یستطیع أن یزعم أنّ سعه عالم الوجود هو ما یعرفه العلم الیوم،و لا یستبعد أن تکون هناک عوالم أخری لا تعدّ و لا تحصی خارجه عن نطاق وسائل الأبصار عندنا الیوم.

نضیف هنا أنّ التفاسیر الثلاثه المذکوره لا یتعارض بعضها مع بعض،و أنّ عباره وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ یمکن أن تشیر إلی حکومه اللّه المطلقه و نفوذ قدرته فی السماوات و الأرض،کما تشیر فی الوقت نفسه إلی علمه النافذ، و کذلک إلی عالم أوسع بکثیر من عالمنا هذا.و هذه الآیه تکمل الآیات السابقه من سعه علم اللّه.

۱- ۱) -المصدر السابق:ص ۲۶۰ ح ۱۰۴۲.

۲- ۲) -مجمع البیان:ج ۱ ص ۳۶۲.

بعباره موجزه أنّ عرش حكومه اللّه و قدرته يهيمن على السماوات و الأرض جميعا،و أنّ كرسيّ علمه يحيط بكلّ هذه العوالم،و ما من شيء يخرج عن نطاق حكمه و نفوذ علمه.

قوله: وَ لاٰ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمٰا .«يؤوده»من«أود»-على وزن قول-بمعنى الثقل و المشقه،أى أنّ حفظ السماوات و الأرض ليس فيه أىّ ثقل أو مشقّه على اللّه،فهو ليس مثل مخلوقاته التى يتعبها الحفاظ على الأشياء و يوهنها،ذلك لأنّ المخلوقات ضعيفه محدوده القدره،و قدرته غير محدوده،و من لا حدود لقدرته لا يكون للثقل و الخفّه و الصعب و السهل مفهوم عنده.فهذه مفاهيم تصدق عند من تكون قدراتهم محدوده.

ممّا تقدّم يتّضح أنّ الضمير فى«يؤوده»يعود على اللّه،و يؤكّد هذا ما سبق من آيات و الآيه التاليه،فضمائرها كلّها تعود على اللّه،و عليه فإنّ احتمال عود هذا الضمير إلى«الكرسى»-باعتبار أنّ حفظ السماوات و الأرض ليس ثقيلا على الكرسى-ضعيف جدا.

قوله: وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .توكيد لما سبق.أى أنّ اللّه الذى هو أرفع و أعلى من كلّ شبيه و شريك،و منزّه عن كلّ نقص و عيب،و هو العظيم اللامحدود،لا يصعب عليه أى عمل و لا يتعبه حفظ عالم الوجود و تدبيره،و لا يغفل عنه أبدا، و علمه محيط بكلّ شيء.

الثّانى:هل أنّ آيه الكرسىّ هى هذه الآيه فحسب؟

و قد يرد سؤال و هو:هل أنّ آيه الكرسىّ هى التى تبدأ من قوله اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ و تنتهى بقوله وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ أو أنّ الآيتين التاليتين لهذه الآيه جزء من آيه الكرسىّ،فعلى هذا لو ورد الأمر بقراءه آيه الكرسىّ فى صلاه(ليله الدفن)مثلا

فلا بدّ من قراءه الثلاث آيات هذه.

هناک قرائن تشیر إلی أنّ آیه الکرسیّ هی الآیه المذکوره آنفا:

۱-إنّ جمیع الروایات التی أوردت فضیله هذه الآیه و عبّرت عنها بآیه الکرسی تدلّ علی أنّها آیه واحده لا أکثر.

۲-أنّ کلمه(الکرسیّ)وردت فی الآیه الاولی فقط،فلذلک فأنّ تسمیتها بآیه الکرسیّ متعلّق بهذه الآیه.

۳-ورد فی بعض الأحادیث تصریح بهذا المعنی،فالحدیث الذی ذکره الشیخ-فی أمالیه-

عن أمیر المؤمنین علیه السّلام حیث قال علیه السّلام ضمن بیان فضیله آیه الکرسیّ أنّه بدأها من اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ إلی قوله وَ هُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیمُ .

۴-ذکر صاحب مجمع البیان نقلا عن مستدرک سفینه البحار أنّ(و آیه الکرسیّ معروفه و هی إلی قوله و هو العلیّ العظیم) (۱) .

۵-و نقرأ

فی حدیث عن الإمام علی بن الحسین علیهما السّلام عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من قرأ أربع آیات من أول البقره و آیه الکرسی و آیتین بعدها،و ثلاث آیات من آخرها لم یر فی نفسه و ماله شیئا یکرهه و لا یقربه شیطان،و لا ینسی القرآن» (۲) .

و من هذا التعبیر یستفاد أیضا أنّ آیه الکرسیّ آیه واحده.

۶-ورد فی بعض الروایات أنّ آیه الکرسیّ خمسون کلمه،و فی کلّ کلمه خمسون برکه (۳) ،و عند ما یعدّ کلمات هذه الآیه إلی قوله وَ هُوَ الْعَلِیُّ الْعَظِیمُ تکون خمسین کلمه.

۱- ۱) -مستدرک سفینه البحار:ج ۹ ص ۹۷.

۲- ۲) -بحار الأنوار:ج ۸۹ ص ۲۶۵.

۳- ۳) -مجمع البیان:ج ۱ ص ۳۶۱.

أجل يستفاد من بعض الروايات الأمر بقراءه هذه الثلاث آيات إلى قوله:

هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ

دون أن تكون معنونه بعنوان آيه الكرسیّ.

و علی كلّ حال أنّ المستفاد من القرائن أعلاه هو أنّ آيه الكرسیّ آيه واحده لا أكثر.

الثّالث:الدليل علی أهميّه آيه الكرسیّ.

إنّ اهميّه آيه الكرسیّ الكبيره تكمن فی تضمّنها لمجموعه من المعارف الإسلاميه و الصفات الإلهيّه أعم من صفات الذات و الفعل خاصّه مسأله التوحيد فی أبعادها المختلفه،و هذه الصفات البالغه إثنا عشر صفه و كلّ واحده منها يمكن أن تكون ناظره إلی أحد المسائل التربويّه للإنسان تستحق التأمّل و التدبّر،و كما يقول أبو الفتوح الرازی أنّ كلّ واحده من هذه الصفات تنفی أحد المذاهب الباطله (و علی هذا يمكن إصلاح و تقويم اثنا عشر فكره باطله و خاطئه بواسطه هذه الآيه) (۱) .

۱- ۱) -تفسير ابو الفتوح الرازی:ج ۲ ص ۳۲۷.

الآيه [سوره البقره (٢): آیه ٢٥٦]

اشاره

لاٰ إِكْرٰاهَ فِی اَلـدِّينِ قَـدْ تَبَيَّنَ اَلرُّشْـدُ مِنَ اَلْغَیِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّٰاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اِسْـتَمْسَكَ بِالْعُرْوَهِ اَلْوُثْقىٰ لاَ اِنْفِصٰامَ لَهٰا وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)

سبب النّزول

يقول الطبرسـی فی مجمع البيان فی سـبب نزول هـذه الآيه:كان لرجل من المـدينه اسـمه«ابو الحصـين»ولـدان دعاهما إلی اعتناق المسـيحيه بعض التجّار الـذين كانوا يفـدون علی المـدينه،فتأثّر هذان بما سـمعا و اعتنقا المسـيحيه،و رحلا مع أولئك التجّار إلی الشام عند عودتهم.فأزعج ذلك أبو الحصـين،و أقبل يخبر رسول اللّه صـلی اللّه عليه و آله و سلّم بما حدث،و طلب منه أن يعمل علی الاعـاده ولـديه إلی الإسـلام، و سأله إن كان يجوز إجبارهما علی الرجوع إلی الإسـلام،فنزلت الآيه المـذكوره و بيّنت أن لاٰ إِكْرٰاهَ فِی الدِّينِ .

و جاء فی تفسير المنار أنّ أبو الحصين كان يريد إكراه ولديه علی الرجوع إلی أحضان الإسلام،فجاءا مع أبيهما لعرض الأمر علی رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و سلّم،فقال

أبو الحصين:كيف أجيز لنفسى أن أنظر إلى ولدىّ يدخلان النار دون أن أفعل شيئا؟ فنزلت الآيه.

التّفسير

اشاره

الدين ليس إجباريّا:

إنّ آيه الكرسىّ فى الواقع هى مجموعه من توحيد اللّه تعالى و صفاته الجماليه و الجلاليه التى تشكّل أساس الدين،و بما أنّها قابله للاستدلال العقلى فى جميع المراحل و ليست هناك حاجه للإجبار و الإكراه تقول هذه الآيه: لاٰ إِكْرٰاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ .

(الرشد)لغويا تعنى الهدايه للوصول إلى الحقيقه،بعكس(الغىّ)التى تعنى الانحراف عن الحقيقه و الابتعاد عن الواقع.

و لمّا كان الدين يهتّم بروح الإنسان و فكره و مبنىّ على أساس من الإيمان و اليقين،فليس له إلّا طريق المنطق و الاستدلال و جمله: لاٰ إِكْرٰاهَ فِي الدِّينِ فى الواقع إشاره إلى هذا المعنى،مضافا إلى أنّ المستفاد من شأن نزول هذه الآيه و أنّ بعض الجهلاء طلبوا من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم أن يقوم بتغيير عقائد الناس بالإكراه و الجبر فجاءت الآيه جوابا لهؤلاء و أنّ الدين ليس من الأمور التى تفرض بالإكراه و الإجبار و خاصّه مع كلّ تلك الدلائل الواضحه و المعجزات البيّنه التى أوضحت طريق الحقّ من طريق الباطل،فلا حاجه لأمثال هذه الأمور.

و هذه الآيه ردّ حاسم على الذين يتهمّون الإسلام بأنّه توسّل إحيانا بالقوّه و بحدّ السيف و القدره العسكريه فى تقدّمه و انتشاره،و عند ما نرى أنّ الإسلام لم يسوّغ التوسل بالقوّه و الإكراه فى حمل الوالد لولده على تغيير عقيدته الدينيّه فإنّ واجب الآخرين بهذا الشأن يكون واضحا،إذ لو كان حمل الناس على تغيير

أديـانهم بالقوّه و الإكراه جائزا فى الإسـلام،لكان الأولى أن يجيز للأب ذلك لحمل ابنه على تغيير دينه،فى حين أنّه لم يعطه مثل هذا الحقّ.

و من هنا يتّضـح أنّ هذه الآيه لا تنحصـر بأهل الكتاب فقط كما ظنّ ذلك بعض المفسّـرين،و كذلك لم يمسخ حكم هذه الآيه كما ذهب إلى ذلك آخرون،بل أنّه حكم سار و عام و مطابق للمنطق و العقل.

ثمّ أنّ الآيه الشريفه تقول كنتيجه لما تقدّم فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَها .

(الطـاغوت)صـيغه مبـالغه من طغيـان،بمعنى الاعتـداء و تجـاوز الحـدود،و يطلق على كـلّ مـا يتجاوز الحدّ.لـذلك فالطاغوت هو الشيطان و الصـنم و المعتـدى و الحاكم الجبّار و المتكبر،و كلّ معبود غير اللّه،و كلّ طريق لا ينتهى إلى اللّه.و هـذه الكلمه تعنى المفرد و تعنى الجمع.

أمّا المقصود بالطاغوت،فالكلام كثير بين المفسّـرين.قال بعض إنّه الصـنم، و قال بعض إنّه الشـيطان،أو الكهنه،أو السـحره،و لكن الظاهر أنّ المقصود هو كلّ أولئك،بل قد تكون أشمل من كلّ ذلك،و تعنى كلّ متعدّ للحدود،و كلّ مذهب منحرف ضال.

إنّ الآيه فى الحقيقه تأييـد للآيات السابقه التى قالت أن لا إِكْراهَ فِى الدِّينِ ، و ذلك لأنّ الدين يدعو إلى اللّه منبع الخير و البركه و كلّ سعاده،بينما يدعو الآخرون إلى الخراب و الانحراف و الفساد.على كلّ حال،إنّ التمسّك بالإيمان باللّه هو التمسّك بعروه النجاه الوثقى التى لا تنفصم.

وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

.

الإشـاره فى نهايه الآيه إلى الحقيقه القائله إنّ الكفر و الإيمان ليسا من الأمور الظاهريه،لأنّ اللّه عالم بما يقوله الناس علانيه-و فى الخفاء-و كذلك هو عالم بما

یکنّه الناس فی ضمائرهم و قلوبهم.

و فی هذه الجمله ترغیب للمؤمنین الصادقین،و ترهیب للمنافقین.

بحث

اشاره

الدین لا یفرض:

لا یمکن للإسلام و لا للأدیان الحقّه الاخری أن تفرض فرضا علی الناس لسببین:

۱-بعد کلّ تلک الأدلّه و البراهین الواضحه و الاستدلالات المنطقیه و المعجزات الجلیه لم تکن ثمه حاجه لذلک.إنّما یستخدم القوّه من أعوزه المنطق و الحجّه.و الدین الإلهی ذو منطق متین و حجّه قویّه.

۲-أنّ الدین القائم علی أساس مجموعه من العقائد القلبیه لا یمکن أن یفرض بالإکراه.إن عوامل القوّه و السیف و القدره العسکریه یمکنها أن تؤثّر فی الأجسام،لا فی الأفکار و المعتقدات.

یتّضح ممّا تقدّم الردّ علی الإعلام الصلیبی-المسموم ضدّ الإسلام-القائل «إنّ الإسلام انتشر بالسیف»،إذ لا قول أبلغ و لا أفصح من لاٰ إِکْرٰاهَ فِی الدِّینِ الذی أعلنه القرآن.

هؤلاء الحاقدون یتناسون هذا الإعلان القرآنی الصریح،و یحاولون من خلال تحریف مفهوم الجهاد و أحداث الحروب الإسلامیه أن یثبتوا مقولتهم،بینما یتّضح بجلاء لکلّ منصف أنّ الحروب التی خاضها الإسلام کانت إمّا دفاعیه،و إمّا تحریریه،و لم یکن هدف هذه الحروب السیطره و التوسّع،بل الدفاع عن النفس، أو إنقاذ الفئه المستضعفه الرازحه تحت سیطره طواغیت الأرض و تحریرها من

ربقه العبوديه لتستنشق عبير الحريه و تختار بنفسها الطريق الذى ترتئيه.

و الشاهد الحىّ على هذا هو ما تكرّر حدوثه فى التاريخ الإسلامى،فقد كان المسلمون إذا افتتحوا بلدا تركوا أتباع الأديان الأخرى أحرارا كالمسلمين.

أمّا الضريبه الصغيره التى كانوا يتقاضونها منهم باسم الجزيه،فقد كانت ثمنا للحفاظ على أمنهم،و لتغطيه ما تتطلّبه هذه المحافظه من نفقات،و بذلك كانت أرواحهم و أموالهم و أعراضهم مصونه فى حمى الإسلام.كما أنّه كانوا أحرارا فى أداء طقوسهم الدينيه الخاصّه بهم.

جميع الذين يطالعون التاريخ الإسلامى يعرفون هذه الحقيقه،بل إن المسيحيين الذين كتبوا فى الإسلام يعترفون بهذا أيضا.يقول مؤلّف«حضاره الإسلام او العرب»:«كان تعامل المسلمين مع الجماعات الأخرى من التساهل بحيث إنّ رؤساء تلك الجماعات كان مسموحا لهم بإنشاء مجالسهم الدينيه الخاصّه».

و قد جاء فى بعض كتب التاريخ أنّ جمعا من المسيحيين الذين كانوا قد زاروا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم للتحقيق و الاستفسار أقاموا قدّاسا فى مسجد النبى فى المدينه بكلّ حرّيه.

إنّ الإسلام-من حيث المبدأ-توسّل بالقوّه العسكريه لثلاثه امور:

١-لمحو آثار الشرك و عباده الأصنام،لأنّ الإسلام لا يعتبر عباده الأصنام دينا من الأديان،بل يراها انحرافا و مرضا و خرافه،و يعتقد أنّه لا يجوز مطلقا أنّ يسمح لجمع من الناس أن يسيروا فى طريق الضلال و الخرافه،بل يجب إيقافهم عند حدّهم.لذلك دعا الإسلام عبده الأصنام إلى التوحيد،و إذا قاوموه توسّل بالقوّه و حطّم الأصنام و هدّم معابدها،و حال دون بروز أى مظهر من مظاهر عباده الأصنام،لكى يقضى تماما على منشأ هذا المرض الروحى و الفكرى.

و هذا يتبيّن من آيات القتال مع المشركين،مثل الآيه ۱۹۳ من سوره البقره:

وَ قاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَهٌ .و ليس هناك أىّ تعارض بين الآيه التى نحن بصددها و هذه الآيه،و لا نسخ فى هذا المجال.

۲-لمقابله المتآمرين للقضاء على الإسلام،عندئذ كانت الأوامر تصدر بالجهاد الدفاعى و بالتوسّل بالقوّه العسكريه.و لعلّ معظم الحروب الإسلاميه على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم كانت من هذا القبيل،مثل حرب أحد و الأحزاب و حنين و مؤته و تبوك.

۳-للحصول على حريّه الدعوه و التبليغ.حيث إنّ لكل دين الحقّ فى أن يكون حرّا فى الإعلان عن نفسه بصوره منطقيه،فإذا منعه أحد من ذلك فله أن ينتزع حقّه هذا بقوّه السلاح.

ص :۲۶۳

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۵۷]

اشاره

اَللّٰهُ وَلِیُّ اَلَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلظُّلُمٰاتِ إِلَی اَلنُّورِ وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا أَوْلِیٰاؤُهُمُ اَلطّٰاغُوتُ یُخْرِجُونَهُمْ مِنَ اَلنُّورِ إِلَی اَلظُّلُمٰاتِ أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ (۲۵۷)

التّفسیر

اشاره

نور الإیمان و ظلمات الکفر:

بعد أن أشیر فی الآیات السابقه إلی مسأله الإیمان و الکفر و اتضاح الحقّ من الباطل و الطریق المستقیم عن الطریق المنحرف توضّح هذه الآیه الکریمه استکمالا للموضوع أنّ لکل من المؤمن و الکافر قائدا و هادیا فتقول: اَللّٰهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا فهم یسیرون فی ظلّ هذه الولایه من الظلمات إلی النور یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَی النُّورِ .

کلمه(ولیّ)فی الأصل بمعنی القرب و عدم الانفصال و لهذا یقال للقائد و المربّی(ولی)-و سیأتی شرحها فی تفسیر آیه إِنَّمٰا وَلِیُّکُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ... (۱) -

---

۱- ۱) -المائده:۵۵.

تطلق أيضا على الصديق و الرفيق الحميم،إلاّ أنّه من الواضح أنّ الآيه مورد البحث تعنى فى هذه الكلمه المعنى الأوّل،و لذلك تقول اَللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا... .

و يمكن أن يقال أنّ هدايه المؤمنين من الظلمات إلى النور هو تحصيل للحاصل،و لكن مع الالتفات إلى مراتب الهدايه و الإيمان يتّضح أنّ المؤمنين فى مسيرهم نحو الكمال المطلق بحاجه شديده إلى الهدايه الإلهيّه فى كلّ مرحله و فى كلّ قدم و كلّ عمل،و ذلك مثل قولنا فى الصلاه كلّ يوم: اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ .

ثمّ تضيف الآيه إنّ أولياء الكفّار هم الطاغوت(الأوثان و الشيطان و الحاكم الجائر و أمثال ذلك)فهؤلاء يسوقونهم من النور إلى الظلمات وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيٰاؤُهُمُ الطّٰاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمٰاتِ و لهذا السبب أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ .

ملاحظات

١-إنّ تشبيه الإيمان و الكفر بالنور و الظلمه تشبيه بليغ رائع،فالنور هو منبع الحياه و مصدر البركات و الرشد و النّمو التكامل و التحرّك و منطلق الاطمئنان و العرفه و الهدايه،بينما الظلام رمز السكون و الموت و النوم و الجهل و الضلال و الخوف،و هكذا الإيمان و الكفر.

٢-النقطه الثانيه هى أنّ«الظلام»فى هذه الآيه و فى آيات اخرى جاء بصيغه الجمع(ظلمات)،و النور جاء بصيغه المفرد،و هذا يشير إلى أنّ مسيره الحقّ ليس فيها تفرّق و تشتّت،بل هى مسيره واحده فهى كالخط المستقيم بين نقطتين حيث إنّه واحد دائما غير متعدّد،أمّا الباطل و الكفر فهما مصدر جميع أنواع الاختلاف و التشتّت،حتّى أنّ أهل الباطل غير منسجمين فى باطلهم،و ليس لهم هدف واحد

كما هو الحال فى الخطوط المائله و المنحرفه بين نقطتين حيث يكون عددها على طرفى الخط المستقيم غير محدود و لا معدود.

و أحتمل البعض أنّ المراد من ذلك أن صفوف الباطل بالنسبه لأهل الحقّ كثيره.

٣-يمكن أن يقال أنّ الكفّار ليس لهم نور فيخرجوا منه،و لكن مع الالتفات إلى أنّ نور الإيمان موجود فى فطرتهم دائما فينطبق عليه هذا التعبير انطباقا كاملا.

۴-من الواضح أنّ اللّه تعالى لا يجبر المؤمنين للخروج من الظلمات إلى النور(ظلمات المعصيه و الجهل و الصفات الذميمه و البعد عن الحقّ)و لا يكره الكفّار على خروجهم من نور التوحيد الفطرى،بل أنّ أعمال هؤلاء هى التى توجب هذا المصير و تثمر هذه العاقبه.

ص :۲۶۶

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۵۸]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِی حَاجَّ إِبْرَاهِیمَ فِی رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اَللَّهُ اَلْمُلْکَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِیمُ رَبِّیَ اَلَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ قَالَ أَنَا أُحْیِی وَ أُمِیتُ قَالَ إِبْرَاهِیمُ فَإِنَّ اَللَّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ اَلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ اَلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ اَلَّذِی کَفَرَ وَ اَللَّهُ لاٰ یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلظَّالِمِینَ (۲۵۸)

التّفسیر

اشاره

محاجه إبراهیم مع طاغوت زمانه:

تعقیبا على الآیه السابقه التی تناولت هدایه المؤمنین بواسطه نور الولایه و الهدایه الإلهیّه،و ضلال الکافرین لاتّباعهم الطاغوت،یذکر اللّه تعالى فی هذه الآیه:عدّه شواهد لذلک،و أحدها ما ورد فی الآیه أعلاه و هی تتحدّث عن الحوار الذی دار بین إبراهیم علیه السّلام و أحد الجبّارین فی زمانه و یدعی(نمرود)فتقول: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِی حَاجَّ إِبْرَاهِیمَ فِی رَبِّهِ .

و تعقّب الآیه بجمله أخرى تشیر فیها إلى الدافع الأساس لها و تقول:إنّ ذلک الجبّار تملّکه الغرور و الکبر و أسکره الملک أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْکَ .

و ما أكثر الأشخاص الذين نجدهم فى الحالات الطبيعيّه أفراد معتدلين و مؤمنين،و لكن عند ما يصلون إلى مقام أو ينالون ثروه فأنّهم ينسون كلّ شيء و يسحقون كلّ المقدّسات.

و تضيف الآيه أنّ ذلک الجبّار سأل إبراهيم عن ربّه:من هو الإله الذى تدعونى إليه؟ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذِى يُحْيِى وَ يُمِيتُ .

الواقع أنّ أعظم قضيّه فى العالم هى قضيّه الخلقه،يعنى قانون الحياه و الموت الذى هو أوضح آيه على علم اللّه و قدرته.

و لكن نمرود الجبّار اتّخذ طريق المجادله و السفسطه و تزييف الحقائق لإغفال الناس و الملأ من حوله فقال:إنّ قانون الحياه و الموت بيدى قالَ أَنَا أُحْيِى وَ أُمِيتُ .

و من أجل إثبات هذه الدعوى الكاذبه استخدم حيله كما ورد فى الروايه المعروفه حيث أمر بإحضار سجينين أطلق سراح أحدهما و أمر بقتل الآخر،ثمّ قال لإبراهيم و الحضّار:أرأيتم كيف أحيى و أميت.

و لكنّ إبراهيم قدّم دليلا آخر لإحباط هذه الحيله و كشف زيف المدّعى بحيث لا يمكنه بعد ذلک من إغفال النّاس فقال: قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ و هنا ألقم هذا المعاند حجرا فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ .

و بهذا أسقط فى يدى العدوّ المغرور،و عجز عن الكلام أمام منطق إبراهيم الحيّ،و هذا أفضل طريق لاسكات كلّ عدوّ عنيد.بالرغم من أنّ مسأله الحياه و الموت أهم من قضيّه حركه الشمس و شروقها و غروبها من حيث كونها برهانا على علم اللّه و قدرته،و لهذا السبب أورده إبراهيم دليلا أوّل،و لو كان فى ذلک المجلس عقلاء و متفكّرون لاكتفوا بهذا الدليل و اقتنعوا به،إذ أنّ كلّ شخص يعرف

أنّ مسأله اطلاق سراح سجين و قتل آخر لا علاقه له بقضيّه الإحياء و الإماته الطبيعيتين أبدا،و لكن قد يكون هذا الدليل غير كاف لأمثال هؤلاء السذّج، و يحتمل وقوعهم تحت تأثير سفسطه ذلك الجبّار المكّار،فلهذا قدّم إبراهيم عليه السّلام دليله الآخر و هو مسأله طلوع و غروب الشمس لكى يتضح الحق للجميع (۱) .

و ما أحسن ما صنع إبراهيم عليه السّلام من تقديمه مسأله الحياه و الموت كدليل على المطلوب حتّى يدّعى ذلك الجبّار مشاركه اللّه تعالى فى تدبير العالم،ثمّ طرح مسأله طلوع و غروب الشمس بعد ذلك ليتّضح زيف دعواه و يحجم عن دعوى المشاركه.

و يتّضح ضمنا من جمله وَ اللّهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ أنّ الهدايه و الضلاله بالرغم من أنّهما من أفعال اللّه تعالى،إلاّ أنّ مقدّماتهما بيد العباد،فارتكاب الآثام من قبيل الظلم و الجور و المعاصى المختلفه تشكّل على القلب و البصيره حجب مظلمه تمنع من أدراك الحقائق على حقيقتها.

ملاحظات

۱-القرآن لا يذكر اسم هذا الشخص الذى حاجّ إبراهيم،و يشير إليه بقوله:

أَنْ آتٰاهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ

أى أنّه لغروره بحكمه قام بمحاجه إبراهيم.

صاحب تفسير الدرّ المنثور نقل عن أمير المؤمنين على عليه السّلام روايه تذكر أنّه «النمرود بن كنعان»و كتب التاريخ تذكر هذا الاسم أيضا.

۲-على الرغم من عدم تعرّض القرآن لذكر وقت هذا الحوار،فالقرائن تدلّ

۱- ۱) -إن الاستدلال الثانى يبدأ بإلغاء و قد يكون إشاره إلى أن الاستدلال الثانى لا يعنى صرف النظر عن الاستدلال الأوّل بل تضاف إليه.

على أنّه وقع بعد قيام إبراهيم بتحطيم الأصنام و نجاته من النار،إذ من الواضح أنّه قبل إلقائه فى النار لم تكن لتجرى أمثال هذه المجادلات،لأنّ عبده الأصنام ما كانوا يسمحون له بالكلام و هم يعتبرونه مجرما ينبغى أن ينال بأسرع وقت جزاءه على فعلته الشنيعه بتحطيم آلهتهم المقدّسه! إنّهم سألوه عن سبب فعلته ثمّ أصدروا أمرهم بإحراقه و هم غاضبون،و لكن عند ما خرج من النار سليما على تلك الصوره العجيبه استطاع أن يصل إلى نمرود و أن يحاوره.

۳-يتبيّن جليّا من الآيه أنّ نمرود لم يكن فى الواقع يبحث عن الحقيقه،بل كان يريد أن يظهر باطله بمظهر الحق.و لعلّ استعمال الفعل«حاجّ»قصد به هذا المعنى،لأنّه يستعمل عاده فى مثل هذه الحالات.

۴-يستدلّ من الآيه بصوره واضحه أنّ جبّار ذلك الزمان كان يدعى الألوهيّه،لا ليعبدوه فحسب،بل ليؤمنوا به خالقا لهذا العالم أيضا،أى أنّه كان يرى نفسه معبودا و خالقا.

و ليس فى هذا ما يدعو إلى العجب،ففى الوقت الذى يسجد فيه الناس لأصنام من الحجر و الخشب، و فضلا عن عبادتها يعتبرونها مؤثره فى إداره العالم و تساهم فيها،فإنّ الفرصه مناسبه لجبّار مخادع أن يستغفل الناس و يستغلّ سذاجتهم و يدعوهم إليه و يظهر نفسه بمظهر صنم يعبدونه و يعتبرونه خالقا.

۵-تاريخ عباده الأصنام يصعب لنا بيان تاريخ لعباده الأصنام و تعيين مبدأ له،فمنذ أقدم الأزمنه التى كانت عباده الأصنام سائده بين البشر الذين كانت أفكارهم منحطّه و على مستوى واطئ.

الواقع أنّ عباده الأصنام نوع من التحريف فى العقيده الفطريه الطبيعيه

المودعه فی الإنسان المتمثّله فی عباده اللّه.و لمّا کانت هـذه الفطره موجوده فی الإنسان دائما،فإنّ تحریفها کان أیضا موجودا بین المجموعات البشـریه المنحطّه دائما.لذلک یمکن القول أنّ تاریخ عباده الأصنام یکاد یوازی تاریخ ظهور الإنسان علی الأرض،و ذلک لأن الإنسان بمقتضـی فطرته و خلقه یتوجّه إلی قوّه فوق الطبیعه.إنّ طبیعته هذه کانت تؤیّدها أدلّه واضحه من نظام الوجود تقضـی بوجود مبـدأ عالم قادر،و کان الإنسان یـدرک هـذا بقـدر ما عن طریقین-فطرته و عقله-و الإحساس بالجوع فی الأطفال مثلا إذا لم یوجّه فی الوقت المناسب إلی الغـذاء السـلیم فإنّ الطفل قـد یمـدّ یده إلی أشـیاء کالطین و التراب،و یتعود علی ذلک بالتدریـج فیفقـد صـحّته من جراء ذلک.کـذلک الإنسان الذی یبحث عن اللّه بفطرته و عقله إذا لم یوجّه الوجهه الصـحیحه یمدّ نظره إلی مختلف الآلهه و الأصنام المصطنعه،فینحنی و یسجد لها و یسبغ علیها کلّ صفات الألوهیّه.

و لا حاجه إلی القول بأنّ قصـیری النظر و السـفهاء یسعون إلی أن یجسّموا کلّ شیء فی قالب حسّی،لأنّ فکرهم لا یفارق منطقه المحسوسات أبدا،لذلک کان یصعب علیهم عباده إله غیر منظور و مرئی،و رغبوا فی صبّ آلهتهم فی قالب حسّی.إنّ هذا الجهل إذا امتزج بفطره عباده اللّه یظهر فی صوره عباده الأصنام و الآلهه المجسّده.

و قیـل من جهه اخری:إنّ الأقوام السالفه کانت تقـدّس أنبیاءها و شخصـیّاتها الـدینیه،فإذا توفی هؤلاء أقامت لهم التماثیل لإحیاء ذکراهم مـدفوعین بروح تقدیس الأبطال،و الغلوّ التی نجدها فی ضـعفاء العقول،و من ثمّ تقدیس تماثیلهم إلی حدّ التألیه،و کان هذا سببا آخر من أسباب عباده الأصنام.

و من الأسـباب الأخری لعبـاده الأصـنام هو أنّ عـددا من الموجودات الطـبیعیه الـتی هی مصـدر خیر و برکه للإنسـان کـالقمر و الشمس و النار و الماء و غیرها قد

أثـارت اهتمـام الإنسان بها،فراح يحنى رأسه أمامها تعظيما لها و اعترافا منه بجميلها دون أن يوسع أفق تفكيره ليرى المبـدأ الأوّل فى خلق العالم وراء تلك الموجودات،فاتّخذ هذا التقدير و الاحترام بمرور الزمان صوره عباده لهذه الموجودات.

إنّ منشأ كلّ أنـواع عبـاده الأصـنام شـىء واحـد،و هـو الانحطـاط الفكرى و الجهـل و عـدم وجود الهـادى المخلّص إلى طريق اللّه،الأمر الذى يمكن الوقايه منه باتّباع تعاليم الأنبياء و تربيتهم و إرشاداتهم.

ص :۲۷۲

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۵۹]

اشاره

أَوْ کَالَّذِی مَرَّ عَلیٰ قَرْیَهٍ وَ هِیَ خٰاوِیَهٌ عَلیٰ عُرُوشِهٰا قٰالَ أَنّٰی یُحْیِی هٰذِهِ اَللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهٰا فَأَمٰاتَهُ اَللّٰهُ مِائَهَ عٰامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قٰالَ کَمْ لَبِثْتَ قٰالَ لَبِثْتُ یَوْماً أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ قٰالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَهَ عٰامٍ فَانْظُرْ إِلیٰ طَعٰامِکَ وَ شَرٰابِکَ لَمْ یَتَسَنَّهْ وَ اُنْظُرْ إِلیٰ حِمٰارِکَ وَ لِنَجْعَلَکَ آیَهً لِلنّٰاسِ وَ اُنْظُرْ إِلَی اَلْعِظٰامِ کَیْفَ نُنْشِزُهٰا ثُمَّ نَکْسُوهٰا لَحْماً فَلَمّٰا تَبَیَّنَ لَهُ قٰالَ أَعْلَمُ أَنَّ اَللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۵۹)

التّفسیر

اشاره

قصه«عزیر»العجیبه:

جاءت هذه الآیه معطوفه علی الآیه السابقه و تقصّ حکایه أحد الأنبیاء القدامی،و هی من الشواهد الحیّه علی مسأله البعث.و قد دارت الآیات السابقه- التی استعرضت الحوار بین إبراهیم علیه السّلام و النمرود-حول التوحید و معرفه اللّه.أمّا هذه الآیه و الآیات التالیه فتدور حول المعاد و الحیاه بعد الموت.نبدأ بشرح

ص: ۲۷۳

الحکایه بصوره مجمله ثمّ نباشر بالتفسیر.

الآیه تشیر إلی حکایه رجل سافر علی حماره و معه طعام و شراب،فمرّ بقریه قد تهدّمت و تحوّلت إلی انقاض تتخلّلها عظام أهالیها النخره.و إذ رأی هذا المشهد المروع قال:کیف یقدر اللّه علی إحیاء هؤلاء الأموات؟ لم یکن تساؤله بالطبع من باب الشکّ و الإنکار،بل کان من باب التعجّب،إذ أنّ القرائن الأخری فی الآیه تدلّ علی أنّه کان أحد الأنبیاء، و قد تحدّث إلیه اللّه، کما أنّ الأحادیث تؤیّد هذا کما سیأتی.

عند ذلک أماته اللّه مده مائه سنه،ثمّ أحیاه مرّه اخری و سأله:کم تظنّ أنّک بقیت فی هذه الصحراء؟فقال و هو یحسب أنّه بقی سویعات:یوما أو أقل،فخاطبه اللّه بقوله:بل بقیت هنا مائه سنه،انظر کیف أنّ طعامک و شرابک طوال هذه المدّه لم یصبه أی تغیّر بإذن اللّه.و لکن لکی تؤمن بأنک قد أمضیت مائه سنه کامله هنا انظر إلی حمارک الذی تلاشی و لم یبق منه شیء بموجب نوامیس الطبیعه،بخلاف طعامک و شرابک،ثمّ انظر کیف إنّنا نجمع أعضاءه و نحییه مرّه اخری.فعند ما رأی کلّ هذه الأمور أمامه قال: أَعْلَمُ أَنَّ اللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ ،أی:إننی الآن علی یقین بعد أن رأیت البعث بصوره مجسّمه أمامی.

و من هذا النبیّ الذی تحدّثت عنه هذه الآیه؟ثمّه أقوال عدیده،قال بعض:إنّه «ارمیا».و قال آخرون:إنّه«الخضر».إلاّ أنّ أشهر الأقوال:إنّه«العزیر»و یؤیّده حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام (۱) .

و اختلفت الأقوال أیضا بشأن القریه المذکوره،قال بعض:إنّها«بیت المقدس»التی دمّرها نبوخذ نصّر،و هو احتمال بعید.

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ ص ۳۷۰.

نعود إلى تفسير الآيه: أَوْ كَالَّذِی مَرَّ عَلیٰ قَرْیَهٍ وَ هِیَ خٰاوِیَهٌ عَلیٰ عُرُوشِهٰا قٰالَ أَنّٰی یُحْیِی هٰذِهِ اللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهٰا .

هذه الآیه-کما قلنا-تکمله للآیه السابقه التی دارت حول التوحید.هذه الآیه و الآیات التالیه تجسّد مسأله المعاد.

«عروش»جمع عرش،و هنا تعنی السقف.و«خاویه»فی الأصل بمعنی خالیه،و لکنّها هنا کنایه عن الخراب و الدمار،فالبیوت العامره تکون عاده مسکونه،أمّا الدور الخالیه فإمّا أن تکون قد تهدّمت من قبل،أو أنّها تهدّمت بسبب خلوّها من الساکنین،و علیه فإنّ قوله وَ هِیَ خٰاوِیَهٌ عَلیٰ عُرُوشِهٰا تعنی أنّ دور تلک القریه کانت کلّها خربه،فقد هوت سقوفها ثمّ انهارت الجدران علیها،و هذا هو الخراب التام إذ أنّ الانهدام یکون عاده بسقوط السقف أوّلا،و تبقی الجدران قائمه بعض الوقت،ثمّ تنهار فوق السقف.

قٰالَ أَنّٰی یُحْیِی هٰذِهِ اللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهٰا

.

الظاهر أنّ أحدا لم یکن مع النبیّ فی هذه الواقعه،فهو بهذا یخاطب نفسه.

و بدیهیّ أنّ القریه هنا تعنی أهل القریه،و هذا یعنی أنّه کان یری عظام أهل القریه بعینیه،فأشار إلیها و هو ینطق بتساؤله.

فَأَمٰاتَهُ اللّٰهُ مِائَهَ عٰامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ

.

یری أکثر المفسّرین أنّ هذه الآیه تعنی أنّ اللّه قد أمات النبیّ المذکور مدّه مائه سنه ثمّ أحیاه بعد ذلک،و هذا ما یستفاد من کلمه«أماته».إلاّ أنّ صاحب تفسیر المنار یحتمل أن یکون ذلک إشاره إلی نوع من النوم الطویل المعروف عند بعض الحیوانات المسمّی بالسبات.حیث یغطّ الکائن الحی فی نوم عمیق و طویل دون أن تتوقف فیه الحیاه،کالذی حدث مثلا عند أصحاب الکهف.

و إذا كـان النوم لبضع سـنوات ممكنـا،فهو على رأى صـاحب المنـار ممكن أيضا لمائه عام و إن لم يكن اعتياديا.و يلزم فى قبول الخوارق أن تكون ممكنه لا محاله عقلا (۱) .

و لكن ليس فى هـذه الآيه ما يـدلّ على صـحّه هـذا القول،بل إن ظاهر الآيه يـدلّ على أنّ النبىّ قـد فارق الحياه،و بعـد مائه سـنه اسـتأنف الحياه مرّه أخرى.و لا شكّ أنّ موتا و حياه كهذين هما من خوارق العادات،و إن لم يكن مستحيلا.و على كلّ حال فإنّ الحوادث الخارقه للعاده فى القرآن ليست منحصره بهذه الحادثه بحيث نعمد إلى تأويلها.

نعم نسـتطيع فى هذا المجال ذكر مسأله النوم الطويل الطبيعى أو السـبات الشـتوى لبعض الحيوانات التى تنام خلال أشهر الشتاء و تستيقـظ عنـد انخفاض حـدّه البرد،أو مسأله انجماد بعض الحيوانات انجمادا طبيعيا،أو تجميـد بعض الأحياء على يـد البشـر لمـده طويله دون أن تموت،كلّ ذلك لتقريب فكره الإماته و الإحياء مـدّه عام إلى الأذهان،و يكون ذكر هـذه المسائل بهدف الخروج بالنتيجه التاليه:

إنّ اللّه القـادر على الإبقـاء الأحيـاء مئـات السـنين فى نوم طويل أو حاله انجماد،ثمّ إيقاظها و إعادتها إلى حالتها الأولى لهو قادر على إحياء الموتى.

إننـا بقبولنـا أصل المعاد و إحياء الموتى فى البعث و كـذلك بقبول خوارق العادات و المعجزات على أيـدى الأنبياء ليس ثمّه ما يـدعونا إلى محـاوله تفسـير جميع آيـات القرآن بسلسـله من المسائل العاديه و الطبيعيه مخالفين بـذلك ظاهر الآيات،فهـذا ليس صحيحا و لا لزوم له.

و كما قال بعض المفسّرين:كأننا نسينا أننا هنا أموات فى البدايه و قد أحيانا

۱- ۱) -تفسير المنار و المراغى فى ذيل الآيه المبحوثه.

اللّه تعالى،فما المانع أن تتكرر ظاهره الموت و الحياه هذه.

قٰالَ كَمْ لَبِثْتَ قٰالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

.

يسأل اللّه نبيّه فى هـذه الآيه عن المـدّه التى قضاها فى النوم،فيتردّد فى الجواب بين قضائه يوما كاملا أو جزءا من اليوم.و يستفاد من هـذا التردّد أنّ السـاعه التى أماته اللّه فيها تختلف عن الساعه التى أحياه فيها من ساعات النهار، كأن تكون إماتته قـد حـدثت مثلا قبل الظهر،و أعيـد إلى الحياه بعـد الظهر.لـذلك انتابه الشكّ إن كان قد نام يوما كاملا بليله و ناره،أم أنّه لم ينم سوى بضع ساعات من النهار.و لهذا بعد أن قال إنّه قضى يوما،راوده الشكّ فقال أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .

و لكنّه ما لبث أن سمع اللّه يقول له: بَلْ لَبِثْتَ مِائَهَ عٰامٍ .

ثمّ أن اللّه تعالى أمر نبيه بأن ينظر إلى طعامه الـذى كان معه من جهه،و ينظر إلى مركوبه من جهه اخرى ليطمئن إلى واقعيه الأمر فالأول بقى سالما تماما.أمّا الثانى فتلاشـى و أصـبح رميما.ليعلم قـدره اللّه على حفظ الأشـياء القابله للفساد خلال هـذه الأعوام،و يدرك من جهه اخرى مرور الزمان على وفاته:

فَانْظُرْ إِلىٰ طَعٰامِكَ وَ شَرٰابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ

.

«لم يتسنّه»من مادّه«سنه»أى لم يمض عليه مدّه سنه،لعدم تعفّنه و تفسّخه.

و على ذلك يكون معنى الآيه:لاحظ طعامك و شرابك تجده كأنّه لم تمض عليه سنه و لا مدّه زمنيه،فلم يتغير،أى أنّ اللّه القادر على إبقاء ما يسـرع إليه التفسّـخ و الفساد كالطعام و الشـراب،قادر أيضا على إحياء الموتى بيسـر.فإبقاء الطعام و الشـراب نوع من إدامه الحياه لهذه المواد السريعه التفسّخ،و عمليه الإبقاء هذه ليست بأيسر من إحياء الموتى (۱) .

۱- ۱) -الضمير فى«لم يتسنّه»مفرد و عائده مثّنى:الطعام و الشراب،و إنّما أفرد لقصد الجنس،فكلاهما من جنس واحد.

إلاّ أنّ الآیه لم تشر إلی ماهیّه طعام النبیّ و شرابه.یقول بعض:إنّ طعامه کان فاکهه التین و کان شرابه عصیر بعض الفواکه،و کلاهما یسرع إلیه الفساد و التفسّخ کما هو معلوم،لذلک فإنّ بقاءهما هذه المدّه الطویله دون تلف أمر مهم.

وَ انْظُرْ إِلیٰ حِمٰارِکَ

.

لم یذکر القرآن عن حماره شیئا فی الآیات السابقه،إلاّ أنّ الآیات التالیه تشیر إلی أنّ حماره قد تلاشی تماما بمضیّ الزمان،و لو لا ذلک لما کان هناک ما یشیر إلی انقضاء مائه سنه،و هذا أمر عجیب أیضا،لأنّ حیوانا معروفا بطول العمر یتلاشی علی هذه الصوره،بینما الذی یطرأ علیه التفسّخ السریع کالفاکهه و عصیرها لم یتغیّر لا فی الرائحه و لا فی الطعم،و هذا منتهی تجلّی قدره اللّه.

وَ لِنَجْعَلَکَ آیَهً لِلنّٰاسِ

.

أی أنّ حکایتک هذه لیست آیه لک وحدک،بل هی کذلک للناس جمیعا.

وَ انْظُرْ إِلَی الْعِظٰامِ کَیْفَ نُنْشِزُهٰا ثُمَّ نَکْسُوهٰا لَحْماً

.

«النشوز»هو الارتفاع و البروز،و یعنی هنا رفع العظام من مکانها و ترکیبها مرّه اخری.فمعنی الآیه یکون:انظر إلی هذه العظام النخره کیف نرفعها من مواضعها و نربط بعض ببعض ثمّ نغطّیها باللحم و نحییها.واضح أنّ العظام المقصوده هی عظام حماره المتلاشی،لا عظام أهل القریه لما فی ذلک من انسجام مع الآیات السابقه.

و احتمل بعض المفسّرین أن المراد من العظام هی عظام نفس ذلک النبی، و هذا بعید جدّا،لأنّ الحدیث کان بعد إحیائه،و کذلک احتمل الآخرون هی عظام الحمار أو عظام الموتی الذین تعجب من احیائهم (1) ،و هذا أیضا بعید لأن الکلام

1- 1) -الکشّاف:ج 1 ص 307.

قبل هذه الجمله كان يدور حول الحمار و الراكب لا أهل القريه.

فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

.

عنـد ما اتّضـحت كلّ هـذه المسائل للنبىّ المـذكور قال إنّه يعلم أنّ اللّه قادر على كلّ شـىء.لاحظ أنّه لم يقل:الآن علمت كقول زليخا بشأن يوسف اَلْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ (۱) بل قال«أعلم»أى أننى أعترف و معرفتى بهذا الأمر بعلمى.

ص :۲۷۹

۱- ۱) -يوسف:۵۱.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۶۰]

اشاره

وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِیمُ رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِ اَلْمَوْتیٰ قٰالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قٰالَ بَلیٰ وَ لٰکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی قٰالَ فَخُذْ أَرْبَعَهً مِنَ اَلطَّیْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَیْکَ ثُمَّ اِجْعَلْ عَلیٰ کُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ اُدْعُهُنَّ یَأْتِینَکَ سَعْیاً وَ اِعْلَمْ أَنَّ اَللّٰهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۲۶۰)

التّفسیر

اشاره

تجلّی آخر للمعاد فی هذه الدنیا:

یذکر القرآن الکریم حول مسأله المعاد بعد قصه عزیر قصه اخری عن إبراهیم علیه السّلام لیکتمل البحث،و یذکر معظم المفسّرین و المؤرخین فی تفسیر هذه الآیه الحکایه التالیه:

مرّ إبراهیم علیه السّلام یوما علی ساحل البحر فرأی جیفه مرمیّه علی الساحل نصفها فی الماء و نصفها علی الأرض تأکل منها الطیور و الحیوانات البرّ و البحر من الجانبین و تتنازع أحیانا فیما بینها علی الجیفه،عند رؤیه إبراهیم علیه السّلام هذا المشهد خطرت فی ذهنه مسأله یودّ الجمیع لو عرفوا جوابها بالتفصیل،و هی کیفیّه عوده

ص:۲۸۰

الأموات إلى الحياه مرّه اخرى،ففكّر و تأمّل فى نفسه أنّه لو حصل مثل هذا الحادث لبدن الإنسان و أصبح طعاما لحيوانات كثيره،و كان بالتالى جزء من بدن تلك الحيوانات،فكيف يحصل البعث و يعود ذلك الجسد الإنسانى نفسه إلى الحياه؟ فخاطب إبراهيم عليه السّلام ربّه و قال: رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِ الْمَوْتیٰ .

فأجابه اللّه تعالى:أو لم تؤمن بالمعاد؟فقال عليه السّلام:بلى و لكن ليطمئّن قلبى.

فأمره اللّه أن يأخذ أربعه طيور و يذبحها و يخلط لحمها،ثمّ يقسّمها عدّه أقسام و يضع على كلّ جبل قسما منها،ثمّ يدعو الطيور إليه،و عندئذ سوف يرى مشهد يوم البعث،فامتثل إبراهيم للأمر و استولت عليه الدهشه لرؤيته أجزاء الطيور تتجمّع و تأتيه من مختلف النقاط و قد عادت إليها الحياه.

و ثمّه تفسير آخر للآيه نقله الفخر الرازى عن أحد المفسّرين يدعى(أبو مسلم)يخالف آراء بقيّه المفسّرين و لكنّنا نذكره هنا لئنّ مفسّرا معاصرا و هو صاحب المنار قد اختار هذا الرأى.

يقول هذا المفسّر:ليس فى هذه الآيه ما يدلّ على أنّ إبراهيم عليه السّلام ذبح الطيور و بعد ذلك عادت إلى الحياه من جديد بأمر اللّه تعالى،بل أنّ الآيه فى صدد بيان مثال لتوضيح مسأله المعاد،يعنى أنّك يا إبراهيم خذ أربعه من الطير فضمّها إليك حتّى تستأنس بك بحيث تعجيب دعوتك إذا دعوتها،فإنّ الطيور من أشدّ الحيوانات استعدادا لذلك،ثمّ اجعل كلّ واحده منهنّ على جبل ثمّ ادعها،فإنّها تسرع إليك،و هذه المسأله اليسيره بالنسبه لك تماثل فى سهولتها و يسرها مسأله إحياء الأموات و جمع إجزائها المتناثره بالنسبه إلى اللّه تعالى.

فعلى هذا يكون أمر اللّه تعالى لإبراهيم عليه السّلام فى الطيور الأربعه لا يعنى أن يقدم إبراهيم على هذا العمل حتما،بل أنّه مجرّد بيان مثال و تشبيه كأن يقول شخص

لآخر لبيان سهوله الأمر عليه:اشرب هذا القدح من الماء حتّى أنهى هذا العمل و يريد بذلك بيان سهولته،لا أنّ الآخر يجب عليه أن يشرب الماء.

و أستدلّ أنصار النظريّه الثانيه بكلمه فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ و قالوا إنّ هذه الجمله إذا كانت متعدّيه بحرف(إلى)فتكون بمعنى الأنس و الميل،فعلى هذا يكون مفهوم الجمله أنّه(خذ هذه الطيور و آنسهن بك)مضافا إلى أنّ الضمائر فى(صرهنّ) و(منهنّ)و(ادعهنّ)كلّها تعود إلى الطيور،و هذا لا يكون سليما إلاّ إذا أخذنا بالتفسير الثانى،لأنّه على التفسير الأوّل تعود بعض هذه الضمائر على نفس الطيور و تعود البعض الآخر على أجزائها،و هذا غير مستساغ فى الاستعمال.

الجواب على هذه الاستدلالات سيأتى ضمن تفسيرنا للآيه الشريفه و لكن ما تجدر الإشاره إليه هنا هو أنّ الآيه تبيّن بوضوح هذه الحقيقه،و هى أنّ إبراهيم عليه السّلام طلب من اللّه تعالى المشاهده الحسيّه للمعاد و البعث لكى يطمئنّ قلبه،و لا شكّ أنّ ضرب المثل و التشبيه لا يجسّد مشهدا و لا يكون مدعاه لتطمين الخاطر،و فى الحقيقه أنّ إبراهيم كان مؤمنا عقلا و منطقا بالمعاد،و لكنّه كان يريد أن يدرك ذلك عن طريق الحس أيضا.

و الآن نبدأ بتفسير الآيه ليتّضح لنا أىّ التفسيرين أقرب و أنسب:

وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتىٰ

.

سبق أن قلنا إنّ هذه الآيه تكمله للآيه السابقه فى موضوع البعث،يفيد تعبير أَرِنِى كَيْفَ... أنّه طلب الرؤيه و الشهود عيانا لكيفيّه حصول البعث لا البعث نفسه.

قٰالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قٰالَ بَلىٰ وَ لٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى

.

كان من الممكن أن يتصور بعضهم أنّ طلب إبراهيم عليه السّلام هذا إنّما يدلّ على تزلزل إيمان إبراهيم عليه السّلام،و لإزاله هذا التوهّم أوحى إليه السؤال:«أو لم تؤمن؟»

لکی یأتی جوابه موضحا الأمر،و مزیلا کلّ التباس قد یقع فیه البعض فی تلک الحادثه،لذلک أجاب إبراهیم علیه السّلام بَلیٰ وَ لٰکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی .

یفهم من هذه الآیه أیضا علی أنّ الاستدلالات العملیه و المنطقیه قد تؤدّی إلی الیقین و لکنها لا تؤدّی إلی اطمئنان القلب،إنّها ترضی العقل لا القلب و لا العواطف.إنّ ما یستطیع أن یرضی الطرفین هو الشهود العینی و المشاهد الحسیّه.

هذا موضوع مهمّ سوف نزیده إیضاحا فی موضعه.

التعبیر بالاطمئنان القلبی یدلّ علی أن الفکر قبل وصوله إلی مرحله الشهود یکون دائما فی حاله حرکه و تقلّب و لکن إذا وصل مرحله الشهود یسکن و یهدأ.

قٰالَ فَخُذْ أَرْبَعَهً مِنَ الطَّیْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَیْکَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلیٰ کُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً

.

«صرهنّ»من«الصور»أی التقطیع،أو المیل،أو النداء،و معنی التقطیع أنسب.

أی خذ أربعه من الطیر و اذبحهنّ و قطّعهنّ و اخلطهنّ.

لقد کان المقصود أن یشاهد إبراهیم علیه السّلام نموذجا من البعث و عوده الأموات إلی الحیاه بعد أن تلاشت أجسادها.و هذا لا یأتلف مع أملهنّ و لا مع صحح بهنّ و علی الأخصّ ما یأتی بعد ذلک ثُمَّ اجْعَلْ عَلیٰ کُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً و هذا دلیل علی أنّ الطیور قد قطّعت أوّلا و صارت أجزاء.و لعلّ الذین قالوا إنّ فَصُرْهُنَّ إِلَیْکَ تعنی استمالتهنّ و ایناسهنّ قد غفلوا عن لفظه«جزءا»هذه،و کذلک الهدف من هذا العمل.

و بذلک قام إبراهیم بهذا العمل و عند ما دعاهنّ تجمّعت أجزائهنّ المتناثره و ترکبت من جدید و عادت إلی الحیاه،و هذا الأمر أوضح لإبراهیم علیه السّلام أنّ المعاد یوم القیامه سیکون کذلک علی شکل واسع و بمقیاس کبیر جدّا.

و یری بعضهم أنّ کلمه(سعیّا)تعنی أنّ الطیور بعد أن عادت إلیهنّ الحیاه لم یطرن،بل مشین مشیا إلی إبراهیم علیه السّلام لئنّ السعی هو المشی السریع،و ینقل عن

الخليل ابن أحمد الأديب المعروف أنّ إبراهيم عليه السّلام كان يمشى عند ما جاءت إليه الطيور،أى أنّ(سعيا)حال من إبراهيم لا من الطيور (۱) ،و لكن بالرغم من كلّ ذلك فالقرائن تشير إلى أنّ(سعيا)كنايه عن الطيران السريع.

بحوث

اشاره

۱-الحادثه الخارقه للعاده

لا ـ شكّ فى أنّ هـذه الحـادثه التى حـدثت للطيور كـانت أمرا خارقـا للعاده تماما كما فى وقوع البعث يوم القيامه،و نعلم أنّ اللّه تعالى حاكم على قوانين الطبيعه و ليس محكوما لها،فعلى هـذا لا يكون من العسير حدوث مثل هذه القضايا بأمره، و كما أشـرنا سابقا إلى أنّ إصـرار بعض المفسّـرين المثقفين على الأعراض عن التفسـير المشـهور.و القول بأنّ المراد هو تـدجين و تأهيل هذه الطيور حتّى تسـتأنس به ثمّ يدعوها إليه فتسـتجيب،ضعيف جدّا و كلام لا يستند على أساس منطقى و لا يتناسب مع مسأله المعاد و لا مع قصّه إبراهيم عليه السّلام و رؤيته للجيفه على ساحل البحر ثمّ طلبه رؤيه مشهد البعث و المعاد.

و الجـدير بالـذكر أنّ(الفخر الرازى)قـال بـأنّ جميع المفسّـرين اتّفقوا على ما ذكر من التفسـير المشـهور إلّا أبو مسـلم حيث أنكر ذلك (۲) .

۲-أربع طيور مختلفه

لا شكّ أنّ الطيور الأربعه كانت من أربعه أنواع مختلفه،و إلّا فإنّ هدف

۱- ۱) -البحر المحيط:ج ۲ ص ۳۰۰ ذيل الآيه المبحوثه.

۲- ۲) -تفسير الكبير:ج ۷ ص ۴۱.

إبراهيم عليه السّلام من عوده كلّ جزء إلى أصله لا يتحقق.و فی بعض الروايات أنّ هذه الطيور كانت طاووسا و ديكا و حمامه و غرابا،فكان الاختلاف بينها كبيرا،و يرى بعض أنّها مظهر للصفات و الخصال المختلفه فی البشر.فالطاوس يمثّل العجب و الخيلاء و التكبر،و الديک يمثّل الرغبات الجنسيه الشديده،و الحمامه تمثّل اللهو و اللعب،و الغراب يمثّل الآمال و المطامح البعيده.

۳-عدد الجبال

لم يرد فی القرآن ذكر عدد الجبال التی وضع عليها إبراهيم أجزاء الطيور، و لكن الأحاديث التی وصلتنا عن أهل البيت عليهم السّلام تقول أنّها عشره.و لهذا ورد فی الروايات:إنّ من يوصی بإنفاق جزء من أمواله فی أمر من الأمور دون تعيين النسبه فإن صرف عشره بالمائه يكفی (۱) .

۴-متى وقعت هذه الحادثه؟

هل وقعت عند ما كان إبراهيم فی بابل،أم بعد نزوله بالشام؟يظهر أنّ ذلك قد حدث فی الشام،لأنّ منطقه بابل خاليه من الجبال.

۵-المعاد الجسمانی

معظم الآيات الوارده فی القرآن المجيد بشأن البعث تشرح و توضح المعاد الجسمانی.إنّ العليم بالمفاهيم القرآنيه الخاصّه بالمعاد يعلم أنّ ما يذكره القرآن هو المعاد الجسمانی فقط،أی عند ما يبعث الناس يكون البعث للجسم و الروح معا.

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين:ج ۱ ص ۲۷۸.

لذلک فالقرآن یعبّر عن ذلک بأنّه إحیاء الموتی،و لو کان البعث یقتصر علی الروح لما کان للإحیاء أی مفهوم.

و هذه الآیه تشرح بکلّ وضوح کیفیّه تجمّع أجزاء الجسد المتناثره،و هو ما رآه إبراهیم علیه السّلام بعینیه.

۶-شبهه الأکل و المأکول

ما ذکرناه من الدافع الذی دفع بإبراهیم علیه السّلام إلی طلب مشاهده إحیاء الموتی و حکایه الجیفه التی کان یأکل منها حیوانات البرّ و البحر،نفهم أنّ اهتمام إبراهیم علیه السّلام کان منصبّا علی أن یعرف کیف یمکن إرجاع جسد میّت إلی حالته الأولی بعد أن أکلته الحیوانات و أصبح جزءا من أجساد تلک الحیوانات؟و هذا ما یطلق علیه فی علم العقائد اسم«شبهه الآکل و المأکول».

لتوضیح ذلک نقول:إنّ اللّه سبحانه یعید الإنسان فی یوم القیامه بهذا الجسد المادّی.و بعباره أخری یعود جسم الإنسان و تعود روحه أیضا.

فی هذه الحاله یبرز تساؤل یقول:إذا استحال جسد الإنسان إلی تراب، و امتصّته جذور الأشجار و النباتات و أصبح ثمرا أکله إنسان آخر و غدا جزءا من جسده.أو إذا افترضنا مثلا سنوات قحط شدیده أکل فیها إنسان لحم إنسان،فإلی أیّ جسد ستعود هذه الأجزاء المأکوله؟فإذا غدت جزء من الجسد الأوّل أصبح الجسد الثانی ناقصا،و إن بقیت جزء من الجسد الثانی نقص الأول أو انعدم.

الجواب:

هذا الاعتراض القدیم أجاب علیه الفلاسفه و علماء العقائد إجابات مختلفه لا نری ضروره لدرجها جمیعا هنا.و هناک آخرون لم یستطیعوا أن یعثروا علی جواب مقنع،فراحوا یؤوّلون الآیات المرتبطه بالمعاد الجسمانی و عمدوا إلی

اعتبار شخصیه الإنسان منحصره بالروح و الخصائص الروحیه،مع أنّ شخصیه الإنسان لا تنحصر بالروح فقط،و لا الآیات الخاصّه بالمعاد الجسمانی غامضه بحیث یمکن تأویلها،بل هی صریحه صراحه قاطعه کما قلنا.

و هناک غیرهم قالوا بنوع من المعاد الجسمانی الذی لا یختلف کثیرا عن المعاد الروحانی،إلاّ أننا نجد أمامنا طریقا أکثر وضوحا بالاعتماد علی النصوص القرآنیه و یتّفق مع ما توصّل إلیه العلم الحدیث،و یحتاج توضیحه إلی عدّه مقدّمات.

١-إنّنا نعلم أنّ أجزاء جسد الإنسان تتبدّل مرّات عدیده من الطفوله إلی الموت،حتّی خلایا الدماغ التی لا- تتغیّر من حیث العدد،تتغیّر من حیث الأ-جزاء، فهی من جهه تتغذّی و من جهه اخری تتجزّأ،و هذا نفسه یؤدّی إلی تبدیلها الکامل علی مدی الزمن،بحیث إنّه بعد مرور عشر سنوات لا تبقی أیّه ذرّه من ذرّات الجسم القدیمه.

و لکن الذرّات السابقه عند ما تکون علی أعتاب الهلاک تنقل جمیع خواصّها و آثارها إلی الخلایا الجدیده،لذلک فإنّ ممیّزات الإنسان الجسمیه کالطول و الشکل و الهیئه و غیرها من الکیفیات الجسمانیه تبقی ثابته علی مرور الزمان، و هذا لا یکون إلاّ بانتقال هذه الصفات إلی الخلایا الجدیده،(لاحظ هذا بدقّه).

و علیه فإنّ الأ-جزاء الأ-خیره من کلّ إنسان،عند ما تتبدّل بعد الموت إلی تراب،تکون حاویه علی مجموعه من الصفات التی اکتسبتها علی امتداد العمر، فهی تاریخ ینطق بمسیره جسم الإنسان علی امتداد العمر کلّه.

٢-صحیح أنّ الروح هی الأساس الذی تبنی علیه شخصیه الإنسان،و لکن ینبغی أن نعرف أنّ الروح تتکامل و تتربّی بالجسم،و هما یتبادلان التأثیر.لذلک فکما أنّ جسدین لا یتشابهان من جمیع الجهات،کذلک لا تتشابه روحان من

جمیع الجهات أیضا.

و لهذا السبب فإنّ الروح لا تستطیع أن تتفاعل تفاعلا کاملا إلاّ مع الجسد الذی تربّت و تکاملت معه.لذلک ففی البعث لا بدّ من حضور الجسد السابق نفسه لکی تستطیع الروح الاندماج به و تستأنف نشاطها فی عالم أسمی،و لتجنی ثمار أعمالها.

۳-تتمثّل فی کلّ ذرّه من ذرّات الجسم جمیع صفاته،أی أنّنا لو أمکننا أن نربّی کلّ خلیّه من خلایا جسم الإنسان لتصبح إنسانا کاملا، فإنّ ذلک الإنسان سوف یحمل جمیع صفات الإنسان الذی أخذ منه هذا الجزء،(لاحظ بدقّه).

هل أن الإنسان کان فی الیوم الأوّل أکثر من خلیه واحده؟خلیه النطفه التی کانت تحمل جمیع الصفات،ثمّ راحت کلّ خلیه تنشطر إلی خلیتین علی التوالی حتی اکتملت جمیع خلایا الجسم،و علیه فإنّ کلّ خلیه فی جسم الإنسان هی جزء من الخلیه الأولی بحیث لو أنّها تربّت لاستحالت إلی إنسان شبیه بالأوّل یحمل صفاته من جمیع الجهات.

و الآن مع أخذ هذه المقدّمات الثلاث بنظر الإعتبار نباشر بالإجابه علی الاعتراض المذکور.

فی القرآن آیات تقول بوضوح:إنّ الذرّات الموجوده فی جسم الإنسان عند الموت هی التی تعود إلی ذلک الجسد یوم القیامه (۱) .فإذا کان شخص آخر قد طعم من لحمه فإنّ الأجزاء التی طعمها تنفصل عنه و تعود إلی الجسم الأصلی،کلّ ما فی الأمر أنّ جسم الشخص الآخر یصبح ناقصا،و لکن ینبغی أن نقول إنّه لا ینقص،بل یصغر،لأنّ أجزاء الجسم المأکول تکون قد انتشرت فی کلّ أجزاء جسم الآکل،

۱- ۱) -انظر الآیات التی تشیر إلی أنّ اللّه یبعث من فی القبور.

و لـذلك فـإنّ جسم الآكل حين تسترجع منه الأجزاء ينحف و يصـغر بنسـبه ما يؤخـذ منه.فالـذى يزن ستين كيلو غراما،مثلا،حين يؤخذ منه أربعون كيلو غراما لتعطى للشخص الأوّل يصغر بحيث لا يزيد على وزن طفل.

و هل يسبّب هذا مشكله؟كلّا طبعا،لأنّ هذا الجسد الصغير يكون حاويا على جميع صفات الشخص دون زياده و لا نقصان،و عند البعث يكون كالطفل الذى يولد صـغيرا ثمّ ينمو و يكبر و يحشـر بهيئه إنسان كامل.و ليس فى هذا النوع من النموّ عند البعث أىّ إشكال عقلى أو نقلى.

هـل هـذا النموّ عنـد البعث فوريّ أم تـدريجيّ؟هـذا مـا لا نعلمه،و لكن الـذى نعلمه هو أنّه سواء أ كان هـذا أم ذاك،فلا يثير أيّه مشكله،و المسأله محلوله فى كلتا الحالتين.

و يبقى سؤال واحـد،و هو:إذا كـان كـلّ جسـد الشـخص الآكـل مكوّنـا من أجزاء جسـد الشـخص المـأكول،فما العمل؟ الجواب بسـيط،لأنّ حاله كهذه مسـتحيله الوجود،فقضـيه الآكل و المأكول تقتضى أن يكون هناك أوّلا جسد معيّن،ثمّ يتغذّى على جسد آخر و ينمو،و على هذا فلا يمكن أن تكون جميع أجزاء جسم الآكل متكونه من أجزاء جسم المأكول، إذ ينبغى أن نفترض أوّلا وجـود جسـم سـابق حـتى يمكـن أن يتغـذّى على جسـم آخر، و عليـه فـإنّ جسـم الثـانى سـوف يكـون جزء مـن جسم الأـوّل لا كلّه،فتأمّل.

يتّضح من هذا الشـرح أنّ مسأله المعاد الجسمانى لجسم الإنسان نفسه ليس فيه أىّ إشكال،و لا حاجه إلى تأويل الآيات الصريحه فى إثبات هذا الموضوع.

ص :٢٨٩

الآيه [سوره البقره (٢): آيه ٢٦١]

اشاره

مَثَلُ اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اَللّهِ كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اَللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اَللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)

التّفسير

اشاره

الإنفاق و ترشيد الشخصيّه:

تعتبر مسأله الإنفاق إحدى أهمّ المسائل التى أكدّ عليها الإسلام و القرآن الكريم،و الآيه أعلاه هى أوّل آيه فى مجموعه الآيات الكريمه من سوره البقره التى تتحدّث عن الإنفاق،و لعلّ ذكرها بعد الآيات المتعلّقه بالمعاد من جهه أنّ أحد الأسباب المهمّه للنجاه فى الآخره هو الإنفاق فى سبيل اللّه.و ذهب البعض إلى أنّ الآيات لها ارتباط بآيات الجهاد المذكوره قبل آيات المعاد و التوحيد فى هذه السوره.

تقول الآيه الشريفه: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ فيكون المجموع المتحصّل من حبّه واحده

ص: ٢٩٠

سبعمائه حبّه، و تضيف الآيه بأنّ ثواب هؤلاء لا ينحصر بذلک وَ اللّهُ يُضٰاعِفُ لِمَنْ يَشٰاءُ .

و ذلک باختلاف النيّات و مقدار الإخلاص فی العمل و فی كفيّته و كميّته.و لا عجب فی هذا الثواب الجزيل لأنّ رحمه اللّه تعالی واسعه و قدرته شامله و هو مطّلع علی كلّ شیء وَ اللّهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ .

و يری بعض المفسّرين أنّ المراد من الإنفاق فی الآيه أعلاه هو الإنفاق للجهاد فی سبيل اللّه فقط لأنّ هذه الآيه فی الواقع تأكيد لما مرّ فی الآيات التی تحدّثت عن قصه عزير و إبراهيم و طالوت،و لكنّ الإنصاف أنّ مفهوم الآيه أوسع من ذلک و مجرّد ارتباطها بالآيات السابقه لا يمكن أن يكون دليلا علی تخصيص هذه الآيه و الآيات التاليه لأنّ عباره فِی سَبِيلِ اللّهِ لها مدلول واسع يشمل كلّ مصارف الخير،مضافا إلی أنّ الآيات التاليه أيضا ورد فيها بحث الإنفاق بسوره مستقلّه،و قد أشير كذلک فی الروايات الإسلاميه إلی عموم معنی الإنفاق فی هذه الآيه (۱) .

و الجدير بالذكر أنّ هذه الآيه تشبّه الأشخاص الذين ينفقون فی سبيل اللّه بالبذره المباركه التی تزرع فی أرض خصبه فی حين أنّ التشبيه عاده يجب أن يكون بين الإنفاق نفسه و البذره أی أعمالهم لا أنفسهم،و لذلک ذهب الكثير من المفسّرين أنّ فی الآيه حذف مثل كلمه(صدقات)قبل كلمه(الذين ينفقون)أو كلمه(زارع)قبل كلمه الحبّه و أمثال ذلک.

و لكن ليس هناک أی دليل علی وجود الحذف و التقدير فی هذه الآيه،بل إنّ تشبيه المنفقين بحبّات كثيره البركه تشبيه رائع و عميق و كأنّ القرآن يريد أن يقول:

۱- ۱) -«الطبرسی»فی مجمع البيان بعد أن يذكر المفهوم الآيه معنا واسعا يقول:و هو المروی عن أبی عبد اللّه عليه السّلام.

إنّ عمل كلّ إنسان انعكاس لوجوده،و كلّما اتّسع العمل اتّسع فى الواقع وجود ذلك الإنسان.

و بعباره اخرى:أنّ القرآن لا يفصل عمل الإنسان عن وجوده،بل يرى أنّهما مظهران مختلفان لحقيقه واحده،و وجهان لعمله واحده،لذلك فإنّ آيه قابله للتفسير من دون أن نفترض فيها حذفا و تقديرا،فالآيه إشاره إلى حقيقه أنّ شخصيه الإنسان الصالح تنمو و تكبر معنويّا بأعماله الصالحه،فمثل هؤلاء المنفقين كمثل البذور الكثيره الثمر التى تمدّ جذورها و أغصانها إلى جميع الجهات و تفيض ببركتها على كلّ الأرجاء.

و الخلاصه أنّه فى كلّ مورد للتشبيه مضافا إلى وجود أداه التشبيه لا بدّ من وجود ثلاثه امور اخرى:

المشبّه،و المشبّه به،و وجه التشبيه،ففى هذا المورد المشبّه هو الإنسان المنفق،و المشبّه به هو البذور الكثيره البركه،و وجه التشبيه هو النموّ و الرشد، و نحن نعتقد أنّ الإنسان المنفق ينمو و يرشد معنويّا و اجتماعيّا من خلال عمله ذاك و لا يحتاج إلى أيّ تقدير حينئذ.

و شبيه هذا المعنى ورد كذلك فى الآيه ۲۶۵ من هذه السوره،و هناك بحث بين المفسّرين فى التعبير بقوله أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ حيث أشارت الآيه إلى أنّ حبّه واحده تصير سبعمائه حبّه أو أكثر،و أنّ هذا التشبيه لا وجود خارجى له فهو تشبيه فرضى(لأنّ حبّه الحنطه لا تبلغ فى موسم الحصاد سبعمائه حبّه أبدا)و أو أنّ المقصود هو نوع خاصّ من الحبوب(كالدخن)التى تعطى هذا القدر من الناتج،و يلفت النظر أنّ الصحف كتبت أخيرا أنّ بعض مزارع القمح أنتجت فى السنوات الممطره سنابل طويله يحمل بعضها نحوا من اربعمائه آلاف

حبّه،و هذا يدلّ على أنّ تشبيه القرآن واقعى و حقيقى.

جمله(يضاعف)من مادّه(ضعف)و يعنى مقدار المرتين أو المرّات و بالنظر إلى ما ذكرنا آنفا من وجود حبوب تعطى عدّه آلاف من المحصول نعرف بأنّ هذا التشبيه هو تشبيه واقعىّ أيضا.

بحث

اشاره

الإنفاق و مشكله الفوارق الطبقيّه:

من المشكلات الاجتماعيه الكبرى التى يعانى منها الإنسان دوما و لا زال يعانى رغم كلّ ما حقّقه البشر من تقدّم صناعى و مادّى هى مشكله التباين الطبقى المتمثّله بالفقر المدقع فى جانب،و تراكم الثروه فى جانب آخر.

إنّك لترى بعضهم يكتنز من الثروه بحيث إنّه لا يستطيع أن يحصيها،و ترى بعضهم من الفقر فى عذاب ممض بحيث لا يستطيع أن يجد حتّى الضرورىّ اللازم لحياته كالحدّ الأدنى من الغذاء و الملبس و المأوى.

لا شكّ أنّ المجتمع الذى يقوم قسم من بنيانه على الغنى الفاحش،و القسم الأعظم على الفقر المدقع و الجوع القاتل،لا دوام له،و لن يصل إلى السعاده الحقيقه أبدا،إنّ مجتمعا كهذا يسوده حتما الهلع و الاضطراب و القلق و الخوف و سوء الظن،و من ثمّ العداء و الصراع.

هذا التباين الطبقى الذى كان موجودا فى القديم قد تفشّى فينا اليوم-مع الأسف-بأكثر و أخطر ممّا سبق،ذلك لأنك تجد أبواب التعاون الإنسانى الحقيقى قد أغلقت بوجوه الناس،و فتحت بمكانها أبواب الربا الفاحش الذى هو من أهمّ أسباب اتساع الهوه الطبقيه بين الناس،و لا أدلّ على ذلك من ظهور الشيوعيه

و أمثالها،و إراقه الدماء فى أنواع الحروب المروعه التى اندلعت فى قرننا الأخير و ما زالت مندلعه هنا و هناك فى أنحاء مختلفه من العالم،و معظمها ذات منشأ اقتصادى و ردّ فعل لحرمان أكثريه شعوب العالم.

و قد سعى العلماء و المذاهب الاقتصاديه فى العالم للبحث عن علاج،و اختار كلّ طريقا،فالشيوعيه اختارت إلغاء الملكيه الفرديه،و الرأسماليه اختارت طريق استيفاء الضرائب الثقيله و إنشاء المؤسّسات الخيريه العامّه(و هى شكليه أكثر من كونها حلّا لمشكله الطبقيه)،ظانّين أنّهم بذلك يكافحون هذه المشكله،لكن أيّا من هؤلاء لم يستطع فى الحقيقه أن يخطو خطوه فعّاله فى هذا السبيل،و ذلك لأنّ حلّ هذه المشكله غير ممكن ضمن الروح الماديّه التى تسيطر على العالم.

بالتدقيق فى آيات القرآن الكريم يتّضح أنّ واحدا من الأهداف التى يسعى لها الإسلام هو إزاله هذه الفوارق غير العادله الناشئه من الظلم الاجتماعى بين الطبقتين الغنيه و الفقيره،و رفع مستوى معيشه الذين لا يستطيعون رفع حاجاتهم الحياتيه و لا توفير حدّ أدنى من متطلّباتهم اليوميه دون مساعده الآخرين.

و للوصول إلى هذا الهدف وضع الإسلام برنامجا واسعا يتمثّل بتحريم الربا مطلقا، و بوجوب دفع الضرائب الإسلاميه كالزكاه و الخمس،و الحثّ على الإنفاق، و قرض الحسنه،و المساعدات الماليه المختلفه،و أهمّ من هذا كلّه هو إحياء روح الأخوّه الإنسانيه فى الناس.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۶۲]

اشاره

اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ ثُمَّ لاٰ یُتْبِعُونَ مٰا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لاٰ أَذیً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۲۶۲)

التّفسیر

اشاره

الإنفاق المقبول:

الآیه السابقه بیّنت أهمیّه الإنفاق فی سبیل اللّه بشکل عام،و لکن فی هذه الآیه بیّنت بعض شرائط هذا الإنفاق(و یستفاد ضمنا من عبارات هذه الآیه أنّ الإنفاق هنا لا یختصّ بالإنفاق فی الجهاد).

تقول الآیه اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ ثُمَّ لاٰ یُتْبِعُونَ مٰا أَنْفَقُوا ... وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۱) .

۱- ۱) -«منّ»بمعنی حجر المیزان المعروف ثمّ أطلقت علی النعم المهمّه التی یلاحظ فیها الجانب العملی«و منن اللّه تعالی من هذا القبیل»و إن کان الملحوظ فیها الجانب اللفظی کانت قبیحه جدّا و فی الآیه أعلاه وردت بهذا المعنی الثانی.

یستفاد بوضوح من هـذه الآـیه أنّ الإنفـاق فی سبیل اللّه لا یکون مقبولا عنـد اللّه تعالی إذا تبعته المنّه و ما یوجب الأذی و الألم للمعوزین و المحتـاجین،و علیه فـإنّ من ینفق مـاله فی سبیـل اللّه و لکنّه یمنّ به علی من ینفق علیه،أو ینفقه بشـکل یوجب الأذی للآخرین فإنّه فی الحقیقه یحبط ثوابه و أجره بعمله هذا.

إنّ مـا یثیر الاهتمـام أکثر فی هـذه الآـیه هو أنّ القرآن لاـ یعتبر رأسـمال الإنسـان فی الحیـاه مقتصـرا علی رأس المال المادّی،بل یحسب حساب رؤوس الأموال المعنویه و الاجتماعیه أیضا.

إنّ من یعطی شیئا لأحد و یمنّ علیه به أو یقوم بما یثیر الألم فی نفس المعطی له و یجرح عواطفه فإنّه لا یکون قد أعطاه شیئا فی الواقع،لأنّه إذا کان قد أعطاه رأسـمال،فإنّه قد أخذ منه رأسمال أیضا،بل لعلّ المنّه التی یمنّ بها علیه و نظره التحقیر التی ینظر بها إلیه ذات أضرار باهضه یفوق ثمنها ما أنفقه من مال إذا لم ینل أمثال هؤلاء الأشخاص أیّ ثواب علی إنفاقهم هذا فهو أمر طبیعی و عادل.و قـد یصـحّ القول إنّ هؤلاء فی کثیر من الأحوال هم المـدینون لا الـدائنون لأنّ کرامه الإنسان أغلی بکثیر من أیّ مال و ثروه.

و لاحـظ فی الآـیه إنّ کلمـتی المنّ و الأـذی مسبوقتان ب(ثمّ)الـتی تفیـد الـتراخی،أی وجـود فـتره زمنیه بین فعلین.فیکون معنی الآیه:إنّ الذین ینفقون، و بعد ذلک لا یمنّون علی أحد و لا یؤذون أحدا یکون ثوابهم محفوظا عند اللّه.

و یعنی هـذا ضـروره الابتعـاد عن المنّ و الأـذی لاـ فی حـاله الإنفـاق فحسب،بـل علیه أن لاـ یمنّ علیه فی أوقات تالیه عن طریق تذکیر المنفق علیه بالإنفاق،و هذا دلیل علی الدقّه المتناهیه التی یبتغیها الإسلام من الخدمات الإسلامیه الخالصه.

لاـ بـدّ من القول إنّ المنّ و الأـذی اللـذین یحبطان قبول الإنفاق لا یختصّان بالإنفاق علی الفقراء فقط،بل تجنّبهما لازم فی جمیع الأعمال العامّه و الاجتماعیه

ص:۲۹۶

كالجهاد فى سبيل اللّه و الأعمال ذات المنفعه العامّه التى تتطلّب بذل المال.

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

.

تطمئن هذه الآيه المنفقين أنّ أجرهم محفوظ عند اللّه لكى يواصلوا هذا الطريق بثقه و يقين.فما كان عند اللّه باق و لا ينقص منه شيء،بل أنّ عباره(ربّهم) قد تشير إلى أن اللّه تعالى سيزيد فى أجرهم و ثوابهم.

وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ

.

سبق أن قلنا إنّ الخوف يكون من المستقبل،و الحزن على ما مضى.و عليه فإنّ المنفقين بعلمهم أنّ جزاءهم محفوظ عند اللّه لن ينتابهم الخوف من يوم البعث الآتى،و لا هم يحسّون بالحزن على ما أنفقوه فى سبيل اللّه.

و ذهب البعض إلى أنّه لا خوف من الفقر و الحقد و البخل و الغبن و أمثال ذلك و لا حزن على ما أنفقوا فى سبيل اللّه.

و فى الحديث الشريف عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من أسدى إلى مؤمن معروفا ثمّ آذاه بالكلام أو منّ عليه فقد أبطل صدقته»

(۱)

فالشخص الذى ينفق فى سبيل اللّه و لم يرتكب مثل هذه الأعمال بعد ذلك لا يخشى بطلان إنفاقه،و المفاهيم الإسلاميه تؤكّد دقّه الشريعه المقدّسه فى هذا المجال بحيث أنّ بعض العلماء الأقدمون قالوا:(إنّك إذا تصدّقت على شخص و تعلم أنّك إذا سلّمت عليه سيصعب عليه ذلك فيتذكر صدقتك عليه فلا تسلّم عليه) (۲) .

۱- ۱) -تفسير البرهان:ج ۱ ص ۲۵۳ ح ۱.

۲- ۲) -تفسير أبو الفتوح الرازى:ج ۲ ص ۳۶۴.

الآيه [سوره البقره (۲): آيه ۲۶۳]

اشاره

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَهٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَهٍ يَتْبَعُهٰا أَذىً وَ اَللّٰهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (۲۶۳)

التّفسير

اشاره

الكلمه الطيبه أفضل من الصدقه مع المنّه:

هـذه الآـيه تكمّـل ما بحثته الآيه السابقه فى مجال ترک المنّه و الأذى عنـد الإنفاق و التصـدّق فتقول:إنّ الكلمه الطيّبه للسائلين و المحتاجين و الصفح عن أذاهم أفضل من الصدقه التى يتبعها الأذى قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَهٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَهٍ يَتْبَعُهٰا أَذىً .

و يجب أن يكون معلومـا أنّ مـا تنفقوه فى سبيـل اللّه فهو فى الواقع ذخيره لكم لإنقـاذكم و نجـاتكم لأـنّ اللّه تعـالى غير محتاج إليكم و إلى أموالكم و حليم فى مقابل جهالاتكم وَ اللّٰهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ .

بحوث

۱-تبيّن هذه الآيه منطق الإسلام فى قيمه الأشخاص الاجتماعيّه و كرامتهم،

و ترى أن أعمال الـذين يسـعون فى حفظ رؤوس الأموال الإنسانيه،و يعاملون المحتاجين باللطف و يقدّمون لهم التوجيه اللازم،و لا يفشون أسرارهم،أفضل و أرفع من إنفاق أولئك الأنانيّين ذوى النظره الضيّقه الذين إذا قدّموا عونا صغيرا يتبعونه تجريح الناس المحـترمين و تحطيم شخصـيّاتهم.فى الحقيقه إنّ أمثـال هؤلاـء الأشـخاص ضـررهم أكـثر من نفعهم،فهم إذا أعطـوا ثروه عرضوا ثروات للإباده و الضياع.

يتّضح ممّا قلناه إنّ لتعبير قَوْلٌ مَعْرُوفٌ مفهوما واسعا يشمل كلّ أنواع القول الطيّب و التسليه و التعزيه و الإرشاد.

و ذهب بعضهم إلى أن المراد هو الأمر بالمعروف (۱) و لكن هذا المعنى لا يتناسب مع الآيه ظاهرا.

«المغفره»بمعنى العفو بـإزاء خشونه المحتـاجين،أولئـک الـذين طفـح كيل صبرهم بسـبب تراكم الابتلاءات عليهم،فتزلّ ألسـنتهم أحيانـا بـالخشن من القـول ممّـا لاـ يـودونه قلبيا.هؤلاـء بعنفهم هـذا إنّمـا يريـدون أن ينتقمـوا من المجتمـع الـذى ظلمهم و غمط حقوقهم،فأقـلّ ما يمكن للاشـخاص الأثرياء فى مقابل حرمان هؤلاء المحرومين هو أن يتحمّلوا منهم انـدفاعاتهم اللفظيه التى هى شرر النار التى تستعر فى قلوبهم فتنطلق على ألسنتهم.

لاـ شکّ أنّ تحمّل عنفهم و خشونتهم و العفو عنها يخفّف عنهم ضـغط عقـدهم النفسـيه،و بهـذا تتّضـح أكثر أهميّه هـذه الأوامر الإلهيّه.

يرى بعض أنّ«المغفره»يقصد بها هنا المعنى الأصلى،و هو الستر و الإخفاء.

أى ستر أسـرار المحتـاجين الـذين لهم كرامتهم مثـل غيرهم.غير أنّ هـذا التفسـير لاـ يتعـارض مع مـا قلناه،لأنّنا إذا فسّـرنا المغفره بمعناها الأوسع فهى تشمل العفو كما تشمل الستر و الإخفاء أيضا.

جاء فى تفسير«مجمع البيان»عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «إذا سأل السائل

۱- ۱) -ذكره فى تفسير«البحر المحيط»:ج ۲ ص ۳۰۷ بعنوان:قيل.

فلاـ تقطعوا عليه مسألته حتّى يفرغ منها،ثمّ ردّوا عليه بوقار ولين إمّا ببـذل يسـير أو ردّ جميل،فإنّه قـد يأتيكم من ليس بإنس و لا جان ينظرونكم كيف صنيعكم فيما خوّلكم اللّه تعالى»

(۱)

.

فى هذا الحديث يبيّن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم جانبا من آداب الإنفاق.

۲-إن العبارات القصيره التى تأتى فى ختام الآيات عاده و تورد بعض صـفات اللّه تعالى ترتبط حتما بمضمون الآيه نفسها.و على هـذا فمن الممكن أن يكون المقصود من وَ اللّٰهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ هو:أنّ الإنسان ظالم بالطبع،و لـذلك فإنّه إذا نال منصـبا و حصل ثروه حسب نفسه غنيـا و لم يعـد بحـاجه إلى الآخرين،و قـد تحـدو به هـذه الحاله إلى اسـتعمال الخشونه و التهجّم ضـدّ المحرومين و المحتاجين.لـذلك يقول القرآن إنّ الغنىّ بـذاته هو اللّه،فـاللّه هو وحـده الغنىّ الـذى لاـ يحتاج شـيئا،أمّا إحساس البشـر بأنّه غنىّ فسـراب خادع لا ينبغى أن يؤدى إلى الطغيان و التعالى على الفقراء.ثمّ إنّ اللّه حليم بالنسـبه للذين لا يشكرون،فعلى المؤمنين أن يكونوا كذلك أيضا.

و قـد تكون الآـيه إشـاره إلى أنّ اللّه غنىّ عن إنفـاقكم.و أنّ مـا تنفقونه إنّما هو لخيركم أنفسـكم،فلا تمنّوا على أحـد.ثمّ إنّ اللّه حليم باتجاه خشونتكم و لا يتعجّل معاقبتكم لعلّكم تستيقظون و تصلحون أنفسكم.

۱- ۱) -مجمع البيان:ج ۱ ص ۳۷۵،نور الثقلين:ج ۱ ص ۲۸۳.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۲۶۴ الی ۲۶۵]

اشاره

ا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقاٰتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ اَلْأَذىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مٰالَهُ رِئٰاءَ اَلنّٰاسِ وَ لاٰ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوٰانٍ عَلَيْهِ تُرٰابٌ فَأَصٰابَهُ وٰابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاٰ يَقْدِرُونَ عَلىٰ شَيْءٍ مِمّٰا كَسَبُوا وَ اَللّٰهُ لاٰ يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلْكٰافِرِينَ (۲۶۴) وَ مَثَلُ اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمُ اِبْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اَللّٰهِ وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصٰابَهٰا وٰابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهٰا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهٰا وٰابِلٌ فَطَلٌّ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۲۶۵)

التّفسیر

اشاره

دوافع الإنفاق و نتائجه:

فی هاتین الآیتین نهی للمؤمنین عن المنّ و الأذی عند إنفاقهم فی سبیل اللّه، لأنّ ذلک یحبط أعمالهم.ثمّ یضرب القرآن مثلا للإنفاق المقترن بالمنّ و الأذی، و مثلا آخر للإنفاق المنطلق من الإخلاص و العواطف الإنسانیه.

ص :۳۰۱

يقول تعالى فى المثال الأوّل: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوٰانٍ عَلَيْهِ تُرٰابٌ... .

تصوّر قطعه حجر صلد تغطّيه طبقه خفيفه من التراب،و قد وضعت فى هذا التراب بذور سليمه، ثمّ عرّض الجميع للهواء الطلق و أشعه الشمس،فإذا سقط المطر المبارك على هذا التراب لا يفعل شيئا سوى اكتساح التراب و البذور و بعثرتها،ليظهر سطح الحجر بخشونته و صلابته التى لا تنفذ فيها الجذور،و هذا ليس لأنّ أشعه الشمس و الهواء الطلق و المطر كان لها تأثير سيء،بل لأنّ البذر لم يزرع فى المكان المناسب،ظاهر حسن و باطن خشن لا يسمح بالنفوذ إليه.قشره خارجيه من التربه لا تعين على نموّ النبات الذى يتطلّب الوصول إلى الأعماق لتتغذّى الجذور.

و يشبّه القرآن الإنفاق الذى يصاحبه الرياء و المنّه و الأذى بتلك الطبقه الخفيفه من التربه التى تغطّى الصخره الصلده و التى لا نفع فيها،بل أنّها بمظهرها تخدع الزارع و تذهب بأتعابه أدراج الرياح.هذا هو المثل الذى ضربه القرآن فى الآيه الاولى للإنفاق المرائى الذى يتبعه المنّ و الأذى (١) .

و فى نهايه الآيه يقول تعالى: وَ اللّٰهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكٰافِرِينَ و هو إشاره إلى أنّ اللّه تعالى سوف يسلبهم التوفيق و الهدايه،لأنّهم أقدموا على الرياء و المنّه و الأذى باقدامهم،و اختاروا طريق الكفر باختيارهم،و مثل هذا الشخص لا يليق بالهدايه،و بذلك وضع القرآن الكريم الإنفاق مع الرياء و المنّه و الأذى فى عرض واحد.

١- ١) -صفوان:جمع مفرده صفوانه،و تعنى الصخره الصافيه.و الوبل:هو المطر الشديد الكبير و الصلد: بمعنى الحجر الأملس.و ضعفين:تثنيه الضعف و لكنه لا يعنى أربع مرّات بل مرّتين مثل زوجين التى تعنى طرفين،تأمّل بدقّه.

مثال رائع آخر

فى الآـيه التـاليه نقرأ مثالاـ جميلاـ آخر يقع فى النقطه المقـابله لهـذه الطائفه من المنفقين،و هؤلاء هم الـذين ينفقون أموالهم فى سبيل اللّه بدافع من الإيمان و الإخلاص فتقول الآيه: وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ .

تصوّر هذه الآيه مزرعه خضـراء يانعه تقع على أرض مرتفعه خصـبه تسـتقبل لنسـيم الطلق و أشـعه الشمس الوافره و المطر الكثير النـافع،و إذا لم يهطـل المطر ينزل الطلّ و هو المطر الخفيف و ذرّات الهباب ليحافظ على طراوه المزرعه و لطافتها، فتكون النتيجه أنّ مزرعه كهـذه تعطى ضـعف مـا تعطى المزارع الاـخرى،فهـذه الأـرض فضـلا عن كونهـا خصـبه بحيث يكفيهـا الطـلّ و المطر الخفيف ناهيك عن المطر الغزير لأيناع حاصلها،و فضلا عن كونها تستفيد كثيرا من الهواء الطلق و أشعّه الشمس و تلفت الأنظار لجمالها،فإنّها لوقوعها على مرتفع تكون فى مأمن من السيول.

فالآـيه الشـريفه تريـد أن تقول:إنّ الـذين ينفقون أموالهم فى سبيـل اللّه لتمكّن الإيمـان و اليقين فى قلوبهم و أرواحهم هم أشـبه بتلك المزرعه ذات الحاصل الوافر المفيد و الثمين.

و فى ختـام الآـيه تقول: وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فهو سـبحانه يعلم مـا إذا كـان الـدافع على هـذا الإنفـاق إلهيّا مقترنـا بـالمحبّه و الاحترام،أو للرياء المشفوع بالمنّه و الأذى.

بحوث

۱-إنّ عباره لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى تفيد بأنّ بعض الأعمال

یمکن أن تبدّد نتائج بعض الأعمال الحسنه،و هذا هو الإحباط الذی مرّ شرحه فی ذیل الآیه ۲۱۷ من هذه السوره.

۲-إنّ تشبیه العمل مع الریاء بالصخره التی خطّتها قشره ناعمه من التراب تشبیه دقیق جدّا لأنّ المرائی له باطن خشن و مجدب فیحاول تغطیته بمظهر حسن و جمیل،و هو حبّ الخیر و الإحسان للنّاس،فأعماله غیر متجذّره فی وجوده و روحه و لیس لها أساس عاطفیّ ثابت فما أسرع ما ینقشع هذا الحجاب بسبب الأحداث و الوقائع فی الحیاه فیظهر باطنهم بذلک.

۳-جمله اِبْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ وَ تَثْبِیتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ تبیّن دوافع الإنفاق الإلهی السلیم،و هما دافعان:ابتغاء مرضاه اللّه،و تقویه روح الإیمان و الاطمئنان فی القلب.

هذه الآیه تقول إنّ المنفقین الحقیقیّین هم الذین یکون دافعهم رضا اللّه و تربیه الفضائل الإنسانیه و تثبیتها فی قلوبهم،و إزاله الاضطراب و القلق اللذین یحصلان فی نفس المرء بإزاء مسئولیته نحو المحرومین.و علیه فإنّ«من»فی الآیه تعنی «فی»أی فی نفوسهم.

۴-و جمله وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ المذکوره فی آخر الآیه الثانیه تحذیر إلی جمیع الذین یریدون القیام بعمل صالح کی یأخذوا حذرهم لئلّا یخالط عملهم و نیّتهم و أسلوب عملهم أی تلوّث،لأنّ اللّه یراقب أعمالهم.

ص :۳۰۴

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۶۶]

اشاره

أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ اَلثَّمَراتِ وَ أَصابَهُ اَلْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اَللّٰهُ لَكُمُ اَلْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (۲۶۶)

التّفسیر

اشاره

مثال آخر للإنفاق الملوث بالریاء و المنّه:

هنا یضرب القرآن مثلا آخر یبیّن حاجه الإنسان الشدیده إلی الأعمال الصالحات یوم القیامه،و کیف أنّ الریاء و المنّ و الأذی تؤثّر علی الأعمال الصالحات فتزیل برکتها.

یتجسّد هذا التمثیل فی صاحب مزرعه مخضره ذات أشجار متنوّعه کالنخیل و الأعناب،و تجری فیها المیاه بحیث لا تتطلّب السقی،لکن السنون نالت من صاحبها و تحلّق حوله أبناؤه الضعفاء،و لیس ثمّه ما یقیم أودهم سوی هذه المزرعه،فإذا جفّت فلن یقدر هو و لا أبناؤه علی إحیائها،و فجأه تهبّ عاصفه

ص: ۳۰۵

محرقه فتحرقها و تبیدها.فی هذه الحاله تری کیف یکون حال هذا العجوز الهرم الذی لا یقوی علی الارتزاق و تأمین معیشته و معیشه أبنائه الضعفاء؟و ما أعظم أحزانه و حسراته!.

أَ یَوَدُّ أَحَدُکُمْ أَنْ تَکُونَ لَهُ جَنَّهٌ مِنْ نَخِیلٍ وَ أَعْنٰابٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ لَهُ فِیهٰا مِنْ کُلِّ الثَّمَرٰاتِ وَ أَصٰابَهُ الْکِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّیَّهٌ ضُعَفٰاءُ فَأَصٰابَهٰا إِعْصٰارٌ فِیهِ نٰارٌ فَاحْتَرَقَتْ...).

إنّ حال أولئک الذین یعملون عملا صالحا ثمّ یحبطونه بالریاء و المنّ و الأذی أشبه بحال من تعب و عانی کثیرا حتّی إذا حان وقت اقتطاف النتیجه ذهب کلّ شیء و لم یبق سوی الحسرات و الآهات.و تضیف الآیه:

کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اللّٰهُ لَکُمُ الْآیٰاتِ لَعَلَّکُمْ تَتفَکَّرُونَ

.

لمّا کان منشأ کلّ تعاسه و شقاء-و علی الأخصّ کلّ عمل أحمق کالمنّ علی الناس-هو عدم أعمال العقل و التفکیر فی الأمور،فإنّ اللّه فی ختام الآیه یحثّ الناس علی التعمّق فی التفکیر فی آیاته کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اللّٰهُ لَکُمُ الْآیٰاتِ لَعَلَّکُمْ تَتَفَکَّرُونَ .

بحوث

١-هذه الأمثله بالتوالی کلّ واحده منها تدلّ علی الأمور الزراعیه اللطیفه، لأن هذه الآیات لم تنزل علی أهل المدینه الذین کانوا زرّاعا فحسب، بل أنها نزلت علی جمیع الناس،علی أیه حال کانت الزراعه تشکل جانبا من حیاتهم.

٢-یستفاد من وَ أَصٰابَهُ الْکِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّیَّهٌ ضُعَفٰاءُ إنّ الإنفاق فی سبیل اللّه

و مدّ يد العون للمحتاجين أشبه بالبستان اليانع الذى ينتفع بثمره صاحبه و أبناؤه أيضا.و لكن الرياء و المنّ و الأذى لا تحرم صاحبه وحده من ثمرات عمله،بل أنّ ذلك يحرم حتّى أبناءه و الأجيال التاليه من بركات تلك الأعمال الصالحات.و هذا دليل على أنّ الأجيال القادمه تشارك الأجيال السابقه فى الانتفاع بثمرات العلم الطيّب.

و هو كذلك أيضا على الصعيد الاجتماعى،إذ أنّ المحبوبيّه و الثقه التى ينالها الآباء نتيجه لأعمالهم الصالحه بين الناس،و تكون خير رأسمال لأبنائهم من بعدهم.

۳-عباره إِعْصٰارٌ فِيهِ نٰارٌ قد تكون إشاره إلى رياح السموم التى تحرق الزرع و تجفّف المياه،أو الرياح التى تكتسب الحراه من المرور على الحرائق فتكتسح معها النيران المحرقه و تحملها إلى مناطق اخرى،أو قد تكون إشاره إلى العواصف التى تصاحبها الصواعق فتصيب الأرض و تحيلها إلى رماد،إنّها على كلّ حال إشاره إلى إباده سريعه (۱) .

۱- ۱) -«الإعصار»ريح تثير الغبار،و هى تهبّ من اتجاهين مختلفين،بحيث إنّها تتجه من الأرض عموديا إلى السماء.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۶۷]

اشاره

يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا كَسَبْتُمْ وَ مِمّٰا أَخْرَجْنٰا لَكُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ تَيَمَّمُوا اَلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاّٰ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (۲۶۷)

سبب النّزول

عن الصادق علیه السّلام أنّها نزلت فی أقوام لهم ربا فی الجاهلیه،و کانوا یتصدّقون منه،فنهاهم اللّه عن ذلک و أمر بالصدقه من الطیّب الحلال.

عن علی علیه السّلام أنها نزلت فی قوم کانوا یأتون بالحشف(و هو أردأ التمر) فیدخلونه فی الصدقه (۱) .

و لیس بین الروایتین أی تعارض،و لعلّ الآیه نزلت فی کلتا الفئتین،فالشأن الأوّل یخص الطهاره المعنویه،و یخص الثانی طیب الظاهر المادّی.

و لکن ینبغی الإشاره إلی أنّ المرابین فی الجاهلیه امتنعوا عن تعاطی الربا بعد

ص:۳۰۸

۱- ۱) -تفسیر مجمع البیان للطبرسی.

نزول الآیه ۲۷۵ من سوره البقره و لم تحرم علیهم أموالهم السابقه،أی أنّ الآیه لم یکن لها أثر رجعی،و لکن من الواضح أنّ هذا المال و إن یکن حلالا،فهو یختلف عن الأموال الأخری،فکان فی الحقیقه أشبه بتحصیل أموال عن طرق مکروهه.

التّفسیر

اشاره

الأموال التی یمکن إنفاقها:

شرحت الآیات السابقه ثمار الإنفاق و صفات المنفقین و الأعمال التی قد تبطل أعمال الإنفاق الإنسانیه فی سبیل اللّه.و هذه الآیه تبیّن نوعیّه الأموال التی یمکن أن تنفق فی سبیل اللّه.

فی بدایه الآیه یأمر اللّه المؤمنین أن ینفقوا من(طیبات)أموالهم.و«الطیب» فی اللغه هو الطاهر النقی من الناحیه المعنویه و المادّیه،أی الأموال الجیده النافعه و التی لا شبهه فیها من حیث حلّیتها.و یؤیّد عمومیه الآیه الروایتان المذکورتان فی سبب النزول.

کما أنّ جمله لَسْتُمْ بِآخِذِیهِ إِلاّ أَنْ تُغْمِضُوا فِیهِ أی أنکم أنفسکم لا تأخذون غیر الطیّب من المال إلاّ إذا أغمضتم أعینکم کارهین،دلیل علی أنّ المقصود لیس الطهاره الظاهریّه فقط،لأنّ المؤمنین لا یقبلون مالا تافها ملوّثا فی ظاهره،کما لا یقبلون مالا مشبوها مکروها إلاّ بالإکراه و التغاضی.

وَ مِمّا أَخْرَجْنا لَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ

.

کانت عباره ما کَسَبْتُمْ إشاره إلی الدخل التجاری،و هذه العباره إشاره إلی الدخل الزراعی و عائدات المناجم،فهو یشمل کلّ أنواع الدخل،لأنّ أصل دخل الإنسان ینبع من الأرض و مصادرها المتنوّعه،بما فیها الصناعه و التجاره و تربیه المواشی و غیر ذلک.

تقول هذه الآیه:إننا وضعنا مصادر الثروه هذه تحت تصرّفکم، لذلک ینبغی

أن لا تمتنعوا عن إنفاق خير ما عندكم فی سبیل اللّه.

وَ لاٰ تَیَمَّمُوا الْخَبِیثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِیهِ إِلاّٰ أَنْ تُغْمِضُوا فِیهِ

(۱)

.

اعتاد معظم الناس أن ینفقوا من فضول أموالهم التی لا قیمه لها أو الساقطه التی لم تعد تنفعهم فی شیء.إنّ هذا النوع من الإنفاق لا هو یربّی روح المنفق، و لا هو یرتق فتقا لمحتاج،بل لعلّه إهانه له و تحقیر.فجاءت هذه الآیه تنهی بصراحه عن هذا و تقول للناس:کیف تنفقون مثل هذا المال الذی لا تقبلونه أنتم إذا عرض علیکم إلاّ إذا اضطررتم إلی قبوله؟أ ترون إخوانکم المسلمین،بل أ ترون اللّه الذی فی سبیله تنفقون أقلّ شأنا منکم؟ الآیه تشیر فی الواقع إلی فکره عمیقه و هی أنّ للإنفاق فی سبیل اللّه طرفین، فالمحتاجون فی طرف،و اللّه فی طرف آخر.فإذا اختیر المال المنفق من زهید الأشیاء ففی ذلک إهانه لمقام اللّه العزیز الذی لم یجده المنفق جدیرا بطیّبات ما عنده کما هو إهانه للذین یحتاجونه،و هم ربما یکونون من ذوی الدرجات الإیمانیه السامیه،و عندئذ یسبّب لهم هذا المال الردیء الألم و العذاب النفسی.

التعبیر بکلمه(الطیّبات)یشمل الطیّب الظاهری الذی یستحقّ الإنفاق و المصرف،و کذلک الطیّب المعنوی،أی الطاهر من الأموال المشتبه و الحرام لأنّ المؤمنین لا یرغبون فی تناول مثل هذه الأموال.

و جمله إِلاّٰ أَنْ تُغْمِضُوا فِیهِ تشمل الجمیع،فما ذهب إلیه بعض المفسّرین من حصرها بأحد هذین المعنیین بعید عن الصواب،و نظیر هذه الآیه ما جاء فی سوره آل عمران الآیه ۹۲ حیث یقول: لَنْ تَنٰالُوا الْبِرَّ حَتّٰی تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ و طبعا هذه الآیه ناظره أکثر إلی الآثار المعنویّه للإنفاق.

۱- ۱) -«یتمم»فی الأصل بمعنی القصد أی شیء و جاءت هنا بهذا المعنی و أطلقت هذه الکلمه علی التیمم لأن الإنسان یقصد الاستفاده من التراب الطاهر کما یقول القرآن: فَتَیَمَّمُوا صَعِیداً طَیِّباً (النساء:۴۳).

و فى ختـام الآـيه يقول: وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيـدٌ أى لا تنسوا أنّ اللّه لا حاجه به لإنفاقكم فهو غنىّ من كلّ جهه،بل أنّ جميع المواهب و النعم تحت أمره و فى دائره قدرته،و لذلك فهو حميد و مستحق للثناء و الحمد،لأنّه وضع كلّ هذه النعم بين أيديكم.

و احتمل البعض أنّ كلمه(حميد)تأتى هنا بمعنى اسم الفاعل(حامد)لا بمعنى محمود،أى أنّه على الرغم من غناه عن إنفاقكم فإنّه يحمدكم على ما تنفقون.

ملاحظه

لا ـ شـكّ أنّ الإنفـاق فى سبيـل اللّه هو من أجل نيل القرب من ساحته المقـدّسه، و عنـد ما يريـد الناس التقرّب إلى السـلاطين و أصـحاب النفوذ فإنّهم يقدّمون إليهم هدايا من أفضل أموالهم و أحسن ثرواتهم،فى حين أنّ هؤلاء السـلاطين أناس مثلهم فكيف يتقرّب الإنسان إلى ربّه و خالقه و ربّ السـموات و الأرض لتقديم بعض أمواله الدنيئه كهديّه؟!فما نرى فى الأحكام الشـرعيّه من وجوب كون الزكاه و حتّى الهـدى فى الحـجّ من المرغوب و الجيّد يدخل فى دائره هذا الإعتبار.و على كلّ حال يجب الالتزام و نشر هذه الثقافه القرآنيه بين صفوف المسلمين فى إنفاقهم الجيّد من الأموال.

ص:٣١١

الآيه [سوره البقره (۲): آیه ۲۶۸]

اشاره

اَلشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ اَلْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اَللّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً وَ اَللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (۲۶۸)

التّفسير

اشاره

مكافحه موانع الإنفاق:

تشير الآيه هنا و تعقيبا على آيات الإنفاق إلى أحد الموانع المهمّه للإنفاق، و هو الوساوس الشيطانيّه التى تخوّف الإنسان من الفقر و العوز و خاصّه إذا أراد التصدّق بالأموال الطيّبه و المرغوبه،و ما اكثر ما منعت الوساوس الشيطانيّه من الإنفاق المستحبّ فى سبيل اللّه و حتّى من الإنفاق الواجب كالزكاه و الخمس أيضا.

فتقول الآيه فى هذا الصدد اَلشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ و يقول لكم:لا تنسوا مستقبل أطفالكم و تدبّروا فى غدكم،و أمثال هذه الوساوس المظلّه،و مضافا إلى ذلك يدعوكم إلى الإثم و ارتكاب المعصيه وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ .

(الفحشاء)تعنى كلّ عمل قبيح و شنيع،و يكون المراد به فى سياق معنى الآيه البخل و ترك الإنفاق فى كثير من الموارد حيث يكون نوع من المعصيه و الإثم

ص: ۳۱۲

(رغم أنّ مفرده الفحشاء تعنى عاده الأعمال المنافيه للعفّه و لكنّنا نعلم أنّ هذا المعنى لا يناسب السياق).

حتّى أنّ بعض المفسّرين صرّح بأنّ العرب يسمّون الشخص البخيل (فاحش) (۱) .

و يحتمل أيضا أنّ الفحشاء هنا بمعنى إختيار الأموال الرديئه و غير القابله للمصرف و التصدّق بها،و قيل أيضا:أنّ المراد بها كلّ معصيه،لأنّ الشيطان يحمل الإنسان من خلال تخويفه من الفقر على اكتساب الأموال من الطرق غير المشروعه.

و التعبير عن وسوسه الشيطان بالأمر وَ يَأْمُرُكُمْ إشاره لنفس الوسوسه أيضا،و أساسا فكلّ فكره سلبيّه و ضيّقه و مانعه للخير فإنّ مصدرها هو التسليم مقابل وساوس الشيطان،و فى المقابل فإنّ كلّ فكره إيجابيّه و بنّاءه و ذات بعد عقلى فإنّ مصدرها هو الإلهامات الإلهيّه و الفطره السليمه.

و لتوضيح هذا المعنى ينبغى أن نقول:إنّ النظره الاولى إلى الإنفاق و بذل المال توحى أنّه يؤدى إلى نقص المال،و هذه هى النظره الشيطانيه الضيّقه،و لكنّنا بتدقيق النظر ندرك أن الإنفاق هو ضمان بقاء المجتمع،و تحكيم العدل الاجتماعى،و تقليل الفواصل الطبقيه،و التقدّم العام.

و بديهيّ أنّ تقدّم المجتمع يعنى أنّ الأفراد الذين يعيشون فيه يكونون فى رخاء و رفاه،و هذه هى النظره الواقعيه الإلهيّه.

يريد القرآن بهذا أن يعلم الناس أنّ الإنفاق و إن بدأ فى الظاهر أنّه أخذ،و لكنّه فى الواقع عطاء لرؤوس أموالهم مادّيا و معنويا.

فى عالمنا اليوم حيث نشاهد نتائج الاختلافات الطبقيه و المآسى الناتجه عن

۱- ۱) -تفسير روح البيان:ج ۱ ص ۴۳۱ ذيل الآيه المبحوثه.

الظلم و احتكار الثروه، نستطيع أن نفهم معنى هذه الآيه بوضوح.

كما أنّ الآيه تفيد أيضا أنّ هناك نوعا من الارتباط بين ترك الإنفاق و الفحشاء.فإذا كانت الفحشاء تعنى البخل،فتكون علاقتها بترك الإنفاق هو أنّ هذا الترك يكرّس صفه البخل الذميمه فى الإنسان شيئا فشيئا.و إذا كانت تعنى الإثم مطلقا أو الفحشاء فى الأمور الجنسيه فإن علامه ذلك بترك الإنفاق لا تخفى، إذ أنّ منشأ كثير من المعاصى و الانحرافات الجنسيه هو الفقر و الحاجه.يضاف إلى ذلك أن للإنفاق آثارا و نتائج معنويه مباركه لا يمكن إنكارها.

وَ اللّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً

.

جاء فى تفسير«مجمع البيان»عن الإمام الصادق عليه السّلام: أنّ فى الإنفاق شيئين من اللّه و شيئين من الشيطان،فاللذان من اللّه هما غفران الذنوب و السعه فى المال، و اللذان من الشيطان هما الفقر و الأمر بالفحشاء».

و عليه فإنّ المقصود بالمغفره هو غفران الذنوب،و المقصود بالفضل هو ازدياد رؤوس الأموال بالإنفاق،كما رواه ابن عبّاس.

و

قد جاء عن الإمام على أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «إذا أملقتم فتاجروا اللّه بالصدقه» (۱) .

وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ

.

فى هذا إشاره إلى أنّ للّه قدره واسعه و علما غير محدود،فهو قادر على أن يفى بما يعد،و لا شكّ أنّ المرء يطمئّن إلى هذا الوعد،لا كالوعد الذى يعده الشيطان المخادع الضعيف الذى يجرّ المرء إلى العصيان،فالشيطان ضعيف و جاهل بالمستقبل،و لذلك ليس وعده سوى الضلال و التحريض على الإثم.

۱- ۱) -نهج البلاغه:الكلمات القصار:رقم ۲۵۸.

الآيه [سوره البقره (۲): آیه ۲۶۹]

اشاره

يُؤْتِی اَلْحِكْمَهَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَيْراً كَثِيراً وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ (۲۶۹)

التّفسير

اشاره

أفضل النعم الإلهيّه:

مع الالتفات إلى ما تقدّم فی الآيه السابقه التی تحدّثت عن تخويف الشيطان من الفقر و وعد الرحمن بالمغفره و الفضل الإلهی،ففی هذه الآيه مورد البحث دار الحديث عن الحكمه و المعرفه و العلم لأنّ الحكمه فقط هی التی يمكنّها التفريق و التمييز بين هذين الدافعين الرحمانی و الشيطانی و تدعوا الإنسان إلى ساحل المغفره و الرحمه الإلهيّه و ترك الوساوس الشيطانيّه و عدم الاعتناء بالتخويف من الفقر.

و بعباره اخرى،أنّنا نلاحظ فی بعض الأشخاص نوع من العلم و المعرفه بسبب الطهاره القلبيّه و رياضه النفس حيث تترتّب عليها آثار و فوائد جمّه،منها أن يدرك الشخص فوائد الإنفاق و دوره المهم و الحيوی فی المجتمع و يميّز بينه و بين ما تدعوه إليه وساوس الشيطان فتقول الآيه:

ص: ۳۱۵

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشٰاءُ

.

و قد ذكر لكلمه(الحكمه)معان كثيره منها(المعرفه و العلم بأسرار العالم) و منها(العلم بحقائق القرآن)و(الوصول إلى الحقّ بالقول و العمل)و(معرفه اللّه تعالى)و(أنّها النور الإلهى الذى يميّز بين وساوس الشيطان و إلهامات الرحمان).

و الظاهر هو أنّ الحكمه تأتى بالمعنى الواسع حيث تشمل جميع هذه الأمور بما فيها النبوّه التى هى نوع من العلم و الاطّلاع و الإدراك،فهى فى الأصل أخذت من ماده(حكم)-على وزن حرف-بمعنى المنع،و بما أنّ العلم و المعرفه و التدبير تمنع الإنسان من ارتباك الأعمال الممنوعه و المحرّمه،فلذا يقال عنها أنّها حكمه.

بديهىّ أنّ القصد من مَنْ يَشٰاءُ ليس إسباغ الحكمه على كلّ من هبّ و دبّ بغير حساب،بل أنّ مشيئه اللّه هى دائما منبعثه عن حكمه،أى أنّه يمنحها لمن يستحقّها،و يرويه من سلسبيل هذه العين الزلال.

وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً

.

رغم أنّ واهب الحكمه هو اللّه فإنّ اسمه لم يرد فى هذه الآيه و إنما بنى الفعل للمجهول وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ .

و لعلّ المقصود هو أنّ الحكمه أمر حسن بذاته بصرف النظر عن مصدرها و منشئها.

من الملاحظه أنّ الآيه تقول:إذا نزلت الحكمه بساحه أحد فقد نزلت بساحته البركه و الخير الكثير لا الخير المطلق،لأنّ السعاده و الخير المطلق ليسا فى العلم وحده،بل العلم أهمّ عامل لهما.

وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ

.

«التذكّر»هو حفظ العلوم و العارف فى داخل الروح. و الألباب جمع لب و هو قلب كلّ شىء و مركزه،و لهذا قيل العقل اللب.

تقول هـذه الفقره من الآيه إنّ أصـحاب العقول هم الـذين يحفظون هذه الحقائق و يتذكّرونها.رغم أنّ جميع الناس ذو عقل-عدا المجانين-فلا يوصفون جميعا بأولى الألباب،بل هؤلاء هم الذين يستخدمون عقولهم فيشقّون طريقهم على ضوء نورها الساطع.

و نختم هذا البحث بكلام لأحد علماء الإسـلام(و يحتمل أنّه مقتبس من كلام الرسول الأكرم صـلى اللّه عليه و آله و سلّم)حيث يقول:قـد يريـد اللّه تعـالى أحيانـا تعـذيب أمّه على الأـرض و لكنّه يرى معلّما يعلّم الأولاد الحكمه فيرفع عن تلك الأمّه العـذاب بسبب ذلك (1) .

1- 1) -تفسير القرطبى:ج 2 ص 1138.

الآيتان [سوره البقره (۲): الآيات ۲۷۰ الی ۲۷۱]

اشاره

وَ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَهٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اَللّٰهَ يَعْلَمُهُ وَ مٰا لِلظّٰالِمِينَ مِنْ أَنْصٰارٍ (۲۷۰) إِنْ تُبْدُوا اَلصَّدَقٰاتِ فَنِعِمّٰا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا اَلْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئٰاتِكُمْ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۲۷۱)

التّفسير

اشاره

كيفيّه الإنفاق:

تحدّثت الآيات السابقه عن الإنفاق و بذل المال فی سبيل اللّه،و أن ينفق الشخص ذلک المال من الطيّب دون الخبيث،و أن يكون مشفوعا بالمحبّه و الإخلاص و حسن الخلق،أمّا فی هاتين الآيتين أعلاه فيدور الحديث عن كيفيّه الإنفاق و علم اللّه تعالی بذلک.

فيقول اللّه تعالی فی الآيه الاولی: وَ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَهٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُهُ .

تقول الآيه:إنّ كلّ ما تنفقونه فی سبيل اللّه سواء كان قليلا أو كثيرا،جيّدا أم رديئا،من حلال اكتسب أم من حرام،مخلصا كان فی نيّته أم مرائيا،اتّبعه المن

و الأذى أم لم يتبعه، أ كان الإنفاق ممّا أوجب اللّه تعالى عليه أم ممّا أوجبه الإنسان على نفسه بنذر و شبهه،فإنّ اللّه تعالى يعلم تفاصيله و يثيب عليه أو يعاقب.

و فى ختام الآيه تقول: وَ مٰا لِلظّٰالِمِينَ مِنْ أَنْصٰارٍ (الظالمين)هنا إشاره إلى المحتكرين و البخلاء و المرائين و الّذين ينفقون بالمنّ و الأذى،فإنّ اللّه تعالى لا ينصرهم،و سوف لا ينفعهم ما أنفقوا لا فى الدنيا و لا فى الآخره.

أو أنّ المراد هم الأشخاص الّذين امتنعوا من الإنفاق إلى المحرومين و المعوزين،فإنّهم بذلك قد ظلموهم و ظلموا كذلك أنفسهم و مجتمعهم.

أو أنّهم الأشخاص الّذين لا ينفقون فى موارد الإنفاق،لأنّ مفهوم الظلم واسع يشمل كلّ عمل يأتى به الإنسان فى غير مورده،و بما أنّه لا منافاه بين هذه المعانى الثلاثه لذلك يمكن أن تدخل هذه المعانى فى مفهوم الآيه بأجمعها.

أجل فهؤلاء ليس لهم ناصر فى الدنيا و لا شفيع فى الآخره،و هذه النتيجه من الخصائص المترتّبه على الظلم و الجور بأىّ صوره كان.

و يستفاد من هذه الآيه ضمنا مشروعيّه النذر و وجوب العمل بمؤدّاه،و هو من الأمور التى كانت موجوده قبل الإسلام و قد أمضاها الإسلام و أيدّها.

فى الآيه الثانيه إشاره إلى كيفيّه الإنفاق من حيث السرّ و العلن فتقول: إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقٰاتِ فَنِعِمّٰا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ .

و سوف يعفو اللّه عنكم بذلك وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئٰاتِكُمْ وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

بحوث

١-لا شكّ أنّ لكلّ من الإنفاق العلنى و الإنفاق الخفىّ فى سبيل اللّه آثارا نافعه،فإذا كان الإنفاق واجبا فالإعلان عنه يشجع الآخرين على القيام بمثله،كما

يرفع عن المنفق تهمه إهماله لواجبه.

أمّـا إذا كـان الإنفـاق مسـتحبّا،فـإنّه يكـون فى الواقـع أشـبه بالـدعايه و الإعلاـن العملى لحـثّ النـاس على فعـل الخير،و مساعـده المحتاجين،و القيام بالأعمال الخيريه الاجتماعيه العامّه.

أمّا الإنفاق الخفىّ البعيـد عن الأنظار فلا شكّ أنّه أبعد عن الرياء و حبّ الظهور و خلوص النيّه فيه أكثر،خاصّه و أن مدّ يد العون إلى المحتاجين فى الخفاء يحفظ لهم ماء وجههم و كرامتهم،و لذلك تثنى الآيه على كلا الأسلوبين.

و ذهب بعض المفسـرين إلى أنّ الإخفـاء يقتصـر على الإنفـاق المسـتحب،و أمّا الإنفاق الواجب كالزكاه و غيره فيفضّل فى حاله الجهر،و ليست هذه بقاعده عامّه، بل تختلف باختلاف حالات الإنفاق.

ففى الحالاـت التى يكون فيهـا الجـانب التشـجيعى أكثر و لاـ يصادر فيها الإخلاص فالإظهار أولى،و فى الحالات التى يكون فيها المحتـاجون من ذوى العزّه و الكرامه فـإن حفـظ ماء وجوههم يقتضـى إخفاء الإنفاق،كما أنّه إذا خشـى الرياء و عـدم الإخلاص فالإخفاء أولى.

و قد جاء فى بعض الأحاديث أنّ الإنفاق الواجب يفضّل فيه الإظهار، و المستحبّ يفضّل فيه الإخفاء.

و

قد نقل عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: الزكاه المفروضه تخرج علانيه و تدفع علانيه،و غير الزكاه إن دفعه سرّا فهو أفضل (۱) .

إلّا أنّ هذه الأحاديث لا تتعارض مع ما قلناه آنفا،لأنّ أداء الواجب يكون أقلّ امتزاجا بالرياء،فهو واجب لا بدّ أن يؤدّيه كلّ مسلم فى محيط الاسلامى كالضريبه اللازمه التى يدفعها الجميع،و عليه فإنّ إظهار الإنفاق أفضل،أمّا الإنفاق

۱- ۱) -تفسير مجمع البيان:ج ۱ ص ۳۸۴ نقلا عن على بن إبراهيم:ج ۱ ص ۹۳.

المستحبّ فليس إلزاميا لذلک،فإنّ إظهار إنفاقه قد يشوبه شیء من الرياء و عدم خلوص النيّه،فيكون الأجدر إخفاؤه.

٢-قوله: وَ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئٰاتِكُمْ يوضّح أن للإنفاق فی سبيل اللّه أثرا فی غفران الذنوب،فالتكفير عن السيئات-أی تطغيه الذنوب-كنايه عن ذلک.

بديهیّ أنّ هذا لا يعنی أنّ إنفاق بعض المال يذهب بكلّ ذنوب الإنسان، و لذلک لا بدّ من ملاحظه استعمال«من»التبعيضيه،أی أنّ الغفران يشمل قسما من ذنوب الإنسان،و أنّ هذا القسم يتناسب مع مقدار الإنفاق و ميزان الإخلاص.

هنالک أحاديث كثيره بشأن غفران الذنوب بالإنفاق وردت عن أهل البيت عليهم السّلام و فی كتب أهل السنّه.

من ذلک:

«صدقه السرّ تطفئ غضب الربّ و تطفئ الخطيئه كما يطفئ الماء النار» (١) .

كما

جاء أيضا: «سبعه يظلّهم اللّه فی ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه:الإمام العدل، و الشابّ الذی نشأ فی عباده اللّه تعالی،و رجل قلبه يتعلّق بالمساجد حتّی يعود إليها،و رجلان تحابّا فی اللّه و اجتمعا عليه و افترقا عليه،و رجل دعته امرأه ذات منصب و جمال فقال إنّی أخاف اللّه تعالی،و رجل تصدّق فأخفاه حتّی لم تعلم يمينه ما تنفق شماله،و رجل ذكر اللّه خاليا ففاضت عيناه» (٢) .

٣-يستفاد من جمله وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .هو أنّ اللّه عالم بما تنفقون سواء أ كان علانيه أم سرّا،كما أنّه عالم بنيّاتكم و أغراضكم من إعلان إنفاقكم و من إخفائه.علی كلّ حال أنّ الذی له تأثير فی الإنفاق هو النيّه الطاهره و الخلوص فی العمل للّه وحده،لأنّه هو الذی يجزی أعمال العبد،و هو عالم بما يخفی و يعلن.

١- ١) -مجمع البيان:ج ١ ص ٣٨٥.

٢- ٢) -المصدر السابق.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۷۲]

اشاره

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدٰاهُمْ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ مٰا تُنْفِقُونَ إِلاَّ اِبْتِغٰاءَ وَجْهِ اَللّٰهِ وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لاٰ تُظْلَمُونَ (۲۷۲)

سبب النّزول

جاء فی تفسیر مجمع البیان عن ابن عبّاس أنّ المسلمین لم یرضوا بالإنفاق علی غیر المسلمین،فنزلت هذه الآیه تجیز لهم ذلک عند الضروره.

و هناک سبب نزول آخر لهذه الآیه قریب من سبب النزول السابق.فقد جاء أنّ امرأه مسلمه تدعی«أسماء»کانت فی رحله عمره القضاء مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم، فجاءتها أمّها و جدّتها تطلبان بعض العون منها،و لکن لمّا کانتا من المشرکین و عبده الأصنام،فقد امتنعت أسماء عن مدّید المساعده إلیهما،و قالت:لا بدّ أن استجیز رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم فی ذلک لأنکما لستما علی دینی.و أقبلت إلی النّبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم تستجیزه،فنزلت الآیه المذکوره.

التّفسیر

اشاره

الإنفاق علی غیر المسلمین:

تحدّثت الآیات السابقه عن مسأله الإنفاق فی سبیل اللّه بشکل عام،و لکن

فی هذه الآیه الحدیث عن جواز الإنفاق علی غیر المسلمین،بمعنی أنّه لا ینبغی ترک الإنفاق علی المساکین و المحتاجین من غیر المسلمین حتّی تشتدّ بهم الأزمه و الحاجه فیعتنقوا الإسلام بسبب ذلک.

تقول الآیه لَیْسَ عَلَیْکَ هُداهُمْ فلا یصحّ أن تجبرهم علی الإیمان،و ترک الإنفاق علیهم نوع من الإجبار علی دخولهم إلی الإسلام،و هذا الأسلوب مرفوض،و رغم أنّ المخاطب فی هذه الآیه الشریفه هو النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم إلاّ أنّه فی الواقع یستوعب کلّ المسلمین.

ثمّ تضیف الآیه وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ و من تکون له اللیاقه للهدایه.

فبعد هذا التذکّر تستمر الآیه فی بحث فوائد الإنفاق فی سبیل اللّه فتقول:

وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَلِأَنْفُسِکُمْ وَ مٰا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ اللّٰهِ

.

هذا فی صوره ما إذا قلنا أنّ جمله وَ مٰا تُنْفِقُونَ قد أخذت هنا بمعنی النهی،فیکون معناها أنّ إنفاقکم لا ینفعکم شیئا إلاّ إذا کان فی سبیل اللّه تعالی.

و یحتمل أیضا أن تکون هذه الجمله خبریّه،أی أنکم أیّها المسلمون لا تنفقون شیئا إلاّ فی سبیل اللّه تعالی و کسب رضاه.

و فی آخر عباره من هذه الآیه الکریمه نلاحظ تأکیدا أکثر علی مقدار الإنفاق و کیفیّته حیث تقول الآیه وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ یُوَفَّ إِلَیْکُمْ وَ أَنْتُمْ لاٰ تُظْلَمُونَ .

یعنی أنّکم لا ینبغی أن تتصوروا أنّ إنفاقکم سیعود علیکم بربح قلیل،بل أنّ جمیع ما أنفقتم و تنفقون سیعود إلیکم کاملا،و ذلک فی الیوم الذی تحتاجون إلیه بشدّه،فعلی هذا لا تتردّدوا فی الإنفاق أبدا.

و یستفاد من ظاهر هذه الجمله أنّ نفس المال المنفق سیعود علی صاحبه (لا ثوابه)فیمکن أن تکون الآیه دلیلا علی تجسّم الأعمال الذی سیأتی بحثه

ص:۳۲۳

مفصّلا فی الآیات اللاحقه (۱) .

بحوث

۱-الآیه أعلاه تقول أنّ نعم اللّه و آلاءه فی هـذا العالم کما أنّها تشـمل الجمیع بغضّ النظر عن العقیده و الدین،کذلک ینبغی أن یشمل إنفاق المؤمنین المستحبّ رفع حاجات الناس غیر المسلمین أیضا إذا اقتضت الضروره.

و من الواضـح أنّ الإنفـاق علی غیر المسـلمین یجب أن یکون ذا طابع إنسانی ففی هـذه الصوره یکون جائزا،لا ما إذا کان موجبا لتقویه الکفر و دعم خطط الأعداء المشؤومه.

۲-للهدایه أنواع مختلفه:من الواضح أنّ المقصود من عدم وجوب هدایه الناس علی الرسول صـلی اللّه علیه و آله و سـلّم لا یعنی أنّه غیر مکلّف بإرشـاد الناس و هـدایتهم لأنّ الإرشاد و الـدعوه من أهم جوانب مسـئولیات النبی،و إنّما المقصود أنّه غیر مکلّف بممارسه الضغط و عوامل الإکراه لحمل الناس علی اعتناق الإسلام.

و هل أنّ المقصود من هذه الهدایه هو الهدایه التکوینیّه أو التشریعیّه؟لأن الهدایه لها عدّه أنواع:

أ-الهـدایه التکوینیه:و تعنی أنّ اللّه تعالی خلق مجموعه من عوامل التقـدّم و التکامل فی مختلف کائنات هذا العالم،یشـمل ذلک الإنسان و جمیع الکائنات الحیّه،بل حتّی الجمادات،و هذه العوامل تدفع الموجودات نحو تکاملها.

إنّ نموّ الجنین فی رحم أمّه و رشده،و نموّ البذره فی الباطن الأرض و رشدها،

۱- ۱) -سوف تأتی هذه المسأله مفصلا فی ذیل الآیه(۳۰)من سوره آل عمران و فی هذا المجلد بالذات.

و حركه السيارات و المنظومات الشمسيه فى مداراتها،و أمثال ذلك نماذج مختلفه من الهدايه التكوينيه.و هذا النوع من الهدايه خاصّ باللّه تعالى،و وسائلها عوامل و أسباب طبيعيه و ما وراء الطبيعيه.يقول القرآن المجيد: اَلَّذِی أَعْطیٰ کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدیٰ (۱) .

ب-الهدايه التوفيقيه:و تعنى هدايه الناس عن طرق التعليم و التربيه، و القوانين،و الحكومات العادله،و الموعظه و النصيحه.و هذه الهدايه يقوم بها الأنبياء و الأئمّه و الصالحون و المربّون المخلصون.و قد أشار القرآن إلى هذا بقوله:

ذٰلِکَ الْکِتٰابُ لاٰ رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ

(۲)

.

ج-الهدايه التوفيقيه:و هى الهدايه إلى تهيئه الوسائل و وضعها فى متناول الأفراد لكى يستفيدوا منها حسبما يشاءون فى مظان التقدّم،كبناء المدارس و المساجد و معاهد التربيه،و إعداد الكتب و وضع الخطط و تدريب المربّين و المعلّمين المؤهّلين،و هذا النوع من الهدايه يقع بين الهدايتين التكوينيه و التشريعيه.يقول القرآن: وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا (۳) .

د-الهدايه نحو النعمه و المثوبه:و هذه تعنى هدايه الأفراد اللائقين للانتفاع بنتائج أعمالهم الصالحه فى العالم الآخر،و هى هدايه تختصّ بالمؤمنين الصالحين.يقول القرآن: سَیَهْدِیهِمْ وَ یُصْلِحُ بٰالَهُمْ (۴) .

هذه الآيه جاءت بعد ذكر تضحيه الشهداء فى سبيل اللّه.واضح أنّ هذا النوع من الهدايه ترتبط بتمتّع هؤلاء بثمار أعمالهم فى الآخره.

الواقع أنّ هذه الأنواع الأربعه من الهدايه تشكّل مراحل مختلفه متواليه

۱- ۱) -طه:۵۰.

۲- ۲) -البقره:۲.

۳- ۳) -العنكبوت:۶۹.

۴- ۴) -محمّد:۵.

لحقيقه واحده.ففى البدايه تكون الهدايه التكوينيه التى يهدى بها اللّه مخلوقاته و منها الإنسان الذى أودع فيه العقل و الفكر و القوى الأخرى.

يلى تلك الهدايه هدايه الأنبياء و الرسل الذين يهدون الناس إلى طريق الحقّ.

و الهدايه هنا بمعنى الإرشاد و التبليغ.

ثمّ تأتى مرحله العمل فيشمل اللّه مخلوقاته بتوفيقه فتتمهّد لهم سبل و طرائق تسير عليها نحو التكامل.و هذه هى هدايه التوفيق.

و فى العالم الآخر ينالون جزاء أعمالهم الصالحات.

هدايه الإرشاد و الدعوه التى تشكّل واحدا من أنواع الهدايه الأربعه هى من واجبات الأنبياء و الأئمّه،و قسم منها ممّا يتناول تمهيد الطرق،يدخل معظمه ضمن واجبات الحكومات الإلهيه للأنبياء و الأئمّه،و الباقى يختصّ باللّه تعالى.

و عليه حيثما نجد فى القرآن سلب الهدايه عن أنبياء،فذلك لا يخصّ النوعين الأوّلين.

وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِى مَنْ يَشٰاءُ

.

و هى هدايه لا تأتى ارتباطا بدون حكمه و لا حساب،أى أنّه لا يمكن أن يهدى بهذا و يحرم ذاك بغير سبب،فعلى الإنسان أن يكون جدير بالهدايه لكى ينالها و يستفيد منها.

نستخلص من هذه الآيه حقيقه أخرى،و هى أنّه يخاطب نبيّه قائلا:إذا ظهر بين المسلمين-بعد كلّ ذلك التحذير من الإنفاق المصحوب بالرياء و المنّ و الأذى-أفراد ما يزالون يلوّثون إنفاقهم بهذه الأمور،فلا يسؤك ذلك،إنّ واجبك هو بيان الأحكام و تهيئه المناخ الاجتماعى السليم،و ليس من واجبك أبدا أن تجبرهم على تجنّب هذه الأمور،و هذا التفسير لا يتنافى مع التفسير السابق، فكلاهما محتملان.

۳-أثر الإنفاق فی حیاه المنفق:

نلاحظ فی جمله وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَلِأَنْفُسِکُمْ أنّ فوائد الإنفاق تعود علی المنفقین أنفسهم،و بهذا تدفعهم نحو هذا العمل الإنسانی،و طبیعی أنّ الإنسان یزداد حماسا لممارسه علمه حین یعلم أنّ منافع هذا العمل تعود إلیه.

قد یبدو للوهله الأولی أنّ المنافع التی تعود علی المنفق من إنفاقه هی ما یناله من ثواب فی الآخره،هذا بالطبع صحیح،و لکن لا ینبغی أن یتصوّر أنّ نتائج الإنفاق أخرویه فحسب،بل أنّ له منافع فی هذه الدنیا أیضا مادّیه و معنویه.

ففائدته المعنویه هی أنّ روح البذل و الإنسانیه و التضحیه و الأخوّه تتربّی فی المنفق.و هذه فی الواقع وسیله مؤثّره فی تکامل شخصیه الإنسان و تربیته.

أمّا فائدته المادّیه فإنّ وجود أناس معدمین فقراء فی مجتمع ما یکون سببا فی أزمات اجتماعیه خطره قد تبتلع مبدأ الملکیه نفسه فی ثورتها،فلا تبقی و لا تذر.

الإنفاق یقلّل من الفواصل الطبقیّه و یزل هذا الخطر الذی یهدّد الأفراد الأثریاء فی المجتمع،فالإنفاق یطفئ لیهب غضب الطبقات المحرومه و یقضی علی روح الانتقام فی نفوسهم.

من هنا فالإنفاق لصالح المنفقین من حیث الأهمّیه الاجتماعیه و السلامه الاقتصادیه و الجوانب المختلفه المادّیه و المعنویه.

۴-ما معنی وَجْهِ اللّٰهِ ؟ «وجه»بالإضافه إلی معناها المعروف قد تستعمل بمعنی ذات،و عندئذ وَجْهِ اللّٰهِ تعنی ذات اللّه التی یجب أن یتوجّه إلیها المنفقون فی إنفاقهم،و علیه فإنّ ورود کلمه«وجه»فی هذه الآیه و فی غیرها إنّما یقصد به التوکید،فمن

الواضح أنّ قولنا«لوجه اللّه»أو«لذات اللّه»أكثر تأكيدا من قولنا«للّه».فيكون المعنى أنّ الإنفاق للّه حتما لا لغير اللّه.

ثمّ إنّ الوجه أشرف جزء من أجزاء الجسم الظاهره،ففيه أهمّ أعضاء الإنسان كالبصر و السمع و النطق.و لهذا حيثما استعملت كلمه«الوجه»كان القصد إيصال معانى الشرف و الأهميّه،و استعمالها هنا استعمال كنايه يفهم منه الاحترام و الأهميّه،و إلاّ فإنّ اللّه منزّه عن الصوره الجسديه.

ص:٣٢٨

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۷۳]

اشاره

لِلْفُقَرٰاءِ اَلَّذِینَ أُحْصِرُوا فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ لاٰ یَسْتَطِیعُونَ ضَرْباً فِی اَلْأَرْضِ یَحْسَبُهُمُ اَلْجٰاهِلُ أَغْنِیٰاءَ مِنَ اَلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِیمٰاهُمْ لاٰ یَسْئَلُونَ اَلنّٰاسَ إِلْحٰافاً وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اَللّٰهَ بِهِ عَلِیمٌ (۲۷۳)

سبب النّزول

نقل عن الإمام الباقر علیه السّلام أنّه قال: إنّ هذه الآیه نزلت فی أصحاب«الصفّه».

و هم جمع نحو أربعمائه شخص من مسلمی مکّه و أطراف المدینه ممّن لم یکن لهم مأوی یأوون إلیه فی المدینه،و لا قریب یؤویهم فی منزله،فاتّخذوا من مسجد النبیّ منزلا معلنین استعدادهم للذهاب إلی میادین الجهاد دائما،و لکن بما أنّ بقاءهم فی المسجد لم یکن ینسجم مع شؤونه فقد أمروا بالانتقال إلی«صفّه»دکّه عریضه کانت خارج المسجد.و نزلت الآیه تحثّ المسلمین أن یغدقوا مساعداتهم علی إخوتهم هؤلاء فأعانوهم (۱) .

ص:۳۲۹

۱- ۱) -مجمع البیان،أبو الفتوح الرازی،البحر المحیط،القرطبی،روح المعانی،و تفاسیر اخری و مع تفاوت فی العبارات.

صرّح بعض المفسّرين:«لقد كان هذا الوصف الموحى ينطبق على جماعه من المهاجرين،تركوا وراءهم أموالهم و أهليهم؛و أقاموا فى المدينه و وقفوا أنفسهم على الجهاد فى سبيل اللّه،و حراسه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم كأهل الصفه الذين كانوا بالمسجد حرسا لبيوت الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم لا يخلص إليها من دونهم عدو...» (۱)

التّفسير

اشاره

خير مواضع الإنفاق:

يبيّن اللّه فى هذه الآيه أفضل مواضع الإنفاق،و هى التى تتّصف بالصفات التاليه:

۱- لِلْفُقَرٰاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ أى الذين شغلتهم الأعمال الهامّه كالجهاد و محاربه العدو،و تعليم فنون الحرب،و تحصيل العلوم الأخرى،عن العمل فى سبيل الحصول على لقمه العيش كأصحاب الصفّه الذين كانوا خير مصداق لهذا الوصف (۲) .

ثمّ للتأكيد تضيف الآيه: لاٰ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِى الْأَرْضِ أى الذين لا يقدرون على الترحال لكسب العيش بالسفر إلى القرى و المدن الاخرى حيث تتوفر نعم اللّه تعالى. و عليه فإنّ القادرين على كسب معيشتهم يجب أن يتحمّلوا عناء السفر فى سبيل ذلك و أن لا يستفيدوا من ثمار أتعاب الآخرين إلّا إذا كانوا منشغلين بعمل أهمّ من كسب العيش كالجهاد فى سبيل اللّه.

۲-الذين يَحْسَبُهُمُ الْجٰاهِلُ أَغْنِيٰاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ هؤلاء الذين لا يعرف الآخرون شيئا عن بواطن أمورهم،و لكنهم-لما فيهم من عفّه النفس و الكرامه-

---

۱- ۱) -فى ظلال القرآن:ذيل الآيه المبحوثه.

۲- ۲) -«حصر»بمعنى الحبس و المنع و التضييق و جاءت هنا بمعنى جميع الأمور التى تمنع الإنسان من تأمين معاشه.

یظنّون أنهم من الأغنیاء.

و لکن هذا لا یعنی أنهم غیر معروفین.لذا تضیف الآیه تَعْرِفُهُمْ بِسِیماهُمْ .

السیماء:العلامه (1) .فهؤلاء و إن لم یفصحوا بشیء عن حالهم،فإنّ علی وجوههم علامات تنطق بما یعانون یدرکها العارفون،فلون و جناتهم ینبئ عمّا خفی من أسرارهم.

٣-و الثالث من صفات هؤلاء أنهم لا یصرّون فی الطلب و السؤال: لا یَسْئَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً (2) أی أنّهم لا یشبهون الفقراء الشحّاذین الذین یلحّون فی الطلب من الناس،فهم یمتنعون عن السؤال فضلا عن الإلحاف،فالإلحاح فی السؤال شیمه ذوی الحاجات العادیّین،و هؤلاء لیسوا عادیّین. و قول القرآن إنّهم لا یلحفون فی السؤال لا یعنی أنّهم یسألون بدون إلحاف،بل یعنی أنّهم لیسوا من الفقراء العادیّین حتّی یسألوا،و لذلک لا تتعارض هذه الفقره من الآیه مع قوله تعالی: تَعْرِفُهُمْ بِسِیماهُمْ لأنّهم لا یعرفون بالسؤال.

ثمّه احتمال آخر فی تفسیر الآیه،و هو أنّهم إذا اضطرّتهم الحاله إلی إظهار عوزهم فإنّهم لا یلحفون فی السؤال أبدا،بل یکشفون عن حاجتهم بأسلوب مؤدّب أمام إخوانهم المسلمین.

وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِیمٌ

.

فی هذه الآیه حثّ علی الإنفاق،و علی الأخصّ الإنفاق علی ذوی النفوس العزیزه الأبیه،لأنّ المنفقین إذا علموا أنّ اللّه عالم بما ینفقون حتّی و إن کان سرّا و أنّه سوف یثیبهم علی ذلک،فستزداد رغبتهم فی هذا العمل الکبیر.

١- ١) -قیل أنها من ماده«وسم»،و قیل أنها من ماده«سوم».

٢- ٢) -«الحاف»من ماده«لحاف»بمعنی الغطاء المعروف،و اطلق علی الإصرار فی السؤال لأنّه یغطی قلب الشخص المقابل.

بحث

اشاره

الاستجداء بدون حاجه حرام:

إنّ أحد الذنوب الكبيره هو السؤال و الاستجداء و الطلب من الناس من دون حاجه،لذلك و قد ورد في روايات متعدّده النهى عن هذا العمل بشدّه،

ففى الحديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «لا تحل الصدقه لغنى».

و ورد فى حديث آخر عنه صلى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «من سأل و عنده ما يغنيه فإنّما يستكثر من جمره جهنّم»

(۱)

و كذلك

ورد فى الأحاديث الشريفه «أنّه لا تقبل شهاده من يسأل الناس بكفّه» (۲) .

۱- ۱) -تفسير المراغى:ج ۳ ص ۵۰.

۲- ۲) -وسائل الشيعه:ج ۸ ص ۲۸۱ كتاب الشهادات ب ۳۵.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۷۴]

اشاره

اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ بِاللَّیْلِ وَ اَلنَّهٰارِ سِرًّا وَ عَلاٰنِیَهً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۲۷۴)

سبب النّزول

ورد فی أحادیث کثیره أنّ هذه الآیه الشریفه نزلت فی علیّ علیه السّلام لأنّه کان لدیه أربعه دراهم فأنفق منها درهما فی اللیل و آخر فی النهار و ثالث علانیّه و رابع (۱) خفیه،فنزلت هذه الآیه،و لکن من الواضح أنّ نزول الآیه فی مورد خاصّ لا یحدّد مفهوم تلک الآیه و لا ینفی شمولیّه الحکم لغیره من الموارد.

التّفسیر

اشاره

الإنفاق محمود بکلّ أشکاله:

فی هذه الآیه یدور الحدیث أیضا عن مسأله اخری ممّا یرتبط بالإنفاق فی

۱- ۱) -نور الثقلین:ج ۱ ص ۲۹۰ و ۲۹۱.ورد مضمون هذا الحدیث فی کتب تفسیر أهل السنّه أیضا،و ینقله صاحب(الدر المنثور)عن ابن عساکر و الطبرانی و أبی حاتم و ابن جریر و غیرهم.و یری البعض أن علماء الشیعه بالاتفاق و أکثر علماء السنّه ذهبوا إلی أنّ هذه الآیه نزلت فی علی بن أبی طالب علیه السّلام و فی علماء السنّه، الواحدی،ثعلبی،الخوارزمی،السدّی،العکبی،الزمخشری،الکافی،القشیری،الحاوردی،ابن المغازلی،ابن أبی الحدید،و غیرهم،و راجع تفسیر البرهان.

سبیل اللّه و هی الکیفیّات المتنوّعه و المخلفه للإنفاق فتقول الآیه: اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ بِاللَّیْلِ وَ النَّهٰارِ سِرًّا وَ عَلاٰنِیَهً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ .

و من الواضح أنّ انتخاب أحد هذه الطرق المختلفه یتمّ مع رعایه الشرائط الأفضل للإنفاق،یعنی أنّ المنفق یجب علیه مراعاه الجوانب الأخلاقیه و الاجتماعیه فی إنفاقه اللّیلی أو النهاری العلنی أو السرّی،فحین لا یکون ثمّه مبرّر لإظهار الإنفاق علی المحتاجین فینبغی أن یکون فی الخفاء لحفظ کرامه المحتاجین و ترکیزا لإخلاص النیّه.

و إذا تطلّبت المصلحه إعلان الإنفاق کتعظیم الشعائر الدینیّه و الترغیب و الحثّ علی الإنفاق دون أن یؤدّی ذلک إلی هتک حرمه أحد من المسلمین، فلیعلن عنه(کالإنفاق فی الجهاد و المراکز الخیریّه و أمثال ذلک).

و لا یبعد أن یکون تقدیم اللّیل علی النهار و السرّ علی العلانیه فی الآیه مورد البحث إشاره إلی أنّ صدقه السرّ أفضل إلاّ أن یکون هناک موجب لإظهاره رغم أنّه لا ینبغی نسیان الإنفاق علی کلّ حال.

و من المسلّم أنّ الشیء الذی یکون عند اللّه(و خاصّه بالنظر إلی صفه الربوبیّه الناظره إلی التکامل و النمو)لا یکون شیئا قلیلا و غیر ذا قیمه،بل یکون متناسبا مع ألطاف اللّه تعالی و عنایاته التی تتضمّن برکات الدنیا و کذلک حسنات الآخره و القرب إلی اللّه تعالی.

ثمّ تضیف الآیه وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ .

إنّ الإنسان یعلم أنّه لکی یدبّر أموره المعاشیه و الحیاتیه یحتاج إلی المال و الثروه،فإذا فقد ثروته ینتابه الحزن علی ذلک،و یشتدّ به الخوف علی مستقبله، لأنّه لا یعلم ما ینتظره فی مقبلات الأیام.هذه الحاله غالبا ما تمنع الإنسان من الإنفاق،إلاّ الذین یؤمنون من جهه بوعود اللّه و یعرفون من جهه اخری آثار

الإنفـاق الاجتمـاعيه. فهؤلاـء لاـ ينتابهم الخوف و القلق من الإنفاق فى سبيل اللّه على مسـتقبلهم و لا يحزنون على نقص أموالهم بالإنفاق،لأنّهم يعلمون أنّهم بإزاء ما أنفقوه سوف ينالون أضعافه من فضل اللّه و بركات إنفاقهم الفرديه و الاجتماعيه و الأخلاقيه فى الدنيا و الآخره.

ص :٣٣٥

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۲۷۵ الی ۲۷۷]

اشاره

اَلَّذِینَ یَأْکُلُونَ اَلرِّبٰا لاٰ یَقُومُونَ إِلاّٰ کَمٰا یَقُومُ اَلَّذِی یَتَخَبَّطُهُ اَلشَّیْطٰانُ مِنَ اَلْمَسِّ ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قٰالُوا إِنَّمَا اَلْبَیْعُ مِثْلُ اَلرِّبٰا وَ أَحَلَّ اَللّٰهُ اَلْبَیْعَ وَ حَرَّمَ اَلرِّبٰا فَمَنْ جٰاءَهُ مَوْعِظَهٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهیٰ فَلَهُ مٰا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَی اَللّٰهِ وَ مَنْ عٰادَ فَأُولٰئِکَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ (۲۷۵) یَمْحَقُ اَللّٰهُ اَلرِّبٰا وَ یُرْبِی اَلصَّدَقٰاتِ وَ اَللّٰهُ لاٰ یُحِبُّ کُلَّ کَفّٰارٍ أَثِیمٍ (۲۷۶) إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ وَ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰهَ وَ آتَوُا اَلزَّکٰاهَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۲۷۷)

التّفسیر

اشاره

الربا فی القرآن:

فی الآیات التی مضت کان الکلام علی الإنفاق و بذل المال لمساعده المحتاجین و فی سبیل رفاه المجتمع.و فی هذه الآیات یدور الکلام علی الربا الذی یقف فی الجهه المضادّه للإنفاق،و الواقع هو أنّ هذه الآیات تکمل هدف

ص:۳۳۶

الآيات السابقه،لأنّ تعاطی الربا یزید من الفواصل الطبقیه و یركّز الثروه فی أیدی فئه قلیله،و یسبّب فقر الأكثریه،و الإنفاق سبب طهاره القلوب و النفوس و استقرار المجتمع،و الربا سبب البخل و الحقد و الكراهیه و الدنس.

هذه الآیات شدیده و صریحه فی منع الربا،و لكن یبدو منها أنّ موضوع الربا قد سبق التطرّق إلیه.فإذا لاحظنا تاریخ نزول هذه الآیات تتّضح لنا صحّه ذلك، فبحسب ترتیب نزول القرآن،السوره التی ورد فیها ذكر الربا لأول مرّه هی سوره الروم،و هی السوره الثلاثون التی نزلت فی مكّه،و لا نجد فی غیرها من السور المكّیه إشاره إلی الربا.

لكن الحدیث عن الربا فی السوره المكّیه جاء علی شكل نصیحه أخلاقیه وَ مٰا آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوَا فِی أَمْوٰالِ النّٰاسِ فَلاٰ یَرْبُوا عِنْدَ اللّٰهِ (1) .

أی أنّ قصیری النظر قد یرون أنّ الثروه تزداد بالربا،و لكنّه لا یزداد عند اللّه.

ثمّ بعد الهجره،تناول القرآن الربا فی ثلاث سور أخری من السور التی نزلت فی المدینه و هی بالترتیب:سوره البقره،و سوره آل عمران،و سوره النساء.و علی الرغم من أنّ سوره البقره قد نزلت قبل سوره آل عمران،فلا یستبعد أن تكون الآیه ۱۳۰ من سوره آل عمران-و هی التی تحرّم الربا تحریما صریحا-قد نزلت قبل سوره البقره و الآیات المذكوره أعلاه.

علی كلّ حال،هذه الآیه و سائر الآیات التی تخصّ الربا نزلت فی وقت كان فیه تعاطی الربا قد راج بشدّه فی مكّه و المدینه و الجزیره العربیه حتّی غدا عاملا مهمّا من عوامل الحیاه الطبقیه،و سببا من أهمّ أسباب ضعف الطبقه الكادحه و طغیان الأرستقراطیه،لذلك فإنّ الحرب التی أعلنها القرآن علی الربا تعتبر من

۱- ۱) -الروم:۳۹.

أهمّ الحروب الاجتماعيه التى خاضها الإسلام.

يقول تعالى:

اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰا لاٰ يَقُومُونَ إِلاّٰ كَمٰا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ (١) الشَّيْطٰانُ مِنَ الْمَسِّ

.

فالآيه تشبّه المرابى بالمصروع أو المجنون الذى لا يستطيع الاحتفاظ بتوازنه عند السير،فيتخبّط فى خطواته.

و لعلّ المقصود هو وصف طريقه«سير المرابين الاجتماعى»فى الدنيا على اعتبار أنّهم أشبه بالمجانين فى أعمالهم،فهم يفتقرون إلى التفكير الاجتماعى السليم،بل أنّهم لا يشخّصون حتّى منافعهم الخاصّه،و أنّ مشاعر المواساه و العواطف الإنسانيه و أمثالها لا مفهوم لها فى عقولهم إذ أنّ عباده المال تسيطر على عقولهم إلى درجه أنّها تعميهم عن إدراك ما ستؤدّى إليه أعمالهم الجشعه الاستغلاليه من غرس روح الحقد فى قلوب الطبقات المحرومه الكادحه و ما سيعقب ذلك من ثورات و انفجارات اجتماعيه تعرض أساس الملكيه للخطر،و فى مثل هذا المجتمع سينعدم الأمن و الاستقرار،و ستصادر الراحه من جميع الناس بمن فيهم هذا المرابى،و لذلك فإنّه يجنى على نفسه أيضا بعمله الجنونى هذا.

و لكن بما أنّ وضع الإنسان فى العالم الآخر تجسيد لأعماله فى هذا العالم فيحتمل أن تكون الآيه إشاره إلى المعنيين.أى أنّ الذين يقومون فى الدنيا قياما غير معتقّل و غير متوازن يخالطه اكتناز جنونى للثروه سيحشرون يوم القيامه كالمجانين.

الطريف الروايات و الأحاديث تشير إلى كلا المفهومين.ففى حديث عن

١- ١) -«يتخبّطه»من ماده«الخبط»هو فقدان توازن الجسم عند المشى أو القيام.

الإمام الصادق عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه أنّه قال:

«آكل الربا لا يخرج من الدنيا حتّى يتخبّطه الشيطان»

(۱)

.

و

فى روايه أخرى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم بشأن تجسيد حال المرابين الذين لا يهمّهم غير مصالحهم الخاصّه،و ما ستجرّه عليهم أموالهم المحرّمه قال:«لمّا أسرى بى إلى السماء رأيت قوما يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت:من هؤلاء يا جبرائيل!قال:هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذى يتخبّطه الشيطان من المس» (۲) .

الحديث الأوّل يبيّن اضطراب الإنسان فى هذه الدنيا،و يعكس الحديث الثانى حال المرابين فى مشهد يوم القيامه،و كلاهما يرتبطان بحقيقه واحده،فكما أنّ الإنسان المبطان الأكول يسمن بإفراط و بغير حساب،كذلك المرابون الذين يسمنون بالمال الحرام لهم حياه اقتصاديه مريضه تكون وبالا عليهم.

سؤال:هل الجنون و الصرع اللذين أشارت إليهما الآيه المذكوره من عمل الشيطان،مع أنّنا نعلم أنّ الصرع و الجنون من الأمراض النفسيه التى لها أسباب معروفه فى الغالب؟ الجواب:يرى بعضهم أنّ تعبير«مسّ الشيطان»كنايه عن الأمراض النفسيه و الجنون،و هو تعبير كان شائعا عند العرب،و لا يعنى أنّ للشيطان تأثيرا فعليا فى روح الإنسان.

و لكن مع ذلك لا يستبعد أن يكون لبعض الأعمال الشيطانيه التى يرتكبها الإنسان دون تروّ أثر يؤدّى إلى نوع من الجنون الشيطانى،أى يكون للشيطان على إثر هذه الأعمال فاعليه فى الشخص يسبّب اختلال تعادله النفسى.ثمّ إنّ الأعمال الشيطانيه الخاطئه إذا تكرّرت و تراكمت يكون أثرها الطبيعى هو أن يفقد

۱- ۱) -تفسير العياشى:ج ۱ ص ۱۵۲ ح ۵۰۳.

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين:ج ۱ ص ۲۹۱ ح ۱۱۵۷.

الإنسان قدرته على تمييز من السقيم من السليم و الصالح من الطالح و التفكير المنطقى من المعوج.

منطق المرابين:

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قٰالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰا

.

هـذه الآيه تبيّن منطق المرابين فهم يقولون:مـا الفرق بين التجـاره و الربـا؟ و يقصـدون أنّ كليهمـا يمثّلان معامله تبادل بتراضـى الطرفين و اختيارهما.

يقول القرآن جوابا على ذلك: وَ أَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبٰا و لم يزد فى ذلك شرحا و تفصيلا،ربما لوضوح الاختلاف:

فأوّلا:فى صـفقه البيع و الشـراء يكون كلا الطرفين متساويين بإزاء الربـح و الخساره،فقـد يربح كلاهما،و قد يخسـر كلاهما،و مرّه يربـح هـذا و يخسـر ذاك، و مرّه يخسـر هـذا و يربـح ذاك،بينمـا فى المعامله الربويه لا يتحمّل المرابى أيّه خساره،فكلّ الخسائر المحتمله يتحمّل ثقلهـا الطرف الآخر،و لـذلك نرى المؤسّسات الربويه تتوسّع يوما فيوما،و يكبر رأس مالها بقـدر اضـمحلال و تلاشى الطبقات الضعيفه.

و ثانيـا:فى التجـاره و البيع و الشـراء يسـير الطرفـان فى«الإنتـاج و الاسـتهلاك»، بينمـا المرابى لا يخطو أيّه خطوه إيجابيه فى هـذا المجال.

و ثالثا:بشيوع الربا تجرى رؤوس الأموال مجرى غير سليم و تتزعزع قواعد الإقتصاد الذى هو أساس المجتمع،بينما التجاره السليمه تجرى فيها رؤوس الأموال فى تداول سليم.

و رابعا:الربا يتسبّب فى المخاصمات و المنازعات الطبقيه،بينما التجاره السليمه لا تجرّ المجتمع إلى المشاحنات و الصراع الطبقى.

فَمَنْ جٰاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهىٰ فَلَهُ مٰا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللّٰهِ

.

تقول الآیه إنّ من بلغته نصیحه اللّه بتحریم الربا و اتّعظ فله الأرباح التی أخذها من قبل«أی أنّ القانون لیس رجعیا»لأنّ القوانین الرجعیه تولد الکثیر من المشاکل و الاضطرابات فی حیاه الناس،و لذلک فإنّ القوانین تنفّذ عاده من تاریخ سنّها.

و هذا لا یعنی بالطبع أنّ للمرابین أن یتقاضوا أکثر من رؤوس أموالهم من المدینین بعد نزول الآیه،بل المقصود إباحه ما جنوه من أرباح قبل نزول الآیه.

ثمّ یقول وَ أَمْرُهُ إِلَی اللّهِ أی أنّ النظر إلی أعمال هؤلاء یوم القیامه یعود إلی اللّه،و إن کان ظاهر الآیه یدلّ علی أنّ مستقبل هؤلاء من حیث معاقبتهم أو العفو عنهم غیر واضح،و لکن بالتوجّه إلی الآیه السابقه نفهم أنّ القصد هو العفو.و یظهر من هذا أنّ إثم الربا من الکبر بحیث إنّ حکم العفو عن الذین کانوا یتعاطونه قبل نزول الآیه لا یذکر صراحه.

وردت احتمالات اخری فی معنی هذه الجمله،أعرضنا عن ذکرها کونها خلاف الظاهر (۱) .

وَ مَنْ عادَ فَأُولئِکَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ

.

أی أنّ من یواصل تعاطی الربا علی الرغم من کلّ تلک التحذیرات،فعلیه أن ینتظر عذابا ألیما فی النار دائما.

إنّ العذاب الخالد لا یکون نصیب من آمن باللّه.لکن الآیه تعد المصرّین علی الربا بالخلود فی النار،ذلک لأنّهم بإصرارهم هذا یحاربون قوانین اللّه،و یلجّون فی ارتکاب الإثم،و هذا دلیل علی عدم صحّه إیمانهم،و بالتالی فهم یستحقّون الخلود فی النار.

۱- ۱) -تفسیر القرطبی:ج ۲ ص ۱۶۹،هنا ذکر أربع تفاسیر،و فی مجمع البیان ذیل الآیه مورد البحث و ذکرت احتمالات عدیده اخری أیضا.

كما يمكن القول إنّ خلود العذاب هنا كما فى الآيه ٩٣ من سوره النساء،يعنى العذاب المديد الطويل الأمد لا الأبديّ الدائم.

ثمّ أن الآيه التاليه تبيّن الفرق بين الربا و الصدقه و تقول:

يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبٰا وَ يُرْبِى الصَّدَقٰاتِ

.

ثمّ يضيف: وَ اللّهُ لاٰ يُحِبُّ كُلَّ كَفّٰارٍ أَثِيمٍ يعنى الذين تركوا ما فى الصدقات من منافع طيبه و التمسوا طريق الربا الذى يوصلهم إلى نار جهنم.

«المحق»النقصان التدريجى.و«الربا»هو النموّ التدريجى.فالمرابى بما لديه من رأسمال و ثروه يستحوذ على أتعاب الطبقه الكادحه،و قد يؤدّى عمله هذا إلى القضاء عليهم، أو يبذر على الأقل بذور العداء و الحقد فى قلوبهم بحيث يصبحون بالتدريج متعطّشين إلى شرب دماء المرابين و يهدّدون أموالهم و أرواحهم.فالقرآن يقول إنّ اللّه يسوق رؤوس الأموال الربويه إلى الفناء.

إنّ هذا الفناء التدريجى الذى يحيق بالفرد المرابى يحيق بالمجتمع المرابى أيضا.

و بالمقابل،فالأشخاص الذين يتقدّمون إلى المجتمع بقلوب مليئه بالعواطف الإنسانيه و ينفقون من رؤوس أموالهم و ثرواتهم يقضون بها حاجات المحتاجين من الناس يحظون بمحبّه الناس و عواطفهم عموما،و أموال هؤلاء فضلا عن عدم تعرّضها لأىّ خطر تنمو بالتعاون العامّ نموّا طبيعيا.و هذا ما يعنيه القرآن بقوله:

وَ يُرْبِى الصَّدَقٰاتِ

.

و هذا الحكم يجرى فى الفرد كما يجرى فى المجتمع.فالمجتمع الذى يعنى بالحاجات العامّه تتحرّك فيه الطاقات الفكريه و الجسميه للطبقه الكادحه التى تؤلّف أكثريه المجتمع و تبدأ العمل،و على أثر ذلك يظهر إلى حيّز الوجود ذلك النظام الاقتصادى القائم على التكافل و تبادل المنافع العامّه.

وَ اللّهُ لاٰ يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ أَثِيمٍ

.

«الكفّار»من الكفور،بوزن فجور،و هو المغرق فى نكران الجميل و الكفر بالنعمه،و«الأثيم»هو الموغل فى ارتكاب الآثام.

هـذه الفقره من الآيه تشير إلى أنّ المرابين بتركهم الإنفاق و الإقراض و البـذل فى سبيل رفع الحاجات العامّه يكفرون بما أغدق اللّه عليهم من النعم،بل أكثر من ذلك يسخّرون هذه النعم على طريق الإثم و الظلم و الفساد،و من الطبيعى أنّ اللّه لا يحبّ أمثال هؤلاء.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ أَقامُوا الصَّلاٰهَ وَ آتَوُا الزَّكاٰهَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

.

مقابـل المرابين الآثمين الكافرين بأنعم اللّه هناك أناس من المؤمنين تركوا حبّ الـذات،و أحيوا عواطفهم الفطريه،و ارتبطوا باللّه بإقامه الصـلاه،و أسـرعوا لمعونه المحتاجين بـدفع الزكاه،و بـذلك يحولون دون تراكم الثروه و ظهور الاختلاف الطبقى المؤدّى إلى الكثير من الجرائم.هؤلاء ثوابهم محفوظ عند اللّه و يرون نتائج أعمالهم فى الدنيا و الآخره.

ثمّ إنّ هؤلاء لا يعرفون القلق و الحزن،و لا يهدّدهم الخطر الذى يتوجّه إلى المرابين من قبل ضحاياهم فى المجتمع.

و أخيرا فإنّهم يعيشون فى اطمئنان تام وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ .

ص :۳۴۳

الآيات [سوره البقره (۲): الآيات ۲۷۸ الی ۲۸۱]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ اَلرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۲۷۸) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اَللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لاٰ تَظْلِمُونَ وَ لاٰ تُظْلَمُونَ (۲۷۹) وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۲۸۰) وَ اِتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اَللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ (۲۸۱)

سبب النّزول

جاء فی تفسیر علی بن إبراهیم (۱) أنّه بعد نزول آیات الربا جاء«خالد بن الولید»إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و قال:کانت لأبی معاملات ربویه مع بنی ثقیف،فمات و لم یتسلّم دینه،و قد أوصانی أن أقبض بعض الفوائد التی لم تدفع بعد.فهل یجوز لی ذلک؟فنزلت الآیات المذکوره تنهی الناس عن ذلک نهیا شدیدا.

و فی روایه أخری أنّه بعد نزول هذه الآیه قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم: «ألا کلّ ربا

۱- ۱) -تفسیر علی بن إبراهیم:ج ۱ ص ۹۳.

من ربا الجاهليه موضوع،و أول ربا أضعه ربا العبّاس بن عبد المطّلب»

(۱)

.

يتضح من هذا أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم في حملته لإلغاء الديون الربويه في الجاهليه قد بدأ بأقربائه أوّلا.و إذا كان بينهم أشخاص أثرياء مثل العبّاس ممّن كانوا مثل غيرهم يتعاطون الربا في الجاهليّه،فقد ألغى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم-أوّلا-ربا هؤلاء.

و جاء في الروايات أن النبي صلى اللّه عليه و آله و سلّم بعد نزول هذه الآيات امر أمير مكّه بأنه لو استمر آل المغيره الذين كانوا معروفين بالربا في عملهم فليقاتلهم (۲) .

التّفسير

اشاره

في الآيه الأولى يخاطب اللّه المؤمنين و يأمرهم بالتقوى ثمّ يأمرهم أن يتنازعوا عمّا بقي لهم في ذمّه الناس من فوائد ربويه.

يلاحظ أنّ الآيه بدأت بذكر الإيمان باللّه و اختتمت بذكره،ممّا يدلّ بوضوح على عدم انسجام الربا مع الإيمان باللّه.

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ

.

تتغيّر في هذه الآيه لهجه السياق القرآني،فبعد أن كانت الآيات السابقه تنصح و تعظ،تهاجم هذه الآيه المرابين بكلّ شده،و تنذرهم بلهجه صارمه أنّهم إذا واصلوا عملهم الربوي و لم يستسلموا لأوامر اللّه في الحقّ و العدل و استمرّوا في امتصاص دماء الكادحين المحرومين فلا يسع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ أن يتوسّل بالقوّه لإيقافهم عند حدّهم و إخضاعهم للحق،و هذا بمثابه إعلان الحرب عليهم.

۱- ۱) -مجمع البيان:ج ۱ ص ۳۹۲،و الدر المنثور:ج ۲ ص ۱۰۹ مع تفاوت يسير.

۲- ۲) -الدر المنثور:ج ۲ ص ۱۰۸-۱۰۷.

و هی الحرب التی تنطلق من قانون: فَقٰاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّٰی تَفِیءَ إِلیٰ أَمْرِ اللّٰهِ (۱) .

لذلک عند ما سمع الإمام الصادق علیه السّلام أنّ مرابیا یتعاطی الربا بکلّ صراحه و یستهزئ بحرمته هدّده بالقتل.

و یستفاد من هذا الحدیث أن حکم القتل إنّما هو لمنکر تحریم الربا. فَأْذَنُوا من ماده«اذن»و کلما کانت متعدیه بالأمر بالمعنی هو السماح و إذا تعدت بالیاء فتعنی العلم فعلی هذا یکون قوله فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّٰهِ (۲) یعنی أعلموا أنّ اللّه و رسوله سیحاربوکم و هذا فی الحقیقه بمثابه إعلان الحرب علی هذه الفئه،فعلی هذا لیس من الصحیح ما ذهب إلیه البعض فی معنی هذه الآیه بأنه«اسمحوا بإعلان الحرب من اللّه».

عن أبی بکیر قال: بلغ أبا عبد اللّه الصادق علیه السّلام عن رجل أنّه کان یأکل الربا و یسمّیه اللبأ.

فقال:لئن أمکننی اللّه منه لأضربنّ عنقه (۳) .

یتّضح من هذا أنّ هذا الحکم یخصّ الذین ینکرون تحریم الربا فی الإسلام.

علی کلّ حال یستفاد من هذه الآیه أنّ للحکومه الإسلامیه أن تتوسّل بالقوّه لمکافحه الربا (۴) .

وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَکُمْ رُؤُسُ أَمْوٰالِکُمْ لاٰ تَظْلِمُونَ وَ لاٰ تُظْلَمُونَ

.

أمّا إذا تبتم و رجعتم عن غیّکم و ترکتم تعاطی الربا فلکم أن تتسلّموا من الناس المدینین لکم رؤوس أموالکم فقط«بغیر ربح».و هذا قانون عادل تماما،

۱- ۱) -الحجرات:۹.

۲- ۲،۳) -وسائل الشیعه:ج ۱۲ ص ۴۳۹ باب ثبوت القتل و الکفر باستحلال الربا ح ۱.

۳- ۴) -فسّر«فأذنوا»ب«فاعلموا»غالبا من قبل المفسّرین أمثال:الطبری فی مجمع البیان،أبو الفتوح الرازی، الفخر الرازی،الآلوسی فی روح المعانی،العلاّمه الطباطبائی فی المیزان...و غیرهم.

۴-

لأنّه يحول دون أن تظلموا الناس و دون أن يصيبكم ظلم.

إنّ تعبير لاٰ تَظْلِمُونَ وَ لاٰ تُظْلَمُونَ و إن كان قد جاء بشأن المرابين،و لكنّه فى الحقيقه شعار إسلامى واسع و عميق،يعنى أنّ المسلمين بقدر ما يجب عليهم تجنّب الظلم،يجب عليهم كذلك أن لا يستسلموا للظلم.و فى الحقيقه لو قلّ الذين يتحمّلون الظلم لقلّ الظالمون أيضا،و لو أنّ المسلمين أعدّوا العدّه الكافيه للدفاع عن حقوقهم لما تمكّن أحد أن يعتدى على تلك الحقوق و يظلمهم.فقبل أن نقول الظالم:لا تظلم،علينا أن نقول المظلوم:لا تستسلم للظلم.

وَ إِنْ كٰانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلىٰ مَيْسَرَةٍ

(١)

.

استكمالا لبيان حقّ الدائن فى الحصول على رأسماله«بدون ربح»تبيّن الآيه هنا حقّا من حقوق المدين إذا كان عاجزا عن الدفع،ففضلا عن عدم جواز الضغط عليه و فرض فائده جديده عليه كما كانت الحال فى الجاهليه،فهو حقيق بأن يمهل مزيدا من الوقت لتسديد أصل الدين عند القدره و الاستطاعه.

إنّ القوانين الإسلاميه التى جاءت لتوضيح مفهوم هذه الآيه تمنع الدائن من استيلاء على دار المدين و أمتعته الضروريه اللازمه لقاء دينه،إنّما للدائن أن يأخذ الزائد على ذلك.و هذا قانون صريح و إنسانى يحمى حقوق الطبقات الفقيره فى المجتمع.

وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

و هذه فى الواقع خطوه أبعد من المسائل الحقوقيه.أى أنّها مسأله أخلاقيه و إنسانيه تكمل البحث الحقوقى المتقدّم.

تقول الآيه للدائنين أن الأفضل من كلّ ما سبق بشأن المدين العاجز عن الدفع هو

١- ١) -يحتمل أن تكون(كان)فى الجمله أعلاه تامّه حيث لا تحتاج إلى خبر أو ناقصه و يكون التقدير«إن كان هناك ذو عسره».

ان يخطو الدائن خطوه إنسانيه كبيره فيتنازل للمدين عمّا بقى له بذمتّه،فهذا خير عمل إنسانى يقوم به،و كلّ من يدرك منافع هذا الأمر يؤمن بهذه الحقيقه.

من المألوف فى القرآن أنّه بعد بيان تفاصيل الأحكام و جزئيّات الشريعه الإسلاميه يطرح تذكيرا عامّا شاملا يؤكّد به ما سبق قوله،لكى تنفذ الأحكام السابقه نفوذا جيّدا فى العقل و النفس.

لذلك فإنّه فى هذه الآيه يذكّر الناس بيوم القيامه و يوم الحساب و الجزاء، و يحذّرهم من اليوم الذى ينتظرهم حيث يوضع أمام كلّ امرئ جميع أعماله دون زياده و لا نقصان،و كلّ ما حفظ فى ملفّ عالم الوجود يسلّم إليه دفعه واحده، عندئذ تهوله النتائج التى تنتظره.و لكن ذلك حصيله ما زرعه بنفسه و ما ظلمه فيه أحد، إنّما هو نفسه ظلم نفسه وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ .

جدير بالذكر أنّ هذه الآيه من الأدلّه الأخرى على تجسّد أعمال الإنسان فى العالم الآخر.

و مما يلفت النظر أنّ تفسير«الدرّ المنثور»ينقل بطرق عديده أنّ هذه الآيه هى آخر آيه نزلت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم،و لا يستبعد هذا إذا أخذنا مضمونها بنظر الاعتبار.

و هذا لا يتناقض مع كون سوره البقره ليست آخر سوره نزلت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم،لأنّ بعض الآيات كما نعلم كانت توضع فى سوره سابقه عليها أو لا حقه لها،و ذلك بأمر النبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم نفسه.

أضرار الربا

۱-الربا يخلّ بالتوازن الاقتصادى فى المجتمع،و يؤدى إلى تراكم الثروه

لدى فئه قليله،لأنّ هذه الفئه هى وحدها التى تستفيد من الأرباح بينما لا يجنى الآخرون سوى الخسائر و الأضرار و الضغوط.

الربا يشكّل اليوم أهم عوامل اتّساع الهوه المستمر بين الدول الغنيه و الدول الفقيره،و ما يعقب ذلك من حروب دمويه طاحنه.

٢-الربا لون من ألوان التبادل الاقتصادى غير السليم،يضعف العلائق العاطفيه،و يغرس روح الحقد فى القلوب،ذلك لأنّ الربا يقوم فى الواقع على أساس أنّ المرابى لا ينظر إلاّ إلى أرباحه،و لا يهمّه الضرر الذى يصيب المدّين.

هنا يبدأ المدين بالاعتقاد بأنّ المرابى يتّخذ من أمواله وسيله لتدمير حياه الآخرين.

٣-صحيح أنّ دافع الربا يرضخ لعمله هذا نتيجه حاجه قد ألجأته إلى ذلك.

و لكنّه لن ينسى هذا الظلم أبدا،و قد يصل به الأمر إلى الإحساس بأصابع المرابى تشدّد من ضغطها على عنقه و تكاد تخنقه.و فى هذه الحاله تبدأ كلّ جوارح المدين المسكين ترسل اللعنات على المرابى،و يتعطّش لشرب دمه.إنّه يرى بأمّ عينيه كيف أنّ حاصل شقاءه و تعبه و ثمن حياته يدخل إلى جيب هذا المرابى،فى مثل هذه الحاله الهائجه ترتكب عشرات الجرائم المرعبه،فقد يقدم المدين على الانتحار،و قد تدفعه حالته اليائسه إلى أن يقتل المرابى شرّ قتله،و قد ينفجر الشعب المضطهد انفجارا عامّا فى ثوره عارمه.

إنّ انفصام علائق التعاون بين الدول المرابيه و الدول التى تستقرض منها بالربا واضح للعيان أيضا.إنّ الدول التى تجد ثرواتها تصبّ فى خزائن دوله أخرى باسم الربا تنظر دون شكّ بعين البغض و الحقد إلى الدوله المرابيه،و فى الوقت الذى هى تستقرض منها لحاجتها الماسه فإنّها تتحيّن الفرصه للإعراب عن نقمتها و كرهها بشتّى الوسائل و الطرق.

و هذا هو الذی یحدونا إلی القول بأنّ للربا أثرا أخلاقیا سیئا جدّا فی نفسیّه المدین و یثیر فی قلبه الکره و الضغینه،و یفصم عری التعاون الاجتماعی بین الأفراد و الملل.

۴-فی الأحادیث الإسلامیه إشاره إلی آثار الربا الأخلاقیه السیئه وردت فی جمله قصیره و لکنها عمیقه المعنی.جاء فی کتاب«وسائل الشیعه»عن علّه تحریم الربا

عن الإمام الصادق علیه السّلام قال: «إنّما حرّم اللّه عزّ و جلّ الربا لکی لا یمتنع الناس عن اصطناع المعروف»

(۱)

.

۱- ۱) -وسائل الشیعه:ج ۱۲،أبواب الربا،الباب ۱،ص ۴۲۲.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۸۲]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِذا تَدایَنْتُمْ بِدَیْنٍ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی فَاکْتُبُوهُ وَ لْیَکْتُبْ بَیْنَکُمْ کاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لا یَأْبَ کاتِبٌ أَنْ یَکْتُبَ کَما عَلَّمَهُ اَللّٰهُ فَلْیَکْتُبْ وَ لْیُمْلِلِ اَلَّذِی عَلَیْهِ اَلْحَقُّ وَ لْیَتَّقِ اَللّٰهَ رَبَّهُ وَ لا یَبْخَسْ مِنْهُ شَیْئاً فَإِنْ کانَ اَلَّذِی عَلَیْهِ اَلْحَقُّ سَفِیهاً أَوْ ضَعِیفاً أَوْ لا یَسْتَطِیعُ أَنْ یُمِلَّ هُوَ فَلْیُمْلِلْ وَلِیُّهُ بِالْعَدْلِ وَ اِسْتَشْهِدُوا شَهِیدَیْنِ مِنْ رِجالِکُمْ فَإِنْ لَمْ یَکُونا رَجُلَیْنِ فَرَجُلٌ وَ اِمْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ اَلشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَکِّرَ إِحْداهُمَا اَلْأُخْری وَ لا یَأْبَ اَلشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَکْتُبُوهُ صَغِیراً أَوْ کَبِیراً إِلی أَجَلِهِ ذٰلِکُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَهِ وَ أَدْنی أَلاّ تَرْتابُوا إِلاّ أَنْ تَکُونَ تِجارَهً حاضِرَهً تُدِیرُونَها بَیْنَکُمْ فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَلاّ تَکْتُبُوها وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبایَعْتُمْ وَ لا یُضَارَّ کاتِبٌ وَ لا شَهِیدٌ وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِکُمْ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ یُعَلِّمُکُمُ اَللّٰهُ وَ اَللّٰهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۲۸۲)

ص: ۳۵۱

التّفسير

اشاره

تدوين الأوراق التجاريه:

بعـد أن شنّ القرآن على الربـا و الاحتكـار و البخـل حربـا شـعواء،وضع تعليمات دقيقه لتنظيم الروابط التجاريه و الاقتصاديه،لكى تنمو رؤوس الأموال نموّا طبيعيا دون أن تعتريها عوائق أو تنتابها خلافات و منازعات.

تضع هذه الآيه التى هى أطول آيات القرآن تسعه عشر بندا من التعليمات التى تنظّم الشؤون الماليه،نذكرها على التوالى: (۱)

۱-إذا أقرض شخص شخصا أو عقد صفقه،بحيث كان أحدهما مدينا،فلكى لا يقع أىّ سوء تفاهم و اختلاف فى المستقبل،يجب أن يكتب بينهما العقد بتفاصيله يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا تَدٰايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ .

من الجدير بالذكر أنّه يسـتعمل كلمه«دين»هنا و لا يسـتعمل كلمه«قرض»، و ذلك لأنّ القرض هو تبادل شيئين متشابهين كالنقود أو البضاعه التى يقترضـها المقترض و يسـتفيد منها،ثمّ يعيـد نقودا أو بضاعه إلى المقرض مثلا بمثل.أمّا «الـدين»فأوسع معنى،فهو يشـمل كـلّ تعامل،مثل المصالحه و الإيجار و الشـراء و البيع و أمثالها،بحيث إنّ أحـد الطرفين يصـبح مـدينا للطرف الآخر.و عليه فهذه الآيه تشمل جميع المعاملات التى فيها دين يبقى فى ذمّه المدين،بما فى ذلك القرض.

۲-لكى يطمئن الطرفان على صحّه العقد و يأمنا احتمال تدخّل أحدهما فيه، فيجب أن يكون الكاتب شخصا ثالثا وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كٰاتِبٌ .

على الرغم من أنّ ظاهر الآيه يدلّ على وجوب كتابه العقد، يتبيّن من الآيه

۱- ۱) -و طبعا يسـتفاد من بعض الأحكام ضمنا«و ليس بالدلاله المطابقيه»أنه لو أضيفت تلك الأحكام إلى الأحكام التسعه عشر المذكوره لبلغت أكثر من واحد و عشرين حكما.

التاليه فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِی اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ أنّ لزوم الکتابه یتحقّق إذا لم یطمئن الطرفان أحدهما إلی الآخر و احتمل حصول خلافات فیما بعد.

۳-علی کاتب العقد أن یقف إلی جانب الحقّ،و أن یکتب الحقیقه الواقعه بِالْعَدْلِ .

۴-یجب علی کاتب العقد،الذی و هبه اللّه علما بأحکام کتابه العقود و شروط التعامل،أن لا یمتنع عن کتابه العقد،بل علیه أن یساعد طرفی المعامله فی هذا الأمر الاجتماعی وَ لا یَأْبَ کاتِبٌ أَنْ یَکْتُبَ کَما عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْیَکْتُبْ .

إنّ تعبیر کَما عَلَّمَهُ اللّهُ حسب التفسیر المذکور للتوکید و لزیاده الترغیب.

و یمکن القول إنّه یشیر إلی أمر آخر،و هو ضروره التزامه الأمانه،و أن یکتب العقد، کما علّمه اللّه،کتابه متقنه.

بدیهیّ أنّ قبول الدعوه إلی تنظیم العقود لیست واجبا عینیا،کما یتّضح من قوله سبحانه وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَکْتُبُوهُ صَغِیراً أَوْ کَبِیراً .

۵-علی أحد الطرفین أن یملی تفاصیل العقد علی الکاتب.و لکن أیّ الطرفین؟تقول الآیه:المدین الذی علیه الحق: وَ لْیُمْلِلِ الَّذِی عَلَیْهِ الْحَقُّ .

من المتّفق علیه أنّ التوقیع المهمّ فی العقد هو توقیع المدین،و لذلک فإنّ العقد الذی یکتب بإملائه یعتبر مستمسکا لا یمکنه إنکاره (۱) .

۶-علی المدین عند الإملاء أن یضع اللّه نصب عینیه،فلا یترک شیئا إلاّ قاله لیکتبه الکاتب وَ لْیَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَ لا یَبْخَسْ مِنْهُ شَیْئاً .

۷-إذا کان المدین واحدا ممّن تنطبق علیه صفه«السفیه»،و هو الخفیف العقل الذی یعجز عن إداره أمواله و لا یمیّز بین ضرره و منفعته،أو«الضعیف»القاصر فی

۱- ۱) -«و لیملل»من ماده«مله»بمعنی الدین و الأحکام الإلهیه و قال بعض أنها من ماده«ملال»و بما أن فی الملاء هناک تکرار مملل أطلقت هذه الکلمه علیه(تاره بصوره إملاء و اخری بصوره املال).

فكره و الضعيف في عقله المجنون،أو«الأبكم و الأصم»الذی لا يقدر علی النطق، فإنّ لولیّه أن يملی العقد فيكتب الكاتب بموجب إملائه فَإِنْ كٰانَ الَّذِی عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاٰ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ .

٨-علی«الولی»فی الإملاء و الاعتراف بالدّين،أن يلتزم العدل و أن يحافظ علی مصلحه موكّله،و أن يتجنّب الابتعاد عن الحقّ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ .

٩-بالإضافه إلی كتابه العقد،علی الطرفين أن يستشهدا بشاهدين وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ (١) .

١٠ و ١١-يجب أن يكون الشاهدان بالغين و مسلمين و هذا يستفاد من عباره مِنْ رِجٰالِكُمْ أی ممّن هم علی دينكم.

١٢-يجوز اختيار شاهدتين من النساء و شاهد من الرجال فَإِنْ لَمْ يَكُونٰا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتٰانِ .

١٣-لا بدّ أن يكون الشاهدان موضع ثقه مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدٰاءِ .يتبيّن من هذه الآيه أنّ الشهود يجب أن يكونوا ممّن يطمأنّ إليهم من جميع الوجوه، و هذه هی«العداله»التی وردت فی الأخبار أيضا.

١۴-و إذا كان الشاهدان من الرجال،فلكلّ منهما أن يشهد منفردا.أمّا إذا كانوا رجلا واحدا و امرأتين،فعلی المرأتين أن تدليا بشهادتهما معا لكی تذكّر إحداهما الاخری إذا نسيت شيئا أو أخطأت فيه.

أمّا سبب اعتبار شهاده امرأتين تعدل شهاده رجل واحد،فهو لأنّ المرأه كائن عاطفی و قد تقع تحت مؤثّرات خارجيه،لذلك فوجود امرأه أخری معها يحول بينها و بين التأثير العاطفی و غيره: أَنْ تَضِلَّ إِحْدٰاهُمٰا فَتُذَكِّرَ إِحْدٰاهُمَا الْأُخْریٰ .

١- ١) -قال بعض ان التفاوت بين«شاهد»و«شهيد»هو أن الشاهد يقال لمن حضر الواقعه حتّی يمكنه أن يشهد عليها و الشهيد هو الذی يؤدی الشهاده.

۱۵-و یجب علی الشهود إذا دعوا إلی الشهاده أن یحضروا من غیر تأخیر و لا عذر کما قال: وَ لاٰ یَأْبَ الشُّهَدٰاءُ إِذٰا مٰا دُعُوا .

و هذا من أهم الأحکام الإسلامیه و لا یقوم القسط و العدل إلاّ به.

۱۶-تجب کتابه الدین سواء أ کان الدین صغیرا أو کبیرا،لأنّ الإسلام یرید أن لا یقع أیّ نزاع فی الشؤون التجاریه،حتّی فی العقود الصغیره التی قد تجرّ إلی مشاکل کبیره وَ لاٰ تَسْئَمُوا أَنْ تَکْتُبُوهُ صَغِیراً أَوْ کَبِیراً إِلیٰ أَجَلِهِ (۱) و السأم هو الملل من أمر لکثره لبثه.

و تشیر الآیه هنا إلی فلسفه هذه الأحکام،فتقول إنّ الدقّه فی تنظیم العقود و المستندات تضمن من جهه تحقیق العداله،کما أنّها تطمئن الشهود من جهه أخری عند أداء الشهاده،و تحول من جهه ثالثه دون ظهور سوء الظنّ بین أفراد المجتمع ذٰلِکُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهٰادَهِ وَ أَدْنیٰ أَلاّ تَرْتٰابُوا .

۱۷-إذا کان التعاقد نقدا فلا ضروره للکتابه إِلاّ أَنْ تَکُونَ تِجٰارَهً حٰاضِرَهً تُدِیرُونَهٰا بَیْنَکُمْ فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُنٰاحٌ أَلاّ تَکْتُبُوهٰا .

«التجاره الحاضره»تعنی التعامل النقدی،و«تدیرونها»تعنی الجاریه فی التداول لتوضیح معنی التجاره الحاضره.و تعبیر فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُنٰاحٌ یعنی:لیس هناک ما یمنع من کتابه العقود النقدیه أیضا،و هو خیر،لأنّه یزیل کلّ خطأ أو اعتراض محتملین فیما بعد.

۱۸-فی المعاملات النقدیه و إن لم تحتج إلی کتابه عقد،لا بدّ من شهود:

وَ أَشْهِدُوا إِذٰا تَبٰایَعْتُمْ

.

---

۱ – ۱) -تقدیم«الصغیر»علی«الکبیر»من أجل أن الناس عاده یهملون المعاملات الصغیره أو لا یلتزمون بکتابتها و هذا یؤدی إلی التنازع أو أنه یحتمل أن الناس یظنون أن کتابه المعاملات الصغیره دلیل علی البخل،و لذلک تعرض القرآن لنفیه.

١٩-و آخر حكم تـذكره الآيه هو أنّه ينبغى ألّا يصـيب كاتب العقـد و لا الشـهود أىّ ضـرر بسـبب تأييـدهم الحقّ و العداله: وَ لاٰ يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لاٰ شَهِيدٌ .

و الفعـل«يضـارّ»يعنى-كما فسّرناه-أن لا يصـيب الكتاب و الشـهود ضـرر،أى أنّه مجهول.و لا حاجه إلى تفسـيره بأنّه يعنى أن لا يصـدر من الكاتب و الشـهود ضـرر فى الكتابه و الشـهاده،بعباره أخرى لا حاجه إلى اعتباره فعلا معلوما،لأنّ هذا التأكيد ورد فى فقره سابقه من الآيه.

ثمّ تقول الآـيه إنّه إذا آذى أحـد شاهـدا أو كاتبا لقوله الحق فهو إثم و فسوق يخرج المرء من مسـيره العباده للّه: وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ .

و فى الختام،و بعـد كلّ تلك الأحكام،تـدعو الآيه الناس إلى التقوى و امتثال أمر اللّه: وَ اتَّقُوا اللّٰهَ ثمّ تقول إنّ اللّه يعلّمكم كلّ ما تحتـاجون فى حياتكم الماديّه و المعنويه: وَ يُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ و هو يعلم كلّ مصالـح الناس و مفاسـدهم و يقرّر ما هو الصالـح لهم: وَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

بحوث

١-إنّ الأحكام الـدقيقه المـذكوره فى هـذه الآيه لتنظيم الأسـناد و المعاملات و ذكر الجزئيات أيضا فى جميع المراحل فى أطول آيه من القرآن الكريم يبيّن الاهتمام الكبير الذى يليه القرآن الكريم بالنسـبه للأمور الاقتصاديه بين المسـلمين و تنظيمها،و خاصّه مع الالتفات إلى أنّ هذا الكتاب قد نزل فى مجتمع متخلّف إلى درجه أنّ القراءه و الكتابه كانتا سـلعه نادره جدّا،و حتّى أنّ النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و هو صاحب القرآن لم يكن قد درس شيئا و لم يذهب إلى مدرسه أو مكتب،و هذا بنفسه

دلیل علی عظمه القرآن من جهه،و أهمیّه النظام الاقتصادی للمسلمین من جهه اخری.

یقول(علی بن إبراهیم)فی تفسیره المعروف:جاء فی الخبر أنّ فی سوره البقره خمسمائه حکم إسلامی و فی هذه الآیه ورد خمسه عشر حکما (۱) .

و کما رأینا أنّ عدد أحکام هذه الآیه یصل إلی تسعه عشر حکما،بل أنّنا إذا أخذنا بنظر الاعتبار الأحکام الضمنیّه لها فسیکون عدد الأحکام أکثر إلی حدّ أنّ الفاضل المقداد استفاد منها فی کتابه(کنز العرفان)واحدا و عشرین حکما بالإضافه إلی الفروع المتعدّده الاخری،فعلی هذا یکون قوله بأنّ عدد أحکام هذه الآیه خمسه عشر حکما إنّما هو بسبب إدغام بعض أحکام هذه الآیه بالبعض الآخر.

۲-إنّ جمله وَ اتَّقُوا اللّٰهَ و جمله وَ یُعَلِّمُکُمُ اللّٰهُ رغم أنّها ذکرتا فی الآیه بصوره مستقلّه و قد عطفت إحداهما علی الاخری،و لکنّ اقترانهما معا إشاره إلی الارتباط الوثیق بینهما،و مفهوم ذلک هو أنّ التقوی و الورع و خشیه اللّه لها أثر عمیق فی معرفه الإنسان و زیاده علمه و اطّلاعه.

أجل عند ما یتطّهر قلب الإنسان من الشوائب بوسیله التقوی فسیغدوا کالمرآه الصافیه تعکس الحقائق الإلهیّه،و هذا المعنی لا شکّ فیه و لا إشکال من جانبه المنطقی،لأنّ الصفات الخبیثه و الأعمال الذمیمه تشکّل حجبا علی فکر الإنسان و لا تدعه یری وجه الحقیقه کما هی علیه،و عند ما یقوم الإنسان بإزاحه هذه الحجب بوسیله التقوی فإنّ وجه الحقّ سیظهر و یتجلّی.

و لکنّ بعض الصوفیین الجهلاء أساؤوا الاستفاده من هذا المعنی و جعلوه دلیلا علی ترک تحصیل العلوم الرسمیّه فی حین أنّ هذا الکلام یخالف الکثیر من آیات

۱- ۱) -تفسیر القمی:ج ۱ ص ۹۴.

القرآن و الروايات الإسلاميه الشريفه.

و الحقّ أنّ بعض العلوم يجب اكتسابها عن طريق العلم و التعلّم بالشكل السائد و المتعارف،و قسم آخر من العلوم الإلهيّه لا تتحصّل للإنسان إلاّ بوسيله تزكيه القلب و تصفيه الباطن بماء المعرفه و التقوى،و هذا هو النور الذى ورد فى الروايات أنّ اللّه يقذفه فى قلب من يليق بهذه الكرامه

«العلم نور يقذفه اللّه فى قلب من يشاء».

ص :۳۵۸

الآيه [سوره البقره (٢): آيه ٢٨٣]

اشاره

وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلىٰ سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كٰاتِباً فَرِهٰانٌ مَقْبُوضَهٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ اَلَّذِى اُؤْتُمِنَ أَمٰانَتَهُ وَ لْيَتَّقِ اَللّٰهَ رَبَّهُ وَ لاٰ تَكْتُمُوا اَلشَّهٰادَهَ وَ مَنْ يَكْتُمْهٰا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)

التّفسير

هذه الآيه تكمل البحث فى الآيه السابقه و تشتمل على احكام اخرى:

١-عند التعامل إذا لم يكن هناك من يكتب لكم عقودكم،كأن يقع ذلك فى سفر،عندئذ على المدين أن يضع شيئا عند الدائن باسم الرهن لكى يطمئن الدائن وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلىٰ سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كٰاتِباً فَرِهٰانٌ مَقْبُوضَهٌ .

قد يبدو من ظاهر الآيه لأول وهله أنّ تشريع«قانون الرهن»يختصّ بالسفر، و لكن بالنظر إلى الجمله التاليه و هى وَ لَمْ تَجِدُوا كٰاتِباً يتبيّن أنّ القصد هو بيان نموذج لحاله لا يمكن الوصول فيها إلى كاتب،و عليه فللطرفين أن يكتفيا بالرهن حتّى فى موطنهما.و كذلك وردت الأحاديث عن أهل البيت عليهم السّلام.و فى المصادر

الشيعه و السنّيه أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم رهن درعه فى المدينه عند شخص غير مسلم و اقترض منه مبلغا من المال (۱) .

۲-يجب أن يبقى الرهن عند الدائن حتّى يطمئن فَرِهٰانٌ مَقْبُوضَهٌ .

جاء فى تفسير العيّاشى أنّ الإمام الصادق عليه السّلام قال: «لا رهن إلّا مقبوضه» (۲) .

۳-جميع هذه الأحكام-من كتابه العقد،و استشهاد الشهود،و أخذ الرهن- تكون فى حاله عدم وجود ثقه تامّه بين الجانبين،و إلّا فلا حاجه إلى كتابه عقد، و على المدين أن يحترم ثقه الدائن به،فيسدّد دينه فى الوقت المعيّن،و أن لا ينسى تقوى اللّه فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمٰانَتَهُ وَ لْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ .

۴-على الذين لهم علم بما للآخرين من حقوق فى المعاملات أو فى غيرها، إذا دعوا للإدلاء بشهادتهم أن لا يكتموها،لأنّ كتمان الشهاده من الذنوب الكبيره وَ لاٰ تَكْتُمُوا الشَّهٰادَهَ وَ مَنْ يَكْتُمْهٰا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ .

طبيعىّ أنّ الشهاده تجب علينا إذا لم يستطع الآخرون إثبات الحقّ بشهادتهم، أمّا إذا ثبت الحقّ فيسقط وجوب الإدلاء بالشهاده عن الآخرين،أى أنّ أداء الشهاده واجب كفائى.

و بما أنّ كتمان الشهاده و الامتناع عن الإدلاء بها يكون من أعمال القلب،فقد نسب هذا الإثم إلى القلب (۳) ،فقال: فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ و مرّه اخرى يؤكّد فى ختام الآيه ضروره ملاحظه الأمانه و حقوق الآخرين: وَ اللّهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ .

۱- ۱) -تفسير أبو الفتوح الرازى:ج ۲ ص ۴۲۰،و تفسير المراغى ذيل الآيه المبحوثه.

۲- ۲) -نور الثقلين:ج ۱ ص ۳۰۱.

۳- ۳) -لتوضيح معنى القلب انظر الجزء الأوّل ص ۷۲.(المراد من القلب فى القرآن هو الروح و العقل).

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۸۴]

اشاره

لِلّهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحٰاسِبْکُمْ بِهِ اَللّٰهُ فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۸۴)

التّفسیر

اشاره

مالک کلّ شیء:

هـذه فی الحقیقه تکمله للجمله الأـخیره فی الآـیه السـابقه و تقول: لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ و لهـذا السـبب فهو یعلم جمیع أفعال الإنسان الظاهریّه منها و الباطنیّه وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحٰاسِبْکُمْ بِهِ اللّٰهُ .

یعنی لاـ ینبغی لکم أن تتصوروا أعمـالکم البـاطنیّه مثـل کتمـان الشـهاده و الـذنوب القلبیّه الاـخری سوف تخفی علی اللّه تعالی الحـاکم علی الکون بـأجمعه و المالـک للسـموات و الأرض،فإنّه لا یخفی علیه شـیء،فلا عجب إذا قیل أنّ اللّه تعالی یحاسـبکم علی ذنوبکم القلبیّه و یجازیکم علیها فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ .

و یحتمل أیضا أنّ الآیه أعلاه تشیر إلی جمیع الأحکام المذکوره فی الآیات

ص: ۳۶۱

السابقه من قبيل الإنفاق الخالص و الإنفاق المشوب بالرياء أو المنّه و الأذى و كذلك الصلاه و الصوم و سائر الأحكام الشرعيّه و العقائد القلبيّه.

فى ختام الآيه تقول: وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فهو عالم بكل شيء يجرى فى هذا العالم،و قادر أيضا على تشخيص اللّياقات و الملكات،و قادر أيضا على مجازات المتخلّفين.

ملاحظتان

١-قد يتصوّر أنّ هذه الآيه مخالفه للأحاديث الكثيره التى تؤكّد على النيّه المجرّده،و لكنّ الجواب واضح،حيث إنّ تلك الأحاديث تتعلق بالذنوب التى لها تطبيقات خارجيّه و عمليّه بحيث تكون النيّه مقدّمه لها من قبيل الظلم و الكذب و غصب حقوق الآخرين و أمثال ذلك،لا من قبيل الذنوب التى لها جنبه نفسيّه ذاتا و تعتبر من الأعمال القلبيّه مثل(الشرك و الرياء و كتمان الشهاده).

و هناك تفسير آخر لهذه الآيه،و هو أنّه يمكن أن يكون لعمل واحد صور مختلفه،مثلا الإنفاق تاره يكون فى سبيل اللّه،و اخرى يكون للرياء و طلب الشهره،فالآيه تقول:أنّكم إذا أعلنتم نيّتكم أو أخفيتموها فإنّ اللّه تعالى أعلم بها و سيجازيكم عليها،فهى فى الحقيقه إشاره إلى مضمون

الحديث الشريف «لا عمل إلاّ بنيّه»

(١)

.

٢-من الواضح أنّ قوله تعالى فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ أنّ إرادته لا تكون بدون دليل،بل أنّ عفوه أيضا يرتكز على دليل و مبرّر،و هو لياقه الشخص للعفو الإلهى،و هكذا فى عقابه و عدم عفوه.

١- ١) -وسائل الشيعه:ج ١ ص ٣٣.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۸۵]

اشاره

آمَنَ اَلرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَ إِلَيْكَ اَلْمَصِيرُ (۲۸۵)

التّفسیر

اشاره

علائم الإیمان و طریقه:

لقد شرعت سوره البقره ببیان بعض المعارف الإسلامیه و الاعتقادات الحقّه و اختتمت بهذه المواضیع أیضا کما فی الآیه أعلاه و الآیه التی بعدها،و بهذا تکون بدایتها و نهایتها متوافقه و منسجمه.

و قد ذکر بعض المفسّرین فی سبب نزول هذه الآیه أنّه حین نزلت الآیه السابقه و أنّ اللّه تعالی یعلم ما فی أنفسکم و یحاسبکم بما أظهرتم و أخفیتم فی قلوبکم،خاف بعض الصحابه و قالوا:لیس أحد منّا إلاّ و فی قلبه خطرات و وساوس شیطانیّه،فعرضوا الأمر علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم فنزلت الآیه أعلاه،و بیّنت طریق الحقّ و الإیمان،و منهج التضرّع و المناجاه و التسلیم لأوامر اللّه تعالی (۱) .

ص :۳۶۳

۱- ۱) -اقتباس من(البحر المحیط):ج ۲ ص ۳۶۳.

فی البدایه تقول آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مِنْ رَبِّهِ فهذا المعنی و هذه الخصیصه تعتبر من امتیازات الأنبیاء الإلهیین جمیعا بأنّهم مؤمنون بما جاءوا به إیمانا قاطعا،فلا شکّ و لا شبهه فی قلوبهم عن معتقداتهم،فقد آمنوا بها قبل الآخرین و استقاموا و صبروا علیها قبل الآخرین.

و نقرأ فی الآیه ۱۵۸ من سوره الأعراف أنّ هذه الخصیصه تعتبر من صفات الرسول الأکرم و من امتیازاته حیث تقول: فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِیِّ الْأُمِّیِّ الَّذِی یُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ کَلِماتِهِ .

ثمّ تضیف الآیه الکریمه: وَ الْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ کُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ (۱) و هذه الجمله الأخیره من کلام المؤمنین أنفسهم، حیث یؤمنون بجمیع الأنبیاء و المرسلین و شرائعهم بخلاف البعض من الناس الذین تقول عنهم الآیه ۱۵۰ من سوره النساء وَ یُرِیدُونَ أَنْ یُفَرِّقُوا بَیْنَ اللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ یَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَکْفُرُ بِبَعْضٍ (۲) .

المؤمنون لا یرون تفاوتا بین رسل اللّٰه من جهه أنّهم مرسلون من قبل اللّٰه تعالی،و یحترمونهم و یقدّسونهم جمیعا.و معلوم أنّ هذا الموضوع لا ینافی مقوله نسخ الشرائع السابقه بواسطه الشریعه البعدیّه،لأنّه کما سبقت الإشاره إلیه أنّ تعلیمات الأنبیاء و شرائعهم من قبیل المراحل الدراسیّه المختلفه من الابتدائیه و المتوسطه و الاعدادیه و الجامعه،فبالرغم من أنّها تشترک جمیعا فی الأصول و المبادئ الأساسیّه،إلاّ أنّها تختلف فی السطوح و التطبیقات المختلفه،فعند ما یرتقی الإنسان إلی مرحله أسمی فإنّه یترک البرامج المعدّه للمرحله السابقه و یأخذ

۱- ۱) -جمله«و المؤمنون»یمکن أن تکون جمله مستأنفه کما ذکر فی التفسیر أعلاه و یمکن أن تکون معطوفه علی(الرسول)و لا یختلف المعنی کثیرا و إن کان المعنی الأول أنسب.

۲- ۲) -النساء:۱۵۰.

بالبرامج المعدّه لهذه المرحله،و مع ذلک یبقی احترامه و تقدیسه للمرحله السابقه فی محلّه.

ثمّ تضیف الآیه أنّ المؤمنین مضافا إلی إیمانهم الراسخ و الجامع فإنّهم فی مقام العمل أیضا کذلک وَ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَکَ رَبَّنا وَ إِلَیْکَ الْمَصِیرُ .

(سمعنا)وردت فی بعض الموارد بمعنی فهمنا و صدّقنا من قبیل هذه الآیه،أی أنّنا قبلنا دعوه أنبیائک بجمیع وجودنا و علی استعداد تام للإطاعه و الإتّباع.

و لکن یا إلهنا و ربّنا نحن بشر و قد تتسلط علینا الغرائز و الأهواء و تجرّنا إلی المعصیه أحیانا،و لهذا ننتظر عفوک و نتوقع منک المغفره لأنّ مصیرنا إلیک (۱) .

و بهذا یتناغم الإیمان بالمبدأ و المعاد مع الالتزام العملی بجمیع الأحکام الشرعیّه و الدساتیر الإلهیّه.

۱- ۱) -ذهب کثیر من المفسّرین إلی أن فی الجمله الأخیره فعل محذوف و تقدیره(نسألک)أو(نرید غفرانک).

الآيه [سوره البقره (۲): آیه ۲۸۶]

اشاره

لا يُكَلِّفُ اَللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اِكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَ اُعْفُ عَنّا وَ اِغْفِرْ لَنا وَ اِرْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْكافِرِينَ (۲۸۶)

التّفسير

اشاره

عدّه حاجات مهمّه:

كما تقدّم فى تفسير الآيه السابقه أنّ هاتين الآيتين تتعلّقان بالأشخاص الّذين استوحشوا من تعبير الآيه السابقه فى أنّ اللّه تعالى مطّلع على نيّاتهم و سيحاسبهم و يجازيهم عليها فقالوا:لا أحد منّا يصفو قلبه عن الوسوسه و الخاطرات القلبيّه.

فالآيه الحاضره تقول: لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها .

(الوسع)لغه تعنى القدره و الإستيعاب،و عليه فإنّ الآيه تؤيّد الحقيقه المنطقيّه القائله أنّ التكاليف و الفرائض الإلهيّه لا تتجاوز طاقه الأفراد و ميزان تحمّلهم

ص:۳۶۶

إطلاقا،لذلک یمکن القول بأنّ کلّ الأحکام یمکن تقییدها و تفسیرها بهذه الآیه حیث تتحدّد فی إطار قدره الإنسان،و من البدیهی أنّ المشرّع الحکیم و العادل لا یمکن أن یضع قانونا علی نحو آخر.

کما أنّ الآیه تؤکّد أنّ الأحکام الشرعیّه لا تنفصل أبدا عن أحکام العقل و الحکمه،بل هی متواکبه معها فی کلّ المراحل.

ثمّ تضیف الآیه لَهٰا مٰا کَسَبَتْ وَ عَلَیْهٰا مَا اکْتَسَبَتْ .

أجل فإنّ کلّ شخص یحصد ما جنته یداه حسنا کان أم سیئا،و سیواجه فی هذا العالم أو فی العالم الآخر نتائج و عواقب هذه الأعمال،فالآیه تنبّه الناس إلی مسئولیاتهم و عواقب أعمالهم،أو تفنّد الأساطیر التی تبرئ بعض الناس من عواقب أعمالهم،أو تجعلهم مسئولین عن أعمال الآخرین دون دلیل.

و تجدر الإشاره إلی أنّ الآیه تطلق علی الأعمال الصالحه اسم«الکسب» و علی الأعمال السیّئه اسم«الاکتساب».و لعلّ السبب هو أنّ«الکسب»یستعمل بالنسبه إلی الأمور التی یحقّقها المرء برغبه داخلیه و بلا تکلیف و هی تناسب فطرته،بینما«الاکتساب»هو النقطه المقابله للکسب،أی الأعمال التی تنافی الفطره و طبیعه الإنسان.یفهم من هذا أنّ الأعمال الصالحه مطابقه لمسیره الفطره و طبیعه الإنسان،بینما أعمال الشرّ تخالف الفطره و الطبیعه.

أمّا الراغب الإصفهانی فی«مفرداته»فیری رأیا غیر هذا و جدیر بالملاحظه یقول:الکسب ما یتحرّاه الإنسان ممّا فیه اجتلاب نفع و تحصیل حظّ ککسب المال،و یقال فیما أخذه لنفسه و لغیره(کأعمال الخیر التی لا تقتصر فائدتها علی الفاعل وحده،بل قد تعمّ الأقارب و غیرهم)فی حین أنّ الاکتساب لا یقال إلاّ فیما تعود نتائجه علی الفاعل نفسه،و هو الذنب.هذه الاختلافات فی المعنی تصلح طبعا عند ما تستعمل الواحده فی قبال الاخری.

ص :۳۶۷

رَبَّنا لاٰ تُؤٰاخِذْنٰا إِنْ نَسِينٰا أَوْ أَخْطَأْنٰا

.

لمّا كان المؤمنون يعرفون أنّ مصيرهم يتحدّد بما كسبت أيديهم من أعمال صالحه أو سيئه بموجب قانون«لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت»لذلك يتضرّعون و يخاطبون اللّه بلفظ«الرب»الذى يوحى بمعانى اللطف فى النشأه و التربيه قائلين:إذا كنّا قد أذنبنا بسبب النسيان أو الخطأ،فاغفر لنا ذنوبنا برحمتك الواسعه و جنّبنا العقاب.

العقاب على النسيان و الخطأ:

لماذا الدعاء لأن يغفر اللّه الذنوب المرتكبه نسيانا أو خطأ؟ فهل اللّه يعاقب على مثل هذه الذنوب؟ فى الجواب لا بدّ من القول بأنّ النسيان يكون أحيانا من باب التماهل و التساهل من جانب الإنسان نفسه.بديهىّ أنّ هذا النوع من النسيان لا يضع المسؤوليه عن الإنسان،كما جاء فى القرآن.

فَذُوقُوا بِمٰا نَسِيتُمْ لِقٰاءَ يَوْمِكُمْ هٰذٰا

(۱)

و عليه فإنّ النسيان الناشئ عن التساهل يوجب العقاب.

ثمّ لا بدّ من ملاحظه أنّ هناك فرقا بين النسيان و الخطأ.فالخطأ يقال عاده فى الأمور التى تقع لغفله من الإنسان و عدم انتباه منه،كأن يطلق رصاصه ليصيد صيدا فتصيب رصاصته إنسانا فتجرحه.أمّا النسيان فهو أن يتّجه الإنسان للقيام بعمل ما و لكنّه ينسى كيف يقوم بذلك،كأن يعاقب المرء إنسانا برئيا ظنّا منه أنّه المذنب، لنسيانه مميّزات المذنب الحقيقى.

۱- ۱) -السجده:۱۴.

رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا

.

«الإصر»عقد الشیء و حبسه.و تطلق علی الحمل الثقیل الذی یمنع المرء من الحرکه.و کذلک العهد المؤکّد الذی یقیّد الإنسان.و لهذا تطلق هذه الکلمه علی العقاب أیضا.

و فی هذا المقطع من الآیه یطلب المؤمنون من اللّه تعالی طلبین:الأوّل أن یرفع عنهم الفروض الثقیله التی قد تمنع الإنسان من إطاعه اللّه،و هذا هو ما

ورد علی لسان النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم بشأن التعالیم الإسلامیه،إذ قال«بعثت بالشریعه السهله السمحه»

(۱)

.

هنا قد یسأل سائل:إذا کانت السهوله و السماحه فی الدین جیّده،فلما ذا لم یکن للأقوام السابقه مثلها؟ فی الجواب نقول:تفید آیات فی القرآن أنّ التکالیف الشاقّه لم تکن موجوده فی أصل شرائع الأدیان السابقه،بل فرضت کعقوبات علی أثر عصیان تلک الأقوام و عدم إطاعتها،کحرمان بنی إسرائیل من أکل بعض اللحوم المحلّله بسبب عصیانهم المتکرّر (۲) .

و فی الطلب الثانی یریدون منه أن یعفیهم من الامتحانات الصعبه و العقوبات التی لا تطاق وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ .و نری فی الفقره السابقه صیغه لا تَحْمِلْ ،و هنا نری عباره لا تَحْمِلْ ،فالأولی تستعمل عاده فی الأمور الصعبه،و الثانیه فیما لا یطاق.

فاعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا.

«عفا»بمعنی أزال آثار الشیء،و أکثر استعمالها مع الذنب بمعنی محو آثار

۱- ۱) -بحار الأنوار:ج ۶۵ ص ۳۱۹ ط بیروت،و ورد مثله فی فروع الکافی:ج ۵ ص ۴۹۴ باب کراهه الرهبانیه.

۲- ۲) -الأنعام:۱۴۶،النساء:۱۶۰.

الإثم،و تشمل الآثار الطبيعيه و الآثار الجزائيه و العقوبات.

أمّا«الغفران»فتعنى أن يصون اللّه العبد من أن يمسّه العذاب عقوبه على ذنبه.

و عليه،فإنّ استعمال الكلمتين يفيد أنّ المؤمنين طلبوا من اللّه أن يزيل الآثار التكوينيه و الطبيعيه لزللهم عن أرواحهم و نفوسهم،لكى لا تصيبهم عواقبها السيّئه.

كما أنّهم طلبوا منه أن لا يقعوا تحت طائله عقابها.و فى المرحله الثالثه يطلبون «رحمته الواسعه»التى تشمل كلّ شىء.

أَنْتَ مَوْلاٰنٰا فَانْصُرْنٰا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰافِرِينَ

.

و فى آخر دعواهم يخاطبون اللّه على أنّه مولاهم الذى يتعهّدهم بالرعايه و التربيه و يطلبون منه أنّ يمنحهم الفوز و الإنتصار على الأعداء.

فى هاتين الآيتين خلاصه لسوره البقره كلّها،و هما تهديانا إلى روح التسليم أمام ربّ العالمين،و تشيران إلى أن المؤمنين إذا أرادوا من اللّه أن يغفر لهم زلاّتهم و أن ينصرهم على الأعداء كافّه،فلا بدّ لهم أن ينفذوا برنامج«سمعنا و أطعنا»أن يقولوا:إنّنا سمعنا دعوات الداعين و قبلناها بكلّ جوارحنا و إنّنا متّبعوها،و لن ندخّر وسعا فى حثّ السير على هذا السبيل.و عندئذ لهم أن يطلبوا الإنتصار على الموانع و الأعداء.

إنّ تكرار كلمه«ربّ»أى الذى يلطف بعباده و يربّيهم يكمل هذه الحقيقه.

و لهذا حثّنا أئمه الدين فى أحاديثهم على قراءه هاتين الآيتين،و بيّنوا ما فيهما من أبواب الثواب.فإذا تناغم اللسان و القلب فى تلاوتهما و لم تكن التلاوه مجرّد ألفاظ تجرى على اللسان،تغدو حينئذ برنامجا حياتيا،فإنّ تلاوتهما تربط بين القلب و خالق الكون،و تضفى الصفاء على الروح و تكون عاملا على التحرّك و النشاط.

يستفاد جيّدا من هذه الآيه أنّ(التكليف بما لا يطاق)لا يوجد فى الشريعه المقدّسه، لا فى الإسلام و لا فى الأديان الاخرى،و الأصل هو حريّه الإنسان

و إرادته لأنّ الآيه تقول:أنّ كلّ إنسان يلاقى جزاء أعماله الحسنه و السيئه،فما عمله من حسنات فسيعود إليه،و ما ارتكبه من سيئات فعليه،و من هذا المنطلق يكون طلب العفو و المغفره و الصفح.

و هذا المعنى يتطابق تماما مع منطق العقل و مسأله الحسن و القبح،لأنّ اللّه تعالى حكيم و لا يمكن أن يكلّف العباد بما لا طاقه لهم به،و هذا بنفسه دليل على نفى مسأله الجبر،فكيف يحتمل أنّ اللّه تعالى يجبر العباد على ارتكاب الذنب و الإثم و فى نفس الوقت ينهاهم عنه؟! و لكنّ التكاليف الشاقّه و الصعبه ليست بالأمر المحال كما قرأنا عن تكاليف بنى إسرائيل الشاقّه،و هذه التكاليف أيضا ناشئه من أعمالهم و عباره عن عقوبه لما ارتكبوه من آثام.

ص :٣٧١

سوره آل عمران

اشاره

مدنیه و عدد آیاتها مائتین آیه

ص :۳۷۳

فضیله تلاوه هذه السوره:

ورد فی الحدیث الشریف عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم قوله: «من قرأ سوره آل عمران أعطی بکلّ آیه منها أمانا علی جسر جهنم»

(۱)

.

و نقرأ

فی حدیث آخر عن الإمام الصادق علیه السّلام قوله: «من قرأ البقره و آل عمران جاء یوم القیامه یظلاّنه علی رأسه مثل الغمامتین»

(۲)

.

محتوی السوره:

ذهب بعض المفسّرین المعروفین أنّ هذه السوره نزلت بین السنه الثانیه و الثالثه للهجره أی بین غزوه بدر و احد فهی تعکس فی طیّاتها فتره من أشد الفترات حساسیّه فی صدر الإسلام (۳) .

و علی کلّ حال،فإنّ المحاور الأصلیه فی أبحاث هذه السوره عباره عن:

۱-إنّ قسما مهمّا من هذه السوره یرتبط بمسأله التوحید و صفات اللّه و المعاد و المعارف الإسلامیه الاخری.

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ ص ۴۰۵.

۲- ۲) -نور الثقلین:ج ۱ ص ۳۰۹.

۳ - ۳) -تشیر الآیه(۱۳)إلی«غزوه بدر»و من آیه(۱۲۱)إلی(۱۲۸)تشیر إلی غزوه بدر و احد،ثمّ تعقب فی الآیات(۱۳۹)إلی(۱۴۴)إلی نفس المسأله و کذلک الآیات الاخری.

۲-و قسم آخر منها يتعلّق بمسأله الجهاد و أحكامه المهمّه و الدقيقه،و كذلك الدروس المستفاده من غزوتى بدر و أحد، و بيان الإمداد الإلهى للمؤمنين،و الحياه الخالده الأخرويّه للشهداء فى سبيل اللّه.

۳-و فى قسم من هذه السوره يدور الحديث حول سلسله من الأحكام الإسلاميه فى ضروره وحده صفوف المسلمين و فريضه الحجّ و بيت اللّه الحرام و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و التولّى و التبرّى و مسأله الأمانه و الإنفاق فى سبيل اللّه و ترک الكذب و ضروره الاستقامه و الصبر فى مقابل الأعداء و المشكلات و الامتحانات الإلهيّه المختلفه و ذكر اللّه على كلّ حال.

۴-و تطرّقت هذه السوره إلى تكمله للأبحاث التى تتحدّث عن تاريخ الأنبياء عليهم السّلام و منهم آدم و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و سائر الأنبياء و قصّه مريم و كرامتها و منزلتها عند اللّه،و كذلك المؤامرات التى كان يحوكها أتباع الديانه اليهوديّه و المسيحيّه ضدّ الإسلام و المسلمين.

إنّ مواضيع هذه السوره منسجمه و متناغمه بشكل كأنّها نزلت فى وقت واحد.

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱ الی ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ الم (۱) اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلْحَيُّ اَلْقَيُّومُ (۲) نَزَّلَ عَلَيْكَ اَلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ اَلتَّوْرٰاةَ وَ اَلْإِنْجِيلَ (۳) مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنّٰاسِ وَ أَنْزَلَ اَلْفُرْقٰانَ إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰاتِ اَللّٰهِ لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِيدٌ وَ اَللّٰهُ عَزِيزٌ ذُو اِنْتِقٰامٍ (۴)

سبب النّزول

يقول بعض المفسّرين:إنّ ثمانين آيه و نيفا من هذه السوره قد نزلت فى وفد مسيحيّى نجران (۱) الذى قدم المدينه للتحقيق فى أمر الإسلام.

كان الوفد يتألّف من ستّين شخصا،فيهم أربعه عشر شخصا من أشراف نجران و شخصيّاتها.ثلاثه من هؤلاء الأربعه عشر كانت لهم صفه الرئاسه،و إليهم يرجع المسيحيّون لحلّ مشاكلهم.أحدهم يدعى«عاقب»و يسمّى«عبد المسيح»أيضا،

۱- ۱) -«نجران»منطقه فى جبال اليمن الشماليه على بعد نحو عشره منازل من صنعاء،و تسكنها قبائل همدان التى كان لها فى الجاهليه صنم باسم«يعوق».و يقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان:نجران اسم لعدد من المواضع.

کان زعیم قومه المطاع بینهم.و الثانی یدعی«السیّد»و یسمّونه«أیهم»أیضا،و هو المسؤول عن تنظیم برنامج الرحله و معتمد المسیحیّین.و الثالث«أبو حارثه» و کان عالما و صاحب نفوذ،و بنیت کنائس عدیده باسمه.و حفظ عن ظهر قلب جمیع کتب المسیحیّین الدینیه.

دخل هؤلاء المدینه و هم بملابس قبیله بنی کعب،و جاؤوا إلی مسجد النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم.کان النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم قد انتهی من صلاه العصر مع المسلمین.و أثار هؤلاء انتباه المسلمین بملابسهم اللامعه الملوّنه الزاهیه حتّی قال بعض صحابه النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم:ما رأینا مبعوثین بهذا الجمال! و عند ما وصلوا إلی المسجد کان موعد صلاتهم قد أزف،فقرعوا نواقیسهم بحسب طقوسهم و اتّجهوا نحو الشرق و شرعوا یصلّون،فحاول بعض أصحاب النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم أن یمنعهم،إلاّ أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم طلب من الصحابه أن یترکوهم و شأنهم.

و بعد الصلاه أقبل«عاقب»و«السیّد»علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و بدءا یحادثانه، فدعاهم الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم إلی الدخول فی الإسلام و الاستسلام للّه.

قالا:قد أسلمنا قبلک.

قال:کذبتما یمنعکما من الإسلام دعاؤکما للّه ولدا،و عبادتکما الصلیب، و أکلکما الخنزیر.

قالا:إن لم یکن عیسی ولدا للّه فمن أبوه؟و خاصموه جمیعا فی عیسی.

فقال لهم النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم:ألستم تعلمون أنّه لا یکون ولدا إلاّ و یشبه أباه؟ قالوا:بلی.

قال:ألستم تعلمون أنّ ربّنا حیّ لا یموت،و أن عیسی یأتی علیه الفناء؟ قالوا:بلی.

قال:ألستم تعلمون أنّ ربّنا قیّم علی کلّ شیء و یحفظه و یرزقه؟

قالوا:بلی.

قال:فهل یملک عیسی من ذلک شیئا؟ قالوا:لا.

قال:ألستم تعلمون أنّ اللّه لا یخفی علیه شیء فی الأرض و لا فی السماء؟ قالوا:بلی.

قال:فهل یعلم عیسی من ذلک إلاّ ما علّم؟ قالوا:لا.

قال:فإنّ ربّنا صوّر عیسی فی الرحم کیف شاء و ربّنا لا یأکل و لا یشرب و لا یحدث.

قالوا:بلی.

قال:ألستم تعلمون أنّ عیسی حملته أمّه کما تحمل المرأه،ثمّ وضعته کما تضع المرأه ولدها،ثمّ غذّی کما یغذّی الصبیّ،ثمّ کان یطعم و یشرب و یحدث؟ قالوا:بلی.

قال:فکیف یکون هذا کما زعمتم؟فسکتوا فأنزل اللّه فیهم صدر سوره آل عمران إلی بضع و ثمانین آیه (۱) .

التّفسیر

اشاره

تفسیر الحروف المقطّعه بالعقول الإلکترونیه:

فیما یتعلّق بالحروف المقطّعه فی القرآن،سبق الحدیث عنها فی بدایه سوره البقره،فلا موجب لتکرار ذلک.و ما ینبغی عرضه هنا هو النظریه المثیره التی تقدّم بها مؤخّرا عالم مصری نورد هنا خلاصه لها لأهمیّتها،لا شکّ أنّ الحکم علی صحتها أو بطلانها یستلزم بحوثا دقیقه یقع عبؤها علی الأجیال القادمه.إنّما

۱- ۱) -تفسیر مجمع البیان:ج ۱ ص ۴۰۶.

نوردها كنظريه لا غير (۱) .

مجله«آخر ساعه»المصريه المعروفه نشرت تقريرا عن تحقيقات عجيبه قام بها عالم مصرى مسلم بخصوص تفسير بعض آيات القرآن المجيد بوساطه العقول الإلكترونيه أثارت إعجاب الناس فى مختلف أنحاء العالم.

تلك التحقيقات التى أجراها الدكتور«رشاد خليفه»العالم الكيمياوىّ المصرى خلال ثلاث سنوات متواصله،أثبتت أنّ هذا الكتاب السماوىّ العظيم ليس من نتاج عقل بشرى،و أنّ الإنسان غير قادر على الإتيان بمثله.

أجرى الدكتور رشاد تحقيقاته فى مدينه«سانت لويس»بمقاطعه «ميسورى»الأمريكيه و استخدم فى تحقيقاته العقول الإلكترونيه لفترات طويله مع أنّ أجرتها فى كلّ دقيقه ۱۰ دولارات تبرّع بها المسلمون المقيمون هناك.

كان كلّ جهد الأستاذ المذكور ينصبّ على معرفه معانى الحروف المقطّعه فى القرآن،مثل«ق،الم،يس».لقد استطاع بحسابات معقّده أن يثبت وجود علاقه قويه بين هذين الحروف و السوره التى تقطع فى صدرها(فتأمّل).

لقد استعان بالعقل الإلكترونى لإجراء تلك الحسابات الخاصّه لمعرفه أعداد حروف السور و نسبه وجود كلّ حرف منها،لا لتفسير القرآن.

و لولا هذه الأجهزه ما استطاع أحد أن يجرى تلك الحسابات على الورق.

و الآن نوجز الاكتشافات الذى توصّل إليه العالم المصرى:يقول الدكتور رشاد:نعلم أنّ القرآن يضمّ ۱۱۴ سوره،منها ۸۶ سوره نزلت فى مكّه و ۲۸ سوره فى المدينه،و من بين مجموع سور القرآن ۲۹ سوره تبدأ بحروف مقطعه.

من الجدير بالذكر أنّ مجموع هذه الحروف يبلغ نصف حروف الهجاء العربيه، و هى(أ-ح-ر-س-ص-ط-ع-ق-ك-ل-م-ن-ه-ى)و قد يصفونها بالحروف النيّره.

---

۱ - ۱) -مع الأسف أن هذا العالم الذى يعيش فى أمريكا،وقع تحت تأثير المحيط الفاسد هناك و قد أنكر بصراحه بعض المسائل و الأحكام الإسلاميه المسلمه ما دعا ادعاءات باطله.

يقول الـدكتور:منـذ سـنوات و أنا أحبّ أن أعرف معنى هـذه الحروف التى تبـدو فى الظاهر أنّها مقطّعه و تتصـدّر بعض السور.و على الرغم من رجوعى إلى تفاسـير مشـاهير المفسّـرين فلم أعثر لـديهم على جواب مقنع،فاسـتنعت بـاللّه و اتّكلت عليه و بـدأت بحثى:

خطر لى مرّه أنّه ربمـا تكون هناك علاقه بين هـذه الحروف و حروف كلّ سوره تتصـدّرها.غير أنّ دراسه الحروف النيّره الأربعه عشـر كلّها ضـمن حروف سور القرآن المائه و أربعه عشـر و اسـتخراج نسـبه كلّ حرف و الحسابات الكثيره الأخرى لم تكن من الأـمور التى يمكن إجراؤهـا دون الاسـتعانه بالعقول الإلكترونيه.لـذلك شـرعت أوّلا بتعيين تلك الحروف منفرده فى جميع سور القرآن،ثمّ تعيين مجموع حروف كـلّ سوره،و أعطيتهـا جميعا إلى العقل الإلكترونى مع رقم كلّ سوره (لغرض القيام بالحسابات المعقّده المطلوبه فيما بعد).لقد استغرق هذا العمل مع مقدّماته سنتين من الزمان.

ثمّ عملت على العقل الإلكترونى لإجراء تلك الحسابات مدّه سنه كامله.

كانت النتائج لامعه جدّا،و كشف السـتار لأوّل مرّه فى تاريـخ الإسـلام عن حقائق مذهله أكّدت إعجاز القرآن(إضافه إلى أمور أخرى)من الناحيه الرياضيه و نسبه حروف القرآن.

لقـد أوضـحت لنـا حسابـات العقل الإلكترونى نسـبه وجود كلّ من الحروف الأربعه عشـر فى كلّ سوره من سور القرآن المائه و أربعه عشر.

فمثلاـ بالحسابـات و جـدنا أن نسـبه حرف القـاف،و هـو أحـد الحروف النـورانيه فى القرآن فى سـوره«الفلـق»تحـوز أعلى نسبه(٦/٧٠٠٪)و تحوز المرتبه الأولى بين سور القرآن،طبعا باستثناء سوره«ق».بعدها تأتى سوره«القيامه»التى يبلغ فيها عدد حروف القاف بالنسبه إلى حروف السوره(٣/٩٠٧٪)،ثمّ تأتى سوره «و الشمس»و نسبتها(٣/٩٠٦٪).

و نلاحظ من ذلک أنّ الفرق بين سوره«القيامه»و سوره«و الشمس» يبلغ(۱۰۰/۰٪).

و هکذا استخرجنا هذه النسبه فی ۱۱۴ سوره لهـذا الحرف و لسـائر الحروف النورانيه الأخرى،و بـذلک ظهرت نسـبه مجموعه حروف کلّ سوره إلی کلّ حرف من الحروف النورانيه.

و فيما يلی النتائج المثيره التی توصّل إليها التحقيق:

۱-نسـبه حرف«ق»فی سوره«ق»أکثر من نسـبتها فی أيه سوره أخرى بدون اسـتثناء.أی أنّ الآيات التی نزلت طوال ۲۳ سنه-و هی فتره نزول القرآن، فی ۱۱۳ سوره اسـتعملت فيها القاف بنسـبه أقل،إنّه مثير و مدهش أن يکون إنسان قادر علی مراقبه تعداد کلّ حرف من الحروف التی يستعملها علی مدی ۲۳ سـنه، و فی الوقت نفسه يعرب بکلّ طلاقه و بـدون أی تکلّف عمّا يريد بيانه.لا شکّ أنّ أمرا کهـذا خارج عن نطاق قـدره الإنسان،بل أنّ مجرّد حساب ذلک يتعـذّر علی أعظم العقول الرياضـيه بدون الالتجاء إلی العقل الإلکترونی.

و هذا کلّه يدلّ علی أنّ سور القرآن و آياته ليست وحدها الموضوعه وفق حساب معيّن،بل حتّی حروفه موضوعه بحساب و نظام خاصّ لا يقدر عليه سوی اللّه تعالی.

کذلک دلّت الحسابات علی أنّ حرف«ص»فی سوره«ص»له هذه الخاصـيّه نفسـها،أی نسبه وجوده فی هذه السوره أکثر من نسبه وجوده فی أيه سوره أخری من سوره القرآن.

کما أنّ حرف«ن»فی سوره«ن و القلم»يمتاز بنسبه أعلی من وجوده فی أيه سوره أخری.

الاسـتثناء الوحيـد هو سوره«الحجر»التی فيها نسـبه الحرف«ن»أکثر من سوره«ن و القلم».و لکن ما يلفت هو أنّ سوره«الحجر»تبـدأ بالحروف«الر».

و سنجد أنّ السور التى تبدأ بحروف«الر»يجب أن تعتبر بحكم السوره الواحده.

فإذا فعلنا ذلك نصل إلى النتيجه المطلوبه أى أنّ عدد حرف«ن»فى هذه السور سوف يكون أقلّ مما فى سوره«ن و القلم».

۲-حروف«المص»فى بدايه سوره الأعراف إذا حسبنا حروف الألف و الميم و الصاد فى هذه السوره نجدها أكثر ممّا هى فى أيه سوره أخرى.

كذلك«المر»فى بدايه سوره«الرعد».و«كهيعص»فى بدايه سوره«مريم»، إذا حسبت الأحرف الخمس كان عددها فى هذه السوره أكثر ممّا هى فى السور الأخرى.

و هنا تواجهنا ظاهره جديده،فالحرف الواحد ليس هو وحده الذى يرد بحساب فى السور،بل أنّ مجموعات الأحرف أيضا تأتى هكذا بشكل مدهش.

۳-كان الكلام حتّى الآن يدور على الحروف التى تتصدّر سوره واحده من سوره القرآن،أمّا الحروف التى تتصدّر سورا متكرّره،مثل«الر،ألم»فإنّها تتّخذ شكلا آخر،فالحسابات الإلكترونيه تقول إنّ مجموع هذه الحروف الثلاث،مثلا «أل م»إذا حسبت فى مجموع السور التى تتصدّرها،و تستخرج نسبتها إلى مجموع حروف هذه السور،نجد أنّ هذه النسبه أكبر من نسبه وجودها فى السور الأخرى من القرآن.

هنا أيضا تتّخذ المسأله شكلا مثيرا و هو أنّ حروف كلّ سوره من سور القرآن ليست هى وحدها التى تقع تحت الضبط و الحساب.بل أنّ مجموع حروف السور المتشابهه تقع تحت حساب متشابه أيضا.

و بهذه المناسبه يتّضح أيضا لماذا تبدأ عدّه سور مختلفه بالحروف«الم»أو «الر»و هذا لم يكن من باب المصادفه و الاتّفاق.

يقوم الدكتور رشاد بحسابات أعقد على السور التى تتصدّرها«حم»لا نتطرّق إليها اختصارا.

ص :۳۸۳

و يصل الأستاذ المذكور من خلال دراساته هذه إلى حقائق و استنتاجات أخرى أيضا نوردها للقرّاء الكرام:

١-لا بدّ من الإبقاء على إملاء القرآن الأصلى

يقول الدكتور:إنّ هذه الحسابات تصحّ فى حاله الإبقاء على الإملاء الأصلى فى كتابه القرآن،مثل:اسحق و زكوه و صلوه،فلا نكتبها إسحاق و زكاه و صلاه،و إلّا فإنّ الحسابات تختل.

٢-دليل على عدم تحريف القرآن

هذه التحقيقات تدلّ على أنّ أىّ تحريف-و لو فى كلمه واحده-لم يطرأ على القرآن من حيث الزياده و النقصان، و إلاّ لما ظهرت هذه الحسابات على هذه الصوره.

٣-إشارات عميقه المعنى

فى كثير من السور التى تبدأ بالحروف المقطّعه نلاحظ أنّه بعد الحروف تأتى الإشاره إلى صدق القرآن و عظمته،مثل: الم* ذٰلِكَ الْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ (١) ، و هذه فى نفسه إشاره ظريفه إلى علاقه هذه الحروف بإعجاز القرآن.

نتيجه البحث

نستنتج من هذا البحث أنّ حروف القرآن الكريم الذى نزل على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم على مدى ٢٣ سنه تنتظم فى حساب دقيق،فكلّ حرف من حروف الهجاء له مع مجموع حروف كلّ سوره نسبه رياضيه دقيقه بحيث إنّ الحفاظ على هذا التنظيم و الحساب يتعذّر على البشر بدون العقول الإلكترونيه.

لا شكّ أنّ التحقيقات التى أجرها العالم المذكور ما زالت فى بدايه الطريق و لا تخلو من النقائص.فيجب أن تتظافر جهود الآخرين للتغلّب عليها.

١- ١) -البقره:٢.

فی الآیه الثانیه یقول تعالی: اَللّهُ لاّ إِلّهَ إِلاّ هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ .

سبق أن شرحنا هذه الآیه فی سوره البقره فی الآیه ۲۵۵.

الآـیه التی تلیهـا تخاطب نبی الإسـلام و تقول:إنّ اللّه تعالی قـد أنزل علیک القرآن الـذی فیه دلائل الحقّ و الحقیقه،و هو یتطابق تماما مع مـا جاء به الأنبیاء و الکتب السابقه(التوراه و الإنجیل)التی بشّـرت (۱) به و قـد أنزلها اللّه تعالی أیضا لهدایه البشـر: نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتّابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمّا بَیْنَ یَدَیْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراٰهَ وَ الْإِنْجِیلَ مِنْ قَبْلُ هُدیً لِلنّاسِ .ثمّ تضیف الآیه وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ .

و بعـد إتمـام الحجّه بنزول الآیـات الکریمه من اللّه تعالی و شـهاده الفطره و العقل علی صـدق دعوه الأنبیاء،فلا سبیل للمخالفین سوی العقوبه،و لـذلک تقول الآیه محلّ البحث بعد ذکر حقّانیّه الرسول الأکرم و القرآن المجید: إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِیدٌ .

و من أجل أن لا یتوهّم أحد أو یشک فی قدره اللّه تعالی علی تنفیذ تهدیداته تضیف الآیه وَ اللّهُ عَزِیزٌ ذُو انْتِقامٍ (۲) .

(عزیز)فی اللّغه بمعنی کلّ شـیء صعب و غیر قابل للنفوذ،و لـذلک یقال للأرض الصـعبه العبور(عزاز)و کـذلک یطلق علی کلّ أمر یصـعب الحصول علیه لقلّته و ندرته (عزیز)و کذلک تطلق هذه الکلمه علی الشـخص القویّ و المقتدر الذی یصـعب التغلّب علیه أو یسـتحیل التغلّب علیه،و کلّمـا أطلقت کلمه(عزیز)علی اللّه تعـالی یراد بهـا هـذا المعنی،أی أنّه لا أحـد یقـدر علی التغلّب علیه،و أنّ کلّ المخلوقات خاضعه لمشیئته و إرادته.

و فی الجمله الآنفه الـذکر و لکی یعرف الکفّار أنّ هـذا التهدیـد جادّ تماما تذکّرهـم الآیه بأنّ اللّه عزیز،أی أنّه قاهر و ما من أحد یستطیع أن یقف بوجه تنفیذ

ص :۳۸۵

۱- ۱) -انظر الجزء الأول ص ۱۴۶ فی تفسیر الآیه ۴۰ من سوره البقره،شرح(مصدّقا لما بین یدیه).

۲- ۲) -ذکر بعض المفسّرین أن«ذو»لها معنا أقوی من«صاحب»و لذلک لا نجد فی صفات اللّه أنها تذکر معنی کلمه صاحب بل تذکر دائما مع کلمه«ذو»البحر المحیط:ج ۲ ص ۳۷۹.

تهديداته و أنّه فى الوقت الذى يكون فيه غفورا رحيما يكون شديد العقاب بالنسبه لمن لا يستحقّون هذه الرحمه.

كلمه(الانتقام)تستعمل غالبا فى مفهومنا الحالى فى لجوء شخص لا يستطيع أن يتسامح مع الآخرين و يغفر لهم أخطاءهم إلى عمل مقابل قد يكون عنيفا لا يأخذ حتّى مصلحته الخاصّه بنظر الإعتبار،و بديهىّ أنّ هذه الصفه مذمومه،إذ أنّ على الإنسان فى كثير من الحالات أن يعفو و يغفر بدلا من الانتقام،و لكنّ (الانتقام)فى اللّغه ليس بهذا المعنى بل يعنى إنزال العقاب بالمجرم،و لا شكّ أنّ معاقبه المجرمين العصاه فضلا عن كونها من الأمور الحسنه فإنّه لا يجوز التهاون فيها و إهمالها لأنّ ذلك يجانب العداله و الحكمه.

هنا لا بدّ من ملاحظه ما يلى:

۱-أصل(الحقّ)المطابقه و الموافقه،لذلك يقال لما يطابق الواقع«الحق».كما أنّ وصف اللّه بالحقّ ناشئ من كون ذاته القدسيه أعظم واقع غير قابل للإنكار.

و بعباره أخرى«الحق»هو الموضوع الثابت المكين الذى لا باطل فيه.

و الباء فى«الحق»فى هذه الآيه للمصاحبه،أى يا أيّها النبىّ لقد أنزل عليك اللّه القرآن مصحوبا بدلائل الحقّ.

۲-«التوراه»لفظه عبريه تعنى«الشريعه و القانون»،و أطلقت على الكتاب الذى أنزل اللّه على موسى بن عمران عليه السّلام. و قد تطلق أيضا على مجموعه كتب العهد القديم أو أسفاره الخمسه.

إنّ مجموعه كتب العهد القديم تتألّف من التوراه و عدد من الكتب الأخرى.

و التوراه تتألّف من خمسه أقسام،كلّ قسم يسمّى«سفرا»و هى:«سفر التكوين» و«سفر الخروج»و«سفر لاوى»و«سفر الاعداد»و«سفر التثنيه».هذه الأقسام من العهد القديم تشرح تكوين العالم و الإنسان و المخلوقات و بعضا من سير الأنبياء السابقين و موسى بن عمران و بنى إسرائيل و الأحكام.

أمّا الكتب الأخرى فهى ما كتبه المؤرّخون بعد موسى عليه السّلام فى شرح أحوال

الأنبياء و الملوک و الأقوام التی جاءت بعد موسی بن عمران علیه السّلام.

بدیهیّ أنّ هذه الکتب-عدا الأسفار الخمسه-لیست کتبا سماویه و الیهود أنفسهم لا یدّعون ذلک.و حتّی«زبور»داود الذی یطلقون علیه اسم«المزامیر»هو شرح مناجاه داود و مواعظه.

أمّا أسفار التوراه الخمسه ففیها دلائل تشیر إلی أنّها لیست من الکتب السماویه،بل هی کتب تاریخیه دوّنت بعد موسی بن عمران علیه السّلام،إذ فیها بیان موت موسی علیه السّلام و مراسیم دفنه،و بعض الحوادث التی وقعت بعده،علی الأخصّ الفصل الأخیر من سفر التثنیه الذی یثبت أنّ هذا الکتاب قد کتب بعد موت موسی علیه السّلام.

یضاف إلی ذلک أنّ فی هذه الکتب الکثیر من الخرافات و هی تنسب أمورا فاضحه للأنبیاء،و بعض الأقوال الصبیانیه،ممّا یؤکّد زیف هذه الکتب.و الشواهد التاریخیه تؤکّد أنّ التوراه الأصلیه قد ضاعت،و أنّ أتباع موسی هم الذین کتبوا هذه الکتب بعده (۱) .

۳-«الإنجیل»کلمه یونانیه بمعنی«البشاره»أو«التعلیم الجدید»و تطلق علی الکتاب الذی نزل علی عیسی بن مریم علیه السّلام.و من الجدیر بالتنویه أنّ القرآن کلّما أورد اسم کتاب عیسی علیه السّلام«الإنجیل»جاء به مفردا و علی أنّه قد نزل من اللّه.

و علیه فإنّ الأناجیل المتداوله بین أیدی المسیحیّین،و حتّی الأشهر منها،و هی الأناجیل الأربعه«لوقا،و مرقس،و متّی،و یوحنا»لیست من الوحی الإلهی،و هذا ما لا ینکره المسیحیّون أنفسهم،إذ یقولون إنّ هذه الأناجیل قد کتبت بأیدی تلامذه السیّد المسیح علیه السّلام بعده بمدّه طویله.و لکنّهم یزعمون أن أولئک التلامذه قد کتبوها بإلهام من اللّه.

هنا یحسن بنا أن نتعرّف-و لو بإیجاز-علی«العهد الجدید»و الأناجیل و کتّابها:

۱- ۱) -انظر«الهدی إلی دین المصطفی»و«الرحله المدرسیه».

إنّ أهم كتاب دينى عند المسيحيّين و الذى يعتمدونه على أنّه كتاب سماوى هو المجموعه التى يطلق عليها اسم«العهد الجديد».

«العهد الجديد»الذى يبلغ نحو ثلث«العهد القديم»يتألّف من ۲۷ كتابا و رساله تشمل موضوعات عامّه متناثره و مختلفه،على النحو التالى:

۱-إنجيل متّى (۱) :و هو الإنجيل الذى كتبه«متّى»أحد حواريّى المسيح عليه السّلام الاثنى عشر فى سنه ۳۸ ميلاديه،و بعض يقول فى سنه ۵۰ أو ۶۰ ميلاديه (۲) .

۲-إنجيل مرقس (۳) :بحسب ما جاء فى كتاب«القاموس المقدّس»صفحه ۷۹۲،لم يكن مرقس من الحواريّين،و لكنّه كتب إنجيله بإشراف«بطرس».قتل مرقس سنه ۶۸ م.

۳-إنجيل لوقا:كان«لوقا»رفيق سفر«بولس»الرسول.كان«بولس»على عهد المسيح يهوديا متعصّبا،و لكنه اعتنق المسيحيه بعده.يقال إنّه توفى فى سنه ۷۰ م،و حسبما يقول مؤلّف«القاموس المقدّس»ص ۷۷۲:«إنّ تاريخ كتابه إنجيل لوقا يعود إلى حوالى سنه ۶۳ م».

۴-إنجيل يوحنا:«يوحنا»كان من تلامذه المسيح عليه السّلام و من أصحاب «بولس».يقول صاحب القاموس المذكور،اعتمادا على عدد من المحقّقين:إنّه ألف فى أواخر القرن الأول الميلادى (۴) .

يتّضح من محتويات هذه الأناجيل،التى تشرح عموما حكايه صلب المسيح و ما جرى بعد ذلك،أنّ جميع هذه الأناجيل قد كتبت بعد المسيح بسنوات و ليست كتبا سماويه نزلت على المسيح عليه السّلام.

۵-أعمال الرسل:«أعمال الحواريّين و دعاه الصدر الأوّل».

۱- ۱) -متّى:على وزن حتّى،بمعنى عطاء اللّه.

۲- ۲) -كتاب القاموس المقدّس:ص ۷۸۲.

۳- ۳) -مرقس:على وزن قنفذ،و قيل على وزن أسهم،جمع سهم.

۴- ۴) -القاموس المقدّس:ص ۹۶۶.

۶-رسائل بولس الأربعه عشره إلى جهات مختلفه.

۷-رساله يعقوب:«الرساله العشرون من الرسائل السبع و العشرين فى العهد الجديد».

۸-رسالتا بطرس:«الرسالتا ۲۱ و ۲۲ من العهد الجديد».

۹-رسائل يوحنا:«الرسائل ۲۳ و ۲۴ و ۲۵ من العهد الجديد».

۱۰-رساله يهودا:«الرساله ۲۶ من العهد الجديد».

۱۱-مكاشفه يوحنا:«القسم الأخير من العهد الجديد».

استنادا إلى المؤرّخين المسيحيّين و حسبما ورد فى هذه الأناجيل و الكتب و الرسائل فى العهد الجديد،فإنّ أيّا منها ليس كتابا سماويا،بل هى كتب كتبت بعد المسيح عليه السّلام،و نستنتج من ذلك أنّ الإنجيل الأصلى السماوى الذى نزل على المسيح عليه السّلام قد فقد و ليس له وجود الآن.إنّما تلامذه المسيح أدرجوا بعضا منه فى أناجيلهم و مزجوه-مع الأسف-بالخرافات.

أمّا القول بأنّ على المسلمين أن لا يشكّوا فى صحّه الأناجيل و التوراه الموجوده-على اعتبار أنّ القرآن قد صدقّها و شهد لها-فإنّه قول مردود،و قد أجبنا عليه فى المجلّد الأوّل عند تفسير الآيه: وَ آمِنُوا بِمٰا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمٰا مَعَكُمْ .

۴-بعد ذكر التوراه و الإنجيل،يشار إلى نزول القرآن،و لكنّه سمّى الفرقان، لأنّ لفظه«الفرقان»تستعمل فى التفريق بين الحقّ و الباطل و كلّ ما يميّز الحقّ عن الباطل يقال له«الفرقان».و لذلك يسمّى القرآن حرب بدر«يوم الفرقان» (۱) ،ففى ذلك اليوم انتصر فريق صغير مفتقر لكلّ أنواع المعدّات الحربيّه على جيش كبير مسلّح و متفوّق تفوّقا كبيرا.و كذلك يطلق على معجزات موسى عليه السّلام العشر اسم «الفرقان»أيضا (۲) .

۱- ۱) -الأنفال:۴۱.

۲- ۲) -البقره:۵۳.

الآيتان [سوره آل عمران (۳): الآيات ۵ الی ۶]

اشاره

إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَخْفىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فِي اَلسَّمٰاءِ (۵) هُوَ اَلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي اَلْأَرْحٰامِ كَيْفَ يَشٰاءُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۶)

التّفسير

اشاره

علم اللّه و قدرته المطلقه:

هاتان الآيتان تكمّلان الآيات السابقه التى قرأنا فيها أنّ اللّه تعالى حىّ و قيّوم و هو مدبّر الكون بأجمعه و سيعاقب الكافرين المعاندين(حتّى لو لم يظهروا كفرهم و عنادهم)و من البديهى أنّ هذه الإحاطه و القدره لتدبير العالم بحاجه إلى علم غير محدود و قدره مطلقه،و لهذا أشارت الآيه الأولى إلى علم اللّه تعالى،و فى الآيه الثانيه إلى قدرته المطلقه.

فى البدايه تقول الآيه الشريفه إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَخْفىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فِي السَّمٰاءِ .

فكيف يمكن أن يختفى عن أنظاره شيء من الأشياء فى حين أنّه حاضر و ناظر فى كلّ مكان،فلا يخلو منه مكان،و بما أنّ وجوده غير محدود،فلا يخلو منه

مکـان معین،و لهـذا فهو أقرب إلینـا من کـلّ شـیء حتّی من أنفسـنا،و فی نفس الوقت الـذی یتنزّه فیه اللّه تعـالی عن المکـان و المحـل،فـإنّه محیـط بکـل شـیء،و هـذه الإحـاطه و الحضور الإلـهی بالنسـبه لجمیع المخلوقات بمعنی(العلم الحضوری)لا (العلم الحصولی) (۱) .

ثمّ تبیّن الآیه التالیه واحده من علم و قدره اللّه تعالی الرائعه،بل هی فی الحقیقه إحدی روائع عالم الخلقه و مظهر بارز لعلم اللّه و قدرته المطلقه حیث تقول الآیه هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الْأَرْحامِ کَیْفَ یَشاءُ ثمّ تضیف لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ .

إنّه لأـمر عجیب و محیّر حقّـا أن یصوّر اللّه الإنسـان و هو فی رحم أمّه صورا جمیله و متنوّعه فی أشـکالها و مواهبها و صـفاتها و غرائزها.

و هـذه الآـیه تؤکّـد أنّ المعبـود الحقیقی لیس سوی اللّه القـادر الحکیم الـذی یسـتحقّ العبـاده،فلمـا ذا إذن یختـارون مخلوقـات کالمسـیح علیه السّـلام و یعبدونها،و لعلّ هذه العباره إشاره إلی سـبب النزول المتقدّم فی بدایه السوره من أنّ المسیحیّین أنفسهم یوافقون علی أنّ المسیح کان جنینا فی بطن أمّه مریم،ثمّ تولّد منها،إذن فهو مخلوق و لیس بخالق فکیف یکون معبودا؟!

بحوث

اشاره

۱-مراحل تطوّر الجنین من روائع الخلق

إنّ عظمه مفهوم هذه الآیه تجلّت الیوم أکثر من ذی قبل نتیجه للتقدّم الکبیر

۱- ۱) -العلم الحضوری:یعنی أن یکون المعلوم ذاته حاضـرا عند العلم.أمّا فی العلم الحصولی فإنّ الحاضـر عند العالم هو صوره المعلوم و رسـمه،فمثلا أنّ علمی بنفسـی علم حضوری لأنّ نفسـی ذاتها حاضـره فی نفسی،أمّا بالنسبه للموجودات الأخری فعلمنا بها حصولی،لأنّ صورتها فقط هی الحاضره فی أذهاننا.

فی علم الأجنّه.فهذا الجنین یبدأ بخلیه،لا شکل لها و لا هیکل و لا أعضاء و لا أجهزه.و لکنّها تتّخذ أشکالا مختلفه کلّ یوم و هی فی الرحم،و کأنّ هناک فریقا من الرسّامین المهره یحیطون بها و یشتغلون علیها-لیل نهار و بسرعه عجیبه-لیصنعوا من هذه الذرّه الصغیره و فی وقت قصیر إنسانا سویّا فی الظاهر،و فی جوفه أجهزه دقیقه رقیقه متعقّده و محیّره.لو أنّ فیلما صوّر مراحل تطوّر الجنین-و قد صوّر فعلا-و شاهده الإنسان یمرّ من أمام عینیه لأدرک بأجلی صوره عظمه الخلق و قدره الخالق.

و العجیب فی الأمر أنّ کلّ هذا الرسم یتمّ علی الماء الذی یضرب به المثل فی عدم احتفاظه بما یرسم علیه.

من الجدیر بالذکر أنّه عند ما یتمّ اللقاح و یخلق الجنین للمرّه الأولی یسرع بالانقسام التصادی علی هیئه ثمره التوت التی تکون حبّاتها متلاصقه،و یطلق علیه اسم«مرولا».و فی غضون هذا التقدّم تخلق«المشیمه»و تتکامل،و تتّصل من جهه قلب الأم بوساطه شریانین و ورید واحد،و من الجهه الأخری تتّصل بسرّه الجنین الذی یتغذّی علی الدم القادم إلی المشیمه.

و بالتدریج و علی أثر التغذیه و التطور و اتجاه الخلایا نحو الخارج یتجوّف باطن«المولا»،و عندئذ یطلق علیه اسم«البلاستولا»،و لا تلبث هذه حتی یتکاثر عدد خلایاها،مؤلّفه کیسا ذا جدارین،ثمّ یحدث فیه انخفاض یقسم الجنین إلی قسمی الصدر و البطن.

إلی هنا تکون جمیع الخلایا متشابهه و لا اختلاف بینها فی الظاهر.و لکن بعد هذه المرحله یبدأ الجنین بالتصوّر،و تتشکّل أجزاؤه بأشکال مختلفه بحسب وظیفتها المستقبلیه،و تتکون الأنسجه و الأجهزه،و تقوم کلّ مجموعه من الخلایا ببناء أحد أجهزه الجسم و صیاغته،کالجهاز العصبی و جهاز الدوره الدمویه،

و جهاز الهضم،و غيرها من الأجهزه،حتّى يصبح الجنين بعد هذه المراحل من التطوّر فى مخبئه الخفى فى رحم أمّه إنسانا كامل الصوره.و سوف ندرج-بمشيئه اللّه-شرحا كاملا لتطوّر الجنين و مراحل تكامله فى تفسير الآيه ١٢ من سوره «المؤمنون».

٢-(أرحام)جمع(رحم)يعنى فى الأصل محل نموّ الجنين فى بطن الأمّ،ثمّ أطلق على جميع الأقرباء الذين يشتركون فى أمّ واحده المتولّدون من أمّ واحده، و بما أنّ حاله من المحبّه و العطف و الحنان ترتبط بين هؤلاء الأفراد أطلقت هذه المفرده على كلّ عطف و حنان(رحمه)،و يرى البعض أنّ المفهوم من هذه الكلمه بالعكس،أى أنّ المفهوم الأصلى لها هو رقّه القلب و العطف و المحبّه،و لكن بما أنّ الأقرباء و الأرحام يشتركون فى هذه الصفه فيما بينهم أطلق على المكان الذى تولّدوا منه كلمه(رحم).

ص:٣٩٣

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۷]

اشاره

هُوَ اَلَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ مِنْهُ آیٰاتٌ مُحْکَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ اَلْکِتٰابِ وَ أُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ فَأَمَّا اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ اِبْتِغٰاءَ اَلْفِتْنَهِ وَ اِبْتِغٰاءَ تَأْوِیلِهِ وَ مٰا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ اَلرّٰاسِخُونَ فِی اَلْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا وَ مٰا یَذَّکَّرُ إِلاّٰ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ (۷)

سبب النّزول

جاء فی تفسیر«نور الثقلین» (۱) نقلا عن کتاب«معانی الأخبار»حدیث عن الإمام الباقر علیه السّلام ما مضمونه: أنّ نفرا من الیهود و معهم«حی بن أخطب»و أخوه، جاؤوا إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و احتجّوا بالحروف المقطّعه«الم»و قالوا:بموجب حساب الحروف الأبجدیه،فإنّ الألف فی الحساب الأبجدی تساوی الواحد، و اللام تساوی ۳۰،و المیم تساوی ۴۰،و بهذه فإنّ فتره بقاء أمّتک لا تزید علی

۱- ۱) -ج ۱ ص ۳۱۳.

إحدی و سبعین سنه!و من أجل أن یلجمهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم تساءل و قال ما معناه:

لماذا حسبتم«ألم»وحدها؟أ لم تروا أنّ فی القرآن«المص»و«الر»و نظائرها من الحروف المقطّعه،فإذا کانت هذه الحروف تدلّ علی مدّه بقاء أمّتی،فلما ذا لا تحسبونها کلّها؟(مع أنّ القصد من هذه الحروف أمر آخر)و عندئذ نزلت هذه الآیه.

فی تفسیر«فی ظلال القرآن»سبب نزول آخر ینسجم من حیث النتیجه مع سبب النزول المذکور،و هو أنّ جمعا من نصاری نجران جاؤوا إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم متذرّعین بقول القرآن«کلمه اللّه و روحه»بشأن المسیح علیه السّلام فی محاوله منهم لاستغلالها بخصوص مسأله«التثلیث»و«ألوهیّه»المسیح،متجاهلین کلّ الآیات الأخری الصریحه فی عدم وجود شریک أو شبیه للّه إطلاقا،فنزلت الآیه المذکوره تردّ علیهم.

التّفسیر

اشاره

المحکم و المتشابه فی القرآن:

تقدّم فی الآیات السابقه الحدیث عن نزول القرآن بعنوان أحد الدلائل الواضحه و المعجزات البیّنه لنبوّه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم،ففی هذه الآیه تذکر أحد مختصّات القرآن و کیفیّه بیان هذا الکتاب السماوی العظیم للمواضیع و المطالب فیقول فی البدایه: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتٰابَ مِنْهُ آیٰاتٌ مُحْکَمٰاتٌ .

أی آیات صریحه و واضحه و التی تعتبر الأساس و الأصل لهذا الکتاب السماوی هُنَّ أُمُّ الْکِتٰابِ ،ثمّ أنّ هناک آیات أخری غامضه بسبب علوّ مفاهیمها و عمق معارفها أو لجهات اخری وَ أُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ .

هذه الآیات المتشابهه إنّما ذکرت لاختبار العلماء الحقیقیّین و تمیزهم عن الأشخاص المعاندین اللجوجین الذین یطلبون الفتنه،فلذلک تضیف الآیه:

فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ ابْتِغٰاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغٰاءَ تَأْوِیلِهِ

فیفسّرون هذه الآیات المتشابه وفقا لأهوائهم کیما یضلّوا الناس و یسبّهوا علیهم فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ (۱) فَیَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ ابْتِغٰاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغٰاءَ تَأْوِیلِهِ وَ مٰا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ .

ثمّ تضیف الآیه:أنّ هؤلاء أی الراسخون فی العلم بسبب درکهم الصحیح لمعنی المحکمات و المتشابهات یَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا أجل وَ مٰا یَذَّکَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ .

بحوث

اشاره

فی هذه الآیه مباحث مهمّه ینبغی بحثها بشکل مستقل کلّ علی حده:

۱-ما المقصود بالآیات المحکمه و المتشابهه؟

«المحکم»من«الإحکام»و هو المنع.و لهذا یقال للمواضیع الثابته القویّه «محکمه»أی أنّها تمنع عن نفسها عوامل الزوال.کما أنّ کلّ قول واضح و صریح لا یعتوره أیّ احتمال للخلاف یقال له«قول محکم».

و علیه فإنّ الآیات المحکمات هی الآیات ذات المفاهیم الواضحه التی لا مجال للجدل و الخلاف بشأنها،کآیه: قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ (۲) و لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ (۳) و اَللّٰهُ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ (۴) و لِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَیَیْنِ (۵) و آلاف أخری

۱- ۱) -«زیغ»فی الأصل.بمعنی الانحراف عن الخط المستقیم و التمایل إلی جهه،و الزیغ فی القلب بمعنی الانحراف العقائدی عن صراط المستقیم.

۲- ۲) -سوره الإخلاص:۱.

۳- ۳) -الشوری:۱۱.

۴- ۴) -الزمر:۲۶.

۵- ۵) -النساء:۱۱.

مثلها ممّا تتعلّق بالعقائد و الأحكام و المواعظ و التواريخ،فهى كلّها من«المحكمات».

هذه الآيات المحكمات تسمّى فى القرآن«أمّ الكتاب»أى هى الأصل و المرجع و المفسّره و الموضّحه للآيات الأخرى.

و«المتشابه»هو ما تتشابه أجزاؤه المختلفه.و لذلك فالجمل و الكلمات التى تكون معانيها معقّده و تنطوى على احتمالات مختلفه،توصف بأنّها«متشابهه».

و هذا هو المقصود من وصف بعض آيات القرآن بأنها«متشابهات»،أى الآيات التى تبدو معانيها لأوّل وهله معقّده و ذات احتمالات متعدّده،و لكنّها تتّضح معانيها بعرضها على الآيات المحكمات.

و على الرغم من أنّ المفسّرين أوردوا احتمالات متعدّده فى تفسير «المحكم»و«المتشابه» (۱) ،و لكن الذى قلناه يناسب المعنى الأصلى لهذين المصطلحين كما يتّفق مع سبب نزول الآيه،و كذلك مع الأحاديث الوارده فى تفسير هذه الآيه،و مع الآيه نفسها،لأنّنا نقرأ بعد ذلك أن المغرضين يتّخذون من الآيات المتشابهات وسيله لإثاره الفتنه.و هم بالطبع يبحثون لهذا الغرض عن الآيات التى لها تفسيرات متعدّده.و هذا نفسه يدلّ على أن معنى«المتشابه»هو ما قلناه.

و يمكن إدراج بعض الآيات التى تخصّ صفات اللّه و المعاد كنماذج من الآيات المتشابهات،مثل يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (۲) بشأن قدره اللّه، وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۳) بشأن علم اللّه،و وَ نَضَعُ الْمَوٰازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيٰامَهِ (۴) بشأن طريقه حساب الأعمال.

بديهىّ أنّ اللّه لا يد له«بمعنى العضو»و لا أذن«بالمعنى نفسه»و لا ميزان مثل

---

۱ – ۱) -ذكر«الطبرسى»فى مجمع البيان خمسه تفاسير لذلك،و ذكر«الفخر الرازى»أربعه أقوال و«العلاّمه»فى الميزان سته عشر قولا و فى«البحر المحيط»عشرين قولا تقريبا عن تفسيرها.

۲– ۲) -الفتح:۱۰۰.

۳– ۳) -البقره:۲۲۴.

۴– ۴) -الأنبياء:۴۷.

موازيننا يزن بها الأعمال.هذه كنايات عن مفاهيم كلّيه لقدره اللّه و علمه و ميزانه.

و لا بدّ من الإشاره إلى أنّ كلمتى«المحكم و المتشابه»قد وردتا فى القرآن بمعنى آخر.ففى أوّل سوره هود نقرأ: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ فهنـا أشـير إلى أنّ جميع آيـات القرآن محكمات،و القصـد هو قوّه الترابط و التماسك بينها.و فى الآيه ٢٣ من سوره الزمر نقرأ: كِتاباً مُتَشابِهاً أى الكتاب الذى كلّ آياته متشابهات، و هى هنا بمعنى التماثل من حيث صحّتها و حقيقتها.

يتّضـح ممّا قلنا بشأن المحكم و المتشابه أنّ الإنسان الواقعىّ الباحث عن الحقيقه لا بدّ له لفهم كلام اللّه أن يضع الآيات جنبا إلى جنب ثمّ يستخرج منها الحقيقه.فإذا لاحظ فى ظاهر بعض الآيات إبهاما و تعقيدا،فعليه أن يرجع إلى آيات أخر لرفع ذلك الإبهام و التعقيد ليصل إلى كنهها.

تعتبر الآيات المحكمات فى الواقع أشبه بالشارع الرئيسى،و المتشابهات أشبه بالشوارع الفرعيه،لا شكّ أنّ المرء إذا تاه فى شارع فرعى سعى للوصول إلى الشارع الرئيسى ليتبيّن طريقه الصحيح فيسلكه.

إنّ التعبير عن المحكمـات بـأم الكتاب يؤيّـد هـذه الحقيقه أيضا،إذ أنّ لفظه«أم» فى اللغه تعنى الأصل و الأساس،و إطلاق الكلمه على«الأـم»أى الوالـده لأنّهـا أصـل الأسـره و العـائله و الملجأ الـذى يفزع إليه أبناؤها لحلّ مشاكلهم.و على هـذا فالمحكمات هى الأساس و الجذر و الأم بالنسبه للآيات الأخرى.

٢-لماذا تشابهت بعض آيات القرآن؟

إنّ القرآن جـاء نورا لهـدايه عموم النـاس،فمـا سـبب احتوائه على آيات متشابهات فيها إبهام و تعقيـد بحيث يسـتغلّها المفسـدون لاثاره الفتنه؟هذا موضوع

مهمّ جدير بالبحث و التدقيق.و على العموم يمكن أن تكون النقاط التاليه هى السرّ فى وجود المتشابهات فى القرآن:

أوّلا:إنّ الألفاظ و الكلمات التى يستعملها الإنسان للحوار هى لرفع حاجته اليوميه فى التفاهم.و لكن ما إن نخرج عن نطاق حياتنا الماديّه و حدودها،كأن نتحدّث عن الخالق الذى لا يحدّه أىّ لون من الحدود،نجد بوضوح أنّ ألفاظنا تلك لا تستوعب هذه المعانى،فنضطر إلى استخدام ألفاظ أخرى و إن تكن قاصره لا تفى بالغرض تماما من مختلف الجهات.و هذا القصور فى الألفاظ هو منشأ الكثير من متشابهات القرآن.إنّ آيات مثل يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (1) أو اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ (2) أو إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ (3) التى سوف يأتى تفسيرها فى موضعه، تعتبر من هذه النماذج.و هناك أيضا تعبيرات مثل«سميع»و«بصير»،و لكن بالرجوع إلى الآيات المحكمات يمكن تفسيرها بوضوح.

ثانيا:كثير من الحقائق تختصّ بالعالم الآخر،أو بعالم ما وراء الطبيعه ممّا هو بعيد عن أفق تفكيرنا،و إنّنا-بحكم وجودنا ضمن حدود سجن الزمان و المكان، غير قادرين على إدراك كنهها العميق.قصور أفق تفكيرنا من جهه،و سمّو تلك المعانى من جهه أخرى،سبب آخر من أسباب التشابه فى بعض الآيات،كالتى تتعلّق بيوم القيامه مثلا.

و هذا أشبه بالذى يريد أن يشرح لجنين فى بطن أمّه مسائل هذا العالم الذى لم يره بعد،فهو إذا لم يقل شيئا يكون مقصّرا،و إذا قال كان لا بدّ له أن يتحدّث بأسلوب يتناسب مع إدراكه.

1- 1) -الفتح:10.

2- 2) -طه:5.

3- 3) -القيامه:3.

ثالثا:من أسرار وجود المتشابهات فى القرآن إثاره الحركه فى الأفكار و العقول و إيجاد نهضه فكريه بين الناس.و هذا أشبه بالمسائل الفكريه المعقّده التى يعالجها العلماء لتقويه أفكارهم و لتعميق دقّتهم فى المسائل.

رابعا:النقطه الأخرى التى ترد بشأن وجود المتشابهات فى القرآن،و تؤيّدها أخبار أهل البيت عليهم السّلام،هى أنّ وجود هذه الآيات فى القرآن يصعّد حاجه الناس إلى القاده الإلهيّين و النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و الأوصياء،فتكون سببا يدعو الناس إلى البحث عن هؤلاء و اعتراف بقيادتهم عمليا و الاستفاده من علومهم الاخرى أيضا.و هذا أشبه ببعض الكتب المدرسيه التى أنيط فيها شرح بعض المواضيع إلى المدرّس نفسه،لكى لا تنقطع علاقه التلاميذ بأستاذهم،و لكى يستمرّوا-بسبب حاجتهم هذه-فى التزوّد منه على مختلف الأصعده.

و هذا أيضا مصداق وصيّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم حين

قال: «إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه و أهل بيتى و أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض»

(1)

.

۳-ما التأويل؟

الكلام كثير بشأن معنى«التأويل»،و الأقرب إلى الحقيقه هو أنّ«التأويل»من «الأول»أى الرجوع إلى الأصل،و هو إيصال العمل أو الكلام إلى الهدف النهائى المراد منه.فإذا أقدم أحد على عمل و لم يكن هدفه من هذا العلم واضحا،ثمّ يتوضّح ذلك فى النهايه، فهذا هو التأويل،كالذى نقرأه فى حكايه موسى عليه السّلام مع الحكيم الذى كان يقوم بأعمال غامضه الأهداف«مثل تحطيم السفينه»فكان هذا مدعاه لانزعاج موسى،و لكن عند ما شرح له الحكيم فى نهايه المطاف و عند

۱- ۱) -مستدرك الحاكم:ج ۳ ص ۱۴۸.

الفراق أهداف تلك الأعمال،و أنّه قصد إلى تخليص السفينه من الوقوع فى يد سلطان غاصب و ظالم،ختم شرحه بقوله: ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مٰا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (۱) .

كذلك إذا رأى الإنسان رؤيا لا تتّضح له نتيجتها،ثمّ تبيّن له تعبيرها بمراجعه شخص أو مشاهده واقعه،فذلك هو تأويل الرؤيا،مثل يوسف عليه السّلام الذى قال حين تحقّقت رؤياه الشهيره عمليا،أو بعباره اخرى حين وصلت مرحلتها النهائيه هٰذٰا تَأْوِيلُ رُءْيٰايَ مِنْ قَبْلُ (۲) .

و هكذا إذا صدر عن الإنسان كلام فيه مفاهيم و أسرار خاصّه تشكّل الهدف النهائى لذلك الكلام،فذلك هو التأويل.

هذا هو معنى التأويل فى الآيه.أى أنّ فى القرآن آيات ذات أسرار و معان عميقه غير أنّ ذوى الأفكار المنحرفه و المقاصد الفاسده يضعون من عندهم تفسيرا لا أساس له من الصحّه و يستندون إليه لخداع أنفسهم أو غيرهم.

و عليه،فإنّ المقصود من اِبْتِغٰاءَ تَأْوِيلِهِ هو أنّ هؤلاء يريدون أن يؤولوا الآيات بصوره تخالف حقيقتها،أى ابتغاء تأويله على خلاف الحقّ.

و كما قرأنا فى سبب نزول هذه الآيه أنّ بعض اليهود أوّلوا تلك الحروف المقطّعه فى القرآن تأويلا لا يتّفق مع الحقيقه،فقالوا إنّها تحدّد عمر الإسلام.و هكذا المسيحيّون أساؤوا تأويل«روح منه»ليثبتوا ألوهيّه المسيح عليه السّلام.هذه كلّها من قبيل«التأويل بخلاف الحقّ»،و إرجاعها إلى مقاصد بعيده عن الحقيقه.

۴-من هم الراسخون فى العلم؟

هذا التعبير القرآنى ورد فى موضعين.هذا أحدهما هنا و الآخر فى سوره

۱- ۱) -سوره الكهف:۸۲.

۲- ۲) -سوره يوسف:۱۰۰.

النساء،إذ يقول: لٰكِنِ الرّٰاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ یُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ (۱) .

و بحسب المعنی اللغوی لهذه الکلمه،فإنّها تعنی الذین لهم قدم ثابته فی العلم و المعرفه.

طبیعی أن یکون معنی الکلمه واسعا یضمّ جمیع العلماء و المفکّرین،إلاّ أن بین هؤلاء أفرادا متمیّزین لهم مکانتهم الخاصّه،و یأتون علی رأس مصادیق الراسخین فی العلم و تنصرف إلیهم الأذهان عند استعمال هذه الکلمه قبل غیرهم.

و هذا هو الذی تقول به بعض الأحادیث التی تفسّر الراسخین فی العلم بأنّهم النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم و أئمّه الهدی علیهم السّلام،فقد سبق أن قلنا إنّ لکلمات القرآن و مفاهیمه معانی واسعه،و من مصادیقها البارزه الشخصیّات النموذجیه السامیه التی تذکر أحیانا وحدها فی تفسیر تلک الکلمات و المفاهیم.

عن برید بن معاویه قال: قلت لأبی جعفر«الباقر»علیه السّلام:قول اللّه وَ مٰا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ قال:«یعنی تأویل القرآن کلّه،إلاّ اللّه و الراسخون فی العلم،فرسول اللّه أفضل الراسخین،و قد علّمه جمیع ما أنزل علیه من التنزیل و التأویل،و ما کان اللّه منزلا علیه شیئا لم یعلّمه تأویله و أوصیاؤه من بعده یعلمونه کلّه» (۲) .

و هناک أحادیث کثیره أخری فی أصول الکافی (۳) و سائر کتب الحدیث بهذا الشأن،جمعها صاحبا تفسیر«نور الثقلین»و تفسیر«البرهان»فی ذیل هذه الآیه.

و کما قلنا فإنّ تفسیر الراسخین بالعلم بأنّهم النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم و أئمّه الهدی علیهم السّلام

۱- ۱) -النساء:۱۶۲.

۲- ۲) -تفسیر العیّاشی:ج ۱ ص ۱۶۴.

۳- ۳) -اصول الکافی:ج ۱ ص ۲۱۳.

لا يتعارض مع المفهوم الواسع الذى يشـمله هذا التعبير،فقد نقل عن ابن عبّاس أنّه قال«أنا أيضا من الراسخين فى العلم»إلاّ أنّ كلّ امرئ يتعرّف على أسرار تأويل آيات القرآن بقدر سعته العلميه،فالذين يصدرون فى علمهم عن علم اللّه اللامتناهى لا شكّ أعلم بأسرار تأويل القرآن،و الآخرون يعلمون جزءا من تلك الأسرار.

۵-الراسخون فى العلم يعرفون معنى المتشابهات

ثمّه نقاش هامّ يدور بين المفسّرين و العلماء حول ما إذا كانت عباره اَلرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ بدايه جمله مستقلّه،أم أنّها معطوفه على إلاَّ اللّهَ .و بعباره أخرى:هل أنّ معنى الآيه و أنّه ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ ؟أم أنّه ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا ؟ إنّ لكلّ فريق من مؤيّدى هذين الاتجاهين أدلّته و براهينه و شواهده.أمّا القرائن الموجوده فى الآيه و الأحاديث المشهوره المنسجمه معها فتقول إنّ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ معطوفه على«اللّه»،و ذلك:

أوّلا:يستبعد كثيرا أن تكون فى القرآن آيات لا يعلم أسرارها إلاّ اللّه وحده.

ألم تنزل هذه الآيات لهدايه البشر و تربيتهم؟فكيف يمكن أن لا يعلم بمعانيها و تأويلها حتّى النبىّ الذى نزلت عليه؟هذا أشبه بمن يؤلّف كتابا لا يفهم معانى بعض أجزائه سواه! و ثانيا:كما يقول المرحوم الطبرسى فى«مجمع البيان»:لم يسبق أن رأينا بين علماء الإسلام و المفسّرين من يمتنع عن تفسير آيه بحجّه أنّها من الآيات التى لا يعرف معناها سوى اللّه،بل كانوا جميعا يجدّون و يجتهدون لكشف أسرار القرآن و معانيه.

ص: ۴۰۳

و ثالثا:إذا كان القصد هو أنّ الراسخين فى العلم يسلّمون لما لا يعرفونه،لكان الأولى أن يقال:و الراسخون فى الإيمان يقولون آمنّا به.لأنّ الرسوخ فى العلم يتناسب مع العلم بتأويل القرآن،و لا يتناسب مع عدم العلم به و التسليم له.

و رابعا:أنّ الأحاديث الكثيره التى تفسّر هذه الآيه تؤكّد كلّها أنّ الراسخين فى العلم يعلمون تأويله،و عليه فيجب أن تكون معطوفه على«اللّه».الشيء الوحيد الباقى هو إنّ خطبه«الأشباح»للإمام على عليه السّلام فى نهج البلاغه يستفاد منها أنّ الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويل الآيات و يعترفون بعجزهم.

«و أعلم أنّ الراسخين فى العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبه دون الغيوب،الإقرار بجمله ما جهلوا تفسيره من الغيب الحجوب»

(1)

.

و لكن فضلا عن كون هذه العباره تناقض بعض الأحاديث المنقوله عنه عليه السّلام التى قال فيها:إنّ الراسخين فى العلم معطوفه على«اللّه»و إنّهم عالمون بتأويل القرآن،فإنّها لا تنسجم أيضا مع الأدلّه التى سبق ذكرها (2) .و عليه فيلزم تفسير هذه الجمله من خطبه«الأشباح»بما يتّفق و الأسانيد الأخرى التى بين أيدينا.

۶-نتيجه الكلام فى تفسير الآيه

من كلّ ما مرّ قوله تفسيرا لهذه الآيه نستنتج أنّ آيات القرآن قسمان:قسم معانيها واضحه جدّا بحيث لا يمكن إنكارها و لا إساءه تأويلها و تفسيرها،و هذه هى الآيات«المحكمات».و قسم آخر مواضيعها رفيعه المستوى،أو أنّها تدور حول عوالم بعيده عن متناول أيدينا،كعلم الغيب،و عالم يوم القيامه،و صفات اللّه، بحيث إنّ معرفه معانيها النهائيه و إدراك كنه أسرارها يستلزم مستوى عاليا من

۱- ۱) -نهج البلاغه:الخطبه ۹۱.

۲- ۲) -انظر تفسير نور الثقلين:ج ۱ ص ۳۱۵.

العلم،و هذه هى الآيات«المتشابهات».

المنحرفون و الشواذ من النـاس يسعون لاسـتخدام إبهام هـذه الآيات لتفسـيرها بحسب أهوائهم و بخلاف الحقّ،لكى يثيروا الفتنه بين الناس و يضـلّوهم عن الطريق المسـتقيم.بيد أنّ اللّه و الراسـخين فى العلم يعرفون أسـرار هذه الآيات و يشـرحونها للناس،فهم بعلمهم الواسع يفهمون المتشابهات كما يفهمون المحكمات،و لـذلك فإنّهم يسـلّمون بها قائلين إنّها جميعا من عند اللّه: يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا .

و على هذا يكون الرسوخ فى العلم سـببا فى أن يزداد الإنسان معرفه بأسرار القرآن.و لا شكّ أنّ الذين رسخوا فى العلم أكثر من غيرهم-كالنبيّ صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم و أئمّه الهدى-يعلمون جميع أسرار القرآن،بينما الآخرون يعلمون منها كلّ بقدر سعه علمه.و هذه الحقيقه هى التى تدفع الناس،و حتّى العلماء منهم،للبحث عن المعلّمين الإلهيّين ليتعلّموا منهم أسرار القرآن.

٧- وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ .

تشير هـذه الجمله فى ختام الآيه إلى أنّ هـذه الحقائق يعرفها المفكّرون وحـدهم،فهم الـذين يـدركون لماذا ينبغى أن يكون فى القرآن«محكمات» و«متشابهات»،و هم الذين يعلمون أنّه يجب وضع المتشابهات إلى جانب المحكمات لكشفها.لذلك فقد نقل

عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام أنه قال:

«من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدى إلى صراط مستقيم»

(۱)

۱- ۱) -تفسير الصافى فى تفسير الآيه.

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۸ الی ۹]

اشاره

رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَیْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَهً إِنَّکَ أَنْتَ اَلْوَهّابُ (۸) رَبَّنا إِنَّکَ جامِعُ اَلنّاسِ لِیَوْمٍ لا رَیْبَ فِیهِ إِنَّ اَللّهَ لا یُخْلِفُ اَلْمِیعادَ (۹)

التّفسیر

اشاره

النجاه من الزیغ:

بالنظر لاحتمال أن تکون الآیات المتشابهات و أسرارها موضع زلل الناس، فإنّ الراسخین فی العلم المؤمنین یلجأون إلی ربّهم إضافه إلی استعمال رأسمالهم العلمی فی إدراک حقیقه الآیات.و هذا ما تبیّنه هاتان الآیتان علی لسان الراسخین فی العلم،و تقولان إنّ الراسخین فی العلم و المفکّرین من ذوی البصیره لا یفتأون یراقبون أرواحهم و قلوبهم لئلاّ ینحرفوا نحو الطرق الملتویه،فیطلبون لذلک العون من اللّه.فالغرور العلمی یخرج بعض العلماء عن مسیرهم إلی متاهات الضلال، لأنّهم یلتفتون إلی عظمه الخلق و الخالق و تفاهه ما عندهم من علم،فیحرمون من هدایه اللّه.أمّا العلماء المؤمنون فیقولون: رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا... .

ص:۴۰۶

و ليس أشدّ تأثيرا فى السيطره على الميول و الأفكار من الاعتقاد بيوم القيامه و المعاد.إنّ الراسخين فى العلم يصحّحون أفكارهم عن طريق الاعتقاد بالمبدأ و المعاد،و يحولون دون التأثّر بالميول و الأحاسيس المتطرّفه التى تؤدّى إلى الزلل،و نتيجه لذلك يستقيمون على الصراط المستقيم بأفكار سليمه و دون عائق.

نعم هؤلاء هم القادرون على الاستفاده من آيات اللّه كلّ الاستفاده.

فى الحقيقه تشير الآيه الأولى إلى إيمان هؤلاء الكامل«بالمبدأ»،و تشير الآيه الثانيه إلى إيمانهم الراسخ«بالمعاد».

ص: ۴۰۷

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۰ الی ۱۱]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لاـ أَوْلادُهُمْ مِنَ اَللّهِ شَیْئاً وَ أُولئِکَ هُمْ وَقُودُ اَلنّارِ (۱۰) کَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ کَذَّبُوا بِآیاتِنا فَأَخَذَهُمُ اَللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اَللّهُ شَدِیدُ اَلْعِقابِ (۱۱)

التّفسیر

بعد بیان مواقف الکفّار و المنافقین و المؤمنین من الآیات«المحکمات» و«المتشابهات»فی الآیات السابقه،تقول هذه الآیه:إذا کان الکفّار المعاندون یحسبون أنّهم بثرواتهم و أبنائهم قادرون علی الدفاع عن أنفسهم فی الآخره فهم علی خطأ کبیر،فهذه الوسائل قد یکون لها تأثیرها المؤقت فی هذه الدنیا،و لکنّها عند اللّه لن یکون لها أیّ تأثیر،لا فی هذه الدنیا و لا فی الآخره.لذلک ینبغی ألاّ یغترّ الإنسان بهذه الأمور فتحمله علی ارتکاب الإثم،و إلاّ فإنّه یصلی نارا سیکون هو حطبها.

وَ أُولٰئِکَ هُمْ وَقُودُ النّٰارِ

(۱)

یفید هذا التعبیر أنّ نار الجحیم مستعره بوجود المذنبین،و هؤلاء المذنبون هم الذین یدیمون أوارها و لهیبها.نعم ثمّه آیات تقول إنّ الحجاره أیضا تکون وقود نار جهنم بالإضافه إلی المذنبین.و لکن-کما قلنا فی تفسیر الآیه ۲۴ من سوره البقره فی الجزء الأول-یمکن أن تکون هذه الحجاره هی الأصنام التی کانوا ینحتونها من الحجر.و علیه فإنّ نار جهنّم تستعر بأعمال المذنبین و بمعبوداتهم الباطله.

ثمّ تشیر الآیه إلی نموذج من الأمم السالفه التی کانت قد أوتیت الثروه الإنسانیه و المادیه الکثیره،و لم تستطیع هذه الثروه أن تکون مانع من هلاکهم.

کَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللّٰهُ شَدِیدُ الْعِقٰابِ

.

«الدأب»إدامه السیر،و العاده المستمرّه دائما علی حاله واحده.فهذه الآیه تشبّه حال الکفّار المعاصرین لرسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم بما کان آل فرعون قد اعتادوا علیه -و کذلک الأقوام السابقه-من تکذیب آیات اللّه،فأخذهم اللّه بذنبهم و أنزل بهم عقابه الصارم فی هذه الدنیا.

هذا فی الواقع إنذار للکافرین المعاندین علی عهد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم لکی یعتبروا بمصیر الفراعنه و الأقوام السالفه،و یصحّحوا أعمالهم.

صحیح أنّ اللّه«أرحم الراحمین»و لکنه فی المواضع و من أجل تربیه عبیده «شدید العقاب»أیضا،و لا ینبغی أن یغترّ العبید برحمه مولاهم الواسعه أبدا.

یستفاد أیضا من«الدأب»أنّ هذه الاتّجاه الخطأ-أی العناد إزاء الحقیقه

۱- ۱) -سبق أن قلنا إنّ«الوقود»هو ما تشتعل به النار کالحطب،لا ما تشتعل به النار کالکبریت.

و تکـذیب آیات اللّه-أصـبح عاده ثابته فیهم،و لهـذا یهـدّدهم بعذاب شدید،و ذلک لأنّه ما دام الإثم لم یصـبح عاده و نهجا فی الحیـاه فـإنّ الرجوع عنه میسور و عقـابه خفیف،و لکنّه إذا نفـذ إلی داخـل أعمـاق الإنسـان فـالرجوع عنه متعـذّر،و العقـاب علیه شدید.فخیر للکافرین أن ینتهزوا الفرصه قبل فوات الأوان و یرجعوا عن طریق الضلال.

ص:۴۱۰

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۲]

اشاره

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ اَلْمِهٰادُ (۱۲)

سبب النّزول

بعد حرب بدر و انتصار المسلمین قال فریق من الیهود:إنّ النبیّ الأمیّ الذی بشرنا به موسی،و نجده فی کتابنا بنعته و صفته،و أنّه لا تردّ له رایه،ثمّ قال بعضهم لبعض:لا تعجلوا حتّی تنظروا إلی واقعه اخری.

فلمّا کان یوم احد،و نکبّ أصحاب رسول اللّه،شکّوا و قالوا:لا و اللّه ما هو به، فغلب علیهم الشقاء فلم یسلموا.و قد کان بینهم و بین رسول اللّه عهد إلی مدّه لم تنقض،فنقضوا ذلک العهد قبل أجله،و انطلق کعب بن الأشرف إلی مکّه فی ستین راکبا،فواقفوهم و اجمعوا أمرهم علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم،لتکونن کلمتنا واحده،ثمّ رجعوا إلی المدینه.عندئذ نزلت الآیه المذکوره تقول لهم إنّ الحساب قریب و أنکم جمیعا ستکونون عمّا قریب من المغلوبین (۱) .

ص: ۴۱۱

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ ص ۴۱۳.

التّفسير

مع ما تقدّم فى سبب النزول يتضح أن الكفّار المغرورين بأموالهم و أولادهم، و عددهم و عدّتهم يتوقعون هزيمه الإسلام،و لكن القرآن الكريم يصرح فى هذه الآيه بأنهم سيغلبون،و يخاطب النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم بأن يخبرهم بذلک و أن عاقبتهم فى الدنيا و الآخره ليست سوى الهزيمه و الذلّ و العذاب الأليم: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهٰادُ (١) .

تنبّؤ صريح هناک أخبار غيبيه كثيره فى القرآن الكريم تعتبر من أدله عظيمته و إعجازه.

و الآيه أعلاه واحده من هذه الأخبار الغيبيه.

و فى هذه الآيه يبشّر اللّه نبيّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم بالانتصار على جميع الأعداء،و ينذر الكافرين بأنّهم فضلا عن اندحارهم فى هذه الدنيا،فإنّ لهم فى الآخره شرّ مصير.

إذا لا حظنا سبب نزول الآيه،و كونها نزلت بعد فشل المسلمين فى أحد، و ظهور ضعفهم الظاهرى،و ازدياد قوّه الأعداء باتّحادهم و تكاتفهم فإنّ هذا التنبّؤ الصريح و على الأخصّ عن المستقبل القريب: سَتُغْلَبُونَ يكون أمرا مثيرا للانتباه.و من هنا يمكن اعتبار هذه الآيه من آيات إعجاز القرآن،لوجود هذا التنبّؤ عن المستقبل فيه،فى الوقت الذى لا تشير فيه الظواهر إلى احتمال انتصار المسلمين على الكفّار و اليهود.

و لم تمض فتره طويله حتّى تحقّقت نبوءه الآيه و هزم يهود المدينه«بنو قريضه،و بنو النضير»،و فى خيبر-أهم معقل من معاقلهم- اندحروا و تلاشت قواهم.كما هزم المشركون فى فتح مكّه هزيمه نكراء.

ص: ۴۱۲

١- ١) -«مهاد»بمعنى المكان المهيأ،كما يقول الراغب،و هى فى الأصل من ماده(مهد)و هو محل استراحه الطفل.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۳]

اشاره

قَدْ كٰانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اِلْتَقَتٰا فِئَةٌ تُقٰاتِلُ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ أُخْرىٰ كٰافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ اَلْعَيْنِ وَ اَللّٰهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشٰاءُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي اَلْأَبْصٰارِ (۱۳)

سبب النّزول

نزلت هذه الآیه بشأن حرب«بدر».یقول المفسّرون إنّ عدد المسلمین یوم بدر کان ۳۱۳ شخصا،منهم ۷۷ من المهاجرین و ۲۳۶ من الأنصار.کان لواء المهاجرین بید علیّ علیه السّلام،و کان سعد بن عباده صاحب لواء الأنصار.و کانت عدّتهم لا تتجاوز ۷۰ بعیرا،و فرسین،و سته دروع،و ثمانیه سیوف،خاضوا بها تلک الحرب الکبیره،فی وجه عدوّ یزید عدده علی الألف،مع الکثیر من السلاح و مائه فرس.و مع ذلک فقد انتصر المسلمون بتقدیم ۲۲ شهیدا«۱۴ من المهاجرین و ۸ من الأنصار»،فی مقابل ۷۰ قتیلا و ۷۰ أسیرا من الأعداء،و عادوا إلی المدینه تزیّنهم أکالیل النصر.و هذه الآیه تحکی جانبا من معرکه بدر (۱) .

ص: ۴۱۳

---

۱ – ۱) -ما ذکر أعلاه ورد فی مجمع البیان و لکن ورد فی«الکامل»لابن الأثیر:ج ۳ ص ۱۳۶ أنه«و کان جمیع من قتل من المسلمین ببدر أربعه عشر رجلا سته من المهاجرین و ثمانیه من الأنصار».

التّفسیر

اشاره

معرکه بدر و التأیید الإلهی:

تعقیبا علی الآیات السابقه التی حذّر القرآن فیها الکافرین من الاغترار بالمال و الأبناء و الأتباع،جاءت هذه الآیه شاهدا حیّا علی هذا الأمر،فتدعوهم إلی الاعتبار بما جری فی معرکه بدر التاریخیه.

قَدْ کانَ لَکُمْ آیَهٌ فِی فِئَتَیْنِ الْتَقَتا

.

کیف لا تکون لهم عبره،و هم یرون أنّ جیشا صغیرا لا یملک شیئا من العدّه، سوی الإیمان الراسخ،ینتصر علی جیش یفوقه أضعافا فی العدد و العدّه.فلو کان المال و العدد-بغیر إیمان-قادرین علی شیء لظهر مفعولهما فی معرکه بدر،و لکن النتیجه کانت معکوسه.

یَرَوْنَهُمْ مِثْلَیْهِمْ رَأْیَ الْعَیْنِ

.

تقول الآیه:إنّ الکفّار کانوا یرون جند المسلمین ضعف عددهم.أی أنّهم إذا کانوا ۳۱۳ شخصا کان الکفّار یرونهم أکثر من ۶۰۰ شخص (۱) .لیزید من خوفهم، و کان هذا أحد أسباب هزیمه الکفّار.

و هذا-فضلا عن کونه إمدادا غیبیا من اللّه انتصر به المسلمون،لأنّ اللّه یمدّ عباده المجاهدین المؤمنین بمختلف السبل-کان أمرا طبیعیا من حیث جانبه الظاهری،و ذلک لأنّ الضربات الشدیده التی أنزلها المسلمون-بقوه إیمانهم و تربیتهم الإسلامیه-علی الأعداء،أثارت فیهم الرعب و الهلع فظنّوا أنّ هناک قوّه

۱- ۱) -هذا التفسیر یعتمد علی إرجاع الضمیر فی«یرون»إلی الکفّار،و الضمیر«هم»إلی المسلمین.و هذا أوضح التفاسیر العدیده للآیه. و سنشرح معرکه بدر شرحا وافیا عند تفسیر الآیات ۴۱-۴۵ من سوره الأنفال.

أخری التحقت بالمسلمین،و لذلک ظنّوا أنّ المسلمین یحاربون بضعف قوّتهم الأولی و یسیطرون علی میدان الحرب سیطره تامّه،مع أنهم قبل الدخول لم یکن یخطر لهم ذلک أبدا، بل کانوا یرون المسلمین أقلّ ممّا کانوا علیه.فی الآیه ۴۴ من سوره الأنفال إشاره إلی ذلک أیضا وَ إِذْ یُرِیکُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَیْتُمْ فِی أَعْیُنِکُمْ قَلِیلاً وَ یُقَلِّلُکُمْ فِی أَعْیُنِهِمْ لِیَقْضِیَ اللّهُ أَمْراً کانَ مَفْعُولاً .

تذکّروا یوم لقائکم بهم فی میدان الحرب،فقد أظهرناکم فی أعینهم قلّه لکی لا یتجنّبوا حربا ستؤدّی إلی هزیمتهم-کما أظهرناهم فی أعینکم قلّه لکی لا تضعف معنویاتکم فی حرب مصیریه-.و ما أن بدأ الحرب حتّی تبدّلت المشاهد،و ظهر المسلمون فی أعین الأعداء بأعداد مضاعفه،فکان هذا واحدا من أسباب هزیمتهم.

و جاء فی بعض الروایات أن أحد المسلمین قال:قبل نشوب القتال فی بدر قلت لرفیق لی:ألاّ تظن أن عدد الکفّار سبعون نفرا؟فقال:إنی احسبهم مائه نفر، و لکن عند ما انتصرنا فی الحرب و أسرنا منهم عددا غفیرا سمعنا أن عددهم ألف نفر (۱) .

وَ اللّهُ یُؤَیِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ یَشاءُ

.

تشیر الآیه إلی حقیقه أنّ اللّه ینصر من یشاء.لقد سبق أن قلنا إنّ مشیئه اللّه و إرادته لا تکون بغیر حساب،بل هی تکون بموجب حکمته و فی حدود لیاقه الأفراد،أی أنّ اللّه یؤیّد الذین یستحقّون ذلک.

جدیر بالذکر أنّ النصر الإلهی للمسلمین فی الحادثه التاریخیه کان ذا جانبین،فقد کان«نصرا عسکریا»و«نصرا منطقیا».فمن الناحیه العسکریه:

۱- ۱) -تفسیر القرطبی:ج ۲ ص ۱۲۶۸.

انتصـر جيش صـغير مفتقر إلى المعّـدات الحربيه على جيش يبلغ أضـعافه عددا و إمكانات.و من الناحيه المنطقيه:فإنّ اللّه كان قد أخبر المسلمين صراحه بهذا النصر قبل بدء الحرب.

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَعِبْرَهً لِأُولِی الْأَبْصٰارِ

.

فی ختـام الآیـه یؤکّـد سبحانه أنّ الـذین وهبوا البصـیره بحیث یرون الحقائق کما هی،یعتبرون بهـذا الانتصار الـذی أحرزه أناس مؤمنون،و یدرکون أنّ أساس هذا الانتصار هو الإیمان...الإیمان وحده (۱) .

۱- ۱) -«عبره»فی الأصل من ماده«عبور»بمعنی الانتقال من مرحله إلی اخری أو من مکان إلی آخر و یقال لـدمع العین«عبره»علی وزن«حسـره»لأنـه یعبر مـن العیـن،و یقـال للکلمـات الـتی تمر مـن خلاـل اللسان و الاـذن «عبـارات»أیضـا و کـذلک یقـال للحوادث«عبره»لأجل أن الإنسان عند ما یراها یعلم بمخلفاتها من الحقائق.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۴]

اشاره

زُیِّنَ لِلنّٰاسِ حُبُّ اَلشَّهَوٰاتِ مِنَ اَلنِّسٰاءِ وَ اَلْبَنِینَ وَ اَلْقَنٰاطِیرِ اَلْمُقَنْطَرَهِ مِنَ اَلذَّهَبِ وَ اَلْفِضَّهِ وَ اَلْخَیْلِ اَلْمُسَوَّمَهِ وَ اَلْأَنْعٰامِ وَ اَلْحَرْثِ ذٰلِکَ مَتٰاعُ اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ اَللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ اَلْمَآبِ (۱۴)

التّفسیر

اشاره

جاذبیه المتاع الدنیوی:

تعقیبا علی الآیات السابقه التی اعتبرت الإیمان رأس المال الحقیقی للإنسان-لا المال و البنین و الأنصار-تشیر هذه الآیه إلی حقیقه أنّ الزوجه و الأبناء و الأموال إنّما هی ثروات تنفع فی الحیاه المادّیه هذه،و لکنّها لا یمکن أن تشکّل هدف الإنسان الأصیل. صحیح أنّه بغیر هذه الوسائل لا یمکن السیر فی طریق السعاده و التکامل المعنوی،إلاّ أنّ الاستفاده منها فی هذا السبیل شیء و حبّها و عبادتها-بغیر أن تکون مجرّد وسیله یستفاد منها-شیء آخر.

فی هذه الآیه بضع نقاط ینبغی الالتفات إلیها:

ص: ۴۱۷

۱-من الذی جعل المادّیات زینه؟

فی تعبیر زُیِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَوٰاتِ... (۱) جاء الفعل مبنیّا للمجهول،أی أنّ الفاعل المجهول قد زیّن للناس حبّ الزوجه و الأولاد و الأموال.فی هذه الحاله یخطر للمرء هذا السؤال:تری من هو الذی زیّن هذه الأمور للناس؟ بعض المفسّرین یرون أنّ هذه المشتهیات من عمل الشیطان الذی یزیّنها فی أعین الناس،و یستدلّون علی ذلک بالآیه ۲۴ من سوره النمل: وَ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ و أمثالها.إلاّ أنّ هذا الاستدلال لا یبدو صحیحا،لأنّ الکلام فی الآیه التی نبحث فیها لا تتکلّم عن«الأعمال»،بل عن الأموال و النساء و الأبناء.

إنّ التفسیر الذی یبدو صحیحا هو أنّ اللّه هو الذی زیّن للناس ذلک عن طریق الخلق و الفطره و الطبیعه الإنسانیه.

إنّ اللّه هو الذی جعل حبّ الأبناء و الثروه فی جبلّه الإنسان لکی یختبره و یسیر به فی طریق التربیه و التکامل،کما یقول القرآن إِنّٰا جَعَلْنٰا مٰا عَلَی الْأَرْضِ زِینَهً لَهٰا لِنَبْلُوَهُمْ أَیُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (۲) .

ممّا یثیر الالتفات فی الآیه أنّ الزوجه أو المرأه قد وردت أوّلا،و هذا هو ما یقول به علماء النفس الیوم،بأنّ الغریزه الجنسیه من أقوی الغرائز فی الإنسان،کما أنّ التاریخ المعاصر و القدیم یؤیّد أنّ کثیرا من الحوادث الاجتماعیه ناشئه عن طغیان هذه الغریزه.

و ینبغی القول أیضا إنّ هذه الآیه و الآیات المشابهه لا تذمّ العلائق المعتدله مع المرأه و الأولاد و المال،لأنّ التقدّم نحو الأهداف المعنویه غیر ممکن بدون الوسائل المادّیه،و هی لا تتعارض مع نوامیس الخلق الطبیعیه.إنّما المذموم هو

۱- ۱) -الشهوات:جمع شهوه،أی حبّ شیء من الأشیاء حبّا شدیدا،و لکنها فی هذه الآیه بمعنی المشتهیات.

۲- ۲) -الکهف:۷.

الإفراط فی هذه العلائق،و بعباره أخری:المذموم هو عباده هذه الأمور.

۲-ما هی«القناطیر المقنطره»و«الخیل المسوّمه»؟

«قناطیر»جمع قنطار،و هو الشیء المحکم،ثمّ أطلق علی المال الکثیر.

و إطلاق«القنطره»علی الجسر،و«القنطر»علی الشخص الذکی إنّما هو لإحکام البناء أو الفکر.و«المقنطره»اسم مفعول یدلّ علی الکثره و المضاعفه،و ذکرهما متتالیین یعنی التوکید،کقولنا«آلاف مؤلّفه»و نقصد به الکثره الکاثره.

هناک من حدّد وزن القنطار بأنّه یساوی سبعین ألف دینار ذهبا،و قال بعض إنّه مائه ألف دینار،و قال آخرون إنّه یساوی اثنی عشر ألف درهم،و یقول بعض إنّ القنطار کیس مملوء ذهبا أو فضه.

و

فی روایه عن الإمام الباقر و الإمام الصادق علیهما السّلام أنّ القنطار مقدار من الذهب الذی یملأ جلد بقره. إلاّ أنّ کلّ هذه تشیر إلی المال الوفیر.

«الخیل»اسم جمع للفرس،و تطلق علی الفرسان أیضا.و المقصود فی الآیه هو المعنی الأول طبعا.

و«المسوّمه»بمعنی المعلّمه أی ذات العلامه،فقد تعلّم الخیل لإبراز جمال هیکلها و رشاقتها،أو لمعرفه أنّها مدرّبه و معدّه للرکوب فی میادین القتال.

و علیه،فإنّ الآیه تعدّد سته من ثروات الحیاه و هی:المرأه،و الولد،و المال، و الخیول الأصیله،و المواشی و الإبل،و الزراعه،و هی أرکان الحیاه المادّیه.

۳-ما هو المراد ب مَتٰاعُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا ؟

«المتاع»هو الانتفاع بالشیء بعض الوقت.و الحیاه الدنیا هی الحیاه الواطئه الحقیره.فیکون معنی الآیه:إذا عشق أحد هذه الأشیاء السته و حدها باعتبارها الهدف النهائی للحیاه،و لم یستفد منها کسلّم للصعود فی مسیره حیاته،یکون قد اختار لنفسه حیاه منحطّه.

و فی الحقیقه أنّ تعبیر«الحیاه الدنیا»إشاره إلی سیر الحیاه التکاملی،إذ أنّ هذه الحیاه الدنیا تعتبر المرحله الأولی فی ذلک السیر.لذلک تشیر الآیه فی النهایه إلی الحیاه السامیه التی تنتظر الإنسان فتقول: وَ اللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ .

۴-کما تقدّم فی تفسیر الآیه،فقد اشارت الآیه إلی النساء من بین النعم المادّیه و قدّمتها علی الجمیع،لأنّها بالقیاس الی النعم الاخری أقوی تأثیرا و اشدّ جاذبیه لأهل الدنیا و قد تدعوهم إلی ارتکاب أعظم الجنایات فی هذا السبیل.

ص :۴۲۰

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۵ الی ۱۷]

اشاره

قُلْ أَ أُنَبِّئُکُمْ بِخَیْرٍ مِنْ ذٰلِکُمْ لِلَّذِینَ اِتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا وَ أَزْوٰاجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ بَصِیرٌ بِالْعِبٰادِ (۱۵) اَلَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنٰا إِنَّنٰا آمَنّٰا فَاغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا وَ قِنٰا عَذٰابَ اَلنّٰارِ (۱۶) اَلصّٰابِرِینَ وَ اَلصّٰادِقِینَ وَ اَلْقٰانِتِینَ وَ اَلْمُنْفِقِینَ وَ اَلْمُسْتَغْفِرِینَ بِالْأَسْحٰارِ (۱۷)

التّفسیر

اشاره

هذه الآیه توضّح الخطّ البیانی الصاعد لتکامل الحیاه الإنسانیه الذی أشیر إلیه فی الآیه السابقه.تقول الآیه:هل أخبرکم بحیاه أرفع و أسمی من هذه الحیاه المادّیه المحدوده فی الدنیا،تلک الحیاه فیها کلّ ما فی هذه الحیاه من النعم لکنّها صورتها الکامله الخالیه من أیّ نقص و عیب خاصه بالمتقین.

بساتینها،لا کبساتین الدنیا،لا ینقطع الماء عن الجریان بجوار أشجارها:

تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ

.

و نعمها دائمه أبديه،لا كنعم الدنيا السريعه الزوال: خٰالِدِينَ فِيهٰا .

نساؤها خلافا لكثير من غوانى هذه الدنيا،ليس فى أجسامهنّ و لا أرواحهنّ نقطه ظلام و خبث: وَ أَزْوٰاجٌ مُطَهَّرَةٌ .

كلّ هذا بانتظار المتّقين.و أسمى من ذلك كلّه،النعم المعنويه التى تفوق كلّ تصوّر و هى رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ .

نلاحظ أنّ الآيه تبدأ بجمله:«أ أنبؤكم»الاستفهاميه الموجّهه إلى الفطره الإنسانيه الواعيه لكى تكون أنفذ فى السامع و أعمق،ثمّ إنّ الاستفهام ينصّ على «الإنباء»التى تستعمل للأداء بخبر مهمّ جدير بالاستيعاب.

و تخبر الآيه المؤمنين أنّهم إذا امتنعوا عن اللذائذ غير المشروعه و الأهواء الطاغيه الممزوجه بالمعصيه،فإنّهم سيفوزون فى الآخره بلذائذ مشابهه و لكن بمستوى أرفع و خاليه من كلّ نقص و عيب.إلاّ أنّ هذا لا يعنى حرمان النفس من لذائذ الحياه الدنيا التى لهم أن يتمتّعوا بها بصوره مشروعه.

هل فى الجنّه لذائذ مادّيه أيضا؟

يظنّ بعضهم أنّ اللذائذ المادّيه مقتصره على الحياه الدنيا،و أنّ الحياه الأخرى خاليه منها،و أنّ جميع ما جاء فى القرآن عن الجنّات و الفواكه و المياه الجاريه و الأزواج الطاهره إنّما هى كنايه عن مقامات و نعم معنويه من باب«كلّم الناس على قدر عقولهم».

و لكنّا ينبغى أن نقول:إنّنا بعد أن قبلنا بالمعاد الجسمانى استنادا إلى الكثير من آيات القرآن الصريحه،فلا بدّ من وجود نعم تناسب الجسم و الروح و بمستوى أرفع و أعلى.و فى هذه الآيه إشاره إلى كليهما:ما يناسب المعاد الجسمانى،و ما يناسب المعاد الروحى.

فی الواقع،إنّ الذین یعتبرون نعم الآخره المادّیه کنایه عن نعم معنویه،إنّما یؤوّلون ظاهر آیات القرآن دون سبب،کما أنّهم ینسون المعاد الجسمانی و ما یقتضیه.

و لعلّ جمله وَ اللّٰهُ بَصِیرٌ بِالْعِبٰادِ التی جاءت فی آخر الآیه إشاره إلی هذه الحقیقه،أی أنّه یعلم ما یحتاجه الجسم و الروح فی العالم الآخر،و ما هی متطلّبات کلّ منهما و هو یضمن إشباع هذه الحاجات علی أحسن وجه.

اَلَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنٰا إِنَّنٰا...

.

فی هذه الآیه و الآیه التی بعدها نتعرّف علی المتّقین الذین کانوا فی الآیه السابقه مشمولین بنعم اللّه العظیمه فی العالم الآخر،فتعددان ستّ صفات من صفاتهم الممتازه.

۱-إنّهم یتوجّهون إلی اللّه بکلّ جوارحهم،و الإیمان یضیء قلوبهم،و لذلک یحسّون بمسؤولیه کبیره فی کلّ أعمالهم،و یخشون عقاب أعمالهم خشیه شدیده، فیطلبون مغفرته و النجاه من النار: فَاغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا وَ قِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ .

۲-مثابرون صابرون ذوو همّه،و مقاومون عند مواجهتهم الحوادث فی مسیره إطاعتهم للّه و تجنّبهم المعاصی،و عند ابتلائهم بالشدائد الفردیه و الاجتماعیه اَلصّٰابِرِینَ .

۳-صادقون و مستقیمون،و ما یعتقدون به فی الباطن یعملون به فی الظاهر، و یتجنّبون النفاق و الکذب و الخیانه و التلوّث وَ الصّٰادِقِینَ .

۴-فی طریق العبودیه للّه خاضعون و متواضعون و مواظبون علی ذلک وَ الْقٰانِتِینَ (۱) .

۵-لا ینفقون من أموالهم فحسب،بل ینفقون من جمیع ما لدیهم من النعم المادّیه و المعنویه فی سبیل اللّه،فیعالجون بذلک أدواء المجتمع وَ الْمُنْفِقِینَ .

۱- ۱) -«قانتین»من ماده«قنوت»بمعنی الخضوع امام اللّه و أیضا بمعنی المداومه علی الطاعه و العبودیه.

۶-فی أواخر اللیل و عند السحر،أی عند ما یسود الهدوء و الصفاء و حین یغط الغافلون فی نوم عمیق و تهدأ ضوضاء العالم المادّی،یقوم ذوو القلوب الحیّه الیقظه،و یذکرون اللّه و یطلبون المغفره منه و هم ذائبون فی نور اللّه و جلاله،و تلهج کلّ ذرّه من وجودهم بتوحیده سبحانه وَ الْمُسْتَغْفِرِینَ بِالْأَسْحٰارِ .

بحوث

۱-فی تفسیر هذه الآیه،

روی عن الصادق علیه السّلام أنه قال: «من قال فی آخر صلاه الوتر فی السحر«استغفر اللّه و أتوب إلیه»سبعین مرّه،و دوام علی ذلک سنه کتبه اللّه من المستغفرین بالأسحار» (۱) .

۲-«السحر»فی أصل اللغه هو«التغطیه و الإخفاء».و لمّا کانت ساعات اللیل الأخیره تغطّی کلّ شیء بستار خاصّ،فقد سمّیت بالسحر.و«السحر»-بکسر السین-من المادّه نفسها،لأنّ الساحر یقوم بأعمال تخفی أسرارها علی الآخرین.

و قد یطلق العرب اسم«السحر»-بوزن البشر-علی الرئه لاختفاء ما فیها.

لما ذا یشار إلی السحر من بین جمیع ساعات اللیل و النهار،مع أنّ الاستغفار و ذکر اللّه مطلوبان فی کلّ وقت؟السبب هو ما تتمیّز به ساعات السحر من هدوء و سکون و ابتعاد عن الأعمال المادّیه،و للنشاط الذی یشعر به المرء بعد استراحته و نومه،فیکون أکثر استعدادا للتوجّه إلی اللّه.و هذا ما یسهل درکه بالتجربه،حتّی أنّ بعض العلماء یستثمرون وقت السحر لحلّ المسائل العلمیه،إذا أنّ سراج الفکر و روح الإنسان أکثر تلألؤا و سطوعا فی ذلک الوقت من أیّ وقت آخر.و لمّا کانت روح العباده و الاستغفار هی التوجّه و حضور القلب،فإنّ العباده و الاستغفار فی هذا الوقت أسمی من أیّ وقت آخر.

۱- ۱) -تفسیر البرهان:ج ۱ ص ۲۷۳.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۸]

اشاره

شَهِدَ اَللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ وَ اَلْمَلائِکَهُ وَ أُولُوا اَلْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۱۸)

التّفسیر

اشاره

الجمیع یشهد بالوحدانیه:

تعقیبا علی البحث فی الآیات السابقه حول المؤمنین الحقیقیین،تشیر هذه الآیه إلی بعض أدلّه التوحید و معرفه اللّه فتقول بأن اللّه تعالی یشهد بوحدانیته(من خلال إیجاد النظام الکونی العجیب)،کما تشهد الملائکه،و یشهد بعد ذلک العلماء و الذین ینظرون إلی حقائق العالم بنور العلم و المعرفه شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ وَ الْمَلائِکَهُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ .

بحوث

اشاره

۱-کیف یشهد اللّه علی وحدانیّته؟

المقصود من شهاده اللّه هنا هو الشهاده العملیه و العقلیه،لا الشهاده اللفظیه.

ص :۴۲۵

أی أنّ اللّه بخلقه عالم المخلوقات الذی یسوده نظام موحّد،و تتشابه قوانینه فی کلّ مکان،و تجری وفق برنامج واحد،لتکوّن«وحده واحده»و«نظاما واحدا»،قد أظهر عملیا أنّ الخالق و المعبود فی العالم لیس أکثر من واحد،و أنّ کلّ شیء ینطلق من ینبوع واحد.و علیه فإنّ خلق هذا النظام الواحد شهاده و دلیل علی وحدانیّته.

أمّا شهاده الملائکه و العلماء،فهی شهاده لفظیه،فهم بالتعبیر اللفظی الذی یناسبهم یعترفون بهذه الحقیقه.إنّ هذا اللون من التفکیک فی الآیات القرآنیه کثیر فی الآیه إِنَّ اللّٰهَ وَ مَلاٰئِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ (۱) ،لا شکّ أنّ صلاه اللّه علی النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم غیر صلاه الملائکه علیه،فصلاه اللّه هی إرسال الرحمه،و صلاه الملائکه هی طلب الرحمه.

بدیهیّ أنّ لشهاده الملائکه و العلماء جانبها العملی أیضا،ذلک لأنّهم لا یعبدون سواه،و لا یخضعون لمعبود غیره.

۲-ما القیام بالقسط؟

إنّ عباره قٰائِماً بِالْقِسْطِ حال من فاعل«شهد»و هو«اللّه».أی أنّ اللّه یشهد بوحدانیّته فی حاله کونه قائما بالعداله فی عالم الوجود.و هذا فی الحقیقه دلیل علی شهادته،لأنّ العداله هی إختیار الطریق الوسط و المستقیم،بمعزل عن کلّ إفراط و تفریط و انحراف. و نعلم أنّ الطریق الوسط المستقیم لا بدّ أن یکون طریقا واحدا،کما نقرأ فی الآیه ۱۵۳ من سوره الأنعام وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ .

تقول هذه الآیه إنّ طریق اللّه واحد،بینما طرق المنحرفین و البعیدین عن اللّه

۱- ۱) -الأحزاب:۵۶.

متعدّده و متناثره،و ذلک لورود الصراط المستقیم بصیغه المفرد،و سبل المنحرفین بصیغه الجمع.

النتیجه هی أن«العداله»تصاحب«النظام الواحد»،و النظام الواحد دلیل علی «المبدأ الواحد».و بناء علی ذلک فإنّ العداله بمعناها الحقیقی فی عالم الخلق دلیل علی وحدانیه الخالق،فتأمّل.

۳-أهمیه العلماء

العلماء فی هذه الآیه وضعوا إلی جانب الملائکه،و هذا بذاته تمییز للعلماء علی غیرهم.کما یستفاد من الآیه أنّ العلماء إنّما امتازوا علی غیرهم لأنّهم بعلمهم توصّلوا إلی معرفه الحقائق،و علی رأسها معرفه وحدانیه اللّه.

من الواضح أنّ الآیه تشمل جمیع العلماء،أمّا قول بعض المفسّرین بأنّ أُولُوا الْعِلْمِ هم الأئمّه الأطهار علیهم السّلام فلأنّ الأئمّه من اظهر مصادیق ذلک.

ینقل المرحوم الطبرسی فی«مجمع البیان»ضمن تفسیر هذه الآیه،

عن جابر بن عبد اللّه الأنصاری،عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: «ساعه من عالم یتّکئ علی فراشه ینظر فی علمه خیر من عباده العابد سبعین عاما».

یتکرّر تعبیر لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فی نهایه الآیه،و لعلّ التکرار إشاره إلی أنّه ما جاءت فی البدایه شهاده اللّه و الملائکه و العلماء،کذلک علی من یسمع هذه الشهادات أن یردّدها هو أیضا معهم،و یشهد علی وحدانیه المعبود.

و لمّا کان قوله لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ تعظیما و إظهارا لوحدانیّته،فقد اختتم بالصفتین «العزیز»و«الحکیم»لأنّ القیام بالقسط یتطلّب القدره و الحکمه،و أنّ اللّه القادر

على كلّ شيء،و العليم بكلّ شيء هو وحده القادر على إجراء العداله فى عالم الوجود.

هذه الآيه من الآيات التى كانت موضع اهتمام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم دائما و كان يردّدها فى مواضع مختلفه.

و روى عن الزبير بن العوام قال:قلت لأدنونّ هذه العشيه من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و هى عشيه عرفه،حتّى أسمع ما يقول...،فسمعته يقول: شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الآيه،فما زال يرددها حتّى رفع (1) .

1- 1) -مجمع البيان:ج 2 ص 421.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۹]

اشاره

إِنَّ اَلدِّينَ عِنْدَ اَللّٰهِ اَلْإِسْلاٰمُ وَ مَا اِخْتَلَفَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ اَلْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآيٰاتِ اَللّٰهِ فَإِنَّ اَللّٰهَ سَرِيعُ اَلْحِسٰابِ (۱۹)

التّفسیر

اشاره

روح الدین التسلیم للحقّ:

«الدین»فی الأصل بمعنی الجزاء و الثواب،و یطلق علی«الطاعه»و الانقیاد للأوامر،و«الدین»فی الاصطلاح:مجموعه العقائد و القواعد و الآداب التی یستطیع الإنسان بها بلوغ السعاده فی الدنیا،و أن یخطو فی المسیر الصحیح من حیث التربیه و الأخلاق الفردیه و الجماعیه.

«الإسلام»یعنی التسلیم،و هو هنا التسلیم للّه.و علی ذلک،فإنّ معنی إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلاٰمُ :إنّ الدین الحقیقی عند اللّه هو التسلیم لأوامره و للحقیقه.

فی الواقع لم تکن روح الدین فی کلّ الأزمنه سوی الخضوع و التسلیم للحقیقه.

و إنّما أطلق اسم«الإسلام»علی الدین الذی جاء به الرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم لأنّه أرفع الأدیان.

و قد أوضح الإمام على عليه السّلام هذا المعنى فى بيان عميق فقال: «لأنسبنّ الإسلام نسبه لم ينسبها أحد قبلى:الإسلام هو التسليم،و التسليم هو اليقين،و اليقين هو التصديق،و التصديق هو الإقرار،و الإقرار هو الأداء،و الأداء هو العمل»

(۱)

.

فالإمام فى كلمته هذه يضع للاسم ستّ مراحل،أولاها التسليم أمام الحقيقه، ثمّ يقول إنّ التسليم بغير يقين غير ممكن(إذ أنّ التسليم بغير يقين يعنى الاستسلام الأعمى،لا التسليم الواعى).ثمّ يقول إنّ اليقين هو التصديق(أى أنّ العلم وحده لا يكفى،بل لا بدّ من الاعتقاد و التصديق القلبيّين)و التصديق هو الإقرار(أى لا يكفى أن يكون الإيمان قلبيّا فحسب،بل يجب إظهاره بشجاعه و قوّه)،ثمّ يقول إنّ الإقرار هو الأداء(أى أنّ الإقرار لا يكون بمجرّد القول باللسان،بل هو التزام بالمسؤوليه).و أخيرا يقول إنّ الأداء هو العمل(أى إطاعه أوامر اللّه و تنفيذ البرامج الإلهيه)لأنّ الالتزام و تحمّل المسؤوليه لا يعنيان سوى العمل.أمّا الذين يسخّرون كلّ قواهم و طاقاتهم فى عقد الجلسات تلو الجلسات و تقديم الاقتراحات و ما إلى ذلك من الأمور التى لا تتطلّب سوى الكلام فلا هم تحمّلوا التزاما و لا مسئوليه، و لا هم وعوا روح الإسلام حقّا.

هذا أجلى تفسير للإسلام من جميع جوانبه،ثمّ إنّ الآيه تذكر علّه الاختلاف الدينى على الرغم من الوحده الحقيقيه للدين الإلهى و تقول:

وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ

.

فعلى هذا إن الاختلاف ظهر أوّلا بعد العلم و الاطلاع على الحقائق.و ثانيا كانت الدوافع لذلك هى الظلم و الطغيان و الحسد.فاليهود اختلفوا فى خليفه موسى ابن عمران عليه السّلام و اقتتلوا بينهم،و المسيحيون اختلفوا فى أمر التوحيد حيث خلطوه

۱- ۱) -نهج البلاغه:قصار الكلمات، ۱۲۰،اصول الكافى:ج ۲ ص ۴۵ مع تفاوت يسير.

بالشرک و التثلیث،و قد اختلف کلّ منهما فی أمر الإسلام و دلائل صدق النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم الوارده فی کتبهم،فقبل بعضهم و أنکر آخرون.

و الخلاصه إنّ لکلّ دین سماوی دلائله الواضحه التی لا تترک إبهاما أمام الباحث عن الحقیقه.فالنبیّ الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم مثلا-بالإضافه إلی أنّ المعجزات و الدلائل الواضحه فی نصوص دینه تؤکّد صدقه-وردت أوصافه و علاماته فی الکتب السماویه السابقه التی بقی قسم منها فی أیدی الیهود و النصاری،و لذلک بشّر علماؤهم بظهوره قبل ظهوره،و لکنّهم بعد أن بعث رأوا مصالحهم فی خطر، فأنکروا کلّ ذلک،یحدوهم الظلم و الحسد و الطغیان.

وَ مَنْ یَکْفُرْ بِآیاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ سَرِیعُ الْحِسابِ

.

هذا بیان لمصیر أمثال هؤلاء الذین لا یعترفون بآیات اللّه.إنّهم سوف یتلقّون نتائج عملهم هذا،فاللّه سریع فی تدقیق حساباتهم (۱) .

المراد من«آیات اللّه»فی هذه الآیه ما یشمل جمیع آیاته و براهینه و کتبه السماویه،و لعلّها تشمل أیضا الآیات التکوینیه فی عالم الوجود،و ما ذکره بعض المفسرین من أنها تعنی آیات التوراه و الإنجیل خاصه،لا دلیل علیه.

ملاحظه

اشاره

منشأ الاختلافات الدینیه

ممّا یلفت النظر فی هذه الآیه هو أنّ سبب الاختلافات الدینیه لیس الجهل و عدم المعرفه دائما،بل هو علی الأکثر الظلم و الطغیان و الانحراف عن الحقّ

۱- ۱) -انظر تفسیر الآیه ۲۰۲ من سوره البقره بشأن معنی«سریع الحساب».

و اتّباع و جهات النظر الخاصّه،فلو تخلّى الناس-و على الأخصّ العلماء منهم- عن التعصّب،و الحقد،و ضيق النظر،و المصالح الخاصّه،و تجاوز الحدود، و الاعتداء على الحقوق،و تعمّقوا فى دراسه أحكام اللّه بنظره واقعيه و بروح من العداله،فسيرون محجّه الحقّ منيره و سيستطيعون حلّ الاختلافات بسرعه.

و هذه الآيه فى الواقع ردّ دامغ على الذين يقولون:«إنّ الدين هو سبب الخلافات إراقه الدماء بين البشر على امتداد التاريخ».

هؤلاء يخلطون بين«الدين»و«التعصّب الدينى»و الانحرافات الفكريه.

فنحن إذا درسنا تعاليم الأديان السماويه نجد أنّها جميعا تسعى لتحقيق هدف واحد،و كلّها جاءت من أجل سعاده الإنسان،و إن كان قد تكاملت تدريجيا على مرور الزمن.

الأديان السماويه أشبه فى الواقع بقطرات المطر النازله من السماء حيث تكمن فيها الحياه،و لكنّها إذا نزلت على الأراضى السبخه،كالأرض المالحه، اكتسبت صبغه هذه الأرض.فهذه الاختلافات ليست من قطرات المطر،بل هى من تلك الأراضى.و لكن من حيث مبدأ التكامل،فإنّ اللّه آخر تلك الأديان يكون أكملها.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۲۰]

اشاره

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ وَ مَنِ اِتَّبَعَنِ وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ وَ اَلْأُمِّيِّينَ أَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اِهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا عَلَيْكَ اَلْبَلاٰغُ وَ اَللّٰهُ بَصِيرٌ بِالْعِبٰادِ (۲۰)

التّفسیر

«المحاجّه»أن یسعی کلّ واحد فی ردّ الآخر عن حجّته و محجّته دفاعا عن عقیدته.

من الطبیعیّ أن یقوم اتباع کلّ دین بالدفاع عن دینهم،و یرون أنّ الحقّ بجانبهم.لذلک یخاطب القرآن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم قائلا:قد یحاورک أهل الکتاب (الیهود و النصاری...)فیقولون إنّهم قد أسلموا بمعنی أنّهم قد استسلموا للحق، و ربّما هم یصرّون علی ذلک،کما فعل مسیحیّو نجران مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم.

فالآیه لا تطلب من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم أن یتجنّب محاورتهم و محاججتهم،بل تأمره أن یسلک سبیلا آخر،و ذلک عند ما یبلغ الحوار منتهاه،فعلیه لکی یهدیهم و یقطع الجدل و الخصام أن یقول لهم:إنّنی و أتباعی قد أسلمنا للّه و اتّبعنا الحقّ

فَإِنْ حَاجُّوکَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِیَ لِلّهِ وَ مَنِ اتَّبَعَنِ

.

ثمّ یسأل أهل الکتاب و المشرکین إن کانوا هم أیضا قد أسلموا للّه و اتّبعوا الحقّ فعلیهم أن یخضعوا للمنطق وَ قُلْ لِلَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ وَ الْأُمِّیِّینَ أَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا فإذا لم یستسلموا للحقیقه المعروضه أمامهم،فإنّهم لا یکونون قد أسلموا للّه.عندئذ لا تمضی فی مجادلتهم،لأنّ الکلام فی هذه الحاله لا تأثیر له، و ما علیک إلاّ أن تبلّغ الرساله لا غیر وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَیْکَ الْبَلاغُ .

و من الواضح أن المراد لیس هو التسلیم اللسانی و الادعائی،بل التسلیم الحقیقی و العملی فی مقابل الحق،فلو أنهم خضعوا حقیقه للکلام الحق،فلا بدّ أن یؤمنوا بدعوتک القائمه علی المنطق و الدلیل الواضح،و إلاّ فإنهم غیر مستسلمین للحق.

و الخلاصه:إن وظیفتک هی إبلاغ الرساله المشفوعه بالدلیل و البرهان،فلو کانت لدیهم روحیه البحث عن الحقیقه فسوف یؤمنون حتما،و إلاّ فإنک قد أدیت واجبک تجاههم.

و فی الختام یقول: وَ اللّهُ بَصِیرٌ بِالْعِبادِ فهو سبحانه یعلم المدّعی من الصادق و کذلک أغراض و دوافع المتحاجّین،و یری أعمالهم الحسنه و القبیحه و یجازی کلّ شخص بعمله.

بحوث

۱-یستفاد من الآیه ضمنیّا لزوم تجنّب مجادله المعاندین الذین لا یخضعون للمنطق السلیم.

۲-المقصود بالأمّيين فی هذه الآیه هم المشرکون،و السبب فی وصف المشرکین بالأمّیّین فی قبال أهل الکتاب-الیهود و النصاری-هو أنّ المشرکین لا یملکون کتابا سماویا حتی یکون حافزا لهم علی تعلّم القراءه و الکتابه.

۳-یتّضح من هذه الآیه بکلّ جلاء أنّ أسلوب رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم لم یکن أسلوب فرض الفکره و العقیده،بل کان أسلوبه السعی إلی توضیح الحقائق أمام الناس،ثمّ یترکهم و شأنهم لکی یتّخذوا قرارهم فی اتّباع الحقّ بأنفسهم.

ص :۴۳۵

الآيتان [سوره آل عمران (۳): الآيات ۲۱ الی ۲۲]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اَللّهِ وَ يَقْتُلُونَ اَلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ اَلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ اَلنّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (۲۱)
أُولئِكَ اَلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَهِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (۲۲)

التّفسير

اشاره

علامات الطغيان:

تعقيبا للآيه السابقه التی تضمّنت أنّ اليهود و النصاری و المشركين كانوا يجادلون رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و سلّم و لا يستسلمون للحق،ففی الآيه الاولی إشاره إلی بعض علامات هذا الأمر حيث تقول الآيه: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ... .

و تشير هذه الآيه فی البدايه إلی ثلاث ذنوب كبيره و هی الكفر بآيات اللّه و قتل الأنبياء بغير الحق و قتل الّذين يدعون إلی العداله و يدافعون عن أهداف الأنبياء،و كلّ واحد من هذه الذنوب يكفی لوحده لجعل الإنسان معاندا و متصلّبا بكفره و عدم تسليمه للحق،بل يسعی لخنق كلّ صوت يدعو إلی الحقّ.

التعبير ب يَكْفُرُونَ و يَقْتُلُونَ جاء بصيغه الفعل المضارع و هو إشاره إلی

أنّ كفرهم و قتلهم الأنبياء و الآمرين بالقسط كان من جمله برنامجهم فى الحياه فيرتكبون هذه الأعمال بصوره دائمه و مستمرّه(لأنّ الفعل المضارع يدلّ على الاستمراريّه).

و بطبيعه الحال إنّ هذه الأعمال كانت تصدر عاده من اليهود حيث نلحظ استمرارهم بهذه الأعمال فى زماننا الحاضر بشكل آخر،و لكنّ هذه لا يمنع من عموميّه مفهوم الآيه أيضا.

ثمّ أنّ الآيه تشير إلى ثلاثه عقوبات مترتّبه على ارتكاب هذه الذنوب،ففى البدايه تشير الآيه فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .

ثمّ تقول: أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَهِ فلو فرض أنّهم عملوا بعض الأعمال الصالحه فإنّها ستمحى و تزول بسبب الذنوب الكبيره التى يرتكبونها.

و الثالث أنّ الآيه تقول: وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ فلا أحد يحميهم من العقوبات الإلهيّه التى تنتظرهم و لا أحد يشفع لهم فى ذلك اليوم.

و سبق و أن قلنا فى تفسير الآيه ۶۱ من سوره البقره أنّ هذه الآيه تشير إلى تاريخ اليهود المضطرب،فهم فضلا عن إنكارهم آيات اللّه تجرّؤا على قتل الأنبياء،كما كانوا يقتلون أتباع الأنبياء من المجاهدين،و لكنّ هذا العمل لا يختصّ بهم وحدهم،بل يصحّ بالنسبه إلى جميع الأقوام التى فعلت و تفعل فعلهم.

بحوث

۱-وضعت الآيه الداعين إلى العداله و الآمرين بالمعروف فى مصافّ الأنبياء.و ترى الكفر بآيات اللّه،و قتل الأنبياء،و قتل هؤلاء،على مستوى واحد، و هذا منتهى اهتمام الإسلام بنشر العداله فى المجتمع.

و یتبیّن من الآیه الثانیه شدّه العقوبات التی ستنزل بالذین یقتلون أمثال هؤلاء الرجال الصالحین.و قد سبق أن قلنا إنّ«الحبط»لا یشمل جمیع الذنوب،بل للذنوب الکبیره التی تذهب بآثار الأعمال الصالحه (۱) و أخیرا عدم قبول أیّه شفاعه بحقّهم،کدلیل علی عظم ذنوبهم.

۲-المقصود من بِغَیْرِ حَقٍّ لیس إمکان جواز قتلهم بحق،بل المقصود هو القول بأنّ قتل الأنبیاء کان دائما ظلما و بغیر حقّ.فعباره«بغیر حقّ»قید توضیحیّ للتوکید.

۳-یستفاد من عباره فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ أنّها تشمل الکفّار المعاصرین للنبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا،مع أنّا نعلم أنّ هؤلاء لم یقتلوا أحدا من الأنبیاء.و قد أشرنا من قبل إلی السبب و قلنا إذا رضی أحد بفعال قوم و سلوکهم و أفکارهم،فإنّه یکون شریکا لهم فی أعمالهم الخیّره و السیّئه.و لمّا کانت هذه الجماعه المعاصره للنبیّ من الکفّار-و خاصّه الیهود-تؤیّد أعمال أسلافهم و جرائمهم،فهم یشارکونهم فیما ینتظرهم من العقاب أیضا.

۴-«البشاره»هی إخبار الرجل خبرا سارّا یبسط أساریر وجهه.و استعمال هذه الکلمه فی الإخبار بالعذاب فی هذه الآیه و فی غیرها إنّما هو نوع من التهدید و الاستهزاء بأفکار المذنبین.و هذا أشبه بما هو متداول بیننا الیوم،إذ نقول- مستهزئین-لمن أساء الفعل:حسنا،سوف نکافؤک علی ذلک.

۵-

ورد فی حدیث عن أبی عبیده الجراح أنّه قال سألت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم عن أیّ الناس أشدّ عذابا فی الآخره؟ فقال:رجل قتل نبیا أو رجلا أمر بالمعروف أو نهی عن منکر ثمّ قرأ

۱- ۱) -انظر تفسیر الآیه ۲۱۷ من سوره البقره بخصوص«حبط».

وَ یَقْتُلُونَ النَّبِیِّینَ بِغَیْرِ حَقٍّ وَ یَقْتُلُونَ الَّذِینَ یَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النّٰاسِ

ثمّ قال:یا أبا عبیده قتلت بنو إسرائیل ثلاثه و أربعین نبیا من أول النهار فی ساعه واحده،فقام مائه رجل و اثنا عشر رجلا من عباد بنی إسرائیل فأمروا من قتلهم بالمعروف و نهوهم عن المنکر فقتلوا جمیعا من آخر النهار فی ذلک الیوم،و هو الذی ذکره اللّه تعالی:

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذٰابٍ أَلِیمٍ

(۱)

.

۱- ۱) -مجمع البیان:ج ۱ و ج ۲ ص ۴۲۳.

الآيات [سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٣ الی ٢٥]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ اَلْكِتٰابِ يُدْعَوْنَ إِلىٰ كِتٰابِ اَللّٰهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّٰى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قٰالُوا لَنْ تَمَسَّنَا اَلنّٰارُ إِلاّٰ أَيّٰاماً مَعْدُودٰاتٍ وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ (٢۴) فَكَيْفَ إِذٰا جَمَعْنٰاهُمْ لِيَوْمٍ لاٰ رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ (٢۵)

سبب النّزول

جاء فی تفسیر«مجمع البیان»عن ابن عبّاس أنّه حدث علی عهد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم أن ارتکب یهودی الزنا مع امرأه محصنه،علی الرغم من أنّ ما جاء فی التوراه یقضی بالرجم علی أمثال هؤلاء،فإنّهما لم ینالا عقابا لأنّهما کانا من الأشراف، و اتّفقا علی الرجوع إلی رسول الإسلام صلی اللّه علیه و آله و سلّم لیکون هو الحکم،آملین أن ینالا عقابا أخف.

غیر أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم أیّد العقاب المعیّن لهما،فاعترض بعض کبار الیهود

على حكم الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أنكروا أن يكون فى اليهود مثل هذا العقاب.

فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم «بينى و بينكم التوراه»فوافقوا،و استدعوا«ابن صوريا»أحد علمائهم،من فدك إلى المدينه،و عند وصوله عرفه النبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و سأله:أ أنت ابن صوريا؟قال:نعم.فقال:أ أنت أعلم علماء اليهود؟قال:هكذا يحسبوننى،فأمر رسول اللّه أن يفتحوا أمامه التوراه حيث ذكر الرجم ليقرأه،و لكنّه لمّا كان مطّلعا على تفاصيل الحادث قرأ جانبا من التوراه،و عند ما وصل إلى عباره الرجم وضع يده عليها و تخطّاها و لم يقرأها و قرأ ما بعدها.فأدرك«عبد اللّه بن سلام»-الذى كان من علماء اليهود ثمّ أسلم-مكر ابن صوريا و قام إليه و رفع يده عن الآيه و قرأ ما كان قد أخفاه بيده،قائلا:تقول التوراه:على اليهود،إذا ثبت زنا المحصن بالمحصنه رجما.فأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم أن ينفّذ العقاب بحقّهما بموجب شريعتهم.فغضب بعض اليهود،فنزلت هذه الآيه بحقّهم (1) .

التّفسير

اشاره

هذه الآيات تصرّح ببعض تحريفات أهل الكتاب الذين كانوا يتوسّلون بالتبريرات و الأسباب الواهيه لتفادى إجراء حدود اللّه،مع أنّ كتابهم كان صريحا فى بيان حكم اللّه بغير إبهام،و قد دعوا للخضوع للحكم الموجود فى كتابهم أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتٰابِ يُدْعَوْنَ إِلىٰ كِتٰابِ اللّٰهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ .

و لكن عصيانهم كان ظاهرا و مصحوبا بالإعراض و الطغيان و اتّخاذ موقف المعارض لأحكام اللّه: ثُمَّ يَتَوَلّٰى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ .

1- 1) -فى التوراه الموجوده حاليّا،فى سفر اللاويّين فى الفصل العشرين،الجمله العاشره نقرأ ما يلى:«إذا زنا أحد بامرأه غيره،أى بامرأه جاره(مثلا)يجب قتل الزانى و الزانيه».على الرغم من أنّ الرجم نفسه لم يرد،فقد ورد العقاب بالموت،و ربما يكون التصريح بالرجم قد ورد فى النسخه التى كانت موجوده على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم.

يمكن الاستنتاج من أَوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ أنّ ما كان بين أيدى اليهود و النصارى من التوراه و الإنجيل لم يكن كاملا،بل كان قسم منهما بين أيديهم، بينما كان القسم الأعظم من هذين الكتابين السماويّين قد ضاع أو حرّف.

هذه الآيه تؤيّدها آيات أخرى فى القرآن،كما أنّ هناك شواهد و دلائل تاريخيه تؤكّد ما ذهبنا إليه.

و فى الآيه الثانيه شرح سبب عصيانهم و تمردّهم،و هو أنّهم كانوا يحملون فكره خاطئه عن كونهم من عنصر ممتاز،و هم اليوم أيضا يحملون هذه الفكره الباطله الواضحه فى كتاباتهم الدالّه على الاستعلاء العنصرى.

كانوا يظنّون أنّ لهم علاقه خاصّه باللّه سبحانه،حتّى أنّهم سمّوا أنفسهم«أبناء اللّه»كما ينقل القرآن ذلك على لسان اليهود و النصارى فى الآيه ١٨ من سوره المائده قولهم: نَحْنُ أَبْنٰاءُ اللّٰهِ وَ أَحِبّٰاؤُهُ .و بناء على ذلك كانوا يرون لأنفسهم حصانه تجاه العقوبات الربّانيه،و كانوا ينسبون ذلك إلى اللّه نفسه.لذلك كانوا يعتقدون أنّهم لن يعاقبوا على ذنوبهم يوم القيامه إلاّ لأيّام معدودات: قٰالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّٰارُ إِلاّٰ أَيّٰاماً مَعْدُودٰاتٍ .

و لعلّ القصد من«الأيام المعدودات»هى الأربعون يوما التى عبدوا فيها العجل فى غياب موسى عليه السّلام،و كان هذا ذنبا لم يكونوا هم أنفسهم قادرين على إنكاره.

أو لعلّها أيّام قليله من أعمارهم ارتكبوا فيها ذنوبا كبيره غير قابله للإنكار، و لم يستطيعوا حتّى على إخفائها.

هذه الامتيازات الكاذبه المصطنعه،التى أسبغوها على أنفسهم و نسبوها إلى اللّه،صارت شيئا فشيئا جزءا من معتقداتهم بحيث إنّهم اغترّوا بها و راحوا يخالفون أحكام اللّه و يخرقون قوانينه مجترئين عليها جرأه لا مزيد عليها وَ غَرَّهُمْ

فِی دِینِهِمْ مٰا کٰانُوا یَفْتَرُونَ

.

و تـدحض الآیه الثالثه کلّ هـذه الخیالات البـاطله و تقول: لا شکّ أنّ هؤلاء سوف یلاقون یوما یجتمع فیه البشـر أمام محکمه العدل الإلهی فیتسلّم کلّ فرد قائمه أعماله،و یحصدون ناتج ما زرعوه،و مهما یکن عقابهم فهم لا یظلمون لأنّ ذلک هو حاصـل أعمالهم فَکَیْفَ إِذٰا جَمَعْنٰاهُمْ لِیَوْمٍ لاٰ رَیْبَ فِیهِ وَ وُفِّیَتْ کُلُّ نَفْسٍ مٰا کَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ یُظْلَمُونَ .

یتّضـح من مٰا کَسَبَتْ أنّ عقـاب المرء و ثوابه یوم القیـامه و فوزه و خـذلانه فی العـالم الآخر إنّما یرتبط بأعماله هو،و لا یؤثّر فیه شیء آخر.هذه حقیقه أشیر إلیها فی کثیر من الآیات الکریمه.

سؤالان

١-أ یمکن للإنسـان أن یختلق کـذبا أو افتراء و ینسـبه إلی اللّه،ثمّ یتـأثّر به هو و یعتوره الغرور إلی تلـک الـدرجه التی أشار إیها القرآن فی الآیات السابقه بالنسبه للیهود؟ لیس من العسـیر الردّ علی هذا السؤال،و ذلک لأنّ قضیه خداع النفس من القضایا التی یعترف بها علم النفس المعاصـر.إنّ العقل الإنسانی یسـعی أحیانا إلی استغفال الضمیر بأنّ یغیّر وجه الحقیقه فی عین ضمیره.کثیرا مـا نشاهـد أناسـا ملوّثین بالـذنوب الکبیره،کالقتـل و السـرقه و أمثالهـا،علی الرغم من إدراکهم تماما قبـح تلک الأعمال یسـعون لإظهـار ضـحایاهم بـأنّهم کـانوا یسـتحقّون مـا أصـابهم لکی یسـبغوا هـدوءا کاذبا علی ضـمائرهم،و کثیرا ما نری المـدمنین علی المخدّرات یبرّرون فعالهم بأنّهم یستهدفون الفرار من مصائب الدنیا و مشاکلها.

ثمّ إنّ هذه الأکاذیب و الافتراءات عن تفوّقهم العنصری التی حاکتها الأجیال

السابقه من أهل الكتاب وصلت بالتدريج إلى الأجيال التاليه التى لم تكن تعرف الكثير عن هذا الموضوع-و لم تعن بالبحث عن الحقيقه-بصوره عقائد مسلّم بها.

۲-يمكن أن يقال إنّ الاعتقاد«بالعذاب لأيام معدودات»منتشر بيننا نحن المسلمين أيضا،لأنّنا نعتقد أنّ المسلمين لا يخلّدون فى العذاب الإلهى،إذ أنّ إيمانهم سوف ينجيهم أخيرا من العذاب.

و لكن ينبغى التوكيد هنا أنّنا لا يمكن أن نعتقد بأنّ المسلم المذنب و الملوّث بأنواع الآثام يعذّب بضعه أيّام فقط،بل أنّنا نعتقد أنّ عذاب هؤلاء يطول لسنوات و سنوات لا يعرف مداها إلاّ اللّه،إلاّ أنّ عذابهم لا يكون أبديا خالدا.و إذا وجد حقّا بين المسلمين من يحسبون أنّهم بالاحتماء بالإسلام و الإيمان و النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمّه الأطهار يجوز لهم أن يرتكبوا ما يشاءون من الذنوب،ثمّ لا يصيبهم من العقاب سوى بضعه أيّام من العذاب،فإنّهم على خطأ كبير و يجهلون تعاليم الإسلام و روح تشريعاته.

ثمّ إنّنا لا نعترف بأىّ امتياز خاصّ للمسلمين،بل نعتقد أنّ كلّ أمّه اتّبعت نبيّها فى زمانها ثمّ أذنبت مشموله بهذا القانون أيضا،بغضّ النظر عن عنصرها.أمّا اليهود فيخصّون أنفسهم بهذا الامتياز دون غيرهم بزعم تفوّقهم العنصرى.و قد ردّ عليهم القرآن زعمهم الكاذب هذا فى الآيه ۱۸ من سوره المائده: بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ .

ص :۴۴۴

الآيتان [سوره آل عمران (٣): الآيات ٢۶ الی ٢٧]

اشاره

قُلِ اَللّٰهُمَّ مٰالِکَ اَلْمُلْکِ تُؤْتِی اَلْمُلْکَ مَنْ تَشٰاءُ وَ تَنْزِعُ اَلْمُلْکَ مِمَّنْ تَشٰاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشٰاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشٰاءُ بِیَدِکَ اَلْخَیْرُ إِنَّکَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (٢۶) تُولِجُ اَللَّیْلَ فِی اَلنَّهٰارِ وَ تُولِجُ اَلنَّهٰارَ فِی اَللَّیْلِ وَ تُخْرِجُ اَلْحَیَّ مِنَ اَلْمَیِّتِ وَ تُخْرِجُ اَلْمَیِّتَ مِنَ اَلْحَیِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشٰاءُ بِغَیْرِ حِسٰابٍ (٢٧)

سبب النّزول

یذکر المفسّر المعروف«الطبرسی»فی«مجمع البیان»سببین لنزول هاتین الآیتین یتناولان حقیقه واحده.

١-عند ما فتحت مکّه،بشّر رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم المسلمین بأنّ دوله الفرس و دوله الروم سرعان ما ستنضویان تحت لواء الإسلام.غیر أنّ المنافقین الذین لم تکن قلوبهم قد استنارت بنور الإیمان و لم یدرکوا روح الإسلام،اعتبروا ذلک مبالغه، و قالوا بدهشه:لم یقنع محمّد صلی اللّه علیه و آله و سلم بالمدینه و مکّه،و هو یطمع الآن بفتح فارس و الروم،فنزلت الآیه المذکوره.

ص: ۴۴۵

۲-كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و المسلمون مشغولون بحفر الخندق فى أطراف المدينه،و انتظم المسلمون فى جماعات يحفرون بسرعه و جدّ لكى ينجزوا هذا الحصن الدفاعى قبل وصول جيش الأعداء.و فجأه ظهرت صخره كبيره بيضاء صلده وسط الخندق عجز المسلمون عن كسرها أو تحريكها.فجاء«سلمان»إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم يعرض عليه الأمر.فنزل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم إلى الخندق و تناول المعول من سلمان و أنزل ضربه شديده بالصخره،فانبعث منها الشرر،فصاح المعول من سلمان و أنزل ضربه شديده بالصخره،فانبعث منها الشرر،فصاح النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم مكبّرا تكبيره الإنتصار،فردّد المسلمون التكبير و راح صوتهم يدوّى فى كلّ مكان.و مرّه أخرى أنزل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم معوله على الصخره،فانبعث الشرر و كسرت قطعه منها،و ارتفع صوت تكبير الإنتصار من النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و المسلمين بعده.و للمرّه الثالثه ارتفع معول النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و المسلمين بعده.و للمرّه الثالثه ارتفع معول النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلم و نزل على الصخره،و للمرّه الثالثه انبعث الشرر من الضربه و أضاء ما حولها،و تحطّمت الصخره،و ارتفع صوت التكبير بين جنبات الخندق.

فقال سلمان:بأبى أنت و أمّى يا رسول اللّه،لقد رأيت شيئا ما رأيت منك قط.

فالتفت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم إلى القوم و قال:رأيتم ما يقول سلمان؟قالوا:نعم يا رسول اللّه.قال:ضربت ضربتى الأولى فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور الحيره و مدائن كسرى كأنّها أنياب الكلاب،فأخبرنى جبرئيل أنّ أمّتى ظاهره عليها،ثمّ ضربت ضربتى الثانيه فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور الحمر من أرض الروم كأنّها أنياب الكلاب،و أخبرنى جبرئيل أنّ أمّتى ظاهره عليها،ثمّ ضربت ضربتى الثالثه فبرق الذى رأيتم أضاءت لى قصور صنعاء كأنّها أنياب الكلاب،و أخبرنى جبرئيل أن أمّتى ظاهره عليها.فابشروا،فاستبشر المسلمون و حمدوا اللّه.أمّا المنافقون فقد عبسوا و قالوا بلهجه المعترض: أمل باطل و وعد مستحيل!هؤلاء يحفرون الخنادق خوفا على أرواحهم من جيش صغير يخشون

مواجهته،ثمّ يحلمون فتح أعظم دول العالم.و عندئذ نزلت الآيات المذكوره.

التّفسير

اشاره

بيده كلّ شىء:

دار الكلام فى الآيات السابقه حول المشركين و أهل الكتاب الذين كانوا يخصّون أنفسهم بالعزه و بالملك،و كيف أنّهم كانوا يرون أنفسهم فى غنى عن الإسلام.فنزلت هاتان الآيتان تفنّدان مزاعمهم الباطله يقول تعالى: قُلِ اللّٰهُمَّ مٰالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشٰاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشٰاءُ .

إنّ المالك الحقيقى للأشياء هو خالقها.و هو الذى يعطي لمن يشاء الملك و السلطان،أو يسلبهما ممّن يشاء،فهو الذى يعز،و هو الذى يذل،و هو القادر على كلّ هذه الأمور، وَ تُعِزُّ مَنْ تَشٰاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشٰاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

و لا حاجه للقول بأنّ مشيئه اللّه فى هذه الآيات لا تعنى أنّه يعطى بدون حساب و لا موجب،أو يأخذ بدون حساب و لا موجب،بل أنّ مشيئته مبتيّه على الحكمه و النظام و مصلحه عالم الخلق و عالم الإنسانيه عموما.و بناء على ذلك فإنّ أى عمل يقوم به إنّما هو خير عمل و أصحّه.

بِيَدِكَ الْخَيْرُ

.

«خير»صيغه تفضيل يقصد بها تفضيل شىء على شىء،و الكلمه تطلق أيضا على كلّ شىء حسن.بدون مفهوم التفضيل،و الظاهر من الآيه مورد البحث أنها جاءت بالمعنى الثانى هذا،أى إن مصدر كلّ خير بيده و منه سبحانه.

و عباره بِيَدِكَ الْخَيْرُ تحصر كلّ الخير بيد اللّه من جهتين:

۱-الألف و اللام فی«الخیر»هما للاستغراق.

۲-أنّ تقدیم الخبر«بیدک»و تأخیر المبتدأ«الخیر»دلیل علی الحصر کما هو معلوم.فیکون المعنی:«کلّ الخیر بیدک و حدک لا بید غیرک».

کذلک یستفاد من«بیدک الخیر»أنّ اللّه هو منبع کلّ خیر و سعاده فإذا أعزّ أحدا أو أذلّه،أو أعطی السلطنه و الحکم لأحد الناس أو سلبها منه فذلک قائم علی العدل، و لا شرّ فیه.فالخیر للأشرار أن یکونوا فی السجن،و الخیر للأخیار أن یکونوا أحرارا.

و بعباره اخری:أنه لا وجود للشر فی العالم،و نحن الذین نقلب الخیرات إلی شرور،فعند ما تحصر الآیه الخیر بیده تعالی و لا تتحدث عن الشر إنّما هو بسبب ان الشر لا یصدر من ذاته المقدسه إطلاقا.

إِنَّکَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ

.

هذه الآیه جاءت دلیلا علی الآیه السابقه.أی ما دام اللّه ذا قدره مطلقه، فلیس ثمّه ما یمنع أن یکون کلّ خیر خاضعا لمشیئته.

الحکومات الصالحه و غیر الصالحه:

یطرح هنا سؤال هام یقول:قد یستنتج بعضهم من هذه الآیه أنّ من یصل إلی مرکز الحکم،أو یسقط منه،فذلک بمشیئه اللّه.و من هنا فلا بدّ من قبول حکومات الجبّارین و الظالمین فی التاریخ مثل حکومات جنکیزخان و هتلر و غیرهما.بل أنّنا نقرأ فی التاریخ أنّ«یزید بن معاویه»-تبریرا لحکمه الشائن الظالم-استشهد بهذه الآیه (۱) .لذلک نری فی کتب التفسیر توضیحات مختلفه بشأن هذه الشبهه.من

۱- ۱) -إرشاد المفید:نقلا عن تفسیر المیزان.

ذلک أنّ الآیه تختصّ بالحکومات الإلهیّه،أو أنّها تقتصر علی حکومه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم التی أنهت حکم جبّاری قریش.

و لکن الآیه تطرح فی الواقع مفهوما عامّیا یقضی أنّ جمیع الحکومات الصالحه و غیر الصالحه مؤطّره بقانون مشیئه اللّه،و لکن ینبغی أن نعلم أنّ اللّه قد أوجد مجموعه من الأسباب للتقدّم و النجاح فی العالم،و أنّ الاستفاده من تلک الأسباب هی نفسها مشیئه اللّه.و علیه فإنّ مشیئه اللّه هی الآثار المخلوقه فی تلک الأسباب و العوامل.فإذا قام ظلمه و طغاه-مثل جنکیز و یزید و فرعون-باستغلال أسباب النجاح،و خضعت لهم شعوب ضعیفه و جبانه،و تحمّلت حکمهم الشائن، فذلک من نتائج أعمال تلک الشعوب و قد قیل:کیفما کنتم یولّی علیکم.

و لکن إذا کانت هذه الشعوب واعیه،و انتزعت تلک الأسباب و العوامل من أیدی الجبابره و أعطتها بید الصلحاء،و أقامت حکومات عادله،فإن ذلک أیضا نتیجه لأعمالها و لطریقه استفادتها من تلک العوامل و الأسباب الإلهیّه.

فی الواقع،أنّ الآیه دعوه للأفراد و المجتمعات إلی الیقظه الدائمه و الوعی و استفاده من عوامل النجاح و النصر،لکی یشغلوا المواقع الحسّاسه قبل أن یستولی علیها أناس غیر صالحین.

خلاصه القول:إنّ مشیئه اللّه هی نفسها عالم الأسباب،إنّما الاختلاف فی کیفیه استفادتنا من عالم الأسباب هذا.

فی الآیه التالیه و لتأکید حاکمیه اللّه المطلقه علی جمیع الکائنات تضیف الآیه:

۱- تُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهٰارِ وَ تُولِجُ النَّهٰارَ فِی اللَّیْلِ... .

و بهذا تذکر الآیه بعض المصادیق البارزه علی قدره اللّه تعالی،و منها مسأله التغییر التدریجی للّیل و النهار،بمعنی أن اللیل یقصر مدّته فی نصف من السنه،و هو

ما عبّر عنه بدخوله فى النهار،بينما يطول الليل و يقصر النهار فى النصف الثانى من السنه،و هو دخول و ولوج النهار فى الليل.و كذلك إخراج الموجودات الحيه من الميّته و بالعكس،و كذلك الرزق الكثير الذى يكون من نصيب بعض الأشخاص دون بعض،كلّها من علائم قدرته المطلقه.

بحوث

«الولوج»بمعنى الدخول.و القصد من الآيه هو هذا التغيير التدريجى الذى نراه بين الليل و النهار طوال السنه.هذا التغيير ناشئ عن انحراف محور الأرض عن مدارها بنحو ۲۳ درجه و اختلاف زاويه سقوط أشعّه الشمس عليها.لذلك نرى الشتاء فى النصف الشمالى من خطّ الإستواء تطول أيّامه تدريجيا، و تقصر لياليه تدريجيا،حتّى أوائل الصيف،حيث ينعكس التغيير فتقصر أيّامه و تطول لياليه حتّى أوائل الشتاء.أمّا فى جنوب خطّ الإستواء فالتناظر يكون معكوسا.

و بناء على ذلک فإنّ اللّه يدخل الليل فى النهار،و يدخل النهار فى الليل، دائما،أى أنّه ينقص هذا ليزيد ذاک و بالعكس.

قد يقول قائل إنّ الليل و النهار فى خطّ الإستواء الحقيقى و فى نقطتى القطبين فى الشمال و الجنوب متساويان و ليس ثمّه أىّ تغيير فيهما،فالليل و النهار فى خطّ الإستواء متساويان و يمتدّ كلّ منهما اثنتى عشره ساعه على امتداد السنه،و فى القطبين يمتدّ الليل سته أشهر و مثله النهار،لذلک فإنّ الآيه ليست عامّه.

فى الجواب على هذا التساؤل نقول:إنّ خطّ الإستواء الحقيقى خطّ و همى، و الناس عاده يعيشون على طرفى الخط.كذلک الحال فى القطبين فهما نقطتان وهميّتان،و سكّان القطبين-إن كان فيهما سكّان-يعيشون فى مناطق أوسع طبعا

من نقطه القطب الحقيقه،و عليه فالاختلاف موجود فى كلّ الحالات.

و قد يكون للآيه معنى آخر بالإضافه إلى ما ذكر،و هو أنّ الليل و النهار لا يحدثان فجأه فى الكره الأرضيه بسبب وجود طبقات«الجو»حولها.فالنهار يبدأ بالتدريج من الفجر و ينتشر،و يبدأ الليل من حمره الأفق الغربى و الغسق،ثمّ ينتشر الظلام حتّى يعمّ جميع الأرجاء.

إنّ للتدرّج فى تغيير الليل و النهار-بأىّ معنى كان-آثارا مفيده فى حياه الإنسان و الكائنات الأخرى على الأرض.لأنّ نموّ النباتات و كثير من الحيوانات يتمّ فى إطار نور الشمس و حرارتها التدريجيّه.فمن بدايه الربيع حيث يزداد بالتدريج نور الشمس و حراراتها،تطوى النباتات و كثير من الحيوانات كلّ يوم مرحله جديده من تكاملها.و لمّا كانت هذه الموجودات تحتاج بمرور الأيّام إلى مزيد من النور و الحراره،فإنّ حاجتها هذه تلبى عن طريق التغييرات التدريجيّه للّيل و النهار،لتصل إلى نقطه تكاملها النهائيّه.

فلو كان الليل و النهار كما هو دائما،لاختلّ نموّ كثير من النباتات و الحيوانات،و لاختفت الفصول الأربعه التى تنشأ من اختلاف الليل و النهار و من مقدار زاويه سقوط نور الشمس،و لخسر الإنسان فوائد ذلك.

كذلك هى الحال إذا أخذنا بنظر الإعتبار المعنى الثانى فى تفسير الآيه أى أنّ حلول الليل و النهار تدريجى،لا فجائى،و أنّ هناك فتره بين الطلوعين تفصل بينهما،فمن ذلك يتّضح أنّ هذا التدرّج فى حلول الليل و النهار نعمه كبرى لسكنه الأرض،لأنّهم يتعرّفون بالتدرج على الظلام أو الضياء،و بذلك تتطابق قواهم الجسميه و حياتهم الاجتماعيه مع هذا التغيير،و إلاّ حدثت حتما مشاكل لهم.

۲-وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ .

إنّ معنى خروج«الحىّ»من«الميّت»هو ظهور الحياه من كائنات عديمه

الحياه.فنحن نعلم أنّه فی اليوم الـذی استعدّت فيه الأرض لاستقبال الحياه،ظهرت كائنات حيّه من كائنات عـديمه الحياه.أضـف إلی ذلك أنّ مواد لا حياه فيها تصبح باستمرار أجزاء من خلايانا الحيّه و خلايا جميع الكائنات الحيّه فی العالم،و تتبدّل إلی مواد حيّه.

أمّا خروج«الميّت»من«الحیّ»فهو دائم الحدوث أمام أنظارنا.

إنّ الآيه-فی الواقع-إشاره إلی قانون التبادل الدائم بين الحياه و الموت، و هو أعمّ القوانين التی تحكمنا و أعقدها،كما أنّه أروعها فی الوقت نفسه.

لهذه الآيه تفسير آخر أيضا-لا يتعارض مع التفسير السابق-و هو مسأله الحياه و الموت المعنويّين.فنحن كثيرا ما نری أنّ بعض المؤمنين-و هم الاحياء الحقيقيّون-يخرجون من بعض الكافرين-و هم الأموات الحقيقيّون-.و قد يحدث العكس،حين يخرج الكفار من المؤمن.

إنّ القرآن يعبّر عن الحياه و الموت المعنويّين بالإيمان الكفر فی كثير من آياته.

و بموجب هذا التفسير يكون القرآن قد ألغی قانون الوراثه الذی يعتبره بعض العلماء من قوانين الطبيعه الثابته.فالإنسان يتميّز بحريّه الاراده و ليس مثل الكائنات غير الحيّه فی الطبيعه التی تقع تحت تأثير مختلف العوامل وقوعا إجباريا.و هذا بذاته مظهر من مظاهر قدره اللّه التی تغسل آثار الكفر فی نفوس أبناء الكافرين-أولئك الذين يريدون حقّا أن يكونوا مؤمنين-و يغسل آثار الإيمان من أبناء المؤمنين-الذين يريدون حقّا أن يكونوا كافرين-.و هذا الاستقلال فی الإراده،القادر علی الإنتصار،حتّی فی ظروف غير مؤاتيه،من مظاهر قدره اللّه أيضا.

هذا المعنی يرد

فی حديث عن رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و سلّم،كما جاء فی تفسير«الدرّ

المنثور»عن سلمان الفارسی أنّه قال: إنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم فسّر الآیه یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ... فقال:أی أنّه یخرج المؤمن من صلب الکافر،و الکافر من صلب المؤمن.

۳- وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ .

هذه الآیه تعتبر من باب ذکر«العام»بعد«الخاص»،إذ الآیات السابقه قد ذکرت نماذج من الرزق الإلهی،أمّا هنا فالآیه تشیر إلی جمیع النعم علی وجه العموم،أی أنّ العزّه و الحکم و الحیاه و الموت لیست هی وحدها بید اللّه، بل بیده کلّ أنواع الرزق و النعم أیضا.

و تعبیر بِغَیْرِ حِسابٍ یشیر إلی أنّ بحر النعم الإلهیه من السعه و الکبیر بحیث إنّه مهما اعطی منه فلن ینقص منه شیء و لا حاجه به لضبط الحسابات.فالتسجیل فی دفاتر الحساب من عاده ذوی الثروات الصغیره المحدوده التی یخشی علیها من النفاذ و النقصان.فهؤلاء هم الذین یحسبون حسابهم قبل أن یهبوا لأحد شیئا، لئلاّ تتبدّدا ثرواتهم.أمّا اللّه فلا یخشی النقص فیما عنده،و لا أحد یحاسبه،و لا حاجه له بالحساب.

یتّضح ممّا قلنا أنّ هذه الآیه لا تتعارض مع الآیات التی تبیّن التقدیر الإلهی و تطرح موضوع لیاقه الأفراد و قابلیّتهم و مسأله التدبیر فی الخلقه.

۴-لیس فی الأمر إجبار و هنا یطرح سؤال آخر و هو:إنّنا نعلم أنّ الإنسان حرّ فی کسب رزقه بغیر إجبار،و ذلک بموجب قانون الخلق و حکم العقل و دعوه الأنبیاء،فکیف تقول هذه الآیه أنّ کلّ هذه الأمور بید اللّه؟ فی الجواب نقول:إن المصدر الأوّل لعالم الخلق و جمیع العطایا و الإمکانات الموجوده عند الناس هو اللّه،فهو الذی وضع جمیع الوسائل فی متناول الناس

لبلوغ العزّه و السعاده.و هو الذی وضع فی الکون تلک القوانین التی إذا لم یلتزمها الناس انحدروا إلی الذلّ و التعاسه.و علی هذا الأساس یمکن إرجاع کلّ تلک الأمور إلیه،و لیس فی ذلک أیّ تعارض مع حرّیه إراده البشر،لأنّ الإنسان هو الذی یتصرّف بهذه القوانین و المواهب و القوی و الطاقات تصرّفا صحیحا أو خاطئا.

ص :۴۵۴

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۲۸]

اشاره

لاٰ یَتَّخِذِ اَلْمُؤْمِنُونَ اَلْکٰافِرِینَ أَوْلِیٰاءَ مِنْ دُونِ اَلْمُؤْمِنِینَ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اَللّٰهِ فِی شَیْءٍ إِلاّٰ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقٰاهً وَ یُحَذِّرُکُمُ اَللّٰهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اَللّٰهِ اَلْمَصِیرُ (۲۸)

التّفسیر

اشاره

العلاقه مع الأجنبی:

ذکرت الآیات السابقه أن العزّه و الذلّه و جمیع الخیرات بید اللّه تعالی.و بهذه المناسبه فإنّ هذه الآیه تحذّر المؤمنین من مصادقه الکافرین و تنهاهم بشدّه من موالاه الکفّار،لأنّه إذا کانت هذه الصداقه و الولاء من أجل العزّه و القدره و الثروه.

فإنها جمیعا بید اللّه عزّ و جلّ.و لذلک تقول الآیه:

لاٰ یَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْکٰافِرِینَ أَوْلِیٰاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ

و لو ارتکب أحد المؤمنین ذلک فإنه یقطع ارتباطه مع اللّه تماما وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اللّٰهِ فِی شَیْءٍ و قد نزلت هذه الآیه فی وقت کانت هناک روابط بین المسلمین و المشرکین مع الیهود و النصاری.

و هذه الآیه درس سیاسیّ و اجتماعیّ مهمّ للمسلمین،فتحذّرهم من اتّخاذ الأجنبیّ صدیقا أو حامیا أو عونا و رفیقا،فی أیّ عمل من أعمالهم،و من الانخداع

بکلامه المعسول و عروضه الجذّابه و تظاهره بالمحبّه الحمیمه،لأنّ التاریخ قد أثبت بأنّ أقسی الضربات التی تلقّاها المؤمنون جاءت من هذا الطریق.

لو أنّنا طالعنا تاریخ الاستعمار للاحظنا أنّ المستعمرین جاؤوا دائما فی لبوس الصداقه و الترحّم و حبّ الإعمار و البناء فتغلغلوا بین طبقات المجتمع.

إنّ کلمه«استعمار»التی تعنی الإعمار و البناء دلیل علی هذا الخداع،فهم بعد أن یتمکّنوا من إنشاب مخالبهم فی جذور المجتمع المستعمر،یبدأون بامتصاص دمائه بکلّ قسوه و بغیر رحمه.

مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ

إشاره إلی أنّ الناس فی حیاتهم الاجتماعیه لا بدّ لهم من اتّخاذ الأولیاء و الأصدقاء،فعلی المؤمنین أن یختاروا أولیاءهم من بین المؤمنین، لا من بین الکافرین.

فَلَیْسَ مِنَ اللّهِ فِی شَیْءٍ

.

تقول الآیه:إن الذین یعقدون أواصر صداقتهم و ولاءهم مع أعداء اللّه،لیسوا من اللّه فی أیّ شیء من الأشیاء،أی أنّهم یکونون قد تخلّوا عن إطاعه أوامر اللّه و قطعوا علاقتهم بالجماعه المؤمنه الموحّده،و انقطعت ارتباطاتهم من جمیع الجهات.

إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاهً

.

هذا استثناء من الحکم المذکور،و هو أنّه إذا اقتضت الظروف-التقیه- فللمسلمین أن یظهروا الصداقه لغیر المؤمنین الذین یخشون منهم علی حیاتهم.

و لکن الآیه تعود فی الختام لتؤکّد الحکم الأوّل فتقول: یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اللّهِ الْمَصِیرُ فاللّه ینذر الناس أوّلا بغضب منه و بعقاب شدید،ثمّ إنّ مرجع الناس جمیعا إلی اللّه.و إن تولّوا أعداء اللّه نالوا عاجلا نتیجه أعمالهم.

ص:۴۵۶

بحوث

اشاره

۱–التقيه أو الدرع الواقى

صحيح أنّ الإنسان قد يضحّى حتّى بحياته من أجل هدف كبير و لصيانه الشرف و نصره الحقّ و قمع الباطل،و لكن هل يجيز عاقل لنفسه أن تتعرّض للخطر دون أن يكون أمامه هدف هام؟ الإسلام يجيز الإنسان صراحه أن يمتنع عن إعلان الحقّ مؤقّتا و أن يؤدّى واجبه فى الخفاء حين يعرضه ذلك لخطر فى النفس و المال و العرض و حين لا ـ يكون للإعلان نتيجه مهمّه و فائده كبيره.كما جاء فى هذه الآيه،و كما جاء فى الآيه ۱۰۶ من سوره النحل حيث يقول: إِلاّٰ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمٰانِ .

إن كتب التاريخ و الحديث الإسلامى ما زالت تحفظ حكايه«عمّار»و أبيه و أمّه إذ وقعوا فى قبضه عبده الأصنام الذين راحوا يعذّبونهم لكى يرتدّوا عن الإسلام.فرفض والدا عمّار ذلك فقتلهما المشركون.غير أنّ عمّارا قال بلسانه ما أرادوا أن يقوله،ثمّ هرع باكيا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم خوفا من اللّه،

فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم: «إن عادوا لك فعد لهم» أى إذا قبضوا عليك مرّه أخرى و طلبوا منك أن تقول شيئا فقله،و بهذا هدأ روعه و زال عنه خوفه.

لا بدّ من الإشاره إلى أنّ حكم التقيه يختلف باختلاف الظروف،فهى قد تكون واجبه،و قد تكون حراما،و قد تكون مباحه.

تجب التقيه حيثما تتعرّض حياه الإنسان للخطر دونما فائده تذكر.أمّا إذا كانت التقيه سببا فى ترويج الباطل و ضلاله الناس و إسناد الظالم فهى هنا حرام.

و هذا جواب لجميع الاعتراضات التى ترد بهذا الشأن.لو أنّ المعترضين دقّقوا فى البحث لأدركوا أنّ الشيعه ليسوا منفردين بهذا الاعتقاد،بل أنّ التقيه فى موضعها حكم عقلى قاطع و يتّفق مع الفطره الإنسانيه.

فجميع عقلاء العالم-حين يرون أنفسهم أمام طريقين:إمّا الإعلان عن عقيدتهم و المخاطره بالنفس و المال و الكرامه،أو إخفاء معتقداتهم-يمعنون النظر فى الظروف القائمه.فإن كان الإعلان عن العقيده يستحقّ كلّ هذه التضحيه بالنفس و المال و الكرامه اعتبروا إعلانها عملا صحيحا،و إن لم يكن للإعلان نتيجه تذكر تركوا ذلك.

٢-التقيه أو تغيير أسلوب النضال:

فى تاريخ النضالات الدينيه و الاجتماعيه و السياسيه حالات إذا أراد فيها المدافعون عن الحقّ أن يناضلوا علانيه،فإنّهم يتعرّضون للإباده هم و مبادؤهم أو يواجهون الخطر على الأقلّ،مثل الحاله التى مرّ بها شيعه على عليه السّلام على عهد بنى أميّه.فى مثل هذه الحاله يكون الطريق الصحيح و المعقول هو أن لا يبدّدوا قواهم، و أن يواصلوا نضالهم غير المباشر فى الخفاء.التقيه فى مثل هذه الحالات أشبه بتغيير أسلوب النضال الذى يجنّبهم الفناء و يحقّق لهم النصر فى الكفاح.إنّ الذين يرفضون التقيه كلّيه و يفتون ببطلانها لا ندرى ما الذى يقترحونه فى مثل هذه الحالات؟أ يرون الفناء خيرا،أم استمرار النضال بشكل صحيح و منطقى؟ هذا الطريق الثانى هو التقيه،و أمّا الطريق الأوّل فليس بمقدور أحد أن يجيزه.

و يتضح ممّا تقدّم أن التقيه هى أصل قرآنى مسلّم،و لكنّها تكون مشروعه فى موارد معينه و وفق ضوابط خاصّه.و ما نرى من بعض الجهلاء أنّهم تصوّروا أن التقيه من اختلاقات أتباع أهل البيت عليهم السّلام فهو دليل على عدم اطلاعهم على القرآن بصوره كافيه.

ص :۴۵۸

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۲۹]

اشاره

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مٰا فِی صُدُورِکُمْ أَوْ تُبْدُوهُ یَعْلَمْهُ اَللّٰهُ وَ یَعْلَمُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ اَللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۹)

التّفسیر

اشاره

العالم بأسرارکم:

نهت الآیه السابقه عن الصداقه و التعاون مع الکافرین و الاعتماد علیهم نهیا شدیدا،و استثنت من ذلک حاله«التقیه».

إلاّ أنّ بعضهم قد یتّخذ من«التقیه»فی غیر محلّها ذریعه لمدّ ید الصداقه إلی الکفّار أو الخضوع لولایتهم و سیطرتهم.و بعباره اخری أنّهم قد یستغلّون«التقیه» و یتّخذونها مبرّرا لعقد أواصر العلاقات مع أعداء الإسلام.فهذه الآیه تحذّر أمثال هؤلاء و تأمرهم أن یضعوا نصب أعینهم علم اللّه المحیط بأسرار القلوب و العالم بما ظهر و ما خفی و تقول قُلْ إِنْ تُخْفُوا مٰا فِی صُدُورِکُمْ أَوْ تُبْدُوهُ یَعْلَمْهُ اللّٰهُ و لا یقتصر علم اللّه الواسع علی ذلک بل: وَ یَعْلَمُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ .

ص: ۴۵۹

فی الواقع أنّ هذه الآیه لکی تنبّه الناس إلی إحاطه اللّه بأسرارهم الخفیه، تشیر إلی أنّ معرفه اللّه بأسرارهم إنّما هی جانب صغیر من مدی علمه اللامحدود الذی یسع السماوات و الأرض.و هو إضافه إلی علمه الواسع قادر علی معاقبه المذنبین: وَ اللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ .

ص :۴۶۰

الآيه [سوره آل عمران (۳): آيه ۳۰]

اشاره

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهٰا وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَ يُحَذِّرُكُمُ اَللّٰهُ نَفْسَهُ وَ اَللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبٰادِ (۳۰)

التّفسير

اشاره

حضور الأعمال يوم القيامه:

تشير هذه الآيه إلى حضور الأعمال الصالحه و السيئه يوم القيامه،فيرى كلّ امرئ ما عمل من خير و ما عمل من شرّ حاضرا أمامه.فالذين يشاهدون أعمالهم الصالحه يفرحون و يستبشرون،و الذين يشاهدون أعمالهم السّيئه يستولى عليهم الرعب و يتمنّون لو أنّهم استطاعوا أن يبتعدوا عنها تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهٰا وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً فالآيه لم تقل أنه يتمنّى فناء عمله و سيئاته،لأنه يعلم أن كلّ شيء فى العالم لا يفنى فلذلك يتمنّى أن يبتعد عنه كثيرا.

«الأمد»فى اللغه الزمان المحدود،و«الأبد»اللامحدود،و الأمد يقصد من استعماله غالبا انتهاء الزمان، و إن استعمل أحيانا أيضا فى مطلق الزمان المحدود.

ص: ۴۶۱

بناء على ذلک،فإنّ المـذنبین-کما تقول الآیه-یتمنّون أنّ یمتدّ الفاصل الزمانی بینهم و بین ذنوبهم طویلا،و هو تعبیر عن ذروه ما یشـعرون بـه مـن تعـاسه جرّاء أعمـالهم السـیّئه،لأنّ طلـب البعـد الزمـانی أبلـغ فی التعـبیر عـن هـذا الاستیلاء مـن طلـب البعد المکانی،فاحتمال الحضور موجود فی الفاصل المکانی،بینما ینتفی هذا الاحتمال تماما فی الفاصل الزمانی.

فإذا عاش أحد-مثلا-فی فتره الحرب العالمیه،شـمله القلق و الاضـطراب و إن ابتعد مکانیا عن منطقه الحرب،لکن الشـخص الذی یعیش فی فتره زمنیه بعیده عن الحرب لا یشعر بذلک القلق.

هـذا مع أن بعض المفسّرین احتملوا أن یکون للفظه«الأمـد»معنی البعـد المکـانی أیضـا(کما ورد فی مجمع البیان نقلا عن بعض المفسّرین)،غیر أن هذا لم یرد فی اللغه علی الظاهر.

وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ

.

فی الجزء الأوّل من هـذه العباره یحـذّر اللّه الناس من عصـیان أوامره،و فی الجزء الثانی یذکّرهم برأفته.و یبدو أنّ هذین الجزءین هما-علی عاده القرآن- مزیج من الوعد و الوعید.و من المحتمل أن یکون الجزء الثانی وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ توکیدا للجزء الأوّل وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ،و هـذا أشـبه بمن یقول لـک:إنّی أحـذّرک من هـذا العمـل الخطر،و إنّ تحـذیری إیّاک دلیـل علی رأفتی بک،إذ لو لا حبّی لک لما حذّرتک.

القرآن و تجسید الأعمال و حضورها

هذه الآیه تبیّن بکل وضوح تجسّد الأعمال و حضورها یوم القیامه.کلمه

«تجد»من الوجود ضدّ العدم.و لفظتا«خیر»و«سوء»وردتا نکرتین لتفیدا العموم.

أی أنّ الإنسان یجد أعماله الحسنه و القبیحه یوم القیامه مهما تکن قلیله.

بعضهم أوّل هذه الآیه و أشباهها و قال إنّ القصد من حضور الأعمال هو حضور ثوابها أو عقابها،أو حضور سجلّ الأعمال الذی دوّنت فیه الأعمال کلّها.

و لکن من الجلی أنّ ذلک لا ینسجم و ظاهر الآیه،لأنّ الآیه تقول بوضوح إنّ الإنسان یوم القیامه«یجد»عمله.و تقول:إنّ المسیء یودّ لو أنّ بینه و بین«عمله» القبیح فواصل مدیده.فهنا«العمل»نفسه هو الذی یدور حوله الکلام.لا سجلّ الأعمال،و لا الثواب و العقاب.

کذلک نقرأ فی الآیه أنّ المسیء یودّ لو بعد عنه عمله،و لکنّه لا یتمنّی زوال عمله إطلاقا.و هذا یعنی أنّ زوال الأعمال غیر ممکن،و لذلک فهو لا یتمنّاه.

هناک آیات کثیره أخری تؤیّد هذا الأمر،کالآیه ۴۹ من سوره الکهف.

وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً وَ لاٰ یَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً و الآیتان ۷ و ۸ من سوره الزلزال فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ* وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ .

سبق أن قلنا إنّ بعض المفسّرین یرون أنّ لفظ«الجزاء»مقدّر و هذا خلاف ظاهر الآیه.

یستفاد من بعض الآیات أنّ الدنیا مزرعه الآخره،و أنّ عمل الإنسان أشبه بالحبّ الذی یزرع فی التربه،فتنمو تلک الحبّه،ثمّ یحصد الإنسان معها حبّا کثیرا.

کذلک هی أعمال الإنسان التی تجری علیها تبدّلات و تغیّرات تناسب یوم القیامه، ثمّ تعود إلی الإنسان نفسه،کما جاء فی الآیه ۲۰ من سوره الشوری: مَنْ کٰانَ یُرِیدُ حَرْثَ الْآخِرَهِ نَزِدْ لَهُ فِی حَرْثِهِ .

و یستفاد من آیات أخری أنّ الأعمال الصالحه فی هذه الدنیا تأتی فی الآخره بصوره نور و ضیاء،فیطلبه المنافقون من المؤمنین: اُنْظُرُونٰا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِکُمْ

فيقال لهم: اِرْجِعُوا وَرٰاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً (۱) .

هـذه الآيات و غيرها العشـرات تـدلّ على أننا يوم القيامه نجد العمل عينه بشـكل أكمل،و هذا هو تجسيد الأعمال الذى يقول به علماء الإسلام.

هناك روايات كثيره أيضا عن أئمّه الإسلام تؤكّد هذا المعنى،من ذلك:

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم لمن طلب أن يعظه:

«لا بدّ لك يا قيس من قرين يدفن معك و هو حىّ،و تدفن معه و أنت ميّت،فإن كان كريما أكرمك،و إن كان لعينا أسـلمك،لا يحشـر إلّا معك و لا تحشـر إلّا معه،و لا تسأل إلّا عنه،و لا تبعث إلّا معه،فلا تجعله إلّا صالحا،فإنّه إن كان صالحا لم تستأنس إلّا به،و إن كان فاحشا لا تستوحش إلّا منه،و هو عملك»

(۲)

.

و لإلقاء الضوء على هذا البحث لا بدّ من معرفه كيفيه الإثابه و العقاب على الأعمال.

رأى العلماء فى الثواب و العقاب

للعلماء آراء مختلفه فى الثواب و العقاب:

۱-يعتقـد البعض أن جزاء الأعمال الاخروى أمر اعتبارى،مثل المكافأه و العقوبه فى هـذه الـدنيا،أى كما أنّ هناك فى هذه الدنيا عقابا على كلّ عمل سىّء أقرّه القانون الوضعى،كذلك وضع اللّه لكلّ عمل ثوابا أو عقابا معيّنين.و هذه هى نظره الأجر المعيّن و الجزاء القانونى.

۲-ثمّه آخرون يعتقـدون أنّ النفس البشـريه تخلـق الثواب و العقـاب،فـالنفس تخلق ذلـك فى العـالم الآـخر دون إختيـار،أى أنّ الأعمال الحسنه و الأعمال السيّئه

۱- ۱) -الحديد:۱۳.

۲- ۲) -البحار:طبعه كمبانى:ج ۳ ص ۲۵۷.

فی هـذا العالم تخلق فی النفس صـفات حسـنه أو سـیّئه،و هذه الصـفات تصـبح جزءا متمکّنا من ذات الإنسان،و تبدأ هذه بإیجاد صوره تناسبها من السعاده أو العذاب.

فـذو الباطن الحسن فی هـذا العالم یتعامل مع مجموعه من الأفکار و التصوّرات الحسـنه،و الأشـرار و الخبثاء مشـغولون بأفکارهم الباطله و تصوّراتهم الدنیئه فی نومهم و یقظتهم.

و فی یوم القیامه تقوم هذه الصـفات نفسـها بخلق السکینه و العذاب أو الشقاء و السعاده.و بعباره أخری أنّ ما نقرأه عن نعم الجنّه و عذاب جهنّم لیس سوی ما تخلقه هذه الصفات الحسنه أو السیّئه فی الإنسان.

۳-فریق ثـالث من کبـار علمـاء الإسـلام اتّخـذوا سبیلاـ آخر دعموه بکثیر من الآیـات و الأحـادیث.یقول هؤلاء:إنّ لکلّ عمل من أعمالنا-حسـنا کان أم سیّئا- صوره دنیویه هی التی نراها،و صوره أخرویه کامنه فی باطن ذلک العمل.و فی یوم القیامه،و بعد أن تکون قد طرأت علیه تحوّلات کثیره،یفقد صورته الدنیویه و یظهر بصورته الأخرویه فیبعث علی راحه فاعله و سکینته،أو شقائه و عذابه.

هـذه النظره،من بین النظرات الأـخری،تتّفق مع کثیر من آیـات القرآن،و بنـاء علی ذلک،فإنّ أعمال الإنسان-و هی مظاهر مختلفه من الطـاقه-لاـ تفنی بموجب قـانون بقـاء«المـاده/الطاقه» و تبقی أبـدا فی هـذه الـدنیا،علی الرغم من أنّ الناظر السـطحی یظنّها قد تلاشت.

إنّ بقـاء هـذه الأعمـال بقاء أبـدیا یتیـح من جهه أن یراها الإنسان عنـد محاسـبته یوم القیامه و لا یبقی له مجال للإنکار،کما یتیح للإنسـان من جهه أخری أن یعیش یوم القیـامه بین أعماله،فیشـقی أو یسـعد.و علی الرغم من أنّ علم الإنسان لم یبلغ بعـد مرحله اکتشاف الماضی،إلّا للحظات قلیله سابقه (۱) ،فممّا لا شکّ فیه أنّه لو تمّ

۱- ۱) -اکتشف العلماء جهاز تصویر یعمل بالأشعه ما تحت الحمراء تستطیع أن تصوّر حدثا لم یمض علیه أکثر من

صنع جهاز أدقّ و أكمل،أو لو كانت لنا«رؤيه»و«إدراك»أكمل لاستطعنا أن نرى و ندرك كلّ ما حدث فى الماضى.(ليس هناك ما يمنع أن يكون جانب من الثواب و العقاب ذا طابع توافقى).

العلم و تجسيد الأعمال

لإثبات إمكان تجسيد الأعمال الماضيه،يمكن الاستناد إلى مبادئ الفيزياء الثابته اليوم،فقوانين الفيزياء تقول إنّ الماده تتحوّل إلى طاقه،و ذلك لأنّ«المادّه» و«الطاقه»مظهران لحقيقه واحده،كما تقول أحدث النظريات بهذا الخصوص، و أنّ المادّه طاقه متراكمه مضغوطه تتحوّل إلى طاقه فى ظروف معيّنه.و قد تكون الطاقه الكامنه فى غرام واحد من المادّه تعادل فى قوه انفجارها أكثر من ثلاثين ألف طن من الديناميت.

ملخّص القول:إنّ المادّه و الطاقه مظهران لحقيقه واحده،و بالنظر لعدم فناء الطاقه و المادّه،فليس هناك ما يحول دون تراكم الطاقات المنتشره مرّه أخرى و تتّخذ صوره مادّه أو جسم،فإذا كانت نتيجه الأعمال صالحه ظهرت بصوره نعم مادّيه جميله،و إذا كانت شرّا و سيئّه فإنّها تتجسّد فى وسائل عذاب و عقاب.

(١)

بضع لحظات،إنّ الجهاز يعمل وفق نظام حرارى يجتذب الأمواج الصادره عن الأجسام،و يحوّلها بوساطه جهاز يدعى«ثرموجرام»إلى سالب و موجب،ثمّ يصوّرها بالأسود و الأبيض-كما ذكرت وسائل الإعلام- و بهذا يمكن-أن نعرف كيفيه وقوع جريمه و تصوير أعمال المجرمين السابقه ثمّ عرضها عليهم و كشف كذبهم.

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۳۱ الی ۳۲]

اشاره

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللّٰهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْكُمُ اَللّٰهُ وَ یَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۳۱) قُلْ أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ اَلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یُحِبُّ اَلْكٰافِرِینَ (۳۲)

سبب النّزول

لهاتین الآیتین روایتان فی سبب نزولهما:إحداهما فی تفسیر«مجمع البیان» و الأخری فی تفسیر«المنار».

الأولی تقول:ادّعی جمع من الحاضرین فی مجلس رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم أنّهم یحبّون اللّه،مع أنّ العمل بتعالیم اللّه کان أقلّ ظهورا فی أعمالهم.فنزلت هاتان الآیتان بشأنهم.

و تقول الأخری:حضر فریق من مسیحیّی نجران مجلس رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و زعموا فی حدیثهم أنّ مبالغتهم فی تقدیس المسیح علیه السّلام إنّما ینطلق من حبّهم للّه.

فنزلت الآیتان تردّان علیهم.

التّفسير

اشاره

الحب الحقيقى:

تقول الآيه الأولى إنّ الحبّ ليس بالعلاقه القلبيه فحسب،بل يجب أن تظهر آثاره فى عمل الإنسان.إنّ من يدّعى حبّ اللّه،فعليه أوّلا اتّباع رسوله: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِی .

فى الواقع أنّ من آثار الحبّ الطبيعيه انجذاب المحبّ نحو المحبوب و الاستجابه له.صحيح أنّ هناك حبّا ضعيفا لا تتجاوز أشعّته جدران القلب،إلّا أنّ هذا من التفاهه بحيث لا يمكن اعتباره حبّا.لا شكّ أنّ للحبّ الحقيقى آثارا عمليه تربط المحبّ بالحبيب و تدفعه للسعى فى تحقيق طلباته.

و الدليل على ذلك واضح،فحبّ المرء شيئا لا بدّ أن يكون بسبب عثوره على أحد الكمالات فيه.لا يمكن أنّ يحبّ الإنسان مخلوقا ليس فيه شىء من قوّه الجذب،و عليه فإنّ حبّ الإنسان للّه ناشئ من كونه منبع جميع الكمالات و أصلها.إنّ محبوبا هذا شأنه لا بدّ أن تكون أوامره كامله أيضا،فكيف يمكن لإنسان يعشق الكمال المطلق أن يعصى أوامر الحبيب و تعاليمه،فإن عصى فذلك دليل على أنّ حبّه غير حقيقى.

هذه الآيه لا تقتصر فى ردّها على مسيحيّى نجران و الذين ادّعوا حبّ اللّه على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم،بل هذا الردّ أصيل و عامّ فى منطق الإسلام موجّه إلى جميع العصور و القرون.إنّ الذين لا يفتأون-ليل نهار-يتحدّثون عن حبّهم للّه و لأئمّه الإسلام و للمجاهدين فى سبيل اللّه و للصالحين و الأخيار،و لكنّهم لا يشبهون أولئك فى العمل،هم كاذبون.

أولئك الغارقون فى الذنوب من قمه الرأس حتّى أخمص القدم،و مع ذلك فهم يرون أن قلوبهم مليئه بحبّ اللّه و رسوله و أمير المؤمنين و الأئمّه العظام،أو الذين

يعتقدون أنّ الإيمان و الحبّ و المحبّه قلبيه فحسب،هم غرباء على منطق الإسلام تماما.

جاء فى«معانى الأخبار»عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «ما أحبّ اللّه من عصاه». ثمّ قرأ الأبيات:

تعصى الإله و أنت تظهر حبّه

هذا لعمرك فى الفعال بديع

لو كان حبّك صادقا لأطعته

إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

.

تقول هـذه الآيه:إذا كنتم تحبّون اللّه،و بـدت آثار ذلك فى أعمالكم و حياتكم، فإنّ اللّه سـيحبّكم أيضا،و سوف تظهر آثار حبّه أنه سيغفر لكم ذنوبكم، و يشملكم برحمته.

و الـدليل على هذا الحبّ المتقابل من قبل اللّه واضح أيضا،لأنّه سبحانه موجود كامل و لا متناه من كلّ الجهات،و سيرتبط-على أثر السنخيه-بكل موجود يقطع خطوات على طريق التكامل برباط الحبّ.

يتبيّن من هـذه الآيه أن ليس هناک حبّ من طرف واحـد، لأنّ الحبّ يـدفع المحبّ إلى أن يحقّق عمليا رغبات حبيبه.و فى هـذه الحاله لا يمكن للمحبوب إلاّ أن يرتبط بالمحبّ.

قـد يسأل سائل:إذا كان المحبّ دائم الإطاعه لأوامر المحبوب،فلا يبقى له ذنب فيغفر له،و لـذلک فإن جمله وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ليست ذات موضوع.

فى الجواب نقول:أوّلا يمكن أن تعنى هذه الجمله غفران الذنوب السابقه.

و ثانيا أنّ المحبّ لا يستمرّ فى عصيان المحبوب،و لكن قد يزلّ أحيانا بسبب طغيان الشهوات،و هذا هو الذى يغفره اللّه سبحانه.

الدين و الحبّ

جاء فی کثیر من الأحادیث أنّ أئمّه الإسلام کانوا یقولون:ما الدین إلّا الحب.و من ذلک ما

جاء فی«الخصال»و«الکافی»عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال: «و هل الدین إلّا الحبّ؟»ثمّ تلا هذه الآیه إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِی هذه الأحادیث ترید أن تبیّن أنّ حقیقه الدین و روحه هی الإیمان باللّه و حبّه، ذلک الإیمان و العشق اللذین یعمّ نورهما کلّ الوجود الإنسانی و یضیئانه،و تتأثر بهما الأعضاء و الجوارح،و یظهر أثرهما فی اتّباع أوامر اللّه.

قُلْ أَطِیعُوا اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ

.

هذه الآیه تتابع حدیث الآیه السابقه،و تقول:ما دمتم تدّعون الحبّ للّه،إذا اتّبعوا أمر اللّه و رسوله،و إن لم تفعلوا فلستم تحبّون اللّه،و اللّه لا یحبّ هؤلاء فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُحِبُّ الْکٰافِرِینَ .

و یستفاد من أَطِیعُوا اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ أنّ إطاعه اللّه و إطاعه رسوله لا تنفصلان،و أنّ إطاعه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم هی إطاعه اللّه،و إطاعه اللّه هی إطاعه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم،لذلک فالآیه السابقه تحدّثت عن إطاعه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم فقط،و هنا دار الکلام علی إطاعتهما کلیهما.

ص: ۴۷۰

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۳۳ الی ۳۴]

اشاره

إِنَّ اَللّٰهَ اِصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِیمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَی اَلْعٰالَمِینَ (۳۳) ذُرِّیَّهً بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ وَ اَللّٰهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۳۴)

التّفسیر

اشاره

فی مبتدأ هذه الآیه یشرع القرآن بسرد حکایه مریم و أجدادها و مقامهم،فهم النموذج الکامل لحب اللّه الحقیقی و ظهور آثار هذا الحب فی مقام العمل و الذی أشارت إلیه الآیات السابقه.

«اصطفی»من الصفو،و هو خلوص الشیء من الشوائب،و منه«الصفا» للحجاره الصافیه.و علیه فالاصطفاء هو تناول صفو الشیء.

تقول الآیه:إنّ اللّه اختار آدم و نوحا و آل إبراهیم و آل عمران من بین الناس جمیعا. هذا الاختیار قد یکون«تکوینیا»و قد یکون«تشریعیا»أی أنّ اللّه قد خلق هؤلاء منذ البدء خلقا متمیّزا،و إن لم یکن فی هذا الامتیاز ما یجبرهم علی إختیار طریق الحقّ،بل أنّهم بملء اختیارهم و حرّیه إرادتهم اختاروه.غیر أنّ ذلک التمیّز أعدّهم للقیام بهدایه البشر ثمّ علی أثر إطاعتهم أوامر اللّه،و التقوی و السعی فی

سبیل هدایه الناس نالوا نوعا من التمیّز الاکتسابی،الذی امتزج بتمیّزهم الذاتی، فکانوا من المصطفین.

ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ

(۱)

.

تشیر هذه الآیه إلی أنّ هؤلاء المصطفین کانوا-من حیث الإسلام و الطهاره و التقوی و الجهاد فی سبیل هدایه البشر-متشابهین،بمثل تشابه نسخ عدّه من کتاب واحد،یقتبس کلّ من الآخر: بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ .

وَ اللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ

.

فی النهایه تشیر الآیه إلی حقیقه أنّ اللّه کان یراقب مساعیهم و نشاطهم، و یسمع أقوالهم،و یعلم أعمالهم.و فی هذا إشاره أیضا إلی مسئولیات المصطفین الثقیله نحو اللّه و مخلوقات اللّه.

فی هذه الآیه إشاره إلی جمیع الأنبیاء من أولی العزم،فبعد نوح الذی صرّح باسمه،یأتی آل إبراهیم الذین یضمّون نوحا نفسه و موسی و عیسی و نبیّ الإسلام.

و ذکر آل عمران تکرار للإشاره إلی السیّده مریم و المسیح،بالنظر لکون هذه الآیه مقدّمه لبیان حالهما.

۱-امتیاز الأنبیاء:

هنا یبرز هذا السؤال:علی الرغم من أنّ هذا التمیّز لم یجبر الأنبیاء علی السیر فی طریق الحقّ،و أنّه لا یتعارض مع حریّه الإراده و الإختیار،و لکن ألا یعتبر نوعا من التفضیل؟

---

۱ - ۱) -«الذریه»أصلها الصغار من الأولاد.و قد یشمل الأبناء الصغار و الکبار أیضا بلا واسطه أو مع الواسطه، و الکلمه من(الذرء)،بمعنی الخلق و الإیجاد.

فی الجواب نقول:إنّ خلقا مصحوبا بنظام سلیم یستتبع بالضروره مثل هذا التفاضل،فتأمّل جسم الإنسان-مثلا-مخلوق منظّم،و للحفاظ علی هذا التنظیم لا بدّ من الاعتراف بالتفاضل بین عضو و عضو،إذ لو کانت جمیع الخلایا فی جسم الإنسان تشبه فی لطافتها خلایا شبکیه العین،أو تشبه فی صلابتها و قوّتها خلایا عظام الساق،أو تشبه خلایا الدماغ فی حساسیّتها،أو تشبه خلایا القلب فی حرکتها،لاختلّ حتما نظام الجسم.ذا لا بدّ من جود خلایا مثل خلایا الدماغ لکی تتولّی إداره سائر أعضاء الجسم و عضلاته،و خلایا العظام المتینه لتحفظ استقامه الجسم و خلایا الأعصاب الحسّاسه للتسلّم أبسط الإیعازات،و الخلایا المتحرّکه لتخلق الحرکه فی الجسم.

ما من أحد یستطیع أن یقول لماذا لیس الجسم کلّه دماغا؟أو فی النباتات، لماذا لا تکون الخلایا کلّها بلطافه خلایا أوراق الورد؟إنّ حاله کهذه ستهدم بناء النبات و تعرضه للفناء.

النقطه المهمّه هی أنّ هذا التمیز الذاتیّ الضروری لإیجاد بناء منظّم لیس بسیطا،بل هو مصحوب بمسؤولیه عظیمه،هذا«الامتیاز»و هذه المسؤولیه الثقیله نفسها تحفظ توازن کفّتی میزان الخلق.أی أن نسبه تمیّز الأنبیاء علی سائر البشر تتناسب مع أهمّیه المسؤولیه التی یضطلعون بها.کما أنّ الاختلاف فی تمیّز الآخرین یتناسب مع مسئولیاتهم.

فضلا عن ذلک فإنّ التمیّز الذاتی لا یکفی للاقتراب من اللّه،بل لا بدّ معه من التمیّز المکتسب.

فی الآیه بعض النقاط ینبغی ذکرها:

۱-لیست الآیه بصدد ذکر جمیع الذین اصطفاهم اللّه،بل تعدّد بعضا منهم، فإذا لم یکن بعض الأنبیاء من بین هؤلاء،فلا یعنی ذلک أنهم لیسوا مصطفین.ثمّ إنّ

«آل إبراهیم»یشمل موسی بن عمران و نبیّ الإسلام و المصطفین من أهل أیضا لأنّهم جمعا من«آل إبراهیم».

۲-یری«الراغب»فی کتابه«المفردات»إنّ«الآل»من«الأهل»،و لکنّه خصّ بالإضافه إلی أقرباء العظماء من الناس و الأشراف و دون الأزمنه و الأمکنه.

و لکن«الأهل»یضاف إلی الکلّ،کالزمان و المکان و غیر ذلک،فیقال:أهل المدینه الفلانیه،و لکن لا یقال:آل المدینه الفلانیه.

۳-غنّی عن القول أنّ اصطفاء آل إبراهیم و آل عمران لا-یعنی اصطفاء جمیع أبناء إبراهیم و عمران،إذ یحتمل أن یکون بینهم حتّی من الکفّار،إنّما المقصود هو «بعض»من آل إبراهیم و آل عمران.

۴-«عمران»فی هذه الآیه هو أبو مریم،لا أبو موسی،إذ کلّما ورد فی القرآن اسم عمران کان المعنی به هو أبو مریم،کما یستدلّ علی ذلک أیضا من الآیات التالیه التی تخصّ شرح حال مریم.

۵-فی الأحادیث العدیده عن أهل البیت علیهم السّلام اعتبرت هذه الآیه دلیلا علی عصمه الأنبیاء و الأئمّه،و ذلک لأنّ اللّه لا یمکن أن یصطفی المذنبین الملوّثین بالشرک و الکفر و الفسق.بل لا بدّ أن یقع إختیاره علی المطهّرین المعصومین.

(یستدلّ کذلک من الآیه أنّ هناک مراتب للعصمه).

۶-یستدلّ بعض الکتّاب المحدثین بهذه الآیه علی نظریه النشوء و الارتقاء، معتقدین أنّ الآیه تدلّ علی أنّ«آدم»لم یکن هو الإنسان الأوّل،بل کان هناک أناس کثیرون فاصطفی اللّه من بینهم آدم الذی خلّف نسلا متمیّزا من أبنائه،و أنّ تعبیر عَلَی الْعٰالَمِینَ دلیل علی ذلک.یقول هؤلاء:کان فی عصر آدم مجتمع إنسانی،و لذلک فلیس ثمّه ما یمنع من أن یکون الإنسان الأوّل-الذی وجد قبل ذلک بملایین السنین-قد نشأ و تطوّر من حیوانات أخری متطوّره،و یکون«آدم»

وحده الذی اصطفاه اللّه.

و لکن فی مقابل هـذا الرأی یمکن القول أن لیس هناک أیّ دلیل علی أنّ «عالمین»هم أناس عاصروا آدم،بل قد یکون القصـد هـو مجمـوع المجتمعـات البشـریه علی امتـداد التاریـخ.و علی هـذا یکون معنی الآ-یه:إنّ اللّه اصـطفی من بین جمیع المجتمعـات البشـریه علی امتـداد التاریـخ أفراد کـان أوّلهم آدم،فنوحـا،فآل إبراهیم،فآل عمران.و بما أنّ کلّ واحـد من هؤلاء کان یعیش فی عصـر غیر عصـر الآخر نفهم من ذلک أنّ القصد من«عالمین»هو البشر عموما علی اختلاف عصورهم و أزمانهم.لذلک لیس ثمّه ما یدعونا إلی الاعتقاد بأنّ آدم کان یعاصره أناس آخرون فاصطفاه اللّه من بینهم،فتأمّل.

ص: ۴۷۵

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۳۵ الی ۳۶]

اشاره

إِذْ قٰالَتِ اِمْرَأَتُ عِمْرٰانَ رَبِّ إِنِّی نَذَرْتُ لَکَ مٰا فِی بَطْنِی مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّی إِنَّکَ أَنْتَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ (۳۵) فَلَمّٰا وَضَعَتْهٰا قٰالَتْ رَبِّ إِنِّی وَضَعْتُهٰا أُنْثیٰ وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا وَضَعَتْ وَ لَیْسَ اَلذَّکَرُ کَالْأُنْثیٰ وَ إِنِّی سَمَّیْتُهٰا مَرْیَمَ وَ إِنِّی أُعِیذُهٰا بِکَ وَ ذُرِّیَّتَهٰا مِنَ اَلشَّیْطٰانِ اَلرَّجِیمِ (۳۶)

التّفسیر

اشاره

کیفیه ولاده مریم:

تعقیبا علی ما جاء فی الآیه السابقه من إشاره إلی آل عمران،تشرع هاتان الآیتان بالکلام علی مریم بنت عمران و کیفیه ولادتها و تربیتها و ما جری لهذه السیّده العظیمه.

جاء فی التواریخ و الأخبار الإسلامیه و أقوال المفسّرین أنّ«حنه»و «أشیاع»کانتا أختین،تزوّجت الأولی«عمران» (۱) أحد زعماء بنی إسرائیل،

ص :۴۷۶

۱- ۱) -تفید بعض الأحادیث أنّ«عمران»کان نبیّا و یوحی إلیه.و عمران هذا غیر عمران والد موسی،إذ بینهما ۱۸۰۰ سنه من الزمان.(مجمع البیان-و تفسیر المراغی،ذیل الآیه مورد البحث).

و تزوّجت الأخرى«زكريّا»النبيّ.

مضت سنوات على زواج«حنه»بغير أن ترزق مولودا.و فى أحد الأيّام بينما هى جالسه تحت شجره،رأت طائرا يطعم فراخه.فأشعل هذا المشهد نار حبّ الأمومه فى قلبها،فتوجّهت إلى اللّه بمجامع قلبها طالبه منه أن يرزقها مولودا، فاستجاب اللّه دعاءها الخالص،و لم تمض مدّه طويله حتّى حملت.

ورد فى الأحاديث أنّ اللّه قد أوحى إلى«عمران»أنّه سيهبه ولدا مباركا يشفى المرضى الميؤوس من شفائهم،و يحيى الموتى بإذن اللّه،و سوف يرسله نبيّا إلى بنى إسرائيل.فأخبر عمران زوجته«حنه»بذلك.لذلك عند ما حملت ظنّت أنّ ما تحمله فى بطنها هو الابن الموعود،دون أن تعلم أنّ ما فى بطنها أم الابن الموعود «مريم»فنذرت ما فى بطنها للخدمه فى بيت اللّه«بيت المقدس».و لكنّها إذ رأتها أنثى ارتبكت و لم تدر ما تعمل،إذ أنّ الخدمه فى بيت اللّه كانت مقصوره على الذكور،و لم يسبق أن خدمت فيه أنثى.

و الآن نباشر بالتفسير من خلاله نتعرّف على تتمّه الأحداث:

إِذْ قٰالَتِ امْرَأَتُ عِمْرٰانَ...

.

هذه إشاره إلى النذر الذى نذرته امرأه عمران و هى حامل بأنّها تهب ابنها خادما فى بيت المقدس،لأنّها كانت تظنّه ذكرا بموجب البشاره التى أتاها بها زوجها،و لذلك قالت«محرّرا»و لم تقل«محرّره»و دعت اللّه أن يتقبل نذرها:

فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

.

«المحرر»من التحرير،و كانت تطلق فى ذلك الزمان على الأبناء المعيّنين للخدمه فى المعبد ليتولّوا تنظيفه و خدماته،و ليؤدّوا عباداتهم فيه وقت فراغهم.و لذلك سمّى الواحد منهم«المحرّر»،إذ هو محرّر من خدمه الأبوين،

و كان ذلك مدعاه لافتخارهم.

قيل إنّ الصبيان القادرين على هذه الخدمه كانوا يقومون بها بإشراف الأبوين إلى سنّ البلوغ،و من ثمّ كان الأمر يوكل إليهم،إن شاؤوا بقوا،و إن شاؤوا تركوا الخدمه.

و يرى البعض أن إقدام امرأه عمران على النذر دليل على أن عمران توفى أيّام حمل زوجته،و إلاّ كان من البعيد أن تستقل الام بهذا النذر.

فَلَمّٰا وَضَعَتْهٰا قٰالَتْ رَبِّ إِنِّی وَضَعْتُهٰا أُنْثیٰ

.

هذه الآیه تشرح حال أم مریم بعد ولادتها،فقد أزعجها أن تلد أنثى،و راحت تخاطب اللّه قائله:إنّها أنثى،و أنت تعلم أنّ الذكر ليس كالأنثى فى تحقيق النذر، فالأنثى لا تستطيع أن تؤدّى واجبها فى الخدمه كما يفعل الذكر فالبنت بعد البلوغ لها عاده شهريه و لا يمكنها دخول المسجد،مضافا إلى أن قواها البدنيه ضعيفه، و كذلك المسائل المربوطه بالحجاب و الحمل و غير ذلك. وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثیٰ .

و يظهر من القرائن فى الآيه و الأحاديث الوارده فى التفاسير أنّ هذا القول وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثیٰ قول أمّ مريم،لا قول اللّه كما ذهب إلى ذلك بعض المفسّرين.و لكن كان ينبغى أن تقول«و ليست الأنثى كالذكر»باعتبارها قد ولدت أنثى لا ذكرا.لذلك يمكن أن يكون فى الجمله تقديم و تأخير،كما نلاحظه فى كلام العرب و غير العرب.و لعلّ ما انتهابها من الكدر و الحزن لوضعها أنثى جعلها تنطق بهذا الشكل،إذ كانت شديده الاعتقاد بأنّ ما ستلده ذكر و أنّها ستفى بنذرها فى جعله خادما فى بيت المقدس.و هذا الاعتقاد و التوقّع جعلاها تقدّم الذكر على الأنثى،على الرغم من أنّ أصول تركيب الجمل و جنس المولود يقتضيان تقديم الأنثى.

ص :۴۷۸

و الجمله المعترضه وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ من قول اللّه.أى لم يكن يلزم أن تقول إنّها ولدت أنثى،لأنّ اللّه كان أعلم منها بمولودها منذ انعقاد نطفته و تعاقب مراحل تصوّره فى الرحم.

وَ إِنِّی سَمَّیْتُها مَرْیَمَ...

.

يتّضح من هذه الجمله أنّ أم مريم هى التى سمّتها بهذا الاسم عند ولادتها.و «مريم»بلغتها تعنى«العابده».و فى هذا يظهر منتهى اشتياق هذه الأمّ الطاهره لوقف وليدها على خدمه اللّه.لذلك طلبت من اللّه-بعد أن سمّتها-أن يحفظها و نسلها من وسوسه الشياطين،و أن يرعاهم بحمايته و لطفه وَ إِنِّی أُعِیذُها بِکَ وَ ذُرِّیَّتَها مِنَ الشَّیْطانِ الرَّجِیمِ .

الآیه [سوره آل عمران (٣): آیه ٣٧]

اشاره

فَتَقَبَّلَهٰا رَبُّهٰا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنْبَتَهٰا نَبٰاتاً حَسَناً وَ كَفَّلَهٰا زَكَرِيّٰا كُلَّمٰا دَخَلَ عَلَيْهٰا زَكَرِيَّا اَلْمِحْرٰابَ وَجَدَ عِنْدَهٰا رِزْقاً قٰالَ يٰا مَرْيَمُ أَنّٰى لَكِ هٰذٰا قٰالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ (٣٧)

التّفسیر

تواصل هذه الآیه سرد حکایه مریم.لقد أشرنا من قبل أنّ أمّ مریم لم تکن تصدّق إمکان قبول الأنثی خادمه فی بیت اللّه،لذلک کانت تتمنّی أن تلد مولودا ذکرا،إذ لم یسبق أن اختیرت أنثی لهذا العمل.و لکن الآیه تقول إنّ اللّه قد قبل قیام هذه الأنثی الطاهره بهذه الخدمه الروحیه و المعنویه،لأوّل مرّه.

یقول بعض المفسّرین:إنّ دلیل قبولها لهذه الخدمه أنّها لم تکن تری العاده الشهریه أثناء خدمتها فی بیت المقدس لکی لا تضطرّ إلی ترک الخدمه،أو أن حضور طعامها من الجنّه إلی محرابها دلیل علی قبولها.و قد یکون قبول النذر و قبول مریم قد أبلغ للأمّ عن طریق الإلهام.

ص: ۴۸۰

و کلمه«أنبتها»إشاره إلى تكامل مريم أخلاقيا و روحيا.كما أنّه يتضمّن نكته لطيفه هى أنّ عمل اللّه هو«الإنبات»و الإنماء.أى كما أنّ بذور النباتات تنطوى على استعدادات كامنه تظهر و تنمو عند ما يتعهّدها المزارع،كذلك توجد فى الإنسان كلّ أنواع الاستعدادات الساميه الإنسانيه التى تنمو و تتكامل بسرعه إن خضعت لمنهج المربّين الإلهيّين و لمزارعى بستان الإنسانيه الكبير،و يتحقّق الإنبات بمعناه الحقيقى.

وَ كَفَّلَهٰا زَكَرِيّٰا

.

«الكفاله»ضمّ شىء إلى آخر.لذلك يطلق على من يلتزم رعايه شؤون أحد الأطفال اسم«الكافل»أو«الكفيل»،أى أنّه يضمّ الطفل إليه.إذا استعملت الكلمه ثلاثيه مجرّده كانت فعلا لازما،و تتعدّى بنقلها إلى باب الثلاثى المزيد«كفّل»أى انتخاب الكفيل لشخص آخر.

فى هذه الآيه يقول القرآن:اختار اللّه زكريّا كى يتكفّل مريم،إذ أنّ أباها عمران قد ودّع الحياه قبل ولادتها، فجاءت بها أمّها إلى بيت المقدس و قدّمتها لعلماء اليهود و قالت:هذه البنت هديّه لبيت المقدس،فليتعهّدها أحدكم،فكثر الكلام بين علماء اليهود،و كان كلّ منهم يريد أن يحظى بهذا الفخر،و فى احتفال خاص-سيأتى شرحه فى تفسير الآيه ۴۴ من هذه السوره-اختير زكريّا ليكفلها.

و كلّما شبّت و تقدّم بها العمر ظهرت آثار العظمه و الجلال عليها أكثر إلى حدّ يقول القرآن عنها:

كُلَّمٰا دَخَلَ عَلَيْهٰا زَكَرِيَّا الْمِحْرٰابَ وَجَدَ عِنْدَهٰا رِزْقاً

.

«المحراب»هو الموضع الذى يخصّص فى المعبد لإمام المعبد أو لأفراد من النخبه.و ذكروا فى سبب تسميته بهذا الاسم أوجه كثيره،أوجهها ثلاثه:أحدها:إنّ

المحراب من«الحرب»سمّى بذلك لأنّه موضع محاربه الشيطان و الأهواء.

و الآخر:إنّ المحراب صدر المجلس،ثمّ أطلق أيضا على صدر المعبد.(كان بناء المحراب عند اليهود يختلف عن بنائه عندنا،فأولئك كانوا يبنون المحراب مرتفعا عن سطح الأرض بعدّه درجات بين حائطين مرتفعين يحفظانه،بحيث كانت تصعب رؤيه من بداخل المحراب من الخارج).

و الثالث:انه يطلق على كلّ المعبد،و هو المكان الذى يخصّص للعباده و مجاهده النفس و الشيطان.

كبرت مريم تحت رعايه زكريّا،و كانت غارقه فى العباده و التعبّد.بحيث إنّها -كما يقول ابن عبّاس-عند ما بلغت التاسعه من عمرها كانت تصوم النهار و تقوم الليل بالعباده،و كانت على درجه كبيره من التقوى و معرفه اللّه حتّى أنّها فاقت الأحبار و العلماء فى زمانها (۱) .و عند ما كان زكريّا يزورها فى المحراب يجد عندها طعاما خاصّا،فيأخذه العجب من ذلك.سألها يوما: يٰا مَرْيَمُ أَنّٰى لَكِ هٰذٰا .

فقالت: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشٰاءُ بِغَيْرِ حِسٰابٍ .

الآيه لا تذكر شيئا عن ماهيّه هذا الطعام و من أين جاء،لكنّ بعض الأحاديث الوارده فى تفسير العيّاشى و غيره من كتب الشيعه و السنّه تفيد أنّه كان فاكهه من الجنّه فى غير فصلها تحضر بأمر اللّه إلى المحراب.و ليس ما يدعو إلى العجب فى أن يستضيف اللّه عبدا تقيّا.

كما أنّ اعتبار«الرزق»طعاما من الجنّه يتبيّن من القرائن التى نراها فى ثنايا الآيه.فأوّلا-كلمه«رزقا»النكره دليل على أنّ زكريّا لم يعرف نوع هذا الرزق.

و ثانيا جواب مريم التى قالت«من عند اللّه»دليل آخر.و ثالثا انفعال زكريّا و طلبه

۱- ۱) -تفسير مجمع البيان:ج ۲ ص ۴۳۶.

ولدا من اللّه-كما نقرأ فى الآيه التاليه-دليل ثالث على ذلك.

بيـد أنّ بعض المفسّرين-مثـل صاحب المنار-يرون أنّ«رزقا»تعنى هـذا الطعام الـدنيوىّ المألوف.يقول ابن جرير:إنّ قحطا أصاب بنى إسـرائيل يومئذ،و لم يعد زكريّا قادرا على سدّ جوعه مريم.لذلك اقترعوا فكانت من نصـيب رجل نجّار،فأخذ هذا يقتطع من كسبه الطيّب الحلال ليهيّئ الطعام لها،فكان هـذا هو الطعام الـذى يراه زكريّا فى محرابها و يعجب من وجوده فى تلك الظروف الصعبه و كان جواب مريم يعنى أنّ اللّه قد سخّر لى مؤمنا فأحبّ القيام بهذه الخدمه الشاقّه.

و لكن-كما قلنا-هذا التفسير لا يتّسق مع القرائن الموجوده فى الآيه،و لا مع الأحاديث الوارده فى تفسيرها،و منها ما

ورد فى تفسـير العيّاشـى عن الإمـام البـاقر عليه السّـلام ما ملخّصه أنّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم دخل يوما على ابنته فاطمه عليها السّـلام و هو يعلم أنّها لم تكن تملك طعاما يـذكر منذ أيّام،فوجد عندها طعاما وافرا خاصّا،فسألها عنه،فقالت:هو من عند اللّه إنّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب.فقال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم لعلىّ عليه السّـلام:ألا أحدّثك بمثلك و مثلها؟قال:بلى،قال:مثل زكريّا إذ دخل على مريم المحراب فوجـد عندها رزقا،قال:يا مريم أنّى لك هذا؟قالت:هو من عند اللّه،إنّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب... (۱) .

و فيما يتعلّق بعباره«بغير حساب»فقد شرحنا ذلك فى تفسير الآيه ۲۰۲ من سوره البقره،و الآيه ۲۷ من هذه السوره.

ص:۴۸۳

۱- ۱) -تفسير العيّاشى:ج ۱ ص ۱۷۲.

الآيات [سوره آل عمران (۳): الآيات ۳۸ الی ۴۰]

اشاره

هُنالِکَ دَعا زَکَرِیّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّیَّهً طَیِّبَهً إِنَّکَ سَمِیعُ اَلدُّعاءِ (۳۸) فَنادَتْهُ اَلْمَلائِکَهُ وَ هُوَ قائِمٌ یُصَلِّی فِی اَلْمِحْرابِ أَنَّ اَللّهَ یُبَشِّرُکَ بِیَحْییٰ مُصَدِّقاً بِکَلِمَهٍ مِنَ اَللّهِ وَ سَیِّداً وَ حَصُوراً وَ نَبِیًّا مِنَ اَلصّالِحِینَ (۳۹) قالَ رَبِّ أَنّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ قَدْ بَلَغَنِیَ اَلْکِبَرُ وَ اِمْرَأَتِی عاقِرٌ قالَ کَذلِکَ اَللّهُ یَفْعَلُ ما یَشاءُ (۴۰)

التّفسیر

قلنا إنّ زوجه زکریّا و أمّ مریم کانتا أختین،و کانتا عاقرین،و عند ما رزقت أمّ مریم بلطف من اللّه هذه الذرّیه الصالحه،و رأی زکریّا خصائصها العجیبه،تمنّی أن یرزق هو أیضا ذرّیه صالحه و طاهره و تقیّه مثل مریم،بحیث تکون آیه علی عظمه اللّه و توحیده.و علی الرغم من کبر سن زکریّا و زوجته،و بعدهما من الناحیه الطبیعیّه عن أن یرزقا طفلا،فإنّ حبّ اللّه و مشاهده الفواکه الطریه فی غیر وقتها فی محراب عباده مریم،أترعا قلبه أملا بإمکان حصوله فی فصل شیخوخته علی

ص :۴۸۴

ثمره الأبوّه،لذلک راح یتضرّع إلی اللّه قٰالَ رَبِّ هَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ ذُرِّیَّهً طَیِّبَهً إِنَّکَ سَمِیعُ الدُّعٰاءِ .

لم یمض وقت طویل حتّی أجاب اللّه دعاء زکریّا.

فَنٰادَتْهُ الْمَلاٰئِکَهُ وَ هُوَ قٰائِمٌ یُصَلِّی فِی الْمِحْرٰابِ

.

و فیما کان یعبد اللّه فی محرابه،نادته ملائکه اللّه و قالت له إنّ اللّه یبشّرک بمولود اسمه یحیی بل أنهم لم یکتفوا بهذه البشاره حتّی ذکروا للمولود خمس صفات:

أوّلا:سوف یؤمن بالمسیح و یشدّ أزره بهذا الإیمان: مُصَدِّقاً بِکَلِمَهٍ مِنَ اللّٰهِ و«کلمه اللّه»هنا و فی مواضع أخری من القرآن سیرد شرحها-تعنی المسیح علیه السّلام-و قد جاء فی التاریخ أنّ یحیی کان یکبر عیسی سته أشهر،و کان أول من آمن به.و إذا کان قد اشتهر بین الناس بالطهر و الزهد،فقد کان لإیمانه هذا بالمسیح تأثیر کبیر علی الناس،فی توجیههم و حثّهم علی الإیمان به.

و ثانیا:سیکون من حیث العلم و العمل قائدا للناس وَ سَیِّداً ،کما أنّه سیحفظ نفسه عن الشهوات الجامحه و عن التلوّث بحبّ الدنیا.

وَ حَصُوراً

.

«الحصور»من الحصر،أی الذی یضع نفسه موضع المحاصره،أو الذی یمتنع عن الزواج،و إلی هذا ذهب بعض المفسّرین،کما أشیر إلیه فی بعض الأحادیث.

و الرابعه و الخامسه من ممیّزاته أیضا أنّه سیکون«نبیا»(و جاءت هذه الکلمه بصیغه النکره لدلاله علی العظمه)و أنّه من الصالحین.

فلما سمع زکریا بهذه البشاره غرق فرحا و سرورا،و لم یمتلک نفسه فی إخفاء تعجبّه من ذلک،فقال رَبِّ أَنّٰی یَکُونُ لِی غُلاٰمٌ وَ قَدْ بَلَغَنِیَ الْکِبَرُ وَ امْرَأَتِی عٰاقِرٌ

فأجابه اللّه تعالى قَالَ كَذٰلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فلما سمع زكريا هذا الجواب الموجز الذى يشير إلى نفوذ إرادته تعالى و مشيئته،قنع بذلك.

بحوث

اشاره

۱-هل العزوبه فضيله؟

هنا يتبادر إلى الذهن سؤال يقول:إذا كان«الحصر»هو العزوف عن الزواج، فهل هذا محمده يمتاز بها الإنسان،بحيث يوصف بها يحيى؟ فى الجواب نقول:ليس هناك ما يدلّ على أنّ«الحصر»المذكور فى الآيه يقصد به العزوف عن الزواج،فالحديث المنقول بهذا الخصوص ليس موثوقا به من حيث أسانيده.فلا يستبعد أن يكون المعنى هو العزوف عن الشهوات و الأهواء و حبّ الدنيا،و فى صفات الزاهدين.

ثانيا:من المحتمل أن يكون يحيى-مثل عيسى-قد عاش فى ظروف خاصّه اضطرّته إلى الترحال من أجل تبليغ رسالته،فاضطرّ إلى حياه العزوبه.و هذا لا يمكن أن يكون قانونا عامّا للناس.فإذا مدحه اللّه لهذه الصفه فذلك لأنّه تحت ضغط ظروفه عزف عن الزواج،و لكنّه استطاع فى الوقت نفسه أن يحصن نفسه من الزلل و أن يحافظ على طهارته من التلوّث.إنّ قانون الزواج قانون فطرى،فلا يمكن فى أىّ دين أن يشرع قانون ضدّه.و عليه فالعزوبه ليست صفه محموده،لا فى الإسلام و لا فى الأديان الاخرى.

۲-يحيى و عيسى

«يحيى»من الحياه و تعنى البقاء حيّا،و قد اختيرت هذه الكلمه اسما لهذا النبىّ

العظيم،و المقصود بالحياه هنا هی الحیاه المادّیه و الحیاه المعنویه فی نور الإیمان و مقام النبوّه و الارتباط باللّه.هذا الاسم قد اختاره اللّه له قبل أن یولد،کما جاء فی الآیه ۷ من سوره مریم یٰا زَکَرِیّٰا إِنّٰا نُبَشِّرُکَ بِغُلاٰمٍ اسْمُهُ یَحْییٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِیًّا و من هذا یتبیّن أیضا أنّ أحدا لم یسبق أن سمّی بهذا الاسم.

قلنا فیما سبق أنّ زکریّا طلب من ربّه الذرّیه بعد أن شاهد ما نالته مریم من عطاء معنوی سریع.و علی أثر ذلک وهب اللّه له ولدا شبیها بعیسی بن مریم فی کثیر من الصفات:فی النبوّه و هما صغیران،و فی معنی اسمیهما(عیسی و یحیی کلاهما بمعنی البقاء حیّا)،و فی تحیه و سلام اللّه علیهما فی المراحل الثلاث:الولاده، و الموت،و الحشر و جهات اخری.

۳-فی هذه الآیه یصف زکریّا شیخوخته بقوله وَ قَدْ بَلَغَنِیَ الْکِبَرُ و لکنه فی الآیه ۹ من سوره مریم یقول وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْکِبَرِ عِتِیًّا .فالعباره الأولی تعنی أنّ الکبر قد وصلنی و الثانیه تعنی أنّی وصلت الکبر،و لعلّ هذا الاختلاف فی التعبیر یعود إلی أنّ الإنسان-کلّما تقدّم نحو الکبر- یتقدّم الکبر و الموت نحوه أیضا.کما

قال علیّ علیه السّلام «إذا کنت فی إدبار و الموت فی إقبال فما أسرع الملتقی»

(۱)

.

۴-«الغلام»الفتی الذی طرّ شاربه.و«عاقر»من«عقر»بمعنی الأصل و الأساس.أو بمعنی الحبس.و وصف المرأه التی لا تلد بأنّها عاقر یعنی أنّها وصلت إلی عقرها و انتهت،أو أنّها حبست عن الولاده.

و قد یسأل سائل:لماذا استولی العجب علی زکریّا مع أنّه عالم بقدره اللّه التی لا تنتهی؟ یتّضح الجواب بالرجوع إلی الآیات الأخری.کان یرید أن یعرف کیف یمکن لامرأه عاقر-خلفت وراءها سنوات عدیده بعد سنه الیأس-أن تحمل و تلد؟

۱- ۱) -نهج البلاغه:الکلمات القصار:۲۸.

مـا الـذى يتغيّر فيهـا؟أ ترجع إليها العاده الشـهريه كسائر النساء المتوسّـطات العمر؟ أم أنّها سـتحمل بصوره اخرى؟ ثمّ إنّ الإيمان بقدره اللّه غير«الشهود و المشاهده».زكريّا كان يريد أن يبلغ إيمانه مبلغ الشهود،مثل إبراهيم الذى كان مؤمنا بالمعاد،و لكنّه طلب المشاهده.

كان يريـد أن يصل إلى هذه المرحله من الإيمان.و أنّه لأمر طبيعىّ أن يفكّر الإنسان،إذا ما صادفه أمر خارق للقوانين الطبيعيه فى كيفيّه حصول ذلك،و يودّ لو أنّه رأى دليلا حسّيا على ذلك.

الآیه [سوره آل عمران (٣): آیه ۴١]

اشاره

قٰالَ رَبِّ اِجْعَلْ لِی آیَهً قٰالَ آیَتُکَ أَلاّٰ تُکَلِّمَ اَلنّٰاسَ ثَلاٰثَهَ أَیّٰامٍ إِلاّٰ رَمْزاً وَ اُذْکُرْ رَبَّکَ کَثِیراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِیِّ وَ اَلْإِبْکٰارِ (۴١)

التّفسیر

هنا یطلب زکریّا من اللّه إماره علی بشارته بمجیء یحیی.إنّ إظهار دهشته -کما قلنا-و کذلک طلب علامه من اللّه،لا یعنیان أبدا أنّه لا یثق بوعد اللّه،خاصّه و أنّ ذلک الوعد قد توکّد بقوله: کَذٰلِکَ اللّٰهُ یَفْعَلُ مٰا یَشٰاءُ .إنّما کان یرید زکریّا أن یتحوّل إیمانه بهذا إیمانا شهودیا.کان یرید أن یمتلئ قلبه بالاطمئنان،کما کان إبراهیم یبحث عن اطمئنان القلب و الهدوء الناشئین عن الشهود الحسّی.

قٰالَ آیَتُکَ أَلاّٰ تُکَلِّمَ النّٰاسَ ثَلاٰثَهَ أَیّٰامٍ إِلاّٰ رَمْزاً

.

«الرمز»إشاره بالشفه،و الصوت الخفی.ثمّ اتّسع المعنی فی الحوار العادی، فأطلق علی کلّ کلام و إشاره غیر صریحه إلی أمر من الأمور.

أجاب اللّه طلب زکریّا هذا أیضا،و عیّن له علامه،و هی أنّ لسانه کفّ عن الکلام مدّه ثلاثه أیّام بغیر أیّ نقص طبیعی،فلم یکن قادرا علی المحادثه العادیه.

و لكن لسانه كان ينطلق إذا ما شرع يسبّح اللّه و يذكره.هذه الحاله العجيبه كانت علامه على قدره اللّه على كلّ شيء.فاللّه القادر على فكّ لجام اللسان عند المباشره بذكره،قادر على أن يفكّ عقم رحم امرأه فيخرج منه ولدا مؤمنا هو مظهر ذكر اللّه.و هكذا تتّضح العلاقه بين هذه العلامه و ما كان يريده زكريّا.

هذا المضمون يرد فى الآيات الأولى من سوره مريم أيضا.

و فى الوقت نفسه يمكن أن تحمل هذه العلامه معنى آخر فى طيّاتها،و هو أنّ إلحاح زكريّا على طلب العلامه و الآيه-و إن لم يكن أمرا محرّما و لا مكروها- كان من نوع«ترك الأولى».لذلك قرّر له علامه،إضافه إلى ما فيها من بيان لقدره اللّه،طافحه بالإشاره إلى تركه للأولى.

يتبادر هنا للذهن سؤال:أ يتّسق بكم نبيّ مع مقام النبوّه و واجب الدعوه و التبليغ؟ ليس من الصعب الإجابه على هذا السؤال،إذ أنّ هذه الحاله لا تتّسق مع مقام النبوّه عند استمرارها مدّه طويله.أمّا حدوثها لفتره قصيره يستطيع النبيّ خلالها اعتزال الناس و التوجّه إلى عباده اللّه،فلا مانع فيه،كما أنّه خلال هذه المدّه يستطيع أن يخاطب الناس بالإيماء فى الأمور الضروريه،أو بتلاوه آيات اللّه،التى تعتبر ذكرا للّه،و تبليغا للرساله الإلهيه.و هذا ما قام به فعلا،إذ كان يدعو الناس إلى ذكر اللّه بالإشاره.

وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكارِ

.

«العشى»تطلق عاده على أوائل ساعات الليل،كما يقال«الإبكار»للساعات الأولى من النهار.و قيل إنّ«العشى»هو من زوال الشمس حتّى غروبها،و «الإبكار»من طلوع الفجر حتّى الظهر.

و الراغب الاصفهانى يقول فى«المفردات»:إنّ«العشى»من زوال الشمس حتّى الصباح،و«الإبكار»أوائل النهار.

و فى الآيه يأمر اللّه زكريّا بالتسبيح.إنّ هذا التسبيح و الذكر على لسان لا ينطق موقتا دليل على قدره اللّه على فتح المغلق،و كذلك هو أداء لفريضه الشكر للّه الذى أنعم عليه بهذه النعمه الكبرى.

من الآيات الأولى لسوره مريم يستفاد أنّ زكريّا لم ينفّذ هذا البرنامج وحده، بل طلب من الناس إيماء أن يسبّحوا اللّه صباح مساء شكرا على ما أنعم عليهم من موهبه ترتبط بمصير مجتمعهم و من قائد كفوء مثل يحيى.و أضحت هذه الأيام أيّام شكر و تسبيح عام.

ص :۴۹۱

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۴۲ الی ۴۳]

اشاره

وَ إِذْ قٰالَتِ اَلْمَلاٰئِکَهُ یٰا مَرْیَمُ إِنَّ اَللّٰهَ اِصْطَفٰاکِ وَ طَهَّرَکِ وَ اِصْطَفٰاکِ عَلیٰ نِسٰاءِ اَلْعٰالَمِینَ (۴۲) یٰا مَرْیَمُ اُقْنُتِی لِرَبِّکِ وَ اُسْجُدِی وَ اِرْکَعِی مَعَ اَلرّٰاکِعِینَ (۴۳)

التّفسیر

اشاره

الانتخاب الإلهی لمریم:

بعد الإشارات العابره إلی مریم فی الآیات السابقه التی دارت حول عمران و زوجته،هذه الآیه تتحدّث بالتفصیل عن مریم.

تقول الآیه إنّ الملائکه کانوا یکلّمون مریم: وَ إِذْ قٰالَتِ الْمَلاٰئِکَهُ یٰا مَرْیَمُ... .

ما أعظم هذا الافتخار بأن یتحدّث الإنسان مع الملائکه و یحدثونه.و خاصه إذا کانت المحادثه بالبشاره من اللّه تعالی باختیاره و تفضیله.کما فی مورد مریم بنت عمران.فقد بشرتها الملائکه بأنّ اللّه تعالی قد اختارها من بین جمیع نساء العالم و طهّرها و فضلها بسبب تقواها و إیمانها و عبادتها.

و الجدیر بالذکر أن کلمه«اصطفاک»تکررت مرتین فی هذه الآیه،ففی المرّه

الاولی کانت لبیان الاصطفاء المطلق،و فی الثانیه إشاره إلی افضلیّتها علی سائر نساء العالم المعاصره لها.

هـذا یعنی أن مریم کـانت أعظم نسـاء زمانهـا،و هو لاـ یتعـارض مع کون سـیّده الإسـلام فاطمه الزهراء علیها السّـلام سـیّده نساء العالمین،

فقد جاء فی أحادیث متعدّده عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و الإمام الصادق علیه السّلام قولهما:

«أمّا مریم فکانت سیّده نساء زمانها.أمّا فاطمه فهی سیّده نساء العالمین من الأوّلین و الآخرین»

(۱)

.

کما أنّ کلمه«العالمین»لا تتعارض مع هـذا الکلام أیضا،فقد وردت هذه الکلمه فی القرآن و فی الکلام العام بمعنی الناس الذین یعیشون فی عصـر واحد، کما جاء بشأن بنی إسـرائیل وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعٰالَمِینَ (۲) .فلا شکّ أنّ تفضـیل مؤمنی بنی إسرائیل کان علی أهل زمانهم.

یٰا مَرْیَمُ اقْنُتِی لِرَبِّکِ

.

هـذه الآیه تکمله لکلام الملائکه مع مریم.فبعـد أن بشّرها بأنّ اللّه قد اصـطفاها، قالوا لها:الآن اشـکری اللّه بالرکوع و السـجود و الخضوع له اعترافا بهذه النعمه العظمی.

نلاحظ هنا أنّ الملائکه یصدرون إلی مریم ثلاثه أوامر:

الأول:القنوت أمام اللّه.و الکلمه-کما سبق أن قلنا-تعنی الخضوع و دوام الطاعه.

الثانی:السجود،الذی هو أیضا دلیل الخضوع الکامل أمام اللّه.

۱- ۱) -نور الثقلین:ج ۱ ص ۳۳۶،و البحار:ج ۱۰ ص ۲۴.

۲- ۲) -البقره:۴۷.

و الثالث:الركوع،و هو أيضا خضوع و تواضع.

أمّا القول: وَ ارْكَعِي مَعَ الرّاكِعِينَ فقد يكون إشاره إلى صلاه الجماعه،أو طلب التحاقها بجموع المصلّين الراكعين أمام اللّه.أي اركعي مع عباد اللّه المخلصين الذين يركعون للّه.

في هذه الآيه،الإشاره إلى السجود تسبق الإشاره إلى الركوع،و ليس معنى هذا أنّ سجودهم قبل ركوعهم في صلاتهم،بل المقصود هو أداء العبادتين دون أن يكون القصد ذكر ترتيبهما،كما لو كنّا نطلب من أحدهم أن يصلّي،و أن يتوضّأ،و أن يتطهّر،إذ يكون قصدنا أن يقوم بكلّ هذه الأمور.إنّ العطف بالواو لا يقتضي الترتيب.ثمّ إنّ الركوع و السجود أصلا بمعنى التواضع و الخضوع،و ما حركتا الركوع و السجود المألوفان سوى بعض مصاديق ذلك.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۴۴]

اشاره

ذٰلِکَ مِنْ أَنْبٰاءِ اَلْغَیْبِ نُوحِیهِ إِلَیْکَ وَ مٰا کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یُلْقُونَ أَقْلاٰمَهُمْ أَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ وَ مٰا کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یَخْتَصِمُونَ (۴۴)

التّفسیر

اشاره

کفاله مریم:

هذه الآیه تشیر إلی جانب آخر من قصه مریم و تقول بأن ما تقدّم من قصه مریم و زکریّا إنّما هو من أخبار الغیب ذٰلِکَ مِنْ أَنْبٰاءِ الْغَیْبِ نُوحِیهِ إِلَیْکَ لأنّ هذه القصه بشکلها الصحیح و الخالی من شوائب الخرافه لا توجد فی أیّ من الکتب السابقه.مضافا إلی أن سند هذه القصه هو وحی السماء.

ثمّ تضیف الآیه: وَ مٰا کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یُلْقُونَ أَقْلاٰمَهُمْ أَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ وَ مٰا کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یَخْتَصِمُونَ أی أنک لم تکن حاضرا حینذاک.بل جاءک الخبر عن طریق الوحی.

سبق أن قلنا إن أمّ مریم بعد أن وضعتها لفّتها فی قطعه قماش و أتت بها إلی المعبد و خاطبت علماء بنی إسرائیل و أشرافهم بقولها: هذه المولوده قد نذرت

لخدمه بيت اللّه،فليتعهّد أحدكم بتربيتها.و لمّا كانت مريم من أسره معروفه«آل عمران»،أخذ علماء بنى إسرائيل يتنافسون فى الفوز بتعهّد تربيتها.و أخيرا اتّفقوا على إجراء القرعه بينهم،فجاءوا إلى شاطئ نهر و أحضروا معهم أقلامهم و عصيّهم التى كانوا يقترعون بها.كتب كلّ واحد منهم اسمه على قلم من الأقلام،و ألقوها فى الماء،فكلّ قلم غطس فى الماء خسر صاحبه،و الرابح يكون من يطفو قلمه على الماء:غطس القلم الذى كتب عليه اسم زكريا،ثمّ عاد و طفا على سطحه،و بذلك أصبحت مريم فى كفالته،و قد كان فى الحقيقه أجدرهم بذلك،فهو نبى و زوج خاله مريم.

الاقتراع الحلّ الأخير:

يستفاد من هذه الآيه و الآيات الأخرى الخاصّه بيونس فى سوره الصافّات أنّ من الممكن اللجوء إلى القرعه لحلّ النزاع و الخصام الذى يصل إلى طريق مسدود بحيث لا يكون هناك أىّ حلّ مقبول من أطراف النزاع.هذه الآيه بالإضافه إلى الأحاديث الوارده عن أئمّه الإسلام كانت سببا فى اعتبار القرعه قاعده فقهيه يجرى بحثها فى الكتب الإسلاميه.و لكن شرط الالتجاء إلى القرعه هو الوصول إلى طريق مسدود تماما،كما قلنا:لذلك إذا كان من الممكن العثور على طريق لحلّ مشكله ما فلا يجوز اللجوء إلى القرعه.

ليس للاقتراع طريقه خاصّه فى الإسلام،فيجوز اتّخاذ العصى،أو الحصى،أو الورق و غير ذلك وسيله له،على أن لا يكون فيه أىّ تواطؤ.

من الواضح أنّ الإسلام لا يجيز الربح و الخساره عن طريق القرعه،لأنّ الربح و الخساره ليسا من المشاكل التى يستعصى حلّها ليلجأ فيها إلى القرعه.لذلك فالربح الناشئ عن القرعه غير مشروع فى الإسلام.

لا بدّ من الإشاره أيضا إلى أنّ القرعه لا تقتصر على حلّ المنازعات و الاختلافات بين الناس،بل يمكن بها حلّ المشاكل المستعصيه الأخرى أيضا.

فمثلا،كما جاء فى الأحاديث:وطأ شخص شاه،ثمّ أطلقها بين الغنم بحيث لا يمكن التعرّف عليها،فيجب عندئذ إخراج واحده منها بطريق القرعه و الامتناع عن أكل لحمها،و ذلك لأنّ الامتناع عن أكل لحمها جميعا يشكل ضررا كبيرا،كما أنّ أكل لحومها جميعا غير جائز.فهنا تحلّ القرعه المشكله.

ص:۴۹۷

الآیه [سوره آل عمران (۳): الآیات ۴۵ الی ۴۶]

اشاره

إِذْ قالَتِ اَلْمَلائِکَهُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اَللّهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَهٍ مِنْهُ اِسْمُهُ اَلْمَسِیحُ عِیسَی اِبْنُ مَرْیَمَ وَجِیهاً فِی اَلدُّنْیا وَ اَلْآخِرَهِ وَ مِنَ اَلْمُقَرَّبِینَ (۴۵) وَ یُکَلِّمُ اَلنّاسَ فِی اَلْمَهْدِ وَ کَهْلاً وَ مِنَ اَلصّالِحِینَ (۴۶)

التّفسیر

هـذه الآـیه تبیّن حادث ولاده المسـیح الـذی یبـدأ بتقـدیم الملائکه البشاره لمریم بأمر من اللّه قائلین لها إنّ اللّه سوف یهب لک ولدا اسمه المسیح عیسی بن مریم،و سیکون له مقام مرموق فی الدنیا و الآخره،و هو مقرّب عند اللّه.

إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَهُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللّهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ

.

و لا بدّ من الإشاره هنا إلی بضع مسائل:

۱-فی هذه الآیه و فی آیتین أخریین یوصف المسیح بأنّه«الکلمه»و هو تعبیر موجود فی کتب العهد الجدید أیضا.

ص :۴۹۸

كلام المفسّرين كثير فى بيان سبب إطلاق هذه الكلمه على المسيح.إلاّ أنّ أقربها إلى الذهن هو ولاده المسيح الخارقه للعاده و التى تقع ضمن: إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (1) .

أو لأنّ البشاره بولادته قد جاءت فى كلمه إلى أمّه.

كما أنّ لفظه«الكلمه»وردت فى القرآن بمعنى«المخلوق»: قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً (2) .

ففى هذه الآيه«كلمات ربى»هى مخلوقات اللّه.و لمّا كان المسيح أحد مخلوقات اللّه العظيمه فقد سمّى بالكلمه،و هذا يتضمّن أيضا ردّا على الذين يقولون بالوهيّه المسيح عليه السّلام.

۲-«المسيح»بمعنى الماسح أو الممسوح.و إطلاقها على عيسى إما لأنّه كان يمسح بيده على المرضى الميؤوس منهم فيشفيهم بإذن اللّه،إذ كانت هذه الموهبه قد خصّصت له منذ البدايه،و لذلك أطلق اللّه عليه اسم المسيح قبل ولادته.

أو لأنّ اللّه قد مسح عند الدنس و الإثم و طهّره.

۳-يصرّح القرآن فى هذه الآيه بأنّ عيسى هو ابن مريم،و هو تصريح يدحض مفتريات المفترين عن الوهيّه المسيح.إذ أنّ من يولد من امرأه و تطرأ عليه جميع التحوّلات التى تطرأ على الجنين البشرى و الكائن المادّى لا يمكن أن يكون إلها،ذلك الإله المنزّه عن كلّ أنواع التغيّرات و التحوّلات.

تشير الآيه التى بعدها إلى إحدى فضائل و معاجز عيسى عليه السّلام و هى تكلّمه فى المهد وَ يُكَلِّمُ النّاسَ فِى الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ مِنَ الصّالِحِينَ .فقد جاء فى سوره مريم أنّه لدفع التهمه عن أمّه تكلّم فى المهد كلاما فصيحا أعرب فيه عن عبوديته للّه،و عن كونه نبيّا.

۱- ۱) -يس:۸۲.

۲- ۲) -الكهف:۱۰۹.

و لمّا لم يكن من الممكن أن يولد نبيّ فى رحم غير طاهره،فإنّه يؤكد بهذا الإعجاز طهاره أمّه.

«المهد»هو كلّ مكان يعدّ لنوم المولود حديثا،سواء أ كان متحرّكا أم ثابتا و الظاهر من آيات سوره مريم أنه عليه السّلام تكلّم منذ بدايه تولده ممّا يستحيل على كلّ طفل أن يقوم به فى هذا العمر عاده،و بهذا كان كلامه فى المهد معجزه كبيره.و لكن الكلام فى مرحله الكهوله (۱) .امر عادى.و لعلّ ذكره فى الآيه أعلاه مقارنا للحديث فى المهد إشاره أن كلامه فى المهد مثل كلامه فى الكهوله و الكمال لم يجانب الصواب و الحقّ و الحكم.

و تشير الآيه كذلك إلى أنّ المسيح لا ينطق إلاّ بالحقّ منذ ولادته حتّى كهولته، و أنّه يواصل الدعوه إلى اللّه و إرشاد الناس و لا يفتر عن ذلك لحظه واحده.

و لعلّ إيراد هذا التعبير عن المسيح ضرب من التنبّؤ بعوده المسيح إلى الدنيا، إذ أنّنا نعلم من كتب التاريخ أنّ عيسى عليه السّلام قد رفع من بين الناس إلى السماء و هو فى الثالثه و الثلاثين من عمره.و هذا يتّفق مع كثير من الأحاديث الوارده عن عوده المسيح فى عهد الإمام المهدى عليه السّلام و يعيش معه بين الناس و يؤيّده.

و بعد ذكر مناقب المسيح المختلفه يضيف إليها وَ مِنَ الصّالِحِينَ .و من هذا يتّضح أنّ الصلاح من أعظم دواعى الفخر و الاعتزاز،و تنضمّ تحت لوائه القيم الإنسانيه الأخرى.

۱- ۱) -«الكهوله»هى متوسط العمر،و قيل إنّها الفتره ما بين السنه الرابعه و الثلاثين حتّى الحاديه و الخمسين،و ما قبلها«شاب»و ما بعدها«شيخ».

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۴۷]

اشاره

قالَتْ رَبِّ أَنّی یَکُونُ لِی وَلَدٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ قالَ کَذلِکِ اَللّهُ یَخْلُقُ ما یَشاءُ إِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۴۷)

التّفسیر

إنّنا نعلم أنّ هذه الدنیا هی دنیا العلل و الأسباب،و أنّ اللّه قد دبّر أمر الخلق بحیث إنّ خلق کلّ کائن یتمّ ضمن سلسله من العوامل.فلکی یولد إنسان قرّر اللّه أن یکون ذلک عن طریق الاتّصال الجنسی،و نفوذ الحیمن فی البویضه.لذلک حقّ لمریم أن تصیبها الدهشه و أن تتقدّم بسؤالها:کیف یمکن أن تحمل و تلد و یکون لها ولد بغیر أن یکون لها أیّ اتّصال جنسی مع أیّ بشر؟ قالَتْ رَبِّ أَنّی یَکُونُ لِی وَلَدٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ .

فجاءتها الملائکه بأمر ربّها تخبرها بأنّ اللّه یخلق ما یشاء و کیفما یشاء،فنظام الطبیعه هذا من خلق اللّه و هو یأتمر بأمره،و اللّه قادر علی تغییر هذا النظام وقتما یشاء،فیخلق وفق أسباب و عوامل أخری غیر عادیه ما یشاء: کَذلِکِ اللّهُ یَخْلُقُ ما یَشاءُ .

ص:۵۰۱

ثمّ لتوكيد هذا الأمر و إنهائه يقول إِذٰا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

إنّ تعبير«كن فيكون»إشاره إلى سرعه الخلق.

بـديهىّ أن لفظه«كن»تشير فى الحقيقه إلى إراده اللّه الحاسـمه التى لا يعتورها الأخذ و الرد.أى أنّه ما إن يشاء أمرا و يصدر أمره بالخلق حتّى تتحقّق مشيئته فى عالم الوجود.

من الجـدير بالالتفات أنّه بشأن خلق عيسى قال:«يخلق»و لكنّه بشأن خلق يحيى قبل بضع آيات قال:«يفعل».و لعلّ هـذا الاختلاف فى التعبير ناشىء من اختلاف طريقه خلق هـذين النبيّين،فأحدهما خلق بطريقه طبيعيه،و الآخر خلق بطريقه خارقه للطبيعه.و هناك ملاحظه اخرى و هى أنّ هـذه الآيات تذكر فى بدايتها محادثه الملائكه مع مريم.و هنا محادثتها مع اللّه عزّ و جلّ،و كأنها بلغ بها الوجد و الجذبه الإلهيّه أن زالت الوسائط و اتّصلت مع مبدأ العزه،فأخذت تحدثه و تسمع منه مباشره.(و طبعا لا إشكال فى تكلّم غير الأنبياء مع اللّه تعالى إذا لم يكن بصوره الوحى).

ص:۵۰۲

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۴۸ الی ۴۹]

اشاره

وَ یُعَلِّمُهُ اَلْکِتٰابَ وَ اَلْحِکْمَهَ وَ اَلتَّوْرٰاهَ وَ اَلْإِنْجِیلَ (۴۸) وَ رَسُولاً إِلیٰ بَنِی إِسْرٰائِیلَ أَنِّی قَدْ جِئْتُکُمْ بِآیَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ اَلطِّینِ کَهَیْئَهِ اَلطَّیْرِ فَأَنْفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ أُبْرِئُ اَلْأَکْمَهَ وَ اَلْأَبْرَصَ وَ أُحْیِ اَلْمَوْتیٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ أُنَبِّئُکُمْ بِمٰا تَأْکُلُونَ وَ مٰا تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۴۹)

التّفسیر

اشاره

بقیه امتیازات المسیح علیه السّلام:

بعد أن ذکرت الآیات السابقه أربع صفات للمسیح علیه السّلام(وجیها فی الدنیا و الآخره و من المقربین و یکلم الناس فی المهد،و من الصالحین)شرعت هاتان الآیتان بذکر صفتین أخریین من صفات هذا النبی العظیم، فالأولی تقول:

وَ یُعَلِّمُهُ الْکِتٰابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ التَّوْرٰاهَ وَ الْإِنْجِیلَ

ففی البدایه تشیر إلی تعلیمه الحکمه و العلم بشکل عام،ثمّ تبیّن مصداقین من مصادیق الکتاب و الحکمه، و هما التوراه و الإنجیل.

ص :۵۰۳

إنّ الذين يختارهم اللّه لقياده الناس و هدايتهم،لا بدّ أن يكونوا فی أعلی درجه من العلم و المعرفه و أن يقدّموا أسمی التعاليم و القوانين البنّاءه،ثمّ بعد ذلک عليهم أن يظهروا أدلّه واضحه علی علاقتهم باللّه،لتوكيد مهمّتهم.و بهذين الوسيلتين تكتمل عمليه هدايه الناس،و فی الآيات أعلاه تمت الإشاره إلی هذين الأمرين.ففی الأولی كان الكلام عن علم المسيح و كتبه السماويه. و فی الآيه الثانيه إشاره إلی معجزاته العديده.ثمّ تبيّن الهدف من كلّ ذلک و هو هدايه بنی إسرائيل المنحرفين وَ رَسُولاً إِلیٰ بَنِی إِسْرٰائِيلَ .

من الجدير بالذكر أنّ الآيه تفيد أنّ رساله عيسی كانت موجّهه إلی بنی إسرائيل فقط.و هذا لا يتنافی مع كونه من أولی العزم،لأنّ أولی العزم هم الأنبياء الذين جاؤوا بدين جديد،حتّی و إن لم يكن عالميّ الرساله.و قد جاء فی تفسير «نور الثقلين»حديث عن اقتصار رساله عيسی علی بنی إسرائيل (۱) .

إلاّ أنّ بعض المفسّرين يرون احتمال عالميه رساله المسيح،و أنّها لم تكن محصوره ببنی إسرائيل،علی الرغم من أنّ بنی إسرائيل كانوا علی رأس الذين أرسل إليهم لهدايتهم.يورد المرحوم العلاّمه المجلسی فی«بحار الأنوار»أخبارا عن أولی العزم من الأنبياء تؤيّد أنّها كانت رسالات عالميه (۲) .

ثمّ تضيف الآيه أَنِّی قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ و ليست آيه واحده،بل آيات عديده(لأنّ التنوين جاء هنا لبيان عظمه هذه الآيه،لا لبيان وحدتها).

و لمّا كانت دعوه الأنبياء فی الحقيقه دعوه إلی حياه حقيقيه،فإنّ هذه الآيه -عند بيان معجزات السيّد المسيح عليه السّلام-تبدأ بذكر بثّ الحياه فی الأموات بإذن اللّه، و تقول علی لسان المسيح عليه السّلام أَنِّی أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَهِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ .

۱- ۱) -نور الثقلين:ج ۱ ص ۳۴۳.

۲- ۲) -بحار الأنوار:ج ۱۱ ص ۳۲ الطبعه الجديده.

إنّ قضيه إحياء الموتى التدريجى بإذن اللّه ليست عويصه،لأنّنا نعلم أنّ جميع الكائنات الحيّه مخلوقه من التراب و الماء،إلاّ أنّ المعجزه فى أن هذا الخلق الذى تحقّق على امتداد سنوات طويله.فما الذى يمنع من أن يكثّف اللّه تلك العوامل و الأسباب بحيث تتمّ مراحل الخلق بسرعه فائقه،و يتحوّل الطين إلى كائن حى؟ بديهىّ أنّ تحقّق هذا الأمر فى ذلك المحيط،و فى أى محيط آخر،سند حىّ؟ و دليل واضح على علاقه صاحب المعجزه بعالم ما وراء الطبيعيه،و على قدره اللّه اللامتناهيه.

ثمّ تشير إلى معالجه الأمراض الصعبه العلاج أو التى لا علاج لها،و تقول على لسانه: وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ (۱) وَ أُحْيِ الْمَوْتىٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ .لا شكّ أنّ القيام بكلّ هذه الأعمال و خاصّه لدى علماء الطبّ فى ذلك الزمان كان من المعجزات التى لا يمكن إنكارها.

بعد ذلك تشير إلى إخباره عن أسرار الناس الخافيه،فلكلّ امرئ فى حياته بعض الأسرار التى لا يعرف الآخرون شيئا عنها.فإذا جاء من يخبرهم بما أكلوه، أو ما ادّخروه،فهذا يعنى أنّه يستقى معلوماته من مصدر غيبى: وَ أُنَبِّئُكُمْ بِمٰا تَأْكُلُونَ وَ مٰا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ و أخيرا يقول إنّ هذه كلّها دلائل صادقه للذين يؤمنون منكم: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .

بحوث

اشاره

۱-أ كانت معجزات المسيح عجيبه؟

يصرّ بعض المفسّرين-مثل صاحب المنار-على تأويل المعجزات التى ذكرها القرآن للمسيح بشكل من الأشكال.من ذلك قولهم إنّ المسيح اكتفى بمجرّد

۱- ۱) -«أكمه»قيل أنه يعنى أعمى،و ذهب بعض إلى أنه العشو الليلى،و لكن اغلب المفسّرين و أرباب اللغه ذهبوا إلى أنه يعنى الأعمى منذ الولاده.و بعض ذهب إلى أكثر من ذلك بأن المراد هو عدم وجود أصل العين.

الادّعاء بأنّه يفعل كـذا و كـذا بإذن اللّه،و لكنّه لم يفعل منها شـيئا أبـدا!فإذا كان هـذا الرأى قابلا للنقاش هنا،فإنّ ما جاء فى الآيه ۱۱۰ من سوره المائـده لا مجال فيه لأىّ نقاش: وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَهِ الطَّيْرِ... لأنّ الآيه تقول صـراحه إنّ واحده من نعم اللّه عليك أنّك كنت تصنع من الطين طيرا حيّا بإذن اللّه.

إنّ الإصـرار على أمثـال هـذه التأويلات لا موجب له أبـدا.لأنّه إذا كـان الهـدف إنكار أعمال الأنبياء الخارقه للعاده،فإنّ القرآن يصـرّح بهـا فى كثير من المواضع، فإذا اسـتطعنا-فرضا-أن نؤوّل المعجزات فكيف بسائر المعجزات التى لا يمكن تأويلها؟ ثمّ إنّنا إذا كنـا نقول إنّ اللّه هو الـذى يحكم قوانين الطبيعه،و ليست هى التى تحكمه،فما الـذى يمنع هـذه القوانين لطبيعيه أن تتغيّر بأمر منه فى ظروف استثنائيه فتظهر حوادث بطرق غير طبيعيه.

أمّا إذا تصوّر هؤلاء أن ذلك يتعارض مع وحـده أفعال اللّه و خالقيّته و كونه لا شـريك له،فإنّ القرآن قد أجاب على هذا.فوقوع هـذه الحوادث أينمـا وقعت مشـروط بـأمر اللّه،أى أنّ أحـدا بقواه الخـاصّه غير قادر على القيام بأمثال هـذه الأعمال إلاّ إذا شاء،و بإمداد من قدرته اللامتناهيه و هذا هو التوحيد عينه،لا الشرك.

۲-الولايه التكوينيه

تفيـد هـذه الآيه و آيـات أخرى سوف نتطرّق إليها-إن شاء اللّه- أنّ رسل اللّه و أولياءه يسـتطيعون بإذن منه و بأمره-إذا اقتضـى الأمر-أن يتـدخّلوا فى عـالم الخلق و التكوين،و أن يحـدثوا مـا يعتبر خارقـا للقوانين الطبيعيه.فاسـتعمال أفعال مثل«أبرئ»و«أحيى الموتى»و بضـمير المتكلّم تـدلّ على أنّ هـذه الأفعـال من عمـل الأنبيـاء أنفسـهم،و أنّ القول بـأنّ هـذه الأفعال كانت تقع بسـبب دعائهم فقط هو

قول لا يقوم عليه دليل،بل أنّ ظاهر الآيات يدلّ على أنّهم كانوا يتصرفون بعالم التكوين و يقومون بتلك الأفعال.

و لكن لكى لا يتصوّر أحد أنّ الأنبياء و الأولياء كان لهم استقلال فى العمل، و أنّهم أقاموا جهازا للخلق فى مقابل جهاز خلق اللّه،و كذلك لكى لا يكون هناك أىّ احتمال للشرك و للعباده المزدوجه،تكرّر قول«بإذن اللّه»،(تكرّر فى هذه الآيه مرّتين،و فى الآيه ۱۱۰ من سوره المائده أربع مرّات).

و ما الولايه التكوينيّه إلاّ القول بأنّ الأنبياء و الأئمّه يستطيعون-إذا لزم الأمر-أن يتصرّفوا فى عالم الخلق بإذن اللّه.و هذا مقام أرفع من مقام الولايه التشريعيه،أى إداره الناس و حكمهم و نشر قوانين الشريعه بينهم و دعوتهم إلى اللّه و هدايتهم إلى الصراط المستقيم.

و بذلك يتضح جواب الذين ينكرون ولايه أهل اللّه التكوينيه يعتبرونها ضربا من الشرك.فما من أحد يقول بأنّ للأنبياء و الأئمّه جهازا للخلق مستقلا فى قبال اللّه.إنّما هم يفعلون ما يفعلون بإذن اللّه و بأمر منه.غير أنّ منكرى الولايه التكوينيه يقولون إنّ مهمّه الأنبياء تنحصر فى الدعوه إلى اللّه و إبلاغ رسالته و أحكامه،و قد يتوسّلون أحيانا بالدعاء إلى اللّه فى بعض الأمور التكوينيه،و أنّ هذا هو كلّ ما يقدرون عليه، مع أنّ هذه الآيه و الآيات الأخرى تفيد غير ذلك.

كما يستنتج من هذه الآيه أنّ كثيرا من معجزاتهم-على الأقل-قد فعلوها بأنفسهم،و إن كان ذلك بإذن اللّه و بعون من القدره الإلهيه.فى الواقع يمكن القول بأنّ المعجزه من عمل الأنبياء-لأنّهم هم الذين يقومون بها-كما هى من عمل اللّه لأنّها تتمّ بإذنه و بالاستعانه بقدرته.

۳-الجدير بالالتفات هنا إن تكرار القول«بإذن اللّه»و الاعتماد على مشيئته فى هذه الآيه من أجل أن لا يبقى عذر لمدعى الوهيه المسيح،و لكيلا يعتبره الناس ربّا،أما عدم تكرارها فى الأخبار بالغيب لوضوح الأمر.

ص :۵۰۷

الآيتان [سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٠ الى ٥١]

اشاره

وَ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ اَلتَّوْرٰاهِ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ اَلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اَللّٰهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)

التّفسير

هذه الآيه جاءت على لسان المسيح عليه السّلام و لبيان بعض اهداف النبوّه حيث يقول:جئت أؤكّد لكم التوراه و أثبت أصولها و مبادئها وَ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرٰاهِ كما جئت لأرفع الحظر الذى فرض عليكم،بالنسبه لبعض الأشياء،فى دين موسى بسبب عصيانكم-مثل منع لحم الأباعر،و بعض شحوم الحيوانات، و بعض الطيور،و الأسماك- وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ .

و سوف نجد فى تفسير الآيه ١۶٠ من سوره النساء أنّه بسبب عناد بعض جماعات اليهود و طغيانهم حرّم اللّه عليهم بعض الطيّبات من النعم: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ .

إلّا أنّ هذه المحظورات أحلّت لهم مرّه أخرى ببركه ظهور المسيح عليه السّلام هذا النبىّ العظيم.

ثمّ مرّه أخرى تتكرّر الجمله التى قرأنا على لسان المسيح فى الآيه السابقه:

وَ جِئْتُكُمْ بِآيَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ

.

و فى الآيه الثانيه تؤكد على لسان السيد المسيح عليه السّلام عبوديه المسيح لرفع كلّ إبهام و ريب قد ينشأ من كيفيه ولادته التى قد يتشبث بها البعض لإثبات ألوهيته و تقول: إِنَّ اللّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ يتّضح من هذه الآيه و من آيات أخرى أنّ السيّد المسيح،لكى يزيل كلّ إبهام و خطأ فيما يتعلّق بولادته الخارقه للعاده،و لكى لا يتّخذونها ذريعه لتأليهه،كثيرا ما يكرّر القول إِنَّ اللّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ و إِنِّى عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا (۱) ،بخلاف ما نراه فى الأناجيل المحرّفه الموجوده التى تنقل عن المسيح أنّه كان يستعمل«الأب»فى كلامه عن اللّه.إنّ القرآن يذكر«الرب»بدلا من ذلك: إِنَّ اللّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ .و هذا أكثر ما يمكن أن يقوم به المسيح فى محاربه من يدّعى بالوهيّته.بل لكى يكون التوكيد على ذلك أقوى يقول للناس فَاعْبُدُوهُ أى اعبدوا اللّه و لا تعبدونى.

و لذلك نجد أنه لم يكن أحد من الناس يتجرأ فى حياه السيّد المسيح عليه السّلام أن يدعى ألوهيته أو أنه أحد الإلهه،و حتّى بعد عروجه بقرنين من الزمان لم تخالط تعليماته فى التوحيد شوائب الشرك،إلاّ أن التثليث باعتراف أرباب الكنيسه ظهر فى القرن الثالث للميلاد(و سيأتى تفصيل ذلك فى ذيل الآيه ۱۷۱ من سوره النساء).

۱- ۱) -مريم:۳۰.

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۵۲ الی ۵۴]

اشاره

فَلَمّا أَحَسَّ عِیسی مِنْهُمُ اَلْکُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِی إِلَی اَللّهِ قالَ اَلْحَوارِیُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اَللّهِ آمَنّا بِاللّهِ وَ اِشْهَدْ بِأَنّا مُسْلِمُونَ (۵۲) رَبَّنا آمَنّا بِما أَنْزَلْتَ وَ اِتَّبَعْنَا اَلرَّسُولَ فَاکْتُبْنا مَعَ اَلشّاهِدِینَ (۵۳) وَ مَکَرُوا وَ مَکَرَ اَللّهُ وَ اَللّهُ خَیْرُ اَلْماکِرِینَ (۵۴)

التّفسیر

اشاره

استقامه الحواریین:

کان الیهود ینتظرون مجیء المسیح بموجب ما بشّرهم به موسی،قبل أن یولد.و لکنّه عند ما ظهر،و تعرّضت مصالح جمع من الظالمین و المنحرفین من بنی إسرائیل للخطر،لم یبق معه إلاّ نفر قلیل،بینما ترکه الذین احتملوا أن یؤدّی قبولهم دعوه المسیح و التقیّد بالقوانین الإلهیه إلی ضیاع مصالحهم.

بعد أن أعلن عیسی دعوته و أثبتها بالأدلّه الکافیه،أدرک أنّ جمعا من بنی إسرائیل یصرّون علی المعارضه و العصیان و لا یترکون المعانده و الانحراف فَلَمّا

أَحَسَّ (۱) عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ

،فنادى فى أصحابه و قالَ مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللّهِ فاستجاب لندائه نفر قليل.كانوا أطهارا سمّاهم القرآن ب«الحواريّين».لبّوا نداء المسيح و لم يبخلوا بشيء فى سبيل نشر أهدافه المقدّسه.

أعلن الحواريون استعدادهم لتقديم كلّ عون للمسيح،و قالوا: نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ آمَنّا بِاللّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنّا مُسْلِمُونَ .

لاحظ أنّ الحواريين لم يقولوا:نحن أنصارك بل لكى يعربوا عن منتهى إيمانهم بالتوحيد و ليؤكّدوا إخلاصهم،و لكن لا يشمّ من كلامهم أيّ رائحه للشرك، قالوا:نحن أنصار اللّه،ننصر دينه،و نريدك شاهدا على هذه الحقيقه،لعلّهم قد شمّوا منذ ذلك اليوم رائحه الانحراف فى المستقبل و أنّ هناك من يستدعى الوهيّه عيسى من بعده،فسعوا ألّا يكون فى كلامهم ما يمكن أن يتذرّعوا به.ضمنا نلاحظ أن الحواريين عبّروا فى كلامهم عن كونهم مسلمين،و هذا يدلّ على أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء عليهم السّلام.

و هنا ميّز المسيح عليه السّلام أتباعه المخلصين من الأعداء و المنافقين كيما يضع لدعوته برنامجا دقيقا و خطه مدروسه كما صنع نبى الإسلام صلى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك فى بيعه العقبه.

و بعد أن قبل الحواريّون دعوه المسيح إلى التعاون معه و اتّخاذه شاهدا عليهم فى إيمانهم،اتّجهوا إلى اللّه يعرضون عليه إيمانهم قائلين: رَبَّنا آمَنّا بِما أَنْزَلْتَ .

و لكن لمّا كانت دعوى الإيمان لا تكفى وحدها،فقد اتّبعوها ذلك بقيامهم بتنفيذ أوامر اللّه و اتّباع رسوله المسيح،و قالوا مؤكّدين: وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ .

۱- ۱) -التعبير ب«أحسّ»مع أن الكفر أمر باطنى لا يدرك بالحواس قد يكون أن إصرارهم على الكفر بلغ مرتبه من الشدّه و كأنه أصبح محسوسا(الميزان-ذيل الآيه مورد البحث).

عنـد مـا يتغلغـل الإيمـان فى روح الإنسان لا بـدّ أن ينعكس ذلك على عمله، فبـدون العمل يكون ادّعاؤه الإيمان تقوّلا،لا إيمانا حقيقيا.

بعـد ذلك طلبوا من اللّه قائلين فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ .و الشاهدون هم أولئك الذين لهم صـفه قياده الأمم،و يوم القيامه يشـهدون على أعمال الناس الحسنه و السيّئه.

و بعـد أن انتهى الحواريّون من شـرح إيمـانهم،أشـاروا إلى خطط اليهود الشـيطانيه،و قالوا:إنّ هؤلاء-لكى يقضوا على المسـيح،و على دعوته،و يصـدّوا انتشار دينه-وضـعوا الخطط الماكره.إلاّ أن ما رسـمه اللّه من مكر فاق مكرهم و كان أشدّ تأثيرا وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ .

بحوث

اشاره

١-من هم الحواريون؟

«حواريّون»جمع حورى من مـاده«حور»بمعنى الغسـل و التبييض،و قـد تطلق على الشـىء الأبيض.لـذلك يطلق العرب على الطعام الأبيض«الحوارى».

و«حور»جمع حوراء و هى البيضاء البشره.

أمّا سبب تسـميه تلامذه المسـيح بالحواريّين فقد ذكرت له احتمالات كثيره، و لكن الأقرب إلى الذهن،و هو الوارد فى أحاديث أئمّه الـدين،هو لأنّهم فضـلا عن طهاره قلوبهم و صـفاء أرواحهم،كانوا دائبى السـعى فى تطهير الناس و تنوير أفكارهم و غسـلهم من أدران الذنوب.

و هذا ما أكّده حديث عن الإمام الرضا عليه السّلام فى«عيون أخبار الرضا»...؟!

۲-الحواريّون فى القرآن و الإنجيل

تكلّم القرآن على الحواريّين فى سوره الصف،الآيه ۱۴،مشيرا إلى إيمانهم.

و لكن يتبيّن ممّا نقرأه فى الإنجيل بشأن الحواريّين أنّهم جميعا ارتكبوا بعض الزلل بالنسبه للمسيح.

أمّا أسماؤهم كما جاءت فى إنجيل متّى و لوقا،الباب السادس،فهى:

۱-بطرس،۲-اندرياس،۳-يعقوب،۴-يوحنّا،۵-فيلوبس،۶-برتولولما، ۷-توما،۸-متّى،۹-يعقوب بن حلفا،۱۰-شمعون«الغيور»،۱۱-يهوذا أخو يعقوب،۱۲-يهوذا الاسخريوطى الذى خان المسيح.

يذكر المفسّر المعروف المرحوم الطبرسى فى«مجمع البيان»أنّ الحواريّين كانوا يرافقون المسيح فى رحلاته.كلّما عطشوا أو جاعوا رأوا الماء و الطعام مهيّأ أمامهم بأمر اللّه،فكانوا يرون فى ذلك فخرا لهم أىّ فخر،و سألوا المسيح:أهناك من هو أفضل منّا؟فقال:نعم،أفضل منكم من يعمل بيده و يأكل من كسبه.

و على أثر ذلك اشتغلوا بغسل الملابس للناس لقاء أجر،و انشغلوا بذلك؛فكان ذلك درسا عمليا للناس بأنّ العمل ليس عيبا أو عارا.

۳-ما المراد بالمكر الإلهى

فى القرآن آيات مشابهه لهذه ينسب فيها المكر إلى اللّه (۱) .كلمه«المكر» بالمصطلح المعاصر تختلف كثيرا عن معناها اللغوى.فالمكر بالمعنى المعاصر هو وضع الخطط الشيطانيه الضارّه.و لكن معناها بلغه العرب هو البحث عن العلاج لأمر مّا،و قد يكون حسنا أو سيّئا.

۱- ۱) -انظر الآيه ۳۰ من سوره الأنفال،أو الآيه ۵۰ من سوره النمل و غيرهما.

فی کتاب«المفردات»للراغب نقرأ:المکر:صرف الغیر عمّا یقصد-خیرا کان أم شرّا-.

و فی القرآن وردت کلمه«المکر»مقرونه بکلمه«الخیر»،إذ یقول وَ اللّهُ خَیْرُ الْماکِرِینَ ،کما وردت مع«السیّئ»: وَ لا یَحِیقُ الْمَکْرُ السَّیِّئُ إِلاّ بِأَهْلِهِ (1) .

و علیه یکون المقصود من الآیه هو أنّ أعداء المسیح وضعوا الخطط الشیطانیه للوقوف بوجه هذه الدعوه الإلهیّه.و لکن اللّه لکی یحفظ حیاه نبیّه و یصون الدعوه مکر أیضا فأحبط کلّ ما مکروه.

1- 1) -فاطر:43.

الآیه [سوره آل عمران (٣): آیه ۵۵]

اشاره

إِذْ قٰالَ اَللّٰهُ يٰا عِيسىٰ إِنِّی مُتَوَفِّيكَ وَ رٰافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ جٰاعِلُ اَلَّذِينَ اِتَّبَعُوكَ فَوْقَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ يَوْمِ اَلْقِيٰامَهِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۵۵)

التّفسیر

قلنا إنّ الیهود-بالتعاون مع بعض المسیحیّین الخونه-قرّروا قتل السیّد المسیح،فأحبط اللّه مکرهم،و نجی نبیّه منهم.فی هذه الآیه یذکر اللّه نعمته علی المسیح قبل وقوع الحادثه،قائلا: إِنِّی مُتَوَفِّيكَ وَ رٰافِعُكَ إِلَيَّ .

من المعروف عند المفسّرین،بالاستناد إلی الآیه ۱۵۷ من سوره النساء،أنّ السیّد المسیح لم یقتل،و أنّ اللّه رفعه إلی السماء.غیر أنّ المسیحیّین یقولون إنّه قتل و دفن،ثمّ قام من بین الأموات و بقی لفتره قصیره علی الأرض ثمّ صعد إلی السماء (۱) .

۱- ۱) -إنجیل مرقس الباب ۶-إنجیل متی الباب ۲۸-إنجیل لوقا الباب ۲۴-إنجیل یوحنا الباب ۳۱.

و لكن الـذى لا ـ بـدّ من قـوله الآـن هـو أنّ هـذه الآـيه ليس فيهـا دليـل على مـوت عيسـى، على الرغم من أنّ بعضـهم تصـوّر أنّ كلمه«متوفّيك»من«الوفاه».

و على ذلك فإنّهم يرون أنّ هـذا الموضوع يتعارض مع الرأى السائـد بين المسـلمين،و الـذى تؤيّـده الأحاديث،من أنّ عيسـى لم يمت و أنّه حى.و لكن الأمر ليس كذلك.

«الفوت»هو بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذّر إدراكه.و«الوافى»الذى بلغ التمام،و وفى بعهده إذا أتمّه و لم ينقضه.و إذا استوفى أحد دينه من المدين قيل «توفّى دينه».

و فى القرآن وردت«توفّى»كرارا: وَ هُوَ الَّذِى يَتَوَفّٰاكُمْ بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ مٰا جَرَحْتُمْ بِالنَّهٰارِ (١) .فهنا عبّر عن النوم بكلمه«يتوفّاكم».

هذا المعنى نفسه يرد فى الآيه ۴۲ من سوره الزمر،كما ترد كلمه«توفّى»فى آيات أخرى بمعنى الأخذ.

صحيـح أنّ«توفّى»قـد تـأتى أحيانـا بمعنى الموت،و لكنّهـا حتّى فى تلـك المواضع لا ـ تعنى الموت حقّا،بل بمعنى قبض الروح.و الواقع أنّ مادّه«فوت» و مادّه«و فى»منفصلتان تماما.

ممّا تقدّم يكون تفسير الآيه واضحا.

يقول اللّه:يـا عيسـى إنّنى سوف اسـتوفيك و أرفعـك إلىّ.و هـذا يعنى حيـاه عيسـى،لا موته(و طبعا إذا كانت كلمه«توفى»بمعنى قبض الروح فقط.فإن لازم ذلك هو الموت).

ثمّ تضيف الآيه وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا .

۱- ۱) -الأنعام:۶۰.

هـذا جـانب آخر من خطاب اللّه إلى المسـيح.و القصـد من التطهير هنا هو إنقاذه من الكفّار الخبثاء البعيـدين عن الحقّ و الحقيقه الـذين كـانوا يوجّهون إليه التهم الباطله،و يحوكون حوله المؤامرات ساعين إلى تلويث سـمعته،فنصـر اللّه دينه، و طهّره من تلك التهم،بمثـل مـا نقرأه عن نبىّ الإسـلام صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم فى أوّل سوره الفتـح إِنّا فَتَحْنا لَکَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَکَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ ما تَأَخَّرَ .أى أنّنا هيّأنا لك نصرا واضحا كى يغفر لك اللّه ذنوبك السابقه و اللاحقه(و يطهّرك من التهم التى ألصقوها بك على شكل ذنوب).

كما يحتمل أن يعنى التطهير إخراج المسيح من ذلك المحيط الملوّث.و هذا يناسب الآيه السابقه.

وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوکَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَهِ

.

و هـذه بشاره يبشّـر بها اللّه المسـيح و أتباعه لتشـجيعهم على المضـىّ فى الطريق الذى اختاروه.و الواقع أنّ هذه واحده من آيات الإعجاز و من تنبّؤات القرآن الغيبيه التى تقول إنّ أتباع المسيح سوف يسيطرون دائما على اليهود الذين عادوا المسيح.

و هـا نحن اليوم نرى هـذه الحقيقه رأى العين،فـاليهود الصـهاينه،-بغير الاسـتناد إلى المسـيحيّين-غير قـادرين على إدامه حيـاتهم السياسيه و الاجتماعيه يوما واحدا.بديهىّ أنّ«الكافرين»هنا هم اليهود الذين كفروا بالمسيح.

و فى ختـام الآيه يقول تعالى: ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَکُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ و يعنى أن ما تقـدّم من الانتصارات و البشائر يتعلق بالحياه الدنيا،أمّا المحكمه النهائيه و نيل الجزاء الكامل فسيكون فى الآخره.

ملاحظه

اشاره

هل الديانتان اليهوديه و المسيحيّه باقيتان؟

هنا يتبادر سؤال إلى الـذهن،و هو أنّ اليهود و النصارى-بموجب هذه الآيه- سيبقون فى الدنيا حتّى يوم القيامه،و أنّ أتّباع هاتين الديانتين سيبقون أيضا،مع أنّ الأخبار الخاصّه بظهور المهدى عليه السّلام تبيّن أنّه يخضع جميع الأديان و يحكم العالم كلّه.

يتّضح جواب هذا السؤال بالتدقيق فى الأحاديث.فنحن نقرأ فى الأحاديث عن المهدى عليه السّلام أنّه لا يبقى بيت فى البدو و لا فى الحضر إلّا و يدخله التوحيد،أى أنّ الإسلام سيكون الدين الرسمى فى العالم كلّه،و تكون الحكومه حكومه إسلاميه،و لا يحكم العالم سوى القوانين الإسلاميه.و لكن هذا لا يمنع من وجود أقلّيه من اليهود و النصارى تعيش تحت ظلّ حكومه المهدىّ عليه السّلام وفق شروط«أهل الذمّه».

إنّنا نعلم أنّ حكومه المهدىّ عليه السّلام لا تجبر الناس على اعتناق الإسلام،بل تتقدّم بالمنطق.أمّا التوسّل بالقوّه العسكريه فلبسط العداله،و للإطاحه بالحكومات الظالمه،و لانضواء العالم تحت لواء الإسلام،لا لإجبار الناس على قبول الإسلام، و إلّا فلن يكون هناك أى معنى لحريه الإراده و الإختيار.

ص :۵۱۸

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۵۶ الی ۵۸]

اشاره

فَأَمَّا اَلَّذِینَ کَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِیداً فِی اَلدُّنْیا وَ اَلْآخِرَهِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِینَ (۵۶) وَ أَمَّا اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ فَیُوَفِّیهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اَللّهُ لا یُحِبُّ اَلظّالِمِینَ (۵۷) ذلِکَ نَتْلُوهُ عَلَیْکَ مِنَ اَلْآیاتِ وَ اَلذِّکْرِ اَلْحَکِیمِ (۵۸)

التّفسیر

اشاره

عاقبه أنصار و أعداء المسیح علیه السّلام:

الآیه الاولی و الثانیه تتابعان الخطاب للسید المسیح و حال أتباعه و أعدائه، بینما الآیه الثالثه فتخاطب نبی الإسلام صلی اللّه علیه و آله و سلّم.

و بعد ذکر رجوع الناس إلی اللّه و محاکمتهم-فی الآیه السابقه-یأتی فی هذه الآیه ذکر نتیجه تلک المحاکمه.فالکافرون و المعارضون للحقّ و العداله سیلاقون فی الآخره من العذاب الألیم مثل ما یلاقون فی الدنیا، و لن یکون لأیّ منهم حام و لا نصیر، فَأَمَّا الَّذِینَ کَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِیداً فِی

الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ

.

و من الإشاره فی هذه الآیه إلی عذاب الدنیا نفهم أنّ الکافرین-و هم هنا الیهود-لا ینجون من العذاب.و هذا ما یؤکّده تاریخ الیهود،و من ذلک تفوّق الآخرین علیهم کما جاء فی الآیات السابقه.

ثمّ أشار القرآن الکریم إلی الفئه الثانیه و قال وَ أَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ فَیُوَفِّیهِمْ أُجُورَهُمْ .ثمّ یؤکد القول: وَ اللّهُ لا یُحِبُّ الظّالِمِینَ .

تقدیم مصیر الکافرین علی المؤمنین من أجل أن الکافرین بنبوّه المسیح علیه السّلام کانوا یشکلون الأغلبیه.

و الملفت للنظر أن الآیه الاولی اکتفت بذکر الکفر فقط.أمّا الآیه الثانیه فقرنت الإیمان بالعمل الصالح،و هذا إشاره إلی أن الکفر لوحده یکون سببا للعذاب الإلهی.و لکن الإیمان لوحده لا یکفی للنجاه،بل لا بدّ و أن یقترن بالعمل الصالح.

و جمله وَ اللّهُ لا یُحِبُّ الظّالِمِینَ لعلّها ناظره إلی أن جمیع معانی الکفر و الأعمال السیّئه داخله فی مفهوم الظلم بمعناه الواسع.و من الواضح أن اللّه لا یحب الظالمین و لا یقدم علی ظلم عباده بل یوفیهم أجورهم بالکامل.

و بعد ذکر تاریخ المسیح و بعض ما جری له،یتّجه الخطاب إلی رسول الإسلام صلی اللّه علیه و آله و سلّم فیقول:کلّ هذا الذی سردناه علیکم دلائل صدق لدعوتک و رسالتک، و کان تذکیرا حکیما جاء بصوره آیات قرآنیه نزلت علیک،تبیّن الحقائق فی بیان محکم و خال من کلّ هزل و باطل و خرافه.

ص :۵۲۰

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۵۹ الی ۶۰]

اشاره

إِنَّ مَثَلَ عِیسیٰ عِنْدَ اَللّٰهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ قٰالَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۵۹) اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلاٰ تَکُنْ مِنَ اَلْمُمْتَرِینَ (۶۰)

سبب النّزول

قلنا فی بدایه هذه السوره أنّ الکثیر من آیاتها کانت ردّا علی محاورات مسیحیّی نجران الذین جاؤوا فی وفد مؤلّف من ۶۰ شخصا و فیهم عدد من زعمائهم بقصد التحاور مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم.

من بین المواضیع التی طرحت فی ذلک الاجتماع مسأله الوهیّه المسیح التی رفضها رسول اللّه و استدلّ بأنّ المسیح ولد و عاش کبقیه الناس و لا یمکن أن یکون إلها،لکنّهم استدلّوا علی الوهیّته بولادته من غیر أب،فنزلت الآیه ردّا علیهم،و لمّا رفضوا ذلک دعاهم إلی المباهله،و سوف یأتی ذکرها قریبا إن شاء اللّه.

التّفسیر

اشاره

نفی الوهیه المسیح:

الآیه الأولی تورد استدلالا قصیرا و واضحا فی الردّ علی مسیحیّی نجران

بشأن الوهيه المسيح:إنّ ولاده المسيح من غير أب لا يمكن أن تكون دليلا على أنّه ابن اللّه أو أنّه اللّه بعينه،لأنّ هذه الولاده قد جرت لآدم بصوره أعجب فهو قد ولد من غير أب و لا أم.و عليه،فكما أنّ خلق آدم من تراب لا يستدعى التعجّب، لأنّ اللّه قادر على كلّ شيء،و لأن«فعله»و«إرادته»متناسقان فإذا أراد شيئا يقول له:كن فيكون،كذلك ولاده عيسى من أمّ و بغير أب،ليست مستحيله.

و أساسا،فإن الميسور و المعسور يتحقّقان بالنسبه لمن كانت قدرته محدوده كما فى المخلوقات،أمّا من كانت قدرته مطلقه فلا مفهوم للصعب و السهل بالنسبه له.فخلق ورقه واحده تتساوى بالنسبه له مع خلق غابه من آلاف الكيلومترات، و خلق ذره واحده كخلق المنظومه الشمسيه لديه.

اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلاٰ تَکُنْ مِنَ الْمُمْتَرِینَ

.

هذه الآيه تؤكّد الموضوع و تقول:إنّ ما أنزلنا عليك بشأن المسيح أمر حقيقى من اللّه و لا يعتوره الشكّ،فلا تتردّد فى قبوله.

فى تفسير اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ للمفسّرين رأيان:الرأى الأول يقول:إنّ الجمله مبتدأ و خبر،و بذلك يكون المعنى:الحقّ دائما من ربّك،و ذلك لأنّ الحقّ هو الحقيقه،و الحقيقه هو الوجود،و كلّ وجود ناشئ من وجوده.لذلك فكلّ باطل عدم،و العدم غريب على ذاته.

الرأى الثانى يقول:إنّ الجمله خبر لمبتدأ محذوف تقديره«تلك الأخبار».

أى تلك الأخبار التى أنزلناها عليك حقائق من اللّه.و كلّ من التفسيرين ينسجم مع الآيه.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۶۱]

اشاره

فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَکَ مِنَ اَلْعِلْمِ فَقُلْ تَعٰالَوْا نَدْعُ أَبْنٰاءَنٰا وَ أَبْنٰاءَکُمْ وَ نِسٰاءَنٰا وَ نِسٰاءَکُمْ وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اَللّٰهِ عَلَی اَلْکٰاذِبِینَ (۶۱)

سبب النّزول

قیل نزلت الآیات فی وفد نجران العاقب و السید و من معهما قالوا لرسول اللّه:

هل رأیت ولدا من غیر ذکر فنزلت: إِنَّ مَثَلَ عِیسیٰ عِنْدَ اللّٰهِ کَمَثَلِ آدَمَ... الآیات فقرأها علیهم،فلمّا دعاهم رسول اللّه إلی المباهله (۱) استنظروه إلی صبیحه غد من یومهم ذلک،فلمّا رجعوا إلی رجالهم قال لهم الأسقف:انظروا محمّد فی غد فإن

---

۱ – ۱) -«مباهله»فی الأصل من ماده«بهل»(علی وزن اهل)بمعنی اطلاق و فک القید عن الشیء و بذلک یقال للحیوان الطلق حیث لا توضع محالبها فی کیس کی یستطیع ولیدها أن یرضع بسهوله یقال له:«باهل»،و «ابتهال»فی الدعاء بمعنی التضرع و تفویض الأمر إلی اللّه. و إذا فسّروها بمعنی الهلاک و اللعن و البعد عن اللّه کذلک بسبب ترک العبد طلقا و حرا فی کلّ شیء تترتب علیه هذه النتائج،هذا معنی«المباهله»لغه. امّا مفهوما ما هو المعروف نزول هذه الآیه،بمعنی الملاعنه بین الشخصین،و لذا یجتمع أفراد للحوار حول مسأله دینیه مهمّه فی مکان واحد و یتضرعون اللّه أن یفضح الکاذب و یعاقبه.

غدا بولده و أهله فاحذروا مباهلته،و إن غدا بأصحابه فباهلوه فإنّه على غير شيء.

فلمّا كان الغد جاء النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم آخذا بيدى على بن أبى طالب عليه السّلام و الحسن عليه السّلام و الحسين عليه السّلام بين يديه يمشيان و فاطمه عليها السّلام تمشى خلفه،و خرج النصارى يتقدمهم أسقفهم.فلمّا رأى النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم قد أقبل بمن معه فسأل عنهم فقيل له:هذا ابن عمّه و زوج ابنته و أحب الخلق إليه،و هذان ابنا بنته من على و هذه الجاريه بنته فاطمه أعزّ الناس عليه و أقربهم إلى قلبه،و تقدّم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم فجثا على ركبتيه.

قال أبو حارثه الأسقف جثا و اللّه كما جثا الأنبياء للمباهله.

فرجع و لم يقدم على المباهله،فقال السيد:أذن يا أبا حارثه للمباهله!فقال:

لا-إنّى لأرى رجلا-جريئا على المباهله و أنا أخاف أن يكون صادقا و لئن كان صادقا لم يحل و اللّه علينا حول و فى الدنيا نصرانى يطعم الماء.

فقال الأسقف:يا أبا القاسم!إنا لا نباهلك و لكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به،فصالحهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم على الفى حله من حلل الاواقى قسمه كلّ حله أربعون درهما فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك أو على عاريه ثلاثين درعا و ثلاثين رمى و ثلاثين فرسا إن كان باليمن كيد،و رسول اللّه ضامن حتّى يؤديها و كتب لهم بذلك كتابا.

و روى أن الأسقف قال لهم:إنّى لأرى وجوها لو سألوا اللّه أن يزيل جبلا من مكانه لازاله،فلا تبتهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامه (۱) .

۱- ۱) -مجمع البيان،ورد سبب نزول هذه الآيات فى تفاسير اخرى مع تفاوت يسير مثل:تفسير أبو الفتوح الرازى و تفسير الكبير و غيرها،و ادّعى الفخر الرازى أن هذه الروايات متفق عليها عند علماء التفسير و الحديث.

التّفسير

فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ...

.

بعـد الآیات التی اسـتدلّ فیها علی بطلان القول بالوهیه عیسـی بن مریم،یأمر اللّه نبیّه بالمباهله إذا جاءه من یجادله من بعد ما جاء من العلم و المعرفه.و أمره ان یقـول لهم:إنّی سـأدعو أبنـائی،و أنتم ادعـوا أبنـاءکم،و أدعـو نسـائی،و أنتم ادعوا نسـاءکم،و أدعو نفسی،و تدعون أنتم أنفسکم،و عندئذ ندعو اللّه أن ینزل لعنته علی الکاذب منّا فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعٰالَوْا نَدْعُ أَبْنٰاءَنٰا وَ أَبْنٰاءَکُمْ وَ نِسٰاءَنٰا وَ نِسٰاءَکُمْ وَ أَنْفُسَنٰا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّٰهِ عَلَی الْکٰاذِبِینَ .

و لا ـ حـاجه للقول بـأنّ القصـد من المبـاهله لم یکن إحضـار جمع من النـاس للّعن،ثمّ لیتفرّقوا کلّ إلی سبیله،لأنّ عملا کهـذا لن یکون له أیّ تأثیر،بل کان المنتظر أن یکون لهذا الدعاء و اللعن أثر مشهود عیانا فیحیق بالکاذب عذاب فوری.

و بعبـاره أخری:فـإنّ المبـاهله-و إن لم یکن فی الآیه ما یشـیر إلی تأثیرها- کانت بمثابه«السـهم الأخیر»بعـد أن لم ینفع المنطق و الاستدلال،فإنّ الدعاء وحده لم یکن المقصود بها،بل کان المقصود منها هو«أثرها الخارجی».

بحوث

اشاره

۱-المباهله دلیل قاطع علی أحقیه نبی الإسلام:

لعلّ قضـیه المباهله بهـذا الشـکل لم تکن معروفه عنـد العرب،بل کانت أسـلوبا یبیّن صـدق النبیّ و إیمانه بشـکل قاطع.إذ یکف یمکن لمن لا یؤمن کلّ الإیمان

بعلاقته باللّه أن يـدخل هـذا الميـدان،فيطلب من معارضـيه ان يتقدّموا معه إلى اللّه يدعونه أن ينزل لعناته على الكاذب،و أن يروا سرعه ما يحلّ بالكاذب من عقاب؟لا شكّ أنّ دخول هـذا الميـدان خطر جدّا،لأنّ المبتهل إذا لم يجد اسـتجابه لدعائه و لم يظهر أيّ أثر لعقـاب اللّه على معارضـيه،فلن تكون النتيجه سوى فضـيحه المبتهـل.فكيف يمكن لإنسان عاقل و مـدارك أن يخطو مثل هـذه الخطوه دون أن يكون مطمئنـا إلى أنّ النـتيجه فى صـالحه؟لهـذا قيـل إنّ دعوه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم إلى المباهله تعتبر واحدا من الأدلّه على صدق دعوته و إيمانه الراسخ بها،بصرف النظر عن النتائج التى كانت ستكشف عنها المباهله.

تقول الروايـات الإسـلاميه:عنـد عرض هـذا الاـقتراح للمباهله،طلب ممثّلو مسيحيّى نجران من رسول اللّه أن يمهلهم بعض الوقت ليتبادلوا الرأى مع شيوخهم.

فكـان لهم ما أرادوا.و كانت نتيجه مشاورتهم-التى تعتمـد على ناحيه نفسـيه- هى أنّهم أمروا رجالهم بالـدخول فى المباهله دون خوف إذا رأوا محمّـدا قد حضـر فى أكثير من الناس و وسط جلبه و ضوضاء،إذ أنّ هذا يعنى أنّه بهذا يريد بثّ الرعب و الخوف فى النفوس و ليس فى أمره حقيقه.أمّـا إذا رأوه قادمـا فى بضـعه أنفـار من أهله و صـغار أطفاله إلى الموعـد،فليعلموا أنّه نبىّ اللّه حقّا،و ليتجنّبوا مباهلته.

و قـد حضـر المسـيحيّون إلى المكـان المعيّن،ثمّ رأوا أنّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم أقبل يحمل الحسـين على يـد و يمسك الحسن باليد الأخرى و من خلفه على و فاطمه، و هو يطلب منهم أن يؤمّنوا على دعائه عند المباهله.و إذ رأى المسيحيّون هذا المشهد استولى عليهم الفزع،و رفضوا الدخول فى المباهله،و قبلوا التعامل معه بشروط أهل الذمّه.

۲-أحد أدله عظمه أهل البيت:

يصرّح المفسّرون من الشيعه و السنّه أنّ آيه المباهله قد نزلت بحقّ أهل بيت

النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم،و أنّ الذین اصطحبهم النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم معه للمباهله بهم هم:الحسن و الحسین و فاطمه و علی علیهم السّلام.و علیه،فإنّ«أبناءنا»الوارده فی الآیه ینحصر مفهومها فی الحسن و الحسین علیهم السّلام،و مفهوم«نساءنا»ینحصر فی فاطمه علیها السّلام، و مفهوم«أنفسنا»ینحصر فی علی علیه السّلام.و هناک أحادیث کثیره بهذا الخصوص.

حاول بعض أهل السنّه أن ینکر وجود أحادیث فی هذا الموضوع،فصاحب تفسیر المنار یقول فی تفسیر الآیه:

الروایات متّفقه علی أنّ النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم اختار للمباهله علیّا و فاطمه و ولدیهما و یحملون کلمه«نساءنا»علی فاطمه و کلمه«أنفسنا»علی علیّ فقط،و مصادر هذه الروایات شیعیه،و مقصدهم منها معروف،و قد اجتهدوا فی ترویجها ما استطاعوا حتّی راجت علی کثیر من أهل السنّه. و لکن بالرجوع إلی مصادر أهل السنّه الأصلیه یتّضح أنّ الکثیر من تلک الطرق لا تنتهی بالشیعه و بکتب الشیعه، و إنکار هذه الأحادیث الوارده بطریق أهل السنّه،یسقط سائر أحادیثهم و کتبهم من الإعتبار.

لکی نلقی الضوء علی هذه الحقیقه،نورد هنا بعضا من روایاتهم و مصادرها:

القاضی نور اللّه الشوشتری فی المجلّد الثالث من کتابه النفیس«إحقاق الحقّ»،الطبعه الجدیده،ص ۴۶،یتحدّث عن اتّفاق المفسّرین فی أنّ«أبناءنا»فی هذه الآیه إشاره إلی الحسن و الحسین،و«نساءنا»إشاره إلی فاطمه،و«أنفسنا» إشاره إلی علیّ علیه السّلام.

ثمّ یشیر فی هامش الکتاب إلی نحو ستّین من کبار أهل السنّه من الذین قالوا إنّ آیه المباهله نزلت فی أهل البیت،و یذکر أسماء هؤلاء العلماء بالتفصیل فی الصفحات ۴۶-۷۶.

و من المشاهیر الذین نقل عنهم هذا التصریح:

۱-مسلم بن الحجاج النیسابوری،صاحب أحد الصحاح السته المعروفه التی یعتمدها أهل السنّه.المجلّد ۷ ص ۱۲۰(طبعه محمّد علی صبیح-مصر).

۲-أحمد بن حنبل فی کتابه«المسند»ج ۱ ص ۱۸۵(طبعه مصر).

۳-الطبری فی تفسیره المعروف:ج ۳ ص ۱۹۲(المطبعه المیمنیه-مصر).

۴-الحاکم فی کتابه«المستدرک»ج ۳ ص ۱۵۰(طبعه حیدرآباد الدکن).

۵-الحافظ أبو نعیم الأصفهانی فی کتابه«دلائل النبوه»ص ۲۹۷(طبعه حیدرآباد).

۶-الواحدیّ النیسابوری فی کتابه«أسباب النزول»ص ۷۴(المطبعه الهندیه-مصر).

۷-الفخر الرازی فی تفسیره المعروف،ج ۸ ص ۸۵(المطبعه البهیه-مصر).

۸-ابن الأثیر فی کتابه«جامع الأصول»ج ۹ ص ۴۷۰(مطبعه السنّه المحمدیه-مصر).

۹-ابن الجوزی فی کتابه«تذکره الخواص»ص ۱۷(طبعه النجف).

۱۰-القاضی البیضاوی فی تفسیره ج ۲ ص ۲۲(مطبعه مصطفی محمّد- مصر).

۱۱-الآلوسی فی تفسیره«روح المعانی»ج ۳ ص ۱۶۷(المطبعه المنیریه- مصر).

۱۲-الطنطاوی فی تفسیره المعروف«الجواهر»ج ۲ ص ۱۲۰(مطبعه مصطفی البابی الحلبی-مصر).

۱۳-الزمخشری فی تفسیره«الکشّاف»ج ۱ ص ۱۹۳(مطبعه مصطفی محمّد).

۱۴-الحافظ أحمد بن حجر العسقلانی فی کتابه«الإصابه»ج ۲ ص ۵۰۳

(مطبعه مصطفی محمّد).

۱۵-ابن الصبّاغ فی کتابه«الفصول المهمّه»ص ۱۰۸(طبعه النجف).

۱۶-العلاّمه القرطبی فی کتابه«الجامع لأحکام القرآن»ج ۳ ص ۱۰۴(طبعه مصر سنه ۱۹۳۶).

جاء فی کتاب«غایه المرام»عن صحیح مسلم فی باب(فضائل علی بن أبی طالب) أنّ معاویه قال یوما لسعد بن أبی وقاص:لم لا تسبّ أبا تراب (علی علیه السّلام)!؟ فقال:«ترکت سبّه منذ أن تذکرت الأشیاء الثلاثه التی قالها رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم فی حقّ علی علیه السّلام(و أحدها)عند ما نزلت آیه المباهله لم یدع النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم سوی فاطمه و الحسن و الحسین و علی،و قال:اللهمّ هؤلاء أهلی.

صاحب«الکشّاف»و هو من کبار علماء أهل السنّه،یذهب إلی أنّ هذه الآیه أقوی دلیل علی فضیله أهل الکساء.

یتّفق المفسّرون و المحدّثون و المؤرّخون الشیعه أیضا أنّ هذه الآیه قد نزلت فی أهل البیت،و قد أورد صاحب تفسیر«نور الثقلین»روایات کثیره بهذا الشأن.

من ذلک أیضا ما جاء فی کتاب«عیون أخبار الرضا»عن المجلس الذی عقده المأمون فی قصره للبحث العلمی.و

جاء فیه عن الإمام الرضا علیه السّلام قوله: ...میّز اللّه الطاهرین من خلقه،فأمر نبیّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم بالمباهله بهم فی آیه الابتهال.فقال عزّ و جلّ:یا محمّد(فمنّ حاجّک فیه...»الآیه.فأبرز النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم علیّا و الحسن و الحسین و فاطمه صلوات اللّه علیهم....

و

قال علیه السّلام: فهذه خصوصیه لا یتقدّمهم فیها أحد،و فضل لا یلحقهم فیه بشر، و شرف لا یسبقهم إلیه خلق (1) .

۱- ۱) -نور الثقلین:ج ۱ ص ۳۴۹،البرهان:ج ۱ ص ۲۹۰،تفسیر العیّاشی:ج ۱ ص ۱۷۷،البحار:ج ۲۰ ص ۵۲ و ج ۶ ص ۶۵۲ الطبعه الجدیده.

كذلك وردت روايات بهذا المضمون فى تفسير البرهان و بحار الأنوار و تفسير العيّاشى،و كلّها تقول إنّ الآيه قد نزلت فى أهل البيت.

۳-اعتراض و جوابه:

هنا اعتراض مشهور أورده الفخر الرازى و آخرون على نزول هذه الآيه فى أهل البيت.يقول هؤلاء:كيف يمكن أن نعتبر أنّ القصد من«أبناءنا»هو الحسن و الحسين عليهما السّلام مع أنّ«أبناء»جمع و لا تطلق على الاثنين؟و كذلك«نساءنا»جمع، فكيف تطلق على سيّده الإسلام فاطمه عليها السّلام وحدها؟و إذا كان القصد من«أنفسنا» عليّا عليه السّلام وحده فلما ذا جاء بصيغه الجمع؟ الجواب أوّلا:كما سبق أن شرحنا بإسهاب،أنّ هناك أحاديث كثيره فى كثير من المصادر الإسلاميه الموثوق بها-شيعيه و سنّيه-تؤكّد نزول هذه الآيه فى أهل البيت،و هى كلّها تقول إنّ النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم لم يدع للمباهله غير على و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام،هذا بذاته قرينه واضحه لتفسير الآيه،إذ أنّ من القرائن التى تساعد على تفسير القرآن هى السنّه و ما ثبت من أسباب النزول.

و عليه،فإنّ الاعتراض المذكور ليس موجّها للشيعه فقط،بل أنّ على جميع علماء الإسلام أن يجيبوا عليه،بموجب ما ذكرناه آنفا.

ثانيا:إطلاق صيغه الجمع على المفرد أو المثنى ليس أمرا جديدا فهو كثير الورود فى القرآن و فى غير القرآن من الأدب العربى،و حتى غير العربى.

من ذلك مثلا أنّه عند وضع قانون،أو إعداد اتّفاقيه،تستعمل صيغه الجمع على وجه العموم.فمثلا قد يقال فى اتّفاقيه:إنّ المسؤولين عند تنفيذها هم الموقّعون عليها و أبناؤهم.فى الوقت الذى يمكن أن يكون لأحد الأطراف ولد واحد أو

اثنين.فلاـ يكـون فى هـذا أىّ تعـارض مع تنظيـم الاتّفـاقيه بصـيغه الجمـع. و ذلـك لأـنّ هنـاك مرحلـتين،مرحلـه«الاتفـاق»و مرحله«التنفيـذ».ففى المرحله الأولى قـد تأتى الألفاظ بصـيغه الجمع لكى تنطبق على جميع الحالات.و لكن فى مرحله التنفيـذ قد تنحصر الحاله فى فرد واحد،و هذا لا يتنافى مع عموميه المسأله.

و بعباره أخرى:كان على رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سلّم بموجب اتفاقه مع مسيحيّى نجران، أن يدعو للمباهله جميع أبنائه و خاصّه نسائه و جميع من كانوا بمثابه نفسه.إلاّ أنّ مصداق الاتّفاق لم ينطبق إلاّ على ابنين و امرأه و رجل(فتأمّل!).

فى القرآن مواضع متعـدّده ترد فيهـا العباره بصـيغه الجمع،إلاّ أنّ مصـداقها لا ينطبق إلاّ على فرد واحـد.فمثلا نقرأ: اَلَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ (۱) المقصـود من«النـاس»فى هـذه الآـيه هـو«نعيم بن مسـعود» حسب قول فريق من المفسّرين،لأنّ هذا كان قد أخذ أموالا من أبى سفيان فى مقابل إخافه المسلمين من قوّه المشركين.

و أيضا نقرأ: لَقَـدْ سَـمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ (۲) .فهنا المقصود ب«الـذين»فى هذه الآيه،على رأى كثير من المفسّرين،هو«حى بن أخطب»أو«فنحاص».

و قـد يطلق الجمع على المفرد للتكريم،كمـا جاء عن إبراهيم: إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ (۳) . فهنا أطلقت كلمه«أمّه»و هى اسم جمع،على مفرد.

۴-كما أنّ آيه المباهله تفيـد بأنّ أبناء البنت يعتبرون أبناء أبيها أيضا، بخلاف ما كان سائدا فى الجاهليه فى اعتبار أبناء الابن فقط هم أبناء الجد،إذ

۱- ۱) -آل عمران:۱۷۳.

۲- ۲) -آل عمران:۱۸۱.

۳- ۳) -النحل:۱۲۰.

كانوا يقولون:

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا

بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد

هـذا اللون من التفكير كـان من بقايا التقاليـد الجاهليه الخاطئه التى لم تكن ترى المرأه عضوا من أعضاء المجتمع،بل كانت تنظر إليها على أنّها و وعاء لنموّ الأبناء فقط،و ترى أنّ النسب يلحق بالآباء لا غير.يقول شاعرهم:

و إنّما أمّهات الناس أوعيه

مستودعات و للأنساب آباء

غير أنّ الإسلام قضى على هذا اللون من التفكير،و ساوى بين أبناء الابن و أبناء البنت.

نقرأ فى الآـيه ۸۴ و ۸۵ من سـوره الأنعـام بشـأن أبنـاء إبراهيم: مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دٰاوُدَ وَ سُلَيْمٰانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَ زَكَرِيّٰا وَ يَحْيىٰ وَ عِيسىٰ وَ إِلْيٰاسَ كُلٌّ مِنَ الصّٰالِحِينَ .

فالمسيح عيسى بن مريم عدّ هنا من أبناء إبراهيم مع أنّه كان ابنا من جهه البنت.

الأحاديث و الروايات الوارده عن طريق الشيعه و السـنّه بشأن الحسن و الحسين عليهما السّلام تشير إلى كلّ منهما ب«ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم» كرارا.

و فى الآيـات التى تحرّم الزواج ببعض النسـاء نقرأ: وَ حَلاٰئِلُ أَبْنٰائِكُمُ .يتّفق علمـاء الإسـلام على أن الرجل يحرم عليه الزواج من زوجه ابنه و زوجه حفيده سواء أ كان من جهه الابن أم البنت،باعتبار شمولهم بالآيه المذكوره.

۵-هل المباهله تشريع عام؟ لا شكّ أنّ هذه الآيه ليست دعوه عامّه للمسلمين للمباهله،إذ أنّ الخطاب موجّه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم وحده.و لكن هذا لا يمنع من أن تكون المباهله مع المعارضين حكما عامّا،و أنّ الأتقياء من المؤمنين الذين يخشون اللّه،لهم أن

يطلبوا من الذين لم ينفع فيهم المنطق و الاستدلال التقدّم للمباهله.

و تظهر عموميه هذا الحكم فى بعض الروايات الإسلاميه،فقد جاء فى تفسير نور الثقلين،ج ۱ ص ۳۵۱

عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: إذا كان كذلك(أى إذا لم يقبل المعاند الحقّ)فادعهم إلى المباهله... أصلح نفسك ثلاثا...و أبرز أنت و هو إلى الجبان(الصحراء)فشبّك أصابعك من يدك اليمنى فى أصابعه،ثمّ أنصفه و ابدأ بنفسك و قل:اللهمّ ربّ السماوات السبع و ربّ الأرضين السبع عالم الغيب و الشهاده الرحمن الرحيم إن كان(فلانا)جحد حقّا و ادّعى باطلا فأنزل عليه حسبانا(بلاء)من السماء و عذابا أليما.ثمّ ردّد الدعوه عليه...فإنّك لا تلبث أن ترى ذلك فيه.

و يتّضح أيضا من هذه الآيه أنّه-خلافا للحملات التى يشنّها الزاعمون أنّ الإسلام دين الرجال و ليس للمرأه فيه أىّ حساب-قد ساهمت المرأه المسلمه مع الرجل خلال اللحظات الحسّاسه فى تحقيق الأهداف الإسلاميه و وقفت معه ضدّ الأعداء.إنّ الصفحات المشرقه التى تمثّل سيره سيّده الإسلام فاطمه الزهراء عليها السّلام و ابنتها السيّده زينب الكبرى و غيرهما من نساء الإسلام اللآتى سرن على طريقهما دليل على هذه الحقيقه.

ص :۵۳۳

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۶۲ الی ۶۳]

اشاره

إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ اَلْقَصَصُ اَلْحَقُّ وَ مٰا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اَللّٰهُ وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَهُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۶۲) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اَللّٰهَ عَلِیمٌ بِالْمُفْسِدِینَ (۶۳)

التّفسیر

تقول الآیه-بعد شرح حیاه المسیح علیه السّلام-:إنّ ما قصصناه علیک من قصه عیسی حقیقه أنزلها اللّه علیک.و علیه،فإنّ المزاعم الباطله القائله بالوهیه المسیح، أو اعتباره ابن اللّه،أو بعکس ذلک اعتباره لقیطا،کلّها خرافات باطله إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ .

ثمّ تضیف للتوکید:إنّ الذی یلیق للعباده هو اللّه وَ مٰا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اللّٰهُ وحده، و أن اتّخاذ معبود آخر دونه عمل بعید عن الحقّ و الحقیقه وَ إِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ فهو قادر علی أن یخلق ولدا بدون أب،و ذلک علی اللّه یسیر.

«القصص»مفرد،تعنی القصّه،و هی فی الأصل من«القص»بمعنی تعقّب الأثر.فی موضع آخر من القرآن قالت أمّ موسی لابنتها«قصّیه»أی عقّبیه و ابحثی عنه وَ قٰالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّیهِ (۱) و قولهم لثأر الدم«القصاص»لأنّه

۱- ۱) -القصص:۱۱.

تتبع لحقوق أصحاب الدم.

و«القصّه»تعنى بتاريخ القدامى و البحث فى سير حياتهم و من ذلك يعلم أن المشار إليه فى(هذا)هو قصه حياه المسيح لا القرآن الكريم و لا قصص الأنبياء.

الآيه الثانيه تهدد من لم يستسلم هؤلاء للحقّ بعد الاستدلالات المنطقيه فى القرآن بشأن المسيح عليه السّلام،و كذلك إذا لم يخضعوا للمباهله و استمرّوا فى عنادهم و تعصّبهم،لأن ذلك دليل على أنّهم ليسوا طلّاب حقّ،بل هم مقيّدون بأغلال تعصّبهم المجحف،و أهوائهم الجامحه،و تقاليدهم المتحجّره،و بذلك يكونون من المفسدين فى المجتمع: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ .

لأن هدفهم تخدير الناس و إفساد العقائد السليمه لأفراد المجتمع،و من المعلوم أن اللّه تعالى يعرف هؤلاء،و يعلم بنياتهم و سيجازيهم فى الوقت المناسب.

ص: ۵۳۵

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۶۴]

اشاره

قُلْ یا أَهْلَ اَلْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَهٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اَللّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً وَ لا یَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اَللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اِشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ (۶۴)

التّفسیر

اشاره

الدعوه إلی الاتّحاد:

بدأ القرآن فی الآیات السابقه بدعوه المسیحیّین إلی الاستدلال المنطقی،و إذ رفضوا،دعاهم إلی المباهله،فکان لهذا أثره فی نفوسهم،فرفضوها و لکنّهم رضخوا لشروط اعتبارهم ذمّیین.فانتهز القرآن هذه الفرصه من استعدادهم النفسی،و عاد إلی طریقه الاستدلال.

غیر أنّ الاستدلال هذه المرّه یختلف عن الاستدلال السابق اختلافا کبیرا.

فی الآیات السابقه کانت الدعوه إلی الإسلام(بکلّ تفاصیله).و لکنّ الدعوه هذه المرّه تتّجه إلی النقاط المشترکه بین الإسلام و أهل الکتاب. و بهذا یعلّمنا القرآن درسا،مفاده:أنّکم إذا لم توفّقوا فی حمل الآخرین علی التعاون معکم فی

جمیع أهـدافکم،فلاـ ینبغی أن یقعـد بکم الیـأس عن العمـل،بـل اسـعوا لإقنـاعهم بالتعـاون معکم فی تحقیق الأهـداف المشترکه بینکم،کقاعـده للانطلاق إلی تحقیق سائر أهـدافکم المقـدّسه قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَهٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمْ أَلاّ نَعْبُـدَ إِلاّ اللّهَ وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً .

هذه الآیه تعتبر نداء«الوحده و الاتّحاد»إلی أهل الکتاب،فهی تقول لهم:

إنّکم تزعمون-بل تعتقـدون-أنّ التثلیث(أی الاعتقاد بالآلهه الثلاثه)لا ینافی التوحیـد،لـذلک تقولون بالوحده فی التثلیث.و هکذا الیهود یدعون التوحید و هم یتکلّمون بکلام فیه شرک و یعتبرون«العزیر»ابن اللّه.

یقول لهم القرآن:إنّکم جمیعـا ترون التوحیـد مشترکا،فتعالوا نضع یـدا بیـد لنحیی هـذا المبـدأ المشترک بـدون لفّ أو دوران،و نتجنّب کلّ تفسیر یؤدّی إلی الشرک و الابتعاد عن التوحید.

و الملفت للنظر أن الآیه الشریفه تؤکّد موضوع التوحید فی ثلاث تعابیر مختلفه،فأوّلا ذکرت أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ و فی الجمله الثانیه وَ لا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً و فی المرّه الثالثه قالت وَ لا یَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ .

و لعلّ فی هذه الجمله الأخیره إشاره إلی أحد موضوعین:

«الأوّل»:أنّه لا یجوز تألیه المسیح،و هو بشر مثلنا و من أبناء نوعنا.

«و الثـانی»:أنّه لاـ یجوز الاـعتراف بالعلماء المنحرفین الـذین یسـتغلّون مکانتهم و یغیّرون حلال اللّه و حرامه کیفما یحلو لهم،و لا یجوز اتّباع هؤلاء.

و یتّضـح ممّـا سـبق مـن الآیـات القرآنیـه أنّـه کـان هنـاک بیـن علمـاء أهـل الکتـاب جماعـات یحرّفـون أحکـام اللّه بحسب«مصـالحهم»أو«تعصّـبهم».إنّ الإسـلام یری أنّ من یتّبـع أمثـال هؤلاـء دون قیـد أو شـرط و هـو یعلم بهم،إنّمـا هو یعبـدهم بالمعنی الواسع لکلمه العباده.

إنّ سبب هذا الحكم واضح،فإن حقّ وضع القوانين و التشريعات يعود إلى اللّه،فإذا قرّر أحد هذا الحقّ لغير اللّه فقد أشرك.

يقول المفسّرون فی ذيل تفسير هذه الآيه إنّ«عدی بن حاتم»الذی كان نصرانيا ثمّ أسلم،عند ما سمع هذه الآيه،فهم من كلمه«أرباب»أنّ القرآن يقول إنّ أهل الكتاب يعبدون بعض علمائهم.فقال للنبیّ صلی اللّه عليه و آله و سلّم:ما كنّا نعبدهم يا رسول اللّه.

فقال صلی اللّه عليه و آله و سلّم: أما كانوا يحلّون لكم و يحرّمون فتأخذون بقولهم؟ فقال:نعم.

فقال النبیّ صلی اللّه عليه و آله و سلّم:هو ذاك (۱) .

فی الواقع يعتبر الإسلام الرقّ و الاستعمار الفكری نوعا من العبوديه و العباده لغير اللّه،و هو كما يحارب الشرك و عباده الأصنام،يحارب كذلك الاستعمار الفكری الذی هو أشبه بعباده الأصنام.

و لا بدّ من الإشاره إلی أنّ«أرباب»جمع،لذلك لا يمكن أن نقول إنّ المقصود هو النهی عن عباده عيسی وحده.و لعلّ النهی يشمل عباده عيسی و عباده العلماء المنحرفين.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّٰا مُسْلِمُونَ

.

لو أنّهم-بعد دعوتهم دعوه منطقيه إلی نقطه التوحيد المشتركه-أصرّوا علی الاعتراض،فلا بدّ أن يقال لهم:اشهدوا أنّنا قد أسلمنا للحق،و لم تسلموا،و بعباره اخری:فاعلموا من يطلب الحق،و من يتعصّب و يعاند.ثمّ قولوا لهم اِشْهَدُوا بِأَنّٰا مُسْلِمُونَ فلا تأثير لعنادكم و عصيانكم و ابتعادكم عن الحقّ فی أنفسنا،و إنّا ما زلنا علی طريقنا-طريق الإسلام-سائرون،لا نعبد إلاّ اللّه،و لا نلتزم إلاّ شريعه

۱- ۱) -مجمع البيان:ذيل الآيه المذكوره.تفسير نور الثقلين:ج ۱ ص ۳۵۲.

الإسلام،و لا وجود لعباده البشر بيننا.

بحث

اشاره

رسائل النبیّ إلی رؤساء العالم:

یقول التاریخ:عند ما استقرّ الإسلام نسبیّا فی الحجاز،أرسل رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم رسائل إلی عدد من کبار رؤساء العالم فی ذلک العصر.فی بعض هذه الرسائل استند إلی هذه الآیه الداعیه إلی التوحید-المبدأ المشترک بین الأدیان السماویه-.

و لأهمیّه الموضوع ندرج بعضا من تلک الرسائل:

۱-رساله إلی المقوقس

۱-رساله إلی المقوقس (۱)

«بسم اللّه الرحمن الرحیم،من محمّد بن عبد اللّه إلی المقوقس عظیم القبط، سلام علی من اتّبع الهدی.أمّا بعد فإنّی أدعوک بدعایه الإسلام،أسلم تسلم،یؤتک اللّه أجرک مرّتین،فإن تولّیت فإنّما علیک إثم القبط (۲) .یا أهل الکتاب تعالوا إلی کلمه سواء بیننا و بینکم أن لا نعبد إلاّ اللّه و لا نشرک به شیئا و لا یتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون اللّه فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون»

(۳)

.

حمل«حاطب بن أبی بلتعه»رساله النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم إلی المقوقس حاکم مصر، فوجده قد رحل إلی الإسکندریه،فرکب إلیه،و سلّمه الرساله،ثمّ قال لحاطب:

ما منعه إن کان نبیّا أن یدعو علی من خالفه و أخرجه من بلده إلی غیرها أن یسلّط علیهم؟

۱- ۱) -المقوقس:حاکم مصر من قبل هرقل ملک الروم،و کان نصرانیا.

۲- ۲) -الأقباط:أقوام کانت تقطن مصر.

۳- ۳) -مکاتیب الرسول:ج ۱ ص ۹۷.

فقال له حاطب:أ لست تشهد أنّ عيسى بن مريم رسول اللّه؟فماله حيث أخذه قومه،فأرادوا أن يقتلوه،أن لا يكون دعا عليهم،أن يهلكهم اللّه تعالى،حتّى رفعه اللّه إليه؟ قال:أحسنت أنت حكيم من عند حكيم.

ثمّ قال له حاطب:إنّه كان قبلك من يزعم أنّه الربّ الأعلى-يعنى فرعون- فأخذه اللّه نكال الآخره و الأولى فانتقم به،ثمّ انتقم منه،فاعتبر بغيرك،و لا يعتبر غيرك بك.

إنّ هذا النبيّ دعا الناس،فكان أشدّهم عليه قريش،و أعداهم له اليهود، و أقربهم منه النصارى،و لعمرى،ما بشاره موسى بعيسى عليهما الصلاه و السلام، إلاّ كبشاره عيسى بمحمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم،و ما دعاؤنا إيّاك إلى القرآن،إلاّ كدعائك أهل التوراه إلى الإنجيل،و كلّ نبيّ أدرك قوما فهم أمته،فالحقّ عليهم أن يطيعوه،فأنت ممّن أدرك هذا النبيّ،و لسنا ننهاك عن دين المسيح بل نأمرك به.

بقى حاطب بن أبى بلتعه أيّاما ينتظر جواب المقوقس على رساله رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم،و بعدها استدعاه المقوقس إلى قصره و استزاده معرفه بالإسلام و قال له:

إلى ما يدعو محمّد؟ قال حاطب:إلى أن نعبد اللّه وحده،و يأمر بالصلاه،خمس صلوات فى اليوم و الليله،و يأمر بصيام رمضان،و حجّ البيت،و الوفاء بالعهد،و ينهى عن أكل الميته، و الدم...ثمّ شرح له بعض جوانب حياه النبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقال المقوقس:هذه صفته،و كنت أعلم أنّ نبيّا قد بقى،و كنت أظنّ أنّ مخرجه بالشام،و هناك كانت تخرج الأنبياء من قبله،فأراه قد خرج من أرض العرب.

ثمّ دعا كاتبه الذى يكتب له بالعربيه فكتب إلى النبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم،لمحمّد بن عبد اللّه من المقوقس عظيم القبط،سلام

علیک.أمّا بعـد،فقـد قرأت کتابک،و فهمت ما ذکرت فیه و ما تـدعو إلیه،و قـد علمت أنّ نبیّا قـد بقی،و قد کنت أظنّ أنّه یخرج بالشام و قد أکرمت رسولک...» ثمّ عدّد له الهدایا التی بعثها إلیه و ختم رسالته بعباره«و السلام علیک» (۱) .

تقول کتب التاریخ إنّ المقوقس أرسل نحو أحد عشر نوعا من الهدایا و بینها طبیب أرسله لمعاجله مرضی المسلمین.

فقبـل رسول اللّه صـلی اللّه علیه و آله و سـلّم الهـدایا،لکنّه أرجع الطبیب قائلاـ:«إنّـا قوم لا نأکل حتّی نجوع،و إذا أکلنا لا نشـبع» مشیرا بذلک إلی أنّ هذه القاعده فی تناول الطعام کافیه لحفظ صحّه المسلمین(و لعلّه-إضافه إلی هذه القاعده الصحّیه العظیمه-لم یکن یأمن جانب الطبیب الذی کان مسیحیا و ربما کان الطبیب متعصّبا أیضا،فلم یشأ أن یترک أرواح المسلمین بین یدیه).

إن إکرام المقوقس سـفیر النبیّ صـلی اللّه علیه و آله و سلّم،و الهدایا التی أرسلها إلیه،و تقدیم اسم محمّد صلی اللّه علیه و آله و سلّم علی اسمه،تدلّ کلّها علی أنّه کان قد قبل دعوه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم فی قراره نفسه،أو أنّه-علی الأقل-مال إلی الإسلام.و لکنّه لکیّ لا یهتزّ مرکزه امتنع عن إظهار ذلک علنا.

۲-رساله إلی قیصر الروم

«بسم اللّه الرحمن الرحیم.من محمّـد بن عبـد اللّه إلی هرقل عظیم الروم،سـلام علی من اتّبع الهـدی.أمّا بعد،فإنّی أدعوک بدعایه الإسلام.أسـلم تسـلم یؤتک اللّه أجرک مرّتین فإن تولّیت فإنّما علیک إثم الأریسـیّین (۲) .یـا اهل الکتاب تعالوا إلی کلمه سواء بیننا و بینکم ألاّ نعبد إلاّ اللّه و لا نشرک به شیئا و لا یتخذّ بعضنا بعضا أربابا من دون اللّه فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون».

کان حامل رساله رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم إلی القیصر رجل اسمه«دحیه الکلبی».

۱- ۱) -مکاتیب الرسول:ج ۱ ص ۱۰۰.

۲- ۲) -الأریسیون:هم العنصر الرومی و العمال.

و تهيّأ السفير للانطلاق نحو أرض الروم.و لكنّه قبل أن يصل القسطنطنيه،عاصمه القيصر،علم أنّ القيصر قد يمّم شطر بيت المقدس للزياره.فاتّصل بحاكم«بصرى» الحارث بن أبى شمر و كشف له عن مهمّته.و يبدو أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم كان قد أجاز دفع الرساله إلى حاكم(بصرى)ليوصلها هذا إلى القيصر.

بعد أن اطّلع الحاكم على الأمر،استدعى عدى بن حاتم و كلّفه أن يسافر مع دحيه إلى بيت المقدس ليوصل الرساله إلى القيصر.التقى السفير قيصر فى حمص.

و كانت الحاشيه قبل ذلك قد أفهموا دحيه أنّ عليه أن يسجد أمام القيصر،و أن لا يرفع رأسه أبدا حتّى يأذن له.فقال دحيه:لا أفعل هذا أبدا،و لا أسجد لغير اللّه.

فأعجبوا بمنطقه المتين.و قال له أحد رجال البلاط:إذا لك أن تضع الرساله تجاه منبر قيصر و تنصرف،إنّ أحدا غير القيصر لا يمسّها.فشكره دحيه على ذلك، و ترك الرساله فى ذلك المكان،و انصرف.

فتح قيصر الرساله،و جلب انتباهه افتتاحها باسم اللّه،و قال:أنا لم أر رساله مثل هذه غير رساله سليمان.ثمّ طلب مترجمه ليقرأ له الرساله و يترجمها.احتمل قيصر أن يكون كاتب الرساله هو النبىّ الموعود فى التوراه و الإنجيل.فعزم على معرفه دقائق حياه هذا النبىّ.فأمر بالبحث فى الشام لعلّهم يعثرون على من يعرف شيئا عن محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم.و اتّفق أن كان أبو سفيان و جمع من قريش قد قدموا إلى الشام-التى كانت الجناح الشرقى للروم-للتجاره،فاتّصل بهم رجال القيصر و أخذوهم إلى بيت المقدس،فسألهم القيصر:أيّكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذى يزعم أنّه نبىّ؟فقال أبو سفيان:أنا.

ثمّ قال القيصر للقريشيين-على طريق ترجمانه-:إنى سائل(أبا سفيان)عن هذا الرجل الذى يزعم أنّه نبىّ.فإن كذبنى فكذّبوه.فقال أبو سفيان:و ايم اللّه لولا مخافه أن يؤثّر علىّ الكذب لكذبت.

۱-ثمّ قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ أبو سفيان:هو فينا ذو حسب.

۲-القيصر:هل كان من آبائه ملك؟ أبو سفيان:لا.

۳-القيصر:هل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ أبو سفيان:لا.

۴-القيصر:من يتّبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ أبو سفيان:بل ضعفاؤهم.

۵-القيصر:أ يزيدون أم ينقصون؟ أبو سفيان:بل يزيدون.

۶-القيصر:هل يرتدّ أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطه له؟ أبو سفيان:لا.

ثمّ استمرّ الحوار بين الاثنين عن موقف قريش من النبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و عن سجاياه ثمّ قال القيصر:

إن يكن ما تقول حقّا فإنّه نبيّ،و قد كنت أعلم أنّه خارج،و لم أكن أظنّه منكم، و لو أعلم أنّى أخلص إليه لأحببت لقاءه،و لو كنت عنده لغسلت قدميه-حسب تقاليد الاحترام يومئذ-و ليبلغن ملكه ما تحت قدميّ،ثمّ دعا بكتاب رسول اللّه فقرأه و دعا دحيه و احترمه و كتب جواب الرساله و ضمنّها بهديه و أرسلها الى الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أظهر فى جواب الرساله ولاءه و محبته إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

الآيات [سوره آل عمران (۳): الآيات ۶۵ الی ۶۸]

اشاره

يٰا أَهْلَ اَلْكِتٰابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِی إِبْرٰاهِيمَ وَ مٰا أُنْزِلَتِ اَلتَّوْرٰاهُ وَ اَلْإِنْجِيلُ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۶۵) هٰا أَنْتُمْ هٰؤُلاٰءِ حٰاجَجْتُمْ فِيمٰا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمٰا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اَللّٰهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (۶۶) مٰا كٰانَ إِبْرٰاهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لاٰ نَصْرٰانِيًّا وَ لٰكِنْ كٰانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ مٰا كٰانَ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (۶۷) إِنَّ أَوْلَى اَلنّٰاسِ بِإِبْرٰاهِيمَ لَلَّذِينَ اِتَّبَعُوهُ وَ هٰذَا اَلنَّبِيُّ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اَللّٰهُ وَلِيُّ اَلْمُؤْمِنِينَ (۶۸)

سبب النّزول

ورد فی الروايات الشريفه أن علماء اليهود و نصاری نجران جاءوا إلی النبیّ الأكرم صلی اللّه عليه و آله و سلّم و أخذوا يجادلونه فی إبراهيم،فقالت اليهود:أنه كان يهوديا،و قالت النصاری:أنه كان نصرانيا(و هكذا كلّ يدعی إبراهيم لنفسه لتكون له الغلبه و الافتخار علی خصمه.لأن إبراهيم عليه السّلام كان نبيا عظيما لدی جميع الأديان و المذاهب)فنزلت الآيات أعلاه لتبيّن كذب هذه الادّعاءات.

ص: ۵۴۴

التّفسير

اشاره

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ...

.

هذه الآيه تردّ على مزاعم اليهود النصارى،و تقول:إنّ جدلكم بشأن إبراهيم النبيّ المجاهد فى سبيل اللّه جدل عقيم،لأنّه كان قبل موسى و المسيح بسنوات كثيره،و التوراه و الإنجيل نزلا بعده بسنوات كثيره وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراهُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلاّ مِنْ بَعْدِهِ أ يعقل أن يدين نبيّ سابق بدين لاحق؟ أَ فَلا تَعْقِلُونَ ؟ ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ .

هنا يوبّخهم اللّه قائلا إنّكم قد بحثتم فيما يتعلّق بدينكم الذى تعرفونه (و شاهدتم كيف أنّكم حتّى فى بحث ما تعرفونه قد وقعتم فى أخطاء كبيره و كم بعدتم عن الحقيقه،فقد كان علمكم،فى الواقع،جهلا مركّبا)،فكيف تريدون أن تجادلوا فى أمر لا علم لكم به،ثمّ تدّعون ما لا يتّفق مع أىّ تاريخ؟ و فى نهايه الآيه يقول: وَ اللّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ توكيدا للموضوع السابق،و تمهيدا لبحث الآيه التاليه.

أجل،إنه يعلم متى بعث إبراهيم عليه السّلام بالرساله لا أنتم الذين جئتم بعد ذلك بزمن طويل و تحكمون فى هذه المسأله بدون دليل.

ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا

.

و هذا ردّ صريح على هذه المزاعم يقول إنّ إبراهيم لم يكن من اليهود و لا من المسيحيّين،و إنّما كان موحّدا طاهرا مخلصا أسلم للّه و لم يشرك به أبدا.

«الحنيف»من الحنف،و هو الميل من شىء إلى شىء،و هو فى لغه القرآن ميل عن الضلال إلى الاستقامه.

يصف القرآن إبراهيم أنّه كان حنيفا لأنّه شقّ حجب التعصّب و التقليد الأعمى،

و فی عصر کان غارقا فی عباده الأصنام،نبذ هو عباده الأصنام و لم یطأ طیء لها رأسا.

إلاّ أنّ العرب الذین کانوا یعبدون الأصنام فی العصر الجاهلی کانوا یعتبرون أنفسهم حنفاء علی دین إبراهیم.و قد شاع هذا شیوعا حدا بأهل الکتاب إلی أن یطلقوا علیهم اسم«الحنفاء».و بهذا اتّخذت لفظه«الحنیف»معنی معاکسا تماما لمعناها الأصلی،غدت ترادف عباده الأصنام.لذلک فإنّ القرآن بعد أن وصف إبراهیم بأنّه کان حَنِیفاً أضاف مُسْلِماً ثمّ أردف ذلک بقوله وَ مٰا کٰانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ لإبعاد احتمال آخر.

کیف کان إبراهیم مسلما؟

قد یسأل سائل:إذا لم نکن نعتبر إبراهیم من أتباع موسی و لا من أتباع عیسی فنحن بطریق أولی لا نستطیع أن نعتبره مسلما أیضا،لأنّه کان قبل کلّ هذه الأدیان.

فکیف یصفه القرآن بأنّه کان مسلما؟ جواب هذا السؤال هو أنّ«الإسلام»فی القرآن لا یعنی إتّباع رسول الإسلام فقط،بل الکلمه بالمعنی الأوسع تعنی التسلیم المطلق لأمر اللّه لتوحید الکامل الخالص من کلّ شرک و و ثنویه،و کان إبراهیم حامل لواء ذلک الإسلام.

و ممّا تقدّم یتّضح أن إبراهیم علیه السّلام لم یکن تابعا لهذه الأدیان.و لکن یبقی شیء واحد،و هو من هم الذین یحقّ لهم ادعاء العلاقه و الارتباط بالدین الإبراهیمی و بعباره اخری کیف یمکننا اتباع هذا النبی العظیم الذی یفتخر باتّباعه جمیع أتباع الأدیان السماویه؟ آخر آیه من الآیات مورد البحث توضح هذا المطلب و تقول:

إِنَّ أَوْلَى النّٰاسِ بِإِبْرٰاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ...

لوضع حدّ لجدل أهل الكتاب حول إبراهيم،نبيّ اللّه العظيم،الذى كانت كلّ جهه تدّعى أنّه منها،و كانوا يستندون غالبا إلى قرابتهم منه،أو اشتراكهم معه فى العنصر،أعاد القرآن مبدأ رئيسا إلى الأذهان و هو أنّ الارتباط بالأنبياء و الولاء لهم إنّما يكون عن طريق الإيمان و اتّباعهم فقط.و بناء على ذلك،فإنّ أقرب الناس لإبراهيم هم الذين يتّبعون مدرسته و يلتزمون أهدافه،سواء بالنسبه للذين عاصروه لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ أو الذين بقوا بعده أوفياء لمدرسته و أهدافه،مثل نبيّ الإسلام صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أتباعه وَ هٰذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا .

و السبب واضح،فاحترام الأنبياء إنّما هو لمدرستهم،لا لعنصرهم و قبيلتهم و نسبهم.و عليه،إذا كان أهل الكتاب بعقائدهم المشركه قد انحرفوا عن أهم مبدأ من مبادئ دعوه إبراهيم،فقد بقى رسول الإسلام صلى اللّه عليه و آله و سلّم و المسلمون-بالاستناد إلى هذا المبدأ نفسه و تعميمه على جميع أصول الإسلام و فروعه-من أوفى الأوفياء له،فلا بدّ أن نعترف بأنّ هؤلاء هم الأقربون إلى إبراهيم،لا أولئك.

و فى ختام الآيه يبشر اللّه تعالى الذين يتبعون رساله الأنبياء حقيقه و يقول:

وَ اللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

.

ملاحظه

اشاره

الارتباط الدينى أوثق الروابط:

ترى هذه الآيه أنّ الرابط الوحيد الذى يربط الناس بالأنبياء هو اتّباع مدرستهم و أهدافهم،ليس غير.

لذلك نجد أنّ النصوص المرويه عن أئمه الإسلام تؤكّد هذا الموضوع بصراحه

تامّه.من ذلک أنّه جاء فی تفسیر مجمع البیان و نور الثقلین،نقلا

عن الإمام علیّ علیه السّلام أنّه قال:

«إنّ أولی الناس بالأنبیاء أعملهم بما جاؤوا به-ثمّ تلا الآیه المذکوره ثمّ قال:- إنّ ولیّ محمّد من أطاع اللّه و إن بعدت لحمته،و إنّ عدوّ محمّد من عصی اللّه و إن قربت قرابته».

ص :۵۴۸

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۶۹]

اشاره

وَدَّتْ طائِفَهٌ مِنْ أَهْلِ اَلْکِتابِ لَوْ یُضِلُّونَکُمْ وَ ما یُضِلُّونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما یَشْعُرُونَ (۶۹)

سبب النّزول

یقول بعض المفسّرین إنّ فریقا من الیهود سعوا أن یستمیلوا إلی الیهودیه بعض الشخصیات الإسلامیه المجاهده،«معاذ»و«عمّار»و غیرهما مستعینین بالوساوس الشیطانیه و غیر ذلک.فنزلت هذه الآیه تنذر المسلمین ممّا یبیت لهم الیهود.

التّفسیر

وَدَّتْ طائِفَهٌ (۱) مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ لَوْ یُضِلُّونَکُمْ

(۲)

.

سعی أعداء الإسلام،و علی الأخصّ الیهود،کما جاء فی سبب النزول أن

۱- ۱) -«طائفه»من ماده الطواف.بمعنی الحرکه حول الشیء.و بما أن الناس کانوا فی السابق یسافرون بشکل جماعات لاحراز الأمان أطلقت هذه الکلمه علیها،ثمّ استعملت فی کل فئه و جماعه.

۲- ۲) -«لو»فی جمله(لو یضلّونکم)بمعنی(أن)المصدریه،و بما أن(لو)تعطی معنی التمنی جاءت فی هذه الجمله بدل(أن)لیکون التعبیر أبلغ.

يباعدوا بين المسلمين و الإسلام،و لم يتوانوا فی سبيل ذلک فی بذل کلّ جهد،حتّی أنّهم طمعوا فی إغراء أصحاب رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و سلّم المقرّبين لعلّهم يستطيعون صرفهم عن الإسلام.و لا شکّ أنّهم لو نجحوا فی التأثير علی عدد منهم،أو حتّی علی فرد واحد منهم،لکان ذلک ضربه شديده علی الإسلام تمهّد الطريق لتضليل الآخرين أيضا.

هذه الآيه تکشف خطّه الأعداء،و تنذرهم بالکفّ عن محاولاتهم العقيمه استنادا إلی التربيه التی نشأ عليها هذا الفريق من المسلمين فی مدرسه رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و سلّم بحيث لا يمکن أن يکون هناک أیّ احتمال لارتدادهم.إنّ هؤلاء قد اعتنقوا الإسلام بکلّ وجودهم،و لذلک فإنّهم يعشقون هذه المدرسه الإنسانيه بمجامع قلوبهم و يؤمنون بها.و بناء علی ذلک لا سبيل للأعداء إلی تضليلهم،بل أنّهم إنّما يضلّون أنفسهم.

وَ مٰا يُضِلُّونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا يَشْعُرُونَ

و ذلک لأنّهم بإلقاء الشبهات حول الإسلام و علی رسول الإسلام و اتّهامهما بشتّی التهم،إنّما يربّون فی أنفسهم روح سوء الظن.و بعباره أوضح:إن العيّاب الذی يتصيّد الهفوات يعمی عن رؤيه نقاط القوّه،أو بسبب تعصّبه و عناده يری النقاط المضيئه الإيجابيه نقاطا مظلمه سلبيه، و کلّما ازداد إصرارا علی هذا،إزداد بعدا عن الحقّ.

و لعلّ تعبير وَ مٰا يَشْعُرُونَ إشاره إلی هذه الحاله النفسيه،و هی أنّ الإنسان يقع دون و عی منه تحت تأثير أقواله هو أيضا،و فی الوقت الذی يحاول فيه بالسفسطه و الکذب و الافتراء أن يضلّ الآخرين،لا يکون هو نفسه بمنأی عن التأثير بأکاذيبه،فتروح هذه الاختلافات تؤثّر بالتدريج فی روحه و تتمکّن فيه بعد فتره وجيزه بصوره عقيده راسخه،فيصدّقها و يضلّ نفسه بها.

الآيتان [سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٠ الى ٧١]

اشاره

يٰا أَهْلَ اَلْكِتٰابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيٰاتِ اَللّٰهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يٰا أَهْلَ اَلْكِتٰابِ لِمَ تَلْبِسُونَ اَلْحَقَّ بِالْبٰاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ اَلْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)

التّفسير

اشاره

كتمان الحقّ لما ذا؟

تعقيبا للحديث عن الأعمال التخريبيه لأهل الكتاب الوارده فى الآيه السابقه،توجّه هاتان الآيتان الخطاب لأهل الكتاب و تلومهم على كتمانهم للحقائق و عدم التسليم لها.فتقول:

يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ

(١)

.

السؤال هنا أيضا موجه إلى أهل الكتاب عمّا يدعوهم إلى العناد و اللجاجه

١- ١) -جمله«تشهدون»تعنى العلم و المعرفه وفقا للتفسير أعلاه،كما ورد فى مجمع البيان و غيره-و هذا العلم ناشئ من اطلاعهم على أوصاف النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم الوارده فى التوراه و الإنجيل،و لكن البعض يرى أن المراد بالعلم هنا هو كفايه المعجزات لإثبات نبوه نبى الإسلام.و ذهب آخرون إلى أن المراد تنكرون بها فى الظاهر،و لكن فى جلساتكم الخاصّه تشهدون بصدق دعوه نبى الإسلام صلى اللّه عليه و آله و سلّم و حقانيته.

و الإصرار عليهما بعد أن قرءوا علامات نبی الإسلام فی التوراه و الإنجیل و یعلمون ما فیهما، فلما ذا ینکرونها؟ یٰا أَهْلَ الْکِتٰابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبٰاطِلِ .

مرّه اخری یستنکر القرآن قیامهم بالخلط بین الحقّ و الباطل،و إخفاءهم الحقّ مع علمهم به،فهم علی علمهم بالأمارات الوارده فی التوراه و الإنجیل عن رسول الإسلام صلی اللّه علیه و آله و سلّم یخفونها.

إنّه یوبّخهم أوّلا علی انحرافهم عن طریق الحقّ مع علمهم به،ثمّ یوبّخهم فی الآیه الثانیه علی تضلیلهم الآخرین (۱) .

۱- ۱) -فی تفسیر الآیه ۴۲ من سوره البقره المشابهه لهذه الآیه تحدّثنا عن هذا الموضوع-انظر الجزء الأوّل-.

الآیات [سوره آل عمران (٣): الآیات ٧٢ الی ٧۴]

اشاره

وَ قٰالَتْ طٰائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتٰابِ آمِنُوا بِالَّذِی أُنْزِلَ عَلَى اَلَّذِینَ آمَنُوا وَجْهَ اَلنَّهٰارِ وَ اُكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (٧٢) وَ لاٰ تُؤْمِنُوا إِلاّٰ لِمَنْ تَبِعَ دِینَكُمْ قُلْ إِنَّ اَلْهُدىٰ هُدَى اَللّٰهِ أَنْ یُؤْتىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مٰا أُوتِیتُمْ أَوْ یُحٰاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ اَلْفَضْلَ بِیَدِ اَللّٰهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِیمٌ (٧٣) یَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِیمِ (٧۴)

سبب النّزول

یقول بعض المفسّرین القدامی إنّ اثنی عشر من یهود خیبر و غیرهما وضعوا خطّه ذکیّه لزعزعه إیمان بعض المؤمنین،فتعاهدوا فیما بینهم أن یصبحوا عند رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و یتظاهروا باعتناق الإسلام،ثمّ عند المساء یرتدّون عن إسلامهم،فإذا سئلوا لماذا فعلوا هذا،یقولون:لقد راقبنا أخلاق محمّد عن قرب،ثمّ عند ما رجعنا إلی کتبنا و إلی أحبارنا رأینا أنّ ما رأیناه من صفاته و سلوکه لا یتّفق مع ما هو موجود فی کتبنا،لذلک ارتددنا.إنّ هذا سیحمل بعضهم علی القول بأنّ

هؤلاء قد رجعوا إلى كتبهم السماويه التى هم أعلم منّا بها،إذا لا بدّ أن يكون ما يقولونه صحيحا.و بهذا تتزعزع عقيدتهم.

هناك سبب نزول آخر،إلّا أنّ ما ذكرناه أقرب إلى معنى الآيه.

التّفسير

اشاره

مؤامره خطيره:

تكشف هذه الآيه عن خطّه هدّامه أخرى من خطط اليهود،و تقول إنّ هؤلاء لكى يزلزلوا بنيه الإيمان الإسلامى توسّلوا بكلّ وسيله ممكنه.من ذلك أنّ طائِفَهٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ اتّفقوا أن يؤمنوا بما أنزل على المسلمين فى أوّل النهار و يرتدّوا عنه فى آخره آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ .

لعلّ المقصود من أوّل النهار و آخره قصر المده بين إيمانهم و ارتدادهم،سواء أ كان ذلك فى أوّل النهار حقّا أم فى أىّ وقت آخر. إنّما قصر هذه المدّه يوحى إلى الآخرين أن يظنّوا أنّ هؤلاء كانوا يرون الإسلام شيئا عظيما قبل الدخول فيه، و لكنّهم بعد أن أسلموا وجدوه شيئا آخر قد خيّب آمالهم،فارتدّوا عنه.

لا شكّ أن مثل هذه المؤامره كانت ستؤثّر فى نفوس ضعفاء الإيمان،خاصّه و أنّ أولئك اليهود كانوا من الأحبار العلماء،و كان الجميع يعرفون عنهم أنّهم عالمون بالكتب السماويه و بعلائم خاتم الأنبياء.فإيمانهم ثمّ كفرهم كان قادرا على أن يزلزل إيمان المسلمين الجديد.لذلك كانوا يعتمدون كثيرا على خطّتهم الماهره هذه،و قوله: لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ دليل على أملهم هذا.

و كانت خطّتهم تقتضى أن يكون إيمانهم بالإسلام ظاهريا،و أن يبقى ارتباطهم باتّباع دينهم.

وَ لاٰ تُؤْمِنُوا إِلاّٰ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ

.

و يستفاد من بعض التفاسير أنّ يهود خيبر أوصوا يهود المدينه بذلك لئلاّ يقع القريبون من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم تحت تأثيره فيؤمنوا به حقّا،لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ النبوّه يجب أن تكون فى العنصر اليهودى،فإذا ظهر نبىّ فلا بدّ أن يكون يهوديا.

يرى بعض المفسّرين أنّ جمله لاٰ تُؤْمِنُوا من الإيمان الذى يعنى«الوثوق و الاطمئنان»كما هو أصل الكلمه اللغوى.و بناء على ذلك يكون المعنى:هذه المؤامره يجب أن تبقى مكتومه و سرّيه،و أن لا يعلم بها أحد من غير اليهود،حتّى المشركين،لئلاّ تنكشف و تحبط،ففضح اللّه هذه المؤامره فى هذه الآيات و فضحهم،ليكون ذلك درس عبره للمؤمنين،و درس هدايه للمعاندين.

قُلْ إِنَّ الْهُدىٰ هُدَى اللّٰهِ

.

هذه جمله معترضه جاءت ضمن كلام على لسان اليهود فى ما قبلها و ما بعدها من الآيات.

فى هذه الآيه التى تقع بين كلام اليهود،يردّ اللّه عليهم ردّا قصيرا و لكنه عميق المعنى.فأوّلا:الهدايه مصدرها اللّه،و لا تختصّ بعنصر أو قوم بذاته،فلا ضروره فى أن يجىء النبىّ من اليهود فقط.و ثانيا:إنّ الذين شملهم اللّه بهدايته الواسعه لا تزعزعهم هذه المؤامرات و لا تؤثّر فيهم هذه الخطط.

أَنْ يُؤْتىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مٰا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحٰاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ

(۱)

.

هذه الآيه استمرار لأقوال اليهود،بتقدير عباره و لا تصدقوا قبلها.

و على ذلك يصبح معنى الآيه هكذا:«لا تصدّقوا أن ينال أحد ما نلتم من الفخر و ما نزل عليكم من الكتب السماويه،و كذلك لا تصدّقوا أن يستطيع أحد أن

۱- ۱) -جمله«و لا تؤمنوا»تعنى انكم لا تصدقوا ان ينزل كتاب سماوى على احد كما نزل عليكم.

يجادلكم يوم القيامه أمام اللّه و يدينكم،لأنكم خير عنصر و قوم فى العالم،و أنتم أصحاب النبوّه و العقل و العلم و المنطق و الاستدلال!».

بهذا المنطق الواهى كان اليهود يسعون لنيل ميزه يتميّزون بها،من حيث علاقتهم باللّه،و من حيث العلم و المنطق و الاستدلال،على الأقوام الأخرى.لذلك يردّهم اللّه فى الآيه التاليه بقوله:

قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ

.

أى:قل لهم إنّ المواهب و النعم،سواء أ كانت النبوّه و الاستدلالات العقليه المنطقيه،أم المفاخر الأخرى،هى جميعا من اللّه،يسبغها على من يشاء من المؤهّلين اللائقين الجديرين بها. إنّ أحدا لم يأخذ عليه عهدا و وعدا،و لا لأحد قرابه معه.إنّ جوده و عفوه واسعان،و هو عليم بمن يستحقّهما.

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

(1)

.

هذا توكيد لما سبق أيضا:إنّ اللّه يخصّ من عباده من يراه جديرا برحمته- بما فى ذلك مقام النبوّه و القياده-دون أن يستطيع أحد تحديده فهو صاحب الأفضال و النعم العظيمه.

و يستفاد ضمنا من هذه الآيه الكريمه أن الفضل الإلهى إذا شمل بعض الناس دون بعض،فليس ذلك المحدوديه الفضل الإلهى،بل بسبب تفاوت القابليات فيهم.

خطط قديمه

تعتبر هذه الآيات،فى الواقع،من آيات إعجاز القرآن،لأنّها تكشف أسرار

1- 1) -«فضل»بمعنى كلّ شىء زاد عن المقدار اللازم من المواهب و النعم،و هو معنى إيجابى و ممدوح.و لكن تاره يستبطن معنى مذموما و سلبيا،و ذلك عند ما يأتى بمعنى الخروج عن حدّ الاعتدال.و الميل إلى الإفراط، و يأتى غالبا بصيغه(فضول)جمع(فضل)كما فى قولهم(فضول الكلام).

اليهود و أعداء الإسلام و تفضح خططهم لزعزعه مسلمی الصدر الأوّل،فتيقّظ المسلمون ببركتها،و وعوا وساوس الأعداء المغريه.و لكنّنا لو دقّقنا النظر لأدركنا أنّ تلك الخطط تجری فی عصرنا الحاضر أيضا بطرق مختلفه.إنّ وسائل إعلام الأعداء القويه المتطوّره مستخدمه الآن للغرض نفسه،فهم يحاولون هدم أركان العقيده الإسلاميه فی عقول المسلمين،و بخاصه الجيل الشاب. و هم فی هذا السبيل لا يتورّعون عن كلّ فريه،و يلجأون إلی كلّ السبل و يتلبّسون بلبوس العالم و المستشرق و المؤرّخ و عالم الطبيعيات و الصحفی،بل حتّی الممثّل السينمائی.

إنّهم يصرّحون أنّ هدفهم ليس التبشير بالمسيحيه و حمل المسلمين علی اعتناقها،و لا اعتناق اليهوديه،بل هدفهم هو هدم أسس المعتقدات الإسلاميه فی أفكار الشباب،و جعلهم غير مهتمّين بدينهم و تراثهم.إنّ القرآن اليوم يحذّر المسلمين من هذه الخطط كما حذّرهم فی القديم.

الآیتان [سوره آل عمران (٣): الآیات ٧٥ الی ٧۶]

اشاره

وَ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي اَلْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اَللّهِ اَلْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧۵) بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَ اتَّقى فَإِنَّ اَللّهَ يُحِبُّ اَلْمُتَّقِينَ (٧۶)

سبب النّزول

نزلت هذه الآیه بشأن یهودیّین أحدهما أمین و صادق،و الآخر و خائن منحط.

الأوّل هو«عبد اللّه بن سلام»الذی أودع عنده رجل ١٢٠٠ أوقیه (١) من الذهب أمانه.ثمّ عند ما استعادها ردّها إلیه.و اللّه یثنی علیه فی هذه الآیه لأمانته.

و الیهودیّ الثانی هو«فنحاص بن عازورا»ائتمنه رجل من قریش بدینار،فخانه فیه. و اللّه یذمّه فی هذه الآیه لخیانته الأمانه.

و قیل إنّ القسم الأوّل من الآیه یقصد جمعا من النصاری،و أمّا الذین خانوا

١- ١) -الأوقیه تساوی ١٢/١ من الرطل و یساوی ٧ مثاقیل،جمعها:أواق.

الأمانه فهم جمع من اليهود.و قد تشير الآيه إلى الحالتين،إذ أنّنا نعلم أنّ الآيات -و إن كان لبعضها سبب نزول خاص-لها طابع عامّ و سبب النزول لا يخصّصها.

التّفسير

ترسم الآيه ملامح أخرى لأهل الكتاب.كان جمع من اليهود يعتقدون أنّهم لا يكونون مسئولين عن حفظ أمانات الناس،بل لهم الحقّ فى تملّك أماناتهم!كانوا يقولون:إنّنا أهل الكتاب،و أن النبيّ و الكتاب السماوى نزلا بين ظهرانينا،لذلك فأموال الآخرين غير محترمه عندنا.لقد تغلغلت فيهم هذه الفكره بحيث غدت عقيده دينيه راسخه.و هذا ما يعبّر عنه القرآن بقوله يَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ قال اليهود:إنّ لنا حقّ التصرّف بأموال العرب و اغتصابها لأنّهم مشركون و لا يتّبعون دين موسى.

و قيل أيضا إن اليهود كانت لهم مع العرب اتفاقات اقتصاديه و تجاريه و عند ما أسلم العرب،امتنع اليهود عن ردّ حقوقهم،قائلين:إنكم عند عقد الاتفاق لم تكونوا من مخالفينا.أما و قد أتخذتم دينا جديدا فقد سقط حقّكم.

من الجدير بالذكر أنّ هذه الآيه تعلن أنّ أهل الكتاب لم يكونوا جميعا ينهجون هذا الطراز من التفكير غير الإنسانى،بل كان فيهم جماعه ترى أنّ من واجبها أن تؤدّى حقّ الآخرين.و لذلك فإنّ القرآن لم يدنهم جميعا و لم يلق تبعه أخطاء بعضهم على الجميع،و لذلك يقول وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطٰارٍ (١) يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينٰارٍ لاٰ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاّٰ مٰا دُمْتَ عَلَيْهِ قٰائِماً .

إنّ تعبير إِلاّٰ مٰا دُمْتَ عَلَيْهِ قٰائِماً أى واقفا و مسيطرا،يشير إلى مبدأ أصيل فى

۱- ۱) -بشأن معنى قنطار انظر تفسير الآيه ۱۴ من هذه السوره.

نفسيّه اليهود،فكثير منهم لا ـ يجـدون أنفسـهم ملزمين بردّ حقّ إلاّ بالقوّه.ليس أمام المسـلمين لاسترجاع حقوقهم منهم سوى هـذا السبيل،سبيل السعى للحصول على القوّه التى تجعلهم يردّون حقوقهم.

إنّ الحوادث التى جرت فى الشرق الأوسط خلال السنوات الأخيره أثبتت بما لا يـدع مجالا للشكّ أنّ القرارات الدوليه و الرأى العام العالمى،و قضايا الحقّ و العداله و أمثالها،لا قيمه لها فى نظر الصـهاينه و لا معنى،و ما من شـىء يحملهم على الخضوع للحقّ سوى القوّه.و هذه من المسائل التى تنبّأ بها القرآن.

ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قٰالُوا لَيْسَ عَلَيْنٰا فِی الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ

.

هـذه الآـيه تبيّن منطقهم فى أكـل أموال الناس،و هو قولهم بأنّ«لأهل الكتاب» أفضـليه على«الأمّيين»أى على المشـركين و العرب الـذين كـانوا أمّيّين غالبـا أو أن المقصود كـلّ من ليس له نصـيب من قراءه التوراه و الإنجيـل،لـذلك يحقّ لهم أن يسـتولوا على أموال الآخرين،و ليس لأحد الحقّ أن يؤاخذهم على ذلك،حتّى أنّهم ينسبون إلى اللّه تقرير التفوّق الكاذب.

لا شكّ أنّ هـذا المنطق كان أخطر بكثير من مجرّد خيانه الأمانه،لأنّهم كانوا يرون هـذا حقّا من حقوقهم،فيشـير القرآن إلى هـذا قائلا:

وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ

.

هؤلاـء يعلمون أنّه ليس فى كتبهم السـماويه أىّ شـىء من هـذا القبيـل بحيث يجيز لهم خيانه الناس فى أموالهم،و لكنّهم لتسويغ أعمالهم القبيحه راحوا يختلقون الأكاذيب و ينسبونها إلى اللّه.

الآيه التاليه تنفى مقوله اليهود لَيْسَ عَلَيْنٰا فِی الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ التى قرّروا فيها

لأنفسهم حرّيه العمل،فاستندوا إلى هذا الزعم المزيّف للاعتداء على حقوق الآخرين بدون حقّ.حيث يتلاعبون بمصائر شعوب العالم،و لا يتورّعون عن ارتكاب كلّ اعتداء على حقوق الإنسان،و يرون القوانين مجرّد العوبه بيدهم لتحقيق مصالحهم،فتقول: بَلىٰ مَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ وَ اتَّقىٰ فَإِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ .

تقرر هذه الآيه أنّ مقياس الشخصيه و القيمه الإنسانيه و محبّه اللّه يتمثّل فى الوفاء بالعهد و فى عدم خيانه الأمانه خاصّه،و فى التقوى بشكل عامّ،أجل،إن اللّه يحب هؤلاء،لا الخوانه الكذابين الذين يبيحون لأنفسهم غصب حقوق الآخرين و يتجرءون كذلك على نسبتها إلى اللّه تعالى.

بحث

اشاره

۱-اعتراض:

قد يقول قائل إنّ الإسلام قرّر أيضا مثل هذا الحكم بالنسبه لأموال الأجانب، إذ أنّه يجيز الاستيلاء على أموالهم.

الجواب:

إنّ اتّهام الإسلام بهذا افتراء لا شكّ فيه،إذ أنّ من أحكام الإسلام القاطعه الوارده فى كثير من الأحاديث،هو«ليس من الجائز خيانه الأمانه سواء أ كانت الأمانه تخصّ مسلما أم غير مسلم،و حتّى المشرك و عابد الأصنام».

فى حديث معروف عن الإمام السجاد عليه السّلام قال: «عليكم بأداء الأمانه، فوالذى بعث محمّدا بالحقّ نبيا لو أنّ قاتل أبى الحسين بن على بن أبى طالب ائتمننى على السيف الذى قتله به لأدّيته إليه» (۱) .

۱- ۱) -أمالى الصدوق:ص ۱۴۹.

و فی روایه اخری عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال: «إنّ اللّه لم یبعث نبیّا قط إلاّ بصدق الحدیث و أداء الأمانه مؤدّاه إلی البرّ و الفاجر»

(۱)

.

بناء علی ذلک فإنّ ما جاء فی هذه الآیه عن الیهود و خیانتهم الأمانه و منطقهم فی تسویغ تلک الخیانه لم یسمح به الإسلام بأیّ شکل من الأشکال،فالمسلمون مکلّفون أن لا یخونوا الأمانه فی جمیع الأحوال.

۲-کلمه«بلی»تستعمل فی اللغه العربیه ردّا علی النفی أو جوابا علی استفهام مقترن بالنفی،کقوله تعالی: أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ (۲) و نِعْمَ جوابا للاستفهام المثبت،مثل فَهَلْ وَجَدْتُمْ مٰا وَعَدَ رَبُّکُمْ حَقًّا قٰالُوا نَعَمْ (۳) .

۱- ۱) -مشکاه الأنوار:عن سفینه البحار.

۲- ۲) -الأعراف:۱۷۲.

۳- ۳) -الأعراف:۴۴.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۷۷]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اَللّٰهِ وَ أَيْمٰانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ لاٰ خَلاٰقَ لَهُمْ فِي اَلْآخِرَهِ وَ لاٰ يُكَلِّمُهُمُ اَللّٰهُ وَ لاٰ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ وَ لاٰ يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ (۷۷)

سبب النّزول

جمع من أحبار اليهود و علمائهم مثل«أبى رافع»و«حى بن أخطب»و«كعب بن أشرف»حين لاحظوا أنّ مراكزهم الاجتماعيه بين اليهود معرّضه للخطر، عمدوا إلى العلامات الموجوده فى التوراه بشأن خاتم الأنبياء و التى كانوا هم أنفسهم قد دوّنوها بأيديهم فى نسخ التوراه،فحرّفوها و أقسموا على أنّ تلك الكتابات المحرّفه من اللّه.لذلک نزلت هذه الآيه و فيها إنذار شديد لهم.

و هناك مفسّرون آخرون ذهبوا إلى أنّ هذه الآيه نزلت فى«أشعث بن قيس» الذى كان يريد استملاك أرض لغيره عن طريق الكذب و التزوير.و عند ما تهيّأ لأداء اليمين لتوثيق ادّعائه نزلت الآيه،فاستولى الخوف على أشعث و اعترف بالحقّ و أعاد الأرض لصاحبها.

ص: ۵۶۳

التّفسير

اشاره

المحرفون للحقائق:

تشير الآيه إلى جانب آخر من آثام اليهود و أهل الكتاب.و لكونها وردت بصيغه عامّه،فإنّها تشمل كلّ من تنطبق عليه هذه الصفات.

تقول الآيه: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ وَ أَيْمٰانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أى الذين يجعلون عهودهم مع اللّه و القسم باسمه المقدّس موضع بيع و شراء لقاء مبالغ مادّيه، سيكون جزاءهم خمس عقوبات:

أحدها:أنّهم سوف يحرمون من نعم اللّه التى لا نهايه لها فى الآخره أُولٰئِكَ لاٰ خَلاٰقَ (۱) لَهُمْ .

ثمّ إنّ اللّه يوم القيامه يكلّم المؤمنين و لكنّه لا يكلّم أمثال هؤلاء وَ لاٰ يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ .

كما إنّ اللّه سوف لا ينظر إليهم بنظر الرحمه و اللطف يوم القيامه وَ لاٰ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ .و من ذلك يعلم أن اللّه تعالى فى ذلك اليوم يتكلم مع عباده المؤمنين(سواء مباشره أو بتوسط الملائكه)ممّا يجلب لهم السرور و الفرح و يكون دليلا على عنايته بهم و رعايته لهم،و كذلك النظر إليهم،فهو إشاره إلى العنايه الخاصّه بهم،و ليس المقصود انظر الجسمانى كما توهم بعض الجهلاء.

أمّا الأشخاص الذين باعوا آيات اللّه بثمن مادى فلا يشملهم اللّه تعالى بعنايته،و لا بمحادثته.

و لا يطهّرهم من ذنوبهم وَ لاٰ يُزَكِّيهِمْ .

۱- ۱) -«خلاق»من ماده«خلق»بمعنى النصيب و الفائده.و ذلک لأن الإنسان يحصل عليها بواسطه أخلاقه (و هو إشاره إلى أنهم يفتقدون الأخلاق الحميده التى تؤهلهم للانتفاع فى ذلک اليوم).

و أخيرا سيعذّبهم عذابا شديدا وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ .

و ليس المقصود من«الثمن القليـل»أن الإنسـان إذا باع العهـد الإلهى بثمن كثير فيجوز له ذلك،بل المقصود أى ثمن مادّى يعطى مقابل ارتكاب هذه الذنوب الكبيره،حتّى و إن كان هذا الثمن يتمثّل فى رئاسات كبيره و واسعه،فهى مع ذلك قليله.

بـديهىّ أنّ كلام اللّه ليس نطق اللسان،لأنّ اللّه منزّه عن التجسّـد،إنّما الكلام عن طريق الإلهام القلبى،أو عن طريق إحداث أمواج صوتيه فى الفضاء،كالكلام الذى سمعه موسى عليه السّلام من شجره الطور.

ملاحظه

تجـدر الإشاره هنا إلى أنّ هذه العواقب الخمس المترتّبه على«نقض العهد»و «الأيمان الكاذبه»المذكوره فى هذه الآيه ربّما تكون إشاره إلى مراحل«القرب و البعد»من اللّه.

إنّ من يقترب من اللّه و يـدنو من سـاحه قربه تشـمله مجموعه من النعم الإلهيّه المعنويه،فإذا ازداد اقترابا كلّمه اللّه، و إن دنا أكثر نظر إليه اللّه نظره الرحمه،و إن اقترب أكثر طهّره اللّه من آثـار ذنوبه،و أخيرا ينجو من العـذاب الأـليم و تغمره نعم اللّه،أمّا الـذين يسـيرون فى طريـق نقض العهـود و اسـتغلال اسم اللّه بشـكل غير مشـروع،فيحرمون من كـلّ تلـك النعم و يـتراجعون مرحله بعد مرحله.فى تفسير الآيه ۱۷۴ من سوره البقره،المشابهه لهذه الآيه،شرح أوفى للموضوع.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۷۸]

اشاره

وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ اَلْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ اَلْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اَللّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اَللّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اَللّهِ اَلْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۷۸)

التّفسیر

هذه الآیه التی تؤکّد ما بحثته الآیات السابقه بشأن خیانه بعض علماء أهل الکتاب و تقول:إنّ فریقا من هؤلاء یلوون ألسنتهم عند تلاوتهم الکتاب.و هذا کنایه عن تحریفهم کلام اللّه. و«یلون»من ماده(لیّ)علی وزن حیّ،و هو الإماله، و هو تعبیر بلیغ عن تحریف کلام اللّه،و کأنهم حین تلاوتهم للتوراه و عند ما یصلون إلی الآیات التی فیها صفات رسول اللّه و البشاره بظهوره یغیّرون لحن کلامهم.

و تضیف:إنّهم فی تحریفهم هذا من المهاره بحیث إنّکم تحسبون ما یقرءونه آیات أنزلها اللّه،و هو لیس کذلک لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ .

و لکنّهم لا یقنعون بذلک،بل یشهدون علانیه بأنّه من کتاب اللّه،و هو لیس کذلک وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ .

ص: ۵۶۶

مرّه أخرى يقول القرآن:إنّهم فى عملهم هذا ليسوا ضحيه خطأ،بل هم يكذبون على اللّه بوعى و بتقصّد،و ينسبون إليه هذه التهم الكبيره و هم عالمون بما يفعلون وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ .

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۷۹ الی ۸۰]

اشاره

مٰا کٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ یُؤْتِیَهُ اَللّٰهُ اَلْکِتٰابَ وَ اَلْحُکْمَ وَ اَلنُّبُوَّهَ ثُمَّ یَقُولَ لِلنّٰاسِ کُونُوا عِبٰاداً لِی مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ لٰکِنْ کُونُوا رَبّٰانِیِّینَ بِمٰا کُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ اَلْکِتٰابَ وَ بِمٰا کُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (۷۹) وَ لاٰ یَأْمُرَکُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا اَلْمَلاٰئِکَهَ وَ اَلنَّبِیِّینَ أَرْبٰاباً أَ یَأْمُرُکُمْ بِالْکُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۸۰)

سبب النّزول

فی سبب نزول هذه الآیه روایتان:

الأولی-أنّ رجلا قال:یا رسول اللّه نحن نسلّم علیک کما یسلّم بعضنا علی بعض،ألا نسجد لک؟ قال:لا ینبغی أن یسجد لأحد من دون اللّه،و لکن أکرموا نبیّکم و اعرفوا الحقّ لأهله،فأنزل اللّه الآیه.

الثانیه-أنّ أبا رافع من الیهود و معه رئیس وفد نجران قالا للنبیّ:أ ترید أن نعبدک و نتّخذک إلها؟

ص :۵۶۸

(و لعلّهم ظنّوا أن مخالفه الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم لالوهيه المسيح عليه السّلام لأنه ليس له نصيب من ذلك،فلو أنهم رفعوا منزلته إلى مستوى الإله كما هو الحال بالنسبه إلى المسيح عليه السّلام لترك الخلاف معهم،و لعلّ هذا الاقتراح يستبطن مؤامره دبّرت لتلويث سمعه النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم و دفع الأنظار عنه)و لكن

النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم قال: معاذ اللّه أن أعبد غير اللّه أو آمر بعباده غير اللّه،ما بذلك بعثنى،و لا بذلك أمرنى،فأنزل اللّه الآيه.

التّفسير

اشاره

الدعوه إلى عباده غير اللّه مستحيله:

سبق أن قلنا إنّ واحده من عادات أهل الكتاب القبيحه-اليهود و النصارى- كانت تزييف الحقائق.من ذلك قولهم بألوهيه عيسى،زاعمين أنّه هو الذى أمرهم بذلك،و كان هذا ما يريد بعضهم أن يحقّقه بشأن رسول الإسلام أيضا،للأسباب التى ذكرناها فى نزول الآيه.

إنّ الآيه ردّ حاسم على جميع الذين كانوا يقترحون عباده الأنبياء.تقول الآيه:ليس لكم أن تعبدوا نبىّ الإسلام و لا أىّ نبى آخر و لا الملائكه.و يخطئ من يقول إنّ عيسى قد دعاهم إلى عبادته.

مٰا كٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللّٰهُ الْكِتٰابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنّٰاسِ كُونُوا عِبٰاداً لِي مِنْ دُونِ اللّٰهِ

.

الآيه تنفى نفيا مطلقا هذا الأمر.أى أنّ الذين أرسلهم اللّه و أتاهم العلم و الحكمه لا يمكن-فى أيّه مرحله من المراحل-أن يتعدّوا حدود العبوديه للّه. بل إنّ رسل اللّه هم أسرع خضوعا له من سائر الناس،لذلك فهم لا يمكن أن يخرجوا عن طريق العبوديه و التوحيد و يجرّوا الناس إلى هوه الشرك.

وَ لٰكِنْ كُونُوا رَبّٰانِيِّينَ بِمٰا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتٰابَ وَ بِمٰا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ

.

«الربّانی»هو الـذی أحكم ارتباطه باللّه.و لمّا كانت الكلمه مشتقّه من«ربّ» فهی تطلق أيضا على من يقوم بتربيه الآخرين و تـدبير أمورهم و إصلاحهم.

و على هـذا يكون المراد من هـذه الآيه:إنّ هـذا العمل(دعوه الأنبياء الناس إلى عبادتهم)لا يليق بهم،إنّ ما يليق بهم هو أن يجعلوا الناس علماء إلهيّين فی ضوء تعليم آيات اللّه و تـدريس حقائق الـدين،و يصيّروا منهم أفرادا لا يعبـدون غير اللّه و لا يـدعون إلاّ إلى العلم و المعرفه.

يتّضـح من ذلـك أنّ هـدف الأنبيـاء لم يكن تربيه النـاس فحسب،بـل اسـتهدفوا أكثر من ذلـك تربيه المعلّمين و المرّبين و قـاده الجماعه،أی تربيه أفراد يستطيع كلّ منهم أن يضیء بعلمه و إيمانه و معرفته محيطا واسعا من حوله.

تبـدأ الآيه بـذكر«التعليـم»أوّلا ـ ثـمّ«التـدريس».تختلـف الكلمتـان مـن حيـث اتّسـاع المعنى،فـالتعليم أوسـع و يشـمل كـلّ أنـواع التعليم،بالقول و بالعمل،للمتعلّمين و للأمّيّين.أمّا التدريس فيكون من خلال الكتابه و النظر إلى الكتاب،فهو أخصّ و التعليم أعمّ.

وَ لاٰ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاٰئِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْبٰاباً

.

هـذه تكلمه لمـا بحث فی الآيه السـابقه،فكمـا أنّ الأنبيـاء لاـ يـدعون النـاس إلى عبادتهم،فإنّهم كـذلك لا يـدعونهم إلى عباده الملائكه و سـائر الأنبياء.و فی هـذا جواب لمشـركی العرب الـذين كانوا يعتقـدون أنّ الملائكه هم بنات اللّه،و بـذلك يسـبغون عليهم نوعا من الالوهيه،و مع ذلك كانوا يعتبرون أنفسـهم من أتباع دين إبراهيم.كـذلك هو جواب للصابئه الـذين يقولون إنّهم أتباع«يحيى»،و كانوا يرفعون مقام الملائكه إلى حدّ عبادتهم.و هو أيضا ردّ على اليهود الذين قالوا إنّ«عزيرا»

ابن اللّه،أو النصارى الذين قالوا إن«المسيح»ابن اللّه،و أضفوا عليه طابعا من الربوبيه،فالآيه تردّ هؤلاء جميعا و تقول إنّه لا يليق بالأنبياء أن يدعو الناس إلى عباده غير اللّه.

و فى الختام تقول الآيه أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .أ يمكن أن يدعوكم النبىّ إلى الكفر بعد أن اخترتم الإسلام دينا؟ واضح أنّ«الإسلام»هنا يقصد به معناه الأوسع،كما هى الحال فى مواضع كثيره من القرآن،و هو التسليم لأمر اللّه و الإيمان و التوحيد.أى كيف يمكن لنبىّ أن يدعو الناس أوّلا إلى الإيمان و التوحيد،ثمّ يدلّهم على طريق الشرك؟أو كيف يمكن لنبىّ أن يهدم ما بناه الأنبياء فى دعوتهم الناس إلى الإسلام.فيدعوهم إلى الكفر و الشرك؟ تنوّه الآيه ضمنيّا بعصمه الأنبياء و عدم انحرافهم عن مسير إطاعه اللّه (۱) .

ملاحظه

اشاره

منع عباده البشر:

تدين هذه الآيات بصراحه كلّ عباده،و خاصّه عباده البشر،سوى عباده اللّه، و تربّى فى الإنسان روح الحرّيه و استقلال الشخصيه،تلك الروح التى لا يكون بدونها جديرا بحمل اسم إنسان.

نعرف من خلال التاريخ العديد من الأشخاص الذين كانوا،قبل الوصول إلى السلطه،يتميّزون بالبراءه و يدعون الناس إلى الحقّ و العداله و الحرّيه و الإيمان.

---

۱ – ۱) -فى القراءه المعروفه التى اعتمدتها طبعه القرآن السائده،تأتى«و لا يأمركم»فى حاله نصب-بفتح الراء- و هى معطوفه على«أى يؤتيه اللّه»فى الآيه السابقه.و«لا»توكيد ل«ما»النافيه فى الآيه السابقه.و عليه تكون الآيه بهذا المعنى:و ما كان لبشر أن يأمركم أن تتّخذوا الملائكه و النبيّين أربابا.

و لكنّهم ما أن صعدوا عروش السلطه و الهيمنه على المجتمع غيّروا سيرتهم شيئا فشيئا و انحازوا إلى فكره عباده الشخصيه و دعوا الناس إلى عبادتهم.

فى الواقع،أنّ من أساليب تمييز«دعاه الحقّ»عن«دعاه الباطل»هو هذا.

فدعاه الحقّ-و على رأسهم الأنبياء و الأئمّه-كانوا و هم فى قمّه السلطه،كما كانوا قبل أن تكون لهم أيّه سلطه،يدعون إلى الأهداف الدينيه المقدّسه و الإنسانيه و التوحيد و الحرّيه.أمّا دعاه الباطل،فإنّ أوّل ما يبادرون إليه عند وصولهم السلطه هو الدعوه لأنفسهم و حثّ الناس على نوع من عبادتهم،نتيجه تملّق الناس الضعفاء المحيطين بهم،و كذلك نتيجه ضيق أفقهم و غرورهم.

هناك حديث عن الإمام على عليه السّلام تظهر من خلاله شخصيّته الكبيره الفذّه، و يعتبر دليلا و شاهدا على هذا البحث.

عند وصول الإمام عليه السّلام إلى أرض الأنبار-إحدى مدن العراق الحدوديه-خرّ جمع من الدهّاقين ساجدين أمامه،بحسب التقاليد التى اعتادوا عليها،فغضب الإمام من فعلتهم هذه و صرخ فيهم:

«ما هذا الذى صنعتموه؟فقالوا:خلق منّا نعظّم به أمراءنا.فقال:و اللّه ما ينتفع بهذا أمراؤكم،و أنّكم لتشقّون على أنفسكم فى دنياكم و تشقّون به فى آخرتكم،و ما أخسر المشقّه وراءها العقاب،و أربح الدعه معها الأمان من النار».

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۸۱ الی ۸۲]

اشاره

وَ إِذْ أَخَذَ اَللّٰهُ مِیثٰاقَ اَلنَّبِیِّینَ لَمٰا آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتٰابٍ وَ حِکْمَهٍ ثُمَّ جٰاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قٰالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلیٰ ذٰلِکُمْ إِصْرِی قٰالُوا أَقْرَرْنٰا قٰالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَکُمْ مِنَ اَلشّٰاهِدِینَ (۸۱) فَمَنْ تَوَلّٰی بَعْدَ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْفٰاسِقُونَ (۸۲)

التّفسیر

اشاره

المیثاق المقدس:

بعـد أن أشارت الآیات السابقه الی وجود علائم لنبیّ الإسـلام فی کتب الأنبیاء السابقین،أشارت هذه الآیه إلی مبدأ عام،و هو أنّ الأنبیـاء السـابقین و أتبـاعهم قـد أبرموا مع اللّه میثاقا بالتسـلیم للأنبیاء الـذین یأتون بعـدهم،و بالإضافه إلی الإیمان بهم،لا یبخلون علیهم بشیء فی مساعدتهم علی تحقیق أهدافهم.تقول الآیه:

وَ إِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِیثٰاقَ النَّبِیِّینَ...

.

فی الواقع،مثلما أنّ الأنبیاء و الأمم التالیه تحترم الأنبیاء السابقین و دیاناتهم،

ص: ۵۷۳

فإنّ الأنبياء السابقين و الأمم السابقه كانوا يحترمون الأنبياء الذين يأتون بعدهم.

و فى القرآن إشارات كثيره على وحده الهدف عند أنبياء اللّه.و هذه الآيه نموذج حىّ على ذلك.

و«الميثاق»من«الوثوق»،أى ما يدعو إلى الاطمئنان به و الاعتماد عليه.و «الميثاق»هو الاتّفاق المؤكّد.و أخذ الميثاق من الأنبياء مصحوب بأخذ الميثاق من أتباعهم أيضا.كان موضوع هذا الميثاق هو أنّه إذا جاء نبىّ تنسجم دعوته مع دعوتهم(و هذا ما يثبت صدق دعوته)فيجب الإيمان به و نصرته.

ثمّ لتوكيد هذا الموضوع جاءت الآيه:

قٰالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِى

(۱)

.

هل اعترفتم بهذا الميثاق و قبلتم عهدى و أخذتم من أتباعكم عهدا بهذا الموضوع؟ و جوابا على ذلك قٰالُوا أَقْرَرْنٰا .

ثمّ لتوكيد هذا الأمر المهمّ و تثبيته يقول اللّه:كونوا شهداء على هذا الأمر و أنا شاهد عليكم و على أتباعكم قٰالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّٰاهِدِينَ .

و فى الآيه الأخيره يذم و يهدد القرآن الكريم ناقضى العهود و يقول:

فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ

.

فلو أن أحدا بعد كلّ هذا التأكيد على أخذ المواثيق و العهود المؤكّده-أعرض عن الإيمان بنبىّ كنبىّ الإسلام الذى بشرت به الكتب القديمه و ذكرت علائمه،فهو فاسق و خارج على أمر اللّه تعالى.و نعلم أن اللّه لا يهدى الفاسقين المعاندين،كما

۱- ۱) -الإصر:العهد المؤكّد الذى يستوجب نقضه العقاب الشديد.

مرّ فی الآیه ۸۰ من سوره التوبه: وَ اللّهُ لاٰ یَهْدِی الْقَوْمَ الْفٰاسِقِینَ ،و من لا یکون له نصیب من الهدایه الإلهیّه،فإن مصیره إلی النار.

هنا ثلاث نقاط لا بدّ أن ننتبه لها:

۱-هل هذه الآیه مقصوره علی بشاره الأنبیاء السابقین و میثاقهم بالنسبه لنبیّ الإسلام صلی اللّه علیه و آله و سلّم،أم أنّها تشمل کلّ نبیّ یبعث بعد نبیّ قبله؟ یظهر من الآیه أنّها تعبّر عن مسأله عامّه،و إن کان خاتم الأنبیاء مصداقها البارز.کما أنّ هذا المعنی الواسع یتّسق مع روح مفاهیم القرآن.لذلک إذا ما رأینا فی بعض الأخبار أنّ المقصود هو نبیّ الإسلام الکریم،فما ذلک إلاّ من قبیل تفسیر الآیه و تطبیقها علی أجلی مصادیقها،و لیس لأنّ المعنی جاء علی سبیل الحصر.

ینقل الفخر الرازی فی تفسیره عن الإمام علی علیه السّلام قال: «إنّ اللّه تعالی ما بعث آدم علیه السّلام و من بعده من الأنبیاء علیهم الصلاه و السلام إلاّ أخذ علیهم العهد لئن بعث محمّد علیه الصلاه و السلام و هو حی،لیؤمننّ به و لینصرنّه» (۱) .

۲-بعد أخذ مضمون الآیه بنظر الإعتبار،یبرز هذا السؤال:أ یمکن أن یظهر نبیّ من أولی العزم فی زمان نبیّ آخر من أولی العزم حتّی یتبعه؟ یمکن القول فی جواب هذا السؤال:إنّ المیثاق لم یؤخذ من الأنبیاء وحدهم،بل و من أتباعهم أیضا،کما قلنا فی تفسیر الآیه،و الواقع أنّ القصد من أخذ المیثاق من الأنبیاء و أخذه من أممهم و الأجیال التی تولد بعدهم و تدرک عصر النبیّ التالی.کما أنّ الأنبیاء أنفسهم یؤمنون أیضا إذا أدرکوا-فرضا- عهد الأنبیاء التالین.أی أنّ أنبیاء اللّه لا ینفصلون إطلاقا فی أهدافهم و فی دعوتهم و لا صراع أو خلاف بینهم.

۱- ۱) -التفسیر الکبیر:ج ۸ ص ۱۲۳.

۳-و القول الأخير بشأن هذه الآيه هو أنّها و إن تكن بخصوص الأنبياء،فهى تصدق طبعا بحقّ خلفائهم أيضا،إذ أنّ خلفائهم الصادقين لا ينفكّون عنهم،و هم جميعا يسعون لتحقيق هدف واحد.و لذلك كان الأنبياء يعيّنون خلفائهم،و يبشّرون الناس بهم و يدعونهم إلى الإيمان بهم و شدّ أزرهم.

و لئن وجدنا بعض الروايات الوارده فى تفاسيرنا لهذه الآيه و كتب أحاديثنا بشأن نزول عباره«و لتنصرنّه»فى على عليه السّلام و أنها تشمل قضيه الولايه،إنّما هو إشاره إلى هذا المعنى.

و لا بدّ أن نشير إلى أنّ هذه الآيه-من حيث تركيبها النحوى-كانت موضع بحث بين المفسّرين و رجال الأدب (۱) .

۴-التعصّب المقيت يحدّثنا التاريخ أنّ أتباع دين من الأديان لا يتخلّون بسهوله عن دينهم و لا يستسلمون للأنبياء الجدد المبعوثين من قبل اللّه،بل يتمسّكون بدينهم القديم تمسّكا جافّا جامدا،و يدافعون عنه كأنّه جزء من وجودهم،و يرون تركه إباده لقوميّتهم.

لذلك يشقّ عليهم القبول بالدين الجديد.إنّ منشأ الكثير من الحروب الدينيه التى وقعت على امتداد التاريخ-و هى من أفظع حوادث التاريخ-هو هذا التعصّب الجاف و الجمود على الأديان القديمه.

غير أنّ قانون الارتقاء و التكامل يقول:هذه الأديان يجب أن تأتى الواحد تلو الآخر،و تتقدّم بالبشريه فى سيرها نحو معرفه اللّه و الحقّ و العداله و الإيمان و الأخلاق و الإنسانيه و الفضيله،حتّى تصل إلى الدين النهائى،خاتم الأديان،

۱- ۱) -فى«لما آتيتكم»يعتبر بعضهم«ما»موصوله و مبتدأ،و اللام موطئه للقسم،و جمله«لتؤمننّ به»خبر. و قال فريق آخر«ما»شرطيه زمانيه و جزاؤها«لتؤمننّ به و لتنصرنّه».و هذا الاحتمال الثانى أقرب إلى معنى الآيه.

كالطفل الذى يتدرّج فى مراحل الدراسه و يطويها الواحده بعد الأخرى حتّى يتخرّج من الكليّه و الجامعه.

فإذا أحبّ التلاميذ جوّ مدرستهم الابتدائيه ذلك الحبّ الذى يربطهم بمدرستهم إلى درجه أنّهم يرفضون الانتقال إلى المدرسه الثانويه،فبديهىّ أنّ لا يكون نصيب هؤلاء سوى التخلّف عن ركب السائرين نحو التقدّم و الارتقاء.

إنّ إصرار الآيه على أخذ الميثاق و العهد المؤكّد من الأنبياء و الأمم الماضيه نحو الأنبياء التالين لهم قد يكون من أجل اجتناب أمثال هذا التعصّب و الجمود و العناد.

و لكنّ الذى يؤسف له أنّنا-بعد كلّ هذا التأكيد-ما زلنا نرى أتباع الأديان القديمه لا يسلّمون بسهوله أمام الحقائق الجديده.سوف نشرح إن شاء اللّه فى تفسير الآيه ۴۰ من سوره الأحزاب كيف يكون الإسلام آخر الأديان و خاتمها و لماذا؟

ص: ۵۷۷

الآيات [سوره آل عمران (۳): الآيات ۸۳ الی ۸۵]

اشاره

أَ فَغَيْرَ دِينِ اَللّٰهِ يَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (۸۳) قُلْ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ عَلَيْنٰا وَ مٰا أُنْزِلَ عَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْبٰاطِ وَ مٰا أُوتِىَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ وَ اَلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۸۴) وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ اَلْإِسْلاٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى اَلْآخِرَهِ مِنَ اَلْخٰاسِرِينَ (۸۵)

التّفسير

اشاره

الإسلام أفضل الأديان الإلهيّه:

مرّت بنا حتّى الآن بحوث مسهبه فى الآيات السابقه عن الأديان الماضيه.

و ابتداء من هذه الآيه يدور البحث حول الإسلام و فيها إلفات لأنظار أهل الكتاب و أتباع الأديان السابقه إلى الإسلام.

تبدأ الآيه بالتساؤل: أَ فَغَيْرَ دِينِ اللّٰهِ يَبْغُونَ أ يريد هؤلاء دينا غير دين اللّه؟

ص :۵۷۸

و ما دين اللّه سوى التسليم للشرائع الإلهيه،هى كلّها قد جمعت بصورتها الكامله الشامله فى دين نبىّ الإسلام صلى اللّه عليه و آله و سلّم.فإذا كان هؤلاء يبحثون عن الدين الحقيقى فعليهم أن يسلموا.

وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ

.

يبدأ القرآن بتفسير الإسلام بمعناه الأوسع،فيقول:كلّ من فى السماوات و الأرض،أو جميع الكائنات فى السماوات و الأرض،مسلمون خاضعون لأوامره طَوْعاً وَ كَرْهاً .هذا الاستسلام و الخضوع يكون«طوعا»أو اختياريا أحيانا،إزاء «القوانين التشريعيه»،و يكون«كرها»أو إجباريا أحيانا أخرى،إزاء«القوانين التكوينيه».

و لتوضيح ذلك نقول:إنّ للّه نوعين من الأمر فى عالم الوجود.فبعض أوامره يكون بشكل(قوانين طبيعيه و ما وراء طبيعيه)تحكم على مختلف كائنات هذا العالم،فهى خاضعه لها خضوع إكراه و ليس لها أن تخالفها لحظه واحده،فإن فعلت -فرضا-يكتب لها الفناء و الزوال.هذا نوع من«الإسلام و التسليم»أمام أمر اللّه.

و بناء على هذا فإنّ أشعه الشمس التى تسطع على البحار،و بخار الماء الذى يتصاعد منها،و قطع السحاب التى تتواصل،و قطرات المطر التى تنزل من السماء و النباتات التى تنمو بها،و الزهور التى تتفتح لها،جميعها مسلّمه،لأنّ كلاّ منها قد أسلم للقوانين التى فرضها عليها قانون الخليقه.

و النوع الآخر من أوامر اللّه هى«الأوامر التشريعيه»و هى القوانين التى ترد فى الشرائع السماويه و تعاليم الأنبياء.إنّ التسليم أمامها تسليم«طوعى»أو اختيارى.فالمؤمنون الذين يسلمون لها إنّما هم وحدهم المسلمون.إنّ مخالفه هذه القوانين و الشرائع لا تقلّ-على كلّ حال-عن مخالفه القوانين التكوينيه،لأنّ مخالفتها تبعث على الانحطاط و التخلّف و العدم.

و لمّا كانت«أسلم»مستعمله فى هذه الآيه بالمعنى الأوسع للإسلام،أى المعنى الذى يشمل النوعين من أوامر اللّه،لذلك فهى تقول إنّ فريقا يسلم طوعا -كالمؤمنين-و فريقا يسلم كرها-كالكافرين-أمام القوانين التكوينيه.و هكذا نجد أنّ الكافرين الذين يمتنعون عن التسليم أمام بعض أوامر اللّه مجبرين على التسليم أمام بعض آخر من أوامر اللّه.فلما ذا إذا لا يسلمون لجميع قوانين اللّه و دين الحقّ؟ هناك احتمال آخر فى تفسير هذه الآيه ذكره كثير من المفسّرين،و إن لم يتعارض مع ما قلناه آنفا،و هو:أنّ المؤمنين و هم فى حال من الرفاه و الهدوء يسيرون نحو اللّه بملء اختيارهم.أمّا غير المؤمنين فلا يسيرون نحو اللّه إلّا عند ما تحيق بهم البلايا و المشكلات التى لا تطاق،فيدعونه و يتوسّلون إليه،فمع أنّهم فى الظروف العاديه يشركون به،فإنّهم فى الشدائد و الملمّات لا يتوجّهون إلّا إليه.

و يتضح ممّا تقدّم أن«من»فى جمله مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ تشمل الموجودات العاقله و غير العاقله،فبالرغم من كونها تستعمل عاده للعقلاء،إلّا أنها قد تكون عامّه للتغليب.و«طوعا»إشاره إلى الموجودات العاقله المؤمنه،و «كرها»إشاره إلى الكفّار و غير العقلاء.

قُلْ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ عَلَيْنٰا...

.

فى هذه الآيه يأمر اللّه النبىّ و المسلمين بأنّهم،فضلا عن إيمانهم بما أنزل على رسول الإسلام،عليهم أن يظهروا إيمانهم بكلّ الآيات و التعليمات التى نزلت على الأنبياء السابقين،و أن يقولوا:إنّنا لا نفرّق بينهم من حيث صدقهم و علاقتهم باللّه.

إنّنا نعترف بالجميع،فهم جميعا كانوا قاده إلهيّين،و هم جميعا بعثوا لهدايه الناس.

إنّا نسلم بأمر اللّه من جميع النواحى،و بذلك نقطع أيدى المفرّقين.

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ

.

«يبتغ»من«الابتغاء»بمعنى الطلب و السعى،و يكون فى الأمور المحموده و فى الأمور المذمومه.هنا يختتم البحث المذكور باستنتاج نتيجه كلّيه،و هى أنّ الدين الحقيقى هو الإسلام،أى التسليم لأمر اللّه بمعناه العام،و أمّا بمفهومه الخاصّ فهو الانتقال إلى الدين الإسلامى الذى هو أكمل الأديان،فتقول الآيه:أنّه لا يقبل من أحد سوى الإسلام مع الأخذ بنظر الإعتبار احترام سائر الشرايع الإلهيّه المقدسه.فكما أن طلاّب الجامعه فى نفس الوقت الذى يحترمون فيه الكتب الدراسيه للمراحل السابقه من الابتدائيه و المتوسطه و الإعداديه،فإنه لا يقبل منهم سوى دراسه الكتب و الدروس المقرره للمرحله النهائيه،فكذلك الإسلام.و أمّا الذين يتّخذون غير هذه الحقيقه دينا،فلن يقبل منهم هذا أبدا،و لهم على ذلك عقاب شديد وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ ذلك لأنّه تاجر بثروه وجوده مقابل بضع خرافات و تقاليد باليه،و عصبيّات جاهليه و عنصريه،و لا شكّ أنّه هو الخاسر فى هذه الصفقه.و إذا ما خسر الإنسان ثروه وجوده،وجد نتيجه ذلك حرمانا و عذابا و عقابا يوم القيامه.

و ذكر بعض المفسّرين أن هذه الآيه نزلت فى اثنى عشر من المنافقين الذين أظهروا الإيمان،ثمّ ارتدوا،و خرجوا من المدينه إلى مكّه،فنزلت الآيه و أنذرتهم بأنه من اعتنق غير الإسلام فهو من الخاسرين.

و فى الدرّ المنثور فى قوله تعالى: وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاٰمِ دِيناً الآيه

أخرج أحمد و الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريره قال:قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم: تجىء الأعمال يوم القيامه فتجىء الصلاه فتقول:يا ربّ أنا الصلاه فيقول:إنّك على خير،و تجىء الصدقه فتقول يا ربّ أنا الصدقه فيقول:إنّك على خير،ثمّ يجىء الصيام فيقول:أنا الصيام فيقول:إنّك على خير،ثمّ تجىء الأعمال كلّ ذلك يقول

اللّه:إنّک علی خیر،ثمّ یجیء الإسلام فیقول:یا رب أنت السلام و أنا الإسلام فیقول اللّه:إنّک علی خیر،بک الیوم آخذ،و بک أعطی.قال اللّه فی کتابه: وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلاٰمِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِی الْآخِرَهِ مِنَ الْخٰاسِرِینَ (۱) .

فیما یتعلّق باختلاف«الإسلام»عن«الایمان»سوف یأتی شرحه فی تفسیر الآیه ۱۴ من سوره الحجرات إن شاء اللّه.

ص :۵۸۲

۱- ۱) -تفسیر الدر المنثور:ج ۲ ص ۴۸،نقلا عن معجم الأوسط:ج ۸ ص ۲۹۶ حدیث ۷۶۰۷.

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۸۶ الی ۸۹]

اشاره

کَیْفَ یَهْدِی اَللّٰهُ قَوْماً کَفَرُوا بَعْدَ إِیمٰانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ اَلرَّسُولَ حَقٌّ وَ جٰاءَهُمُ اَلْبَیِّنٰاتُ وَ اَللّٰهُ لاٰ یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِینَ (۸۶) أُولٰئِکَ جَزٰاؤُهُمْ أَنَّ عَلَیْهِمْ لَعْنَةَ اَللّٰهِ وَ اَلْمَلاٰئِکَةِ وَ اَلنّٰاسِ أَجْمَعِینَ (۸۷) خٰالِدِینَ فِیهٰا لاٰ یُخَفَّفُ عَنْهُمُ اَلْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ یُنْظَرُونَ (۸۸) إِلاَّ اَلَّذِینَ تٰابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۸۹)

سبب النّزول

کان«الحارث بن سوید»من الأنصار،ارتکب قتل شخص بریء اسمه «المجذر بن زیاد»،فارتدّ عن الإسلام خوفا من العقاب،و فرّ من المدینه إلی مکّه.و لکنّه فی مکّه ندم علی فعلته،و راح یفکّر فیما یصنعه.و أخیرا استقرّ رأیه علی أن یبعث بأحد أقاربه فی المدینه یسأل رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم عمّا إذا کان له سبیل للرجوع.فنزلت هذه الآیات،تعلن قبول توبته بشروط خاصّه.فمثل الحارث بن سوید بین یدی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و جدّد إسلامه،و ظلّ ملتزما وفیّا لإسلامه حتّی

آخر رمق فيه.غير أنّ أحد عشر شخصا ممّن ارتدّوا عن الإسلام معه بقوا مرتدّين (۱) .

فی تفسير الدرّ المنثور و فی تفاسیر أخرى،سبب نزول للآيات المذكوره لا يختلف كثيرا عمّا أوردناه.

التّفسير

اشاره

كان الكلام فی الآيات السابقه عن أن الدين الوحيد المقبول عند اللّه هو الإسلام،و فی هذه الآيات يدور الحديث حول من قبلوا الإسلام ثمّ رفضوه و تركوه،و يسمى مثل هذا الشخص«مرتد»تقول الآيه:

كَيْفَ يَهْدِی اللّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ

.

فالآيه تقول:إنّ اللّه لا يعين أمثال هؤلاء الأشخاص على الاهتداء،لماذا؟ لأن هؤلاء قد عرفوا النبیّ بدلائل واضحه و قبلوا رسالته،فبعدولهم عن الإسلام أصبحوا من الظالمين و الشخص الذی يظلم عن علم و اطلاع مسبق غير لائق للهدايه الإلهيّه: وَ اللّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِينَ .

المراد من«البينات»فی هذه الآيه القرآن الكريم و سائر معاجز النبی الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم، و المراد من«الظالم»هو من يظلم نفسه بالمرتبه الأولى.و يرتد عن الإسلام و فی المرتبه الثانيه يكون سببا فی إضلال الآخرين. ثمّ تضيف الآيه:

أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَهَ اللّهِ وَ الْمَلائِكَهِ وَ النّاسِ أَجْمَعِينَ

.

عقاب أمثال هؤلاء الأشخاص الذين يعدلون عن الحقّ بعد معرفتهم له،كما هو مبيّن فی الآيه،أن تلعنهم الملائكه و أن يلعنهم الناس.

۱- ۱) -مجمع البيان:ج ۱ و ۲ ص ۴۷۱.

«اللعن»فى الأصل الطرد و الإبعاد على سبيل السخط،من هنا فلعن اللّه هو إبعاد الشخص عن رحمته،أمّا لعن الملائكه و الناس فقد يكون السخط و الطرد المعنوى،و قد يكون الطلب من اللّه تعالى بابعادهم عن رحمته.هؤلاء الأشخاص يكونون فى الواقع غارقين فى الفساد و الإثم إلى درجه أنّهم يصبحون مورد استنكار كلّ عاقل هادف فى العالم،من البشر كان أم من الملائكه.

خٰالِدِينَ فِيهٰا لاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ

.

تضيف الآيه هنا أنّهم فضلا عن كونهم موضع لعن عام،فإنّهم سيبقون فى هذا اللعن إلى الأبد،فهم فى الواقع كالشيطان الخالد فى اللعن الأبدى.

و لا شكّ أنّ نتيجه ذلك هو أن يكونوا فى عذاب شديد و دائم بغير تخفيف و لا إمهال.

و فى آخر آيه تفتح طريق العوده أمام هؤلاء الأفراد،و تدعوهم للتوبه،لأن هدف القرآن هو الإصلاح و التربيه،و من أهم الطرق لذلك هو فتح باب العوده للمذنبين و الملوثين كيما تتاح لهم الفرصه لجبران ما فرط منهم،فتقول:

إِلاَّ الَّذِينَ تٰابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

.

إنّ هذه الآيه مثل الكثير من آيات القرآن،و بعد الإشاره إلى التوبه-تشير إلى التكفير عن الذنوب السابقه و بجمله«و أصلحوا»تبيّن أنّ التوبه لا تعنى مجرّد الندم على ما مضى و العزم على تجنّب ارتكاب الذنوب فى المستقبل،بل شرط قبولها هو أن يمحو التائب بأعماله الصالحه فى المستقبل جميع أعماله القبيحه الماضيه.

لذلك نجد فى كثير من الآيات انّ التوبه يرافقها العمل الصالح،مثل: إِلاّٰ مَنْ تٰابَ (وَ آمَنَ)وَ عَمِلَ صٰالِحاً (۱) و إلاّ فإنّ التوبه لن تكون كامله.فهؤلاء إن فعلوا ذلك نالوا رحمه اللّه و مغفرته فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

۱- ۱) -طه:۸۲.

بل إنه يستفاد من هـذه الآيه أن الذنب عباره عن نقص فى الإيمان،و أنه بعد التوبه يقوم الشخص التائب بتجديد الإيمان ليتطهر من هذا النقص.

هل تقبل توبه المرتد؟

يبدو من الآيه أعلاه و من سبب نزولها أن قبول توبه المرتد(و هو الذى أسلم ثمّ عاد عن إسلامه)يرتبط بنوع الارتداد.فثمّه«المرتدّ الفطرى»و هو المرتـد الـذى ولـد من أبوين مسـلمين،أو انعقـدت نطفته حين كـان أبواه مسـلمين،ثمّ قبـل الإسـلام و عاد عنه بعد ذلك.و هناك«المرتدّ الملّى»و هو الذى لم يولد من أبوين مسلمين.

توبه المرتـدّ الملّى تقبل،و عقوبته فى الواقع خفيفه لأنّه ليس مسـلما بالمولـد، لكن حكم المرتـدّ الفطرى أشد.هـذا المرتـدّ-و إن قبلت تـوبته لـدى اللّه سـبحانه- يحكم بالإعـدام إن ثبت ارتـداده.و تـوزّع أمواله على ورثته المسـلمين،و تنفصـل عنه زوجته،و لا تحول توبته دون إنزال هذه العقوبه بحقّه.

لكن هذه الشدّه تخصّ-كما قلنا-المرتدّ الفطرى،و بشرط أن يكون رجلا.

قد تعجّب بعضهم لهذا التشدّد،و ربّما اعتبر نوعا من الفظاظه القاسيه البعيده عن الرحمه،الأمر الذى لا يتّسق مع روح الإسلام.

غير أنّ لهـذا الحكم فلسـفه أساسا،و هى حفظه الجبهه الـداخليه فى بلاد الإسـلام ضـدّ نفوذ المنافقين و الأجانب،و للحيلوله دون تفكّكها و اضـمحلالها إنّ الارتداد ضرب من التمرّد على نظام البلد الإسلامى،و حكمه الإعدام فى أنظمه الكثير من قوانين العالم اليوم.إذ لو أجيز لمن يشاء أن يعتنق الإسـلام متى شاء و أن يرتدّ عنه متى شاء،لتحطّمت الجبهه الداخليه سريعا،و لانفتحت أبواب البلد أمام الأعداء و عملائهم،و لساد المجتمع الإسلامى الهرج و المرج.و بناء على ذلك فإنّ هذا

الحکم حکم سیاسی فی الواقع،و لا بدّ منه لحمایه الحکومه الإسلامیه و المجتمع الإسلامی و للضرب علی أیدی العملاء و الأجانب.

أضف إلی ذلک أنّ من یتقبّل الإسلام بعد التحقّق و التدقیق،ثمّ یترکه لیعتنق دینا آخر،لا یمتلک دوافع سلیمه و منطقیه،و هو بذلک یستحقّ أشدّ العقوبات.أمّا تخفیف هذا الحکم بالنسبه للمرأه،فلأنّ جمیع العقوبات تخفّف بشأنها.

ص: ۵۸۷

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۹۰ الی ۹۱]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بَعْدَ إِیمٰانِهِمْ ثُمَّ اِزْدٰادُوا کُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَ أُولٰئِکَ هُمُ اَلضّٰالُّونَ (۹۰) إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ مٰاتُوا وَ هُمْ کُفّٰارٌ فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ اَلْأَرْضِ ذَهَباً وَ لَوِ اِفْتَدیٰ بِهِ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِینَ (۹۱)

سبب النّزول

ذکر بعض المفسّرین أن الآیه الأولی نزلت فی أهل الکتاب الذین آمنوا بالنبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم قبل بعثته،و لکنّهم بعد البعثه کفروا به.و ذهب آخرون إلی أنها نزلت فی الحارث بن سوید و أحد عشر آخرین الذین ارتدّوا عن الإسلام لأسباب.ثمّ تاب و عاد إلی الإسلام.أمّا الآخرون فقد رفضوا دعوته للعوده،و قالوا:سنبقی فی مکّه و نواصل مناوءه محمّد انتظارات لهزیمته.فإذا تحقّق ذلک فخیر،و إلاّ فإنّ باب التوبه مفتوح،نتوب وقتما نشاء و نرجع إلی محمّد،و سوف یقبل توبتنا! و عند ما فتح رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم مکه اسلم بعضهم و قبلت توبتهم،و أمّا من أصرّ علی البقاء علی الکفر فقد نزلت الآیه الثانیه بشأنهم.

التّفسير

اشاره

التوبه الباطله:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ

.

كـان الكلام فى الآيات السابقه يـدور حول الـذين ينـدمون حقّا على انحرافهم عن طريق الحقّ فيتوبون توبه صادقه.فى هـذه الآيه يـدور الكلام على الـذين لن تقبل توبتهم،و هم الـذين آمنوا أوّلا،ثمّ ارتـدّوا و كفروا،و أصـرّوا على كفرهم، و رفضوا الانصـياع لأوامر اللّه،حتّى إذا اشتدّ عليهم الأمر اضـطرّوا إلى العوده للإسلام.إنّ اللّه لن يقبل توبه هؤلاء،لأنّهم لن يتّخذوا باختيارهم خطوه فى سبيل اللّه،بل هم مجبرون على إظهار الندم و التوبه بعد رؤيتهم انتصار المسلمين.لذلك فتوبتهم ظاهريه و لن تقبل.

و ثمّه احتمال آخر فى تفسـير هذه الآيه هو:أنّ أمثال هؤلاء الأشـخاص عند ما يرون أنفسـهم على أعتاب الموت و نهايه العمر قد يندمون و يتوبون حقّا. غير أنّ توبتهم لن تقبل،لأنّ وقت التوبه يكون قد انتهى،كما سيأتى شرحه.و هذا نظير قوله تعالى فى الآيه ۱۸ من سوره النساء: وَ لَيْسَتِ التَّوْبَهُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ .

و قيل:من المحتمل أن يكون معنى الآيه:إنّ التوبه عن الـذنوب العاديه فى حال الكفر لن تقبل.أى إذا أصـرّ أحدهم على المضـى فى طريق الكفر،ثمّ تاب عن ذنوب معيّنه كالظلم و الغيبه و أمثالهما،فإنّ توبته هـذه لا طائل وراءها و لن تقبل، و ذلك لأنّ غسـل التلوّث الظاهر عن الروح و النفس،مع بقاء التلوّث الأعمق فى الباطن،لا فائده منه.

لا بدّ أن نضيف هنا أنّ التفاسير المذكوره آنفا لا تعارض بينها،و قد تشملها

الآیه جمیعا،و إن یکن التفسیر الأوّل أقرب إلی الآیات السابقه و إلی سبب نزول هذه الآیه.

و فی الآیه الثانیه یقول تعالی:

إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ مٰاتُوا وَ هُمْ کُفّٰارٌ فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَ لَوِ افْتَدیٰ بِهِ

.

تخصّ الآیه أولئک الذین یقضون أعمارهم کافرین فی هذه الدنیا،ثمّ یموتون و هم علی تلک الحال.یقول القرآن،بعد أن اتّضح لهؤلاء طریق الحقّ،یسیرون فی طریق الطغیان و العصیان،و هم فی الحقیقه لیسوا مسلمین،و لن یقبل منهم کلّ ما ینفقونه،و لیس أمامهم أیّ طریق للخلاص،حتّی و إن أنفقوا ملء الأرض ذهبا فی سبیل اللّه.

من الواضح أنّ القصد من القول بإنفاق هذا القدر الکبیر من الذهب إنّما هو إشاره إلی بطلان إنفاقهم مهما کثر،لأنّه مقرون بتلوّث القلب و الروح بالعداء للّه، و إلاّ فمن الواضح أنّ ملء الأرض ذهبا یوم القیامه لا یختلف عن ملئها ترابا.إنّما قصد الآیه هو الکنایه عن أهمیّه الموضوع.

أمّا بشأن مکان هذا الإنفاق،أفی الدنیا أم فی الآخره؟فقد ذکر المفسّرون لذلک احتمالین إثنین،و لکن ظاهر الآیه یدلّ علی العالم الآخر،أی کانوا کافرین وَ مٰاتُوا وَ هُمْ کُفّٰارٌ ،فلو کانوا یملکون ملء الأرض ذهبا،و ظنّوا أنّهم بالاستفاده من هذا المال،کما هی الحال فی الدنیا،یستطیعون أن یدرءوا العقاب عن أنفسهم، فهم علی خطأ فاحش،إذ أنّ هذه الغرامه المالیه و الفدیه لیست قادره علی التأثیر فی ما سیواجههم من عقاب.و فی الواقع فان مضمون هذه الآیه یشبه قوله تعالی فی الآیه ۱۵ من سوره الحدید: فَالْیَوْمَ لاٰ یُؤْخَذُ مِنْکُمْ فِدْیَهٌ وَ لاٰ مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا .

و فى الختام يشير إلى نكته اخرى فى المقام و يقول: أَولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ .

لا شكّ فى أنّهم سينالون عقابا شديدا مؤلما،و لن يكون باستطاعه أحد أن ينتصر أو يشفع لهم.لأن الشفاعه لها شرائط،و أهمها الإيمان باللّه،و لهذا السبب فلو أن جميع الشفعاء اجتمعوا لإنقاذ أحد الكفّار من عذاب النار لم تقبل شفاعتهم.

و أساسا،بما أن الشفاعه بإذن اللّه،فإن الشفعاء لا يشفعون أبدا لمثل هؤلاء الأفراد غير اللائقين للشفاعه،لأن الشفاعه تحتاج إلى قابليه المحل،و الإذن الإلهى لا يشمل الأفراد غير اللائقين.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۹۲]

اشاره

لَنْ تَنالُوا اَلْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اَللّٰهَ بِهِ عَلِيمٌ (۹۲)

التّفسیر

اشاره

من علائم الإیمان:

لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ

.

و لفظه«البر»فی أصلها اللغوی تعنی«السعه»و لهذا یقال للصحراء«البر» بفتح الباء،و لهذه الجهه أیضا یقال للأعمال الصالحه ذات الآثار الواسعه التی تعم الآخرین و تشملهم«البر»بکسر الباء،و الفرق بین البر و الخیر من حیث اللغه هو أن البر یراد منه النفع الواصل إلی الآخرین مع القصد إلی ذلک،بینما یطلق الخیر علی ما وصل نفعه إلی الآخرین حتّی لو وقع عن سهو غیر قصد.

ماذا یعنی«البر»فی الآیه؟

لقد ذهب المفسّرون فی تفسیر«البر»فی هذه الآیه إلی مذاهب شتی.

فمنهم من قال:إن المراد به هو«الجنه»،و منهم من قال أن المراد هو«الطاعه

و التقوى»و منهم من فسّره بأن معناه«الأجر الجميل».

غير أن المستفاد من موارد استعمال هـذه اللفظه فى آيـات الكتـاب العزيز نفسه هو:أن لكلمه«البر»معنى واسـعا يشـمل كلّ أنواع الخير إيمانـا كـان أو أعمالاـ صـالحه،كمـا أن المسـتفاد من الآيه ۱۷۷ من سـوره البقره هو اعتبـار«الإيمـان بـاللّه و اليوم الآـخر،و الأنبياء،و إعانه المحتاجين،و الصلاه،و الصيام،و الوفاء، و الاستقامه فى البأساء و الضراء»جميعها من شعب البر و مصاديقه.

و على هذا فإن للوصول إلى مراتب الأبرار الحقيقيين شروطا عديده،منها:

لإنفاق ممّا يحبه الإنسان من الأموال،لأن الحبّ الواقعى للّه،و التعلّق بالقيم الأخلاقيه و الإنسانيه إنما يتضح و يثبت إذا انتهى المرء إلى مفترق طريقين،و واجه خيارين لا ثالث لهما،و يقع فى أحـد الجانبين الثروه،أو المنصب،و المكانه المحببه لديه،و فى الجانب الآخر رضا اللّه و الحقيقه و العواطف الإنسانيه و فعل الخير، و يتعين عليه أن يختار أحدهما و يضحى بالآخر،و يتغاضى عنه.

فإذا غض نظره عن الأول لحساب الثانى أثبت صدق نيته،و برهن على حبه، و على واقعيته فى ولائه و انتمائه.

و إذا اقتصـر-فى هـذا السبيـل-على إنفـاق الحقير القليـل،و بـذل مـا لا يحبه و يهواه،فإنه يكون بـذلك قـد برهن على قصوره فى الإيمـان و المحبه،و التعلّق المعنوى عن تلـك المرتبه السـاميه،و أنه ليس إلاّـ بنفس الـدرجه التى أظهرهـا فى سـلوكه و عطائه لا أكثر،و هذا هو المقياس الطبيعى و المنطقى لتقييم الشخصيه، و معرفه مستوى الإيمان لدى الإنسان،و مدى تجذره فى ضميره.

تأثير القرآن فى قلوب المسلمين:

لقد كان لآيات الكتاب العزيز تأثير بالغ و نفوذ سريع فى أفئده المسلمين

الأوائل،فما إن سمعوا آيات جديده النزول،إلّا و ظهر هذا التأثير على سلوكهم و مواقفهم و تصرفاتهم،و نذكر من باب المثال ما نقرأه في كتب التفسير و التاريخ الإسلامی ممّا ورد فی مجال هذه الآیه بالذات.

-۱

كان«أبو طلحه»أكثر أنصاری المدينه نخلا،و كان أحب أمواله إليه بيرحاء،و كانت مستقبله المسجد،و كان رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و سلّم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب، فلما أنزلت لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ قام أبو طلحه فقال:يا رسول اللّه إن اللّه يقول:لن تنالوا البر حتّى تنفقوا ممّا تحبون و أن أحب أموالی إلى بيرحاء،و أنها صدقه للّه أرجو برها و ذخرها عند اللّه،فضعها يا رسول اللّه حيث أراك اللّه.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم:بخ بخ ذلك مال رابح لك و قد سمعت ما قلت و إنی أرى أن تجعلها فی الأقربين.قال أبو طلحه:افعل يا رسول اللّه،فقسمها أبو طلحه فی أقاربه و بنی عمه (۱) .

۲-أضاف أبو ذر الغفاری ضيفا،فقال للضيف:إنی مشغول،و أن لی إبلا فاخرج و آتنی بخيرها،فذهب فجاء بناقه مهزوله،فقال أبو ذر:خنتنی بهذه،فقال:

وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه،فقال أبو ذر:إن يوم حاجتی إليه ليوم أوضع فی حفرتی،مع أن اللّه يقول:

لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ

(۲)

.

۳-كان لزبيده زوجه هارون الرشيد مصحف ثمين جدّا،قد زينت غلافه بأغلى أنواع المجوهرات و الأحجار الكريمه و كانت تحبه حبا شديدا و تعتز به أكبر اعتزاز،و فيما هی تتلو القرآن فی ذلك المصحف ذات يوم و إذا بها مرت على قوله

۱- ۱) -مجمع البيان و صحيح مسلم و البخاری كتاب التفسير باب ما جاء فی سوره آل عمران،و يرحاء موضع كان لأبی طلحه بالمدينه.

۲- ۲) -مجمع البيان:ج ۲ ص ۴۷۴.

تعالی: لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّی تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ فتأملت فیه،و غاصت فی معناه و تأثرت بندائه فقالت فی نفسها:«إنه لیس هناک ما هو أحب إلی من هذا المصحف المزین الثمین فلأنفقه فی سبیل اللّه»،فأرسلت إلی باعه الجواهر و باعت جواهره و أحجاره الکریمه علیهم ثمّ هیأت بثمنها آبارا و قنوات من الماء فی صحراء الحجاز لیشرب منه سکان الصحراء و ینتفع به المسافرون،و یقال أن بقایا هذه الآبار لا تزال باقیه و تدعی (۱) باسمها عند الناس.

و حتّی یطمئن المنفقون إلی أن أی شیء ممّا ینفقونه لن یعزب عن اللّه سبحانه و لن یضیع،عقب اللّه علی حثه للناس علی الإنفاق ممّا یحبون بقوله: وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَیْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِیمٌ إنه یعلم بما تنفقونه صغیرا أم کبیرا،تحبونه أو لا تحبونه.

ص: ۵۹۵

۱- ۱) -راجع تفسیر أبی الفتوح الرازی ج ۳ ص ۱۵۷ فی تفسیر الآیه.

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۹۳ الی ۹۵]

اشاره

كُلُّ اَلطَّعٰامِ كٰانَ حِلاًّ لِبَنِی إِسْرٰائِیلَ إِلاّٰ مٰا حَرَّمَ إِسْرٰائِیلُ عَلیٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ اَلتَّوْرٰاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرٰاةِ فَاتْلُوهٰا إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۹۳) فَمَنِ اِفْتَریٰ عَلَی اَللّٰهِ اَلْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ (۹۴) قُلْ صَدَقَ اَللّٰهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرٰاهِیمَ حَنِیفاً وَ مٰا كٰانَ مِنَ اَلْمُشْرِكِینَ (۹۵)

سبب النّزول

المستفاد من الروایات الوارده حول هذه الآیات و ما ینقله المفسّرون هو:أن الیهود طرحوا إشكالین آخرین علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم ضمن جدالهم له،أحدهما:

تحلیله لحوم الإبل و ألبانها،و قد كانت حراما فی دین إبراهیم علیه السّلام و كانوا یقولون:

كلّ شیء نحرمه فهو كان محرما علی نوح و إبراهیم، فكیف تحلله و أنت تدعی متابعه إبراهیم و إنك علی ملته و دینه؟ و الآخر:صلاته باتجاه الكعبه فكانوا یقولون:كیف تدعی یا محمّد الاقتداء بملّه إبراهیم علیه السّلام و النبیین العظام،و قد كان جمیع الأنبیاء من ولد إسحاق یولون

وجوههم شطر«بيت المقدس»و يصلون باتجاهه و أنت تصلى شطر الكعبه و تعرض عن«بيت المقدس»؟ فجاءت الآيات الثلاثه تردّ على إنكارهم للأمر الأول و تفند زعمهم،بينما تكفلت الآيات القادمه الردّ على اعتراضهم الأخير.

التّفسير

اشاره

صرحت الآيه الأولى من هذه الآيات الثلاث بتفنيد كلّ المزاعم اليهوديه حول تحريم بعض أنواع الطعام الطيب(مثل لحوم الإبل و ألبانها)وردت على هذه الكذبه بقولها: كُلُّ الطَّعٰامِ كٰانَ حِلاًّ لِبَنِى إِسْرٰائِيلَ إِلاّٰ مٰا حَرَّمَ إِسْرٰائِيلُ (۱) عَلىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرٰاهُ .

أما لماذا حرّم يعقوب على نفسه بعض الأطعمه؟و ما هو نوع الأطعمه التى حرمها على نفسه فلم يرد فى الآيه أى توضيح بشأنها،بيد أن المستفاد من الروايات الإسلاميه هو أن يعقوب كان-كما قيل-كلّما أكل من لحم الإبل أخذه وجع العرق الذى يقال له عرق النساء (۲) فعزم إن شفاه اللّه على أن يحرم لحم الإبل على نفسه، فاقتدى به أتباعه فى هذا،حتّى اشتبه الأمر على من أتوا من خلفهم فيما بعد فتصور بعض أنه تحريم إلهى،فاعتبروا ذلك حكما و نسبوه إلى اللّه، و ادعوا بأنه حرم عليهم لحم الإبل،فنزلت الآيه تفند هذا الزعم ببيان علّه الالتباس،و تصرّح بأن نسبه هذا التحريم إلى اللّه سبحانه محض اختلاق.

و على هذا فقد كان كلّ الطعام حلالا،و لم يكن شيء من الطيبات منه حراما

۱- ۱) -إسرائيل هو الاسم الآخر ليعقوب.

۲- ۲) -عرق النساء ألم عصبى يمتد على مسار العصب الوركى من الاليه إلى معصم القدم و يشتد هذا الألم جدا إذا ما ثنيت الساق الممتده عند مفصل الحوض(الموسوعه العربيه الميسره).

على بنى إسرائيل قبل نزول التوراه،كما يفيد قوله سبحانه مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرٰاهُ و إن كان قد حرمت-بعد نزول التوراه و مجىء موسى بن عمران-بعض الأطعمه الطيبه،على اليهود لظلمهم و عصيانهم،تنكيلا بهم،و جزاء لظلمهم.

و تأكيدا لهذه الحقيقه أمر اللّه نبيه فى هذه الآيه أن يطلب من اليهود بأن يأتوا بالتوراه الموجوده عندهم و يقرءوها ليتبين كذب ما ادعوه،و صدق ما أخبر به اللّه حول حليه الطعام الطيب كله إذ قال: قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرٰاهِ فَاتْلُوهٰا إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ .

و لكنّهم أعرضوا عن تلبيه هذا الطلب لعلمهم بخلو التوراه عن التحريم الذى أدعوه.

و الآن بعد أن تبين كذبهم و افتراؤهم على اللّه لعدم استجابتهم لطلب النبى بإحضار التوراه،فإن عليهم أن يعرفوا بأن كلّ من افترى على اللّه الكذب استحق وصف الظلم،لأنه بهذا الافتراء ظلم نفسه بتعريضها للعذاب الإلهي،و ظلم غيره بتحريفه و إضلاله بما افترى،و هذا هو ما يعنيه قوله سبحانه فى ختام هذه الآيه فَمَنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ .

التوراه الرائجه و تحريم بعض اللحوم:

نقرأ فى الفصل الحادى عشر من سفر اللاوليين ضمن استعراض مفصل للحوم المحرّمه و المحلّله:«كل ما شق ظلفا و قسمه ظلفين و يجتر من البهائم فإياه تأكلون.إلاّ هذه فلا تأكلوها ممّا يجتر و ممّا يشق الظلف.الجمل لأنه يجتر لكنّه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم».

من هذه العبارات نفهم أن اليهود كانوا يحرمون الإبل و كل ما شق ظلفا من البهائم، و لكن ذلك لا يدلّ على أنها كانت محرمه فى شريعه نوح و إبراهيم أيضا،إذ

یمکن أن یکون هذا التحریم مختصا بالیهود عقابا لهم و تنکیلا.

فإذا لم یکن للیهود حجّه علی زعمهم،و إذا تبین لهم صدق الرسول الکریم فی دعوته،و اتضح لهم أنّه علی ملّه إبراهیم،و دینه الحنیف حقّا یوجب علیهم أن یتبعوه قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّهَ إِبْرٰاهِیمَ حَنِیفاً وَ مٰا کٰانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ اتبعوا ملّه إبراهیم الذی کان حنیفا مستقیما لا یمیل إلی شیء من الأدیان الباطله،و الأهواء الفاسده،بل یسیر فی الطریق المستقیم،فلم یکن فی دینه أی حکم منحرف مائل عن الحق و حتّی فی الأطعمه الطیبه الطاهره لم یکن یحرم شیئا بدون مبرر أو سبب وجیه للتحریم...إنه لم یکن مشرکا،فادعاء مشرکی العرب بأنهم علی ملته محض اختلاق،فأین الوثنیه و أین التوحید؟و أین عباده الأصنام،و أین تحطیم الأصنام؟ و الجدیر بالذکر أن القرآن الکریم یکرر هذا الوصف وَ مٰا کٰانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ فی شأن إبراهیم و یؤکد علیه فی مواطن کثیره،و ما ذلک إلّا لأن العرب الجاهلیین الوثنیین کانوا-کما ألمحنا-ینسبون دیانتهم و عقائدهم الوثنیه إلی الخلیل علیه السّلام، و یدعون بأنهم علی دینه و ملته،و کانوا یصرون علی هذا إلی درجه أن الآخرین سموهم بالحنفاء(أی أتباع إبراهیم)و لذلک کرر القرآن نفی الشرک عن الخلیل و صرح مرارا و تکرارا بأنه علیه السّلام کان حنیفا،و لم یکن من المشرکین أبدا (۱) ابطالا لذلک الادعاء السخیف،و تنزیها لساحه هذا النبی العظیم من تلک الوصمه المقیته.

۱- ۱) -جمله«و ما کان من المشرکین»جاءت فی آل عمران ۶۷-۹۵ و الأنعام ۱۶۱ و النحل ۱۲۴ و البقره ۱۳۵.

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۹۶ الی ۹۷]

اشاره

إِنَّ أَوَّلَ بَیْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِی بِبَکَّهَ مُبارَکاً وَ هُدیً لِلْعالَمِینَ (۹۶) فِیهِ آیاتٌ بَیِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِیمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ کانَ آمِناً وَ لِلّهِ عَلَی اَلنّاسِ حِجُّ اَلْبَیْتِ مَنِ اِسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلاً وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ اَللّهَ غَنِیٌّ عَنِ اَلْعالَمِینَ (۹۷)

أول بیت وضع للناس:

لقد أنکرت الیهود علی النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم أمرین کما أسلفنا.و قد رد القرآن علی الأمر الأول فی الآیات الثلاث المتقدمه،و ها هو یرد علی الأمر الثانی،و هو:

إنکارهم علی النبی اتخاذه الکعبه قبله،و تفضیله لها علی«بیت المقدس»بینما کانوا یفضلونه علی الکعبه.

یقول سبحانه: إِنَّ أَوَّلَ بَیْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِی بِبَکَّهَ مُبارَکاً فلا عجب إذن أن تکون الکعبه قبله للمسلمین،فهی أول مرکز للتوحید،و أقدم معبد بنی علی الأرض لیعبد فیه اللّه سبحانه و یوحد،بل لم یسبقه أی معبد آخر قبله،إنه أول بیت وضع للناس و لأجل خیر المجتمع الإنسانی فی نقطه من الأرض محفوفه

ص: ۶۰۰

بالبركات،غنيه بالخيرات،وضع ليكون مجتمع الناس،و ملتقاهم.

إن المصادر الإسلاميه و التاريخيه تحدثنا بأن الكعبه تأسست على يدى «آدم»عليه السّلام ثمّ تهدمت بسبب الطوفان الذى وقع فى عهد النبى«نوح»ثمّ جدد بناءها النبى العظيم«إبراهيم الخليل»عليه السّلام فهى إذن عريقه عراقه التاريخ البشرى (۱) .

و لا شكّ أن إختيار أعرق بيت أسس للتوحيد من أجل أن يكون قبله للمسلمين،أولى و أفضل من إختيار أيه نقطه أخرى و أى مكان آخر.

هذا و ممّا يجدر الانتباه إليه هو أن«الكعبه»و التى تسمى فى تسميه أخرى ب«بيت اللّه»وصفت فى هذه الآيه بأنها«بيت للناس»،و هذا التعبير يكشف عن حقيقه هامه و هى:أن كلّ ما يكون باسم اللّه و يكون له،يجب أن يكون فى خدمه الناس من عباده،و أن كلّ ما يكون لخدمه الناس و خير العباد فهو للّه سبحانه.

كما تتضح-ضمن ما نستفيده من هذه الآيه-قيمه الأسبقيه فى مجال العلاقات بين الخلق و الخالق،و لذلك نجد القرآن يشير-فى هذه الآيه-إلى أسبقيه الكعبه على جميع الأماكن الأخرى،و إلى تاريخها الطويل الضارب فى أعماق الزمن،معتبرا ذلك أول و أهم ما تتسم به الكعبه من الفضائل و المزايا،و من هنا يتضح أيضا علّه ما للحجر الأسود من الحرمه،و يتبين جواب ما يحوم حوله من سؤال مفاده:ما قيمه قطعه من الحجر و لماذا يندفع و يتدافع لاستلامه ملايين الناس كلّ عام،و يتسابقون-فى عناء بالغ-إليه حتّى أن استلامه يعد من المستحبات المؤكّده فى مناسك الحجّ و برامجه؟ إن تاريخ هذا الحجر يكشف عن ميزه خاصه فى هذا الحجر لا نجدها فى أى

۱- ۱) -للوقوف على معلومات أكثر حول مصادر و نصوص هذا الموضوع من الآيات و الأحاديث راجع الجزء الأول من هذا التفسير فى ذيل الآيه ۱۲۷ من سوره البقره.

حجر آخر غيره فى هذا العالم،و هى أن هذا الحجر أسبق شىء استخدم كماده إنشائيه فى أقدم بيت شيد لعباده اللّه،و تقديسه،و توحيده،فإننا نعلم بأن جميع المعابد حتّى الكعبه قد فقدت موادها الإنشائيه فى كلّ عمليه انهدام و تجديد،عدا هذه القطعه من الصخر التى بقيت منذ آلاف السنين،و استخدمت فى بناء هذه البنيه المعظمه على طول التاريخ منذ تأسيسها و إلى الآن.و لا شكّ أن لهذه الاستمراريه، و تلك الأسبقيه فى طريق اللّه و فى خدمه الناس قيمه و أهميه من شأنها أن تكسب الأشياء و الأشخاص ميزه لا يمكن تجاهلها.

كلّ هذا مضافا إلى أن هذه الصخره ليست إلّا تاريخ صامت لأجيال كثيره من المؤمنين فى الأعصر المختلفه،فهى تحيى ذكرى استلام الأنبياء العظام و عباد اللّه البرره لها،و عبادتهم،و تضرعهم إلى اللّه فى جوارها عبر آلاف السنين و مئات من القرون و الأحقاب.

على أن ثمّه أمرا آخر ينبغى الانتباه إليه و هو:أن الآيه المبحوثه هنا تصرح بأن الكعبه هى أول بيت وضع للناس،و من المعلوم أنه وضع لغرض العباده فهو أول بيت وضع للعباده إذن،و هو أمر لا يمنع من أن يكون قد شيدت فى الأرض قبل الكعبه بيوت للسكن.

و هذا التعبير رد واضح على كلّ أولئك (1) الذين يدعون أن النبى إبراهيم عليه السّلام هو أول من أسس الكعبه المشرفه،و يعتبرون بناءها على يدى آدم عليه السّلام من قبيل الأساطير،فى حين أن من المسلم وجود بيوت للعباده فى العالم قبل إبراهيم عليه السّلام كان يتعبد فيها من سبقه من الأنبياء مثل نوح عليه السّلام فكيف تكون الكعبه التى هى أول بيت وضع للعباده فى العالم قد أسست على يدى إبراهيم عليه السّلام؟

ص:602

1- 1) -أمثال رشيد رضا مؤالف المنار.

ما هو المراد من«بكّه»؟

«بكه»مأخوذه أصلا من«البك»و هو الزحم،و بكه أى زحمه،و تباك الناس أى ازدحموا،و إنما يقال للكعبه أو الأرض التى عليها تلك البنيه المعظمه بكه لازدحام الناس هناك،و لا يستبعد أن هذه التسميه أطلقت عليها بعد أن اتخذت صفه المعبد رسميا لا قبل ذلك.

و

فى روايه عن أبى عبد اللّه(الصادق)عليه السّلام قال: «موضع البيت بكه،و القريه مكه».

و قد احتمل بعض المفسّرين أيضا أن تكون«بكه»هى«مكه»أبدل ميمها باء، نظير«لازب»و«لازم»اللتين تعنيان شيئا واحدا فى لغه العرب.

و قد ذكر فى عله تسميه«الكعبه»و موضعها ببكه وجه آخر أيضا هو أنها سميت«بكه»لأنها تبك أعناق الجبابره،و تحطم غرورهم و نخوتهم،لأن البك هو دق العنق،فعند الكعبه تتساقط و تزول كلّ الفوارق المصطنعه،و يعود المتكبرون و المغرورون كبقيه الناس،عليهم أن يخضعوا للّه،و يتضرعوا إليه شأنهم شأن الآخرين،و بهذا يتحطم غرورهم.

بحث تاريخى

اشاره

توسيع المسجد الحرام:

منذ العهد النبوى أخذ عدد المسلمين فى الإزدياد،و على أثر ذلك كان يتزايد عدد الحجاج و الوافدين إلى البيت الحرام،و لهذا كان المسجد الحرام يتعرض للتوسعه المستمره على أيدى الخلفاء فى العصور المختلفه،

فقد جاء فى تفسير العيّاشى أن أبا جعفر(المنصور)طلب أن يشترى من أهل مكه بيوتهم ليزيدها فى

ص :۶۰۳

المسجد،فأبوا فأرغبهم،فامتنعوا فضاق بذلك،فأتى أبا عبد اللّه(الصادق)عليه السّلام فقال له:إنى سألت هؤلاء شيئا من منازلهم،و أفنيتهم لنزيد فى المسجد،و قد منعونى ذلك فقد غمنى غما شديدا،فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:أ يغمك ذلك و حجتك عليهم فيه ظاهره؟فقال:و بما أحتج عليهم؟فقال:بكتاب اللّه،فقال:فى أى موضع؟فقال:

قول اللّه عزّ و جلّ: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّٰاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ قد أخبرك اللّه أن أول بيت وضع للناس هو الذى ببكه،فإن كانوا هم تولوا قبل البيت فلهم أفنيتهم،و إن كان البيت قبلهم فله فناؤه،فدعاهم أبو جعفر(المنصور)فاحتج عليهم بهذا فقالوا له أصنع ما أحببت.

و

قد جاء فى ذلك التفسير أيضا أن المهدى(العباسى)لما بنى فى المسجد الحرام بقيت دار احتج إليها فى تربيع المسجد،فطلبها من أربابها فامتنعوا فسأل عن ذلك الفقهاء فكلّ قال له:إنه لا ينبغى أن يدخل شيئا فى المسجد الحرام غصبا، فقال له على بن يقطين:يا أمير المؤمنين لو أنك كتبت إلى موسى بن جعفر عليه السّلام لأخبرك بوجه الأمر فى ذلك،فكتب إلى و إلى المدينه أن يسئل موسى بن جعفر عليه السّلام عن دار أردنا أن ندخلها فى المسجد الحرام فامتنع علينا صاحبها فكيف المخرج من ذلك؟فقال:ذلك لأبى الحسن عليه السّلام:فقال أبو الحسن عليه السّلام:و لا بدّ من الجواب فى هذا؟فقال له:الأمر لا بدّ منه،فقال له:اكتب«بسم اللّه الرحمن الرحيم إن كانت الكعبه هى النازله بالناس فالناس أولى بفنائها،و إن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبه فالكعبه أولى بفنائها»فلما أتى الكتاب إلى المهدى أخذ الكتاب فقبله (لفرحه الشديد)،ثمّ أمر بهدم الدار فأتى أهل الدار أبا الحسن عليه السّلام فسألوه أن يكتب لهم إلى المهدى كتابا فى ثمن دورهم فكتب إليه أن ارضخ لهم شيئا فأرضاهم.

إن فى هاتين الروايتين استدلالا لطيفا يتفق تماما مع المقاييس و الموازين

القانونيه المعمول بها أيضا،فإن الاستدلال يقول؛ان لمعبد تقصده الجماهير كالكعبه،قد بنى يوم بنى على أرض لا أحد فيها،الحق و الأولويه فى تلك الأرض بقدر حاجته و حيث إن الحاجه يوم أسس لم تكن تدعو إلى أكثر من تلك المساحه التى أقيم عليها أول مرّه كـان للنـاس أن يسكنوا فى حريـم الكعبـه،أمـا الآن و قـد اشـتدت الحـاجه إلى مسـاحه أوسـع كمـا كـانت عليـه لتسع الحجيج،فإن للكعبه الحقّ فى أن تستخدم أولويتها بالأرض.

مزايا الكعبه و فضائلها:

لقد ذكرت فى هاتين الآيتين-مضافا إلى الميزتين اللتين مرّ شرحهما-أربع مزايا اخرى هى:

١-مباركا:

«المبـارك»يعنى كثير الخير و البركه،و إنمـا كـانت الكعبه المعظمه مباركه لأنها تعتبر بحق واحـده من أكثر نقاط الأرض بركه و خيرا،سواء الخير المادى،أو المعنوى.

و أمـا البركـات المعنويه التى تتحلى بهـا هـذه الأرض و هـذه المنطقه من اجتماع الحجيـج فيها،و ما ينجم عن ذلك من حركه و تفاعل و وحده،و ما يصحبه من جاذبيه ربانيه تحيى الأنفس و القلوب و خاصه فى موسم الحج فمما لا يخفى على أحد.

و لو أن المسـلمين لم يقصـروا اهتمـامهم-فى موسم الحـج-على الجـانب الصورى لهـذه الفريضه بـل أحيوا روحهـا،و التفتوا إلى فلسفتها،لاتضحت

-حينذاک-البرکات المعنويه،و تجلت للعيان أکثر فأکثر.

هذا من الناحيه المعنويه.

و أما من الناحيه الماديه فإن هذه المدينه رغم أنها أقيمت فی أرض قاحله لا ماء فيها و لا عشب،و لا صلاحيه فيها للزراعه و الرعی بقيت علی طول التاريخ واحده من أکثر المدن عمرانا و حرکه،و کانت دائما من المناطق المؤهله-خير تأهيل-للحياه،بل و للتجاره أيضا.

۲-هدی للعالمين:

أجل،إن الکعبه هدی للعالمين فهی تجتذب الملايين من الناس الذين يقطعون إليها البحار و الوهاد،و يقصدونها من کلّ فج عميق ليجتمعوا فی هذا الملتقی العبادی العظيم و هم بذلک يقيمون هذه الفريضه فريضه الحجّ التی لم تزل تؤدی بجلال عظيم منذ عهد الخليل عليه السّلام.

و لقد کانت هذه البنيه معظمه أبدا حتّی من قبل العرب الجاهليين،فهم کانوا يحجون إليها و إن مزجوا مناسک الحجّ ببعض خرافاتهم و عقائدهم الباطله،إلاّ أنهم ظلوا أوفياء لهذه المناسک علی أنها دين إبراهيم،و قد کان لهذه المناسک و المراسم الناقصه،و الخليطه أحيانا بالخرافات الجاهليه،أثرها فی سلوکهم،حيث کانوا يرتدعون بسببها عن بعض المفاسد بعض الوقت،و هکذا کانت الکعبه سببا للهدايه حتّی للوثنيين...

إن لهذا البيت من الجواذب المعنويه ما لا يستطيع أی أحد أن يقاومها و يصمد أمام تأثيرها الأخّاذ.

۳- فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ :

إن فی هذا البيت معالم واضحه و علائم ساطعه لعباده اللّه و توحيده،و فی تلک

النقطه المبارکه من الآثار المعنویه ما یبهر العیون و یأخذ بمجامع القلوب.و إن بقاء هذه الآثار و المعالم رغم کید الکائدین و إفساد المفسدین الذین کانوا یسعون إلی إزالتها و محوها لمن تلک الآیات التی یتحدث عنها القرآن فی هذا الکلام العلوی.

فها هی آثار جلیله من إبراهیم علیه السّلام لا تزال باقیه عند هذا البیت مثل:زمزم و الصفا و المروه،و الرکن (۱) ،و الحطیم (۲) ،و الحجر الأسود،و حجر إسماعیل (۳) الذی یعتبر کلّ واحد منها تجسیدا حیّا لتاریخ طویل،و ذکریات عظیمه خالده.

و لقد خصّ«مقام إبراهیم»بالذکر من بین کلّ هذه الآثار و الآیات لأنه المحل الذی کان قد وقف فیه الخلیل علیه السّلام لبناء الکعبه،أو لإتیان مناسک الحجّ،أو لإطلاق الدعوه العامّه التی وجهها إلی البشریه کافه،و الأذان بهم لیحجوا هذا البیت، و یلتقوا فی هذا الملتقی العبادی التوحیدی العظیم.

و علی کلّ حال فإن هذا المقام لمن أهم الآیات التی مر ذکرها،و أنها لمن أوضح الدلائل و أقوی البراهین علی ما شهدته هذه النقطه من العالم من التضحیات و الذکریات،و الاجتماعات و الحوادث،البالغه الأهمیه.

یبقی أن نعرف أن ثمه خلافا بین المفسّرین فی أن المراد بمقام إبراهیم هل هو خصوص النقطه التی توجد فیها الصخره التی لا تزال تحمل أثر قدمه الشریف،أو أنه الحرم المکی،أو أنّه جمیع المواقف التی ترتبط بمناسک الحجّ،و لکن فی الروایه المنقوله عن الإمام الصادق علیه السّلام فی کتاب الکافی (۴) إشاره إلی الاحتمال الأول.

۱- ۱) -کل زاویه من زوایا الکعبه-الأربعه یسمی رکنا.
۲- ۲) -یقع الحطیم بین الحجر الأسود و باب الکعبه المعظمه،و إنما سمی بالحطیم إما لکثره ازدحام الناس و الطائفین فیها،و هو موضع توبه آدم،و إما لکونه موضع غفران الذنوب،و غفرانها بمنزله تحطیمها.
۳- ۳) -حجر إسماعیل هو محل بنی فیه جدار هلالی الشکل عند الضلع الشمالی الغربی من الکعبه.
۴- ۴) -راجع کتاب فروع الکافی کتاب الحجّ باب حد موضع الطواف.

۴-و من دخله کان آمنا:

لقـد طلب إبراهيم عليه السّـلام من ربه بعـد الانتهاء من بناء الكعبه،أن يجعل بلـد مكه آمنا إذ قال رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً (۱) ،فاستجاب اللّه له،و جعل مكه بلدا آمنا، ففيه أمن للنفوس و الأرواح،و فيه أمن للجموع البشريه التی تفد إليه و تستلهم المعنويات الساميه منه،و فيه أمن من جهه القوانين الـدينيه،فـإن الأـمن فی هـذا البلـد قـد بلغ من الاهتمام به و احترامه أن منع فيه القتال منعا باتا،و أكيدا.

و قد جعلت الكعبه بالذات مأمنا و ملجأ فی الإسلام لا يجوز التعرض لمن لجأ إليها أبدا،و هو أمر يشمل الحيوانات أيضا إذ يجب أن تكون فی أمان من الأذی و المزاحمه إذا هی التجأت إلی هذه النقطه من الأرض.

فـإذا التجأ إنسـان إلی الكعبه لم يجز التعرض له حتّی لو كـان قاتلاـ جانيـا،بيـد أنّه حتّی لاـ تسـتغل حرمه هـذا البيت و قدسـيتها الخـاصّه،و حتّی لاـ تضـيع حقوق المظلومين سـمح الإسـلام بالتضـييق فی المطعم و المشـرب علی الجنـاه أو القتله اللاـجئين إليه ليضطروا إلی مغادرته ثمّ ينالوا جزاءهم العادل.

و بعد أن اسـتعرض القرآن الكريم فضائل هذا البيت و عدد مزاياه،أمر الناس بأن يحجوا إليه-دون اسـتثناء-و عبر عن ذلك بلفظ مشـعر بـأن مثـل هـذا الحـجّ هـو فی الحقيقه دين للّه علی النـاس،فيتوجب عليهم أن يؤدوه و يفرغوا ذممهم منه إذ قـال وَ لِلّٰهِ عَلَی النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ .

و تعنی لفظه«الحـجّ»أصـلا القصـد،و لهذا سـميت الجاده بالمحجه(علی وزن موده)لأنها توصل سالكها إلی المقصد،كما أن لهذا السبب نفسه سمی الدليل ب«الحجه»لأنه يوضح المقصود.

ص :۶۰۸

۱- ۱) -إبراهيم:۳۵.

أما وجه تسمیه هذه الزیاره و هذه المناسک الخاصه بالحجّ فلأن قاصد الحجّ إنّما یخرج و هو«یقصد زیاره بیت اللّه»و لهذا أضیفت لفظه الحجّ إلی البیت فقال تعالی حِجُّ الْبَیْتِ .

ثم إننا قد أشرنا سابقا إلی أن مراسم الحج هذه قد سنت و أسست منذ عهد إبراهیم علیه السّلام ثمّ استمرت حتّی العهد الجاهلی حیث کان العرب الجاهلیون یمارسونها و یؤدونها،و لکنها شرعت فی الإسلام فی صوره أکمل،و کیفیه خالیه عن الخرافات التی لصقت بها من العهد الجاهلی (1) و لکن المستفاد من الخطبه القاصعه فی نهج البلاغه و بعض الأحادیث و الروایات أن فریضه الحج شرعت أول مرّه فی زمن آدم علیه السّلام إلاّ أن اتخاذها الصفه الرسمیه یرتبط-فی الأغلب-بزمن الخلیل علیه السّلام.

إن الحجّ یجب علی کلّ إنسان مستطیع،فی العمر مرّه واحده،و لا یستفاد من الآیه المبحوثه هنا أکثر من ذلک،لأن الحکم فیها مطلق،و هو یحصل بالامتثال مرّه واحده.

إن الشرط الوحید الذی ذکرته الآیه الحاضره لوجوب الحجّ و استقراره هو «الاستطاعه»المعبر عنها بقوله سبحانه مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلاً .

نعم،قد فسرت الاستطاعه فی الأحادیث الإسلامیه و الکتب الفقهیه ب«الزاد و الراحله(أی الإمکانیه المالیه لنفقات سفر الحجّ ذهابا و إیابا)و القدره الجسدیه و التمکن من الإنفاق علی نفسه و عائلته بعد العوده من الحجّ»و الحقّ أن جمیع هذه الأمور موجوده فی الآیه،إذ لفظه«استطاع»التی تعنی القدره و الإمکانیه تشمل کلّ هذه المعانی و الجهات.

ص: 609

1- 1) -یستفاد من بعض الروایات أن تشریع هذه الفریضه فی الإسلام کان فی السنه العاشره من الهجره و أن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم أمر جماعه-فی تلک السنه-أن یؤذنوا فی الناس بالحجّ،و یهیئوا الناس لأداء هذه الفریضه،و إن کان النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم و جماعه من صحبه قد سبق لهم أن أتوا بالعمره قبل ذلک أیضا.

ثمّ إنه يستفاد من هذه الآيه أن هذا القانون-مثل بقيه القوانين الإسلاميه- لا يختصّ بالمسلمين،فعلى الجميع أن يقوموا بفريضه الحجّ مسلمين و غير مسلمين،و تؤيد ذلك القاعده المعروفه:«الكفّار مكلفون بالفروع كما أنهم مكلفون بالأصول».و إن كانت صحّه هذه المناسک و أمثالها من العبادات مشروطه بقبولهم للإسلام و اعتناقهم إياه،ثمّ أدائها بعد ذلك،و لكن لا بدّ أن يعلم بأن عدم قبولهم للإسلام لا يسقط عنهم التكليف،و لا يحررهم من هذه المسؤوليه.

و ما قلناه فى هذه الآيه فى هذا المجال جار فى أمثالها أيضا.

هذا و قد بحثنا باسهاب حول أهميه الحجّ و فلسفته و آثاره الفرديه و الاجتماعيه عند الحديث عن الآيات ۱۹۶ إلى ۲۰۳ من سوره البقره.

أهميه الحجّ

و للتأكيد على أهميه الحجّ قال سبحانه فى ذيل الآيه الحاضره وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰالَمِينَ أى أن الذين يتجاهلون هذا النداء،و يتنكرون لهذه الفريضه، و يخالفونها لا يضرون بذلك إلاّ أنفسهم لأن اللّه غنى عن العالمين،فلا يصيبه شىء بسبب اعراضهم و نكرانهم و تركهم لهذه الفريضه.

إن لفظه«كفر»تعنى فى الأصل الستر و الإخفاء و أما فى المصطلح الدينى فتعطى معنى أوسع،فهى تعنى كلّ مخالفه للحقّ و كل جحد و عصيان سواء فى الأصول و الإعتقاد،أو فى الفروع و العمل،فلا تدلّ كثره استعمالها فى الجحود الاعتقادى على انحصار معناه فى ذلك،و لهذا استعملت فى«ترک الحجّ».

و لذلك فسّر الكفر فى هذه الآيه عن الإمام الصادق عليه السّلام بترک الحجّ (۱) .

و بعباره اخرى أن للكفر و الابتعاد عن الحق-تماما مثل الإيمان و التقرب إلى

۱- ۱) -التهذيب بناء على نقل تفسير الصافى فى ذيل هذه الآيه.

الحقّ-مراحل و درجات،و لكلّ واحده من هذه المراحل و الدرجات أحكام خاصه بها،و فی ضوء هذه الحقيقه يتضح الحال بالنسبه لجميع الموارد التی استعملت فيها لفظه الكفر و الإيمان فی الكتاب العزيز.

فإذا وجدنا القرآن يستعمل وصف الكفر فی شأن آكل الربا(كما فی الآيه ۲۷۵ من سوره البقره)و كذا فی شأن السحره(كما فی الآيه ۱۰۲ من نفس السوره) و يعبر عنهما بالكافر،كان المراد هو ما ذكرناه،أی أن الربا و السحر ابتعاد عن الحقّ فی مرحله العمل.

و علی كلّ حال فإنه يستفاد من هذه الآيه أمران:

الأوّل:الأهميه الفائقه لفريضه الحجّ،إلی درجه ان القرآن عبر عن تركها بالكفر.و يؤيد ذلك ما

رواه الصدوق فی كتاب«من لا يحضره الفقيه»من أن النبی صلی اللّه عليه و آله و سلّم قال لعلی عليه السّلام:

«يا علی إن تارك الحجّ و هو مستطيع كافر يقول اللّه تبارك و تعالی: وَ لِلّٰهِ عَلَی النّٰاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطٰاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰالَمِينَ ؛يا علی؛ من سوف الحجّ حتّی يموت بعثه اللّه يوم القيامه يهوديا،أو نصرانيا» (۱) .

الثانی:إن هذه الفريضه الإلهيه المهمه-مثل بقيه الفرائض و الأحكام الدينيه الأخری-شرعت لصلاح الناس،و فرضت لفرض تربيتهم،و إصلاح أمرهم و بالهم أنفسهم فلا يعود شیء منها إلی اللّه سبحانه أبدا،فهو الغنی عنهم جميعا.

۱- ۱) -من لا يحضره الفقيه:ج ۴ ص ۳۶۸ باب النوادر.

الآيات [سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٨ الی ١٠١]

اشاره

قُلْ يٰا أَهْلَ اَلْكِتٰابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيٰاتِ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ شَهِيدٌ عَلىٰ مٰا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يٰا أَهْلَ اَلْكِتٰابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهٰا عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَدٰاءُ وَ مَا اَللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ (٩٩) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمٰانِكُمْ كٰافِرِينَ (١٠٠) وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ آيٰاتُ اَللّٰهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)

سبب النّزول

يستفاد من مؤلفات الشيعه و السنّه و ما ذكروه في سبب نزول هذه الآيه أن «شأس بن قيس»و كان شيخا من اليهود(قد أسن)،عظيم الكفر،شديد الضغن على المسلمين،شديد الحسد لهم،مرّ ذات يوم على نفر من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم من الأوس و الخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه،فغاظه ما رأى من ألفتهم و جماعتهم و صلاح ذات بينهم على الإسلام،بعد الذي كان بينهم من العداوه في

ص: ٦١٢

الجاهليه فقال:قد اجتمع ملأ بنى قيله بهذه البلاد،لا و اللّه ما لنا معهم-إذا اجتمع ملؤهم بها-من قرار،فأمر شابا من يهود كان معه،فقال:اعتمد إليهم فاجلس معهم، ثمّ أذكر يوم«بعاث»و ما كان قبله،و أنشدهم بعض ما كانوا ما يتقاولون فيه من الأشعار.

و كان يوم«بعاث»يوما اقتتلت فيه الأوس و الخزرج،و كان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج،و كان يرأس الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلى أبو أسيد بن حضير،و يرأس الخزرج يومئذ عمرو النعمان البياضى،فقتلا جميعا.

ففعل ذلك الشاب ما أراده«شأس»فتكلّم القوم عند ذلك،و تنازعوا و تفاخروا حتّى تواثب رجلان من الحيين،و تقاولا،و راح أحدهما يهدد الآخر، و كادت نيران الاقتتال تتأجج بينهم من جديد.

فبلغ ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتّى جاءهم،و قال:«يا معشر المسلمين اللّه اللّه،أ بدعوى الجاهليه و أنا بين أظهركم بعد أن هداكم اللّه للإسلام،و أكرمكم به، و قطع به عنكم أمر الجاهليه،و استنقذكم به من الكفر،و ألف به بين قلوبكم»؟ فعرف القوم أنها نزعه من الشيطان و كيد من عدوهم،فبكوا و عانق الرجال من الأوس و الخزرج بعضهم بعضا ثمّ انصرفوا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم سامعين مطيعين قد أطفأ اللّه عنهم كيد عدو اللّه«شأس بن قيس»،فأنزل اللّه تعالى هذه الآيات الأربع، الأوليان فى شأس بن قيس و ما صنع.و الآخريان لانذار المسلمين و تحذيرهم.

التّفسير

اشاره

مفرقو الصفوف و مثيرو الخلاف:

بعد أن فعل بعض العناصر اليهوديه الحاقده فعلتها و كادت أن تشعل نيران العداوه بين المسلمين نزل-كما عرفت فى سبب النزول-قوله تعالى: قُلْ يٰا أَهْلَ

ص :613

الْكِتٰابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ شَهِيدٌ عَلىٰ مٰا تَعْمَلُونَ

و المخاطب فی هذه الآیه هم أهل الکتاب و یقصد منهم هنا الیهود،فاللّه سبحانه یأمر نبیه فی هذه الآیه أن یسألهم معاتبا عن علّه کفرهم بآیات اللّه فی حین أن اللّه یعلم بأعمالهم.

و المراد من آیات اللّه المذکوره فی هذا المقام إما الآیات الوارده فی التوراه حول الرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلم و علائم نبوته،أو مجموعه الآیات و المعجزات التی نزلت علی نبی الإسلام،و تحققت علی یدیه،و کشفت عن حقانیته،و صدق دعوته، و صحّه نبوته.

ثمّ جاءت الآیه الثانیه تلومهم قائله قُلْ یٰا أَهْلَ الْکِتٰابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ مَنْ آمَنَ،تَبْغُونَهٰا عِوَجاً وَ أَنْتُمْ شُهَدٰاءُ أی قل یا رسول اللّه لهم لائما و منددا:إذا کنتم غیر مستعدین للقبول بالحقّ،فلما ذا تصرون علی صرف الآخرین عنه، و صدهم عن سبیل اللّه،و إظهار هذا الطریق المستقیم فی صوره السبیل الأعوج بما تدخلون من الشبه علی الناس،فی حین ینبغی-بل یتعین-أن تکونوا أول جماعه تبادر إلی تلبیه هذا النداء الإلهی،لما وجدتموه من البشائر بظهور هذا النبی فی کتبکم و تشهدون علیه.

فإذا کان الأمر کذلک فلم هذه الوساوس و المحاولات لإلقاء الفرقه و إضلال الناس،و إزاحتهم عن سمت الحقّ،و صدهم عن السبیل الإلهی القویم؟و لم تحملون أثقالا إلی أثقالکم،و تتحملون إلی إثم الضلال جریمه الإضلال؟،لماذا؟ هل تتصورون أن کلّ ما تفعلونه سیخفی علینا؟کلاّ... وَ مَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ إنه تهدید بعد تندید،و إنه إنذار بعد لوم شدید.

و لعلّ وصفه سبحانه بعدم الغفله فی هذا المقام لأجل أن الیهود کانوا- لإنجاح محاولاتهم-یتکتمون و یتسترون،و یعمدون إلی حبک المؤامرات فی الخفاء، لینجحوا فی التأثیر علی المغفلین و البسطاء بنحو أفضل،و لیجنوا المزید من الثمار،

و لهذا قال لهم سبحانه إذا كان بعض الناس ينخدعون بوساوسكم و مؤامراتكم لغفلتهم فإن اللّه يعلم بأسراركم،و خفايا أعمالكم،و ما هو بغافل عمّا تعملون،فعلمه محيط بكم،و عقابه الأليم ينتظركم.

و بعد أن ينتهى هذا التقريع و التنديد،و الإنذار و التهديد لمشعلى الفتن، الصادين عن سبيل اللّه القويم،المستفيدين من غفله بعض المسلمين يتوجه سبحانه بالخطاب إلى هؤلاء المخدوعين من المسلمين،يحذرهم من مغبه الانخداع بوساوس الأعداء،و الوقوع تحت تأثيرهم،و السماح لعناصرهم بالتسلل إلى جماعتهم،و ترتيب الأثر على تحريكاتهم و تسويلاتهم،و أن نتيجه كلّ ذلك هو الابتعاد عن الإيمان،و الوقوع فى أحضان الكفر،إذ يقول: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ .

أجل إن نتيجه الانصياع لمقاصد هؤلاء الأعداء هو الرجوع إلى الكفر لأن العدو يسعى فى المرحله الاولى إلى أن يشعل بينكم نيران العداوه و الاقتتال، و لكنه لن يكتفى بهذا القدر منكم،بل سيستمر فى وساوسه الخبيثه حتّى يخرجكم عن الإسلام مرّه واحده،و يعيدكم إلى الكفر تاره اخرى.

من هذا البيان اتضح أن المراد من الرجوع إلى الكفر-فى الآيه-هو«الكفر الحقيقى،و الانفصال الكامل عن الإسلام»كما و يمكن أن يكون المراد من ذلك هى تلك العداوات الجاهليه التى تعتبر-فى حدّ ذاتها-شعبه من شعب الكفر، و علامه من علائمه،و أثرا من آثاره،لأن الإيمان لا يصدر منه إلاّ المحبه و الموده و التآلف،و أما الكفر فلا يصدر منه إلاّ التقاتل و العداوه و التنافر.

ثمّ يتساءل-فى عجب و استغراب- وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ أى كيف يمكن أن تسلكوا سبيل الكفر،و ترجعوا كفّارا و النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم بين ظهرانيكم،و آيات اللّه البينات تقرأ على أسماعكم،و تشع أنوار

الوحی علی قلوبکم و تهطل علیکم أمطاره المحییه؟ إن هذه العباره ما هی-فی الحقیقه-إلاّ الإشاره إلی أنه لا عجب إذا ضل الآخرون و انحرفوا،و لکن العجب ممّن لا یزمون الرسول و یرونه فیما بینهم،و لهم مع عالم الوحی اتصال دائم...و مع آیاته صحبه دائمه،إن العجب إنما هو-فی الحقیقه-من هؤلاء کیف یضلون و کیف ینحرفون؟ إنه حقّا یدعو إلی الدهشه و الاستغراب و یبعث علی العجب أن یضل مثل هؤلاء الذین یعیشون فی بحبوحه النور،و لا شک أنهم أنفسهم یتحملون إثم هذا الضلال-إن ضلوا-لأنهم لم یضلوا إلاّ عن بیّنه،و لم ینحرفوا إلاّ بعد بصیره...و لا شکّ أن عذابهم سیکون شدیدا جدّا لذلک.

ثمّ فی ختام هذه الآیات یوصی القرآن الکریم المسلمین-إن أرادوا الخلاص من وساوس الأعداء،و أرادوا الاهتداء إلی الصراط المستقیم-أن یعتصموا باللّه و یلوذوا بلطفه و یتمسکوا بهدایاته و آیاته،و یقول لهم بصراحه تامه وَ مَنْ یَعْتَصِمْ بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِیَ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ .

هذا و من النقاط المهمه التی تلفت النظر فی هذه الآیات هو أن الخطاب الإلهی فی الآیتین الأولیین من هذه الآیات موجهه إلی الیهود بالواسطه،لأن اللّه سبحانه یأمر نبیه الکریم أن یبلغ هذه المواضیع للیهود عن لسانه فیقول تعالی له قُلْ و لکنه عند ما یوجه الخطاب إلی المسلمین فی الآیتین الأخریین یخاطبهم بصوره مباشره و دون واسطه فلا یشرع خطابه لهم بلفظه قُلْ و هذا یکشف عن منتهی عنایه اللّه و لطفه بالمؤمنین،و أنهم-دون غیرهم-لائقون بأن یخاطبهم اللّه مباشره،و أن یوجه إلیهم الکلام دون أن یوسط بینه و بینهم أحدا.

الآيتان [سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۰۲ الى ۱۰۳]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۰۲) وَ اِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اَللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اُذْكُرُوا نِعْمَتَ اَللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ اَلنّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اَللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۱۰۳)

سبب النّزول

كانت بين«الأوس»و«الخزرج»القبيلتين الكبيرتين القاطنتين فى يثرب حروب طويله داميه و منازعات استمرت ما يقرب من مائه عام،و كانت المعارك و المناوشات تنشب بينهم بين فتره و اخرى و تكلف الجانبين خسائر جسميه فى الأموال و الأرواح.

كلّ ذلك كان أيّام الجاهليه قبل بزوغ الإسلام و طلوع شمسه على تلك الربوع.

ص: ۶۱۷

و قد كان ممّا وفق له الرسول و نجح فيه أكبر نجاح-بعد هجرته إلى المدينه(يثرب)-هو تمكنه من وضع حد لتلك المعارك و المناوشات و تلك المذابح و المجازر،و إقرار الإخاء مكان العداء و إحلال السلام محل الحروب،و تشكيل جبهه متحده متراصه الصفوف،قويه البنيان و الأركان فى المدينه المنوره.

و لكن حيث أن جذور النزاع كانت قويه و عديده جدا،كان ذلك الاتحاد يتعرض أحيانا لبعض الهزات بسبب بعض الاختلافات المنسيه التى كانت تطفو على السطح أحيانا فتشتعل نيران النزاع بعد غياب،و لكن سرعان ما كانت تختفى مرّه اخرى بفضل تعليمات النبى العظيم صلى اللّه عليه و آله و سلّم و حكمته،و تدبيره.

و قد لاحظنا فى الآيات السابقه نموذجا من تلك الاختلافات المتجدده التى كانت تبرز على أثر التحريكات التى كان يقوم بها الأعداء الأذكياء،و لكن هذه الآيات تشير إلى نوع آخر من الاختلافات التى كان يسببها الأصدقاء الجاهلون، و العصبيات العمياء و الحمقاء.

يقال:افتخر رجلان من الأوس و الخزرج هما«ثعلبه بن غنم»و«أسعد بن زراره»فقال ثعلبه:منا خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين،و منا حنظله غسيل الملائكه و منا عاصم بن ثابت بن أفلح حمى الدين،و منا سعد بن معاذ الذى رضى اللّه بحكمه فى بنى قريظه،و قال أسعد منا أربعه أحكموا القرآن:أبى بن كعب و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبو زيد و منا سعد بن عباده خطيب الأنصار و رئيسهم:

فجرى الحديث بينهما فغضبا و تفاخرا و ناديا فجاء الأوس إلى الأوسى،و الخزرج إلى الخزرجى و معهم السلاح،فبلغ ذلك النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم فركب حمارا و أتاهم،فأنزل اللّه هذه الآيات فقرأها عليهم فاصطلحوا.

ص :۶۱۸

التّفسير

اشاره

الدعوه إلى التقوى:

فی الآیه الأولى من هاتين الآيتين دعوه إلى التقوى لتكون التقوى مقدمه للاتحاد و التآخی.

و فی الحقیقه أن الـدعوه إلى الاتحاد دون أن تسـتعين هـذه الدعوه و تنبع من الجذور الخلقيه و الاعتقاديه،دعوه قليله الأثر،إن لم تكن عديمه الأثر بالمرّه، و لهذا يركز الاهتمام فی هذه الآيه على معالجه جذور الاختلاف،و إضـعاف العوامل المسببه للتنازع فی ضوء الإيمان و التقوى،و لهذا توجه القرآن بالخطاب إلى المؤمنين فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ .

يبقى أن نعرف أنه قـد وقـع كلاـم كـثير بين المفسّـرين حـول المراد من قـوله تعـالى حَقَّ تُقَاتِهِ و لكن ممّـا لاـ شـكّ فيه أن«حق التقوى»يعـد من أسـمى درجـات التقوى و أفضـلها لأـنه يشـمل اجتناب كلّ إثم و معصـيه،و كلّ تجاوز و عـدوان،و انحراف عن الحقّ.

و لذا

نقل عن الرسول الأكرم صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم كما فی تفسـير الدرّ المنثور،و عن الإمام جعفر الصادق عليه السّـلام كما فی تفسير العيّاشی و معانی الأخبار -فی تفسير قوله: حَقَّ تُقَاتِهِ أنهما قالا:«أن يطاع فلا يعصى،و يذكر فلا ينسى(و يشكر فلا يكفر)».

و من البـديهی أن القيام بهـذا الأمر كغيره من الأوامر الإلهيه،يرتبط بمدى قدره الإنسان و اسـتطاعته و لهذا لا تنافی بين هذه الآيه التی تطلب حقّ التقوى و أسـمى درجاته و الآيه ۱۶ من سوره التغابن التی تقول: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْـتَطَعْتُمْ فالكلام حول المنافاه بين الآيتين و ادعاء نسخ إحداهما بالأخرى ممّا لا أساس له مطلقا، و لا داعی له أبدا.

ص :۶۱۹

على أنه ليس من شكّ فى أن الآيه الثانيه تعتبر تخصيصا-فى الحقيقه-لمفاد الآيه الأولى و تقييدا بالاستطاعه و القدره،و حيث أن لفظه النسخ كانت-عند القدماء-تطلق على التخصيص،لذلك من الممكن أن يكون المراد من قول القائل بأن الآيه الثانيه ناسخه للأولى هو كونها مخصصه للأولى لا غير.

ثمّ إنه بعد أن أوصى جميع المؤمنين بملازمه أعلى درجات التقوى انتهت الآيه بما يعتبر تحذيرا-فى حقيقته-للأوس و الخزرج و غيرهم من المسلمين فى العالم،تحذيرا مفاده:أن مجرد اعتناق الإسلام و الانضمام إلى هذا الدين لا يكفى، إنما المهم أن يحافظ المرء على إسلامه و إيمانه و اعتقاده إلى اللحظه الأخيره من عمره و حياته،فلا يبدد هذا الإيمان بإشعال الفتن و إثاره نيران البغضاء أو بالانسياق وراء العصبيات الجاهليه الحمقاء،و الضغائن المندثره فتكون عاقبته الخسران،و ضياع كلّ شيء و لهذا قال سبحانه وَ لاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّٰ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .

الدعوه إلى الاتحاد

بعد أن أوصت الآيه السابقه كلّ المؤمنين بملازمه أعلى درجات التقوى و مهدت بذلك النفوس و هيأتها،جاءت«الآيه الثانيه»تدعوهم بصراحه إلى مسأله الاتحاد،و الوقوف فى وجه كلّ ممارسات التجزئه و إيجاد الفرقه،فقال سبحانه فى هذه الآيه وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً وَ لاٰ تَفَرَّقُوا .

و لكن ما المقصود من«حبل اللّه»فى هذه الآيه؟فقد ذهب المفسّرون فيه إلى احتمالات مختلفه،فمنهم من قال بأنه القرآن،و منهم من قال:بأنه الإسلام،و منهم من قال بأنهم الأئمّه المعصومون من آل الرسول و أهل بيته المطهرين.

و قد وردت كلّ هذه المعانى فى روايات منقوله عن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمّه من أهل بيته عليهم السّلام.

ففى تفسير«الدرّ المنثور»عن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم و فى كتاب«معانى الأخبار»عن الإمام السجّاد أنهما قالا: «كتاب اللّه حبل ممدود من السماء».

و

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال: «آل محمّد عليهم السّلام هم حبل اللّه الذى أمرنا بالاعتصام به فقال: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لاٰ تَفَرَّقُوا .

و لكنه ليس هناك-فى الحقيقه-أى اختلاف و تضارب بين تلك الأقوال و الأحاديث لأن المراد من الحبل الإلهى هو كلّ وسيله للارتباط باللّه تعالى سواء كانت هذه الوسيله هى الإسلام،أم القرآن الكريم،أم النبى و أهل بيته الطاهرين.

و بعباره اخرى فإن كلّ ما قيل يدخل بأجمعه فى مفهوم ما يحقق«الارتباط باللّه»سبحانه-الواسع-و الذى يستفاد من معنى حبل اللّه.

التعبير ب«حبل اللّه»لماذا؟

إن النقطه الجديره بالاهتمام فى هذه الآيه هو التعبير عن هذه الأمور بحبل اللّه،فهو إشاره إلى حقيقه لطيفه و هامه،و هى أن الإنسان سيبقى فى حضيض الجهل،و الغفله،و فى قاع الغرائز الجامحه إذا لم تتوفر له شروط الهدايه،و لم يتهيأ له الهادى و المربى الصالح فلا بدّ للخروج من هذا القاع،و الارتفاع من هذا الحضيض من حبل متين يتمسك به ليخرجه من بئر الماديه و الجهل و الغفله، و ينقذه من أسر الطبيعه،و هذا الحبل ليس إلاّ حبل اللّه المتين،و هو الارتباط باللّه عن طريق الأخذ بتعاليم القرآن الكريم و القاده الهداه الحقيقيين،التى ترتفع بالناس من حضيض الحضيض إلى أعلى الذرى فى سماء التكامل المادى و المعنوى.

أعداء الأمس و إخوان اليوم:

ثمّ إن القرآن بعد كلّ هذا يعطى مثالا حيّا من واقع الأمه الإسلاميه لأثر الارتباط باللّه و هو يذكر-فى نفس الوقت-بنعمه الاتحاد و الأخوه-تلك النعمه الكبرى-و يدعو المسلمين إلى مراجعه الماضى المؤسف،و مقارنه ذلك الاختلاف و التمزق بهذه الوحده القويه الصلبه و يقول: وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً .

و الملفت للنظر هو تكرار كلمه نعمه فى هذه الآيه مرتين و هو إشعار بأهميه الوحده هذه الموهبه الإلهيه التى لا تحقّق إلّا فى ظل التعاليم الإسلاميه و الاعتصام بحبل اللّه.

و النقطه الأخرى الجديره بالاهتمام أيضا هى أن اللّه نسب تأليف قلوب المؤمنين إلى نفسه فقال فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ أى أن اللّه ألف بين قلوبكم،و بهذا التعبير يشير القرآن الكريم إلى معجزه اجتماعيه عظيمه للإسلام،لأننا لو لاحظنا ما كان عليه العرب و المجتمع الجاهلى من عداوات و اختلافات و ما كان يكمن فى القلوب من أحقاد طويله عميقه و ما تراكم فيها من ضغائن مستحكمه،و كيف أن أقل شراره صغيره أو مسأله جزئيه كانت تكفى لتفجير الحروب،و اندلاع القتال فى ذلك المجتمع المشحون بالأحقاد،و خاصه بالنظر إلى تفشى الأميه و الجهل الملازم عاده للإصابه باللجاج و العناد و العصبيه،فإن أفرادا من هذا النوع من الصعب أن يتناسوا أبسط أمورهم فكيف بالأحداث الداميه الكبرى؟و من هنا تتجلى أهميه المعجزه الاجتماعيه التى حققها الإسلام حيث و حد الصفوف،و ألف بين القلوب،و أنسى الأحقاد،تلك المعجزه التى أثبتت أن تحقيق مثل هذه الوحده و تأليف تلك القلوب المتنافره المتباغضه،و إيجاد أمه واحده متآخيه من ذلك

الشعب الممزق الجاهل ما كان ليتيسر فی سنوات قليله بالطرق و الوسائل العاديه.

اعتراف العلماء و المؤرخين:

و قد كانت أهميه هذا الموضوع(أی وحده القبائل العربيه المتباغضه بفضل الإسلام)إلی درجه أنها لم تخف علی العلماء و المؤرخين،حتّی غير المسلمين منهم،فقد اتفق الجميع فی الإعجاب بهذه المسأله،و إظهارها فی كتاباتهم،و ها نحن نذكر نماذج من ذلک:

يقول«جان ديون پورت»العالم الإنجليزی المشهور:«لقد حول محمّد العربی البسيط،القبائل المتفرقه و الجائعه،الفقيره فی بلده إلی مجتمع متماسک منظم،امتازت،فيما بعد-بين جميع شعوب الأرض بصفات و أخلاق عظيمه و جديده،و استطاع فی أقل من ثلاثين عاما و بهذا الطريق أن يتغلب علی الامبراطوريه الرومانيه،و يقضی علی ملوک إيران،و يستولی علی سوريا و بلاد ما بين النهرين، و تمتد فتوحاته إلی المحيط الأطلسی و شواطئ بحر الخزر و حتی نهر سيحان(فی جنوب شرقی آسيا الوسطی) (۱) .

و يقول توماس كارليل:«لقد أخرج اللّه العرب بالإسلام من الظلمات إلی النور و أحيی به منها أمه خامله لا يسمع لها صوت و لا يحس فيها حركه حتّی صار الخمول شهره،و الغموض نباهه،و الضعه رفعه،و الضعف قوّه،و الشراره حريقا، و شمل نوره الأنحاء،و عم ضوؤه الأرجاء و ما هو إلاّ قرن بعد إعلان هذا الدين حتّی أصبح له قدم فی الهند،و أخری فی الأندلس،و عم نوره و نبله و هداه نصف المعموره» (۲) .

ص: ۶۲۳

۱- ۱) -من كتاب عذر تقصير به پيشگاه محمّد و قرآن(بالفارسيه)ص ۷۷.

۲- ۲) -الإسلام و العلم الحديث ص ۳۳،و المخططات الاستعماريه لمكافحه الإسلام للصواف ص ۳۸.

و يقول الدكتور«غوستاف لوبون»:معترفا بهذه الحقيقه:«...و إلى زمان وقوع هذه الحادثه المدهشه(يعنى الإسلام)الذى أبرز العربى فجأه فى لباس الفاتحين،و صانعى الفكر و الثقافه لم يكن يعد أن جزء من أرض الحجاز من التاريخ الحضارى و لا أنه كان يتراءى فيها للناظر أى شيء أو علامه للعلم و المعرفه،أو الدين» (۱) .

و يكتب«نهرو»العالم و السياسى الهندى الراحل فى هذا الصدد قائلا:

«إن قصه انتشار العرب فى آسيا و أوروبا و أفريقيا و الحضاره الراقيه و المدنيه الزاهره التى قدموها للعالم أعجوبه من أعجوبات التاريخ،و لقد كان محمّد واثقا بنفسه و رسالته،و قد هيأ بهذه الثقه و هذا الإيمان لأمته أسباب القوّه و العزّه و المنعه» (۲) .

لقد كان وضع العرب سيئا إلى أبعد الحدود حتّى أن القرآن يصف تلك الحاله بأنهم كانوا على حافه الانهيار و السقوط إذ يقول: وَ كُنْتُمْ عَلىٰ شَفٰا حُفْرَةٍ مِنَ النّٰارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهٰا .

و تعنى«شفا»فى اللغه حافه الهاويه و طرف الحفره أو الخندق و ما شابه ذلك، و من ذلك«الشفه»،كما و تستعمل لفظه«شفا»هذه فى البرء من المرض،لأن الإنسان بسببه يكون على حافه السلامه و العافيه.

و يريد سبحانه من قوله هذا:أنكم كنتم على حافه السقوط و الانهيار فى الهاويه،و أن سقوطكم كان محتملا فى كلّ آن و متوقعا فى كلّ لحظه،لتصبحوا بعد السقوط رمادا،و خبرا بعد أثر،و لكن اللّه نجاكم من ذلك السقوط المرتقب، و أبدلكم بعد الخوف أمنا،و بدل الانهيار اعتلاء و مجدا،و هداكم إلى حيث الأمن

۱- ۱) -حضاره العرب لغوستاف لوبون.

۲- ۲) -لمحات من تاريخ العالم ص ۲۳-۲۴.

و الأمان فی رحاب الأخوه و المحبه.

و النار فی هذه الآیه:هل هی نار الجحیم،أو نیران هذه الدنیا؟فیها خلاف بین المفسّرین،و لکن النظر فی مجموع الآیه یهدی إلی أن النار کنایه عن نیران الحروب و المنازعات التی کانت تتأجج کلّ لحظه بین العرب فی العهد الجاهلی بحجج واهیه،و لأسباب طفیفه.

فإن القرآن یصور بهذه العباره الوضع الجاهلی المتأزم و یصور أخطار الحروب المدمره التی کانت تتهدد حیاه الناس فی کلّ لحظه بالفناء و الدمار و الانهیار،و ما من به اللّه سبحانه علیهم من النجاه و الخلاص من ذلک الوضع فی ظل الإسلام و بفضل تعالیمه،و الذی بسببه تخلّص المسلمون أیضا من نار جهنم، و عذابه الألیم.

و لمزید من التأکید علی ضروره الاعتصام بحبل اللّه مع الإعتبار بالماضی و الحاضر،یختم سبحانه الآیه بقوله کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اللّٰهُ لَکُمْ آیٰاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ .

إذن فالهدف الأساسی هو خلاصکم و نجاتکم و هدایتکم إلی سبل الأمن و السلام،و حیث إن فی ذلک مصلحتکم فإن علیکم أن تعیروا ما بیناه لکم مزیدا من الاهتمام،و مزیدا من العنایه.

دور الاتحاد فی بقاء الأمم

رغم کلّ ما قیل عن أهمیه الاتحاد و آثاره العظیمه فی التقدّم الاجتماعی عند الشعوب و الأمم فإن من الممکن القول و الادعاء بأن الآثار الواقعیه لهذه المسأله لا تزال مجهوله،و غیر معروفه کما ینبغی.

إن العالم یشهد الیوم سدودا کثیره و کبیره أقیمت فی مختلف المناطق،و قد أصبحت منشأ لإنتاج أضخم القوی الصناعیه،فقد استطاعت هذه السدود بفضل ما

أنتجت من طاقات و حفظت من مياه كانت تذهب قبل ذلک هدرا،أن تغطی مساحات كبيره شاسعه بالری و الإضاءه.

فلو أننا فكرنا قليلا لوجدنا أن هذه القوّه العظيمه لم تنشأ إلاّ من تجمع القوى الصغيره،الجزئيه-أی تجمع قطرات المطر،و حبات الغيث الحقيره-و من هنا تدرک أهميه اجتماع القوى البشريه و تلاحم الطاقات الإنسانيه،و تجمعها،و ما يرافقها من جهود جماعيه.

و لقد عبرت النصوص و الأحاديث المأثوره عن النبی الكريم و أهل بيته الطاهرين-عليهم صلوات اللّه أجمعين-عن أهميه الاتحاد و الاجتماع بعبارات متنوعه مختلفه.

فتاره

يقول النبی الأكرم صلی اللّه عليه و آله و سلّم «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» و شبک بين أصابعه (۱) .

و اخرى

يقول صلی اللّه عليه و آله و سلّم «المؤمنون كالنفس الواحده» (۲) .

و ثالثه

يقول صلی اللّه عليه و آله و سلّم «مثل المؤمنين فی توادهم و تراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر و الحمى» (۳) .

۱- ۱) -تفسير أبو الفتوح الرازی ج ۲ ص ۴۵۰ نقلا عن البخاری كتاب المظالم باب ۵.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -المصدر السابق.

الآيتان [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠۴ الی ١٠۵]

اشاره

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى اَلْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (١٠۴) وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اِخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ اَلْبَيِّنٰاتُ وَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ (١٠۵)

التّفسير

اشاره

الدعوه إلى الحقّ و مكافحه الفساد:

بعد الآيات السابقه التى حثت على الأخوه و الاتحاد جاءت الإشاره-فى الآيه الأولى من الآيتين الحاضرتين-إلى مسأله«الأمر بالمعروف»و«النهى عن المنكر»اللذين هما-فى الحقيقه-بمثابه غطاء وقائي اجتماعى لحمايه الجماعه و صيانتها،إذ تقول وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

لأن فقدان«الأمر بالمعروف»و«النهى عن المنكر»يفسح المجال للعوامل المعاديه للوحده الاجتماعيه بأن تنخرها من الداخل،و تأتى على كلّ جذورها

كما تفعل الأرضه،و أن تمزق وحده الأمه و تفرق جمعها،و لهذا فلا بدّ من مراقبه مستمره و رعايه دائمه لهذه الوحده،و لا يتم ذلك إلّا بالأمر بالمعروف،و النهى عن المنكر.

و هذه الآيه تتضمن دستورا أكيدا للأمه الإسلاميه بأن تقوم بهاتين الفريضتين دائما،و أن تكون أمه آمره بالمعروف ناهيه عن المنكر أبدا لأن فلاحها رهن بذلك:

وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

.

يبقى أن نعرف أن«الأمه»مأخوذه لغه من«الأم»و هو كلّ ما انضم إليه الأشياء الأخرى،أو كلّ شيء ضم إليه سائر ما يليه،و الأمه كلّ جماعه يجمعهم أمر جامع إما دين واحد،أو زمان واحد،أو مكان واحد لهذا لا تطلق لفظه الأمه على الأفراد المتفرقين،و الأشخاص الذين لا يربطهم رباط واحد.

سؤال

و هنا يطرح سؤال و هو:أن الظاهر من جمله«منكم أمه»هو جماعه من المسلمين لا كافه المسلمين،و بهذا لا يكون الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر واجبا عامّا،بل وظيفه دينيه تختص بفريق من المسلمين،و إن كان انتخاب هذا الفريق الخاصّ من مسئوليه المسلمين جميعا.

و بعباره أخرى أن جمله«منكم أمه»ظاهره فى أن هذين الأمرين،واجبان كفائيان لا عينيان.

فى حين أن آيات أخرى تفيد بأنهما عامان غير خاصين بجماعه دون اخرى،كما فى آيه لا حقه و هى قوله سبحانه كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّٰاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ .

أو ما جاء فى سوره«العصر»:

إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ فإن

الأمر بالمعروف،و النهی عن المنکر،و التواصی بالحقّ،و التواصی بالصبر فی هذه الآیات و ما شابهها عامه غیر خاصّه.

و الجواب:

إن الإمعان فی مجموعه هذه الآیات یوضح لنا الجواب،فإنه یستفاد منها أن «الأمر بالمعروف»و«النهی عن المنکر»مرحلتین:«المرحله الفردیه»التی یجب علی کلّ واحد القیام بها بمفرده،إذ یجب علیه أن یراقب تصرفات الآخرین، و«المرحله الجماعیه»و هی التی تعتبر من مسئولیه الأمه بما هی أمه،حیث یجب علیها أن تقوم بمعالجه کلّ الاعوجاجات و الانحرافات الاجتماعیه،و تضع حدّا لها،بالتعاون بین أفرادها و أعضائها کافه.

و یعتبر القسم الأول من وظیفه الأفراد،فردا فردا،و حیث إن إمکانات الفرد و قدراته محدوده،و لذلک فإن إطار هذا القسم یتحدد بمقدار هذه الإمکانات.

و أمّا القسم الثانی فإنه یعتبر واجبا کفائیا،و حیث إنه من واجب الأمه بما هی أمه فإن حدوده یتسع و لهذا یکون من واجبات الحکومه الإسلامیه،و شؤونها بطبیعه الحال.

إن وجود هذین النوعین من مکافحه الفساد،و الدعوه إلی الحقّ یعتبران- بحقّ-من أهم التعالیم التی تتوج القوانین الإسلامیه،کما و یکشف عن سیاسه تقسیم الواجبات و الوظائف و توزیع الأدوار فی الدوله الإسلامیه،و عن لزوم تأسیس«فریق المراقبه»للنظاره علی الأوضاع الاجتماعیه و المؤسسات المختلفه فی النظام الإسلامی.

و قد جرت العاده فیما سبق بوجود أجهزه خاصّه تقوم بمهمه الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر فی المستوی الاجتماعی فی البلاد الإسلامیه،و قد کانت تسمی هذه الأجهزه تاره باسم«دائره الحسبه»و یسمی موظفوها بالمحتسبین،و تاره

باسم الآمرين بالمعروف،.و قد كانت هذه الأجهزه بسبب موظفيها تقوم بمكافحه كلّ فساد فى المجتمع،أو كل فساد و ظلم فى أجهزه الدوله،إلى جانب ما تقوم به من تشجيع الناس على الخير و الحثّ على المعروف.

و مع وجود مثل هذه الجماعه بما لها من القوه الواسعه لا يوجد أى تناف بين شمول فريضه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عليها و على الفرد بما له من القدره المحدوده.إذ يكون الأمر و النهى الواسعان من واجب الدوله الإسلاميه لا الفرد.

و حيث إن هذا البحث يعتبر من أهم الأبحاث القرآنيه و قد أشارت إليه آيات كثيره فى الكتاب العزيز لذلك يلزم أن نذكر أمورا فى هذا المجال:

۱-ما هو«المعروف»و ما هو«المنكر»؟ «المعروف»هو كلّ ما يعرف و هو مشتق من عرف،و«المنكر»كلّ ما ينكر و هو مشتق من الإنكار،و بهذا النحو و صفت الأعمال الصالحه بأنها امور معروفه، و الأعمال السيّئه و القبيحه امور منكره،لأن الفطره الإنسانيه الطاهره تعرف القسم الأول و تنكر القسم الثانى.

۲-هل الأمر بالمعروف واجب عقلى أو تعبدى؟ يعتقد جماعه من علماء المسلمين أن وجوب هاتين الفريضتين لم يثبت إلاّ بالدليل النقلى،و أن العقل لا يحكم بوجوب النهى عن منكر لا يتعدى ضرره إلى غير فاعله.

و لكن نظرا إلى العلاقات الاجتماعيه،و ما للمنكر من الآثار السيئه التى لا ـ تنحصر فى نقطه وقوعها،بل تتعداها إلى العلاقات الاجتماعيه إذ يمكن سرايه شرارته إلى كلّ نواحى المجتمع تتضح الأهميه العقليه لهاتين الوظيفتين.

و بعباره أخرى:ليس هناك فى المجتمع ما يكون«ضررا فرديا»ينحصر

نطاقه على الفرد خاصه،بل كلّ ضرر فردی يمكن أن ينقلب إلی«ضرر اجتماعی» و لهذا يؤكد العقل و المنطق السليم لأفراد المجتمع بأن لا يألوا جهدا فی الإبقاء علی سلامه البيئه الاجتماعيه و طهارتها من كلّ دنس.

و قد أشير إلی هذا فی بعض الأحاديث.

فعن النبی صلی اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: «مثل القائم علی حدود اللّه و المرهن فيها كمثل قوم استهمّوا علی سفينه فی البحر فأصاب بعضهم أعلاها و أصاب بعضهم أسفلها...فقال الذين فی أسفلها:إننا ننقبها من أسفلها فتستقی،فإن أخذوا علی أيدهم فمنعوهم نجوا جميعا،و إن تركوهم غرقوا جميعا» (۱) .

و لقد جسد النبی الأكرم صلی اللّه عليه و آله و سلّم-بهذا المثال الرائع-موضوعيه الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر،و منطقيه هاتين الفريضتين بغض النظر عن أمر الشارع بهما،و بذلك قرر حقّ الفرد فی النظاره علی المجتمع علی أساس أنه حقّ طبيعی ناشئ من اتحاد المصائر فی المجتمع،و ارتباط بعضها ببعض.

۳-أهميه الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر هناك علاوه علی الآيات القرآنيه الكثيره،أحاديث مستفيضه فی المصادر الإسلاميه المعتبره تتحدث عن أهميه هاتين الفريضتين الاجتماعيتين الكبيرتين، قد أشير فيها إلی العواقب الخطيره المترتبه علی تجاهل و ترك هاتين الوظيفتين فی المجتمع،نذكر من باب المثال طائفه منها:

-۱

عن الإمام الباقر عليه السّلام قال: «إن الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر فريضه عظيمه بها تقام الفرائض،و تأمن المذاهب،و تحل المكاسب،و ترد المظالم،و تعمر الأرض و ينتصف من الأعداء،و يستقيم الأمر» (۲) .

۱- ۱) -راجع سنن الترمذی:ج ۴ كتاب الفتن الباب ۱۲ و مسند أحمد:ج ۴ ص ۲۶۸.
۲- ۲) -وسائل الشيعه:ج ۱۱ كتاب الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر ص ۳۹۵.

-٢

قال النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم: «من أمر بالمعروف و نهی عن المنکر فهو خلیفه اللّه فی أرضه،و خلیفه رسول اللّه و خلیفه کتابه» (١) .

-٣

جاء رجل إلی النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم و هو علی المنبر فقال:یا رسول اللّه من خیر الناس؟ قال:«آمرهم بالمعروف،و أنهاهم عن المنکر و أتقاهم للّه و أرضاهم» (٢) .

-۴

فی حدیث عن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم: «لتأمرون بالمعروف،و تنهون عن المنکر،أو لیسلطن اللّه علیکم سلطانا ظالما لا یجل کبیرکم و لا یرحم صغیرکم،و تدعو خیارکم فلا یستجاب لهم،و تستنصرون فلا تنصرون،و تستغیثون فلا تغاثون،و تستغفرون فلا تغفرون» (٣) .

هذه الأمور کلّها هی الآثار الطبیعیه لموقف المجتمع الذی یعطل هاتین الوظیفتین الاجتماعیتین العظیمتین،لأن ترک النظاره العامّه علی ما یجری فی المجتمع یلازم خروج الأمور من قبضه الصالحین،و الإفساح للأشرار بأن یتسلموا أزمه الأمور و مقدرات المجتمع و یحکموا فیه بأهوائهم،فیقع ما یقع من المآسی و تصاب الجماعه بما ذکره الحدیث المتقدم من التبعات و المفاسد.

و ما ذکر فی الحدیث من عدم قبول توبتهم أیضا لأنه لا معنی لقبول التوبه مع استمرارهم علی السکوت اللهم إلّا أن یعیدوا النظر فی سلوکهم.

-۵

عن علی علیه السّلام: «و ما أعمال البر کلّها و الجهاد فی سبیل اللّه عند الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر إلّا کنفثه فی بحر لجیٔ» (۴) .

کل هذه التأکیدات هی لکون هاتین الوظیفتین العظیمتین خیر ضمان لإجراء و تنفیذ بقیه الوظائف الفردیه و الاجتماعیه،و لأنهما بمثابه الروح لها،فبترکهما

١- ١،٢،٣) -مجمع البیان فی تفسیر الآیه.

٢- ۴) -نهج البلاغه قصار الکلم،الکلمه رقم ٣٧۴.

٣-

تندرس کلّ الأحکام و القیم الأخلاقیه و تفقد قیمتها و تختفی من حیاه المجتمع.

۴-هل الأمر بالمعروف یوجب سلب الحریات؟ فی الإجابه علی هذا السؤال لا بدّ من القول بأن النمط الجماعی للحیاه و إن کان-بلا ریب-ینطوی علی فوائد کثیره لأفراد البشر،بل إن هذه المزایا هی التی دفعت الإنسان لیختار الحیاه الاجتماعیه،إلاّ أنه ینطوی فی مقابل ذلک علی بعض التقییدات لحریات الأفراد،و لکن بما أن ضرر هذه التقییدات الجزئیه ضئیل تجاه الفوائد الجمه التی تنطوی علیها الحیاه الاجتماعیه اختار الإنسان النمط الاجتماعی منذ الأیّام الأولی من حیاته علی هذا الکوکب متحملا کلّ التقییدات.

و حیث إن مصائر الأفراد ترتبط ببعضها فی الحیاه الاجتماعیه،و یؤثر بعضها فی بعض بمعنی أن الجمیع فی الحیاه الاجتماعیه یشترکون فی مصیر واحد،لذلک کان حقّ النظاره علی تصرفات الآخرین و سلوکهم حقّا طبیعیا تقتضیه الحیاه الجماعیه،کما جاء ذلک فی الحدیث الرائع الذی نقلناه آنفا عن الرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم فی هذا المجال.

و علی هذا فإن الأمر بالمعروف لا ینافی الحریات الفردیه فحسب،بل هو وظیفه کلّ فرد تجاه الفرد الآخر،لأن من شأنه الإبقاء علی سلامه الآخرین و استقامه أمورهم،و من ثمّ سلامه الفرد نفسه و استقامه أمره.

۵-ألا یلازم الأمر بالمعروف الفوضی الاجتماعیه؟ هناک سؤال آخر یطرح نفسه فی هذا المجال و هو إذا سمحنا للناس بأن یتدخلوا فی شؤون الآخرین و تکون لهم النظاره علی أعمالهم و تصرفاتهم،فإن ذلک یوجب وقوع الفوضی فی المجتمع،إذ تحصل بسببه المصادمات بین الأفراد، و لأنه یخالف مبدأ توزیع الواجبات و المسؤولیات فی الحیاه الاجتماعیه فما هو الجواب؟

ص :۶۳۳

فی الإجابه علی هذا السؤال لا بدّ من القول:بأن الأبحاث السابقه قد أوضحت أن لوظیفه الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر مرحلتین:المرحله الأولی:و هی المرحله العمومیه،و هی ذات إطار محدود لا یتجاوز التذکیر، و العظه،و الاعتراض،و النقد و ما شابه ذلک،و لا شکّ أن المجتمع إذا أراد أن یکون حیّا لا بدّ أن یشعر أفراده جمیعا بمثل هذه المسؤولیه تجاه المفاسد،و بمثل هذا الشعور تجاه المنکرات.

و أمّا المرحله الثانیه التی تختص بجماعه معیّنه و خاصه،و تکون من شؤون الحکومه الإسلامیه فهی أوسع إطارا،و أکبر مسئولیه،و أکثر قوه،بمعنی أن الأمر إذا تطلب استخدام القوه،و حتی إجراء القصاص و إجراء الحدود کان من صلاحیات هذه الجماعه أن تقوم به تحت نظر الحاکم الشرعی،و مسئولی الحکومه الإسلامیه،و هذا القسم هو الذی یقع بسببه الهرج و المرج لو أنیط إلی کلّ من هب و دب،دون القسم الأول الذی لا یتجاوز النصح و التذکیر،و الاعتراض و الإعراض.

إذن فبملاحظه المراحل المختلفه فی هذه الوظیفه الدینیه،و ما لکلّ واحده منها من الحدود و الأبعاد،فإن القیام بهذه الوظیفه لا یستوجب الهرج و المرج فی المجتمع،بل یخرج المجتمع من صوره الجماعه المیته الخامده،إلی صوره المجتمع الحی النابض،و الجماعه المتحرکه الصاعده.

۶-الأمر بالمعروف غیر العنف فی ختام هذا البحث لا بدّ من التذکیر بهذه الحقیقه و هی أنّه لا بدّ فی القیام بهذه الفریضه الإلهیه السامیه و الدعوه إلی الحقّ و مکافحه الفساد من حسن النیه، و سلامه الهدف،و الشعور بالمسؤولیه،کما یجب أن یتم بالطرق السلمیه،و من هنا لا یمکن اعتباره عملا خشنا ملازما للعنف إلاّ فی بعض الموارد الضروریه.

ص :۶۳۴

بيد أن البعض-مع الأسف-يستخدم العنف و الخشونه لدى القيام بهذا الواجب المقدس فى غير الموارد الضروريه التى تستدعى مثل ذلک،و ربما توسل بالسب و الشتم، و لهذا نرى أن مثل هذه الممارسات لا تترک أثرا ايجابيا،بل تعطى فى الأغلب نتائجها العکسيه،و ثمارها السلبيه،فى حين ترينا سيره الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمه الهداه من أهل بيته عليهم السّلام غير ذلک،فهم كانوا يستعملون-فى هذه الوظيفه المقدسه-منتهى اللطف و المحبه،و غايه الأدب و الاتزان،و لهذا كانوا يؤثرون غايه التأثير،و يترکون أفضل النتائج حتّى أنهم كانوا يطوعون بذلک النهج أعتى الأفراد،و أكثرهم عنادا و جفافا-.

جاء فى تفسير«المنار»فى معرض الحديث عن هذه الآيه: أن غلاما شابا أتى النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:أ تأذن لى فى الزنا؟ فصاح الناس به فقال النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم:قربوه ادن،فدنا حتّى جلس بين يديه فقال النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم أ تحبّه لأمّک؟ قال لا،جعلنى اللّه فداءک.

قال:كذلک الناس لا يحبونه لأمهاتهم،أ تحبه لابنتک؟ قال:لا،جعلنى اللّه فداءک.

قال:كذلک لا يحبونه لبناتهم،أ تحبه لأختک؟ قال:لا،جعلنى اللّه فداءک.

فوضع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم يده-على صدره و قال:

«اللهم طهر قلبه،و اغفر ذنبه،و حصن فرجه».

فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا (۱) .

۱- ۱) -المنار:ج ۴ ص ۳۳-۳۴.

و كان هذا هو الأثر الطبيعى للأسلوب اللين فى النهى عن المنكر.

الفرقه بعد الاتحاد من شيم النصارى و اليهود:

تقتضى أهميه الوحده أن يركز القرآن الكريم و يؤكد عليها مرّه بعد أخرى، و لذا يذكر بأهميه الاتحاد،و يحذر من تبعات الفرقه و النفاق و آثارها المشؤومه، بقوله وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ الْبَيِّنٰاتُ .

إن هـذه الآـيه تحـذر المسـلمين من أن يتبعوا-كالأـقوام السابقه مثل اليهود و النصارى-سبيل الفرقه و الاختلاف بعـد أن جاءتهم البينات و توحدت صفوفهم عليها،فيكسبوا بذلك العذاب الأليم.

إنه فى الحقيقه يـدعو المسـلمين إلى أن يعتـبروا بالماضـى،و يتـأملوا فى حيـاه السـابقين،و مـا آلوا إليه من المصـير المؤلم،بسـبب الاختلاف و التشتت.

إنهـا لفته تـاريخيه من شأنهـا أن توقفنـا على مـا ينتظر كـلّ أمه من سـوء العـواقب إذا هى سـلكت سبيـل النفـاق،و تفرقت بعـد ما توحدت،و تشتّتت بعد ما تجمعت.

إن إصـرار القرآن الكريـم فى هـذه الآيـات على اجتنـاب الفرقه و النفـاق إنمـا هـو تلميـح إلى أن هـذا الأـمر سـيقع فى المجتمع الإسلامى مستقبلا،لأن القرآن لم يحذّر من شىء أو يصر على شىء إلاّ و كان ذلك إشاره على وقوعه فى المستقبل.

و لقد تنبأ الرسول الأكرم بهذه الحقيقه و أخبر المسلمين عنها،بصراحه إذ قال:

«إن أمه موسـى افترقت بعـده على إحدى و سـبعين فرقه،و افترقت أمه عيسـى بعده على اثنتين و سـبعين فرقه،و أن أمتى سـتفترق بعدى على ثلاث و سبعين فرقه» (۱) .

۱- ۱) -نقلت هذه الروايه بطرق مختلفه عن الشيعه و السنه و أما كتب الشيعه التى نقلت هذه الروايه فهى:

و الظاهر أن عـدد(٧٠)إشـاره إلى الكثره فهو عـدد تكثيرى،لاـ عـدد إحصـائى، فـالروايه تعنى ان فرقه واحـده فقـط بين اليهود و النصـارى هى المحقّه النـاجيه، و فرقـا كثيره فى النـار،و هكـذا الحـال فى المسـلمين و ربّما يزداد عـدد اختلافات المسـلمين على ذلك.

و لـذا أشـار القرآن الكريم بمـا أخبر الرسول الأـكرم صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم أيضـا إلى ما يقع بين المسـلمين بعـد وفاته من الاختلاـف و الفرقه،و الخروج عن الطريـق المسـتقيم الـذى لاـ يكون إلاّـ طريقـا واحـدا،و الاـنحراف عن جـاده الحقّ فى العقـائد الـدينيه،بل و يـذهب المسـلمون-فى هـذا الاختلاف-إلى حـد تكفير بعضـهم بعضا،و شـهر السـيوف،و التلاعن و التشاتم،و هدر النفوس،و استحلال الدماء و الأموال،بل و يبلغ الاختلاف بينهم أن يلجأ بعض المسلمين إلى الكفّار،و إلى مقاتله الأخ أخاه.

و بهـذا تتبدل الوحده التى كانت من أسـباب تفوق المسـلمين السابقين و نجاحهم إلى النفاق و الاختلاف و التشـرذم و التمزق،و تنقـل حيـاتهم السـعيده إلى حيـاه شـقيه،و تحلّ الـذله محل العزّه،و الضـعف مكان القوه و تتبـدد العظمه الساميه، و ينتهى المجد العظيم.

أجل إن الذين يسلكون سبيل الاختلاف بعد الوحده،و الفرقه بعد الاتحاد سيكون لهم عذاب أليم.

أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ

.

إنّه ليس من شـكّ فى أن نتيجه الاختلاـف و الفرقه لن تكون سوى الـذله و الانكسـار،فـذلك هو سـر سـقوط الأـمم و ذلتها،إنه الاختلاف و التشتت،و النفاق و التدابر.

١)

الخصال،و معانى الأخبار،و الإحتجاج،و أمالى الصـدوق،و أصل سـليم بن قيس،و تفسـير العياشـى،و أما الكتب السـنيه فهى الـدرّ المنثور،و جامع الأصول،و الملل و النحل.

إن المجتمع الذی تحطمت وحدته بسبب الفرقه،و تفتت تماسکه بسبب الاختلاف،سیتعرض-لا محاله-لغزو الطامعین،و ستکون حیاته عرضه لأطماع المستعمرین،بل و مسرحا لتجاوزاتهم،و ما أشد هذا العذاب،و ما أقسی هذه العاقبه؟أجل تلک هی عاقبه النفاق و الاختلاف فی الدنیا.

و أما عذاب الآخره فهو-کما وصفه اللّه تعالی فی القرآن الکریم-أشد و أخری.فذلک هو ما ینتظر المفرّقین المختلفین،و ذلک هو ما یجب أن یتوقعه کلّ من حبذ النفاق علی الاتفاق،و التدابر علی التآلف،و التشتت علی الاجتماع...

خزی فی الدنیا،و عذاب أخزی فی الآخره.

الآيتان [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٦ الى ١٠٧]

اشاره

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا اَلَّذِينَ اِسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا اَلْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠۶) وَ أَمَّا اَلَّذِينَ اِبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اَللّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (١٠٧)

التّفسير

اشاره

الوجوه المبيضه و الوجوه المسوده:

فی تعقیب التحذیرات القویه التی تضمنتها الآیات السابقه بشأن التفرقه و النفاق و العوده إلی عادات الکفر و نعرات الجاهلیه،جاءت الآیتان الحاضرتان تشیران إلی النتائج النهائیه لهذا الارتداد المشؤوم إلی خلق الجاهلیه و عاداتها، و تصرحان بأن الکفر و النفاق و التنازع و العوده إلی الجاهلیه توجب سواد الوجه، فیما یوجب الثبات علی طریق الإیمان و الاتحاد،و المحبه و التآلف،بیاض الوجوه،فتقول يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ ففی یوم القیامه تجد بعض الناس وجوههم مظلمه سوداء،و البعض الآخر وجوههم نقیه بیضاء و نورانیه فَأَمَّا

الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكَمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

فلما ذا اخترتم طريق النفاق و الفرقه و الجاهليه على الاتحاد فى ظلّ الإسلام، فذوقوا جزاءكم العادل،و أما المؤمنون فغارقون فى رحمه اللّه وَ أَمَّا الَّذِينَ ابيُضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِی رَحْمَتِ اللّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ .

إن هاتين الآيتين تصرحان بأن المنافقين و المتفرقين بعد ما جاءتهم البينات هم المسوده وجوههم الذائقون للعذاب الأليم بسبب كفرهم،و أما المؤمنون المتآلفون المتحابون المتحدون فهم فى رحمه اللّه و رضوانه مبيضه وجوههم.

و لقد قلنا مرارا أن ما يلاقيه الإنسان من الأوضاع و الحالات،و من الثواب و العقاب فى الحياه الآخره ليس فى الحقيقه سوى أفكاره و أعماله و تصرفاته المجسمه التى قام بها فى هذه الحياه الدنيا،فهما و جهان لعمله واحده،إنه تجسم صادق و دقيق لما كان ينويه أو يعمله هنا ليس إلاّ.

و بعباره أخرى:أن لكل ما يفعله الإنسان فى هذه الحياه آثارا واسعه تبقى فى روحه،و قد لا تدرك فى هذه الحياه،و لكنها تتجلّى-بعد سلسله من التحولات- فى الآخره،فتظهر بحقائقها الواقعيه،و حيث إن جانب الروح يكون أقوى فى الآخره،إذ تشتد حاكميتها و سيادتها على الجانب الآخر من الكيان البشرى من هنا يكون لتلك الآثار انعكاساتها حتّى على الجسد،فتبدو الآثار المعنويه للأعمال محسوسه كما يكون الجسد محسوسا لكلّ أحد.

فكما ان الإيمان و الاتحاد يوجبان الرفعه و بياض الوجوه فى هذا العالم، و يوجب العكس العكس،أى أن الكفر و الاختلاف يوجبان للأمه الكافره المتفرقه سواد الوجه و الذله،فإن هذا البياض و السواد(المجازيين)فى الدنيا يظهران فى الآخره بصوره حقيقيه حيث يحشر المؤمنون المتحدون المتآلفون بيض الوجوه،

بينما يحشر الكافرون المتفرقون المتخاصمون سود الوجوه.

و تلك حقيقه أشارت إليها آيات اخرى فى القرآن الكريم فى شأن من يتمادى فى المعصيه و يأتى بالـذنب تلو الـذنب،و الإثم بعد الإثم إذ يقول سبحانه: كَأَنَّمٰا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً (1) .

و يقول فى شأن الذين يفترون على اللّه الكذب وَ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّٰهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّهٌ (2) .

و كلّ هذه الأمور هى المردودات و الآثار الطبيعيه لما يأتيه الإنسان فى عالم الدنيا من الأعمال.

1- 1) -يونس:27.

2- 2) -الزمر:60.

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۰۸ الی ۱۰۹]

اشاره

تِلْکَ آیاتُ اَللّهِ نَتْلُوها عَلَیْکَ بِالْحَقِّ وَ مَا اَللّهُ یُرِیدُ ظُلْماً لِلْعالَمِینَ (۱۰۸) وَ لِلّهِ ما فِی اَلسَّماواتِ وَ ما فِی اَلْأَرْضِ وَ إِلَی اَللّهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۱۰۹)

التّفسیر

هذه الآیه إشاره إلی ما تعرضت الآیات السابقه له حول الإیمان و الکفر، و الإتحاد،و الاختلاف،و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و آثارها و عواقبها، إذ تقول: تِلْکَ آیاتُ اللّهِ نَتْلُوها عَلَیْکَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللّهُ یُرِیدُ ظُلْماً لِلْعالَمِینَ فکلّ هذه الآیات تحذیرات عن تلک العواقب السیئه التی تترتب علی أفعال الناس أنفسهم وَ مَا اللّهُ یُرِیدُ ظُلْماً لِلْعالَمِینَ و إنما هی آثار سیئه یجنیها الناس بأیدیهم.

و یدلّ علی ذلک أن اللّه لا یحتاج إلی ظلم أحد،کیف و هو القوی المالک لکلّ شیء و إنما یحتاج إلی الظلم الضعیف،و إلی هذا یشیر قوله سبحانه وَ لِلّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ إِلَی اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ .

فالآیه-فی الحقیقه-تشتمل علی دلیلین علی عدم صدور الظلم منه سبحانه:

الأوّل:إن اللّه مالک الوجود کلّه فله ما فی السماوات و ما فی الأرض،فلا

معنی للظلم و لا موجب له عنده،و إنما یظلم الآخرین و یعتدی علیهم من یفقد شیئا،و إلی هذا یشیر المقطع الأول من الآیه و هو قوله تعالی: وَ لِلّهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ .

الثانی:إن الظلم یمکن صدوره ممّن تقع الأمور دون إرادته و رضاه،أما من ترجع إلیه الأمور جمیعا،و لیس لأحد أن یعمل شیئا بدون إذنه فلا یمکن صدور الظلم منه،و إلی هذا یشیر قوله سبحانه: وَ إِلَی اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ .

ص :۶۴۳

الآیه [سوره آل عمران (٣): آیه ١١٠]

اشاره

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّ‍اسِ تَ‍أْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ اَلْكِتٰابِ لَكٰانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ اَلْفٰاسِقُونَ (١١٠)

التّفسیر

اشاره

مكافحه الفساد و الدعوه إلى الحقّ أيضا:

فى هـذه الآـيه تطرح مرّه أخرى مسـأله«الأـمر بـالمعروف»و«النهى عن المنكر»،و تعتـبر الآـيه الحاضـره هـاتين المسـألتين واجـبين عموميين كما مرّ فى تفسـير الآيه(١٠۴)،بينمـا تبين الآـيه السابقه مرحله خاصّه،و هى مرحله الوجوب الكفائى أى الخاصّ بجماعه معينه،كما مرّ تفصيله.

فالآيه السابقه تشير إلى القسم الخاصّ،و هذه الآيه تشير إلى القسم العام من هاتين الفريضتين.

و الجـدير بالـذكر أن القرآن الكريم يصف المسـلمين-فى هـذه الآـيه-بـأنهم خير أمه هيئت و عبئت لخـدمه المجتمع الإنسانى،و الدليل على أن هذه الأمه خير أمه

ص:۶۴۴

رشحت لهذه المهمه الكبرى هو«قيامها بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إيمانها باللّه»و هذا يفيد أن إصلاح المجتمع البشرى لا يمكن بدون الإيمان باللّه و الدعوه إلى الحقّ،و مكافحه الفساد،كما و يستفاد من ذلك أن هاتين الوظيفتين مع ما هما عليه من السعه فى الإسلام ممّا تفرد بهما هذا الدين من دون بقيه الشرائع السابقه.

أما لماذا يجب أن تكون هذه الأمه خير الأمم،فسببه واضح كذلك.لأنها تختص بآخر الأديان الإلهيه و الشرائع السماويه،و لا شكّ أن هذا يقتضى أن يكون أكمل الشرائع و أتمها فى سلم الأديان.

وقفتان عند هذه الآيه:

ثمّ إنه يتعين علينا أن ننتبه إلى نقطتين أخريين فى هذه الآيه و هما:

الأولى:التعبير بلفظ الماضى«كنتم»يعنى أنكم كنتم كذلك فى السابق،و مفهوم هذا التعبير و إن كان موضع احتمالات كثيره بين المفسّرين،إلاّ أن ما يترجح عند النظر هو أن التعبير بالمضى إنما هو لأجل التأكيد،و التلويح بأن الشىء محقّق الوقوع،و لذلك نظائر كثيره فى الكتاب العزيز حيث عبّر عن القضايا المحقّقه الوقوع بصيغه الفعل الماضى،لإفاده أن ذلك ممّا يقع حتما حتّى أنه نزل منزله الماضى الذى قد تحقّق فعلا.

الثانيه:أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر قدّما-فى هذه الآيه-على الإيمان باللّه،و ذلك خير شاهد على أهميه هاتين الفريضتين الإلهيتين -و خطورتهما-مضافا إلى أن القيام بهذين الواجبين المقدسين ممّا يوجب انتشار الإيمان،و اتساع رقعته،و تعميق جذوره فى النفوس،و تنفيذ كلّ القوانين الفرديه و الاجتماعيه،و لا ريب أن ما يضمن تنفيذ القانون و تطبيقه مقدّم على نفس القانون.

ص:۶۴۵

بـل إن تعطيـل هـذين الواجبين يوجب ضـعف العقائـد فى القلوب،و انهيار قواعـد الإيمان فى النفوس،و لهـذا كلّه كان طبيعيا أن يقدّما على الإيمان.

من هـذا البيان يتضـح أن المسـلمين«خير أمه»ما داموا يـدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر،فإذا نسوا هاتين الفريضتين و أهملوهما لم يعودوا خير أمه،كما لم يعودوا فى خدمه المجتمع البشرى أبدا.

على أن المخـاطب فى هـذه الآـيه هم عموم المسـلمين فى جميع العصور كمـا هو الحـال فى كـلّ الخطابـات القرآنيه،فما احتمله البعض من أنه خاص بالمهاجرين أو المسلمين الأوائل لا دليل عليه،بل الدليل على خلافه.

ثم إن الآـيه تشـير إلى أن دينـا بمثـل هـذا الوضوح،و تشـريعا بمثـل هـذه العظمه، و تعاليم تنطوى على مثل هـذه الفوائـد التى لا تنكر،ينبغى أن يؤمن به أهـل الكتـاب من اليهود و النصـارى لأـن فى ذلك صـلاحهم،و خيرهم إذ يقول سـبحانه: وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ .

و لكن-و للأـسف-لم يـؤمن به إلاّـ قلّه ممّن نبـذ التعصب الأـعمى،و اعتنق الإسـلام برغبه صـادقه،و اسـتقبل هـذا الـدين برحـابه صدر،فيما أعرض الأكثرون منهم،و فضـلوا البقاء على ما هم عليه من الكفر و العصبيه على إتباع هذا الأمر الإلهى،متجاهلين حتّى تلك البشائر التى نطقت بها كتبهم حول هذا الدين و إلى هذا يشـير سـبحانه بقوله مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ الخارجون عن هذا الأمر الإلهى.

ص :۶۴۶

الآيتان [سوره آل عمران (٣): الآيات ١١١ الى ١١٢]

اشاره

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاّ أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ اَلْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ اَلذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلاّ بِحَبْلٍ مِنَ اَللّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ اَلنّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اَللّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ اَلْمَسْكَنَهُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اَللّهِ وَ يَقْتُلُونَ اَلْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)

سبب النّزول

عند ما أقدم بعض ذوى الضمائر المستيقظه من كبار اليهود مثل عبد اللّه ابن سلام على ترك دينهم و اعتناق الإسلام عمد جمع من رؤوس اليهود إليهم و أنّبوهم لإسلامهم،بل و هددوهم لتركهم دين الآباء،و اعتناق الإسلام،فنزلت هذه الآيات لتثبيتهم،و تبشيرهم و تبشير المسلمين بالظفر.

التّفسير

اشاره

تبشر الآيه الأولى المسلمين الذين يواجهون ضغوطا شديده و تهديدات

ص :۶۴۷

أحيانا من جانب قومهم الكافرين بسبب اعتناق الإسلام،تبشرهم و تعدهم بأنهم منصورون،و أن أهل الكتاب لا يقدرون عليهم و لاـ تنالهم من جهتهم مضره،و أن ما سيلحقهم من الأذى من جانبهم لن يكون إلاّ طفيفا و عابرا: لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاّ أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ .

إن هاتين الآيتين تحتويان-فى الحقيقه-على عدّه أخبار غيبيه،و بشائر مهمه للمسلمين قد تحقق جميعها فى زمن النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم و حياته الشريفه و هى:

۱-إن أهل الكتاب لا يقدرون على إلحاق أى ضرر مهم بالمسلمين،و أن ما يلحقونه بهم لن يكون إلاّ أضرارا بسيطه،و عابره لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاّ أَذىً .

۲-إنهم لن يثبتوا-في القتال-أمام المسلمين،بل ينهزمون و يكون الظفر للمسلمين،و لا يجدون ناصرا و لا معينا: وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ .

۳-إنهم لن يستطيعوا الوقوف على أقدامهم و لن يتمكنوا من العيش مستقلين، بل سيبقون أذلاء دائما،إلاّ أن يعيدوا النظر فى سلوكهم،و يسلكوا طريق اللّه،أو أن يعتمدوا على الآخرين و يستعينوا بقوتهم إلى حين: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّهُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلاّ بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ .

و لم يمض على هذه الوعود الإلهيه و البشائر المساويه زمن حتّى تحققت برمّتها فى حياه الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و خاصّه بالنسبه إلى اليهود القاطنين فى الحجاز (بنى قريظه،و بنى النضير،و بنى قينقاع،و يهود خيبر و بنى المصطلق)الذين آل أمرهم إلى الهزيمه فى جميع ميادين القتال و الاندحار أمام القوى الإسلاميه بعد أن اقترفوا سلسله من التحرشات و المؤامرات ضد الإسلام و المسلمين.

اليهود و المصير الخطير:

إن الآيـات المـذكوره و إن لم تصـرح بـاسم اليهود و لكن بقرينه القرائن الموجوده فى هـذه الآيه و الآيات السابقه و كـذا بقرينه الآيه ٦١ من سوره البقره و نظائرها ممّا صرّح فيه باسم اليهود يستفاد أن قوله تعالى: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّهُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلاّ بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ يرتبط باليهود،و يعنيهم.

ففى هذا المقطع من الآيه يقول سبحانه:أن أمام اليهود طريقين يستطيعون بهما أن يتخلصوا من لباس الذله:

إمـا أن يعودوا إلى اللّه،و يعقـدوا حبلهم بحبله،و إما أن يتمسـكوا بحبل من الناس،و يعتمـدوا على هـذا و ذاك،و يعيشوا ذيولا و أتباعا للآخرين.

و تعنى لفظه«ثقفوا»المأخوذه من«ثقف»على وزن«سقف».الحذق فى إدراك الشىء،و الظفر به بمهاره.

و يقصـد القرآن من ذلـك:أن اليهود أينمـا وجـدوا فـإنهم يوجـدون و قـد ختموا بخـاتم الـذله على جبـاههم مهما حاولوا إخفاء ذلك-و كان ذلك هى الصـفه البارزه لهم بسـبب مواقفهم المشـينه من تعاليم السـماء،و رسالات الأنبياء العظام،إلاّ إذا عادوا إلى منهج السماء،أو استعانوا بهذا أو ذاك من الناس لتخليصهم من هذا الذل.

و إنقاذهم من هذا الهوان.

و أمـا التعبير بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ و إن ذهب المفسّرون فيه إلى احتمالات عديـده،بيـد أن ما قـد ذكر قريبا يمكن أن يقـال بأنه أنسب إلى الآيه من بقيه الاحتمالات،لأنه عنـد ما يوضع«حبل اللّه»فى قبال«حبل من الناس»يتبين أن هناك معنى متقابلا متفاوتا لهما لا أن الأول بمعنى الإيمان باللّه،و الثانى بمعنى العهد المعطى لهم من جانب المسلمين على وجه الأمان و الذمه.

و علی هـذا تکـون خلاـصه المفهـوم من هـذه الآـیه هی:إن علی الیهود أن یعیـدوا النظر فی برنامـج حیـاتهم،و یعودوا إلی اللّه،و یمسـحوا عن أدمغتهم کلّ الأفکار الشـیطانیه،و کلّ النوایا الشـریره،و یطرحوا النفاق و البغضاء للمسـلمین جانبا،أو أن یستمروا فی حیـاتهم النکـده المزیجه بالنفـاق،مسـتعینین بهـذا أو ذاک.فأمـا الإیمان باللّه و الـدخول تحت مظلته و فی حصـنه الحصـین،و أما الاعتماد علی معونه الناس الواهیه.و الاستمرار فی الحیاه التعسه.

الیهود و المسکنه الدائمه:

لقـد کـان أمـام الیهود طریقان:إما أن یعودوا إلی منهـج اللّه،و إما أن یبقوا علی سـلوکهم فیعیشوا أذلاء ما داموا،و لکنهم اختاروا الثانی و لهذا لزمتهم الذله وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ الْمَسْکَنَهُ .

و لفظه«بـاءوا»تعنی فی الأصـل المراجعه و اتخـاذ السـکنی،و قـد اسـتخدمت هنا للکنایه عن الاسـتحقاق فیکون المعنی:أن الیهود بسبب إقامتهم علی المعاصی استحقوا الجزاء الإلهی،و اختاروا غضب اللّه کما یختار الإنسان مسکنا و منزلا للإقامه.

و أمّا لفظه«مسـکنه»فتعنی الـذله و الانقطاع الشدید الذی لا تکون معه حیله أبدا،و هی مأخوذه من السـکون أصـلا،لأن المساکین لشده ما بهم من الفقر و الضعف لا یقدرون علی أیه حرکه،بل هم سکون و جمود.

ثمّ إنه لا بـدّ من الالتفات إلی أن المسـکین لا یعنی المحتاج و المعـدم من الناحیه المالیه خاصّه،بل یشـمل هـذا الوصف کلّ من عدم الحیله و القدره علی جمیع الأصعده،فیدخل فیه کلّ ضعف و عجز و افتقار شدید.

و یری البعض أن الفرق بین الـذله و المسـکنه هو أن الذله ما کان مفروضا علی الإنسان من غیره،بینما تکون المسـکنه ناشـئه من عقده الحقاره و ازدراء الذات، أی أن المسـکین هو من یسـتهین بشخصـیته و مواهبه و ذاته،فتکون المسکنه نابعه من داخله،بینما تکون الذله مفروضه من الخارج.

و علی هـذا الأسـاس یکـون مفـاد قوله تعـالی وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وَ ضُـرِبَتْ عَلَیْهِمُ الْمَسْـکَنَهُ هو:أن الیهود بسـبب إقـامتهم علی المعاصـی و تمادیهم فی الـذنوب أصـیبوا بأمرین:أولا:طردوا من جانب المجتمع و حل علیهم غضب اللّه سـبحانه، و ثانیا:إن هذه الحـاله«أی الـذله»أصـبحت تـدریجا صـفه ذاتیـه لازمه لهـم حتّی أنهـم رغم کـلّ مـا یملکـون من امکانیـات و قـدرات مـالیه و سیاسیه،یشعرون بحقاره ذاتیه، و صغار باطنی،و لهذا لا نجد أی استثناء فی ذیل هذه الجمله من الآیه.

و هـذا هو مـا یشـیر إلیه قوله سـبحانه إذ یقول: ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ کٰانُوا یَکْفُرُونَ بِآیٰاتِ اللّٰهِ*وَ یَقْتُلُونَ الْأَنْبِیٰاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ ذٰلِکَ بِمٰا عَصَوْا وَ کٰانُوا یَعْتَدُونَ و بذلک یشیر سبحانه إلی عله هذا المصیر الأسود الذی یلازم الیهود،و لا یفارقهم.

إنهم لم یصابوا بما أصـیبوا به من ذله و مسـکنه،و حقاره و صـغار لأسـباب قومیه عنصریه أو ما شابه ذلک،بل لما کانوا یرتکبونه من الأعمال فهم:

أولا:کانوا ینکرون آیات اللّه و یکذبون بها.

ثانیا:یصرون علی قتل الأنبیاء الهداه الذین ما کانوا یریدون سوی إنقاذ الناس من الجهل و الخرافه،و تخلیصهم من الشقاء و العناء.

ثالثا:إنهم کانوا یرتکبون کلّ فعل قبیـح،و یقترفون کلّ جریمه نکراء، و یمارسون کلّ ظلم فظیع، و تجاوز علی حقوق الآخرین،و لا شکّ أن أی قوم یرتکبون مثل هذه الأمور یصابون بمثل ما أصیب به الیهود،و یستحقون ما

استحقوه من العذاب الأليم و المصير الأسود.

مصير اليهود المظلم:

إن التاريخ اليهودى الزاخر بالأحداث و الوقائع يؤيد ما ذكرته الآيات السابقه تأييدا كاملا،كما أن وضعهم الحاضر هو الآخر خير دليل على هذه الحقيقه،أى أن الذله اللازمه لليهود و الصغار الملتصق بهم أينما حلوا و نزلوا،ليس حكما تشريعيا كما قال بعض المفسّرين،بل هو قضاء تكوينى،و هو حكم التاريخ الصارم الذى يقضى بأن يلازم الذله،و يصاب بالصغار كلّ قوم يتمادون فى الطغيان،و يغرقون فى الآثام،و يتجاوزون على حقوق الآخرين و حدودهم، و يسعون فى إباده القاده المصلحين و الهداه المنقذين،إلّا أن يعيد هؤلاء القوم النظر فى سلوكهم،و يغيروا منهجهم و طريقتهم،و يرجعوا و يعودوا إلى اللّه،أو يربطوا مصيرهم بالآخرين ليعيشوا بعض الأيام فى ظل هذا أو ذاك كما هى حال الصهيونيه اليوم.

فإن الصهيونيه التى تعادى المسلمين اليوم و تحارب الإسلام نجدها لا تستطيع الوقوف أمام الأخطار التى تهددها إلّا بالاعتماد على الآخرين، و حمايتهم رغم كلّ ما تملك من الثروات و القدرات الذاتيه،و كلّ هذا يؤكد و يؤيد ما ذكرته هذه الآيات و ما يستفاد منها من الحقائق،و لا شكّ أن هذا الوضع سيستمر بالنسبه إلى اليهود إلّا إذا تخلوا عن سلوكهم العدوانى و أعادوا الحقوق إلى أهلها،و عاشوا إلى جانب الآخرين على أساس من الوفاق لا الغصب و العدوان و الاحتلال.

ص :652

الآيات [سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۱۳ الی ۱۱۵]

اشاره

لَيْسُوا سَوٰاءً مِنْ أَهْلِ اَلْكِتٰابِ أُمَّةٌ قٰائِمَةٌ يَتْلُونَ آيٰاتِ اَللّٰهِ آنٰاءَ اَللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ (۱۱۳) يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ وَ يُسٰارِعُونَ فِي اَلْخَيْرٰاتِ وَ أُولٰئِكَ مِنَ اَلصّٰالِحِينَ (۱۱۴) وَ مٰا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (۱۱۵)

سبب النّزول

يقال:لما أسلم«عبد اللّه بن سلام»و هو من علماء اليهود و جماعه منهم، انزعجت اليهود،و بخاصه أحبارهم من هذا الحادث،و صاروا بصدد اتهامهم بالخيانه،و عيبهم بالشر فقال أحبارهم:«ما آمن بمحمّد إلاّ شرارنا»و هم بذلك يهدفون إلى إسقاطهم من أعين اليهود حتّى لا يقتدى بهم الآخرون. فنزلت الآيات أعلاه للدفاع عن هذه الفئه المؤمنه.

التّفسير

اشاره

الإسلام و خصيصه البحث عن الحقّ:

بعد كلّ ذلك الذم لليهود،الذی تضمنته الآيات السابقه بسبب مواقفهم المشينه

و أفعـالهم الـذميمه نجـد القرآن-كمـا هو شـأنه دائما-يراعى جانب العـدل و الإنصاف، فيحترم كلّ من تنزه عن ذلك السـلوك الـذميم الـذى سـار عليه اليهـود،و يعلن بصـراحه أنه لاـ يعمم ذلـك الحكم،و إنه لاـ يمكن النظر إلى الجميـع بنظره واحـده دون التفريق بين من أقام على تلك الفعال،و بين من غادرها و طلب الحقّ،و لهذا يقول:

لَيْسُوا سَوٰاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ أُمَّةٌ قٰائِمَةٌ يَتْلُونَ آيٰاتِ اللّٰهِ آنٰاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ

(۱)

.

أجـل ليس أهـل الكتـاب سواء،فهنـاك جمـاعه تطيع اللّه و تخـافه،و تؤمن به و تهـابه،و تؤمن بالآخره و تعمل لها،و تقوم بواجب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

و بهذا يتورع القرآن الكريم عن إدانه العنصر اليهودى كافه،بل يركز على أفعالهم و أعمالهم و ممارساتهم،و يحترم و يمدح كلّ من انفصل عن أكثريتهم الفاسـده،و خضع للحقّ و الإيمان،و هـذا هو أسـلوب الإسـلام الـذى لا يعادى أحدا على أساس اللون و العنصر،بل إنما يعاديه على أساس اعتقادى محض،و يكافحه إذا كانت أعماله لا تنطبق مع الحقّ و العدل و الخير،لا غير.

ثمّ إنه يستفاد من بعض الأحـاديث أن الممـدوحين فى هـذه الآيه لم ينحصـروا فى«عبـد اللّه بن سـلام»و جماعته الـذين أسـلموا معه،بل شـمل هذا المدح(۴۰)من نصـارى نجران و(۳۲)من نصـارى الحبشه و(۸)أشـخاص من أهل الروم كانوا قـد أسـلموا قبل ذلك،و يدل على ذلك أن الآيه استخدمت لفظه«أهل الكتاب»و هو كما نعرف تعبير يعم اليهود و غيرهم.

ثمّ إنّه سـبحانه قـال: وَ مٰا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ معقبـا بـذلك على العبـارات السابقه و مكملا للآيه،و يعنى بقوله أن هؤلاء الذين أسلموا و اتخذوا

۱- ۱) -الآناء جمع أنا(على وزن وفا)و أنا(على وزن غنا)بمعنى الأوقات.

مواقعهم فی صفوف المتقین لن یضیع اللّه لهم عملا،و إن کانوا قد ارتکبوا فی سابق حالهم ما ارتکبوه من الآثام،و ما اقترفوه من المعاصی،ذلک لأنهم قد أعادوا النظر فی سلوکهم و أصلحوا مسارهم،و غیروا موقفهم.

و المراد من کلمه«الکفر»هنا هو ما یقابل الشکر،لأن الشکر یعنی أصلا الاعتراف بالنعمه و الجمیل،و الکفر یعنی إنکار ذلک،فیکون المراد فی هذه الآیه هو أن اللّه لن ینکر أعمالهم الصالحه،و لن یتنکر لها.

کیف وَ اللّهُ عَلِیمٌ بِالْمُتَّقِینَ و کأن هذه العباره التی یختم بها سبحانه الآیه الحاضره تشیر إلی حقیقه من الحقائق الهامه و هی:أن المتقین و إن کانوا قله قلیله فی الأغلب،و خاصه فی جماعه الیهود الذین عاصروا النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم حیث کان المسلمون المهتدون منهم قله ضعیفه،و من شأن ذلک أن لا تلفت کمیتهم النظر، و لکنهم مع ذلک یعلمهم اللّه بعلمه الذی لا یعزب عنه شیء،فلا موجب للقلق،و لا داعی للاضطراب ما دام سبحانه یعلم بالمتقین علی قلتهم،و یعلم بأعمالهم،فلا یضیعها أبدا قلیله کانت أو کثیره.

الآيتان [سوره آل عمران (٣): الآيات ١١٦ الی ١١٧]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اَللّٰهِ شَیْئاً وَ أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ (١١۶) مَثَلُ مٰا یُنْفِقُونَ فِی هٰذِهِ اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا کَمَثَلِ رِیحٍ فِیهٰا صِرٌّ أَصٰابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَکَتْهُ وَ مٰا ظَلَمَهُمُ اَللّٰهُ وَ لٰکِنْ أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ (١١٧)

التّفسیر

اشاره

فی مقابل العناصر التی تبحث عن الحقّ،و تؤمن به من الذین وصفتهم الآیه السابقه،هناک عناصر کافره ظالمه و صفهم اللّه سبحانه فی هاتین الآیتین بقوله:

إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَیْئاً

لأنه لا ینفع فی الآخره سوی العمل الصالح و الإیمان الخالص لا الامتیازات المادیه،فی هذه الحیاه: یَوْمَ لاٰ یَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ إِلاّٰ مَنْ أَتَی اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ (١) .

یبقی أن نعرف لما ذا أشیر فی هذه الآیه إلی الثروه و الأولاد من بین بقیه

ص: ۶۵۶

١- ١) -الشعراء:٨٨ و ٨٩.

الإمكانات؟وجه ذلک أن أهم الإمكانات المادیه تنحصر فی أمرین:

الأول:الطاقه البشریه و قد ذکرت الأولاد کأفضل نموذج لها.

الثانی:الثروه الاقتصادیه.

و أما بقیه الإمكانات المادیه الاخری فتتفرع من هاتین.

إن القرآن ینادی بصراحه بأن الامتیازات المالیه و القدره البشریه الجماعیه لا تعد امتیازا فی میزان اللّه،و أن الاعتماد علیها وحدها هو الخطأ الجسیم إلاّ إذا قرنت بالإیمان و العمل الصالح،و استخدمت فی سبیلهما،و إلاّ فستؤول بأصحابها إلی الجحیم و عذابها الخالد. أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ .

و لما کان الکلام عن الثروه و المال کان لا بدّ من الإشاره إلی مسأله الإنفاق فیقول سبحانه: مَثَلُ مٰا یُنْفِقُونَ فِی هٰذِهِ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا کَمَثَلِ رِیحٍ فِیهٰا صِرٌّ أَصٰابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَکَتْهُ .

و«الصرّ»مأخوذ من«الإصرار»لغه،و تعنی الشد بقوّه و شدّه،و المراد بها هنا هی الریح الشدیده سواء کانت مصحوبه بالبرد القارص،أو الحر اللافح.

إنفاق الکفّار:

و فی هذه الآیه إشاره إلی کیفیه إنفاق الکفّار و بذلهم المصحوب بالریاء،ضمن إعطاء مثل رائع یجسد مصیر هذا الإنفاق و البذل،و یصوره فی أبلغ تصویر.

القرآن یمثل إنفاق الکفّار بالریح الشدیده البارده أو اللافحه جدّا التی إذا هبت علی الزرع لا تبقی منه شیئا و لا تذر،بل تترک الزرع حطاما و الأرض بلاقع.

إنه لا ـ شکّ أن النسائم الخفیفه تنعش الزرع و تحیی الطبیعه،فنسائم الربیع تفتح الأزهار،و تصب فی عروق الأشجار و النباتات روحا جدیده و حیاه و نشاطا،و تساعد علی لقاحها،و کذلک یکون الإنفاق الصحیح و البذل الذی ینبع

من الإخلاص و الإيمان.إنه يعالج مشاكل المجتمع كما يكون له أثر حسن و عميق فى نفس الباذل المنفق، لأنه يرسخ فيها السجايا الإنسانيه و يعمق مشاعر العطف و اللطف و الرفق و الحبّ بما يستشعره من آثار إيجابيه لإنفاقه،و بما يسببه الإنفاق فى رفع الآلام الاجتماعيه،و توفير السعاده للآخرين.

أما إذا تبدلت هذه النسائم الرقيقه إلى رياح عاصفه لافحه،أو زوبعه شديده البروده،فسوف تؤدى إلى إحراق جميع النباتات و الأزهار أو تجميدها.

و هذا هو حال غير المؤمن فى إنفاقه،فإنه لا ينفق ماله بدافع صحيح،بل ينفقه رياء و سمعه و أهواء و أهداف شريره،و بذلك يكون كالريح العاتيه،اللافحه أو البارده،تأتى على كلّ ما أنفقه كما تأتى على الزرع،فتصيبه بالجفاف و الفناء، و الدمار و الهلاك.

إن مثل هذا الإنفاق لا يعالج أيه مشكله اجتماعيه(لأنه صرف للمال فى غير محله فى الأغلب)كما لا ينطوى على أى أثر أخلاقى و نفسى للمنفق الباذل.

و الذى يلفت النظر أن القرآن الكريم يقول فى هذه الآيه حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ و هو يشير إلى أن هؤلاء المزارعين تعرضوا لما تعرضوا له لأنهم تساهلوا فى إختيار مكان الزرع و زمانه،و لأنهم زرعوا فى أرض معرضه للرياح الشديده، أو أنهم اختاروا للزرع وقتا يكثر فيه هبوب رياح السموم،و بهذا ظلموا أنفسهم، و كذلك حال غير المؤمن فى إنفاقه،فإنه ظلم نفسه بإنفاقه غير الصحيح و غير المناسب من حيث الزمان و المكان و الهدف،و بهذا عرض أمواله و ثرواته للرياح.

من كلّ ما أشرنا إليه،و بملاحظه القرائن الموجوده فى الآيه تبين أن هذا التمثيل لإنفاق الكفّار بالزرع الذى أهلكته الرياح العاصفه تمثيل به من ناحيتين:

الأولى:تشبيه لإنفاق الكافر بالزرع فى غير محله و موسمه المناسب.

الثانيه:تشبيه لنواياه و أهدافه من الإنفاق بالرياح العاصفه البارده أو

السموم،و لهذا فإن المقام لا يخلو عن تقدير شيء محذوف و أن معنى قوله: مَثَلُ مٰا يُنْفِقُونَ أن مثل نوايا الكافر فى الإنفاق مثل الرياح البارده أو السموم التى تهب على الزرع فتفنيه.

قال جماعه من المفسّرين:إن هذه الآيه إشاره إلى الأموال التى يستخدمها الكفّار للإيقاع بالإسلام و صد حركته،و التى يحركون بها الأعداء ضد النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلّم. أو الأموال التى يعطيها اليهود لأحبارهم ليحرفوا آيات اللّه عن مواضعها و يزيدوا أو ينقصوا فى الكتب السماويه.

و لكن من الواضح جدّا أن هذه الآيه تنطوى على معنى واسع يشمل هذا الرأى و غيره.

ثمّ إنه سبحانه يعقب على ما قال بشأن إنفاق الكفّار الذى لا يعود عليهم إلاّ بالوبال و الويل بقوله: وَ مٰا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَ لٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

أجل،إن العمل الفاسد لا يجر على صاحبه إلاّ النتيجه الفاسده،فما يحصده الكفّار من إنفاقهم من الوبال و البطلان،إنما هو بسبب نواياهم الباطله الفاسده من هذا الإنفاق.

ص :۶۵۹

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۱۸ الی ۱۲۰]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَهً مِنْ دُونِکُمْ لا یَأْلُونَکُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ اَلْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَ ما تُخْفِی صُدُورُهُمْ أَکْبَرُ قَدْ بَیَّنّا لَکُمُ اَلْآیاتِ إِنْ کُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (۱۱۸) ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لا یُحِبُّونَکُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْکِتابِ کُلِّهِ وَ إِذا لَقُوکُمْ قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَیْکُمُ اَلْأَنامِلَ مِنَ اَلْغَیْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَیْظِکُمْ إِنَّ اَللّهَ عَلِیمٌ بِذاتِ اَلصُّدُورِ (۱۱۹) إِنْ تَمْسَسْکُمْ حَسَنَهٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْکُمْ سَیِّئَهٌ یَفْرَحُوا بِها وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا یَضُرُّکُمْ کَیْدُهُمْ شَیْئاً إِنَّ اَللّهَ بِما یَعْمَلُونَ مُحِیطٌ (۱۲۰)

سبب النّزول

عن ابن عباس أن هذه الآیات نزلت عند ما أقدم بعض المسلمین-بسبب ما کان بینهم و بین الیهود من الصداقه أو القرابه أو الجوار أو الحلف أو الرضاع-علی

ذكر أسرار المسلمين عندهم،و بهذا كان اليهود الذين يتظاهرون بالموده للمسلمين -و هم ألدّ أعداء الإسلام فى باطنهم-يطلعون على أسرار المسلمين،فنزلت هذه الآيات تحذر أولئك الرجال من المسلمين من مغبه هذه الصداقات و العلاقات، و توصيهم بأن لا يتخذوا اليهود بطانه يسرون إليهم بأسرارهم،لأنهم لا يتورعون عن استخدام كلّ وسيله ممكنه-حتّى هذه الأسرار-لإلحاق الأذى و الضرر بكم، لأنهم يهمهم-دائما-أن تكونوا فى نصب و تعب و محن و مشاكل،و عناء و شقاء.

التّفسير

اشاره

لا تتخذوا الأعداء بطانه:

هذه الآيه التى جاءت بعد الآيات السابقه التى تعرضت لمسأله العلاقات بين المسلمين و الكفّار،تشير إلى قضايا حساسه بالغه الأهميه،و تحذر المؤمنين- ضمن تمثيل لطيف-بان لا يتخذوا من الذين يفارقونهم فى الدين و المسلك أصدقاء يسرون إليهم و يخبرونهم بأسرارهم،و أن لا يطلعوا الأجانب على ما تحتفظ به صدورهم و ما خفى من نواياهم و أفكارهم الخاصّه بهم،قال سبحانه:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا بِطٰانَةً (۱) مِنْ دُونِكُمْ...

.

و هذا يعنى أن الكفّار لا يصلحون لمواصله المسلمين و مصادقتهم،كما لا يصلحون بأن يكونوا أصحاب سر لهم،و ذلك لأنهم لا يتورعون عن الكيد و الإيقاع بهم ما استطاعوا: لاٰ يَأْلُونَكُمْ خَبٰالاً (۲) .

۱- ۱) -«البطانه»مأخوذه من بطانه الثوب،و هى الوجه الذى يلى البدن لقربه منه،و نقيضها«الظهاره» و البطانه فى المقام كنايه عن خاصه الرجل الذين يستبطنون أمره و يطلعون على أسراره.

۲- ۲) -«الخبال»فى الأصل بمعنى ذهاب شىء،و هى تطلق فى الأغلب على الأضرار التى تؤثر على عقل الإنسان و تلحق به الضرر.

فلیست الصداقات و العلاقات بقادره علی أن تمنع أولئک الکفّار-بسبب ما یفارقون به المسلمین فی العقیده و المسلک-من إضمار الشر للمسلمین،و تمنی الشقاء و العناء لهم وَدُّوا مٰا عَنِتُّمْ أی أحبوا فی ضمائرهم و دخائل نفوسهم لو أصابکم العنت و العناء.

إنهم-لإخفاء ما یضمرونه تجاهکم-یحاولون دائما أن یراقبوا تصرفاتهم، و أحادیثهم کیلا یظهر ما یبطنونه من شر و بغض لکم،بید أن آثار ذلک العداء و البغض تظهر أحیانا فی أحادیثهم و کلماتهم،عند ما تقفز منهم کلمه أو أخری تکشف عن الحقد الدفین و الحنق المستکن فی صدورهم: قَدْ بَدَتِ الْبَغْضٰاءُ مِنْ أَفْوٰاهِهِمْ .

و تلک حقیقه من حقائق النفس یذکرها الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السّلام فی إحدی کلماته إذ

یقول:

«ما أضمر أحد شیئا إلاّ ظهر فی فلتات لسانه و صفحات وجهه» (۱) .

إنه لا بدّ أن یرشح شیء إلی الخارج إذا ما امتلأ الداخل،کما یطفح الکیل فتنفضح السرائر،و تبدو الدخائل.

و قد أوضح اللّه سبحانه فی هذه الآیه إحدی سبل التعرف علی بواطن الأعداء و دخائل نفوسهم،ثمّ إنّه سبحانه یقول: وَ مٰا تُخْفِی صُدُورُهُمْ أَکْبَرُ أی أن ما یبدو من أفواههم ما هی إلاّ شراره تحکی عن تلک النار القویه الکامنه فی صدورهم.

ثمّ إنه تعالی یضیف قائلا: قَدْ بَیَّنّٰا لَکُمُ الْآیٰاتِ إِنْ کُنْتُمْ تَعْقِلُونَ أی أن ما ذکرناه من الوسیله للتعرف علی العدو أمر فی غایه الأهمیه لو کنتم تتدبرون فیه، فهو یوقفکم علی وسیله جدا فعاله لمعرفه ما یکنه الآخرون و یضمرونه تجاهکم، و هو أمر فی غایه الخطوره بالنسبه لأمنکم و حیاتکم و برامجکم.

۱- ۱) -نهج البلاغه-الحکمه ۲۶.

البغض فی مقابل الحبّ:

یحسب بعض المسلمین أن فی مقدورهم أن یکسبوا حبّ الأعداء و الأجانب إذا أعطوهم حبهم و ودهم،و هو خطأ فظیع،و تصور باطل،یقول سبحانه: هٰا أَنْتُمْ أُولاٰءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لاٰ یُحِبُّونَکُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْکِتٰابِ کُلِّهِ .

إنه سبحانه یخاطب هذا الفریق من المسلمین و یقول لهم:إنکم تحبون من یفارقکم فی الدین لما بینکم من الصداقه أو القرابه أو الجوار،و تظهرون لهم الموده و المحبه،و الحال أنهم لاـ یحبونکم أبدا،و تؤمنون بکتبهم و کتابکم المنزل من السماء-علی السواء-فی حین أنهم لا یؤمنون بکتابکم و لا یعترفون بأنه منزل من السماء.

إن هذا الفریق من أهل الکتاب ینافقون و یخادعون وَ إِذٰا لَقُوکُمْ قٰالُوا آمَنّٰا وَ إِذٰا خَلَوْا عَضُّوا عَلَیْکُمُ الْأَنٰامِلَ مِنَ الْغَیْظِ .

و لا شکّ أن هذا الغیظ لن یضر المسلمین فی الواقع،إذن فقل لهم یا رسول اللّه:

قُلْ مُوتُوا بِغَیْظِکُمْ

و استمروا علی هذا الحنق فإنه لن یفارقکم حتّی تموتوا.

هذه هی حقیقه الکفّار التی غفلتم عنها،و لم یغفل عنها سبحانه: إِنَّ اللّٰهَ عَلِیمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ .

ثمّ إنّ اللّه یذکر علامه اخری من علائم العداوه الکامنه فی صدور الکفّار إذ یقول إِنْ تَمْسَسْکُمْ حَسَنَهٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْکُمْ سَیِّئَهٌ یَفْرَحُوا بِهٰا .

و لکن هل تضر هذه العداوه و ما یلحقها من ممارسات و محاولات شریره بالمسلمین؟ هذا ما یجیب عنه ذیل الآیه الحاضره حیث یقول سبحانه: وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لاٰ یَضُرُّکُمْ کَیْدُهُمْ شَیْئاً إِنَّ اللّٰهَ بِمٰا یَعْمَلُونَ مُحِیطٌ .

و علی هذا یستفاد من ذیل هذه الآیه أن أمن المسلمین،و سلامه حوزتهم من

كيد الأعداء،يتوقف على استقامه المسلمين و حذرهم و تقواهم،ففى مثل هذه الحاله فقط يمكنهم أن يضمنوا أمنهم و سلامتهم من كيد الكائدين.

تحذير إلى المسلمين:

حذر اللّه سبحانه المسلمين فى هذه الآيه من أن يتخذوا أعداءهم بطانه يسرون إليهم بأسرارهم و أمورهم و هو تحذير عام لا يختص بزمان دون زمان، و لا بمكان دون مكان،و لا بطائفه من المسلمين دون طائفه.

فلا بدّ أن يحذر المسلمون من هذا العمل فى جميع الأزمنه و الأمكنه،حفاظا على أمن المسلمين و كيانهم.

و لكننا مع الأسف نجد الكثيرين من أتباع القرآن قد غفلوا عن هذا التحذير الإلهى المهم،فتعرضوا لتبعات هذا العمل و آثاره السلبيه.

فها نحن نجد أعداء كثيرين يحيطون بالمسلمين من كلّ جانب،يتظاهرون بمحبه المسلمين و صداقتهم،و ربّما أعلنوا تأييدهم فى بعض الأمور،و لكنهم بما يظهرون-فى بعض الأحيان-من مواقف عدائيه يكشفون عن كذبهم،و مع ذلك ينخدع المسلمون بما يتظاهر هؤلاء الأعداء به من صداقه وحب و تأييد، و يعتمدون عليهم أكثر ممّا يعتمدون على إخوانهم من المسلمين المشاركين لهم فى العقيده و المصير.فى حين أن الأعداء و الأجانب لا يريدون للأمه الإسلاميه إلاّ الشقاء و التأخر،و إلاّ الهلاک و الدمار،و لا يألون جهدا فى إثاره المشاكل فى وجه المسلمين و إيجاد الصعوبات فى حياتهم.

و لا نذهب بعيدا،فإن الأعوام الأخيره شهدت حربين بين المسلمين و أعدائهم الصهاينه،ففى الحرب الاولى(حرب حزيران)تحمل المسلمون هزيمه ساحقه و نكسه قاطمه،فى حين أنهم فى حربهم الثانيه(حرب رمضان)استطاعوا

تحقیق انتصارات باهره علی الأعداء و تغیّرت الخارطه السیاسیه لصالحهم.

و تمکنوا من دفن اسطوره الجیش الإسرائیلی و الرعب و الخوف فی صحراء «سیناء»و هضبه«الجولان»منذ الأیّام الاولی للحرب،و ذاق المسلمون أخیرا طعم النصر لأول مرّه فی العقود الأخیره.

ماذا حصل فی هذه المدّه القصیره التی شهدت هذا التحول الکبیر؟الجواب بحاجه إلی بحث طویل،و لکن من المتیقّن أن أحد الأسباب المؤثره فی تلک الهزیمه و هذا النصر هو أن الأجانب و الذین کانوا یظهرون الود و الصداقه للمسلمین کانوا علی علم بأمر الحرب و تفاصیلها.و لکن فی الحرب الثانیه لم یطلع علی أسرار الحرب سوی اثنان أو ثلاثه من رؤساء البلدان الإسلامیه،و هذا هو أحد عوامل النصر،و شاهد حیّ علی عظمه هذا الدستور السماوی و القرآنی.

ص :۶۶۵

الآيتان [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٢١ الى ١٢٢]

اشاره

وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ اَلْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَ اَللّٰهُ وَلِيُّهُما وَ عَلَى اَللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)

التّفسير

اشاره

من هنا تبدأ الآيات التى نزلت حول واحده من أهم الأحداث الإسلاميه ألا و هى معركه«أحد»لأن القرائن التى توجد فى الآيتين الحاضرتين يستفاد منها أن هاتين الآيتين نزلتا بعد معركه أحد،و تشير إلى بعض وقائعها المرعبه،و على هذا أكثر المفسّرين.

فى البدء تشير الآيه الأولى إلى خروج النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم من المدينه لاختيار المحل الذى يعسكر فيه عند«أحد»و تقول وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ .

أى و اذكر عند ما خرجت غدوه من المدينه تهيئ للمؤمنين مواطن للقتال لغزوه«أحد».

و لقد كانت بين المسلمين فى ذلك اليوم آراء مختلفه و كثيره-كما ستعرفها قريبا-حول الموطن الذى ينبغى أن يعسكر فيه المسلمون،بل و كيفيه مقابله الأعداء القادمين،و أنه يتعيّن عليهم أن يتحصنوا بالمدينه،أم يخرجوا إليهم و يحاربوهم خارجها.

و لقد كان هناك خلاف شديد فى الرأى بين المسلمين فى هذه الأمور،فاختار النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم بعد المشاوره رأى الأغلبيه،و التى كانت تتألف-فى الأكثر من الشباب المتحمسين،و هو الخروج من المدينه و مقاتله العدو خارجها،بعد الاستقرار عند جبل«أحد».

و من الطبيعى أن يكون هناك بين المسلمين من كان يخفى أشياء و أمورا يحجم عن الإفصاح بها لعلل خاصه،و من الممكن أن تكون عباره وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ناظره إلى هذه الأمور المكنونه،فهو سبحانه سميع لما يقولون،عليم بما يضمرون.

ثمّ إنّ الآيه الثانيه تشير إلى زاويه أخرى من هذا الحدث إذ تقول: إِذْ هَمَّتْ طٰائِفَتٰانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاٰ وَ اللّٰهُ وَلِيُّهُمٰا وَ عَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

و الطائفتان كما يذكر المؤرخون هما«بنو سلمه»من الأوس و«بنو حارثه» من الخزرج.

فقد صممت هاتان الطائفتان على التساهل فى أمر هذه المعركه و الرجوع إلى المدينه،و همتا بذلك.

و قد كان سبب هذا الموقف المتخاذل هو أنهما كانتا ممّن يؤيد فكره البقاء فى المدينه و مقاتله الأعداء داخلها بدل الخروج منها و القتال خارجها،و قد خالف النبى هذا الرأى،مضافا إلى أن«عبد اللّه بن أبى سلول»الذى التحق بالمسلمين

على رأس ثلاثمائه من اليهود عاد هو و جماعته إلى المـدينه،لأن النبى عارض بقاءهم فى عسـكر المسـلمين،و قد تسـبب هذا فى أن تتراجع الطائفتان المذكورتان عن الخروج مع النبى و تعزما على العوده إلى المدينه من منتصف الطريق.

و لكن يسـتفاد من ذيل الآيه أن هاتين الطائفتين عدلتا عن هذا القرار، و اسـتمرتا فى التعاون مع بقيه المسلمين،و لهذا قال سبحانه وَ اللّٰهُ وَلِيُّهُمٰا وَ عَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يعنى أن اللّه ناصـرهما فليس لهمـا أن تفشـلا إذا كانتا تتوكلان على اللّه بالإضافه إلى تأييده سبحانه للمؤمنين.

ثمّ لا بـدّ من التنبيه إلى نقطه هامه و هى أن ذكر هـذه المقاطع من غزوه«أحـد» بعـد الآيات السابقه التى تحـدثت عن لزوم عـدم الوثوق بالكفّار،إشاره إلى نموذج واحـد من هـذه الحقيقه،لأن النبى-كما أسـلفنا و كما سـيأتى تفصـيله-لم يسـمح ببقاء اليهود-الذين تظاهروا بمساعده المسـلمين-فى المعسـكر الإسـلامى،لأنهم كانوا أجانب على كلّ حال،و لا يمكن السـماح لهم بأن يبقوا بين صـفوف المسـلمين فيطلعوا على أسرارهم فى تلك اللحظات الخطيره،و أن يكونوا موضع اعتماد المسلمين فى تلك المرحله الحساسه.

غزوه أحد

اشاره

سبب هذه الغزوه:

هنـا لاـ بـدّ من الإشـاره-قبـل أى شـىء-إلى مجموعه الحوادث التى وقعت فى هـذه الغزوه،فإنه يسـتفاد من الروايات و النصوص التـاريخيه الإسـلاميه،أن قريشـا لمـا رجعت من بـدر إلى مكه و قـد أصـابهم ما أصابهم من القتل و الأسـر، لأنه قتل منهم سـبعون شخصا و أسر سبعون شخصا،و قال أبو سفيان يا معشر قريش لا تدعوا

نساءكم يبكين على قتلاكم فإن الدمعه إذا خرجت أذهبت الحزن و العداوه لمحمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أخذ أبو سفيان على نفسه العهد على أن لا يقرب فراش زوجته ما لم ينتقم لقتلى بدر.

و هكذا ألبت قريش الناس على المسلمين و حركتهم لمقاتلتهم و سرت نداءات«الانتقام الانتقام»فى كلّ نواحى مكّه.

و فى السنه الثالثه للهجره عزمت قريش على غزو النبى،و خرجوا من مكّه فى ثلاث آلاف فارس و ألفى راجل،مجهزين بكلّ ما يحتاجه القتال الحاسم، و أخرجوا معهم النساء و الأطفال و الأصنام،ليثبتوا فى ساحات القتال.

العباس يرفع تقريرا إلى النبى:

لم يكن العباس عمّ النبى قد أسلم إلى تلك الساعه،بل كان باقيا على دين قريش،و لكنه كان يحب ابن أخيه غايه الحب،و لهذا فإنه عند ما عرف بتعبئه قريش و عزمهم الأكيد على غزو المدينه و مقاتله النبى،بادر إلى إخبار النبى، محمّلا غفاريا(من بنى غفار)رساله عاجله يذكر فيها الموقف فى مكّه و عزم قريش.و كان الغفارى يسرع نحو المدينه،حتّى أبلغ النبى رساله عمه العباس،و لما عرف صلى اللّه عليه و آله و سلم بالخبر التقى سعد بن أبى و أخبره بما ذكره له عمه،و طلب منه أن يكتم ذلك بعض الوقت.

النبى يشاور المسلمين

عمد النبى-بعد أن بلغته رساله عمه العباس-إلى بعث رجلين من المسلمين إلى طرق مكّه و المدينه للتجسس على قريش،و تحصيل المعلومات الممكنه عن تحركاتها.

ص:٦۶٩

و لم يمض وقت طويـل حتّى عاد الرجلان و أخبرا النبى بما حصـلا عليه حول قوات قريش و أن هـذه القوات الكبيره يقودها أبو سفيان.

و بعد أيّام اسـتدعى النبى صـلى اللّه عليه و آله و سلّم جميع أصحابه و أهل المدينه لدراسه الموقف، و ما يمكن أو يجب اتخاذه للـدفاع،و بحث معهم فى أمر البقـاء فى المـدينه و محـاربه الأعـداء الغزاه فى داخلهـا،أو الخروج منهـا و مقاتلتهم خارجها.فاقترح جمـاعه قائلين«لا نخرج من المـدينه حتّى نقاتل فى أزقتها فيقاتل الرجل الضـعيف و المرأه و العبـد و الأمه على أفواه السـكك و على السـطوح،فمـا أرادنـا قوم قـط فظفروا بنا و نحن فى حصوننا و دروبنا و ما خرجنا إلى عـدو لنا قط إلاّ كان الظفر لهم علينا، و كان هذا هو ما قاله«عبد اللّه بن أبى».

و قـد كان النبى صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم يميل إلى هـذا الرأى نظرا لوضع المـدينه يومذاك،فهو كان صـلى اللّه عليه و آله و سلّم يرغب فى البقاء فى المـدينه و مقاتله العـدو فى داخلها،إلاّ أن فريقا من الشـباب الأحـداث الـذين رغبوا فى الشـهاده و أحبوا لقـاء العـدو،خـالفوا هـذا الرأى الـذى كان عليه الأكابر من أصـحاب رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم فقالوا:اخرج بنا إلى عـدونا، و قـام سـعد بن معـاذ و غيره من الأوس فقالوا:يا رسول اللّه ما طمع فينا أحـد من العرب و نحن مشـركون نعبـد الأصـنام فكيف يطمعون فينا و أنت فينا،لا حتى نخرج إليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيدا،و من نجا منا كان قد جاهد فى سبيل اللّه، و قال مثلها الآخرون.

و هكذا تزايدت الطلبات بالخروج من المدينه و مقابله العدو خارجها حتّى أصبح المقترحون بالبقاء أقليه.

فوافقهم النبى-رغم أنه كـان يمـل إلى البقـاء فى المـدينه-احترامـا لمشورتهم،ثمّ خرج مع أحـد أصـحابه ليرتب مواضع اسـتقرار المقاتلين المسلمين خارج المدينه و اختار الشعب من«أحد»لاستقرار الجيش الإسلامى باعتباره

أفضل مكان من الناحيه العسكريه و الدفاعيه.

المسلمون يتهيئون للدفاع:

لقد استشار النبی أصحابه فی هذه المسأله یوم الجمعه،و لذلک فإنه بعد انتهاء المشاوره قام یخطب لصلاه الجمعه و قال بعد حمد اللّه و الثناء علیه:

«انظروا ما أمرتکم به فاتبعوه،امضوا علی اسم اللّه فلکم النصر ما صبرتم».

ثمّ تولی صلی اللّه علیه و آله و سلّم بنفسه قیاده المقاتلین و قد أمر بأن تعقد ثلاث ألویه،دفع واحد منها للمهاجرین،و اثنین منها للأنصار،ثمّ إن النبی قطع المسافه بین المدینه و «أحد»مشیا علی الأقدام،و کان یستعرض جیشه طوال الطریق،و یرتب صفوفهم، یقول المؤرخ المعروف الحلبی فی سیرته:

و

سار إلی أن وصل«رأس الثنیه»و عندها وجد کتیبه کبیره فقال صلی اللّه علیه و آله و سلّم ما هذا؟قالوا:هؤلاء خلفاء عبد اللّه بن أبی الیهودی فقال صلی اللّه علیه و آله و سلّم:أسلموا؟فقیل:لا، فقال صلی اللّه علیه و آله و سلّم:«انا لا تنتصر بأهل الکفر علی أهل الشرک»فردهم،و رجع عبد اللّه بن أبی الیهودی و من معه من أهل النفاق و هم ثلاثه مائه رجل (1) .

و لکن المفسّرین کتبوا أن«عبد اللّه بن أبی»رجع من أثناء الطریق مع جماعه من أعوانه،یبلغون ثلاثمائه رجل،لأنه لم یؤخذ برأیه فی الشوری.

و علی أی حال فإن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم بعد أن أجری التصفیه اللازمه فی صفوف جیشه و استغنی عن بعض أهل الریب و الشکّ و النفاق استقر عند الشعب من «أحد»فی عدوه الوادی إلی الجبل و جعل«أحدا»خلف ظهره و استقبل المدینه.

و بعد أن صلّی بالمسلمین الصبح صف صفوفهم و تعبأ للقتال.

فأمّر علی الرمّاه«عبد اللّه بن جبیر»و الرماه خمسون رجلا جعلهم صلی اللّه علیه و آله و سلّم علی

۱- ۱) -السیره الحلبیه المجلد الثانی الصفحه ۲۳۳.

الجبل خلف المسلمين و أوعز إليهم قائلا:

«إن رأيتمونا قد هزمناهم حتّى أدخلناهم مكّه فلا تبرحوا من هذا المكان،و إن رأيتموهم قد هزمونا حتّى أدخلونا المدينه فلا تبرحوا و ألزموا مراكزكم».

و من جانب آخر،وضع أبو سفيان«خالد بن الوليد»فى مأتى فارس كمينا يتحينون الفرصه للتسلل من ذلك الشعب و مباغته المسلمين من ورائهم و قالوا:

«إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتّى تكونوا وراءهم».

بدء القتال:

ثمّ اصطف الجيشان للحرب،و راح كلّ واحد منهما يشجع رجاله على القتال بشكل من الأشكال و يحرضهم على الجلاد بما لديه من وسيله.

و قد كان أبو سفيان يحرض رجاله باسم الأصنام و يغريهم بالنساء الجميلات.

و أمّا النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم فقد كان يحث المسلمين على الصمود و الاستقامه،مذكرا إياهم بالنصر الإلهى و التأييدات الربانيه.

ها هى تكبيرات المسلمين و نداءات«اللّه أكبر،اللّه أكبر»تدوى فى جنبات ذلك المكان،و تملأ شعاب«أحد»و سهولها،بينما تحرض هند و النسوه اللاتى معها من نساء قريش و بناتها الرجال و يضربن بالدفوف و يقرأن الأشعار المثيره.

و بدأ القتال و حمل المسلمون على المشركين حمله شديده هزمتهم شر هزيمه،و ألجأتهم إلى الفرار و راح المسلمون يتعقبونهم و يلاحقون فلو لهم.

و لما علم«خالد»بهزيمه المشركين و أراد أن يتسلل من خلف الجبل ليهجم على المسلمين من الخلف شقه الرماه بنبالهم،و حالوا بينه و بين نيته.

هذه الهزيمه القبيحه التى لحقت بالمشركين دفعت ببعض المسلمين الجديدى العهد بالإسلام إلى التفكر فى جمع الغنائم و الانصراف عن الحرب،بظن أن

المشركين هزموا هزيمه كامله،حتّى أن بعض الرماه تركوا مواقعهم فى الجبل متجاهلين تذكير قائدهم«عبد اللّه بن جبير»إياهم بما أوصاهم به النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم و لم يبق معه إلاّ قليل ظلوا يحافظون على تلك الثغره الخطره فى الجبل محافظه على المسلمين.

فتنبه«خالد بن الوليد»إلى قله الرماه فى ذلك المكان،فكر راجعا بالخيل (و عددهم مائتا رجل كانوا معه فى الكمين)فحملوا على«عبد اللّه بن جبير»و من بقى معه من الرماه و قتلوهم بأجمعهم،ثمّ هجموا على المسلمين من خلفهم.

و فجأه وجد المسلمون أنفسهم و قد أحاط بهم العدو بسيوفهم،و داخلهم الرعب،فاختل نظامهم،و أكثر المشركون من قتل المسلمين فاستشهد-فى هذه الكره-«حمزه»سيد الشهداء و طائفه من أصحاب النبى الشجعان،و فر بعضهم خوفا،و لم يبق حول النبى سوى نفر قليل جدا يدافعون عنه و يردون عنه عاديه الأعداء، و كان أكثرهم دفاعا عن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم ورد الهجمات العدو،و فداء بنفسه هو «الإمام على بن أبى طالب»عليه السّلام الذى كان يذب عن النبى الطاهر ببساله منقطعه النظير،حتّى أنه تكسر سيفه فأعطاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم سيفه المسمى بذى الفقار،ثمّ تترس النبى بمكان،و بقى على عليه السّلام يدفع عنه حتّى لحقه-حسب ما ذكره المؤرخون-ما يزيد عن ستين جراحه فى رأسه و وجهه،و يديه و كلّ جسمه المبارك،و

فى هذه اللحظه قال جبرائيل«إن هذه لهى المواساه يا محمّد»فقال النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم«إنه منى و أنا منه»فقال جبرائيل:«و أنا منكما».

قال الإمام الصادق عليه السّلام: نظر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم إلى جبرائيل بين السماء و الأرض و هو يقول:«لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ على» (۱) .

و فى هذه اللحظه صاح صائح:قتل محمّد.

۱- ۱) -تفسير مجمع البيان المجلد الأول الصفحه ۴۹۷.

من الصائح:قتل محمّد؟

يـذهب بعض المؤرخين إلى أن«ابن قمئه»الـذى قتـل الجنـدى الإسـلامى البطـل «مصـعب بن عمير»و هو يظن أنه النبى،هو الـذى صاح«و اللات و العزى:لقد قتل محمّد».

و سواء كـانت هـذه الشـائعه من جانب المسـلمين،أو العـدو فإنها-و لا ريب- كانت فى صالـح الإسـلام و المسـلمين لأنها جعلت العـدو يترك ساحه القتال و يتجه إلى مكّه بظنّه أن النبى قـد قتل و انتهى الأمر،و لو لا ذلك لكان جيش قريش الفاتـح الغالب لا يترك المسـلمين حتّى يـأتى على آخرهم لما كانوا يحملونه من غيظ و حنق على النبى،بل و لما كانوا يتركون ساحه القتال حتّى يقتلوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم لأنهم لم يجيئوا إلى«أحد»إلّا لهذه الغايه.

لم يرد ذلـك الجيش الـذى كـان قوامه مـا يقارب خمسه آلاف-و بعـد تلك الانتصارات-أن يبقى و لو لحظه واحـده فى ساحه القتال،و لذلك غادرها فى نفس الليله إلى مكّه،و قبل أن يندلع لسان الصباح.

إلّا أن شائعه مقتل النبى صـلى اللّه عليه و آله و سلّم أوجدت زلزالا كبيرا فى نفوس بعض المسلمين،و لذلك فر هؤلاء من ساحه المعركه.

و أمـا من بقى من المسـلمين فى السـاحه فقـد عمـدوا-بهـدف الحفاظ على البقيه من التفرق و إزاله الخوف و الرعب عنهم-إلى أخذ النبى صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم إلى الشـعب من «أحد»ليطلع المسلمون على وجوده الشريف و يطمئّنوا إلى حياته،و هكذا كـان، فـإنهم لمـا عرفوا رسول اللّه عـاد الفـارون و آب المنهزمون و اجتمعوا حول الرسول و لا مهم النبى صـلى اللّه عليه و آله و سلّم على فرارهم فى تلك الساعه الخطيره،فقالوا يا رسول اللّه أتانا الخبر بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين.

و هكذا لحقت بالمسلمين-فى معركه أحد-خسائر كبيره فى الأموال

ص :۶۷۴

و النفوس،فقـد قتل منهم فى هذه الموقعه اثنان و سـبعون من المسـلمين فى ميدان القتال،كما جرح جماعه كبيره،و لكنهم أخذوا من هذه الهزيمه و النكسه درسا كبيرا ضـمن انتصاراتهم فى المعارك القادمه،و سوف نعرض بتفصيل عند دراسه الآيات القادمه لآثار هذه الحادثه الكبرى بإذن اللّه سبحانه.

ص: ۶۷۵

الآيات [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٢٣ الى ١٢٧]

اشاره

وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اَللّٰهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اَللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاٰثَةِ آلاٰفٍ مِنَ اَلْمَلاٰئِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذٰا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاٰفٍ مِنَ اَلْمَلاٰئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَ مٰا جَعَلَهُ اَللّٰهُ إِلاّٰ بُشْرىٰ لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا اَلنَّصْرُ إِلاّٰ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَكِيمِ (١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خٰائِبِينَ (١٢٧)

التّفسير

اشاره

المرحله الخطيره من الحرب:

بعد انتهاء معركه«أحد»عاد المشركون المنتصرون إلى مكّه بسرعه،و لكنّهم بدا لهم فى أثناء الطريق أن لا يتركوا هذا الإنتصار دون أن يكملوه و يجعلوه ساحقا،أليس من الأحسن أن يعودوا إلى المدينه،و ينهبوها و يلحقوا بالمسلمين

ص: ٦٧٦

مزیدا من الضربات القاضیه و أن یقتلوا محمّدا صلی اللّه علیه و آله و سلّم إذا کان لا یزال حیّا لیتخلصوا من الإسلام و المسلمین و یطمئن بالهم من ناحیتهم بالمرّه.

لهذا صدر قرار بالعوده إلی المدینه،و لا ریب أنه کان أخطر مراحل معرکه «أحد»بالنظر إلی ما کان قد لحق بالمسلمین من القتل و الجراحه و الخسائر،الذی کان قد سلب منهم کلّ طاقه للدخول فی معرکه جدیده أو لاستئناف القتال،فیما کان العدو فی ذروه القوّه و الروحیه العسکریه التی کانت تمکن العدو من تحقیق انتصارات جدیده،و إحراز النتیجه لصالحه،فنهایه هذه العوده و نتیجتها کانت معروفه سلفا.

و قد بلغ خبر العوده هذه إلی النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم،و لو لا شهامته البالغه،و قدرته المکتسبه من الوحی علی الأخذ بزمام المبادره لانتهی تاریخ الإسلام و حیاته عند تلک النقطه.

فی هذه المرحله الحساسه بالذات نزلت الآیات الحاضره لتقوی روحیه المسلمین و تصعد من معنویاتهم،و فی أعقاب ذلک صدر أمر من النبی إلی المسلمین بالتهیؤ لمقابله المشرکین،فاستعد جمیع المسلمین حتّی المجروحین (و منهم الإمام علی علیه السّلام الذی کان یحمل فی جسمه أکثر من ستین جراحه)لمقابله المشرکین،و خرجوا بأجمعهم من المدینه لذلک.

فبلغ هذا الخبر مسامع زعماء قریش فأرعبتهم هذه المعنویه العالیه التی یتمتع بها المسلمون و ظنوا أن عناصر جدیده التحقت بالمسلمین و إن هذا یمکن أن یغیر نتائج المواجهه الجدیده لصالح المسلمین،و لذلک فکروا فی العدول عن قرارهم بمهاجمه المدینه،حفاظا علی قواهم، و هکذا قفلوا راجعین إلی مکه بسرعه، و انتهت القضیه عند هذا الحدّ.

و إلیک شرحا للآیات التی نزلت لتقوّی روحیه المسلمین،و تجبر ما نزل بهم من هزیمه فی هذه المعرکه.

فقد بدأت هذه الآيات بتذكير المسلمين بما تحقق لهم من نصر ساحق بتأييد اللّه لهم فى«بدر» (۱) إذ قال سبحانه وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ و قد كان الهدف من هذا التذكير هو شد عزائم المسلمين و زرع الثقه فى نفوسهم و الاطمئنان إلى قدراتهم،و الأمل بالمستقبل،فقد نصرهم اللّه و هم على درجه كبيره من الضعف،و قله العدد و ضآله العده(حيث كان عددهم ۳۱۳ مع امكانيات بسيطه قليله،و كان عدد المشركين يفوق ألف مقاتل مع امكانيات كبيره).

فإذا كان الأمر كذلك فليتقوا اللّه،و ليجتنبوا مخالفه أوامر النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم ليكونوا بذلك قد أدوا شكر المواهب الإلهيه فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

ثمّ تتعرض الآيه اللاحقه لذكر بعض التفاصيل حول ما جرى فى«بدر»إذ قالت: إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاٰثَةِ آلاٰفٍ مِنَ الْمَلاٰئِكَةِ مُنْزَلِينَ أى اذكروا و اذكر أيّها النبى يوم كنت تقول للمسلمين الضعفاء آنذاك اخرجوا و سيمدكم اللّه بالملائكه ألا يكفيكم ذلك لتحقيق النصر الساحق على جحافل المشركين المدججين بالسلاح؟ نعم أيها المسلمون لقد تحقّق لكم ذلك فى«بدر»نتيجه صبركم و استقامتكم، و اليوم يتحقّق لكم ذلك أيضا إذا أطعتم أوامر النبى،و سرتم وفق تعليماته و صبرتم:

بَلىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ (۲) هٰذٰا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاٰفٍ مِنَ الْمَلاٰئِكَةِ مُسَوِّمِينَ

.

على أن نزول الملائكه هذا لن يكون هو العامل الأساسى لتحقيق هذا الإنتصار لكم بل النصر من عند اللّه،و ليس نزول الملائكه إلاّ لتطمئن قلوبكم وَ مٰا جَعَلَهُ اللّٰهُ إِلاّٰ بُشْرىٰ لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلاّٰ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ

---

۱ – ۱) -«بدر»سميت بدر لأن الماء كان لرجل من جهينه اسمه بدر(مجمع البحرين). و بدر من حيث اللغه يعنى الممتلى الكامل.و لهذا سمى القمر إذا امتلأ:بدرا.

۲– ۲) -«الفور»السرعه التى تقلب المعادلات كما يفور القدر و تتقلب محتوياتها بسرعه.

فهو العالم بسبل النصر و مفاتيح الظفر،و هو القادر على تحقيقه.

ثمّ إنه سبحانه عقب هذه الآيات بقوله: لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ .

و هذه الآيه و إن ذهب المفسّرون فى تفسيرها مذاهب مختلفه،إلاّ أنها-فى ضوء ما ذكرناه فى تفسير الآيات السابقه بمعونه الآيات نفسها و بمعونه الشواهد التاريخيه-واضحه المراد بيّنه المقصود كذلك.فهى تقصد أن تأييد اللّه للمسلمين بإنزال الملائكه عليهم إنما هو لأجل القضاء على جانب من قوّه العدو العسكريه، و إلحاق الذله بهم.

يبقى أن نعرف أن«طرف»الشيء يعنى جانبه و قطعه منه.و أمّا«يكبتهم» فيعنى الرد بعنف و إذلال.

ثمّ إن هاهنا أسئله تطرح نفسها حول كيفيه نصره الملائكه للمسلمين و مساعدتهم على تحقيق الإنتصار فسنجيب عليها-بإذن اللّه-لدى تفسير الآيات ۷-۱۲ من سوره الأنفال.

الآیه [سوره آل عمران (٣): آیه ١٢٨]

اشاره

لَيْسَ لَکَ مِنَ اَلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظٰالِمُونَ (١٢٨)

التّفسیر

اشاره

وقع بین المفسّرین فی تفسیر هذه الآیه کلام کثیر،إلّا أن ما هو مسلّم تقریبا هو أن الآیه الحاضره نزلت بعد«معرکه أحد»و هی ترتبط بأحداث تلک المعرکه، و الآیات السابقه تؤید هذه الحقیقه أیضا.

ثمّ إنّ هناک معنیین یلفتان النظر من بین المعانی المذکوره فی تفسیر هذه الآیه و هما:

أولا:إن هذه الآیه تشکل جمله مستقله،و علی هذا تکون جمله أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ بمعنی«إلّا أن یتوب علیهم»و یکون معنی مجموع الآیه کالتالی:لیس لک حول مصیرهم شیء،فإنهم قد استحقوا العذاب بما فعلوه،بل ذلک إلی اللّه،یعفو عنهم إن شاء أو یأخذهم بظلمهم،و المراد بالضمیر«هم»إمّا الکفّار الذین ألحقوا بالمسلمین ضربات مؤلمه،حتّی أنهم کسروا رباعیه النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم،و شجوا جبینه

المبارک،و أما المسلمين الذين فروا من ساحه المعركه،ثمّ ندموا على ذلک بعد أن وضعت الحرب أوزارها و اعتذروا للنبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم و طلبوا منه العفو.

فالآيه تقول:إن العفو عنهم،أو معاقبتهم على ما فعلوا،أمر يعود إلى اللّه تعالى،و أن النبى لن يفعل شيئا بدون إذنه سبحانه.

و هناک تفسير آخر،و هو أن يعتبر قوله لَيْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ جمله اعتراضيه، و تکون جمله أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ جمله معطوفه على أَوْ يَکْبِتَهُمْ و تعتبر هذه الآيه متصله بالآيه السابقه.

و على هذا يکون المراد من مجموع الآيتين،السابقه و الحاضره هو:إن اللّه سيمکنکم من وسائل النصر و يصيب الکفّار بإحدى امور أربعه:إما أن يقطع طرفا من جيش المشرکين،أو يردهم على أعقابهم خائبين مخزيين،أو يتوب عليهم إذا أصلحوا،أو يعذبهم بظلمهم،و على کلّ حال فإنه سيعامل کلّ طائفه وفق ما تقتضيه الحکمه و العداله،و ليس لک أن تتخذ أى موقف من عندک إذ کلّ ذلک إلى اللّه تعالى.

و لقد نقلت فى سبب نزول هذه الآيه روايات عديده منها أنه لما کان من المشرکين يوم«أحد»ما کان من کسر رباعيه الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و شجه حتّى جرى الدم على وجهه الشريف،و لحق بالمسلمين ما لحق من الخسائر فى الأرواح و الإصابات فى الأبدان قلق النبى على مصير أولئک القوم،و فکر فى نفسه،کيف يمکن أن تهتدى تلک الجماعه المتماديه فى غيها و عنادها و

قال: «کيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم و هو يدعوهم إلى ربهم»؟ فنزلت الآيه و أخبره تعالى فيها أنه ليس إليه إلاّ ما امر به من تبليغ الرساله و دعائهم إلى الهدى،فهو ليس مسئولا عن هدايتهم إن لم يهتدوا و لم يستجيبوا لندائه.

تصحيح خطأ:

لا بدّ هنا من الانتباه إلى نقطتين:

ص :۶۸۱

۱-إن المفسّر المعروف صاحب تفسير«المنار»يعتقد أن هذه الآيه تعلم المسلمين درسا كبيرا فی مجال الاستفاده من الوسائل و الأسباب الطبيعيه للنصر، و إن وعد اللّه لهم بإنزال النصر عليهم،ليس بمعنى أن للمسلمين أن يتجاهلوا الوسائل الحربيه،و التخطيط العسكرى،و ما شاكل ذلک من الأسباب الماديه اللازمه للقتال و لتحقيق الإنتصار،و انتظار أن يدعو لهم النبى لينزل عليهم النصر الالهى،دون الأخذ بالأسباب القتاليه المتعارفه،و لهذا جاءت الآيه تخاطب النبى قائله لَيْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ بمعنى أن أمر النصر لم يوكل إليک،بل هو إلى اللّه، و قد جعل اللّه لتحقيقه سننا و نواميس يجب أن يستخدمها الناس حتّى يتحقّق لهم النصر و الغلبه(و بالتالى فإن دعاء النبى و إن كان مؤثرا و مفيدا،إلاّ أن له موارد استثنائيه خاصّه).

و هذا الكلام و إن كان منطقيا فی حد ذاته،إلاّ أنه لا يلائم ما جاء فی ذيل الآيه إذ يقول سبحانه: أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ،أَوْ يُعَذِّبَهُمْ و لهذا لا يمكن تفسير الآيه بما قاله هذا الكاتب.

۲-إن هذه الآيه و إن كانت تنفى أن يكون للنبى الحقّ فی أن يغفر للكفار و المشركين أو يعذبهم،إلاّ أنها لا تتعارض مع ما يستفاد من الآيات الاخرى من تأثير دعائه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و عفوه و شفاعته،لأن المقصود فی الآيه الحاضره هو نفى أن يكون للنبى كلّ ذلک على نحو الاستقلال،و على هذا لا ينافى أن يكون له كلّ ذلک (من العفو أو المجازاه)بإذن اللّه سبحانه.

فله بالتالى أن يعفو-بإذن اللّه-لمن أراد،أو يجازى حيث تصح المجازاه، كما أن له أن يهيئ عوامل النصر و أسباب الظفر،بل و له-بإذن اللّه-أن يحيى الموتى كما كان يفعل المسيح عليه السّلام بإذنه سبحانه.

إن الذين تمسكوا بقوله تعالى: لَيْسَ لَکَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لنفى و إنكار قدره

الرسول على هذا الأمر نسوا-فى الحقيقه-الآيات القرآنيه الأخرى فى هذا المجال.

فالقرآن الكريم يقول فى سوره النساء الآيه ۶۴ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً .

فاستغفار النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم عد-طبق هذه الآيه-من العوامل المؤثره لمغفره الذنوب،و سوف نوضح هذه الحقيقه فى أبحاثنا القادمه عند تفسير الآيات المناسبه إن شاء اللّه.

ص :۶۸۳

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۲۹]

اشاره

وَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۲۹)

التّفسیر

هذه الآیه-فی الحقیقه-تأکید لمفاد الآیه السابقه،فیکون المعنی هو:أن العفو أو المجازاه لیس بید النبی،بل هو اللّه الذی بیده کلّ ما فی السماوات و کلّ ما فی الأرض،فهو الحاکم المطلق لأنه هو الخالق،فله الملک و له التدبیر،و علی هذا الأساس فإن له أن یغفر لمن یشاء من المذنبین،أو یعذّب،حسب ما تقتضیه الحکمه،لأن مشیئته تطابق الحکمه: وَ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ .

ثمّ إنه سبحانه یختم الآیه بقوله: وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ تنبیها إلی أنه و إن کان شدید العذاب،إلاّ أن رحمته سبقت غضبه،فهو غفور رحیم قبل أن یکون شدید العقاب و العذاب.

و هنا یحسن بنا أن نشیر إلی ما ذکره أحد کبار العلماء المفسّرین الإسلامیین

و هو العلاّمه الطبرسی من سؤال و جواب حول هـذه الآیه،لکونه علی اختصاره فی غایه الأهمیه من الناحیه الاعتقادیه،فقـد ذکر فی ذیـل هـذه الآیه أنه:سـئل بعض العلماء:کیف یعـذب اللّه عباده بـذنوبهم مع سـعه رحمته؟ فقال:«رحمته لا تغلب حکمته،إذ لا تکون رحمته برقه القلب کما تکون الرحمه منا».

بمعنی أن الرحمه الإلهیه لا تکون علی أساس عاطفی کما هو الحال فینا،بل إن رحمته ممتزجه دائما مع حکمته،و حکمته توجب عقوبه المذنبین(إلاّ فی موارد خاصّه).

ص: ۶۸۵

الآيات [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٠ الى ١٣٢]

اشاره

يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَأْكُلُوا اَلرِّبَوا أَضْعٰافاً مُضٰاعَفَةً وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَ اِتَّقُوا اَلنّٰارَ اَلَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكٰافِرِينَ (١٣١) وَ أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ اَلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)

التّفسير

اشاره

حول الارتباط بين الآيات القرآنيه:

الآيات السابقه-كما عرفت-تحدثت حول معركه«أحد»و حوادثها و وقائعها،و الدروس و العبر المختلفه التى تعلمها منها المسلمون،غير أن هذه الآيات الثلاث،و الآيات الست اللاحقه بها تحتوى على سلسله من البرامج الاقتصاديه،و الاجتماعيه،و التربويه،ثمّ يستأنف القرآن بعد هذه الآيات التسع، حديثه حول معركه«أحد»و وقائعها.

و يمكن أن يكون هذا النوع من الحديث و البيان مبعث استغراب و دهشه للبعض،إلّا أن الانتباه إلى مبدء أساسى يوضح حقيقه هذا الأمر،و يكشف الغطاء عن سر هذا الأسلوب.و ذلك المبدأ هو:

إن القرآن ليس كتابا كبقيه الكتب ذات النمط الكلاسيكى الذى يعتمد نظام الفصول و الأبواب الخاصه،بل هو كتاب نزل«نجوما»و بصوره تدريجيه طوال ثلاثه و عشرين عاما،و ذلك طبقا للاحتياجات التربويه المختلفه،و فى أماكن و أزمنه مختلفه،فيوم حدثت معركه أحد و وقائعها نزلت الآيات التى تتحدث عمّا يرتبط بهذه المعركه من برامج و قضايا حربيه،و يوم كانت الحاجه تتطلب بيان بعض البرامج و التعاليم الاقتصاديه كالموقف من الربا،أو بعض المسائل الحقوقيه كأحكام الزوجيه أو بعض القضايا التربويه و الأخلاقيه كالتوبه كانت تنزل الآيات التى تتناول هذه الأمور.

فيستنتج من هذا أنه قد لا يوجد أى ارتباط خاص بين بعض الآيات و بين ما قبلها أو ما بعدها،و ليس من الضرورى أن نبحث عن مثل هذا الارتباط-كما يحاول بعض المفسّرين ذلك-أو أن نتكلف افتعال ذلك بين قضايا لم يرد اللّه سبحانه الاتصال و الارتباط بينها،لأن مثل هذا العمل لا يتفق مع روح القرآن و كيفيه نزوله فى الحوادث المختلفه،و المناسبات المتنوعه و حسب الاحتياجات و الظروف المنفصله.

على أنه لا ريب فى أن جميع السور و الآيات القرآنيه مرتبطه و مترابطه-على وجه-و هو أن جميعها تؤلف برنامجا كاملا و منهاجا متكاملا مترابطا لصنع الإنسان و صياغته،و تربيته بأفضل تربيه و صياغه و أسماها،كما أنها بمجموعها نزلت لإيجاد مجتمع فاضل،واع متقدم فى جميع الأبعاد و الجوانب الماديه و المعنويه.

و بما قلناه يعلل عدم ارتباط الآيات التسع التى أشرنا إليها مع ما تقدمها أو يلحقها من الآيات فى هذه السوره المباركه.

ص :۶۸۷

تحريم الرّبا فى مراحل:

كلنا يعرف أن أسلوب القرآن فى مكافحه الانحرافات الاجتماعيه المتجذره فى حياه الناس يعتمد معالجه الأمور خطوه فخطوه،فهو أولا- يهيئ الأرضيه المناسبه،و يطلع الرأى العام على مفاسد ما يطلب محاربته و مكافحته،ثمّ بعد أن تتهيأ النفوس لتقبل التحريم النهائى يعلن عن التحريم فى صيغته القانونيه النهائيه (و يتبع هذا الأسلوب خاصه إذا كان ذلک الأمر الفاسد ممّا استشرى فى المجتمع، و كانت رقعه انتشاره واسعه).

كما أننا نعلم أيضا أن المجتمع العربى فى العهد الجاهلى كان مصابا-بشده- بداء الربا،حيث كانت الساحه العربيه(و خاصه مكه)مسرحا للمرابين.و قد كان هذا الأمر مبعثا للكثير من المآسى الاجتماعيه،و لهذا استخدم القرآن فى تحريم هذه الفعله النكراء أسلوب المراحل،فحرم الربا فى مراحل أربع:

١-يكتفى فى الآيه ٣٩ من سوره الروم بتوجيه نصح أخلاقى حول الربا إذ قال سبحانه و تعالى: وَ مٰا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوٰالِ النّٰاسِ فَلاٰ يَرْبُوا عِنْدَ اللّٰهِ وَ مٰا آتَيْتُمْ مِنْ زَكٰاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ .

بهذا يكشف عن خطأ الذين يتصورون أن الربا يزيد من ثروتهم،فى حين أن إعطاء الزكاه و الإنفاق فى سبيل اللّه هو الذى يضاعف الثروه.

٢-يشير-ضمن انتقاد عادات اليهود و تقاليدهم الخاطئه الفاسده-إلى الربا كعاده سيئه من تلک العادات،إذ يقول فى الآيه ١۶١ من سوره النساء: وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ .

٣-يذكر فى الآيه الحاضره-كما سيأتى تفسيرها المفصل-حكم التحريم بصراحه،و لكنه يشير إلى نوع واحد من أنواع الربا،و هو النوع الشديد و الفاحش منه فقط.

۴-و أخيرا أعلن فی الآيات ۲۷۵ إلی ۲۷۹ من سوره البقره عن المنع الشامل و الشديد عن جميع أنواع الربا،و اعتباره بمنزله إعلان الحرب علی اللّه سبحانه.

التحريم فی الآيه الحاضره:

اشاره

قلنا إن الآيه الحاضره إشاره إلی الربا الفاحش معبره عن ذلک بقوله أَضْعافاً مُضاعَفَهً .

و المراد من«الربا الفاحش»هو أن تكون الزياده الربويه تصاعديه،بمعنی أن تضم الزياده المفروضه أولا علی رأس المال ثمّ يصبح المجموع موردا للربا، بمعنی أن الزياده ثانيا تقاس بمجموع المبلغ(الذی هو عباره عن رأس المال و الزياده المفروضه فی المره الأولی)ثمّ تضم الزياده المفروضه ثانيا إلی ذلک المبلغ،و تفرض زياده ثالثه بالنسبه إلی المجموع (۱) .

و هكذا يصبح مجموع رأس المال و الزياده فی كلّ مرّه رأس مال جديد تضاف عليه زياده جديده بالنسبه،و بهذا يبلغ الدين أضعاف المبلغ الأصلی المدفوع إلی المديون حتّی يستغرق كلّ ماله.

و لهذا قال القرآن الكريم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَهً .

و يستفاد من الأخبار و الروايات أن الرجل-فی الجاهليه-إذا كان يتخلف عن أداء دينه عند الموعد المقرر طلب من الدائن أن يضيف الزياده علی المبلغ ثمّ يؤخره إلی أجل آخر،و هكذا حتّی يستغرق بالشیء الطفيف مال المديون.

---

۱ – ۱) -فإذا كان أصل المبلغ المدفوع إلی المديون أول مرّه هو(۱۰۰)و الزياده المفروضه(۱۰)فإذا تخلف عن الأداء ضمت الزياده(۱۰)إلی المبلغ(۱۰۰)فيكون رأس المال(۱۱۰)و أضيفت إلی المجموع زياده بنسبه (۱۱٪)فإذا تخلف عن الأداء ثانيا،ضمت الزياده(۱۱)إلی(۱۱۰)فكان المجموع(۱۲۱)و هكذا فصاعدا.

و هذا هو السائد بعينه فى عصرنا الحاضر و يفعله المرابون الكبار دون رحمه.

و لا شكّ أن مثل هـذا الفعل يـدر على أصـحاب الأموال مبالغ ضـخمه دون عناء، فلا يمكن الارتـداع عنه الاّ بتقوى اللّه،و لهـذا عقب سبحانه نهيه عن مثل هذا الربا الظالم بقوله: وَ اتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

و لكن هل يكفى الأمر بتقوى اللّه و الترغيب فى الفلاح فى صوره ترك الربا؟ أم لا بـدّ من التلويح بالعذاب الأخروى للمرابين؟و لهذا قال سبحانه فى الآيه الثانيه وَ اتَّقُوا النّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ فهذه الآيه تأكيد لحكم التقوى الذى مرّ فى الآيه السابقه.

و يوحى التعبير ب«الكـافرين»أن أخـذ الربـا لاـ يتفق أساسـا مع روح الإيمـان، و لهـذا ينتظر المرابين ما ينتظر الكافرين من النار و العذاب.

كما يسـتفاد من ذلك أن النار أعـدت أساسا للكافرين،و ينال العصاه و المذنبون من هذه النار بقدر شـباهتهم بالكفار،و تعاونهم معهم.

ثم إنه سـبحانه يمزج ذلـك التهديـد بشـىء من التشـجيع و الترغيب للمطيعين و الممتثلين لأوامره تعالى إذ يقول: وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۳۳ الی ۱۳۶]

اشاره

وَ سارِعُوا إِلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا اَلسَّماواتُ وَ اَلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ (۱۳۳) اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ فِی اَلسَّرّاءِ وَ اَلضَّرّاءِ وَ اَلْکاظِمِینَ اَلْغَیْظَ وَ اَلْعافِینَ عَنِ اَلنّاسِ وَ اَللّهُ یُحِبُّ اَلْمُحْسِنِینَ (۱۳۴) وَ اَلَّذِینَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَهً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَکَرُوا اَللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ یَغْفِرُ اَلذُّنُوبَ إِلاَّ اَللّهُ وَ لَمْ یُصِرُّوا عَلی ما فَعَلُوا وَ هُمْ یَعْلَمُونَ (۱۳۵) أُولئِکَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَهٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ نِعْمَ أَجْرُ اَلْعامِلِینَ (۱۳۶)

التّفسیر

اشاره

السباق فی مضمار السعاده:

بعد أن هددت الآیات السابقه العصاه و توعدتهم بالعذاب و الجحیم،و بشرت الأبرار المطیعین بالرحمه الإلهیه و شوقتهم إلیها جاءت الآیه الأولی من هذه الآیات تشبه سعی المطیعین و اجتهادهم بالسباق،و المسابقه المعنویه التی تهدف

ص:۶۹۱

الوصول إلى الرحمه الإلهيه،و النعم و العطايا الربانيه الخالده وَ سٰارِعُوا إِلىٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكَمْ .

وَ سٰارِعُوا

تعنى تسابق اثنين أو أكثر للوصول إلى هدف معين فيحاول كلّ واحد-باستخدام المزيد من السرعه-أن يسبق صاحبه و منافسه و هو أمر مندوب فى الأعمال و الأخلاق الصالحه،و مقبوح مذموم فى الأفعال السيئه و الأخلاق القبيحه.

إن القرآن الكريم يستفيد هنا-فى الحقيقه-من نقطه نفسيه هى أن الإنسان لا يؤدى عمله بسرعه فائقه إذا كان بمفرده،و كان العمل من النوع الروتينى،أما إذا اتخذ العمل طابع المسابقه و التنافس الذى يستعقب جائزه قيمه و مكافأه ثمينه نجده يستخدم كلّ طاقاته،و يزيد من سرعته لبلوغ ذلك الهدف،و نيل تلك الجائزه.

ثمّ إذا كان الهدف المجعول فى هذه الآيه هو«المغفره»فى الدرجه الأولى فلأن الوصول إلى أى مقام معنوى لا يتأتى بدون المغفره و التطهر من أدران الذنوب،فلا بدّ إذن من تطهير النفس من الذنوب أولا،ثمّ الدخول فى رحاب القرب الإلهى،و نيل الزلفى لديه.

هذا هو الهدف أول.

و أما الهدف الثانى لهذا السباق المعنوى العظيم فهو«الجنه»التى يصرح القرآن الكريم أن سعتها سعه السماوات و الأرض وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ .

ثمّ إن هناك تفاوتا قليلا بين هذه الآيه و بين الآيه ۲۱ من سوره الحديد سٰابِقُوا إِلىٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهٰا كَعَرْضِ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ .

ففى هذه الآيه ذكرت لفظه«المسابقه»مكان«المسارعه»كما ذكرت السماء بصوره المفرد المصدّر بألف و لام الجنس الذى يفيد العموم.

كما استعمل هنا كاف التشبيه فيكون معنى هذه الآيه هو أن سعه الجنه مثل سعه السماء و الأرض،و معنى الآيه المبحوثه هنا هو أن سعه الجنه هى سعه السماوات و الأرض فيكون المعنيان سواء.

ثم إنه سبحانه يختم الآيه الحاضره بقوله أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فهذه الجنه العظيمه الموصوفه بتلك السعه قد هيئت للذين يتقون اللّه و يخشونه و يجتنبون معاصيه و يمتثلون أوامره.

و ينبغى أن نعلم أن المراد بالعرض هنا ليس هو الطول و العرض الهندسى بل المراد-كما عليه اهل اللغه-هو السعه.

و هنا سؤالان:

أولا:هل الجنه و النار مخلوقتان و موجودتان بالفعل،أم أنهما توجدان فيما بعد على أثر أعمال الناس؟ ثانيا:إذا كانت الجنه و النار موجودتين فعلا فأين تقعان،و قد قال سبحانه بأن عرض الجنه عرض السماوات و الأرض.

هل الجنه و النار موجودتان الآن؟

يعتقد أكثر العلماء المسلمين أن للجنه و النار وجودا خارجيا و فعليا،و أن ظواهر الآيات القرآنيه تؤيد هذه النظريه نذكر من باب النموذج ما يلى:

۱-ذكرت فى الآيه الحاضره و آيات قرآنيه اخرى لفظه«أعدت»و ما شابه ذلك من ماده هذه اللفظه،و قد استعملت تاره بشأن الجنه و تاره بشأن النار (۱) .

فيستفاد من هذه الآيات أن الجنه و النار معدتان فعلا،و إن كانتا تتوسعان فيما

۱- ۱) -راجع الآيات التاليه:التوبه:۸۹،التوبه:۱۰۰،الفتح:۶،البقره:۲۴،آل عمران:۱۳۱،آل عمران:۱۳۳، الحديد:۲۱.

بعد علی أثر أعمال الناس.(تأمل).

۲-نقرأ فی الآیات ۱۳ و ۱۴ و ۱۵ المرتبطه بالمعراج فی سوره«و النجم» قوله سبحانه: وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْریٰ* عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهیٰ* عِنْدَهٰا جَنَّهُ الْمَأْویٰ و هذا یشهد مرّه أخری بأن الجنه موجوده فعلا.

۳-یقول سبحانه فی سوره«التکاثر»الآیه ۵ و ۶ و ۷ کَلاّٰ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْیَقِینِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِیمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهٰا عَیْنَ الْیَقِینِ .

أی لو کان لدیکم علم یقینی لشاهدتم الجحیم،بل لرأیتموها رأی العین.

ثمّ إن هناک روایات ترتبط بالمعراج،و روایات أخری تحمل شواهد علی هذه المسأله (۱) .

أین تقع الجنه و النار؟

إذا ثبت أن الجنه و النار موجودتان بالفعل یطرح سؤال آخر هو: أین تقعان إذن؟ و یمکن الإجابه علی هذا السؤال علی نحوین:

الأول:إن الجنه و النار تقعان فی باطن هـذا العالم و لا غرابه فی هذا،فإننا نری السـماء و الأرض و الکواکب بأعیننا،و لکننا لا نری العوالم التی توجـد فی بـاطن هـذا العـالم،و لو أننا ملکنا وسـیله اخری للإدراک و العلم لأدرکنا تلک العوالم أیضا،و لو قفنا علی موجودات اخری لا تخضع أمواجها لرؤیه البصر،و لا تدخل ضمن نطاق حواسنا الفعلیه.

و الآیه المنقوله عن سوره«التکاثر»و هی قوله سبحانه:

۱- ۱) -لا بد من الانتباه إلی أن الجنه المبحوث عنها هنا و التی ترتبط بالعالم الآخر هی غیر الجنه التی أسکن آدم و حواء فیها و کانت قبل خلقهما.

كَلّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ هى الاخرى شاهده على هذه الحقيقه و مؤيده لهذا الرأى.

كما و يستفاد من بعض الأحاديث أيضا أنه كان بين الأتقياء و الأولياء من قد زودوا ببصيره ثاقبه،و رؤيه نفاذه استطاعوا بها أن يشاهدوا الجنه و النار مشاهده حقيقه.

و يمكن التمثيل لهذا الموضوع بالمثال الآتى:

لنفترض أن هناك فى مكان ما من الأرض جهازا قويا للإرسال الإذاعى يبث فى العالم-و بمعونه الأقمار الفضائيه و الأمواج الصوتيه-تلاوات شيقه لآيات القرآن الكريم.بينما يقوم جهاز قوى إذاعى آخر ببث أصوات مزعجه و صاخبه بنفس القوّه.

لا شكّ أننا لا نملك القدره على إدراك هذين النوعين من البث بحواسنا العاديه،و لا أن نعلم بوجودهما إلّا إذا استعنا بجهاز استقبال فإننا حينما ندير المؤشر على الموج المختص بكل واحد من هذين البثين نستطيع فورا أن نلتقط ما بثته كلّ واحده من تينك الإذاعتين و نستطيع أن نميز بينهما بجلاء،و دون عناء.

و هذا المثال و إن لم يكن كاملا من جميع الجهات إلّا أنه يصور لنا حقيقه هامه،و هى أنه قد توجد الجنه و النار فى باطن هذا العالم غير أننا لا نملك إدراكها بحواسنا،بينما يدركها من يملك الحاسه النفاذه المناسبه.

الثانى:إن عالم الآخره و الجنه و النار عالم محيط بهذا الكون،و بعباره اخرى:

إن كوننا هذا يقع فى دائره ذلك العالم،تماما كما يقع عالم الجنين ضمن عالم الدنيا، إذ كلنا يعلم أن عالم الجنين عالم مستقل له قوانينه و أوضاعه و لكنه مع ذلك غير منفصل عن هذا العالم الذى نحن فيه،بل يقطع فى ضمنه و فى محيطه و نطاقه،و هكذا الحال فى عالم الدنيا بالنسبه إلى عالم الآخره.

و إذا وجدنا القرآن يقول:بأن سعه الجنه سعه السماوات و الأرض فإنما هو

لأجل أن الإنسان لا يعرف شيئا أوسع من السماوات و الأرض ليقيس به سعه الجنه،و لهذا يصور القرآن عظمه الجنه و سعتها و عرضها بأنها كعرض السماوات و الأرض،و لم يكن بد من هذا،فكما لو أننا أردنا أن نصور للجنين-فيما لو عقل- حجم الدنيا التى سينزل إليها،لم يكن لنا مناص من التحدث إليه بالمنطق الذى يدركه و هو فى ذلك المحيط.

ثمّ إنه تبين من ما مرّ الجواب على السؤال الآخر،و هو إذا كانت الجنه عرضها السماوات و الأرض فأين تكون النار؟ لأنه حسب الجواب الأول يتضح أن النار هى الأخرى تقع فى باطن هذا العالم،و لا ينافى وجودها فيه وجود الجنه فيه أيضا(كما تبين من مثال جهازى الإرسال).

و أما حسب الجواب الثانى(و هو كون عالم الجنه و النار محيطا بهذا العالم الذى نعيش فيه)فيكون الجواب على هذا السؤال أوضح لأنه يمكن أن تكون النار محيطه بهذا العالم،و تكون الجنه محيطه بها فتكون النتيجه أن تكون الجنه أوسع من النار.

سيماء المتقين:

لما صرّح فى الآيه السابقه بأن الجنه أعدت للمتقين،تعرضت الآيه التاليه لذكر مواصفات المتقين فذكرت خمسا من صفاتهم الإنسانيه الساميه هى:

۱-إنّهم ينفقون أموالهم فى جميع الأحوال،فى الشدّه و الرخاء،فى السرّاء و الضرّاء اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي اَلسَّرّٰاءِ وَ اَلضَّرّٰاءِ .

و هم بهذا العمل يثبتون روح التعاطف مع الآخرين،و حب الخير الذى تغلغل فى نفوسهم،و لهذا فهم يقدمون على هذا العمل الصالح و الخطوه الإنسانيه

فی جمیع الظروف و الأحوال.

و لا شکّ أن الإنفاق فی حال الرخاء فقط لا یدلّ علی التغلغل الکامل للصفات الإنسانیه فی أعماق الروح و إنما یدلّ علی ذلک إذا أقدم الإنسان علی الإنفاق و البذل فی مختلف الظروف و فی جمیع الأحوال،فإن ذلک ممّا یدلّ علی تجذر تلک الصفه فی النفوس.

یمکن أن یقال:و کیف یمکن للإنسان أن ینفق عند ما یکون فقیرا؟ و الجواب واضح تمام الوضوح:

أولا:لأن الفقراء یمکنهم إنفاق ما یستطیعون علیه،فلیس للإنفاق حدّ معین لا فی القله و لا فی الکثره.

و ثانیا:لأن الإنفاق لا ینحصر فی بذل المال و الثروه فحسب،إذ للإنسان أن ینفق من کلّ ما وهبه اللّه،ثروه کان أو علما أو جاها أو غیر ذلک من المواهب الإلهیه الاخری.

و بهذا یرید اللّه سبحانه أن یرکز روح التضحیه و العطاء،و البذل و السخاء حتّی فی نفوس الفقراء و المقلین حتّی یبقوا-بذلک-فی منأی عن الرذائل الأخلاقیه التی تنشأ من«البخل».

إن الذین یستصغرون الإنفاقات القلیله فی سبیل اللّه و یحتقرونها إنما یذهبون هذا المذهب،لأنهم حسبوا لکلّ واحد منها حسابا مستقلا و خاصا،و لو أنهم ضموا هذه الإنفاقات الجزئیه بعضها إلی بعض،و درسوها مجتمعه لتغیرت نظرتهم هذه.

فلو أن کلّ واحد من أهل قطر من الأقطار-فقراء و أغنیاء-قدم مبلغا صغیرا لمساعده الآخرین من عباد اللّه،و لتقدم الأهداف و المشاریع الاجتماعیه، لاستطاعوا أن یقوموا بأعمال ضخمه و کبیره،مضافا إلی ما یجنونه من هذا العمل من آثار معنویه لا ترتبط بحجم الإنفاق،و تعود إلی المنفق فی کلّ حال.

و الملفت للنظر هو أن أول صفه ذكرت للمتقين هنا هو«الإنفاق»لأن هذه الآيات تذكر-فى الحقيقه-ما يقابل الصفات التى ذكرت للمرابين و المستغلّين فى الآيات السابقه.هذا مضافا إلى أن غض النظر عن المال و الثروه فى السرّاء و الضراء من أبرز علائم التقوى.

٢-أنهم قادرون على السيطره على غضبهم: وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ .

و لفظه«الكظم»تعنى فى اللغه شد رأس القربه عند ملئها،فيقول كظمت القربه إذا ملأتها ماء ثمّ شددت رأسها،و قد استعملت كنايه عمن يمتلئ غضبا و لكنه لا ينتقم.

و أما لفظه«الغيظ»فتكون بمعنى شدّه الغضب و التوتر و الهيجان الروحى الشديد الحاصل للإنسان عند ما يرى ما يكره.

و حالات الغيظ و الغضب من أخطر الحالات التى تعرى الإنسان،و لو تركت و شأنها دون كبح لتحولت إلى نوع من الجنون الذى يفقد الإنسان معه السيطره على أعصابه و تصرفاته و ردود فعله.

و لهذا فإن أكثر ما يقترفه الإنسان من جرائم و أخطاء و أخطرها على حياته هى التى تحصل فى هذه الحاله،و لهذا تجعل الآيه«كظم الغيظ»و«كبح جماح الغضب»الصفه البارزه الثانيه من صفات المتقين.

قال النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم «من كظم غيظا و هو قادر على إنفاذه ملأه اللّه أمنا و إيمانا».

و هذا الحديث يفيد أن كظم الغيظ له أثر كبير فى تكامل الإنسان معنويا،و فى تقويه روح الإيمان لديه.

٣-أنهم يصلحون عمن ظلمهم وَ الْعافِينَ عَنِ النّاسِ .

إن كظم الغيظ أمر حسن جدا،إلاّ أنه غير كاف لوحده،إذ من الممكن أن

لاـ يقلع ذلـك جـذور العـداء من قلب المرء،فلاـ بـدّ للتخلص من هـذه الجـذور و الرواسب أن يقرن«كظم الغيظ»بخطوه أخرى و هى«العفو و الصفح»و لهذا أردفت صفه«الكظم للغيظ»التى هى بدورها من أنبل الصفات بمسأله العفو.

ثمّ إنّ المراد هـو العفـو و الصـفح عن من يسـتحقون العفـو،لاـ الأعـداء المجرمون الـذين يحملهم العفو و الصـفح على مزيـد من الإجرام،و ينتهى بهم إلى الجرأه أكثر.

۴-أنهم محسنون: وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

و هنا إشاره إلى مرحله أعلى من«العفو و الصفح»و بهذا يرتقى المتقون من درجه إلى أعلى فى سلّم التكامل المعنوى.

و هـذه السلسـله التكـامليه هى أن لا يكتفى الإنسان تجاه الإساءه إليه بكظم الغيظ بل يعفو و يصـفح عن المسـىء ليغسل بـذلك آثار العـداء عن قلبه،بل يعمد إلى القضاء على جذور العداء فى فؤاد خصـمه المسـىء إليه أيضا،و ذلك بالإحسان إليه، و بذلك يكسب وده و حبه،و يمنع من تكرار الإساءه إليه فى مستقبل الزمان.

و خلاـصه القول أن القرآن يـأمر المسـلم بـأن يكظم غيظه أولاـ ثمّ يطهر قلبه بـالعفو عنه،ثمّ يطهر فؤاد خصـمه من كـلّ رواسـب الضغينه و بقايا العداء بالإحسان إليه.

إنه تدرج عظيم من صفه إنسانيه خيّره إلى صفه إنسانيه أعلى هى قمه الخلق و ذروه الكمال المعنوى.

و لقـد روى فى المصـادر الشـيعيه و السـنيه فى ذيـل هـذه الآـيه أن جـاريه لعلى بـن الحسـين جعلـت تسـكب عليـه المـاء ليتهيأ للصـلاه،فسـقط الإـبريق من يـدها فشـجه، فرفع رأسه إليهـا فقـالت له الجـاريه:إن اللّه تعالى يقول: وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ فقال لها:قد كظمت غيظى.قالت: وَ الْعافِينَ عَنِ النّاسِ قال:«قد عفوت و قد عفى اللّه

عنک»قالت: وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ قال:اذهبی فأنت حره لوجه اللّه (۱) .

إن هذا الحديث شاهد حی بأن كلّ مرحله متأخره من تلك المراحل أفضل من المرحله المتقدمه.

۵-إنهم لا يصرون على ذنب: وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً،أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ .

و«الفاحشه»مشتقه أصلا من الفحش،و هو كلّ ما اشتد قبحه من الذنوب،و لا يختص بالزنا خاصه،لأن الفحش-فی الأصل- يعنی«تجاوز الحدّ»الذی يشمل كلّ ذنب.

هذا و فی الآيه أعلاه إشاره إلى إحدى صفات المتقين،فالمتقون مضافا إلى الاتصاف بما ذكر من الصفات الإيجابيه،إذا اقترفوا ذنبا، ذَكَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ،وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ،وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا .

يستفاد من هذه الآيه أن الإنسان لا يذنب ما دام يتذكر اللّه،فهو إنما يذنب إذا نسی اللّه تماما و اعترته الغفله،و لكن لا يلبث هذا النسيان و هذه الغفله-لدى المتقين-حتّى تزول عنهم سريعا و يذكرون اللّه،فيتداركون ما فات منهم، و يصلحون ما أفسدوه.

إن المتقين يحسون إحساسا عميقا بأنه لا ملجأ لهم إلاّ اللّه،فلا بدّ أن يطلبوا منه المغفره لذنوبهم دون سواه وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ .

و ينبغی أن نعلم أن القرآن ذكر مضافا إلى«الفاحشه»«ظلم النفس» أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ و يمكن أن يكون الفرق بين هذين هو أن الفاحشه إشاره إلى الذنوب الكبيره،و«ظلم النفس»إشاره إلى الذنوب الصغيره.

ثمّ إنه سبحانه تأكيدا لهذه الصفه قال: وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ .

۱- ۱) -راجع تفسير الدر المنثور،و نور الثقلين فی ذيل هذه الآيه.

و قد نقل عن الإمام الباقر علیه السّلام أنه قال:«الإصرار:أن یذنب الذنب فلا یستغفر اللّه،و لا یحدث نفسه بتوبه،فذلک الإصرار» (۱) .

و

فی أمالی الصدوق بإسناده إلی الإمام الصادق جعفر بن محمّد علیهما السّلام قال: «لما نزلت هذه الآیه إِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّٰهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ صعد إبلیس جبلا بمکه یقال له ثور،فصرخ بأعلی صوته بعفاریته، فاجتمعوا إلیه فقالوا یا سیدنا لم دعوتنا؟ قال:نزلت هذه الآیه فمن لها؟فقام عفریت من الشیاطین.

فقال:أنا لها بکذا و کذا.

قال:لست لها فقام آخر فقال مثل ذلک.

فقال:لست لها.

فقال:الوساوس الخناس أنا لها.

قال:بماذا؟قال:أعدهم و امنیهم حتّی یواقعوا الخطیئه فإذا واقعوا الخطیئه أنسیتهم الاستغفار.

فقال:أنت لها،فوکله بها إلی یوم القیامه» (۲) .

و من الواضح أن النسیان ناشئ من التساهل،و الوساوس الشیطانیه،و إنما یبتلی بها من سلم نفسه لها،و خضع لتأثیرها،و تعاون مع الوسواس الخناس و استجاب له.

و لکن الیقظین المؤمنین تجدهم فی أعلی درجه من مراقبه النفس،فکلّما صدرت منهم خطیئه أو بدر ذنب،بادروا-فی أقرب فرصه-إلی غسل ما ران علی قلوبهم و نفوسهم من درن المعصیه،و أغلقوا منافذ أفئدتهم علی جنود الشیطان الذین لا یستطیعون النفوذ إلی القلوب من الأبواب المؤصده.

۱- ۱،۲) -تفسیر العیاشی فی ذیل الآیه.

-۲

هذه هی أبرز صفات المتقین و أقوی المعالم فی سلوکهم و خلقهم،قد تعرضت لذکرها الآیات السابقه.

و الآن جاء الدور لیذکر القرآن الکریم ما ینتظر هذا الفریق من الثواب و الجزاء اللائق.

و کان ذلک إذ قال سبحانه: أُولٰئِکَ جَزٰاؤُهُمْ مَغْفِرَهٌ مِنْ رَبِّهِمْ*وَ جَنّٰاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا .

لقد ذکر فی هذه الآیه جزاء المتقین الذین تعرضت الآیات السابقه لذکر أوصافهم و أبرز صفاتهم،و هذا الجزاء عباره عن:مغفره ربانیه،و جنات خالدات تجری من تحتها الأنهار بدون انقطاع أبدا.

و الحقیقه أن الإشاره هنا کانت إلی المواهب المعنویه(و هی المغفره و الطهاره الروحیه و التکامل المعنوی)أولا،ثمّ إلی المواهب المادیه.

ثمّ إنه سبحانه یعقب ما قال عن الجزاء بقوله: وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعٰامِلِینَ أی ما أروع هذا الجزاء الذی یعطی للعاملین لا للکسالی،الذین یتهربون من مسئولیاتهم،و یتملصون من التزاماتهم.

ص:٧٠٢

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۳۷ الی ۱۳۸]

اشاره

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ سُنَنٌ فَسِیرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَانْظُروا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ اَلْمُکَذِّبِینَ (۱۳۷) هٰذا بَیانٌ لِلنّاسِ وَ هُدیً وَ مَوْعِظَهٌ لِلْمُتَّقِینَ (۱۳۸)

التّفسیر

اشاره

النظر فی تاریخ الماضین و آثارهم:

یعتبر القرآن الکریم ربط الماضی بالحاضر و الحاضر بالماضی أمرا ضروریا لفهم الحقائق،لأن الارتباط بین هذین الزمانین(الماضی و الحاضر)یکشف عن مسئولیه الأجیال القادمه،و یوقفها علی واجبها،و لهذا قال سبحانه: قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ سُنَنٌ فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُروا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَذِّبِینَ .

و هذا یعنی أن للّه فی الأمم سننا لا تختص بهم،بل هی قوانین و سنن عامه فی الحیاه تجری علی الحاضرین کما جرت علی الماضین سواء بسواء،و هی سنن للتقدّم و البقاء و سنن للتدهور و الانحدار،التقدّم للمؤمنین المجاهدین المتحدین الواعین،و التدهور و الانحدار للأمم المتفرقه المتشتته الکافره الغارقه فی الذنوب و الآثام.

ص:۷۰۳

أجل إن للتاريخ أهميه حيويه لكلّ أمه من الأمم،لأن التاريخ يعكس الخصوصيات الأخلاقيه و الأعمال الصالحه و غير الصالحه،و الأفكار التى كانت سائده فى الأجيال السابقه،كما يكشف عن علل سقوط المجتمعات أو سعادتها، و نجاحها و فشلها فى العصور الغابره المختلفه.

و بكلمه واحده:إن التاريخ مرآه الحياه الروحيه و المعنويه للمجتمعات البشريه و هو لذلك خير مرشد محذر للأجيال القادمه.

و لهذا نجد القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى السير فى الأرض و النظر بإمعان و تدبر فى آثار الأمم و الشعوب التى سادت ثمّ بادت إذ يقول: فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ*فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُكَذِّبِينَ .

إن آثار الماضين خير عبره للقادمين،و بالنظر فيها و الإعتبار بها يمكن للناس أن يعرفوا المسير الصحيح للسلوك و الحياه.

السياحه و السير فى الأرض:

إن الآثار المتبقيه فى مختلف بلدان العالم من الأمم و العهود السابقه ما هى- فى الحقيقه-إلّا و ثائق التاريخ الحيه و الناطقه. بل هى قادره على أن تعطينا من الحقائق و الأسرار أكثر ممّا يعطينا التاريخ المدون.

إن الآثار الباقيه من العصور السالفه بما فيها من أشكال و صور و نقوش و كيفيات تدلنا على ما كانت تتمتع به الأمم البائده من روح و فكر،و ثقافات و مبادئ،و عظمه أو صغار،فى حين لا يجسّد التاريخ المدون سوى الحوادث الواقعه و سوى صور خاويه عنها.

أجل،إن خرائب قصور الطغاه و بقايا آثار عظيمه مثل الأهرام،و برج بابل، و قصور كسرى،و آثار الحضاره المندثره لقوم سبأ،و مئات من نظائرها الاخرى

من هذه الآثار المنتشره فى شتى أنحاء هذا الكوكب تنطوى-رغم صمتها-على ألف حديث و حديث،و ألف كلمه و كلمه.

و لهذا عمد كبار الشعراء إلى الاستلهام من هذه الأطلال و الآثار و استوحوا منها الدروس و العبر و العظات،و نقلوا إلى الآخرين عبر قصائدهم ما كان يجيش فى صدورهم،و ينقدح فى نفوسهم من المشاعر و الأحاسيس المختلفه،تجاه ما تحكيه هذه الأطلال و الآثار من معانى و تعطيه من دلالات.

و لقد لخص أحد الأدباء هذه الحقيقه فى بيت شعرى إذ قال:

ان آثارنا تدل علينا

فانظروا بعدنا إلى الآثار

إن مطالعه سطر واحد من هذه التواريخ الحيه الناطقه تعادل-فى الحقيقه- مطالعه كتاب ضخم فى مجال التاريخ،و أن ما تبعثه تلك المطالعه فى النفس و الروح البشريه لا يقاس به شىء مهما عظم.

ذلك لأننا عند ما نقف أمام آثار الماضين تتمثل أمامنا تلك الآثار و كأنها قد استعادت حياتها،و دب فيها الروح،و كأن العظام النخره قد خرجت من تحت الأرض حيه،و كأن كلّ شىء قد عاد إلى سيرته الأولى،و كأن جميع الأشياء تنطق و تتحدث،ثمّ إذا أعدنا النظر وجدناها صامته ميته منسيه، و هذه المقايسه بين هاتين الحالتين ترينا غباء أولئك المستبدون الذين يرتكبون آلاف الجرائم،و أفظع الجنايات للوصول إلى الشهوات العابره،و اللذائذ الخاطفه.

و لهذا يحث القرآن المسلمين على السير فى الأرض،و النظر إلى آثار الماضين المدفونه تحت التراب أو الباقيه على ظهر الأرض بأم أعينهم،و أن يتخذوا من كلّ ذلك العظه و العبره و ما أكثر العبر.

أجل،إن الإسلام يقر مسأله السياحه و السير فى الأرض،و يوليها أهميه كبرى،لكن لا كما يريد السياح و طلاب اللذه و الهوى،بل الدراسه آثار الأمم

ص :٧٠٥

الماضیه و التدبر فیها،و الإعتبار بها،و الوقوف علی آثار العظمه الإلهیه فی شتی نقاط العالم و هذا هو ما یسمیه القرآن الکریم بالسیر فی الأرض،و الذی تأمر به الآیات العدیده و من ذلک:

۱-قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَهُ الْمُجْرِمِینَ (۱) .

۲-أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَتَکُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ یَعْقِلُونَ بِهٰا (۲) و آیات اخری...

۳-قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ (۳) .

إن هذه الآیه تقول بأن السیر فی الأرض و النظر فی آثار الماضیین یفتح العقول و العیون،و ینیر القلوب و الأفئده،و یخلص الإنسان من الجمود و الرکود.

و قد أشار الإمام علی أمیر المؤمنین علیه السّلام إلی هذه الحقیقه فی کلمات و خطب عدیده منها

قوله:

«فاعتبروا بما أصاب الأمم المستکبرین من قبلکم من بأس اللّه وصولاته، و وقائعه و مثلاته و اتعظوا بمثاوی خدودهم،و مصارع جنوبهم و استعیذوا باللّه من لواقح الکبر کما تستعیذونه من طوارق الدهر...

و احذروا ما نزل بالأمم قبلکم من المثلات بسوء الأفعال،و ذمیم الأعمال، فتذکروا فی الخیر و الشرّ أحوالهم،و احذروا أن تکونوا أمثالهم فإذا تفکرتم فی تفاوت حالیهم فالزموا کلّ أمر لزمت العزه به شأنهم و زاحت الأعداء له عنهم،و مدت العافیه به علیهم،و انقادت النعمه له معهم،و وصلت الکرامه علیه حبلهم من الاجتناب للفرقه و اللزوم للألفه و التحاض علیها،و التواصی بها،و اجتنبوا کلّ أمر کسر فقرتهم و أوهن منّتهم،من تضاغن القلوب،و تشاحن الصدور

ص:۷۰۶

۱- ۱) -النمل:۷۱.

۲- ۲) -الحج:۴۶.

۳- ۳) -العنکبوت:۲۰.

و تدابر النفوس،و تخاذل الأيدى...» (۱) .

و لكن هذا التعليم الإسلامى الحى قد نسى-مع الأسف-كبقيه التعاليم الإسلاميه و لم يلتفت إليه المسلمون،بل إنّ بعض العلماء و المفكرين الإسلاميين حصروا الزمان و المكان فى فكرهم،فعاشوا فى عالم غير عالم الحياه هذا،و بقوا فى معزل عن التحولات الاجتماعيه،و أشغلوا أنفسهم بأمور حقيره و قضايا جزئيه قليله الأثر بالقياس إلى الأعمال الجوهريه و القضايا الأساسيه.

ففى عالم نجد فيه البابوات و القساوسه المسيحيين الذين طال ما حبسوا أنفسهم بين جدران الكنائس قد خرجوا من تلك العزله الطويله و الانقطاع عن الحياه الاجتماعيه إلى العالم الخارجى و راحوا يسيحون فى الأرض،و يقيمون الجسور و العلاقات مع الأمم و الشعوب ليزدادوا خبره بالعصر،و يقفوا على متطلباته و مستجداته و متغيراته الكثيره،أ فلا يجدر بالمسلمين أن يعملوا بهذا التعليم الإسلامى الصريح،و يخرجوا من النطاق الفكرى الضيق الذى هم فيه حتّى يتحقق التحول المطلوب فى حياه الأمه الإسلاميه،و تحل الحركه الصاعده محل الجمود و التقهقر،و التقدّم المطرد مكان التخلّف و التراجع.

و لما كان التعليم الإلهى العظيم-رغم كونه موجها إلى عامه المخاطبين-لا ينتفع به و لا يستلهمه إلاّ المتقون قال سبحانه تعقيبا على الآيه السابقه هٰذا بَيانٌ لِلنّاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ .

أجل،إن المتقين الهادفين هم الذين يتعظون بهذه الأمور لأنهم يبحثون عن كلّ ما يعمق روح التقوى فى نفوسهم،و يزيد بصيرتهم بالحقّ.

ص:۷۰۷

۱- ۱) -نهج البلاغه:الخطبه ۱۹۲.

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۳۹ الی ۱۴۳]

اشاره

وَ لاٰ تَهِنُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ اَلْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۱۳۹) إِنْ یَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ اَلْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ اَلْأَیّٰامُ نُدٰاوِلُهٰا بَیْنَ اَلنّٰاسِ وَ لِیَعْلَمَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ یَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدٰاءَ وَ اَللّٰهُ لاٰ یُحِبُّ اَلظّٰالِمِینَ (۱۴۰) وَ لِیُمَحِّصَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ یَمْحَقَ اَلْكٰافِرِینَ (۱۴۱) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا اَلْجَنَّةَ وَ لَمّٰا یَعْلَمِ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ جٰاهَدُوا مِنْكُمْ وَ یَعْلَمَ اَلصّٰابِرِینَ (۱۴۲) وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ اَلْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَیْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۱۴۳)

سبب النّزول

لقد وردت فی سبب نزول هذه الآیات روایات مختلفه،و لکن یستفاد من مجموعها أن هذه الآیات تتبع الآیات السابقه التی کانت تدور حول غزوه«أحد».

و فی الحقیقه تعتبر هذه الآیات تحلیلا و دراسه لنتائج غزوه«أحد»و أسبابها

ص :۷۰۸

لكونها تمثل دروسا كبيره للمسلمين،و هى فى نفس الوقت تسليه للمؤمنين و تقويه لقلوبهم و تثبيت لأفئدتهم،لأن هذه الغزوه-كما أسلفنا-انتهت بسبب تجاهل بعض الرماه لأوامر النبى المشدّده بالبقاء فى الثغره،بنكسه المسلمين، و استشهاد ثله كبيره من أعيانهم و أبطال الإسلام البارزين،و من جملتهم«حمزه» عم النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقد حضر النبى مع جماعه من أصحابه فى تلك الليله،عند القتلى،و جلس عند كلّ واحد من الشهداء كرامه له و بكى عنده و استغفر له،ثمّ دفن جميع الشهداء عند«أحد»فى جو من الحزن العميق،فكان المسلمون بحاجه-فى هذه اللحظات-إلى ما يمسح عنهم كآبه العزيمه و مراره الانكسار،و يقوى قلوبهم و يفيدهم درسا فى نفس الوقت من نتائج النكسه و عبرها-فنزلت الآيات المذكوره هنا.

التّفسير

اشاره

دراسه نتائج غزوه أحد:

فى الآيه الأولى من هذه الآيات حذر المسلمون من أن يعتريهم اليأس و الفتور بسبب النكسه فى معركه واحده، و أن يتملكهم الحزن و ييأسوا من النصر النهائى،قال سبحانه: وَ لاٰ تَهِنُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .

أجل،لا يحسن بهم أن يشعروا بالوهن أو يتملكهم الحزن لما حدث، فالرجال الواعون هم الذين يستفيدون الدروس من الهزائم كما يستفيدونها من الانتصارات و هم الذين يتعرفون فى ضوء النكسات على نقاط الضعف فى أنفسهم أو مخططاتهم،و يقفون على مصدر الخطأ و الهزيمه،و يسعون لتحقيق النصر النهائى بالقضاء على تلك الثغرات و النواقص و الوهن المذكور فى الآيه،هو-كما فى

اللغه-كلّ ضعف يصيب الجسم أو الروح أو يصيب الإراده و الإيمان.

على أن عباره وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ عباره غنيه بالمعانى حريه بالنظر و التأمل.إذ هى تعنى أن هزيمتكم إنما كانت بسبب فقدانكم لروح الإيمان و آثارها،فلو أنكم لم تتجاهلوا أوامر اللّه سبحانه لم يصبكم ما أصابكم،و لم يلحقكم ما لحقكم،و لكن لا تحزنوا مع ذلك،فإنكم إذا ثبتم على طريق الإيمان كان النصر النهائى حليفكم،و الهزيمه فى معركه واحده لا تعنى الهزيمه النهائيه.

ثمّ إنه سبحانه يقول: إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ و بذلك يعطى للمسلمين درسا آخر للوصول إلى النصر النهائى.

و«القرح»جرح يصيب البدن بسبب اصطدامه بشىء خارجى.

فيكون معنى الآيه أن عزيمتكم لا ينبغى أن تكون أقل من عزيمه الأعداء، فهم رغم ما لحقهم من خسائر فادحه فى الأرواح و الأموال-فى بدر-حيث قتل منهم سبعون،و جرح و أسر كثير،فإنهم لم يقعدوا عن منابذتكم و مقاتلتكم،و لم يصرفهم ذلك عن الخروج إلى محاربتكم،بل تلافوا فى هذه المعركه ما فاتهم، و تداركوا هزيمتهم،فإذا أصبتم فى هذه المعركه بهزيمه شديده فإن عليكم أن لا تقعدوا حتّى تتلافوا ما فاتكم ف إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، فلما ذا الوهن و لماذا الحزن إذن؟ و يذهب بعض المفسّرين إلى أن الآيه تشير إلى الجراح التى لحقت بالكفّار فى أحد،و لكن هذا لا يستقيم لأن الجراح التى لحقت بالكفّار فى أحد لم تكن مثل الجراح التى لحقت بالمسلمين،هذا أولا،و كذلك لا يتناسب مع الجمله اللاحقه التى سيأتى تفسيرها فيما بعد ثانيا،ألا و هى قوله سبحانه: وَ تِلْكَ الْأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ .

ففى هذا القسم يشير سبحانه إلى واحده من السنن الإلهيه و هى أنه قد تحدث

فی حیاه البشر حوادث حلوه أو مرّه و لکنها غیر باقیه و لا ثابته مطلقا، فالانتصارات و الهزائم،و الغالبیه و المغلوبیه،و القوّه و الضعف کلّ ذلک یتغیر و یتحول،و کلّ ذلک یزول و یتبدل،فلا ثبات و لا دوام لشیء منها،فیجب أن لا یتصور أحد أن الهزیمه فی معرکه واحده و ما یتبعها من الآثار امور دائمه ثابته باقیه،بل لا بدّ من الانتفاع بسنه التحول،و ذلک بتقییم أسباب الهزیمه و عواملها و تلافیها،و تحویل الهزیمه إلی انتصار،فالحیاه صعود و نزول،و أحداثها فی تحول مستمر،و تبدل دائم و لا ثبات لشیء من أوضاعها و أحوالها. وَ تِلْکَ الْأَیّامُ (۱) نُداوِلُها بَیْنَ النّاسِ لتتضح سنه التکامل من خلال ذلک.

ثمّ إنه سبحانه یشیر إلی نتیجه هذه الحوادث المؤلمه فیقول: وَ لِیَعْلَمَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا أی أن ذلک إنما هو لأجل أن یتمیز المؤمنون حقّا عن أدعیاء الإیمان.

و بعباره أخری:إذا لم تحدث الحوادث المؤلمه فی حیاه أمه من الأمم و تاریخها لم تتمیز الصفوف و لم یتبین الخبیث و الطیب،لأن الانتصارات وحدها تخدع و تغری،و تصیب المنتصرین بالغفله بینما تشکل الهزائم عامل یقظه للمستعدین المتهیئین،و توجب ظهور القیم،و تعرف بها حقائق الرجال.

ثمّ إنه فی قوله: وَ یَتَّخِذَ مِنْکُمْ شُهَداءَ یشیر إلی إحدی نتائج هذه الهزیمه المؤلمه،بأن هذه النتیجه کانت هی تقدیمکم بعض الشهداء فی هذه المعرکه،فیجب أن تعلموا أن هذا الدین لم یصل إلیکم بالهیّن،فلا یفلت منکم کذلک فی المستقبل.

إن الأمه التی لا تضحی فی سبیل أهدافها المقدسه لا تعیر تلک الأهداف أهمیتها،و لا تعطیها قیمتها اللائقه،أما إذا ضحت فی سبیل أهدافها فإنها هی

---

۱ – ۱) -«الأیام»جمع یوم یعبر به عن وقت طلوع الشمس إلی غروبها،و قد یطلق علی فترات الانتصارات الکبری فی حیاه الشعوب،و«نداولها»من المداوله بمعنی إذا صار الشیء من بعض القوم إلی البعض الآخر.

و أجيالها القادمه كذلك ستعطى لتلك الأهداف الأهميه و القيمه اللازمه و ستنظر إليها بعين الاحترام و الإكبار.

و يمكن أن يكون المراد من«الشهداء»هنا هم الذين يشهدون،فيكون معنى قوله وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدٰاءَ أى أن يتخذ منكم بوقوع هذه الحادثه فى حياتكم -شهودا-لتعرفوا كيف أن عدم الانضباط و عدم التقييد بالأوامر يؤدى إلى الهزيمه، و ينتهى إلى النكسه المؤلمه.

و إن هؤلاء الشهود سيعلمون الأجيال اللاحقه دروس الإنتصار و الهزيمه حتّى لا يكرروا الأخطاء،و لا تقع حوادث مشابهه.

ثمّ إنه تعالى يختم هذا الاستعراض للسنن و الدروس و النتائج بقوله: وَ اللّٰهُ لاٰ يُحِبُّ الظّٰالِمِينَ فهو لا ينصرهم و لا يدافع عنهم،و لا يمكّنهم من المؤمنين الصالحين العاملين بتعاليم السماء الآخذين بسنن اللّه فى الكون و الحياه.

الحوادث المره ميدان تربيه:

أجل،إن لمعركه«أحد»و ما لحق بالمسلمين فيها من هزيمه نتائج و آثارا، و من نتائجها و آثارها الطبيعيه أنها كشفت عن نقاط الضعف فى الجماعه و الثغرات الموجوده فى كيانها،و هى وسيله فعاله و مفيده لغسل تلك العيوب و التخلّص من تلك النواقص و الثغرات،و لهذا قال سبحانه: وَ لِيُمَحِّصَ (۱) اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا أى أن اللّه أراد-فى هذه الواقعه-أن يتخلص المؤمنون من العيوب و يريهم ما هم مبتلون به من نقاط الضعف.إذ يجب لتحقيق الانتصارات فى المستقبل أن يمتحنوا فى بوتقه الاختبار،و يزنوا فيها أنفسهم كما-

قال الإمام على عليه السّلام: «فى تقلب الأحوال علم جواهر الرجال».

۱- ۱) -«التمحيص»و المحص أصله:تخليص الشىء ممّا فيه من عيب.

و لهذا قد يكون لبعض الهزائم و النكسات من الأثر فى صياغه المجتمعات الإنسانيه و تربيتها ما يفوق أثر الانتصارات الظاهريه.

و الجدير بالذكر أن مؤلف تفسير المنار نقل عن استاذه مفتى مصر الأكبر الشيخ محمد عبده أنه رأى النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم فى المنام فقال له:«رأيت النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم ليله الخميس الماضيه(غره ذى القعده سنه ۱۳۲۰)فى الرؤيا منصرفا مع أصحابه من أحد و هو يقول:«لو خيّرت بين النصر و الهزيمه لاخترت الهزيمه»أى لما فى الهزيمه من التأديب الإلهى للمؤمنين و تعليمهم أن يأخذوا بالاحتياط و لا يغتروا بشىء يشغلهم عن الاستعداد و تسديد النظر (۱) .

و أما نتيجه هذه التربيه و الصياغه التى يتلقاها المؤمنون فى خضم المحن و المصائب و اتون الحوادث المره فهو حصول القدره الكافيه لدحر الشرك و الكفر دحرا ساحقا و كاملا.و إلى هذا أشار بقوله: وَ يَمْحَقَ (۲) الْكافِرِينَ .

فإن المؤمنين بعد أن تخلصوا-فى دوامه الحوادث-من الشوائب يحصلون على القدره الكافيه للقضاء التدريجى على الشرك و الكفر،و تطهير مجتمعهم من هذه الأقذار و الشوائب،و هذا يعنى أنه لا بدّ أولا من تطهير النفس ثمّ تطهير الغير.

أى التطهر ثمّ التطهير.

و فى الحقيقه كما أن القمر-مع ما هو عليه من النور و البهاء الخاصين به-يفقد نوره شيئا فشيئا أمام وهج الشمس و بياض النهار حتّى يغيب فى ظلمه المحاق فلا يعود يرى إلاّ عند ما تنسحب الشمس من الأفق،كذلك يأفل نجم الشرك و أهله و تتضاءل قوه الكفر و أشياعه كلّما ازداد صفاء المسلمين المؤمنين،و خلصوا من رواسب الضعف و الاعوجاج و الانحراف.

۱- ۱) -المنار:ج ۴ ص ۴۶.

۲- ۲) -المحق:النقصان و منه المحاق لآخر الشهر إذا انمحق الهلال و امتحق و قل ضياؤه.

فهناک علاقه متقابله بین تمحیص المؤمنین و ارتقائهم فی مدارج الخلوص و الطهر،و مراتب الصفاء و التقوی،و بین انزیاح الکفر و الشرک و اندثار معالمها و آثارهما عن ساحه الحیاه الاجتماعیه.

هذه هی الحقیقه الکبری و الخالده التی یلخصها القرآن فی هاتین الجملتین اللتین تشکل الأولی منها المقدمه و الثانیه النتیجه.

ثمّ إنه یفیدنا القرآن درسا من واقعه«أحد»فی تصحیح خطأ فکری وقع فیه المسلمون فیقول: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصّابِرِينَ أی هل تظنون أنکم تنالون أوج السعاده المعنویه بمجرد اختیارکم لاسم المسلم،أو بمجرد أنکم حملتم العقیده الإسلامیه فی الفکر دون أن تطبقوا ما یتبعها من التعالیم؟ لو کان الأمر کذلک لکان هینا جدا،و لکن لیس کذلک حتما،فإنه ما لم تطبق التعالیم التی تتبع تلک المعتقدات،فی واقع الحیاه العملیه لم ینل أحد من تلک السعاده العظمی شیئا.

و هنا بالذات یجب أن تتمیز الصفوف،و یعرف المجاهدون الصابرون عن غیرهم.

مزاعم جوفاء

ثمّ إنه کان هناک جماعه من المسلمین-بعد معرکه«بدر»و استشهاد فریق من أبطال الإسلام-یتمنون الموت فی أحادیثهم و مجالسهم و یقولون:لیتنا نلنا الشهاده فی«بدر»،و من الطبیعی أن یکون بعض تلک الجماعه صادقین فی تمنیهم و البعض الآخرون کاذبین یتظاهرون بهذه الأمنیه،أو یجهلون حقیقه أنفسهم، و لکن لم یلبث هذا الوضع طویلا،فسرعان ما وقعت معرکه أحد الرهیبه المؤلمه،

ص: ۷۱۴

فقاتـل المجاهـدون الصادقون بشـهامه و بساله و صـدق و كرعوا كؤوس الشـهاده، و حققوا أمانيهم،و لكن الـذين كانوا يتمنونها كذبا و تظاهرا ما إن رأوا علائم الهزيمه التى لحقت بالجيش الإسـلامى فى تلك الواقعه حتّى فروا خوفا و جبنا،و ظنا بنفوسـهم و أرواحهم،تـاركين السـاحه للعـدو الغـاشم،فنزلت هـذه الآـيه تـوبخهم و تعـاتبهم إذ تقول: وَ لَقَـدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْـلِ أَنْ تَلْقَوْهُ،فَقَـدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ فلما ذا فررتم و هربتم من الشـىء الذى كنتم تتمنونه طويلا و كيف يفر المرء من محبوبه،و هو يراه و ينظر إليه؟

دراسه سريعه لعلل الهزيمه فى«أحد»:

لقـد مررنـا فى الآيـات السـابقه فى هـذا المقطع من الحـديث على عبارات تكشف كلّ واحـده منها القناع عن واحـده من أسـرار الهزيمه التى وقعت فى معركه أحـد،و ها نحن نشـير إلى أهم و أبرز هـذه العوامل التى تعاضـدت فأدت إلى هذه النكسه المره،و الحاويه لكثير من العبر فى نفس الوقت،و هذه العوامل هى:

۱-الخطأ فى المحاسـبه عنـد بعض المسـلمين الحـديثى العهـد بالإسـلام فى فهم مفاهيمه و تعاليمه،حيث إنهم تصوروا أن إظهار الإيمان وحـده يكفى لتحقيق الإنتصار،و إن اللّه-لـذلك سـينزل عليهم نصـره،و يمـدهم بالقوى الغيبيه فى جميع الميادين،و لهذا تناسوا و تجاهلوا السـنن الإلهيه فى مجال الأسباب الطبيعيه للانتصار من إختيار الخطه الصحيحه،و الإعداد القوى اللازمه،و اليقظه القتاليه.

۲-عدم الانضـباط العسـكرى و مخالفه أوامر النبى القائد المشدده للرماه بالبقاء فى الثغر من الجبل،و الذب عن ظهور المسلمين و قد كان هذا هو العامل الحقيقى المؤثر للهزيمه.

۳-حب الدنيا و الحرص على الحطام الذى دفع بعض المسلمين الحديثى

العهـد بالإسـلام إلى الانصـراف إلى جمع الغنائم،و ترک ملاحقه العـدو،و وضع الأسـلحه حتّی لا يتأخروا عن الآخرين فی حيازه الغنائم،و کان هذا هو العامل الثالث لتلک النکسه الداميه التی علمتهم أن الجهاد فی سبيل اللّه يسـتدعی نسـيان جميع هذه الأمور و التوجه بالکامل إلی الهدف.

۴-الغرور الناشـئ عن الإنتصار الساحق و اللامع فی معرکه بدر إلی درجه أنه أنسی بعض المسلمين قوه العدو،و جعلهم يحتقرون تجهيزاته و طاقاته، و يستصغرون شأنه.

هذه هی بعض نقاط الضعف التی ينبغی أن تزول فی مياه هذه النکسه المؤلمه الساخنه،و تتبخر فی أتونها.

ص :۷۱۶

الآیتان [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۴۴ الی ۱۴۵]

اشاره

وَ مٰا مُحَمَّدٌ إِلاّٰ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ اَلرُّسُلُ أَ فَإِنْ مٰاتَ أَوْ قُتِلَ اِنْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اَللّٰهَ شَیْئاً وَ سَیَجْزِی اَللّٰهُ اَلشّٰاکِرِینَ (۱۴۴) وَ مٰا کٰانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ کِتٰاباً مُؤَجَّلاً وَ مَنْ یُرِدْ ثَوٰابَ اَلدُّنْیٰا نُؤْتِهِ مِنْهٰا وَ مَنْ یُرِدْ ثَوٰابَ اَلْآخِرَهِ نُؤْتِهِ مِنْهٰا وَ سَنَجْزِی اَلشّٰاکِرِینَ (۱۴۵)

سبب النّزول

إن الآیه الأولی من هاتین الآیتین ناظره أیضا إلی حادثه أخری من حوادث معرکه«أحد»و هی الصیحه التی ارتفعت فجأه فی ذروه القتال بین المسلمین و الوثنیین أن محمّدا قد قتل.

و لقد قارنت هذه الصیحه نفس اللحظه التی رمی فیها«عمرو بن قمئه الحارثی»النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم بحجر فکسر به رباعیته و شجه فی وجهه،فسأل الدم،و غطی

ص :۷۱۷

وجهه الشريف (۱) فقد كان العدو يريد فى هذه اللحظه أن يقضى على رسول اللّه، و لكن«مصعب بن عمير»و هو من حمله الرايات فى الجيش الإسلامى ذب عنه حتّى قتل دون النبى،فتوهم العدو أن النبى قد قتل،و لهذا صاح:إلّا أن محمّدا قد قتل،ليخبر الناس بذلک الأمر.

و قد كان لانتشار هذا الخبر أثره الإيجابى فى معنويات الوثنيين بقدر ما ترک من الأثر السىء فى نفوس المسلمين حيث تزعزعت روحيتهم و زلزلوا زلزالا شديدا،فاضطرب جمع كبير منهم كانوا يشكلون أغلبيه الجيش الإسلامى، و أسرعوا فى الخروج من ميدان القتال،بل و فكر بعضهم أن يرتد عن الإسلام بمقتل النبى و يطلب الأمان من أقطاب المشركين،بينما كان هناک أقليه من المسلمين مثل الإمام على عليه السّلام و أبو دجانه و طلحه و آخرون،يصرون على الثبات و المقاومه و يدعون الناس إليه.

فقد جاء أنس بن النضر إلى ذلک الفريق الذى كان يفكر فى الفرار و قال لهم:

«يا قوم إن كان قد قتل محمّد فربّ محمّد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و موتوا على ما مات عليه»ثمّ شد بسيفه و حمل على الكفّار و قاتل حتّى قتل،ثمّ لم يمض وقت طويل حتّى تبين أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم على قيد الحياه،و تبين على أثره خطأ ذلک الخبر أو كذبه،فنزلت الآيه الأولى-من الآيتين الحاضرتين- توبخ الذين لاذوا بالفرار بشده.

التّفسير

اشاره

لا لعباده الشخصيه و تقديس الفرد:

تعلّم الآيه الأولى من هاتين الآيتين حقيقه أخرى للمسلمين استلهاما من

۱- ۱) -و لقد جاء فى بعض كتب التاريخ أن هذه الإصابات لحقت بالنبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم من جراء هجمات أفراد عديدين من العدو.

أحـداث معركه«أحـد»إذ تقول: وَ مٰا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مٰاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ و هـذه الحقيقه هى أن الإسلام ليس دين عباده الشخصيه حتّى إذا قتل النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و نال الشهاده فى هذه المعركه- افتراضا- ينتهى كلّ شـىء و يسـقط واجب الجهاد و النضال عن كاهل المسـلمين،بل إن هذا الواجب مستمر،و عليهم أن يواصلوه لأن الإسلام لا ينتهى بموت النبى أو استشهاده،و هو الدين الحقّ الذى أنزل ليبقى خالدا إلى الأبد.

إن عباده الشخصـيه و تقـديس الفرد من أخطر ما يصـيب أيه حركه جهاديه و يهددها بالسـقوط و الانتهاء،فإن ارتباط الحركه أو الـدين بشـخص معين حتّى لو كـان ذلـك هو النبى الخـاتم صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم معنـاه توقف كلّ الفعاليات و كلّ تقـدّم بفقدانه و غيابه عن الساحه،و هذا النوع من الارتباط هو أحد علائم النقص فى الرشد الاجتماعى.

إنّ تركيز النـبى و إصـراره على مكـافحه تقـديس الفرد و عبـاده الشخصـيه آيـه اخرى من آيـات صـدقه،و دليلاـ آخر يـدل على حقـانيته،لأن قيامه و دعوته لو كان لنفسه و بهـدف تحقيق مصالحه الشخصـيه للزم أن يعمق فى الأذهان و القلوب هـذه الفكره،و يزيـد من تـوجيه الأنظـار إلى نفسه و أن جميع الأشـياء فى هـذا الـدين مرتبطه بشـخصه بحيث إذا غـاب عنهم ذهب و انتهى كلّ شىء،و لكن القـاده الصادقين كالنبى الأكرم صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم لا يفعلون مثل هـذا أبـدا،و لا يشـجعون على مثل هـذه الأفكار،بل يكافحونها بقوه،و يقولون:إن أهدافنا أعلى من أشخاصنا و هى لا تنتهى بموتنا و بغيابنا،و لهذا يقول القرآن الكريم: وَ مٰا مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مٰاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ ؟و هو بذلك يسـتنكر ما دار فى خلد البعض أو قد يدور من أن كلّ شىء فى هذا الدين ينتهى بغياب النبى -القائد-صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

و الجدير بالذكر أن القرآن استخدم للتعبير عن الرده إلى الجاهليه كلمه اِنْقَلَبْتُمْ عَلیٰ أَعْقٰابِکَمْ و«الأعقاب»جمع عقب(وزان خشن)بمعنى مؤخره القدم،فهو تعبير موح يصور التراجع إلى الوراء و الارتداد الواقعى،و هو أكثر إيحاء و أقوى تصويرا من لفظه الرده و الرجوع و العوده،لأنه بمعنى السير القهقرى.

ثمّ إنه سبحانه يقول: وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلیٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً يعنى أن العوده إلى الكفر و الوثنيه تضرّكم أنتم دون اللّه سبحانه،لأن أمثال هذا التراجع لا يعنى سوى توقفكم فى طريق الخير و السعى نحو السعاده الكامله،بل فقدان كلّ ما حصلتموه من العزّه و الكرامه و المجد بسرعه.

ثمّ إنه لما كان هناك-فى معركه أحد-أقليه استمرت على جهادها رغم الصعوبات،و انتشار الخبر المفجع عن مقتل الرسول،كان من الطبيعى أن ينال صمودهم هذا و ثباتهم التقدير اللائق،و لهذا قال سبحانه: وَ سَيَجْزِي اللّهُ الشّٰاكِرِينَ و بذلك مدح القرآن الكريم استقامتهم و صمودهم،و وصفهم بالشاكرين لأنهم أحسنوا الاستفاده و الانتفاع بالنعم فى سبيل اللّه،و هذا أفضل مصاديق الشكر.

إن الدرس الذى تعطيه هذه الآيه فى مكافحه عباده الشخصيه و تقديس الفرد هو أبلغ و أفضل درس لجميع المسلمين فى جميع العصور و الأزمنه،فعليهم جميعا أن يتعلموا من القرآن أن لا يربطوا القضايا الإستراتيجيه و الأهداف العليا و المصيريه بالأشخاص،بل لا بدّ أن يلتفوا حول الأسس و المبادئ الخالده التى لا تفنى و لا تتغير،و لا تتأثر بتغير الأشخاص أو غيابهم عن الساحه بسبب الموت أو القتل حتّى لو كان ذلك هو النبىّ الأكرم،لكيلا تتوقف عجله المسيره عن الحركه، و لا يتعطل دولاب العمل عن الدوران،بل إن ذلك هو رمز الخلود فى أى مبدأ و حركه أساسا.

ص:٧٢٠

و علی هذا الأساس فإن جمیع البرامج و التشکیلات المرتبطه بالأشخاص و القائمه بوجودهم الشخصی هی فی الحقیقه برامج و تشکیلات غیر سلیمه و لا طبیعیه،و هی معرضه للزوال و الفناء فی أیه لحظه.

و ممّا یؤسف له أن یکون أغلب التشکیلات الإسلامیه الیوم من هذا القبیل، أی أنها قائمه بالأشخاص،و لذلک فهی سرعان ما تزول و تتهاوی و تتلاشی عند ما یغیب الأشخاص بذواتهم عن الساحه.

إن علی المسلمین أن یستلهموا من هذه الآیه فیقیموا مؤسساتهم المتنوعه المختلفه بنحو یستفاد فیها من مواهب الأشخاص اللائقین الموهوبین دون أن یکون مصیرها مرتبطا بمصیرهم حتّی لا تندثر بتغیرهم أو غیابهم.

ثمّ إن جماعه کثیره من المسلمین ارعبوا و زلزلوا لشائعه مقتل النبی فی أحد -کما أسلفنا- إلی درجه أنهم ترکوا ساحه المعرکه،و فروا بأنفسهم من الموت و حتّی أن بعضهم فکر فی الرده عن الإسلام فکان قوله سبحانه: وَ مٰا کٰانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ کِتٰاباً مُؤَجَّلاً و هو یکرر توبیخهم،و تنبیههم إلی أن الموت بید اللّه،و الفرار لا ینفع فی الخلاص من الأجل الإلهی،فإذا صحّ أن النبی قتل فی المعرکه و نال الشهاده لم یکن ذلک إلاّ تحقیقا لسنه إلهیه،فلما ذا خاف المسلمون و کفوا عن القتال؟؟ و من ناحیه أخری أن الفرار من المعرکه لا یدفع الأجل کما أن مواصله القتال و البقاء فی المعرکه لا یقرب هو الآخر أجلا،فالفرار من میدان الجهاد حفاظا علی النفس لغو لا فائده فیه.

و هناک بحث حول معنی الأجل،و أن منه حتمیا،و منه معلقا،و الفرق بین النوعین سنوافیک به فی تفسیر الآیه الثانیه من سوره الأنعام بإذن اللّه تعالی.

و بعد عرض هذه الحقائق یعقب سبحانه علی ما قال بقوله: وَ مَنْ یُرِدْ ثَوٰابَ

الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها*وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَهِ نُؤْتِهِ مِنْها

أى أن ما عمله الإنسان لا يضيع أبدا،فإن كان هدفه دنيويا ماديا كما كان عليه بعض المقاتلين فى«أحد» فإنه سيحصل على ما يسعى إليه و يناله.

و أما إذا كان هدفه أسمى من ذلك،و صب جهوده فى سبيل الحصول على الحياه الخالده و الفضائل الإنسانيه بلغ إلى هدفه حتما و أوتى ثواب الآخره الذى هو أعظم من كلّ ثواب و أسمى من كلّ نتيجه،فلما ذا إذن لا يصرف الإنسان جهوده،و يوظف ما أوتى من طاقات معنويه و ماديه فى الطريق الثانى و هو الطريق الخالد السامى؟ و تأكيدا لهذه الحقيقه قال سبحانه:مره أخرى وَ سَنَجْزِى الشّاكِرِينَ .

و الجدير بالتأمل أن الفعل فى هذه العباره جاء فى الآيه السابقه،بصيغه الغائب سَيَجْزِى و جاء هنا فى صوره المتكلم«سنجزى»و هذا يفيد غايه التأكيد للوعد الإلهى بإعطاء الثواب لهم،فهو تدرج من الوعد العادى إلى الوعد المؤكد، فكأنّ اللّه يريد أن يقول-و ببساطه-أنا ضامن لجزائهم و ثوابهم.

ثمّ إنه

جاء فى تفسير«مجمع البيان»فى ذيل هذه الآيه عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال: إنه أصاب عليا عليه السّلام يوم«أحد»إحدى و ستون جراحه،و أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم أمر أم سليم و أم عطيه أن تداوياه،فقالتا إنا لا نعالج منه مكانا إلاّ انفتق مكان آخر، و قد خفنا عليه،فدخل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و المسلمون يعودونه و هو قرحه واحده فجعل يمسحه بيده،و يقول:«إن رجلا لقى هذا فى اللّه فقد أبلى و أعذر»و كان القرح الذى يمسحه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم يلتئم، و

قال على عليه السّلام: «الحمد للّه إذ لم أفر و لم أوّل الدبر» فشكر اللّه له ذلك فى موضعين من القرآن و هو قوله تعالى: وَ سَيَجْزِى اللّهُ الشّاكِرِينَ و قوله تعالى: وَ سَنَجْزِى الشّاكِرِينَ .

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۴۶ الی ۱۴۸]

اشاره

وَ كَأَیِّنْ مِنْ نَبِیٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّیُّونَ كَثِیرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِی سَبِیلِ اَللّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اِسْتَكانُوا وَ اَللّهُ یُحِبُّ اَلصّابِرِینَ (۱۴۶) وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاّ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اِغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِی أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ اُنْصُرْنا عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْكافِرِینَ (۱۴۷) فَآتاهُمُ اَللّهُ ثَوابَ اَلدُّنْیا وَ حُسْنَ ثَوابِ اَلْآخِرَهِ وَ اَللّهُ یُحِبُّ اَلْمُحْسِنِینَ (۱۴۸)

التّفسیر

اشاره

المجاهدون السابقون:

بعد استعراض حوادث معركه«أحد»فی الآیات السابقه،جاءت الآیات الحاضره لتحث المسلمین علی التضحیه و الثبات و تشجعهم و تثبتهم بذكر تضحیات من سبقوهم من أصحاب الرسل الماضین و أتباعهم المؤمنین الصادقین الأبطال،و توبخ ضمنا أولئك الذین فروا فی«أحد»و حدثوا أنفسهم بما حدثوا إذ

ص: ۷۲۳

يقول سبحانه:فى الآيه الأولى من هذه الآيات: وَ كَأَيِّنْ (۱) مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ (۲) كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فأنصار الأنبياء إذا واجهوا المصاعب و الجراحات و الشدائد فى قتالهم الأعداء لم يشعروا بالضعف و الهوان أبدا،و لم يخضعوا للعدو أو يستسلموا له،و من البديهى أن اللّه تعالى يحب مثل هؤلاء الأشخاص الذين يثبتون و يصبرون فى القتال وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللّهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ .

فهؤلاء عند ما كانوا يواجهون المشاكل بسبب بعض الأخطاء أو العثرات و عدم الانضباط لم يفكروا فى الاستسلام للأمر الواقع،أو يحدثوا أنفسهم بالفرار أو الارتداد عن الدين و العقيده بل كانوا يتضرعون إلى اللّه يطلبون منه الصبر و الثبات،و العون و المدد و يقولون رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِي أَمْرِنا*وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ .

إنهم بمثل هذا التفكر الصحيح و العمل الصالح كانوا يحصلون على ثوابهم دون تأخير،و هو ثواب مزدوج،أما فى الدنيا فالنصر و الفتح،و أما فى الآخره فما أعد اللّه للمؤمنين المجاهدين الصادقين: فَآتاهُمُ اللّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَهِ .

ثمّ إنه سبحانه يعد هؤلاء-فى نهايه هذه الآيه-من المحسنين إذ يقول:

وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

.

و بهذا النحو يبين القرآن درسا حيا للمسلمين الحديثى العهد بالإسلام،من

۱- ۱) -«كأيّن»أى ما أكثر،و يقال أنها اسم مركب-أصلا-من كاف التشبيه و أى الاستفهاميه فظهرتا فى صوره الكلمه الواحده التى فقد عندها معنيا الجزئين،و اكتسبت معنى جديدا هو«ما أكثر».

۲- ۲) -«ربيون»جمع«ربى»وزان«على»يطلق على من اشتد ارتباطه باللّه عزّ و جلّ،و يكون مؤمنا عالما،صامدا مخلصا.

حیاه الأمم السابقه و سلوکهم مع أنبیائهم،و کیفیه تعاملهم مع المشکلات الطارئه، و کیفیه التغلب علیها،و هو درس من شأنه أن یربیهم و یعدّهم للحوادث المستقبله، و المعارک القادمه.

وقفات اخری عند هذه الآیات

ثمّ إن هناک فی هذه الآیات نقاطا هامه أخری جدیره بالتوجه و الالتفات نشیر إلیها فیما یلی:

۱-الصبر-کما أشرنا إلیه سابقا-یعنی الثبات و الصمود،و لهذا جاء فی هذه الآیه فی مقابل«الضعف و الاستکانه»کما و یدل علی ذلک کون الصابرین فی ردیف المحسنین إذ قال فی الآیه الأولی: وَ اللّٰهُ یُحِبُّ الصّٰابِرِینَ و قال فی الآیه الثالثه وَ اللّٰهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ و هو إشعار بأن الإحسان لا یمکن إلاّ بالثبات و الصمود و الصبر،لأن المحسن تواجهه آلاف المشاکل،فإذا لم یکن مزودا بالصمود و الصبر و الثبات و الاستقامه لم یمکنه الاستمرار فی عمله،بل سرعان ما یترکه فی خضم المشکلات.

۲-إن المجاهدین الحقیقیین هم الذین لا ینسبون الهزیمه إلی غیرهم،أو یسندونها إلی عوامل و أسباب خیالیه و وهمیه،بل یبحثون عنها فی نفوسهم و ذواتهم،و یحاولون-بصدق-التخلص منها من خلال تصحیح الأخطاء،و ترمیم الثغرات،بل لا یتلفظون بکلمه الهزیمه،إنما یعبرون عنها بالإسراف،و الإفراط غیر المبرر،تماما علی العکس منا الیوم حیث نسعی غالبا لأن نتجاهل هزائمنا بالمره، و أن ننسبها إلی عوامل خارجیه لا تمت إلی ذواتنا بصله،و لا ترتبط بسلوکنا و أفکارنا،و لهذا فإننا لا نفکر فی إصلاح الأخطاء،و إزاله نقاط ضعفنا.

۳-لقد عبرت الآیه الثالثه عن الجزاء الدنیوی بثواب الدنیا،و لکنها عبرت

عن الجزاء الأخروی بحسن ثواب الآخره،و هـذه إشاره إلی أن ثواب الآخره یختلف عن ثواب الدنیا اختلافا کلیا،لأن ثواب الدنیا مهما یکن فهو ممزوج بالفناء و العدم،و یقترن ببعض المنغصات و المکروهات الذی هو من طبیعه الحیاه الدنیا،فی حین أن ثواب الآخره حسن کلّه،إنه خیر خالص لا فناء فیه و لا عناء، و لا انقطاع فیه و لا انتهاء،و لا کـدورات فیه و لا منغصات،و لا متاعب و لا مزعجات.

ص: ۷۲۶

الآيات [سوره آل عمران (٣): الآيات ١۴٩ الى ١۵١]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا اَلَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خٰاسِرِينَ (١۴٩) بَلِ اَللّٰهُ مَوْلاٰكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ اَلنّٰاصِرِينَ (١۵٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا اَلرُّعْبَ بِمٰا أَشْرَكُوا بِاللّٰهِ مٰا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰاناً وَ مَأْوٰاهُمُ اَلنّٰارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى اَلظّٰالِمِينَ (١۵١)

التّفسير

اشاره

تحذيرات مكرره:

هـذه الآيات-كسابقاتها-نزلت بعد معركه«أحد»و بهدف تقويم و تحليل الحوادث التى وقعت أو لا بست تلكم المعركه،و يشـهد بهذا وضع هذه الآيات و الآيات السابقه.

إن ما يبـدو للنظر هو أن أعـداء الإسـلام أخذوا-بعد معركه أحد-يسـعون فى إلقاء الفرقه فى صـفوف المسـلمين ببث سلسـله من الدعايات المسمومه،و المغلفه أحيانا بلباس النصيحه،و التحرّق على ما آل إليه المسلمون،و كانوا بالاستفاده من

الأوضاع النفسيه المترديه التی کان یمر بها جماعه من المسلمین،یحاولون زرع بذور النفور من الإسلام بینهم.

و لا یستبعد أن یکون الیهود و النصاری قد ساعدوا المنافقین فی هذه الخطه الحاقده،کما حدث فی المعرکه نفسها حیث کان لهم حظ فی الترویج للشائعه التی أطلقت حول مقتل النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم بهدف إضعاف معنویات المقاتلین المسلمین.

الآیه الأولی من هذه الآیات تقول: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تُطِیعُوا الَّذِینَ کَفَرُوا یَرُدُّوکُمْ عَلیٰ أَعْقابِکُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِینَ فهی تحذر المسلمین من إطاعه الکفّار و تقول:إن إطاعه الکفّار تعنی العوده إلی الجاهلیه بعد تلک الرحله العظیمه فی طریق التکامل المعنوی و المادی فی ظل التعالیم الإسلامیه.

إن إطاعه الکفّار فی وساوسهم و تلقیناتهم،و الإصغاء إلی دعایاتهم تعنی العوده إلی النقطه الأولی ألا و هی الکفر و الفساد و السقوط فی حضیض الانحطاط، و فی هذه الصوره یکونون قد ارتکبوا إثما کبیرا ستلازمهم تبعاته،و آثاره الشریره، فأیه خساره أکبر من أن یستبدل الإنسان الإیمان بالکفر،و النور بالظلام،و الهدی بالضلال و السعاده بالشقاء؟! ثمّ إنه سبحانه یؤکد بأن لهم خیر ناصر و ولی و هو اللّه: بَلِ اللّٰهُ مَوْلاٰکُمْ وَ هُوَ خَیْرُ النّٰاصِرِینَ .

إنه الناصر الذی لا یغلب،بل لا تساوی قدرته أیه قدره،فی حین ینهزم غیره من الموالی،و یندحر غیره من الأسیاد.

ثمّ إنه سبحانه یشیر إلی نموذج من نماذج التأیید الإلهی للمسلمین فی أحرج الظروف،و أحلک المراحل إذ یقول: سَنُلْقِی فِی قُلُوبِ الَّذِینَ کَفَرُوا الرُّعْبَ .

ففی هذا المنقطع من الآیه یشیر إلی نجاه المسلمین بعد معرکه أحد،و خلاصهم بأعجوبه،و هو بذلک-کما أسلفنا-یشیر إلی واحد من موارد حمایه اللّه للمسلمین

و غضبه على الكفّار،و يطمئن المسلمين إلى المستقبل و يزيد من ثقتهم بأنفسهم، و يؤمّلهم فى التأييدات الإلهيه القادمه.

فالوثنيون المكيون-كما سبق أن قلنا فى قصه معركه أحد-مع أنهم أحرزوا فى تلك المعركه انتصارا ملفتا للنظر، و استطاعوا أن يبددوا الجيش الإسلامى و لو ظاهرا،رأوا أن يعودوا إلى ساحه المعركه،و يأتوا على البقيه الباقيه من القوّه الإسلاميه،بل و لم يترددوا مطلقا فى إغاره على المدينه المنوره،و القضاء على شخص النبى الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلّم الذى كان قد بلغهم عدم صحه الخبر بمقتله فى تلك المعركه.

إلاّ أن اللّه سبحانه قد ألقى فى قلوبهم رعبا عجيبا،و خوفا بالغا صرفهم عن نيتهم تلك.

على أن هذا لخوف الذى لم يكن له ما يبره أبدا سوى أنه من خواص الكفر و الوثنيه و الإعتقاد بالخرافه قد شمل وجودهم كلّه حتّى أنهم-كما نقرأ ذلك فى الأحاديث-كانوا عند عودتهم من«أحد»و اقترابهم من مكه أشبه ما يكونون بجيش منهزم مندحر،رغم ما قد حققوه من انتصار شبه ساحق.

و هذا هو ما تلخصه الآيه إذ تقول: سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ أى أننا كما ألقينا الرعب فى قلوب الكفّار فى أعقاب معركه«أحد»و رأيتم نموذجا منه بأم أعينكم،سنلقى مثله فى قلوب الذين كفروا فيما بعد،و لهذا ينبغى أن تطمئنوا إلى المستقبل،و لا تأخذكم فى اللّه لومه لائم،و لا تهزكم و لا تزعزعكم شماته شامت و وسوسه موسوس.

و الجدير بالذكر أن الآيه تعلل نشأه هذا الرعب الواقع فى قلوب الكفّار كالتالى: بِمٰا أَشْرَكُوا بِاللّٰهِ مٰا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰاناً .

لقد كانوا قوما أهل خرافه،لا يتبعون دليلا،و لا يلتمسون برهانا،و لهذا كثيرا

ما كانت المحقرات من الأشياء تعظم فی عیونهم و أفكارهم،فیتخذون الحجر و المدر و الخشب معبودات و آلهه لهم،یضعفون أمام الحوادث ضعفا عجیبا و یستكینون لها استكانه مذله لأنهم سرعان ما یخطئون فی حساباتهم و تقدیراتهم، فإذا ما حدث حادث طفیف-فی حیاتهم-كما لو سمعوا مثلا- بأن المسلمین المهزومین عادوا مع جراحاتهم و جرحاهم إلی ساحه المعركه لملاحقه الأعداء، عظم ذلك فی عیونهم و كبر فی نظرهم،و حسبوا له أعظم حساب،و خافوا من ذلك أشد الخوف،و هی بعینها الحاله التی یعانی منها المستكبرون فی عالمنا الراهن و عصرنا الحاضر،حیث إننا نشاهد كیف یخافون من أصغر حادث،فیتصورون الذره جبلا و الحبه قبه،و ذلك لأنهم لا یركنون إلی ركن وثیق،و لم یختاروا لأنفسهم كهفا حصینا،من إیمان صحیح و عقیده مستقیمه.

لقد ظلم هؤلاء الكافرون أنفسهم و ظلموا مجتمعاتهم ف: مَأْوٰاهُمُ النّٰارُ وَ بِئْسَ مَثْوَی الظّٰالِمِینَ و ما أسوأه من مثوی و مآل.

الإنتصار بسبب خوف العدو:

تفید روایات كثیره أن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم كان یمتاز فی جمله ما یمتاز به أنه كان ینتصر علی أعدائه بسبب خوفهم و إلقاء الرعب فی قلوبهم (۱) .

إن هذا الموضوع یشیر-فی نفس الوقت-إلی أحد عوامل الإنتصار فی المعارك و الحروب و خاصه فی مثل هذا الیوم الذی تعتبر فیه معنویات المقاتلین من أهم الأمور العسكریه،و من أهم القضایا فی شؤون التكتیك الحربی.

و لهذا فإن لمعنویه المقاتلین المرتفعه من التأثیر فی تحقیق النصر ما لیس

۱- ۱) -راجع كتاب الخصال و تفسیر مجمع البیان.

للسلاح من حيث الكميه و الكيفيه.

من هنا بالغ الإسلام فى رفع معنويات المقاتلين،فمضى يقوى فيهم روح الإيمان و الحبّ للجهاد،و الاعتزاز بالشهاده،و الاتكال على اللّه القادر المنان و بهذا بلغ بالمجاهدين المسلمين أعلى قمم الاستقامه و الثبات،و الشجاعه و البساله فى حين كان المشركون و عبده الأوثان،الذين لم يكونوا يعتقدون إلاّ بأصنام صم بكم لا تضر و لا تنفع،و لا يؤمنون بمعاد و قيامه و حياه بعد الموت، كانوا يعانون من نفسيه ضعيفه منهزمه مهزوزه،فكان هذا التفاوت بين النفسيتين هو أحد العوامل المؤثره لانتصار المسلمين عليهم.

ص :٧٣١

الآیات [سوره آل عمران (٣): الآیات ١۵٢ الی ١۵۴]

اشاره

وَ لَقَدْ صَدَقَکُمُ اَللّٰهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتّٰی إِذٰا فَشِلْتُمْ وَ تَنٰازَعْتُمْ فِی اَلْأَمْرِ وَ عَصَیْتُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا أَرٰاکُمْ مٰا تُحِبُّونَ مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ اَلدُّنْیٰا وَ مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ اَلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَکُمْ عَنْهُمْ لِیَبْتَلِیَکُمْ وَ لَقَدْ عَفٰا عَنْکُمْ وَ اَللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَلَی اَلْمُؤْمِنِینَ (١۵٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لاٰ تَلْوُونَ عَلیٰ أَحَدٍ وَ اَلرَّسُولُ یَدْعُوکُمْ فِی أُخْرٰاکُمْ فَأَثٰابَکُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِکَیْلاٰ تَحْزَنُوا عَلیٰ مٰا فٰاتَکُمْ وَ لاٰ مٰا أَصٰابَکُمْ وَ اَللّٰهُ خَبِیرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ (١۵٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَیْکُمْ مِنْ بَعْدِ اَلْغَمِّ أَمَنَةً نُعٰاساً یَغْشیٰ طٰائِفَةً مِنْکُمْ وَ طٰائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ یَظُنُّونَ بِاللّٰهِ غَیْرَ اَلْحَقِّ ظَنَّ اَلْجٰاهِلِیَّةِ یَقُولُونَ هَلْ لَنٰا مِنَ اَلْأَمْرِ مِنْ شَیْءٍ قُلْ إِنَّ اَلْأَمْرَ کُلَّهُ لِلّٰهِ یُخْفُونَ فِی أَنْفُسِهِمْ مٰا لاٰ یُبْدُونَ لَکَ یَقُولُونَ لَوْ کٰانَ لَنٰا مِنَ اَلْأَمْرِ شَیْءٌ مٰا قُتِلْنٰا هٰاهُنٰا قُلْ لَوْ کُنْتُمْ فِی بُیُوتِکُمْ لَبَرَزَ اَلَّذِینَ کُتِبَ عَلَیْهِمُ اَلْقَتْلُ إِلیٰ مَضٰاجِعِهِمْ وَ لِیَبْتَلِیَ اَللّٰهُ مٰا فِی صُدُورِکُمْ وَ لِیُمَحِّصَ مٰا فِی قُلُوبِکُمْ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ بِذٰاتِ اَلصُّدُورِ (١۵۴)

ص: ٧٣٢

التّفسير

اشاره

الهزيمه بعد الإنتصار:

قاتل المسلمون فی المرحله الأولی من معرکه«أحد»بشجاعه خاصّه، و وقفوا وقفه رجل واحد فأحرزوا انتصارا سریعا،و بددوا جیش العدو فی أقرب وقت،فدب السرور و الفرح فی المعسکر الإسلامی من أقصاه إلی أقصاه کما أسلفنا،إلاّ أنّ تجاهل فریق من الرماه لأوامر الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم المشدده بالبقاء عند ثغر الجبل و المحافظه علیه سبّب فی أن تنقلب الآیه.

فقد أقدم ذلک الفریق من الرماه الذین کلّفهم النبی القائد صلی اللّه علیه و آله و سلّم بحراسه الثغر الموجود فی جبل«عینین»بقیاده«عبد اللّه بن جبیر»علی ترک موقعهم المهم جدا عند ما عرفوا بهزیمه قریش،و اشتغال المسلمین بجمع الغنائم،و فسح هذا الأمر المجال لکمین من قریش فی أن یهاجموا المسلمین من الخلف فیتحمل الجیش الإسلامی ضربه نکراء.

و عند ما عاد المسلمون بعد تحمل خسائر عظیمه إلی المدینه کان یسأل أحدهم رفیقه:ألم یعدنا اللّه سبحانه بالفتح و النصر،فلما ذا هزمنا فی هذه المعرکه؟ فکانت الآیات الحاضره جوابا علی هذا السؤال،و توضیحا للعلل الحقیقیه التی سببت تلک الهزیمه،و إلیک فیما یلی تفسیر جزئیات هذه الآیات و تفاصیلها:

قال سبحانه: وَ لَقَدْ صَدَقَکُمُ اللّٰهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ (۱) بِإِذْنِهِ حَتّٰی إِذٰا (۲) فَشِلْتُمْ .

ففی هذه العباره یشیر القرآن الکریم بل و یصرح بأن اللّه قد صدق وعده و أنزل النصر علی المسلمین فی بدایه تلک المعرکه،فقتلوا العدو،و فرقوا جمعهم

۱- ۱) -«الحس»القتل علی وجه الاستئصال،و سمی القتل حسا لأنه یبطل الحس.

۲- ۲) -«إذا»لیست هنا شرطیه،بل بمعنی«حین».

و مزقوا شملهم ما داموا كانوا يتبعون تعاليم النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم و يتقيدون بأوامره،و ما داموا كانوا يتحلون بالثبات و الاستقامه،فلم تلحق بهم الهزيمه إلاّ عند ما وهنوا و تجاهلوا أوامر القياده النبويه الدقيقه.و هذا يعنى أن عليهم أن لا يتوهموا بأن الوعد بالتأييد و النصر مطلق لا قيد له و لا شرط،بل كل الوعود الإلهيه بالنصر مقيده باتباع تعاليم اللّه بحذافيرها،و التمسك بأهدافها.

أما متى وعد اللّه المسلمين بالنصر فى هذه المعركه،فهناك احتمالان:

الأوّل:أن يكون المراد هو تلك الوعود العامه التى يعد اللّه بها المؤمنين دائما حيث يخبرهم بأنّه سبحانه ينصرهم على الكافرين و الأعداء.

الآخر:ان النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم قد وعد المسلمين بصراحه قبل أن يخوضوا معركه «أحد»بأنهم منتصرون فى تلك المعركه،و وعد النبى هو الوعد الإلهى بلا ريب.

ثمّ إنه سبحانه يقول:بعد بيان هذه الحقيقه حول النصر الإلهى وَ تَنٰازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا أَرٰاكُمْ مٰا تُحِبُّونَ .

و من هذه العباره التى هى إشاره إلى ما طرأ على وضع الرماه فى جبل «عينين»يستفاد بوضوح بأن الرماه الذين كلفوا بحراسه الثغر قد اختلفوا فيما بينهم فى ترك ذلك الثغر و مغادره ذلك الموقع فى الجبل فعصى فريق كبير منهم، (و هذا قد يستفاد من لفظه عصيتم التى تفيد أن الأغلبيه و الأكثريه من الرماه قد عصت و تجاهلت تأكيدات النبى بالبقاء هناك).

و لهذا يقول القرآن الكريم بأنّكم عصيتم من بعد ما أراكم النصر الساحق الذى كنتم تحبون،أى أنّكم بذلتم غايه الجهد لتحقيق النصر،و لكنكم وهنتم فى حفظه، و تلك حقيقه ثابته أبدا أن الحفاظ على الانتصارات أصعب بكثير من تحقيقها.

أجل لقد اختلفتم فيما بينكم و تنازعتم فى تلك اللحظات الحساسه البالغه الأهميه مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيٰا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ .

ص :۷۳۴

ففی الوقت الـذی کـان البعض(و هم الأـغلب کما قلنا)یفکرون فی الغنائم و قـد سال لعابهم لها حتّی أنهم ترکوا موقعهم الخطیر فی الجبـل،بینمـا بقیت جمـاعه أخری قلیله مثـل«عبـد اللّه بن جبیر»و بعض الرماه ثابتین فی مکانهم یـذبون عنه الأعـداء و یطلبون الآخره و الثواب الإلهی العظیم.

و هنـا تغیر مجری الأـمور،و انعکسـت القضـیه فبـدل اللّه الإنتصـار إلی الهزیمه لیمتحنکم و یتبّهکم،و یربّیکم: ثُمَّ صَرَفَکُمْ عَنْهُمْ لِیَبْتَلِیَکُمْ .

ثمّ إن سبحانه غفر لکم کلّ ما صدر و بدر عنکم من عصیان و تجاهل لأوامر الرسول و ما ترتب علی ذلک من التبعات فی حین کنتم تسـتحقون العقـاب،و ما ذلک إلاّ لأن اللّه لا یضن بنعمه علی المؤمنین،و لا یبخل علیهم بموهبه وَ لَقَدْ عَفا عَنْکُمْ، وَ اللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ .

أجـل،إنه تعالی یحب المؤمنین،و لا یترکهم و شأنهم و لا یکلهم إلی أنفسـهم إلاّ فی بعض الأحیان لیتنبهوا،و یثوبوا إلی رشـدهم فیزدادوا التصاقا بالشریعه، و اهتماما بالمسؤولیات،و یقظه و إحساسا.

ثمّ إنه سبحانه یذکر المسـلمین بموقفهم فی نهایه معرکه«أحد»فیقول: إِذْ تُصْعِدُونَ (۱) وَ لا تَلْوُونَ عَلی أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ یَدْعُوکُمْ فِی أُخْراکُمْ (۲) أی تـذکروا إذ فررتم من المعرکه،و رحتم تلوذون بالجبل أو تنتشـرون فی السـهل،تارکین رسول اللّه وحده بین المهـاجمین المبـاغتین من المشـرکین و هو یـدعوکم من ورائکم و ینـادیکم قائلا:«إلیّ عباد اللّه-إلیّ عباد اللّه فإنی رسول اللّه»و أنتم لا تلتفتون إلی الوراء أبدا،و لا تلبون نداء النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم.

ص: ۷۳۵

۱- ۱) -«تصـعدون»من الإصـعاد و هو-کمـا فی المفردات للراغب-الأبعـاد و المشـی فی الأـرض سواء کان ذلک فی صـعود أو حدور فی حین أن الصعود یعنی الذهاب فی المکان العالی،و لعلّ استعمال الإصعاد فی الآیه بدل الصعود لأن جماعه من الفارین صعدوا الجبل،و جماعه آخرین انتشروا فی الصحراء.

۲- ۲) -«أخراکم»بمعنی«ورائکم».

و فی ذلک الوقت أخذت الهموم و الأحزان تتری علیکم فَأَثَابَکَمْ غَمًّا بِغَمٍّ ، لما أصابکم من النکسه و لفقدان مجموعه کبیره من خیار فرسانکم و جنودکم و لما أصاب جماعه منکم من الجراحات و الإصابات و لما بلغکم من شائعه قتل النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم.

و لقد کان کلّ ذلک من نتائج مخالفتکم لأوامر القیاده النبویه،و تجاهلکم لتأکیداتها بالمحافظه علی المواقع المناطه لکم.

و لقد کان هجوم تلک الغموم علیکم من أجل أن لا تحزنوا علی ما فاتکم من غنائم الحرب،و ما أصابکم من الجراحات فی ساحه المعرکه فی سبیل تحقیق الإنتصار لِکَیْلاَ تَحْزَنُوا عَلیٰ مٰا فٰاتَکُمْ وَ لاٰ مٰا أَصٰابَکُمْ .

وَ اللّٰهُ خَبِیرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ

فهو یعرف جیدا من ثبت منکم و أطاع،و کان مجاهدا واقعیا،و من هرب و عصی،و علی ذلک فلیس لأحد أن یخدع نفسه،فیدعی خلاف ما صدر منه فی تلک الحادثه،فإذا کنتم من الفریق الأول بحق و صدق فاشکروه سبحانه،و إن لم تکونوا کذلک فتوبوا إلیه و استغفروه من ذنوبکم.

وساوس الجاهلیه:

اتسمت اللیله التی تلت معرکه«أحد»بالقلق و الاضطراب الشدیدین،فقد کان المسلمون یتوقعون أن یعود جنود قریش الفاتحون المنتصرون إلی المدینه مره أخری لاجتیاح البقیه الباقیه من القوّه الإسلامیه،و القضاء علی من تبقی من المقاتلین المسلمین،و لعلّ بعض الأخبار کان قد نمّ إلی المسلمین عن اعتزام المشرکین و نیتهم فی العوده إلی ساحه القتال.

و لا شکّ أنهم لو عادوا لکان المسلمون یواجهون أحلک الظروف فی تلک الموقعه.

بیـد أنه کان هناک بین المسـلمین ثله من المجاهـدین الصادقین الـذین نـدموا علی الفرار من المیـدان فی«أحـد»فتابوا إلی اللّه،و اطمـأنوا إلی وعود النبی الکریم حول المسـتقبل،قـد أخـذهم نوم مریـح،و غلبهم نعـاس هـانئ و لذیـذ و هم فی عـده الحرب،فی الوقت الـذی کان فیه المنافقون و ضـعاف الإیمان،و الجبناء یعانون من کابوس الأوهام و الوساوس طوال اللیل،و لم یـذوقوا لـذه النوم،فکـانوا-من حیث لاـ یشـعرون و لاـ یقصـدون-یحرسون المؤمنین الحقیقین الـذین کانوا یستریحون فی تلک النومه الطارئه اللذیـذه.و إلی هذا کلّه یشیر الکتاب العزیز فی الآیه الحاضـره إذ یقول: ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَیْکُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَهً (۱) نُعاساً یَغْشی طائِفَهً مِنْکُمْ، وَ طائِفَهٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ .

أجـل،إن المنـافقین و الجبنـاء و ضـعاف النفوس و الإیمان لـم یزرهم النوم و لا حتی النعاس فی تلک اللیله خوفا علی نفوسـهم،و علی أرواحهم،و جریا وراء الوساوس الشیطانیه،و المخاوف التی هی من طبیعه و لوازم النفاق و ضعف الیقین و وهن الإیمان،فیما ان المؤمنون الصـادقون یستریحون فی ذلـک النعـاس اللذیـذ، و تلک النومه الطارئه الهانئه،و هـذا هو أحـد آثار الإیمان و ثماره المهمه البارزه،فإن المؤمن یحظی بالراحه و الطمأنینه حتّی فی هـذه الـدنیا، علی العکس من غیر المؤمنین من الکفار أو المنافقین أو ضعاف الإیمان،فإنهم محرومون من الطمأنینه و الراحه اللذیذه تلک.

ثمّ إن القرآن الکریم یعمـد إلی بیـان و اسـتعراض طبیعه مـا کـان یـدور بین أولئـک المنـافقین و ضـعاف الإیمان من أحادیث و حوار،و ما کان یدور فی خلدهم من ظنون و أفکار،إذ یقول: یَظُنُّونَ بِاللّهِ غَیْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِیَّهِ .

إنّهم کانوا یظنون باللّه ما کانوا یظنونه به أیام کانوا یعیشون فی الجاهلیه،و قبل

۱- ۱) -الامنه أی الأمن و النعاس هو النوم الخفیف.

أن تبزغ عليهم شمس الإسلام،فقد كانوا يتصورون أن اللّه سيكذبهم وعده، و يظنون أن وعود النبى غير محققه و لا صادقه،و كان يقول بعضهم للآخر: هَلْ لَنٰا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ أى هل سيصيبنا النصر و نحن فى هذه الحاله من السقوط و الهزيمه،و المحنه و البليه؟إنهم كانوا يستبعدون أن ينزل عليهم نصر من اللّه بعد ما لقوا،أو كانوا يرون ذلك محالا.

و لكن القرآن يجيبهم قائلا قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّٰهِ أى كيف تستبعدون ذلك أو ترونه محالا و الأمر كلّه بيد اللّه،و هو قادر أن ينزل عليكم النصر متى وجدكم أهلا لذلك.

على أنهم لم يظهروا كلّ ما كان يدور فى خلدهم من ظنون و أوهام و هواجس خوفا من أن يعدوا فى صفوف الكفار: يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مٰا لاٰ يُبْدُونَ لَكَ .

و كأنهم كانوا يتصورون أن الهزيمه فى«أحد»من العلائم الداله على بطلان الإسلام،و لذا كانوا يقولون: لَوْ كٰانَ لَنٰا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مٰا قُتِلْنٰا هٰاهُنٰا أى لو كنا على حق لكسبنا المعركه،و لم نخسر كلّ هذه الأرواح و النفوس.

و لكن اللّه تعالى أجابهم و هو يشير فى هذه الإجابه إلى مطلبين.

الأول:إن عليكم أن لا تتوهموا بأن الفرار من ساحه المعركه،و تجنب الصعاب يمكنه أن ينقذكم من الموت الذى هو قدر لكلّ إنسان و لهذا يقول سبحانه:

قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلىٰ مَضٰاجِعِهِمْ

فإن الذين جاء أجلهم،و حان حين موتهم لا بدّ أن يموتوا و لا محاله هم مقتولون حتّى لو كانوا فى مضاجعهم.

و فى الأساس فإن كلّ أمه استحقت الهزيمه لوهن أكثريتها،لا بدّ أن تذوق الموت،و لا محاله يصيبها القتل،فالأجدر بها أن تموت فى ساحات المعارك، و تحت ضربات السيوف،و هى تسطر ملاحم البطوله،و تخط أسطر البساله،لا أن

تموت خانعه،أو تقتل ذليله على فراشها،و ما أروع ما قاله الإمام على إذ قال عليه السّلام:

«لألف ضربه بالسيف أحب إلىّ من ميته على فراش».

و الثانى:إن هـذه الحوادث لا بـدّ أن تقع حتّى يبـدى كلّ واحد مكنون صدره، و مكتوم قلبه،فتتشـخص الصـفوف،و تتميز جواهر الرجال،هذا مضافا إلى أن هذه الحوادث سـبب لتربيه الأشـخاص شيئا فشيئا،و لتخليص نياتهم،و تقويه إيمانهم، و تطهير قلوبهم وَ لِيَبْتَلِيَ اللّهُ مٰا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مٰا فِي قُلُوبِكُمْ .

ثمّ يقول سـبحانه:فى ختام هـذه الآيه وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ و لذلك فهو لا ينظر إلى أعمال الناس بل يمتحن قلوبهم،ليطهرها من كلّ ما تعلق بالنفوس و الأفئده من شوائب الشرك و النفاق،و الشك و التردد.

ص :٧٣٩

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۵۵]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ یَوْمَ اِلْتَقَی اَلْجَمْعٰانِ إِنَّمَا اِسْتَزَلَّهُمُ اَلشَّیْطٰانُ بِبَعْضِ مٰا کَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اَللّٰهُ عَنْهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ حَلِیمٌ (۱۵۵)

التّفسیر

اشاره

الذنب ینتج ذنبا آخر:

هـذه الآیه نـاظره أیضا إلی وقائع معرکه«أحـد»،و تقرر حقیقه أخری للمسـلمین،و هی أن الـذنوب و الانحرافات التی تصـدر من الإنسان بسـبب من وساوس الشـیطان، تفرز آثاما و ذنوبا اخری بسـبب وجود القابلیه الحاصـله فی النفس الإنسانیه نتیجه الـذنوب السابقه،و التی تمهد لذنوب مماثله و آثام أخری و إلاّ فإن القلوب و النفوس التی خلت و طهرت من آثار الذنوب السالفه لا تؤثر فیها الوساوس الشیطان،و لا تتأثر بها،و لهذا قال سبحانه:

إِنَّ الَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعٰانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّیْطٰانُ بِبَعْضِ مٰا کَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللّٰهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ حَلِیمٌ

.

و هكذا يعلمهم القرآن أن عليهم أن يضاعفوا الجهد فى تربيه نفوسهم و تطهير قلوبهم لتحقيق الإنتصار فى المستقبل.

و يمكن أن يكون المقصود من الـذنب الذى كسـبوا هو حب الدنيا و جمع الغنائم،و مخالفه الرسول،و تجاهل أوامره فى بحبوحه المعركه،أو ذنوب أخرى كانوا قد اقترفوها قبل معركه«أحد»أضعفت من طاقاتهم الإيمانيه،و أضرت بالجانب المعنوى فيهم.

و قـد نقـل العلاّمه الطبرسـى عن أبى القاسم البلخى أنه لم يبق مع النبى صـلى اللّه عليه و آله و سلّم يوم «أحـد»إلاّ ثلاث عشـره نفسا(فيكون عددهم مع النبى ۱۴)خمسه من المهاجرين و ثمانيه من الأنصار و قـد اختلف فى الجميع إلاّ فى على و طلحه فإنهما ثبتا و لم يفرا باتفاق الجميع.

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۵۶ الی ۱۵۸]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَکُونُوا کَالَّذِینَ کَفَرُوا وَ قٰالُوا لِإِخْوٰانِهِمْ إِذٰا ضَرَبُوا فِی اَلْأَرْضِ أَوْ کٰانُوا غُزًّی لَوْ کٰانُوا عِنْدَنٰا مٰا مٰاتُوا وَ مٰا قُتِلُوا لِیَجْعَلَ اَللّٰهُ ذٰلِکَ حَسْرَهً فِی قُلُوبِهِمْ وَ اَللّٰهُ یُحْیِی وَ یُمِیتُ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ (۱۵۶) وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَهٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رَحْمَهٌ خَیْرٌ مِمّٰا یَجْمَعُونَ (۱۵۷) وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَی اَللّٰهِ تُحْشَرُونَ (۱۵۸)

التّفسیر

اشاره

استغلال المنافقین:

کانت حادثه«أحد»تحظی بأهمیه کبیره من وجهه نظر المسلمین و ذلک من جهتین:

أولا-لأنها کانت تعتبر خیر مرآه تعکس حقیقه المسلمین فی تلک المرحله، و تساعدهم علی رؤیه نقاط ضعفهم،فإصلاحها و إزالتها،و لهذا السبب رکز القرآن علی أحداث هذه الواقعه و ملابساتها و قضایاها ذلک الترکیز الکبیر و أولاها ذلکم

الاهتمام البالغ،فنحن نرى كيف نستفيد منها دروسا و عبرا كثيره و كبيره،فی الآيات القادمه كما فی الآيات السابقه.

و من جهه أخرى هيأت أحداث هذه الواقعه أرضيه و فرصه مناسبه للمنافقين بأن يقوموا بمحاولاتهم التشويشيه،و من أجل هذا نزلت آيات عديده لإبطال مفعول هذه المحاولات و تفشيل هذه المساعی الماكره،من جملتها الآيات المذكوره أعلاه.

فهذه الآيات تتوجه بالخطاب أولا إلى المؤمنين بهدف تحطيم جهود المنافقين و محاولاتهم التخريبيه،و تحذير المسلمين منهم فتقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قَالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ،أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوا .

هذه الكلمات و إن كانوا يطلقونها فی ستار من التعاطف و تحت قناع الإشفاق،إلّا أنهم لم يكونوا-فی الحقيقه-يقصدون منها إلّا تسميم روحيه المسلمين،و إضعاف معنوياتهم،و زعزعه إيمانهم،فينبغی ألا تقعوا تحت تأثيرها، و تكرروا نظائرها من العبارات.

لِيَجْعَلَ اللّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ

.

أنكم أيها المؤمنون إذا وقعتم تحت تأثير هذه الكلمات المضله الغاويه، و كررتم نظائرها ستضعف روحيتكم أيضا،و ستمتنعون أيضا عن الخروج إلى ميادين الجهاد و السفر و الرحيل من أجل اللّه و فی سبيله،و حينئذ سيتحقق للمنافقين ما يصبون إليه،و لكن لا تفعلوا ذلك،و تقدموا إلى سوح الجهاد و ميادين القتال بمعنويه عاليه،و عزم أكيد و دون تردد و لا كلل،ليجعل اللّه ذلك حسره فی قلوب المنافقين المخذلين،أبدا.

ثمّ إن القرآن الكريم يرّد على خبث المنافقين و تسويلاتهم و تشويشاتهم

ص :٧٤٣

بثالث أجوبه منطقيه هى:

۱-إن الموت و الحياه بيد اللّه على كلّ حال،و أن الخروج و الحضور فى ميدان القتال لا يغير من هذا الواقع شيئا،و أن اللّه يعلم بأعمال عباده جميعها:

وَ اللّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

.

۲-ثمّ إنكم حتّى إذا متم أو قتلتم،و بلغكم الموت المعجل-كما يحسب المنافقون-فإنكم لم تخسروا شيئا،لأن رحمه اللّه و غفرانه أعظم و أعلى من كلّ ما تجمعه أيديكم أو يجمعه المنافقون مع الاستمرار فى الحياه من الأموال و الثروات وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ .

و أساسا لا تصحّ المقارنه بين هذين الأمرين فأين الثرى من الثرايا،و لكنه أمر لا مفر منه عند مخاطبه تلك العقول المنحطه التى تفضل أياما معدوده من الحياه الفانيه و جفنه من الثروه الزائله على عزه الجهاد و فخر الشهاده.

إنه ليس من سبيل أمام هؤلاء إلاّ أن يقال لهم:إن ما يحصل عليه المؤمنون عن طريق الشهاده أو الموت فى سبيل اللّه،أفضل من كلّ ما يجمعه الكفّار من طريق حياتهم الموبوءه،المزيجه بالشهوات الرخيصه و عباده المال و الدنيا.

۳-و بغضّ النظر عن كلّ ذلك فإن الموت لا يعنى الفناء و العدم حتّى يخشى منه هذه الخشيه و يخاف منه هذا الخوف،و يستوحش منه هذا الاستيحاش،إنه نقله من حياه إلى حياه أوسع و أعلى و أجل و أفضل،حياه مزيجه بالخلود موصوفه بالبقاء وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللّهِ تُحْشَرُونَ .

إن الجدير بالملاحظه فى هذه الآيات هو جعل الموت فى أثناء السفر،فى مصاف الشهاده فى سبيل اللّه،لأن المراد بالسفر هنا هى تلك الأسفار التى يقوم بها الإنسان فى سبيل اللّه و لأجل اللّه كالسفر و شد الرحال إلى ميادين القتال أو للعمل التبليغى،و ذلك لأن الأسفار فى تلك العصور كانت محفوفه بالمشاكل،و مقترنه

بالمصاعب و المتاعب،و كانت تلازم فى الأغلب الأمراض التى تؤدى فى أكثر الأحيان إلى الموت،و لذلك لم يكن ذلك الموت بأقل فضلا من القتل و الشهاده فى ميادين الجهاد و سوح النضال.

و أما ما احتمله بعض المفسّرين من أن الأسفار المذكوره فى هذه الآيه هى الأسفار التجاريه فهو بعيد جدا عن معنى الآيه،لأن الكفّار لم يتأسفوا قط لهذا الأمر بل كان هذا هو نفسه وسيله من وسائل الحصول على الثروه و تكريسها،هذا مضافا إلى أن هذا الموضوع لم يكن له أى تأثير فى إضعاف روحيه المسلمين بعد معركه أحد،كما و ان عدم تنسيق المسلمين مع الكفّار فى هذا المورد لم يوجد و لم يسبب أيه حسره للكفّار،و لهذا فإن الظاهر هو أن المراد من الموت فى أثناء السفر فى هذه الآيه هو الموت فى السفر الذى يكون بهدف الجهاد فى سبيل اللّه،أو لغرض القيام بغير ذلك من البرامج الإسلاميه.

ص:745

الآيتان [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٩ الى ١٦٠]

اشاره

فَبِمَا رَحْمَهٍ مِنَ اَللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ اَلْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شٰاوِرْهُمْ فِي اَلْأَمْرِ فَإِذٰا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اَللّٰهُ فَلاٰ غٰالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا اَلَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اَللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ (١٦٠)

التّفسير

اشاره

الأمر بالعفو العام:

هذه الآيه و إن كانت تتضمن سلسله من التعاليم الكليه الموجهه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و تشتمل من حيث المحتوى على برامج كليه و أساسيه،و لكنها من حيث النزول ترتبط بواقعه«أحد»لأنه بعد رجوع المسلمين من«أحد» أحاط الأشخاص الذين فروا من المعركه برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أظهروا له الندامه من فعلتهم و موقفهم،و طلبوا منه العفو.

ص: ٧۴۶

فأصـدر اللّه سـبحانه إلى نبيه صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم أمره بـأن يعفو عنهم،و يتجاوز عن سـيئهم و يسـتقبل المخطئين التائبين منهم بصدر رحب.

إذ قـال تعـالى: فَبِمٰا رَحْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ،وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ و لقـد أشـير فى هـذه الآيه-قبل أى شىء-إلى واحده من المزايا الأخلاقيه لرسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سلّم،ألا و هى اللين مع الناس و الرحمه بهم،و خلوه من الفظاظه و الخشونه.

«الفظّ»-فى اللغه-هو الغليظ الجافى الخشن الكلام،و«غليظ القلب»هو قاسى الفؤاد الذى لا تلمس منه رحمه،و لا يحس منه لين.

و هاتـان الكلمتان و ان كانتا بمعنى واحـد هو الخشونه،إلاّ أن الغالب اسـتعمال الأولى فى الخشونه الكلاميه،و اسـتعمال الثانيه فى الخشونه العمليه و السلوكيه، و بهذا يشير سبحانه إلى ما كان يتحلى به الرسول الأعظم من لين و لطف تجاه المذنبين و الجاهلين.

ثمّ إنه سبحانه يأمر نبيه بأن يعفو عنهم إذ يقول: فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ .

و هذا الكلام يعنى أنه سـبحانه يطلب منه صلى اللّه عليه و آله و سلّم أن يتنازل عن حقه لهم إذ تفرقوا عنه فى أحلك الظروف،و سببوا له تلك المصائب و المتاعب فى تلك المعركه،و أنه يشـفع لهم لـدى نبيه بأن يتجاوز عنهم،و أن يشـفع هو بدوره لهم عند اللّه و يطلب المغفره لهم منه سبحانه.

و بتعبير آخر أنه سـبحانه يطلب من نبيه أن يعفو عنهم فيمـا بينه و بينهم،و أما ما بين اللّه و بينهم فهو سـبحانه يغفر لهم ذلك.و قد فعل الرسول الكريم ما أمره به ربه و عفى عنهم جميعا.

و من الواضـح أن هذا المقام كان من الموارد التى تتطلب حتما العفو و المغفره، و اللطف و اللين،و لو أن النبى صـلى اللّه عليه و آله و سلّم فعل غير ذلك لكان يؤدى ذلك إلى انفضاض

الناس من حوله،و تفرقهم عنه، إذ أن الجماعه رغم أنها أصيبت بالهزيمه النكراء، و تحملت ما تحملت من القتلى و الجرحى،و كانوا هم السبب فى ذلك،إلاّ أنهم أحوج ما يكونون إلى العطف و اللطف و إلى اللين و العفو،و إلى البلاسم التى تبل جراحاتهم،و إلى المراهم التى تهدئ خواطرهم،حتّى يتهيئوا بعد شفائها و استعاده معنوياتهم إلى مواجهه أحداث المستقبل،و تحمل المسؤوليات القادمه.

إن فى هذه الآيه إشاره صريحه إلى إحدى أهم الصفات التى يجب توفرها فى أيه قياده،ألا و هى العفو و اللين تجاه المتخلفين التائبين،و العصاه النادمين، و المتمردين العائدين،و من البديهى أن الذى يتصدى للقياده لو خلى عن هذه الخصله الهامه،و افتقر إلى روح السماحه،و افتقد صفه اللين،و عامل من حوله بالخشونه و العنف و الفظاظه فسرعان ما يواجه الهزيمه،و سرعان ما تصاب مشاريعه و برامجه بنكسات ماحقه،تبدد جهوده،و تذرى مساعيه أدراج الرياح، إذ يتفرق الناس من حوله،فلا يمكنه القيام بمهام القياده و مسئولياتها الجسميه، و لهذا قال الإمام أمير المؤمنين مشيرا إلى هذه الخصله القياديه الحساسه«آله الرياسه سعه الصدر».

الأمر بالمشاوره:

بعد إصدار الأمر بالعفو العام يأمر اللّه نبيه صلى اللّه عليه و آله و سلّم بأن يشاور المسلمين فى الأمر و يقف على و جهات نظرهم،و ذلك إحياء لشخصيتهم،و لبث الروح الجديده فى كيانهم الفكرى و الروحى اللذين أصابهما الفتور بعد الذى حدث.

على أن هذا الأمر للنبى بمشاوره المسلمين إنما هو لأجل أنه صلى اللّه عليه و آله و سلّم-كما أسلفنا-قد استشار المسلمين قبل الدخول فى معركه«أحد»فى كيفيه مواجهه العدو و استقر رأى الأغلبيه منهم على التعسكر عند جبل«أحد»فكان ما كان من

المكروه و وقع ما وقع من البلاء،و هنا كان كثيرون يتصورون بأن على النبی أن لا يشاور بعد ذلك أحدا،و أن عليه أن يتصرف كما يرى هو،و لكن القرآن الكريم جاء يرد على هذا التصور،و يجيب على هذا النوع من التفكير و يأمر النبی بأن يعيد المشاوره إذ يقول: وَ شٰاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ لأن المشاوره و إن لم تنفع فی بعض المواضع،فإنها نافعه على العموم،بل إن نتائجها المفيده الكثيره لو قيست إلى بعض النتائج السلبيه و غير المفيده تبدو أكثر أضعافا كما و أن أثرها فی صياغه الأفراد و الجماعات و إنماء شخصيتهم من الأهميه بحيث يغطی على نقاط ضعفها،بل هو أبرز آثارها و أهم فوائدها الذی لا يمكن و لا يجوز التغاضی عنه.

و الآن نرى فی أی المواضيع كان يشاور الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلّم أصحابه؟ صحيح أن كلمه«الأمر»فی قوله تعالى وَ شٰاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ذات مفهوم واسع يشمل جميع الأمور،و لكن من المسلم أيضا أن النبی صلى اللّه عليه و آله و سلّم لم يشاور الناس فی الأحكام الإلهيه مطلقا،بل كان فی هذا المجال يتبع الوحی فقط.

و على هذا الأساس كانت المشاوره فی كيفيه تنفيذ التعاليم و الأحكام الإلهيه على أرض الواقع.

و بعباره أخرى:إن النبی لم يشاور أحدا فی التقنين،بل كان يشاور فی كيفيه التطبيق و يطلب وجهه نظر المسلمين فی ذلك.

و لهذا عند ما كان يقترح النبی صلى اللّه عليه و آله و سلّم أمرا-أحيانا-بادره المسلمون بهذا السؤال:هل هذا حكم إلهی لا يجوز إبداء الرأی فيه،أو أنه يرتبط بكيفيه التطبيق و التنفيذ؟فإذا كان من النوع الثانی،أدلى الناس فيه بآرائهم،و أما إذا كان من النوع الأول لم يكن منهم تجاهه سوى التسليم و التفويض.

ففی يوم بدر جاء النبی صلى اللّه عليه و آله و سلّم أدنى ماء من بدر فنزل عنده،فقال«الحباب ابن المنذر»:يا رسول اللّه أ رأيت هذا المنزل،أ منزلا أنزله اللّه ليس لنا أن نتقدمه و لا

نتأخر عنه أم هو الرأی و الحرب و المکیده؟فقال:«بل هو الرأی و الحرب و المکیده»فقال:یا رسول اللّه لیس هذا بمنزل،فانهض بالناس حتّی نأتی أدنی ماء من القوم فننزله ثمّ نغور ما وراءه إلی آخر ما قال...فقال له النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم:«لقد أشرت بالرأی»و عمل برأیه (۱) .

أهمیه المشاوره فی نظر الإسلام:

لقد حظیت مسأله المشاوره بأهمیه خاصه فی نظر الإسلام،فالنبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم رغم أنه کان یملک-بغض النظر عن الوحی الإلهی-قدره فکریه کبیره تؤهله لتسییر الأمور و تصریفها دون حاجه إلی مشاوره أحد،إلاّ أنه صلی اللّه علیه و آله و سلّم کیما یشعر المسلمین بأهمیه المشاوره و فوائدها حتّی یتخذوها رکنا أساسیا فی برامجهم و حتّی ینمی فیهم قواهم العقلیه و الفکریه نجده یشاور أصحابه فی أمور المسلمین العامه التی تتعلق بتنفیذ القوانین و الأحکام الإلهیه(لا أصل الأحکام و التشریعات التی مدارها الوحی)و یقیم لآراء مشیریه أهمیه خاصه و یعطیها قیمتها اللائقه بها،حتّی أنه کان-أحیانا-ینصرف عن الأخذ برأی نفسه احتراما لهم و لآرائهم کما فعل ذلک فی«أحد»،و یمکن القول بأن هذا الأمر بالذات کان أحد العوامل المؤثره وراء نجاح الرسول الأکرم فی تحقیق أهدافه الإسلامیه العلیا.

و الحقّ أن أیه أمه أقامت إداره شؤونها علی أساس من الشوری و المشاوره، قل خطأها،و ندر عثارها،علی العکس من الأفراد الذین یعانون من استبداد الرأی،و یرون أنفسهم فی غنی عن نصح الناصحین و رأی الآخرین فإنهم إلی العثار أقرب،و من الصواب و الرشد أبعد،مهما تمتعوا بسدید الرأی،و قوی التفکیر، هذا مضافا إلی أن الاستبداد فی الرأی یقضی علی الشخصیه فی الجمهور،

۱- ۱) -تفسیر المنار:ج ۴ ص ۲۰۰.

و یوقف حرکه الفکر و تقدمه،و یمیت المواهب المستعده بل یأتی علیها،و بهذا الطریق تهدر أعظم طاقات الأمه الإنسانیه.

و مضافا أیضا إلی أن الذی یشاور الآخرین فی أموره و أعماله إذا حقق نجاحا قل أن یتعرض لحسد الحاسدین،لأن الآخرین یرون أنفسهم شرکاء فی تحقیق ذلک الإنتصار و النجاح، و لیس من المتعارف أن یحسد الإنسان نفسه علی نجاح حققه،أو انتصار أحرزه.

و أما إذا أصابته نکسه لم تلمه ألسن الناس،و لم یتعرض لسهام نقدهم و اعتراضهم،لأن الإنسان لا یعترض علی عمل نفسه،و لا ینقد فعل ذاته،بل سیشاطرونه الألم،و یتعاطفون معه،و یشارکونه فی التبعات.

کلّ ذلک لأنهم شارکوه فی الرأی و شاطروه فی التخطیط،و لم یکن متفردا فی العمل،و لا مستبدا فی الرأی.

ثمّ إن هناک فائده أخری للمشاوره و هی أن المشاوره خیر محک لمعرفه الآخرین،و التعرف علی ما یکنونه للمستشیر من حب أو کراهیه،و ولاء أو عداء، و لا ریب فی أن هذه المعرفه ممّا یمهد سبیل النجاح،و لعلّ استشارات النبی الأکرم -مع ما کان یتمتع به من قوه فکریه و عقلیه جباره-کانت لهذه الأسباب مجتمعه.

لقد ورد حث شدید و تأکید لیس فوقه تأکید علی سنه المشاوره،و فی الأحادیث و الأخبار الإسلامیه ففی حدیث منقول

عن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال:

«ما شقی عبد قط بمشوره و لا سعد باستغناء رأی» (۱) .

کما و نقرأ

فی کلمات الإمام علی علیه السّلام قوله:

«من استبد برأیه هلک،و من شاور الرجال شارکها فی عقولها» (۲) .

ص: ۷۵۱

۱- ۱) -تفسیر أبی الفتوح الرازی.

۲- ۲) -نهج البلاغه-الحکمه ۱۶۱.

و

نقل عن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا أنه قال:

«إذا کان امراؤکم خیارکم،و أغنیاؤکم سمحاؤکم و أمرکم شوری بینکم فظهر الأرض خیر لکم من بطنها،و إذا کان أمراؤکم شرارکم،و أغنیاؤکم بخلاؤکم،و لم یکن أمرکم شوری بینکم فبطن الأرض خیر لکم من ظهرها» (۱) .

مع من تشاور؟

من المسلم أن للمشوره أهلا،فلا یصح أن یستشار کلّ من هب و دب،فرب مشیرین یعانون من نقاط ضعف،توجب مشورتهم فساد الأمر،و ضیاع الجهود، و فشل العمل،و التأخر و السقوط.

فعن علی علیه السّلام أنه قال فی هذا الصدد«لا تدخلن فی مشورتک»:

۱-بخیلا یعدل بک عن الفضل و یعدک بالفقر.

۲-و لا جبانا یضعفک عن الأمور.

۳-و لا حریصا یزین لک الشره بالجور (۲) .

وظیفه المشیر:

کما تأکد الحث فی الإسلام علی المشاوره فقد أکدت النصوص علی المشیرین أیضا بأن لا یألوا جهدا فی النصح،و لا یدخروا فی هذا السبیل خیرا، و تعتبر خیانه المشیر للمستشیر من الذنوب الکبیره،بل و تذهب أبعد من ذلک حیث لا تفرق فی هذا الحکم بین المسلم و الکافر،یعنی أنه لا یحق لمن تکفل تقدیم النصح و المشوره أن یخون من استشاره،فلا یدله علی ما هو الصحیح فی

۱- ۱) -تفسیر أبی الفتوح الرازی.

۲- ۲) -نهج البلاغه کتابه علیه السّلام و عهده لمالک الأشتر.

نظره،مسلما كان ذلك المستشير أو كافرا.

فى رساله الحقوق عن الإمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السّلام أنه قال:

«و حق المستشير إن علمت له رأيا أشرت عليه،و إن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم، و حق المشير عليك أن لا تتهمه فى لا يوافقك من رأيه» (۱) .

شورى عمر بن الخطاب

عند ما بلغ جماعه من علماء أهل السنه و مفسريهم إلى هذه الآيه(آيه الشورى)أشاروا إلى شورى عمر السداسيه لاختيار الخليفه الثالث،و حاولوا عبر بيان مفصل تطبيق مفاد هذه الآيه و روايات المشاوره على تلك العمليه و الفكره.

و الكلام المفصل حول هذه المسأله و إن كان من مهمه الكتب الاعتقاديه،إلاّ أنه لا بدّ من الإشاره هنا إلى بعض النقاط بصوره مختصره و سريعه:

أولا:إن انتخاب الخليفه للنبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم يجب أن يكون فقط من جانب اللّه،لأن الخليفه يجب أن يتمتع على غرار النبى-بصفات و مؤهلات كالعصمه و ما شاكل ذلك و هى أمور لا يمكن الوقوف و الاطلاع عليها إلاّ من قبل اللّه سبحانه.

و بتعبير آخر:كما أن تعيين النبى لا يمكن أن يكون بالمشاوره و الشورى فكذلك انتخاب الإمام لا يمكن أن يكون بالشورى.

ثانيا:إن الشورى السداسيه المذكوره لم تنطبق بالمره على معايير الشورى و موازين المشاوره، لأن الشورى التى ذهب إليها عمر إن كان المراد منها مشاوره المسلمين عامه،فما ذا يعنى تخصيصها بسته أنفار؟ و إن كان الهدف منها مشاوره العقلاء و المفكرين و أهل الرأى من الأمه فهم لا ينحصرون فى هؤلاء السته،إذ هناك شخصيات ناضجه أمثال سلمان الذى كان

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين:ج ۱ ص ۴۰۵.

مستشارا شخصيا للنبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم و مثل أبى ذر و المقداد و ابن عباس،و غيرهم ممن قد نحوا عن هذه الشورى.

و على هذا الأساس فإن حصر هذه الشورى بالأنفار السته المعينين يجعل هذا الاجتماع و الشورى أقرب إلى التحزب السياسى منه إلى التجمع الشوروى.

و أمّا إذا كان المراد من حصر المشيرين فى هؤلاء السته هو جعلها فى أصحاب الكلمه و النفوذ حتّى تنفذ قراراتهم و لا يخالفها أحد من الأمه،و لا يتمرد عليها أحد من الناس فإنه لم يكن موقفا صائبا أيضا،لأن ثمه شخصيات من أصحاب الكلمه و النفوذ أمثال سعد بن عباده الذى كان يرأس فى حينه الأنصار بدون منازع،و أبى ذر الغفارى أكبر شخصيه مسموعه الكلمه فى قبيله«غفار»،قد أقصيت من حلبه الشورى؟ ثالثا:نحن نعلم أنه قد اشترط فى هذه الشورى شروط صعبه و قاسيه إلى درجه أنه هدد المخالفون و المعارضون بالموت،فى حين لا يوجد لمثل هذه الشروط فى سنه الشورى التى سنها الإسلام أى مكان،و لا أى أثر،فكيف تنطبق على هذه الشورى؟

مرحله القرار الأخير!

بقدر ما يجب على المستشير أن يتخذ جانب الرفق و اللين فى المشوره مع مستشاريه،يجب عليه أن يكون حاسما و حازما فى اتخاذ القرار الأخير.

و على هذا يجب التخلص من أى تردد،أو استماع إلى الآراء المتشتته بعد استكمال مراحل المشاوره و اتضاح نتيجتها،و يجب اتخاذ القرار الأخير بصرامه و حسم،و هذا هو ما يعبر عنه بالعزم فى قوله سبحانه فى هذا السياق إذ يقول:

فَإِذٰا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ

.

إن الجدير بالتأمل هو أن مسأله المشاوره ذكرت فی الآیه الحاضـره بصـیغه الجمع«و شاورهم»و لكن اتخاذ القرار الأخیر جعل من وظیفه الرسول الكریم خاصه إذا جاء بصیغه المفرد«عزمت».

إن الاختلاف فی التعبیر إشـاره إلی نكته مهمه و هی أن تقلیب وجـوه الأمر، و دراسه القضـیه الاجتمـاعیه من جمیع جوانبهـا و أطرافها یجب أن تتم بصوره جماعیه،و أما عند ما یتم التصدیق علی شـیء فإن إجراءه و إبرازه فی صوره القرار القطعی یجب أن یوكل إلی إراده واحـده،و إلاّ وقع الهرج و المرج،و دبت الفوضـی فی الأمه لأن التنفیـذ بوساطه قاده متعددین من دون الانطلاق من قیاده واحـده متمركزه سیواجه الاختلاف،و یؤول إلی النكسه و الهزیمه،و لهـذا تتم المشاورات فی عالمنـا الراهن بصـوره جماعیه،و لكن إجراء نتائجها تناط إلی الدول و الأجهزه التی تدار و تعمل تحت إشراف شخص واحد،و فرد معنی لا متعددین.

و الموضوع المهم الآخر الـذی تشیر إلیه الجمله السـابقه فَإِذٰا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَی اللّٰهِ هو أن اتخـاذ القرار الأخیر یجب أن یقترن بالتوكـل علی اللّه،بمعنی أن علیكم أن تسـتمدوا العـون من اللّه القـادر المطلق و لا تنسوه فی الوقت الـذی تهیئون فیه الأسـباب العادیه و الوسائل المادیه للأمر.

علی أن التوكـل لا یعنی بالمره أن یتجاهل الإنسان الأسـباب المادیه و الوسائل العادیه للنصـر و التی جعلها اللّه سـبحانه فی عالم الماده،و مكن الإنسان الأخذ بها،

فقد روی فی حدیث أن النبی صـلی اللّه علیه و آله و سـلّم قال لأعرابی حضر عند النبی و قد ترک ناقته سادره فی الصحراء دون أن یعقلها حتّی لا تفر أو تضل،ظنا بأن هذا من التوكل علی اللّه«أعقلها و توكل».

أجل لیس المراد من التوكل هو هـذا المفهوم الخاطئ،بل المراد منه هو أن لا ینحصـر الإنسان فی حصار هذا العالم المادی،و فی حدود قدرته الضیقه،

فلا ينطلق قدما إلى الأمام،بل يعلّق أمله-إلى جانب الأخذ بالأسباب-على عنايه اللّه و حمايته و لطفه و منّه.

و لا ريب أن مثل هذه الالتفاته تهب للإنسان استقرار نفسيا عاليا،و طاقه روحيه فعاله،و معنويه تتضائل أمامها كلّ الصعاب و المشاق،و تتحطم عندها كلّ أمواج المشكلات العاتيه،أو تنزاح أمامها كلّ الأهوال(و سوف نشرح بإسهاب إن شاء اللّه مسأله التوكل و كيفيه العلاقه بينها و بين الاستفاده من وسائل العالم المادى فى ذيل قوله تعالى وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (1) .

ثمّ إنه سبحانه و تعالى يأمر المؤمنين فى ختام الآيه أن يتوكلوا على اللّه فحسب لأنه تعالى يحب المتوكلين إذ يقول: إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ .

هذا و يستفاد من هذه الآيه أن التوكل يجب أن يكون بعد التشاور،و بعد الأخذ و الاستفاده من جميع الإمكانيات المتاحه للإنسان حتما.

نتيجه التوكل و ثمرته:

بعد أن يحث البارى سبحانه و تعالى عباده على أن يتوكلوا عليه،يبين فى هذه الآيه-التى هى مكمله للآيه السابقه-نتيجه التوكل و ثمرته و فائدته العظمى فيقول: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللّٰهُ فَلاٰ غٰالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ و هو بهذا يشير إلى أن قدره اللّه فوق كلّ القدرات،فإذا أراد بعبد خيرا و أراد نصره و تأييده و الدفاع عنه لم يكن فى مقدور أيه قوه فى الأرض-مهما عظمت- أن تتغلب عليه،فمن كان-هكذا-منبع كلّ الانتصارات،وجب التوكل عليه، و استمداد العون منه.

فهذه الآيه تتضمن ترغيبا للمؤمنين بأن يتكلوا على اللّه و قدرته التى لا تقهر،

1- 1) -الطلاق:3.

مضافا إلى تهيئه كلّ الوسائل الظاهريه،و الأسباب العاديه.

و الكلام فی الآیه السابقه موجه إلى شخص النبی الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم و أمر له فی الحقیقه و لکنه فی هذه الآیه موجه إلى جمیع المؤمنین و کأنها تقول لهم:إن علیهم أن یتوکلوا على اللّه کما یفعل النبی،و لهذا یختم هذه الآیه بقوله: وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

و لا یخفى أن تأیید اللّه للمؤمنین أو عدم تأییده لیس من غیر حساب،فهو یتم بناء على أهلیتهم لذلک.

فمن أعرض عن تعالیم اللّه،و غفل عن تحصیل المقومات المادیه و المعنویه و تقاعس عن إعداد القوى العادیه اللازمه لم یشمله التأیید الإلهی مطلقا،على العکس من الذین استعدوا لمواجهه الأعداء بصفوف متراصه و نیات خالصه و عزائم راسخه،مهیئین کلّ الوسائل اللازمه للمواجهه،فإن تأیید اللّه سیشمل هؤلاء، و ستکون ید اللّه معهم حتّى تحقیق الإنتصار.

ص :757

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۶۱]

اشاره

وَ مٰا کٰانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَغُلَّ وَ مَنْ یَغْلُلْ یَأْتِ بِمٰا غَلَّ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ ثُمَّ تُوَفّٰی کُلُّ نَفْسٍ مٰا کَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ یُظْلَمُونَ (۱۶۱)

التّفسیر

اشاره

الخیانه ممنوعه مطلقا:

بالنظر إلی الآیه السابقه التی نزلت بعـد الآیات المتعلقه بوقعه«أحـد»و بالنظر إلی روایه نقلها جمع من مفسـری الصدر الأول،تعتبر هـذه الآـیه ردا علی بعض التعللاـت الواهیه التی تمسـک بهـا بعض المقاتلین،و توضـیح ذلک هو:إن بعض الرماه عنـد ما أرادوا ترک مواقعهم الحساسه فی الجبل لغرض جمع الغنائم،أمرهم قائدهم بالبقاء فیها،لأن الرسول لن یحرمهم من الغنائم،و لکن تلک الجماعه الطامعه فی حطام الدنیا اعتذرت لذلک بعذر یخفی حقیقتهم الواقعیه،إذ قالوا:

نخشـی أن یتجاهلنا النبی عند تقسـیم الغنائم فلا یقسم لنا،قالوا هذا و أقبلوا علی جمع الغنائم تارکین مواقعهم التی کلفهم الرسول بحراستها فوقع ما وقع من عظائم الأمور و جلائل المصائب.

فجاء القرآن يرد على زعمهم و تصورهم هذا فقال: وَ مٰا كٰانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ (۱) أى أنكم تصورهم و ظننتم أن النبى يخونكم،و الحال أنه ليس لنبى أن يغل و يخون أحدا.

إن اللّه سبحانه ينزه فى هذه الآيه جميع الأنبياء و الرسل من الخيانه،و يقول إن هذا الأمر لا يصلح-أساسا-للأنبياء،و لا يتناسب أساسا مع مقامهم العظيم.

يعنى أن الخيانه لا تتناسب مع النبوه،فإذا كان النبى خائنا لم يمكن الوثوق به فى أداء الرساله و تبليغ الأحكام الإلهيه.

و غير خفى أن هذه الآيه تنفى عن الأنبياء مطلق الخيانه سواء الخيانه فى قسمه الغنائم أو حفظ أمانات الناس و ودائعهم،أو أخذ الوحى و تبليغه للعباد.

و من العجيب أن يثق أحد بأمانه النبى فى الحفاظ على وحى اللّه،و تبليغه و أدائه،ثمّ يحتمل-و العياذ باللّه-أن يخون النبى فى غنائم الحرب،أو يقضى بما ليس بحق،و يحكم بما ليس بعدل،و يحرم أهلها منها من غير سبب.

إن من الوضوح بمكان أن الخيانه محظوره على كلّ أحد،نبيا كان أو غير نبى، و لكن حيث إن الكلام هنا يدور حول اعتذار تلك الجماعه المتمرده و تصوراتهم الخاطئه حول النبى الأكرم صلى اللّه عليه و آله و سلّم لذلك تتحدث الآيه عن الأنبياء أولا،ثمّ تقول:

وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمٰا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ

أى أن كلّ من يخون سيأتى يوم القيامه و هو يحمل على كتفه وثيقه خيانته،أو يصحبه معه إلى المحشر،و هكذا يفتضح أمام الجميع،و تنكشف أوراقه و تعرف خيانته.

قال بعض المفسّرين أن المراد من حمل الخيانه على الظهر أو استصحاب ما

۱- ۱) -الغلول:تعنى الخيانه،و أصله تدرع الشىء و توسطه و منه الغلل للماء الجارى بين الشجر،و هو الماء الذى يتسلل و يتسرب فيما بين الشجر و يدخل فيه،و يطلق الغليل على ما يقاسيه الإنسان فى داخله من العطش و من شده الوجد و الغيظ،لهذا السبب.

غلّ يوم القيامه ليس هو أنّه يحمل كلّ ذلك حملا ـ أو يستصحبه استصحابا حقيقيا معه يوم القيامه،بل المراد هو أنه يتحمل مسئوليه ذلك،و لكن بالنظر إلى مسأله «تجسم الأعمال»فى يوم القيامه لا يبقى أى مبرر و لا أى داع لهذا التفسير،بل -و كما يدلّ عليه ظاهر الآيه و يشهد به-يأتى الخائن و هو يحمل عين ما غل كوثيقه حيه تشهد على خيانته و غلوله،أو يستصحبها معه.

ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ

يعنى أن الناس يجدون عين أعمالهم هناك،و لهذا فهم لا يظلمون لأنه يصل إلى كلّ أحد نفس ما كسبه خيرا كان أو شرا.

و لقد أثّرت الآيه السابقه،و الأحاديث التى صدرت عن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم و هى تذم الخيانه و الغلول فى نفوس المسلمين و خلقهم تأثيرا عجيبا حتّى أنهم-نتيجه لهذه التربيه-لم يصدر عنهم أقل خيانه و لا أدنى غلول فى غنائم الحرب أو الأموال العامه،إلى درجه أنهم كانوا يأتون بالغنائم الغاليه الثمن الصغيره الحجم التى كان من السهل إخفاؤها إلى النبى،أو القاده من بعده دون أى تصرف فيها،الأمر الذى يدعو إلى الدهشه و الإكبار و العجب.

فقد كان هؤلاء نفس أولئك العرب القساه،الجفاه،المغيرون،السلابون قطاع الطرق فى الجاهليه،و قد أصبحوا الآن-فى ظل التربيه الإسلاميه-فى قمه الصلاح و الأمانه،و فى ذروه الاستقامه و الطهر،و التقى و كأنهم يرون مشاهد القيامه بأم أعينهم،كيف يقدم الخائنون فى الأموال و الأمانات إلى المحشر و هم يحملون على أكتافهم و ظهورهم ما غلوه و خانوه.

أجل لقد كان هذا الإيمان يحذرهم من الخيانه،بل يصرفهم حتّى عن التفكير فيها.

كتب الطبرى فى تاريخه أنه لما هبط المسلمون بالمدائن، و جمعوا الأقباض

(الغنـائم)أقبـل رجـل بحق معه فـدفعه إلى صاحب الأقباض،فقال الـذين معه:ما رأينا مثل هـذا قط ما يعـد له ما عنـدنا و لا يقاربه فقالوا:هل أخذت منه شيئا؟فقال:

«أما و اللّه لو لا اللّه ما آتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأنا،فقالوا من أنت؟فقال:و اللّه لا أخبركم لتحمـدونى،و لا غيركم ليقرظونى و لكنى أحمد اللّه و أرضى بثوابه» (۱) .

۱- ۱) -تاريخ الطبرى:ج ۳ ص ۱۲۸.

الآيتان [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٢ الى ١٦٣]

اشاره

أَ فَمَنِ اِتَّبَعَ رِضْوٰانَ اَللّٰهِ كَمَنْ بٰاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ بَصِيرٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ (١٦٣)

التّفسير

اشاره

المتخلفون عن الجهاد:

تضمنت الآيات السابقه الحديث عن شتى جوانب معركه«أحد»و ملابساتها و نتائجها، و قد جاء الآن دور المنافقين و ضعاف الإيمان من المسلمين الذين تقاعسوا عن الحضور فى«أحد»تبعا للمنافقين،لأننا نقرأ فى الأحاديث أن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم عند ما أمر بالتحرك إلى«أحد»تخلف جماعه من المنافقين عن التوجه إلى الميدان بحجه أنه لن يقع قتال،و تبعهم فى ذلك بعض المسلمين من ضعاف الإيمان،فنزل قوله تعالى أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوٰانَ اللّٰهِ و لبى نداء النبى و اتبع أمره بالخروج كَمَنْ بٰاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ .

ثمّ يقول تعالى: هُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ اللّٰهِ أى أن لكل واحد منهم درجه بنفسه و مكانه عند اللّه،و هو إشاره إلى أنه لا يختلف المنافقون عن المجاهدين فقط،بل إن لكلّ فرد من أفراد هذين الطائفتين درجه خاصه تناسب مدى تضحيته و تفانيه

فی سبیل اللّه أو مدی نفاقه و عدائه للّه تعالی،و تبدأ هذه الدرجات من الصفر و تستمر إلی خارج حدود التصوّر.

هذا و قد نقل فی روایه عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السّلام أنه قال:«الدرجه ما بین السماء و الأرض» (۱) .

و

جاء فی حدیث آخر «إن أهل الجنه لیرون أهل علیین کما یری النجم فی أفق السماء» (۲) بید أننا یجب أن نعلم أن«الدرجه»تطلق عاده علی تلک الوسیله التی یرتقی بها الإنسان و یصعد إلی مکان مرتفع،فی حین أن الدرجات التی یستخدمها الإنسان للنزول من مکان مرتفع إلی مکان منخفض تسمی«درکا»و لهذا جاء فی شأن الأنبیاء علیهم السّلام فی سوره البقره الآیه ۲۵۳ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجٰاتٍ و جاء فی حقّ المنافقین فی سوره النساء الآیه ۱۴۵ إِنَّ الْمُنٰافِقِینَ فِی الدَّرْکِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّٰارِ و لکن حیث کان البحث فی الآیه الحاضره حول کلا الفریقین غلب جانب المؤمنین،فکان التعبیر بالدرجه دون غیرها إذ قیل هُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ اللّٰهِ .

ثمّ یقول سبحانه فی ختام هذه الآیه وَ اللّٰهُ بَصِیرٌ بِمٰا یَعْمَلُونَ أی أنه سبحانه عالم بأعمالهم جمیعا فهم یعلم جیدا من یستحق أیه درجه من الدرجات،بحیث تلیق بنیته و إیمانه و علمه.

مع أسلوب تربوی قرآنی مؤثر

هناک الکثیر من الحقائق المتعلقه و المرتبطه بالقضایا الدینیه أو الخلقیه أو الاجتماعیه،یطرحها القرآن الکریم فی قالب التساؤل و الاستفهام تارکا للسامع -و بعد أن یضعه أمام کلا جانبی القضیه-أن یختار هو بمعونه من فکره،و انطلاقا من تحلیله و تقویمه.

۱- ۱) -نور الثقلین:ج ۱ ص ۴۰۶.

۲- ۲) -تفسیر مجمع البیان عند تفسیر الآیه.

إن لهذا الأسلوب-الذى لا بدّ أن نسميه بالأسلوب التربوى غير المباشر-أثرا بالغا فى تحقيق الأهداف المرجوه من البرامج التربويه و تأثيرها فيمن يراد توجيههم و تربيتهم،و ذلك لأن الإنسان-فى الأغلب-يهتم أكثر بما توصل إليه بنفسه من النتائج و الأفكار و الآراء و ما انتهى إليه بفكره من التفاسير و التحاليل فى القضايا المختلفه،فإذا طرحت عليه قضيه بصوره قطعيه و صبغه جازمه،قاومها أحيانا،و لعله ينظر إليها كما ينظر إلى أيه فكره غريبه.

و لكن عند ما يطرح عليه الأمر فى صوره التساؤل الذين يطلب منه الجواب عليه حسب قناعته الشخصيه ثمّ يسمع ذلك الجواب من أعماق ضميره و فؤاده، فإنه لا يسعه حينئذ أن يقاوم هذا الجواب و يعاديه،بل ينظر إليه نظر العارف به، و لن تعود لديه-حينئذ-تلك الفكره الغريبه البعيده،بل تكون الفكره القريبه إلى قلبه،المأنوسه إلى فؤاده.

إن هذا الأسلوب من التوجيه و الإرشاد مؤثر غايه لتأثير خاصه مع المعاندين،و كذا الأطفال و الناشئين.

و لقد استفاد القرآن الكريم من هذا الأسلوب التربوى الرائع المؤثر فى مواضع عديده نذكر منها بعض النماذج:

١- هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ (١) .

٢-قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ أَ فَلاٰ تَتَفَكَّرُونَ (٢) .

٣-قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمٰاتُ وَ النُّورُ (٣) .

١- ١) -الزمر:٩.

٢- ٢) -الأنعام:۵٠.

٣- ٣) -الرعد:١۶.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۶۴]

اشاره

لَقَدْ مَنَّ اَللّٰهُ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ إِنْ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (۱۶۴)

التّفسير

اشاره

النعمه الإلهيه الكبرى:

فى هذه الآيه يدور الحديث حول أكبر النعم الإلهيه،ألا و هى نعمه«بعثه الرسول الأكرم و النبى الخاتم»صلى اللّه عليه و آله و سلّم، و هو فى الحقيقه إجابه قويه على التساؤل الذى خالج بعض الأذهان من الحديثى العهد بالإسلام بعد«معركه أحد»و هو:

لماذا لحق بنا ما لحق،و لماذا أصبنا بما أصبنا به؟فيجيبهم القرآن الكريم بقوله:

لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ

أى إذا كنتم قد تحملتم كلّ هذه الخسائر،و أصبتم بكلّ هذه المصائب،فإن عليكم أن لا تنسوا أن اللّه قد أنعم عليكم بأكبر نعمه،ألا و هى بعثه نبى يقوم بهدايتكم و تربيتكم،و ينقذكم من الضلالات و ينجيكم من المتاهات،فمهما تحملتم فى سبيل الحفاظ على هذه

النعمه العظمی و الموهبه الکبری،و مهما کلفکم ذلک من ثمن،فهو ضئیل إلی جانبها،و حقیر بالنسبه إلیها.

و الجدیر بالاهتمام-فی المقام-هو أن هذه النعمه قد شرع ذکرها بکلمه «منّ»التی قد لا تبدو جمیله و لا مستحسنه فی بادئ الأمر،و لکننا عند ما نراجع ماده هذه اللفظه و أصلها اللغوی یتضح لنا الأمر غایه الوضوح،و توضیحه هو:ان المن-کما قال الراغب فی مفرداته:هو ما یوزن به،و لذلک أطلق علی النعمه الثقیله:المنه،و یقال ذلک إذا کان ذلک بالفعل،فیقال:من فلان علی فلان إذا أثقله بالنعمه الجمیله الثمینه و هو حسن لا بأس فیه،أما إذا عظّم أحد-فی القول و الادعاء-ما قام به من حقیر الخدمات و الأفعال و الصنائع فهو فی غایه القبح.

و علی هذا فإن المن المستقبح هو الذی یکون استعظاما للصنائع و النعم فی القول،أما المنه المستحسنه فهی بذل النعم الکبری و الصنائع العظیمه.

أما تخصیص المؤمنین بالذکر فی هذه الآیه فی حین أن الهدف من بعثه النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم هو هدایه عموم البشر،فلأن المؤمنین هم الذین یستفیدون-بالنتیجه و المآل-من هذه النعمه العظمی فهم الذین یستأثرون بآثارها عملا دون غیرهم.

ثمّ إن اللّه سبحانه یقول: مِنْ أَنْفُسِهِمْ أن إحدی ممیزات هذا النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم هو أنه من نفس الجنس و النوع البشری،لا من جنس الملائکه و ما شابهها،و ذلک لکی یدرک کلّ احتیاجات البشر بصوره دقیقه،و لا یکون غریبا عنها،غیر عارف بها، و حتّی یلمس آلام الإنسان و آماله،و مشکلاته و مصائبه،و متطلبات الحیاه و مسائلها،ثمّ یقوم بما یجب أن یقوم به من التربیه و التوجیه علی ضوء هذه المعرفه.

هذا مضافا إلی أن القسط الأکبر من برامج الأنبیاء التربویه یتکون من تبلیغهم

العملی بمعنی أن أعمالهم تعتبر أفضل مثل،و خیر وسیله تربویه للآخرین،لأن التبلیغ بلسان العمل أشد تأثیرا،و أقوی أثرا من التبلیغ بأیه وسیله أخری،و هذا إنما یمکن إذا کان المبلّغ من نوع البشر و جنسه بخصائصه،و مواصفاته الجسمیه، و بذات غرائزه و بنائه الروحی.

فإذا کان الأنبیاء من جنس الملائکه-مثلا-کان للبشر الذین أرسل الأنبیاء إلیهم أن یقولوا:إذا کان الأنبیاء لا یعصون أبدا،فلأجل أنهم من الملائکه لیست فی طبائعهم الشهوات و الغرائز،و لا الغضب و لا الحاجه.

و هکذا کانت رساله الأنبیاء و مهمتهم تتعطل و تفقد تأثیرها،و لا تحقق أغراضها.

و لهذا اختیر الأنبیاء من جنس البشر و من فصیله الإنسان بغرائزه، و احتیاجاته،لیمکنهم أن یکونوا أسوه لغیرهم من البشر،و قدوه لسواهم من بنی الإنسان.

ثمّ إن اللّه سبحانه یقول واصفا مهمات هذا النبی العظیم: یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ أی أنه صلی اللّه علیه و آله و سلّم یقوم بثلاثه أمور فی حقّهم:

۱-تلاوه آیات اللّه علی مسامعهم،و إیقافهم علی هذه الآیات و الکلمات الإلهیه.

۲-تعلیمهم بمعنی إدخال هذه الحقائق فی أعماق ضمائرهم و قلوبهم.

۳-تزکیه نفوسهم،و تنمیه قابلیاتهم الخلقیه،و مواهبهم الإنسانیه.

و لکن حیث إن الهدف الأصلی هو«التربیه»لذلک قدمت علی«التعلیم»مع أن الحال-من حیث الترتیب الطبیعی-تقتضی تقدیم التعلیم علی التربیه.

إن الذین یبتعدون عن الحقائق الإنسانیه بالمره،لیس من السهل إخضاعهم

للتربيه،فلا بدّ أولا من إسماعهم آيات اللّه مده من الزمن حتّى تذهب عنهم الوحشه التى وقعوا فريسه لها من قبل،ليتسنى حينئذ إدخالهم فى مرحله التعليم،ثمّ يمكن اقتطاف ثمار التربيه بعد ذلك.

ثمّ إن هناك احتمالاـ آخر فى تفسير الآـيه و هو أن المقصود من التزكيه هو التنقيه من رواسب الجاهليه و الشرك،و من بقايا العقائد الباطله و الأفكار الخرافيه، و الأخلاق الحيوانيه القبيحه لأـن الضمير الإنسانى ما دام لم يطهر من الأدران و الرواسب لم يمكن إعداده و تهيئته لتعليم الكتاب الإلهى،و الحكمه و العلم الواقعيين،تماما مثل اللوحه التى لا تقبل الألوان و النقوش الجميله ما لم تنظف من النقوش القبيحه أولا.

و لهذا السبب قدمت التزكيه فى الآـيه الحاضره على تعليم الكتاب و الحكمه التى يراد بها معارف الإسلام العالميه،و مفاهيمه الساميه.

متى تعرف قيمه البعثه النبويه؟

إن أهميه هذه النعمه العظمى(البعثه النبويه)إنما تتضح تمام الوضوح و تتجلى تمام الجلاء عند ما يقاس الوضع الذى آلوا إليه بالوضع الذى كانوا عليه،و ملاحظه مدى التفاوت بينهما و هذا هو ما يعنيه قوله: وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ .

و كأن القرآن يخاطبهم قائلاـ:ارجعوا إلى الوراء و انظروا إلى ما كنتم عليه من سوء الحال قبل الإسلام،كيف كنتم،و كيف صرتم؟؟ إن الجدير بالتأمل هو وصف القرآن الكريم للعهد الجاهلى بقوله: ضَلالٍ مُبِينٍ لأن للضلال أنواعا و أصنافا:فمن الضلال ما لا يمكن معه للإنسان أن يميز بين الحق و الباطل،و الخطأ و الصواب بسهوله،و من الضلال ما يكون بحيث لو

رجع الإنسان إلی نفسه أدنی رجوع،و تمتع بأقل قدر من الإدراک و الشعور اهتدی إلی الصواب و أدرک الخطأ فورا.

و لقد کان الناس و خاصه سکان الجزیره العربیه قبل البعثه النبویه المبارکه، و مجیء الرسول الأکرم صلی اللّه علیه و آله و سلّم بالإسلام فی ضلال مبین،فقد کان الشقاء و الجهل، و غیر ذلک من حالات الانحطاط و السقوط و الفساد سائدا فی کلّ أرجاء المعموره فی ذلک العصر،و هو أمر لم یکن خافیا علی أحد.

ص :769

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۶۵]

اشاره

أَ وَ لَمّٰا أَصٰابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهٰا قُلْتُمْ أَنّٰى هٰذٰا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۶۵)

التّفسیر

اشاره

دراسه أخری لمعرکه أحد:

هذه الآیه تتضمن دراسه أخری و تقییما آخر لمعرکه أحد و توضیح ذلک:إن بعض المسلمین کانوا یعانون من حزن عمیق و قلق بالغ لنتائج أحد،و کانوا لا یکتمون حزنهم و قلقهم هذا بل طالما کرروه و أظهروه علی ألسنتهم،فذکرهم اللّه- فی هذه الآیه- بثلاث نقاط هی:

۱-یجب أن لا تقلقوا لنتائج معرکه معیّنه،بل علیکم أن تحاسبوا کلّ قضایا المجابهه مع العدو،و تزنوا المسأله من جمیع أطرافها فلو أنه أصابتکم علی أیدی أعدائکم فی هذه المعرکه مصیبه فإنکم قد أصبتم أعداءکم ضعفها فی معرکه اخری (معرکه بدر)لأنهم قتلوا من المسلمین فی معرکه«أحد»سبعین و لم یأسروا أحدا بینما قتل المسلمون من المشرکین فی معرکه«بدر»سبعین و أسروا سبعین أَ وَ لَمّٰا

أَصٰابَتْكَمْ مُصِيبَهٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهٰا

.

و عباره قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهٰا هى فى الحقيقه بمثابه إجابه مقدمه على سؤال.

۲-أنتم تقولون.هذه المصيبه كيف أصابتنا؟ قُلْتُمْ أَنّٰى هٰذٰا و لكن«قل»أيها النبى: هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ أى هو نابع من مواقفكم فى تلك المعركه،فابحثوا عن أسباب الهزيمه فى أنفسكم.

فأنتم الذين خالفتم أمر الرسول،و تركتم الجبل ذلك الموقع الخطير.

و أنتم الذين لم تحسموا المعركه،و لم تذهبوا إلى نهايتها،بل انصرفتم إلى جمع الغنائم بعد انتصار محدود.

و أنتم الذين تركتم ساحه المعركه و فررتم و لم تصمدوا عند ما باغتكم العدو من الخلف،و من ناحيه الجبل الذى تركتم حراسته.

فكلّ هذه العيوب و الذنوب،و كلّ هذا الوهن هو الذى سبب تلك الهزيمه النكراء،و أدى إلى قتل تلك المجموعه الكبيره من المسلمين.

۳-يجب أن لا تقلقوا للمستقبل لأن اللّه قادر على كلّ شىء،فإذا أصلحتم أنفسكم،و أزلتم النواقص،و تخلصتم ممّا تعانون منه من نقاط الضعف شملكم تأييده،و أنزل عليكم نصره إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

الآیتان [سوره آل عمران (٣): الآیات ١۶۶ الی ١۶٧]

اشاره

وَ مٰا أَصٰابَكُمْ يَوْمَ اِلْتَقَى اَلْجَمْعٰانِ فَبِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ لِيَعْلَمَ اَلْمُؤْمِنِينَ (١۶۶) وَ لِيَعْلَمَ اَلَّذِينَ نٰافَقُوا وَ قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا قٰاتِلُوا فِی سَبِيلِ اَللّٰهِ أَوِ اِدْفَعُوا قٰالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتٰالاً لاَتَّبَعْنٰاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمٰانِ يَقُولُونَ بِأَفْوٰاهِهِمْ مٰا لَيْسَ فِی قُلُوبِهِمْ وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا يَكْتُمُونَ (١۶٧)

التّفسیر

اشاره

لا بد أن تتمیز الصفوف:

تنوه الآیتان الحاضرتان بحقیقه هامه هی أن أیه مصیبه(كتلك التی وقعت فی أحد)مضافا إلی أنها لم تكن دون سبب و عله،فإنها خیر وسیله لتمییز صفوف المجاهدین الحقیقیین عن المنافقین أو ضعفاء الإیمان،و لذلك جاء فی القسم الأول من الآیه الأولی وَ مٰا أَصٰابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰانِ فَبِإِذْنِ اللّٰهِ أی أن ما أصابكم یوم تقاتل المسلمون و المشركون فهو بإذن اللّه و مشیئته و إرادته لأن لكلّ ظاهره فی عالم الكون المخلوق للّه سبحانه سببا خاصّا و علّه معیّنه.

ص: ٧٧٢

و أساسا أن هذا العالم عالم مقنن يجرى وفق قانون الأسباب و المسببات، و هذه حقيقه ثابته لا تتغير.

و على هذا الأساس إذا وهنت جماعه فى الحرب،و تعلقت بالدنيا و حطامها، و الثروه و جواذبها،و تجاهلت أوامر قائدها المحنك الرؤوف كانت محكومه بالهزيمه و الفشل،و هذا هو المقصود من إذن اللّه،فإذن اللّه و مشيئته هى تلك القوانين التى أرساها فى عالم الكون و دنيا البشر.

ثمّ يقول سبحانه فى المقطع التالى من الآيه: وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا .

إنه إشاره إلى أثر آخر من آثار هذه الحرب و هو تمييز المؤمنين عن المنافقين،و فرز أقوياء الإيمان عن ضعفاء الإيمان.

و على العموم فقد تميز المسلمون-فى معركه أحد-فى طوائف ثلاث:

الطائفه الأولى:و هم قله،قد ثبتوا أمام العدو فى تلك الموقعه حتّى آخر لحظه،حتّى قضى بعض و جرح بعض و تحمل أشد الآلام.

الطائفه الثانيه:هم الذين زلزلوا،و وقعوا فريسه الاضطراب و لم يمكنهم الثبات حتّى آخر لحظه،ففروا من الميدان.

الطائفه الثالثه:و هم جماعه المنافقين الذين رجعوا من منتصف الطريق و أحجموا عن المشاركه و الإسهام فى القتال بحجج و أعذار واهيه،و عادوا إلى المدينه،و هم عبد اللّه بن أبى سلول،و ثلاثمائه شخص من أعوانه و أنصاره و جماعته.

فلو لم تقع حادثه أحد لما تميزت هذه الصفوف مطلقا،و لما اتضح الأمر بمثل هذا الاتضاح أبدا،و لما تبين كلّ شخص بقسماته الحقيقيه،و ملامحه الواقعيه و صفاته الخاصه به،و بالتالى كان يمكن أن يتصور الجميع-فى مقام الادعاء-أنهم

مؤمنون واقعيون،و أنهم الأمثله الكامله للصالحين.

و فى الحقيقه-تتضمن الآيه الإشاره إلى أمرين:

الأول:العله الفاعليه للهزيمه.

الثانى:العله الغائيه(و النتيجه النهائيه)لها.

على أنّ هناك نقطه يلزم التنويه بها و هى أن الآيه الحاضره تقول: وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا و لم تقل«ليعلم المنافقين».

و بتعبير آخر:جاء ذكر النفاق بصيغه الفعل،و لم يأت بصوره«الوصف»و هو- لعلّه-لأجل أن النفاق لم يكن قد حصل فى الجميع فى شكل الصفه الثابته اللازمه و لهذا نقرأ فى التاريخ أن بعضهم قد وفق للتوبه و هدى إليها فيما بعد،و التحق بصف المؤمنين الصادقين،ثمّ إن القرآن الكريم يستعرض حوارا قد وقع بين بعض المسلمين،و المنافقين قبل المعركه بالشكل التالى: وَ قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُوا فإن بعض المسلمين«و هو عبد اللّه بن عمر بن حزام على ما نقل عن ابن عباس)عند ما رأى انسحاب عبد اللّه بن أبى سلول و انفصالهم عن الجيش الإسلامى،و اعتزامهم العوده إلى المدينه قال:تعالوا قاتلوا فى سبيل اللّه أو ادفعوا عن حريمكم و أنفسكم إن لم تقاتلوا فى سبيل اللّه.

و لكنهم تعللوا،و اعتذروا بأعذار واهيه إذ قالوا: لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاَتَّبَعْناكُمْ أى إننا نظن أن الأمر ينتهى بلا قتال فلا حاجه لوجودنا معكم.

و بناء على تفسير آخر قال المنافقون:لو أننا كنا نعتبر هذا قتالا معقولا لتعاونا معكم و لاتبعناكم،و لكننا لا نعتبر هذا قتالا بل نوعا من الانتحار و المغامره الانتحاريه لعدم التكافؤ بين قوى الكفر و قوى الإسلام،الأمر الذى يعنى أن قتالهم أمر غير عقلائى،خاصه أن الجيش الإسلامى قد استقر فى مكان غير مناسب و نقطه غير مؤاتيه و لا ملائمه.

و على كلّ حال فإن هذه كانت مجرد اعتذارات و تعللات،لأن الحرب كانت حتميه الوقوع،و لأن المسلمين انتصروا فى بدايه المعركه،و أما ما لحق بهم من الهزيمه و الانكسار فلم يكن إلاّ بسبب أخطاء و مخالفات ارتكبوها هم أنفسهم بحيث لولاها لما وقعت بهم هزيمه،و لذا يقول اللّه سبحانه: هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ (أى أنهم يكذبون)،هذا مضافا إلى أنه يستفاد من هذه الجمله(أى أقرب)أن للإيمان و الكفر درجات ترتبط باعتقاد الإنسان و أسلوب عمله و سلوكه.

ثمّ علل سبحانه ما ذكره عنهم بقوله: يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ أى أنهم يظهرون خلاف ما يضمرون،و يبدون من القول خلاف ما يكتمون من الاعتقاد و النيه،فإنهم لإصرارهم على اقتراحهم بالقتال داخل أسوار المدينه،أو رهبه من ضربات العدو،أو لعدم حبهم للإسلام أحجموا عن الإسهام فى تلك المعركه،و امتنعوا عن المضى إلى أحد فى صحبه المسلمين، وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ فإن اللّه يعلم جيدا ما يخفونه و يضمرونه من النوايا،و سيكشف عن نواياهم للمسلمين فى هذه الدنيا،كما سيعاقبهم و يحاسبهم على مواقفهم و نواياهم الشريره فى الآخره.

الآیه [سوره آل عمران (۳): آیه ۱۶۸]

اشاره

اَلَّذِینَ قٰالُوا لِإِخْوٰانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطٰاعُونٰا مٰا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِکُمُ اَلْمَوْتَ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۱۶۸)

التّفسیر

اشاره

مزاعم المنافقین الباطله:

لم یکتف المنافقون بانصرافهم عن الإسهام مع المؤمنین فی القتال،و السعی فی إضعاف الروح المعنویه للآخرین،بل عمدوا إلی لوم المقاتلین المجاهدین بعد عودتهم من المعرکه،و بعد ما لحق بهم ما لحق قائلین لَوْ أَطٰاعُونٰا مٰا قُتِلُوا .

فیرد علیهم القرآن الکریم فی الآیه الحاضره قائلا اَلَّذِینَ قٰالُوا لِإِخْوٰانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطٰاعُونٰا مٰا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا عَنْ أَنْفُسِکُمُ الْمَوْتَ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ .

یعنی أنکم بکلامکم هذا تریدون الادعاء بأنکم مطلعون علی عالم الغیب.

و إنکم عارفون بالمستقبل و حوادثه،فإذا کنتم صادقین فی ذلک فادفعوا عن أنفسکم الموت،لأنکم-طبقا لهذا الادعاء-ینبغی أن تعرفوا عله موتکم، و تقدرون علی تجنبها،و تحاشیها،و إبطال مفعولها.

افرضوا أنكم لم تقتلوا فی ساحات الجهاد و الشرف،فهل يمكنكم أن تضمنوا لأنفسكم سنا طويلا،و عمرا خالدا؟؟هل يمكنكم أن تمنعوا الموت عن أنفسكم أبدا و دائما؟؟ فإذا لم يمكنكم تحاشی الموت-هذه النهايه المحتّمه لكل نفس-فلما ذا تموتون فی الفراش بذل و هوان،و لا تختارون الشهاده و الموت بشرف و عز فی ساحات الجهاد ضد أعداء اللّه و أعداء الرساله؟؟ ثمّ إن الآيه الحاضره تتضمن نقطه أخری يجب الانتباه إليها و هی:

لقد عبّر القرآن عن المؤمنين فی هذه الآيه بأنهم إخوان للمنافقين فی حين لم يكن المؤمنون إخوانا للمنافقين إطلاقا،فما هذه الأنواع من الملامه و التوبيخ للمنافقين؟فيكون المعنی هو:إنكم أيها المنافقون كنتم تعتبرون المؤمنين إخوانا لكم فكيف تركتم نصرتهم فی هذه اللحظات الخطيره؟و لهذا أردف سبحانه هذه الكلمه لِإِخْوانِهِمْ بكلمه«الذين قعدوا»أی تقاعسوا عن المشاركه فی المعركه.

فهل يصحّ أن يدعی الإنسان إخوته لآخر ثمّ يخذله حين يحتاج إلی نصره و تأييده و يقعد عنه حين يحتاج إلی حمايته؟!

الآیات [سوره آل عمران (۳): الآیات ۱۶۹ الی ۱۷۱]

اشاره

وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اَلَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ أَمْوٰاتاً بَلْ أَحْیٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ (۱۶۹) فَرِحِینَ بِمٰا آتٰاهُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ یَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِینَ لَمْ یَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۱۷۰) یَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَهٍ مِنَ اَللّٰهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اَللّٰهَ لاٰ یُضِیعُ أَجْرَ اَلْمُؤْمِنِینَ (۱۷۱)

التّفسیر

اشاره

الحیاه الخالده:

یری بعض المفسرین أن الآیات الحاضره نزلت فی شهداء«أحد»و یری آخرون أنها نزلت فی شهداء«بدر»،و لکن الحقّ هو أن ارتباط هذه الآیات بما قبلها من الآیات یکشف عن أنها نزلت فی أعقاب حادثه«أحد»،و إن کان محتواها،و مضمونها یعم حتّی شهداء«بدر»الذین کانوا ۱۴ شهیدا و لهذا روی عن الإمام محمّد الباقر علیه السّلام أنه قال:إنها تتناول قتلی بدر و أحد معا (۱) .

۱- ۱) -تفسیر العیاشی حسبما نقله تفسیر نور الثقلین:ج ۱ ص ۴۰۶.

و قد

روی ابن مسعود عن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال اطلع إلیهم(أی أرواح شهداء أحد و هی فی الجنه)ربهم اطلاعه فقال:هل تشتهون شیئا؟قالوا:أی شیء نشتهی و نحن نسرح من الجنه حیث شئنا.ففعل ذلک بهم ثلاث مرات،فلما رأوا أنهم لم یترکوا من أین یسألوا قالوا:یا رب نرید أن ترد أرواحنا فی أجسادنا حتّی نقتل فی سبیلک مرّه أخری فقال تعالی:قد سبق منی أنهم لا یرجعون قالوا:فتقرئ نبینا السلام و تبلغهم ما نحن فیه من کرامه فلا یحزنوا«فنزلت هذه الآیات» (۱) .

و علی کلّ حال فإن الذی یبدو للنظر هو أن بعض ضعاف الإیمان کانوا-فی مجالسهم و ندواتهم بعد حادثه أحد-یظهرون الأسف علی شهداء أحد،و کیف أنهم ماتوا و فنوا،و خاصه عند ما کانت تتجدد علیهم النعمه فیتأسفون لغیاب أولئک القتلی فی تلک المواقع،و کانوا یحدثون أنفسهم قائلین کیف ننعم بهذه النعم و المواهب و إخواننا و أبناءنا رهن القبور لا یصیبهم ما أصابنا من الخیر،و لا یمکنهم أن یحظوا بما حظینا به من النعیم؟؟.

و قد کانت هذه الکلمات-مضافا إلی بطلانها و مخالفتها للواقع-تسبب إضعاف الروح المعنویه لدی ذوی الشهداء.

فجاءت الآیات الحاضره لتفند کلّ هذه التصورات،و تذکر بمکانه الشهداء السامیه،و مقامهم الرفیع و تقول: وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّٰهِ أَمْوٰاتاً .

و الخطاب-هنا-متوجه إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم خاصه حتّی یحسب الآخرون حسابهم.

ثمّ یقول سبحانه معقبا علی العباره السابقه بَلْ أَحْیٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ .

و المقصود من الحیاه فی الآیه هی«الحیاه البرزخیه»فی عالم ما بعد الموت، لا الحیاه الجسمانیه و المادیه،و إن لم تختص الحیاه البرزخیه بالشهداء فللکثیر

۱- ۱) -الدر المنثور:ج ۲ ص ۹۵-۹۶.

من الناس حياه برزخيه أيضا (۱) و لكن حيث أن حياه الشهداء من النمط الرفيع جدا،و من النحو المقرون بأنواع النعم المعنويه،هذا مضافا إلى أنها هى محط البحث و الحديث فى هذا السياق القرآنى لذلك خصوا بالذكر و خصت حياتهم بالإشاره فى هذه الآيه،دون سواهم و دون غيرها أيضا.

إن حياتهم البرزخيه محفوفه بالنعم و المواهب المعنويه العظيمه و كأن حياه الآخرين من البرزخيين بما فيها لا تكاد تكون شيئا يذكر بالنسبه إليها.

ثمّ إن الآيه التاليه تشير إلى بعض مزايا حياه الشهداء البرزخيه،و ما يكتنفها و يلازمها من عظيم البركات من خلال الإشاره إلى عظيم ابتهاجهم بما أوتوا هناك فتقول: فَرِحِينَ بِمٰا آتٰاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ .

ثمّ إن السبب الآخر لابتهاجهم و مسرتهم هو ما يجدونه و يلقونه من عظيم الثواب و رفيع الدرجات الذى ينتظر إخوانهم المجاهدين الذين لم ينالوا شرف الشهاده فى المعركه إذ يقول القرآن: وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ .

ثمّ يردف هذا بقوله: أَلاّٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ يعنى أن الشهداء يحسون هناك و فى ضوء ما يرونه أن إخوانهم المجاهدين لن يكون عليهم أى خوف ممّا تركوه فى الدنيا،و لا أى حزن من الآخره و وقائعها الرهيبه.

على أنه من الممكن أن يكون لهذه العباره تفسير آخر هو أن الشهداء بالإضافه إلى سرورهم و فرحهم لما يشاهدونه من الدرجات و المراتب الرفيعه لإخوانهم الذين لم ينالوا شرف الشهاده و لم يلحقوا بهم،لا يشعرون هم أنفسهم بأى خوف من المستقبل و لا أى حزن من الماضى (۲) .

ص: ۷۸۰

۱- ۱) -ينقسم أصحاب الحياه البرزخيه-حسبما يذهب إليه بعض المحققين-إلى نوعين الصالحون جدا، و الطالحون جدا.

۲- ۲) -الضمائر فى«لا خوف عليهم و لا هم يحزنون»حسب التفسير الأول تعود إلى المجاهدين الباقين على قيد الحياه الذين لم يلحقوا بالشهداء،و على التفسير الثانى تعود إلى الشهداء أنفسهم.

ثمّ إنه سبحانه يقول: يَسْتَبْشِرُونَ (١) بِنِعْمَهٍ مِنَ اللّهِ وَ فَضْلٍ .

و هـذه الآيه-فى الحقيقه-مزيـد تأكيـد و توضيح حول البشـائر الـتى يتلقاهـا الشـهداء بعـد قتلهم و استشـهادهم.، فهم فرحون و مسروررون من ناحيتين:

الأولى:من جهه النعم و المواهب الإلهيه التى يتلقونهـا،لا بهـا فقط بل لما يتلقونه من الفضل الإلهى الـذى هو التصـعيد المتزايد المستمر للنعم الذى يشمل الشهداء أيضا.

و الثانيه:من جهه أنهم يرون أن اللّه سبحانه و تعالى لا يضيع أجر المؤمنين...

لا أجر الشهداء الـذين نـالوا شرف الشهاده،و لا أجر المجاهـدين الصادقين الـذين لم ينالوا ذلك الشرف رغم اشتراكهم فى المعركه: وَ أَنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ أجل،إنهم يرون بأم أعينهم ما كانوا يوعدون به و يسمعون بآذانهم.

إنها فرحه مضاعفه.

شهاده على بقاء الروح تعد الآيات الحاضره من جمله الآيات القرآنيه ذات الدلاله الصريحه على بقاء الروح.

فهـذه الآيات تتحـدث عن حياه الشـهداء بعد الموت و القتل.و ما يحتمله البعض من أن المراد بهذه الحياه هو معنى مجازى،و أن المقصود هو بقاء اسـمهم، و خلود آثارهم،و أعمالهم و جهودهم بعيد جدا عن معنى الآيه،و غير منسـجم بالمرّه مع أى واحد من العبارات الوارده فى الآيات الحاضره،سواء تلك التى

١- ١) -الاستبشار يعنى الابتهاج و السرور الحاصل بسبب تلقى بشاره أو مشاهده نعمه للنفس أو للغير من الأحبه. و ليست بمعنى التبشير و الإبشار.

تصرح بأن الشهداء يرزقون،أو التى تتحدث عن سرورهم من نواح مختلفه،هذا مضافا إلى أن الآيات الحاضره دليل بيّن و برهان واضح على مسأله«البرزخ» و النعم البرزخيه التى سيأتى الحديث عنها و شرحها عند تفسير قوله سبحانه:

وَ مِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

(۱)

إن شاء اللّه.

أجر الشهداء

لقد قيل عن الشهداء و مكانتهم و أهميه مقامهم الكثير الكثير،فكلّ الأمم،و كلّ الشعوب تحترم شهداءها و تقيم لهم وزنا خاصّا و لكن ما يوليه الإسلام للشهداء فى سبيل اللّه من الاحترام و ما يعطيهم من المقام لا مثيل له أصلا،و هذه حقيقه لا مبالغه فيها،فإن الحديث التالى نموذج واضح من هذا الاحترام العظيم،الذى يوليه الإسلام الحنيف للذين استشهدوا فى سبيل اللّه،و فى ظل هذه التعاليم استطاعت تلك الجماعه المحدوده المختلفه أن تكتسب تلكم القوّه العظيمه الهائله التى استطاعت بها أن تركع أمامها أعظم الإمبراطوريات،بل و تدحر أعظم العروش.

و إليك هذا الحديث:

عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام عن الحسين بن على عليهما السّلام قال: بينما أمير المؤمنين يخطب و يحضهم على الجهاد إذ قام إليه شاب فقال:يا أمير المؤمنين أخبرنى عن فضل الغزاه فى سبيل اللّه فقال:كنت رديف رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم على ناقته العضباء و نحن منقلبون عن غزوه ذات السلاسل فسألته عمّا سألتنى عنه فقال:

الغزاه إذا هموا بالغزو كتب اللّه لهم براءه من النار.

فإذا تجهزوا لغزوهم باهى اللّه بهم الملائكه.

فإذا ودعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان و البيوت،و يخرجون من الذنوب...

۱- ۱) -المؤمنون:۱۰۰.

و يكتب له(أى لكلّ شهيد و غاز)كلّ يوم عباده ألف رجل يعبدون اللّه...

و إذا ضاروا بحضره عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب اللّه إياهم.

فإذا برزوا لعدوهم و أشرعت الأسنه و فوقت السهام،و تقدّم الرجل إلى الرجل حفتهم الملائكه بأجنحتها يدعون اللّه بالنصره و التثبيت فينادى مناد:«الجنه تحت ظلال السيوف»فتكون الطعنه و الضربه على الشهيد أهون من شرب الماء البارد فى اليوم الصائف.

و إذا زال الشهيد من فرسه بطعنه أو ضربه لم يصل إلى الأرض حتّى يبعث اللّه إليه زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد اللّه له من الكرامه.فإذا وصل إلى الأرض تقول له الأرض:مرحبا بالروح الطيب الذى خرج من البدن الطيب،أبشر فإن لك ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و يقول اللّه:أنا خليفته فى أهله من أرضاهم فقد أرضانى و من أسخطهم فقد أسخطنى (۱) .

---

۱ – ۱) -هذه قبسات من الروايه التى نقلها المفسر الإسلامى الكبير العلّامه الطبرسى رحمه اللّه فى تفسيره(مجمع البيان) عند تفسير هذه الآيات.

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم
هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ
الزمر: ۹

المقدمة:
تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.
وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام
تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة
تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات
توسیع عام لفکرة المطالعة
تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:
مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة
الاجتناب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة
العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.